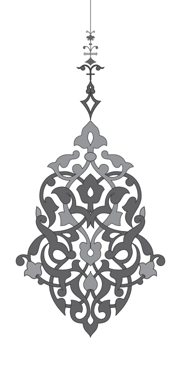


مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء السادس



حسن بن موسى الصفار

مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء السادس

الطبعة الأولى: 1438هـ-2017م




أطيـــاف للنشـــر والتـوزيـــع

هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القـــطيف - شـــارع القـــدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيـــــف ٣١٩١١
المملـــكة العربيـــة السعوديـــة
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمـدُ للّهِ ربِّ العَالمِين اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَبِيين وتَمَام عِدّة المُرْسَلِين وعَلَـى آلـهِ الطَيّبِيـن الطَاهِريـن وَصَحْبِـه المُنْتَجَبِين.



أوّل المسار

بعـد أن كسـبت الأمة معركـة التمسّـك بهويتها وانتمائهـا الديني، فـي مواجهة من أرادوا سـلخها من تلك الهوية والانتماء، بفرض أنظمة استبدادية متطرفة في علمانيّتها ومناوأتهـا للدين على شـعوب الأمـة، وبدعم تيـارات وأحزاب تناقـض الفكر الديني وتستفزّ مشاعر الأمة.

لقد قاومت الأمة كلّ الخطط والمشاريع التي استهدفت دينها وهويتها الحضارية، وقدّمت قوافل من الشّـهداء، وتحمّلت آلام التضحيات لعقود من الزمن، حتى تكسب هـذه المعركـة المصيرية؛ لأنّها رأت في الديـن ملاذاً وملجأً لحفظ عزّتها واسـتقلالها المستهدف من قبل الغزاة المستعمرين، والطغاة المستبدّين.

لكنها الآن تجد نفسـها أمام معركة أخرى أشـدّ خطورة وأكثر شراسة، وهي معركة الوعـي والفهـم لقيـم وتعاليم الديـن، الذي عقدت عليـه آمال الخـلاص والنجاة، من واقعها المتخلّف الفاسد.

ذلـك أنّ ما ورثته الأمة من دينها يتمثل أساسًـا في نصوص الكتاب والسـنة، وآراء العلمـاء والفقهـاء السّـالفين، ولا شـك أنّـه إرث عظيم، لكنـه بحاجة إلى إعـادة قراءة وتمحيـص، تخلّصـه من الشـوائب التي لحقـت به وأضيفـت إليه من قبـل الوضّاعين والمدلّسـين، حيث أجمعت الأمة على حصول الكذب والافتراء على رسـول الله ﷺ

وعلى الأئمة من آل بيته وخيار صحابته.

ورغم الجهود التي بذلها علماء الحديث لتنقية السّنة مما لحق بها من أكاذيب وإضافات، عبر وضع معايير ومقاييس لتصحيح وتخريج الأحاديث، إلا أنّ ذلك لا يعني اكتمال هذه المهمة، وانتهاء دور علمي الدراية والرواية، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يمكن أن توفره الخبرة المتراكمة، والتطور في وسائل البحث ومناهج التحقيق في التراث والآثار.

كما أنّ قسمًا من النصوص الدينية، وخاصة فيما يتعلق بشؤون الحياة وإدارة المجتمع، قد تكون محدودة ومحكومة بزمن وبيئة صدورها، ولا يقصد الشارع منها الإطلاق والشّمول لكلّ الأزمنة والأوضاع الاجتماعية المختلفة، فهي تشريعات تدبيرية، وضعها الرسول ﷺ أو الأئمة والخلفاء، بحكم الممارسة لموقع الإدارة والقيادة.

أما آراء العلماء والفقهاء السّابقين فهي غير ملزمة لأجيال الأمة، وليست سقفًا يمنع العلماء والفقهاء اللاحقين من إعادة القراءة والفهم للنص الديني، فكما اجتهد أولئك يحقّ لهؤلاء الاجتهاد وإبداء النظر، وذلك هو مبرّر وجوب الاجتهاد في المعرفة الدينية، وضرورة وجود الفقهاء المجتهدين في كلّ عصر وجيل.

ومع تقدّم العلم وتطور الحياة في مختلف المجالات، فإنّ هناك تحدّيات وأوضاعًا مستجدة، وأسئلة حادثة، تتطلب الإجابة والمعالجة.

وهذا هو ميدان المعركة الجديدة التي تواجهها الأمة اليوم، بعد تجاوزها لمعركة الحفاظ على الهوية والانتماء. فما هي صورة الدين الذي تتطلع الأمة إلى تطبيقه في هذا العصر؟

هل يمكن إقامة الخلافة وإدارة الحياة بأسلوب القرون السّابقة؟ وهل إنّ فتاوى الفقهاء الماضين التي ربما كانت تناسب أزمنتهم وبيئاتهم لا تزال صالحة لهذا العصر والزمان؟

هناك من يرى ذلك في أوساط الأمة، فيعتمد نهج السّلف ليس في إطار المبادئ والقيم فقط، ولا في مجال العبادات والشعائر فحسب، فذلك ما لا مشكلة فيه، وإنّما يريد فرض طريقة السّلف في إدارة الحياة السّياسية والاجتماعية، وأنماط المعيشة، وأسلوب التعامل والتعاطي مع سائر الشعوب والمجتمعات.

ولا نتحدث هنا عن جهات تقوم بالتنظير والتأصيل لتوجّهاتها السّلفية، بل نتحدث عن قوى أخذت موقعها على الأرض، كسلطات حاكمة، وأبرزها نموذج طالبان وداعش، وكحركات وتنظيمات فاعلة على المستوى الإقليمي والدولي، تهدّد العالم كله بمشروعها السّلفي المتطرف، وبممارساتها الإرهابية المرعبة، التي تجاوزت كلّ الحدود والتصورات من حيث الفظاعة والبشاعة.

وتستقطب هذه الجهات المتطرفة مجاميع من أبناء الأمة على أساس أنها تمثل النموذج الإسلامي، وتطبّق الأحكام الشرعية، وفق منهج السّلف الصّالح. ويجدون في التراث الديني ما يبرّر ويشرعن حتى أسوأ الجرائم الإرهابية، وأبشع الممارسات اللاإنسانية، كسبي النّساء وبيعهنّ، كما حدث للنساء الإيزيديات في العراق، وحرق الأحياء كما صنعوا بالطيار الأردني معاذ الكساسبة، وتفجير المساجد وسفك دماء المصلين فيها، وأخيرًا التشجيع على قتل الوالدين والأقارب، كحادثة الحمراء في الرياض التي هزّت المجتمع السعودي بقتل توأم لأمّهما وإصابة أبيهما وأخيهما، وقد سبقتها حوادث قتل لأقرباء وأرحام.

فهل هذا هو الدين الذي تتطلع الأمة لتطبيقه وتريد أن تفاخر به الأمم؟

لا شك أنّ العزلة عن العالم، والتنكّر لمنجزات الحضارة الحديثة، ليس خيارًا مقبولًا ولا ممكنًا في هذا العصر، والمتطرفون الذين يدفعون بهذا الاتجاه، إنما ينطلقون من قراءة خطأ للتراث الديني، فهم يلتقطون منه ما ينسجم مع ميولهم المتشدّدة، ورغبتهم في الانتقام من الآخر المختلف دينًا وحضارة، كما أنّهم يخلطون بين قيم الإسلام

وتعاليمه من جهة، وبين آراء السّلف وممارساتهم وطريقة حياتهم الملائمة لزمانهم من جهة أخرى، فيصبح كلّ ذلك عندهم في ذات الدرجة من التقديس ولزوم التمثل والاتباع.

إنّ نتائج وتداعيات هذه التوجّهات السّلفية المتطرفة بالغة الخطورة والتأثير السّلبي على واقع الأمة، ومن أبرز تلك النتائج والتداعيات استمرار العنف والاحتراب داخل مجتمعات الأمة، بما يهدّدها بمزيد من التمزق والانقسام ويصيب أوطانها بالخراب والدمار، كما هو حاصل بالفعل في أكثر من بلد إسلامي.

ومن النتائج السّيئة استعداء كلّ الشعوب والمجتمعات ضدّ الإسلام والمسلمين، وتشويه صورة الإسلام أمام العالم، كدينٍ منتجٍ للتطرف والتشدّد والإرهاب. ولعلّ من أخطر التداعيات تعويق مسيرة مجتمعات الأمة نحو النهوض والتقدم، وحدوث ردة فعل في نفوس قطاع كبير من أبنائها تجاه الدين، باعتباره دعوة للتخلف والتوحّش والانقسام.

إنّ هذه المعركة التي فرضت نفسها على الأمة، قد تستغرق زمنًا طويلًا، وتستنزف جهودًا وإمكانات هائلة، وإذا كانت المعركة تستدعي المواجهة العسكرية والأمنية مع الباغين من أصحاب هذه التوجّهات المتطرفة، فإنّها بالتأكيد لا يصح أن تقتصر على ذلك، بل لا بُدّ من المواجهة الفكرية والثقافية؛ لأنّ التطرف ينطلق من منظومة فكرية لها جذورها في التراث الديني، عبر ما أضيف إليه، وما حرّف من نصوصه عن مواضعه، وقد تسرّبت بعض هذه الجذور إلى مناهج التعليم، ومنابر الخطاب الديني.

وقد برع المتطرفون في استخدام مختلف الوسائل من أجل الوصول إلى عقول أبناء الأمة، والسّيطرة على أفكارهم، اعتمادًا على هذه الأرضية التراثية.

إنّ مواجهة فكر التطرف، وثقافة التشدّد، تقتضي تضافر جهود الواعين من قيادات

الأمـة، لتنقيـة التـراث الدينـي، وإزالـة الشـوائب التي لحقت بـه في عصـور التخلف والاسـتبداد، وإعـادة قراءتـه بعقلية عصريـة منفتحة، تتجـاوز أفهام الماضيـن، وتتجه صوب القيم الأساس في الدين، والمقاصد الرئيسة للشريعة.

كما تسـتدعي مواجهة فكر التطرف، حشـد كلّ القدرات والطاقات، للتبشير بثقافة التسـامح والمحبّة والعدل والإحسـان وحقوق الإنسـان، كمبادئ راسـخة في الدين، وتفنيد كلّ التبريرات المفتعلة لتجاوزها، بشرعنة سلوك التوحّش والإرهاب.

وبعد:

فهذا هو الجزء السّـادس من كتاب «مسـارات في ثقافة التنمية والإصلاح» يحوي مجمـوع الخطب والمقـالات، ومجمل الأنشـطة والفعاليات، التي وفّقنـي الله تعالى للقيام بها سنة ١٤٣٥هـ، أقدّمها بين يدي القرّاء الكرام، خاصة إخوتي المبلّغين والدعاة والخطباء، بهدف تدوير الأفكار، وتبادل التجارب، وعسـى أن أستفيد من ملاحظاتهم ونقدهم البنّاء.

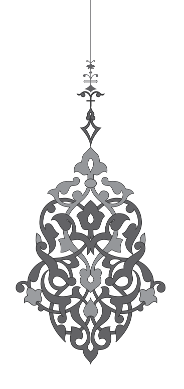
وفّـق الله جميـع العاملين لخدمة دينه وعبـاده، وفرّج عن أمتنا ما تعيشـه من كربٍ عظيم.

حسن الصفار

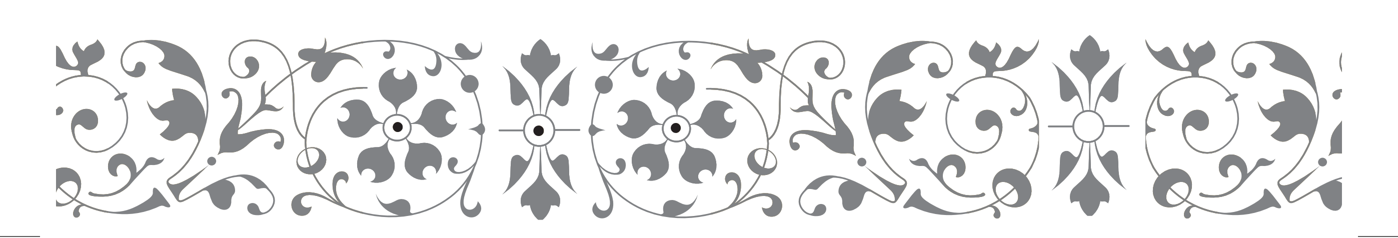
27 رمضان 1437هـ

2 يوليو 2016م





خُطَبُ الجُمُعَة





الخطبة الأولى

الحوزة العلمية والانفتاح على الآخر

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أعلم الناس، قال: من جمع علم الناس إلى علمه[1].

إنّ اطّلاع المرء على ما عند الآخرين من علم، يمنحه فرصة التعرف عليهم وأخذ المفيد منهم. كما يتيح له فرصة المقارنة بين ما لديه وما لدى الآخرين، وهذا ما يمكن أن يزيد ثقته فيما لديه، أو يكشف له عن خلل وخطأ فيه. كما أنّ الاطّلاع على معارف الآخرين يجعل المرء أقدر على الحوار والتعاطي معهم، لعلمه بآرائهم وخلفيتهم الفكرية، من هنا تأتي أهمية الانفتاح العلمي المعرفي، في أيّ علمٍ من العلوم. وضمن هذا السّياق يمكن أن نفهم قول الإمام عليّ عليه السلام: «أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه».

إنّ أحدَ أعظم الأمراض التي يمكن أن تفتك بشخصية أيّ أحد، هو الاصابة بالعجب والغرور بما عنده. فلا يرى داعيًا للاطّلاع على ما عند الآخرين، وهذا خطأ محض. إذ لا بُدّ للمرء في أيّ حقلٍ من حقول العلم والمعرفة، أن يكون مطّلعًا على ما لدى الآخرين في ذات الحقل.

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤، ص٣٩٤، حديث ٥٨٤٠.

الوسط الديني بين الانفتاح الانغلاق

ينبغي أن نقول هنا: إنّ أيّ مستوى من الانفتاح المعرفي في أيّ مجالٍ من المجالات هو أمر مفيد. لكنه سيكون أكثر فائدة وضرورة في أروقة الحوزات والأوساط الدينية. ذلك أنّ من المظاهر التي تهيمن على الأوساط الدينية إجمالًا، هي حالة الانغلاق على الذات، والنأي عن الاطّلاع على ما لدى الآخرين من أفكار ومعتقدات. وهذه النزعة من الجمود تضرّ بأصحابها ضررًا بالغًا، إذ إنّ الانفتاح على الأديان والمذاهب الأخرى هو الأنفع.

إنّ من المعروف أن الأوساط العلمية كالجامعات والحوزات هي مركز صناعة القيادات في الأمة. كما أنها مركز إنتاج الفكر الديني، وإذا سادت هذه الحوزات والمراكز أجواء الانفتاح والفهم الموضوعي لآراء الآخرين، عندها سترفد الأمة بقيادات أكثر انفتاحًا وتسامحًا، وقابلية للحوار والتفاهم مع الآخر، كما أنها ستنتج فكرًا وثقافة تسامحية مرنة. وعلى النقيض من ذلك، إذا كانت الحوزة العلمية تعيش حالة من الانكفاء والانغلاق، فمن الطبيعي أن تنعكس تلك الحالة على المتخرجين منها من علماء وخطباء ودعاة، وهؤلاء سيساهمون في نشر الانغلاق والتعصب والجمود.

وبالاطّلاع على سيرة النبي الأكرم ﷺ والأئمة من آل البيت عليهم السلام نلمح في سيرتهم أقصى حالات الانفتاح على الآخرين. وليس خفيًّا أن صاحب العقيدة الواثقة لا يخشى الاطّلاع على الثقافات والأديان الأخرى. في هذا السّياق تجدر الإشارة إلى حجم الانفتاح العلمي والمعرفي الذي لمسته في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة، فأثناء زيارتي الأخيرة إلى هناك[١]، وقفت على أجواء ومظاهر رائعة من الانفتاح العلمي المعرفي. هذه الحوزة العلمية التي تأسست في عام ١٣٤٠ من الهجرة، وهي بهذا

(١) زار سماحته قم المقدسة خلال أيام عشرة المحرم ١٤٣٥هـ.

المعيار تُعَدّ حوزة ناشئة، أصبحت اليوم صاحبة الريادة باعتبارها أكبر حوزة علمية لمذهب أهل البيت في العالم، تضمّ بين جنباتها أكثر من ٦٠ ألف طالب وطالبة، خصوصًا بعد أن تعرضت الحوزة العلمية في النجف الأشرف لمصاعب جمة في الحقبة الماضية، خلال فترة حكم نظام البعث البائد في العراق.

قم مدينة علمية متميزة

هنا أكاد أجزم، أنه لا توجد مدينة واحدة في العالم، تعيش نشاطًا مكثّفًا وفاعلية علمية يومية في مجال العلوم الدينية، بحجم ما تعيشه مدينة قم المقدسة. فالمدينة الصغيرة نسبيًّا تشكّل في مجملها مدينة علم وبحث ودراسة، ففيها أكثر من ٦٠ جامعة ومدرسة، وتصدر فيها أكثر من ٦٠ جريدة ومجلة يومية وشهرية وفصلية. كما أنّ بها نحو ٤٠ دار نشر للكتب بمختلف اللغات، و١٥ مؤسسة للدراسات والتحقيق، علاوة على وجود ١٥ مكتبة عامة كبرى، تشهد نسب ارتياد مرتفعة. ولعلّ أكثر ما يلفت النظر في هذه المدينة هو انتشار المكتبات التخصصية في مجالات العلوم الدينية، التي لم أقف على ما يشبهها في أيّ بلاد إسلامية أخرى، من حيث شموليتها. فهناك سبع مكتبات تخصصية في قم، أنشأها مكتب المرجع الديني السيد علي السيستاني، وبينها؛ مكتبة لعلوم القرآن الكريم، مكتبة لعلوم الحديث، مكتبة لعلوم الفقه والأصول والحقوق، مكتبة للأدب، مكتبة للفلسفة، مكتبة للتاريخ، ومكتبة للمصادر والفهرسة.

وقد سنحت لي الفرصة لزيارة المكتبة المتخصصة بعلوم الحديث، التي تضمّ أكثر من نصف مليون مجلد من الكتب التخصصية. وقد وجدت في هذه المكتبة كل كتب الحديث الخاصة بجميع المذاهب والطوائف الإسلامية، موزعة على نحو بالغ التنظيم، فهناك على سبيل المثال قسم مخصّص لمصنف صحيح البخاري بمفرده، بجميع طبعاته المتوفرة منذ طبعاته الأولى وصولًا لطبعاته الجديدة. إضافة إلى جميع شروحات الصحيح وترجماته إلى اللغات الأخرى. كما أنّ هناك في المكتبة زاوية

أخرى مشابهة، مخصصة لصحيح مسلم، وثالثة لمسند أحمد بن حنبل. وعلى غرار ذلك يجري الأمر مع كل مصادرالحديث لدى أهل السنة، وكل مصادر الحديث لدى الشيعة، ومثلها مصادر الحديث لدى المذهب الزيدي والإباضي وغيرها.

جامعة الأديان والمذاهب

ولعلّ أكثر ما لفت نظري، هو أنّ من بين عشرات الجامعات والمدارس في قم المقدسة، هناك جامعة متخصصة بعلوم الأديان والمذاهب. هذه الجامعة تأسّست قبل نحو سبع سنوات، وتضم ثلاث كليات: كلية لدراسة الأديان الإبراهيمية، اليهودية والمسيحية، والإسلام، إلى جانب الأديان غير الإبراهيمية كالبوذية والهندوسية والسيخية والكنفوشوسية وغيرها. وكلية خاصة بدراسة المذاهب الإسلامية، الكلامية والفقهية، فيما الكلية الثالثة متخصصة بالمعارف الشيعية. والمثير للانتباه، أن تدريس الأديان في كلّ كلية يجري على يد هيئة تدريس من الديانات ذاتها، فمن يدّرس اليهودية هو باحث يهودي، ومدرس المسيحية مسيحي متخصّص، وهكذا الأمر مع بقية الديانات والمذاهب. والأهمّ في كلّ ذلك هو أن يكون لدى طلاب الحوزة العلمية في قم المقدسة فرصة الاطّلاع العلمي المباشر والوثيق على سائر الأديان والمذاهب، عوضًا عن اللجوء إلى الكتب الوسيطة أو المناوئة التي لا تتيح معرفة صحيحة وموضوعية.

ومع وجود مدرّسين أكفاء ومتخصصين في دراسة الأديـان والمذاهب في هذه الجامعة، ووجود مكتبة تخصصية تحتوي أكثر من ١٠٠ ألف مجلّد في مجال علم الأديان والمذاهب، توفر هذه الجامعة سلسلة ثرية من الأبحاث والدراسات التخصصية في مجال الأديان والمذاهب، كما أنها توفر بيئة علمية للحوار والتعارف، واستقبال الزيارات والبعثات الدينية من مختلف بلاد العالم، وقد شهدت بنفسي استقبال مكتب المرجع السيستاني وفدًا مسيحيًّا جاء من أوكرانيا، تمّ إطلاعهم على

المدارس والحوزات في المدينة إلى جانب عقد جلسات الحوار والنقاش والتعارف.

إنه لأمر جدير بالتأمّل حقًّا، أن تكون قم المقدسة، وهي العاصمة الدينية للمسلمين الشيعة التي تزخر بأعاظم العلماء والمراجع، أن تكون في الوقت عينه مكانًا لدراسة وتدريس عقائد وآراء مختلف الأديان والمذاهب، وعلى يد علماء ومتخصصين من تلك الأديان والمذاهب نفسها، دونما أدنى حرج.

من هنا نجد، كم أنّ المراكز الدينية في بلداننا أحوج ما تكون لتوفير بيئة علمية على غرار مدينة قم المقدسة. ما يجعلها أكثر انفتاحًا على الأديان الأخرى، فضلًا عن فكر وثقافة المذاهب الإسلامية نفسها. إنّ من المؤسف حقًّا، أن نجد البعض يتحدث عن إخوانه من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، كما لو أنه يتحدث عن أناس يعيشون في كوكب المريخ، فلا تكاد تلمس في كلامه أدنى معرفة بحقيقة معتقداتهم وأفكارهم وتوجّهاتهم، والسبب في ذلك، أن أمثال هؤلاء المتحدثين لا يستقون معلوماتهم من مصادرها على نحو مباشر. وهذا ما يؤدي بطبيعة الحال لانتشار التعصب والتشدد الديني.

كما أننا بحاجة ماسّة إلى تشجيع طلاب العلوم الدينية الوافدين من مختلف المناطق على مدينة قم المقدسة، على الاستفادة من حالة الانفتاح الفكري والديني الموجودة هناك. ومن أسفٍ نقول، إنّه حتى مع وجود هذا الانفتاح العلمي والديني الهائل في هذه المدينة، إلّا أن بعض طلبة العلوم الدينية من أبنائنا الموجودين هناك، غير معنيين بذلك، موثرين العيش ضمن حالة اختيارية من الانغلاق على جماعة محدودة، ربما تكون من أهل بلدهم ومحلّتهم، مفوتين على أنفسهم فرص الاستفادة الكبيرة من الأجواء الفكرية المنفتحة هناك.

استنفار الأمة ضدّ الإرهاب

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٨٤].

هناك أمران أساسان أخذ الله سبحانه وتعالى في شأنهما العهود المغلّظة على أتباع الشرائع السّماوية، هما حرمة الدماء وحقّ المواطنة. ووفقًا للتعبير القرآني ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾. ذلك أنّ الله تعالى حين أنزل الشرائع على بني البشر وآمنوا بها، فقد شكلت كلّ شريعة في جوهرها، عهدًا بين هؤلاء المؤمنين وبين خالقهم، حيث يعتبر قبول الأمة بتلك الشريعة إمضاءً فعليًّا على ذلك العهد والميثاق مع ربّهم عزّ وجلّ. وقد ظهر جليًّا أنّ أكثر ما شدّد عليه هذا الميثاق الإلهي، هو حرمة الدماء، أي الحقّ في الحياة، والأمر الآخر هو حقّ المواطنة، الذي يعني حرية الإنسان في الإقامة في وطنه وعلى أرضه.

حرمة الدماء وحقّ المواطنة

إنّ تعمّد الإنسان قتل أخيه الإنسان يمثّل في المفهوم القرآني قتلًا للذات. فقد جاء في الآية الكريمة ﴿لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ مع أنّ الإنسان إجمالًا لا يسفك دمه، ولا يخرج نفسه من دياره. غير أنّ دقة التعبير القرآني جاءت للتوضيح بأن ارتكاب جرائم سفك الدماء بحقّ الآخرين، إنما هو بالدرجة الأساس

اعتداءٌ فاضح من الفاعلين على ذواتهم وقتلًا لأنفسهم، لما في سفك الدماء من تشريع ضمني للتناحر الداخلي في المجتمع، علاوة على ما فيه من اعتداء على الناس عامة حسب الآية الكريمة ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾.

ويجري التشديد الرّباني ذاته على حقّ الجميع في التمتع بحقّ المواطنة والحماية من التهجير القسري. ومن المعلوم أنّ حالات النزوح أو التهجير القسري، إنما تنشأ عن الاضطهاد ومصادرة الحقوق، والتضييق على الأرزاق والتهديد بارتكاب جرائم الإبادة الجماعية، ما يقود لنزوح وهجرة الناس عن ديارهم طلبًا للأمن في مناطق أخرى. إنّ التعاليم الإلهية في هذا الصدد تؤكّد بشدة حقّ جميع أبناء الأمة في التمتع بالعيش في أوطانهم، وألّا يتعرّضوا للإخراج من ديارهم.

ولقد أكّدت الشريعة الإسلامية أيّما تأكيد حرمة سفك الدماء في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة. وذلك على ما يبدو ابتغاء إظهار الأمة باعتبارها الأكثر حرصًا والأشدّ حفاظًا على أرواح الناس. فقد جاء في الآية الكريمة ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[سورة النساء، الآية:٩٣]، وورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ شَرِكَ فِي دَمٍ حَرَامٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»[١]، وهذا ما يعني بوضوح أنّ أولئك الضالعين في فتاوى القتل وسفك الدماء، ونشر ثقافة التطرف والحضّ على الكراهية، التي تؤسّس الأرضية لسفك الدماء والاعتداء على الحرمات، هؤلاء المفتون جميعًا هم شركاء مباشرون مع القتلة الإرهابيين في سفك دماء المدنيين الأبرياء.

مسرح للقتل

إنّ أشدّ ما يؤسف عليه اليوم هو ما نراه من تحول السّاحة الإسلامية إلى مسرح لسفك الدماء. فقد أصبحت دماء المسلمين رخيصة على بعضهم بعضًا، وسادت بينهم

(١) المعجم الكبير للطبراني، ج١١ ص٦٦.

ثقافة مباينة لثقافة القرآن الكريم، ففي حين يقول القرآن ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، يأتي في مقابل ذلك من الدّعاة من يبشرون من ينخدع بهم من الانتحاريين، أنهم فور تفجير أنفسهم سيفتحون أعينهم في أحضان الحور العين في الجنة، وسيتناولون الغذاء مع النبي!. وفي ذلك استغلال لجهل هؤلاء الانتحاريين المراهقين وحماسهم.

هذا ولا ينبغي أن نغفل عن الدور الاستخباري الدولي الذي نجح في التغلغل في المجموعات الإرهابية، وصار يوجّهها للعمل على نشر الفوضى في الأمة. وكان من نتيجة ذلك، ابتلاء الأمة بمجموعات انتحارية، ليس عندها أسهل من سفك الدماء، ونشر الرعب في بلاد المسلمين، حتى بلغ الحال بهم حدّ إدخال البعض في الإسلام من بوابة الإرهاب والتطرف والعنف. لذلك غدت بلاد المسلمين حمّامات دماء، لا يكاد يمرّ يوم إلا وتصمّ الأسماع أنباء الاغتيالات والتفجيرات الانتحارية، التي تحصد أبناء الأمة في العراق ومصر ولبنان وسوريا وتونس وليبيا والصومال وباكستان وأفغانستان، حتى وصف أحد تقارير منظمة هيومن رايتس واتش العمليات الانتحارية في العراق بأنها عمل من أعمال الإبادة الجماعية.

إعلان حالة طوارئ

من هنا فالأمّة الإسلامية اليوم باتت في أمسّ الحاجة لإعلان حالة طوارئ واستنفار ضد العنف والإرهاب. إنّ من غير الصحيح أبدًا السكوت على ما يجري من فظائع يومية في بلداننا، وإلّا فإن استمر هذا السكوت فسوف يأتي يوم لن يبقى فيه بلد عربي أو مسلم واحد في منأى عن الإرهاب والعنف.

إنّ من أولى الواجبات في هذا المجال، أن يتحمّل علماء الأمة مسؤوليتهم، وأن يقولوا كلمتهم في تحريم الإرهاب والعمليات الانتحارية. في هذا السياق لا بُدّ للعلماء أن يفصحوا عن آرائهم في هذه المسألة، وأن يسمّوا الأشياء بأسمائها، على

نحو صريح وواضح دون مداهنة أو مواربة. إنّ من غير الصحيح غضّ الطرف عن أفعال الإرهاب عندما تضرب جهة معينة أو طائفة من الناس، ذلك أنّ أيّ عمل إجرامي يطال أبناء الأمة في بلد، فإنّ تداعياته وآثاره ستطال الجميع.

والأمر الثاني الذي ينبغي الالتفات إليه، هو إشاعة ثقافة العمل السلمي وفتح قنوات الحراك السياسي. إذْ ليس هناك بلد في العالم يخلو من تيارات متنافسة وفئات متنوعة، تعتريها في أحيان كثيرة حالة من الصراع وتضارب المصالح، لكن الآخرين نجحوا في خلق السبل لإدارة صراعاتهم بالطرق السلمية، من خلال الأطُر والقنوات القانونية. وهكذا ينبغي أن يكون الحال في بلاد المسلمين.

أما ثالث الأولويات، فينبغي محاصرة التيارات المتطرفة والتحذير من خطورتها. ذلك أنّ أجيالًا من الشباب باتوا ينخدعون بهذه التيارات الإرهابية، ويقعون فريسة لتظليلاتها.

وأخيرًا، لا بُدّ من تعاون جادّ بين الحكومات على مواجهة الإرهاب. والأهمّ من ذلك الكفّ عن استخدام المجموعات الإرهابية كمخلب قطّ في الصراعات الإقليمية. إنّ توجّه أيّ حكومة إلى تشجيع الإرهاب في بلد آخر، لن يجعلها في منأى عن خطر هذا الإرهاب نفسه، ولن يكون بمقدورها منع امتداداته إلى أراضيها ومواطنيها. لا ينبغي بأيّ حالٍ أن تتورط الحكومات في دعم الجماعات الإرهابية مهما كانت المبررات، ومهما بلغت حدّة صراعها مع نظام البلد الآخر؛ لأنّ ارتدادات ذلك ستعود عليها غالبًا.



الخطبة الأولى

الإنسان كائن مسؤول

قال زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق: «وأمّا حقّ نفسك عليك فأنْ تستوفيَها في طاعة الله، فتؤدي إلى لسانك حقّه وإلى سمعك حقّه، وإلى بصرك حقّه، وإلى يدك حقّها، وإلى رجلك حقّها، وإلى بطنك حقّه، وإلى فرجك حقّه وتستعين بالله على ذلك»[1].

لقد حمّل الله سبحانه وتعالى الإنسان مسؤوليات كبيرة وكلّفه الاضطلاع بها. ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى حين منح الإنسان نعمة الوجود، وجعل تحت تصرفه مختلف القدرات والإمكانات، فإنه سبحانه قد وضعه في موقع الاختبار، ليتحمّل المسؤولية تجاه وجوده، وتجاه ما منحه الله تعالى من قدرات، فالله سبحانه لم يخلق الإنسان عبثًا، وإنما خلقه كائنًا مسؤولًا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]. وذلك يشير إلى أن الإنسان إنما خلق ليتحمّل المسؤولية في هذه الحياة.

بالعقل نتحمّل المسؤوليات

إنّ مجال تشخيص المسؤولية المنوطة بالفرد هو العقل، فيما تنحرف بالإنسان

(١) الحسن بن علي بن شعبة الحراني. تحف العقول، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص١٨٥.

رغباته وشهواته لصالح اللذات العاجلة، فالإنسان غالبًا ما يجد نفسه أمام مفترق طرق، بين مواقف تدفعه إليها شهواته، ومواقف أخرى يتبنّاها عقله، ويشير إليها وجدانه وإدراكه، وذلك لأن الشهوات والرغبات تمثل ضغوطًا كبيرة على الفرد، ولذلك نجده غالبًا ما ينزلق باتجاه الموقف المنبعث من الرغبات والشهوات.

من هنا جاءت الرسالات السماوية وبعث الله الأنبياء انتصارًا لموقف العقل، في مقابل ضغط الرغبات والشهوات على الإنسان. فالشرائع الإلهية متّسقة تمامًا مع العقل، بل إنّ هذه الشرائع إنما هي الوجه الآخر للعقل، يقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «إنّ لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة. وأما الباطنة فالعقول»[1]، وكلا الحجتين تقولان: أيّها الإنسان؛ لا تنسَ أنك كائن مسؤول، وأن عليك التصرف بمنتهى المسؤولية، وأنك ستحاسب أمام خالقك سبحانه وتعالى.

رسالة الحقوق تذكير بالمسؤولية

وقد لفت الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام إلى جملة من المسؤوليات المنوطة بالإنسان في رسالته المعروفة برسالة الحقوق. إنّ هذه الرسالة العظيمة التي تركها الإمام تلفت نظر الإنسان على نحو خاص إلى مسؤولياته في هذه الحياة، تجاه وجوده، وتجاه ما وهبه الله سبحانه، وما وضع تحت تصرفه من إمكانات وقدرات جسمانية. جعل سبحانه للإنسان حرية التصرف فيها لكن تحت طائلة المسؤولية. ومن ذلك المحافظة على سلامة هذه الأعضاء، فلا يجوز للإنسان شرعًا أن يُعرّض حياته للخطر، ولا أن يُعرّض عضوًا من أعضائه أو جهازًا من أجهزة جسمه للتلف، إذ ليس للإنسان الحرية المطلقة في التصرف في هذه الأعضاء بشكل يعرضها للتلف، هذا أولًا. أما ثانيًا، فالإنسان مسؤول عن حسن استخدامه لأجهزة وأعضاء جسمه، فلا ينبغي استخدامها في الموارد الخطأ، التي تضرّ بالإنسان نفسه، أو تضرّ بالآخرين.

---

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٨٦، وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام.

لقد تناولت رسالة الحقوق، في جانب منها، وعلى نحو مركز الحقوق الجسمانية المنوطة بالإنسان. فهي توجه الفرد إلى أنّ كلّ عضو من أعضاء جسمه له حقوق عليه، وعليه أن يلتزم هذه الحقوق، تجاه سمعه وبصره وفرجه وبطنه وسائر أطرافه، وذلك ما يعني أنّ على المرء أن يتصرف مع أعضاء جسمه بمنتهى الوعي والمسؤولية، وضمن وثيقة وحقوق واضحة.

في رسالته العظيمة أورد الإمام زين العابدين ﴿عليه السلام﴾ الحقوق على نحو إجمالي تارة، ثم على نحو تفصيليّ مبيّنًا حقّ كلّ عضو بمفرده، تارة أخرى. فيقول ﴿عليه السلام﴾: «وأما حقّ نفسك عليك»، وفي ذلك ذكر للحقوق الواجبة تجاه أصل وجود الانسان بشكل عام، «فأن تستوفيها في طاعة الله»، فالمرء مطالب أن يستوفي هذه الحياة في الطريق الصحيح، وطاعة الله هي الطريق الصحيح للإنسان، ثم يمضي ﴿عليه السلام﴾ في القول: «فتؤدي إلى لسانك حقّه، وإلى سمعك حقّه، وإلى بصرك حقّه، وإلى يدك حقّها، وإلى رجلك حقّها، وإلى بطنك حقّه، وإلى فرجك حقّه، وتستعين بالله على ذلك»، وهنا إشارة إلى أنّ أداء هذه الحقوق ليس أمرًا يسيرًا، بل هو مهمة كبيرة تحتاج إلى الاستعانة بالله تعالى، ثم يتحدث ﴿عليه السلام﴾ عن حقّ كلّ عضو من هذه الأعضاء على نحو التفصيل.

اللامبالاة والإهمال نقيض المسؤولية

نحن في أمسّ الحاجة إلى قراءة هذه الرسالة العظيمة، والتدبر في مضامينها، وأن نجدّد العهد من خلالها مع أنفسنا في تحمل المسؤولية تجاه وجودنا في هذه الحياة. وأن نأخذ من ذلك درسًا وعبرة في التصرف في سائر ما تحت يدنا من إمكانات. ذلك أن بعض الناس يتصرفون مع الإمكانات التي تحت أيديهم دون اهتمام وبلا مبالاة. فالله سبحانه رزق الإنسان المال والمنزل والمركب ومختلف أنواع الأرزاق والنعم، وأقلّ ما ينبغي للمرء هو التصرف بمسؤولية تجاه هذه النعم، بالمحافظة عليها أولًا، والنأي عن التبذير والإسراف فيها ثانيًا، دون اعتداد وزعم بأنها أموال خاصة، فيبيح

لنفسه الإسراف والتبذير فيها، وإنما ينبغي العمل على حمايتها وصيانتها.

هنا تجدر الإشـارة، إلى ما يقع فيه بعض الناس من إهمال في تفقد وصيانة ممتلكاتهم. فقد يكون لدى أحدهم بيت أو سيارة، فلا يعتني بصيانة منزله أو سيارته، ونرى لدى هذا الصنف من الناس الإهمال باديًا في تجاهل الأعطال التي تحيط بممتلكاته من كلّ جانب، وهذا هو عين اللامبالاة وقلة الاهتمام بالنعم. في مقابل ما نراه لدى البعض الآخر من الناس من انتظام في تفقد وصيانة أشيائهم وممتلكاتهم، عبر تلمّس مواضع الخلل، وأماكن التلف فيها. ولربما لمس كثيرون ممن عاشوا في مجتمعات أخرى، كيف أنّ جيرانهم غالبًا يهتمون شخصيًّا، بالعناية بحدائق منازلهم وصيانة بيوتهم ومركباتهم، أو يلجؤون إلى شركات الصيانة للقيام بذلك الدور.

إنّ أسوأ تداعيات حالة الإهمال في عناية المرء بما حباه الله من النعم، هو انسحاب حالة الإهمال هذه على مختلف شؤون حياته. فلا يعود يهتم بصحته على غرار عدم اهتمامه بممتلكاته، وهذا خلاف ما هو مطلوب من الإنسان، فالإنسان كائن مسؤول، ينبغي أن يتحمّل المسؤولية كاملة تجاه نفسه وكلّ ما تحت يده وتصرفه.

على الإنسان أن يربّيَ نفسه على تحمل المسؤولية تجاه كلّ ما هو تحت رعايته. وإلى هذا يشير الحديث الشريف عن النبي الأكرم ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ»[١]، فالمرء راعٍ على أسرته ومنزله وسائر ممتلكاته، ولأن الإنسان كائن مسؤول، فلا ينبغي بأيِّ حالٍ التساهل والتهاون تجاه هذه المسؤولية، نتيجة المماطلة والتسويف وسرد مختلف الأعذار الفارغة.

إنّ مشكلة الإهمال بالذات هي ما يعاني منها الفرد في المجتمعات المتخلفة، وما نشأت حالة التخلف في هذه المجتمعات في أحد أوجهها، إلّا نتيجة التراكم المضطرد في حالات الإهمال والتقاعس لدى مجموع الأفراد في هذه المجتمعات، وانعدام تحمّل المسؤولية، وقلة اهتمام الأفراد بأنفسهم وبما حولهم.

(١) صحيح البخاري، ج ١ص٢١٣، حديث ٨٩٣.

الخطبة الثانية

الظلم المنزلي أفحش الظلم

ورد عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةُ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، أُوصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عليه السلام حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلَّا الله»[1].

ثمة وصيّة أخلاقية عظيمة أولاها الدّين قدرًا كبيرًا من الأهمية، وهي تلك المتعلقة بالتحذير من ظلم الضعفاء من الناس، وخصوصًا النساء والأطفال، لضعفهم وقلة حيلتهم. وقد كانت آخر وصية أوصى بها الإمام زين العابدين ولدَه الإمام الباقر جاء فيها: «يا بني، إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلّا الله». ولا بُدّ أن لهذه الوصية عند أئمة أهل البيت خصوصية معينة، لجهة عناية كلٍّ منهم بتلقينها للإمام الذي يليه في اللحظات الأخيرة التي يُودّع فيها الدنيا.

لقد حبا الله سبحانه الناس إجمالًا القدرة على الدفاع عن أنفسهم، والانتصار لحقوقهم. وقد ورد في الآية الكريمة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٥١]، ومن فضل الله تعالى أن منح الناس القدرات والإمكانات التي يحمون بها ذواتهم، ويدافعون بها عن حقوقهم، وقد شرّع لهم سبحانه الدفاع عن ذواتهم، فقال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٤].

(١) مُحَمَّد بن يعقوب الكُلَيْني، الكافي، ج٢، ص٣٣١، حديث ٥.

لا أسوأ من ظلم الضعيف

لكن هناك فئة من الناس ـ ولأسباب مختلفة ـ ليست لها القدرة على الدفاع عن نفسها. فقد يحصل أن يمنح البعض نفسه الحقّ في الاعتداء على حقوق الغير، نتيجة اختلال في موازين القوة، في الوقت الذي يعجز فيه الطرف المقابل لضعفه وقلة حيلته، عن الدفاع عن نفسه، أمام هذا الظلم والعسف، وهذا تحديدًا ما يُغري الظالمين على المبالغة في ظلم الآخرين. إن ارتكاب الظلم بحدِّ ذاته عمل قبيح، ويكون أشدّ قبحًا إذا ارتكب بحقّ الضعفاء من الناس.

من هنا نجد في النصوص الدينية الوعيد الإلهي لهؤلاء الظلمة، بالانتقام من ظلمهم للضعفاء المظلومين، الذين لم يكن لهم حيلة في الدفاع عن أنفسهم. «إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلّا الله»، وروي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «إنّ العبد إذا ظلم فلم ينتصر، ولم يكن له من ينصره ورفع طرفه إلى السماء، فدعا الله، قال الله: لبيك أنا أنصرك عاجلًا وآجلًا»[١]، كما ورد في نصٍّ آخر عنه ﷺ: «إنّ لله يوم ينتصف فيه للمظلوم من الظالم»[٢]، وعنه ﷺ حاكيًا عن الله تعالى: «لا يجوز إلى جنتي اليوم ظالم، ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ولأحدٍ من المسلمين عنده مظلمة حتى يأخذها منه»[٣] فهناك انتقام إلهيّ في الآخرة وانتقام في الدنيا، ولربما أوقع الله الانتقامين على الظالم الذي يمارس ظلمه على الناس. وعنه ﷺ: «اشتد غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصرًا غير الله»[٤]. وسئل عليّ عليه السلام: أيُّ ذنبٍ أعجل عقوبة لصاحبه؟ فقال: «من ظلم من لا ناصر له إلّا الله»[٥]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من مظلمة أشدّ من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونًا إلّا الله عزّ وجلّ»[٦].

---

(١) كنز العمال، ج ٣ ص٥٠٧، حديث ٧٦٨٤.
(٢) بحار الأنوار، ج ٢٨ ص٧٨، حديث ٣٨.
(٣) الكافي، ج ٨ ص١٠٦.
(٤) كنز العمال، ج ٣ ص٥٠٠، حديث ٧٦٠٥.
(٥) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص٢٣٤.
(٦) وسائل الشيعة، ج ١٦ ص٤٦، باب تحريم الظلم، حديث ١.

هناك مصداقان لظلم الضعفاء تتحدث عنهما النصوص الدينية، هما: المصداق العام الذي ينطبق على ظلم الشعوب المقهورة، والمصداق الخاصّ هو العنف الأسري. والأخير هو ما يرتكبه الأفراد على نحو شخصيٍّ تجاه الأضعف منهم داخل المنزل وبين أفراد الأسرة.

الشعوب المقهورة

وينطبق المصداق العام لظلم الضعفاء، على ظلم واضطهاد الحكام المتجبرين للشعوب. وعلى الأخصّ حين تواجه تلك الشعوب التجاهل من قبل الرأي العام العالمي، سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن الرأي العام العالمي ليس منصفًا باستمرار، ولاعتبارات سياسية ومصالح حيوية واختلال ميزان القوى، يجري غضّ الطرف عن ظلامات بعض الشعوب. لذلك نجد ماثلًا أمامنا كيف تعاني بعض الشعوب من الظلم الكبير الواقع عليها من حكوماتها، دون أن يناصرها أو يدافع عنها أحد.

إنّ على هذه الشعوب أن تعلم أن الله تعالى سينتصر لها، وأنّ عليها أن تثق بنفسها على نحو أكبر، وألّا يعتريها الانكسار في داخلها؛ لأنّ هذا الظلم الممارس بحقّها لا يمكن أن يدوم، وفي المقابل عليها أن تستنفر طاقتها للانتصار لحقوقها والانتقام من ظالميها، حتى مع اختلال موازين القوى لغير صالحها.

ونذكر في هذا السّياق معاناة شعوب ثلاثة، هي: الشعب العراقي، والشعب الفلسطيني، وأقلّية الروهينغا المسلمة في بورما. فلقد عاث حزب البعث العراقي وعلى رأسه الطاغية المقبور صدام حسين في الشعب فسادًا وظلمًا وجورًا طوال ثلاثة عقود. كم قتل من الناس، وكم فتك بعوائل وأسرٍ علمية شريفة، وكم مارس الظلم والجور، في حين كان العالم ساكتًا عن ظلمه وجوره، بل كانوا يصفّقون له، وكان يعتبر زعيمًا بطلًا في أعين الكثيرين، لكن رأينا ورأى العالم كيف انتقم الله من هذا الطّاغية شرّ انتقام.

وعلى غرار ذلك ما يجري من تجاهل عالمي لمأساة الشعب الفلسطيني. خصوصًا

في ظلّ المحاباة الدولية لإسرائيل، التي تمارس عدوانها على هذا الشعب، وتقضم المزيد من أراضيه المحتلة، من خلال زرع المستوطنات، وهدم المنازل، وتجريف المزارع، في ظلّ تواطئ القوى الكبرى مع هذا الكيان الغاصب. لقد ناضل الشعب الفلسطيني طويلًا، وقدم من دماء أبنائه الكثير، فيما لا تزال السجون الإسرائيلية تعجّ بالمعتقلين الفلسطينيين، الذين مرّت عليهم سنوات طوال، ويبقى أن على هذا الشعب ألّا يفقد الثقة بذاته، وأن يُبقي معنوياته عالية، ذلك أنّ الله تعالى قد وعد جميع المظلومين بأن ينتصر لهم، عاجلًا أم آجلًا.

وينسحب الأمر ذاته على الأقلّية المسلمة في دولة بورما والمعروفة بأقلية الروهينغا. هذه الأقلّية المسلمة التي تتعرض منذ سنوات إلى حملات الإبادة المنظمة، والتهجير القسري، دون أن يلتفت لمعاناتها أحدٌ في هذا العالم، سيما والأمة الإسلامية ليست في مستوى من الاستعداد بحيث تدافع عن هذا الشعب المظلوم، فيما القوى الدولية ليست لها مصالح تدفعها للتدخل أو الاهتمام بتلك المنطقة، بل الحاصل أنّ هناك تواطؤًا دوليًّا مع ما يجري هناك، فيما عدا بعض بيانات الإدانة الخجولة. غير أنّ ثقتنا وإيماننا المطلق، هو أن الله سبحانه وتعالى لن يخلف وعده، وسينتقم لجميع المظلومين، إنْ عاجلًا أم آجلًا.

وعلى الشعوب التي تعاني هيمنة وظلم الحكومات الاستبدادية ألّا يتسرّب إليها الانكسار أو اليأس والهزيمة. ذلك أنّ حركة التاريخ تسير مع حقّ الشعوب وتحرّرها من عالم الاستبداد والظلم.

العنف الأسري

أما المصداق الخاصّ للظلم، فهو العنف الأسريّ. وهو ما ينطبق على الأوضاع الشخصية للأفراد، وجنوحهم لظلم الأضعف منهم داخل المنزل، وبين أفراد الأسرة أو الخدم. فهذا النوع من الظلم، هو الآخر مصداق جليّ لظلم الضعيف، وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلّا الله.

وقد بلغ من أهمية هذا الموضوع أنْ حدّدت الجمعية العامة للأمم المتحدة يومًا لمناهضة العنف ضد المرأة، وهو الخامس والعشرين من نوفمبر من كلّ عام، استشعارًا لأهمية هذه المشكلة وانعكاساتها المدمّرة على النساء والأطفال في مختلف دول العالم. إذْ إنّ ضحايا هذا العنف ربما كانوا أطفالًا صغارًا ممن أودعهم الله أمانة عند أبويهم، الذين يفترض بهم حمايتهم، وتنشئتهم، والاهتمام بهم، غير أنّ ما يجري أحيانًا هو العكس تمامًا، حيث حالات الظلم والعدوان، فمن لهذا الطفل الضعيف الذي يتعرّض للظلم داخل أسرته؟ ومن للمرأة التي تُظلم على يد زوجها؟ وخاصة إذا كانت الأعراف والتقاليد تقف إلى جانب الزوج، ويزيد من ذلك سوءًا غياب القوانين التي تحمي النساء والأطفال من مثل هذا العنف والعدوان. كما ينطبق ذلك على خدم المنازل الذين يعيشون حالة من الضعف ويقع عليهم ظلم كبير، في كثير من الأحيان. من هنا يعتبر العنف الأسري هو الأكثر قسوة على الضحايا؛ لأنّ هذا العنف صادر عن الجهة التي يفترض بها توفير الرعاية لهؤلاء الضحايا، فإذا هي تتحول إلى مصدر شقاء لهم.

قوانين الحماية ضد العنف الأسري

ولحسن الحظ فإنّ البشرية شرعت في وضع قوانين الحماية ضد العنف الأسري. فقد سنّت بلدان كثيرة قوانين صارمة ضد العنف الأسري، تنتصر للضعفاء من النساء والأطفال، الذين يُظلمون ويُستضعفون داخل أسرهم، وفي الحضن الذي يجب أن يوفر لهم الرعاية والشفقة والحنان. ومن المناسب التنويه هنا، إلى أنّ بلادنا بدأت مؤخرًا في وضع قانون للحماية من العنف الأسري، مكون من ١٧ مادة، وبضمنها عقوبة الحبس والغرامة على مرتكبي العنف الجسدي والنفسي داخل الأسرة.

نحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى نشر الوعي والثقافة العامة في أوساط المجتمع، حتى يرتدع الناس عن ظلم بعضهم بعضًا، خاصة تجاه الضعفاء منهم. إنّ من المؤسف أن نجد هذه الممارسات الظالمة بحقّ الضعفاء في مجتمعات إسلامية محافظة!.

وفي هذا الشأن يذكر تقرير صادر عن وزارة العدل السعودية، أن المحاكم العامة في المملكة تلقت العام الماضي ٤٥٤ قضية عنف ضد المرأة[١]، وورد عن مستشار البرامج الاجتماعية في الوزارة أنّ هناك حالات عنف كثيرة قد تبقى داخل المنازل ولا تصل للقضاء، وأنّ ما يصل إلى أروقة المحاكم هو الشيء القليل، وسبب ذلك هو قلة الحيلة لدى ضحايا العنف من النساء والأطفال، علاوة على ما ينتابهم من مخاوف اجتماعية إزاء تشويه السمعة، والتعرض للتشهير، والاتهام بنشر غسيل منازلهم، فيتحملون نتيجة ذلك ما يتعرضون له من ظلم داخل المنزل.

إنّ من المهم أن يدرك مرتكبو العنف الأسري ضد الضعفاء من النساء والأطفال، أن الله تعالى لهم بالمرصاد. فهذا الأب أو الأم، الزوج أو الزوجة، اللذان يمارس أحدهما الظلم على الآخر، أو تجاه الأطفال، ينبغي أن يدركوا أن الله سبحانه وتعالى يتوعّدهم بالانتقام، فهذا الطفل المعنّف لا يستطيع أن ينتصر لنفسه، ولكن الله تعالى ينتصر له، وينتقم من ظالميه. ينبغي أن يفهم الجميع أن مجرد رفع الصوت على نحو مخيف في وجه هؤلاء الضعفاء هو أمر يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة، فضلًا عن سائر أنواع العنف!.

من هنا، فإنّ على المرء أن يتقي الله في تعامله مع زوجته وأبنائه، وأن يضع في اعتباره دائمًا أن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه ليس في يوم القيامة فحسب، وإنما قد تبدأ عواقب الظلم الأسري من داخل القبر وفي عالم البرزخ، وفق ما تشير له بعض النصوص، فقد روي عن النبي الأكرم ﷺ حينما شيّع أحد أصحابه، وتفاءل له المسلمون بالجنة، حتى قالت أمّه: يا سعد، هنيئًا لك الجنة، فخاطبها ﷺ: «يا أمّ سعد، مَهْ! لا تجزمي على ربك، فإن سعدًا قد أصابته ضمّة»، أي ضغطة في قبره، وأوضح ﷺ سبب هذه الضمّة «إنّه كان في خلقه مع أهله سوء»[٢].

---

(١) صحيفة البلاد السعودية الصادرة بتاريخ ٢١ شوال ١٤٣٤هـ.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٢ ص١٠٧، حديث ٦٧.

الخطبة الأولى

في معنى التوفيق وأسبابه

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّـهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود، الآية: ٨٨].

لا شكّ أن كلّ إنسان يتطلع إلى تحقيق النجاح عند السعي إلى أيّ مقصد أو غاية. بَيْدَ أن الظروف قد لا تساعد المرء دائمًا، نظرًا لتشابك أمور الحياة، فقد يسعى أحدهم إلى تحقيق غرض من الأغراض، ويبذل في سبيل ذلك كلّ جهده، لكنه لا يصل إلى مبتغاه، نتيجة بروز عائق من العوائق المانعة من ذلك.

وفي أحيان أخرى، قد يحقق الإنسان مبتغاه، لكنه بعد ذلك لا يراه وفق الغاية التي توقعها وأرادها.

وفي حالة ثالثة، قد يحقق أحدهم المقصد المطلوب تمامًا، إلّا أن عارضًا طارئًا يأتي عليه فيكدّر عليه صفوه ويسلب منه بهجة الإنجاز. والأكثر مما سبق، أن يكتشف الواحد أنه كان مخطئًا من الأساس في مسعاه لتحقيق مقصد معيَّن.

إنّ جميع تلك الحالات قد تصادف المرء في حياته العادية أو يلمسها عند آخرين. لذلك يأتي السؤال، عن كيفية اكتشاف المرء الخيار الأصلح له منذ البداية، حتى يضبط حركته في الاتجاه السليم، وكيف يتأتى له توفير الأسباب المساعدة لتحقيق مقاصده، كلّ هذه العناصر يمكن أن يجمعها عنوان واحد هو التوفيق، بحيث يقال إنّ فلانًا من الناس قد وُفّق في تحقيق غايته.

جاء في تعريف التوفيق أنه الوصول إلى ما ينويه الإنسان ويطلبه. وبعبارة أدقّ، قيل إنّ التوفيق هو جعل الأسباب متوافقة في الأداء إلى المطلوب فيما يخصّ الخير، إذ لا يطلق معنى التوفيق على من يبلغ الغاية الشريرة. فإذا كان المطلوب خيرًا، وسلك الإنسان الأسباب إليه، حتى بلغ ما يريد من أمور الخير، فذلك هو التوفيق بعينه، من هنا فالتوفيق من الله هو توجيه الأسباب نحو مطلوب الخير.

وتشير جملة من الروايات في هذا الصّدد إلى كيفية حصول الإنسان على التوفيق فيما يريد من أموره الدنيوية والدينية. ومن ذلك ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ما كلّ مَنْ نَوَى شيئًا قَدَرَ عليه، ولا كلّ مَنْ قدَرَ على شيءٍ وُفِّقَ له، ولا كلّ مَنْ وُفِّقَ أصاب له موضعًا، فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والإصابة فهناك تمت السّعادة»[١].

النية الحسنة

إنّ التوفيق في بلوغ الغايات يتطلب توفّر العديد من العوامل المساعدة.

فالعامل الأول وفقًا للنصوص الدينية؛ هو توفر النيّة الحسنة، فعندما ينوي المرء الإقدام على أمرٍ من أمور الدنيا أو الدين، فينبغي عندها أن ينطلق من نية حسنة غايتها الخير. من هنا تؤكّد النصوص على أنّ حسن النية هو من عوامل التوفيق. وعلى النقيض من ذلك، عندما يهمّ المرء بعمل شيءٍ لمجرّد النكاية بأحد، أو تلبية لغريزة أو شهوة غير مناسبة، فهذه النية ليست نية حسنة بأيِّ حالٍ من الأحوال. إنّ النية الحسنة ولا شك من أسباب التوفيق، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قوله عليه السلام: «مَنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ أَمَدَّهُ التَّوْفِيْقُ»[٢]، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّمَا قَدَّرَ اللهُ عَوْنَ العِبَادِ عَلَى قَدْرِ نِيَّاتِهِمْ، فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ تَمَّ عَوْنُ اللهِ لَهُ»[٣]. من هنا ينبغي للمرء دائمًا

(١) بحار الأنوار، ج ٥، ص٢١٠، حديث٥٠.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٤١، حكمة ٣٢٤.
(٣) بحار الأنوار، ج ٦٧ ص٢١١، حديث٣٤.

وأبدًا أنْ ينطلق من النّيات الحسنة.

الجدّ والاجتهاد

أما العامل الثاني من عوامل التوفيق في تحقيق الغايات، فهو الجدّ والاجتهاد. فإذا أراد المرء أن يكون موفّقًا في عمله، فعليه بالجدّ والاجتهاد، فقد ورد عن الإمام عليّ بن موسى الرضا قوله عليه السلام: «مَنْ سَأَلَ اللهَ التَّوْفِيْقَ وَلَمْ يَجْتَهِدْ فَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِهِ»[١]، فانعدام الجدّية في نظر الإمام عليه السلام استهزاء بالنفس قبل أيّ شيءٍ آخر، لذلك ينبغي التزام الجدّ في أن يسلك الإنسان كلّ الأسباب التي يمكن أن تؤدي به إلى تحقيق غاياته.

الاستعانة بالله

ثالث العوامل المهمة والأساسية التي تبعث على التوفيق، هي الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، والرغبة إليه، في التوفيق. فالإنسان مدعو للطلب من خالقه التوفيق في كلّ عمل يقصده ويتطلع إلى تحقيقه، وأنْ يشعر قلبه بهذه الرغبة. إنّ من الخطأ الغفلة عن الاستعانة بالله سبحانه، تحت وَهْم الاتّكال الكلّي على النفس في ترتيب الأمور والاستعداد لها، وكم من واحدٍ رتَّب أموره، إلّا أن غياب التوفيق ذهب بكلّ ترتيباته أدراج الرياح. ذلك أنّ الله سبحانه هو المهيمن على كلّ شيءٍ، فالحري بالمرء أن يسأل خالقه التوفيق والتيسير له في كلّ الأمور، حتى وإن كان قد رتب كلّ أموره، وأخذ كلّ استعداداته. يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الشّأن: «التَّوْفِيْقُ عِنَايَةُ الرَّحْمَنِ»[٢]، وفي وصيته عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيْقِكَ»[٣].

ومن مصاديق التوفيق التي وقفت عليها شخصيًّا، ما حدّثني به أحد الأخوة حول

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥ ص٣٥٦، ح١١.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤١.

(٣) نهج البلاغة، وصية رقم (٣١) من وصية له للحسن بن عليّ عليهما السلام.

قضية حدثت معه. فقد كانت لدى هذا الأخ معاملة رسمية يبتغي تخليصها في وقت متأخر من آخر يوم عمل من أيام الأسبوع، وكان متخوّفًا إنْ لم تنجز المعاملة في ذلك اليوم، فتبعات ذلك ستكون كبيرة ومكلفة، وقد سعى في هذا الشأن عبر مختلف السبل، واستعان بأطراف مختلفة، دون فائدة تذكر، لدرجة أوشك معها على اليأس من إتمام المعاملة، حتى إذا لمحه شخص مسؤول في تلك الدائرة الرسمية، وهو حائر في أمره، فسأله المسؤول: أوَلست أنت ذاك الشخص الذي التقيته في المدينة المنورة الصيف الماضي، وقد أفرغت لي غرفة أخيك بعد أن تقطعت بي السبل وعائلتي دون مأوى حتى منتصف الليل، حينها تذكره صاحبنا، وقال بلى، فقال له ذلك المسؤول بأني اليوم سأردّ لك ذلك الجميل، فدعني أسعى في تخليص معاملتك بنفسي، وهكذا كان.

هنا ندرك بأنّ لحظة التوفيق التي واتت صاحبنا، هي تلك اللحظة التي قرر فيها أن يساعد رجلًا غريبًا عنه، وأن يُسدي له خدمة، وهو ليس مضطرًا لتقديمها، زِدْ على ذلك، لحظة التوفيق التالية وهي تلك التي دخل فيها ذلك المسؤول تلك الدائرة، ورأى هذا الأخ فعرفه فورًا، وقد كان قادرًا على مساعدته، ففعل ذلك بملء إرادته. هذا ولا شكّ من مظاهر التوفيق.

من هنا، ينبغي للمرء أن يسعى لطلب التوفيق، من خلال تمثل النية الحسنة، والجدّ والاجتهاد، والاستعانة بالله والرغبة إليه، هذه بأجمعها عوامل تساعد الإنسان على أن يمنحه الله تعالى توفيقه.

الخطبة الثانية

٧

سياسات العنف والإقصاء دمار للأوطان

حينما دخل رسول الله ﷺ مكة المكرمة فاتحًا خاطب أهل مكة قائلًا: الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش، ماذا تقولون؟ ماذا تظنون؟ «قالوا: نقول خيرًا ونظن خيرًا، نبيّ كريم، وأخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت. فقال رسول الله ﷺ: «فإني أقول كما قال أخي يوسف: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»، «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١].

تمثل السيرة النبوية أفضل مدرسة للإدارة السياسية في المجتمع البشري. فلا يكاد يخلو مجتمع من قادة ومجموعات عاملة في الشأن السياسي، ولكل منها استهدافاتها، لكن السؤال يبقى دائمًا عن النموذج والكيفية التي يدار بها الشأن السياسي في هذا المجتمع أو ذاك. وقد قدم النبي الأكرم ﷺ ذلك النموذج المثالي، الذي يقوم على تحكيم العقل، واحترام الإنسان بالدرجة الأساس، وترجيح الاعتدال والرفق، وتجنب العنف والصراع ما أمكن، وذلك في مجتمع جاهلي كان قد أَلِفَ لغة الانتقام، ومنطق القوة، وأخذ الثأر، والحروب التي لا تكاد تنقطع، وإذا به ﷺ يأتي بمنطق جديد، ولغة مختلفة تمامًا، وطريقة ملؤها التسامح والاحترام للإنسان، وتحكيم العقل بدل الانفعالات والأحقاد، وإخراج الضغائن والكراهية من النفوس.

---

(١) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي، ج٥ ص٢٤٢.

لقد تجلت السياسة النبوية الحكيمة بأجلى صورها، خلال فتح مكة، وانتصار المسلمين على قريش. ومما يذكر في هذا الشأن أن سعد بن عبادة، وهو أحد قادة جيش المسلمين، وقد كان متألـمًا وحانقًا على قريش نتيجة ما فعلته بالمسلمين، أنه هتف إبّان دخول جيش المسلمين إلى قلب مكة بشعار «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشًا»، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «اليوم يوم المرحمة»[١]. هذه هي لغة النبوة والعقل.

رفض لغة الحقد السياسي

إنّ السياسة النبوية في إدارة الشأن العام، كانت دائمًا أبعد ما تكون عن لغة الحقد وشهوة الانتقام، واستخدام العنف. فالنبي ﷺ لم يمارس حرب الإلغاء والإقصاء حتى مع من حاربوه وأساؤوا إليه، ومن لطيف ما ذكر في هذا الصدد أنه ﷺ بعد فتح مكة مباشرة طلب مفتاح الكعبة، فجيء به إليه، وقد كان يتوارثه بنو شيبة منذ زمن بعيد، فأشار عليه عمّه العباس بأن يحول إليه مفتاح الكعبة، حتى تجتمع عند بني هاشم عمارة البيت الحرام إلى جانب ما درجوا عليه من سقاية الحاج، فأبى النبي ذلك، وقد أرجع المفتاح إلى بني شيبة، وكان قادرًا على سلبهم هذا الامتياز. بل على النقيض من ذلك تمامًا، فقد ذهب ﷺ بعيدًا في الإحسان حتى إلى أعدائه الذين حاربوه، ولعلّ موقفه من أبي سفيان رأس الكفر وزعيم قريش إبّان فتح مكة موقف معروف ومشهور، حين أعطاه ﷺ وكلّ قريش من خلفه الأمان بقوله «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»[٢].

لم يكن النبي الأكرم ﷺ جبّارًا ولا متكبرًا، حتى في ذروة انتصاره العسكري والسياسي. حيث تذكر كتب السيرة أنه ﷺ إبّان دخول مكة وكان محاطًا بالفرسان

---

(١) أسد الغابة، ج٢، ص٢٨٤.

(٢) سنن أبي داوود، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ، (بيروت: دار الجنان)، ص١٧٧، حديث ٣٠٢٢.

الشجعان إلى جانب عشرة آلاف مقاتل، لمح أحد العرب من أهل مكة، وقد كان يهمّ بالحديث معه، غير أنّ الرهبة أخذت الرجل نتيجة ما رآه من هيبة الموكب الحربي الزاحف بين يدي النبي، حتى إنه ارتعد من شدة الخوف، فلما رآه رسول الله ﷺ التفت إليه قائلًا: «هوّن عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»[1].

السياسة النبوية في جوهرها تعني التزام الرفق والسلم، واحترام الطرف الآخر، والنأي عن إقصاء الآخرين. بما في ذلك قريش التي حاربته حتى آخر لحظة، فلم يعمد ﷺ إلى إقصائها عن موقعيتها الاجتماعية، بل أتاح لأبناء قريش نفسها ما أتاح لباقي المسلمين تبعًا لكفاءاتهم وقدراتهم.

الأمة ساحة عنف واحتراب

ويبقى السؤال الأبرز هنا، وهو: كيف تحولت الساحة الإسلامية في وقتنا الراهن الى ساحة عنف واحتراب واقتتال وسفك للدماء. مع أن لديهم هذه السيرة النبوية العطرة وهذا المنهج العظيم في السياسة وإدارة الشأن العام؟

إنّ من المفهوم وجود تضارب في المصالح السياسية بين الفئات المختلفة في أيّ مجتمع، لكن ما ليس مفهومًا، هو بروز واستمرار نزعة الاحتراب والتدمير، التي تأكل الأخضر واليابس في بلادنا، فهل من العقل أن يستمر الاقتتال بيننا على هذا النحو المدمّر، الذي لم يوفر حتى تلك الشعوب العربية التي خرجت للتوّ من عقود من الحكم الاستبدادي؟ ومن أسف نقول إنّ مردّ ذلك إلى نخبها التي سجّلت عجزًا كبيرًا في تحقيق التوافق الوطني، وذلك نتيجة استفحال نزعة الانتقام وأخذ الثأر، والإقصاء والإلغاء والتصفية، فكلّ فئة تريد إلغاء وتهميش الفئة الأخرى، وأن تنتقم منها، وهذا ما حول بلادنا إلى ساحة من الاحتراب وسفك الدماء.

إنّ ما يجري في بلاد المسلمين من اقتتال دموي، لا يتناسب أبدًا مع أمة لديها

(١) سنن ابن ماجة ج٣ ص١٢٨، حديث ٢٦٩٣.

هذا الرسول العظيم ﷺ. فلا يكاد يمرّ يوم إلّا وتتوارد فيه الأنباء عن هجومٍ دامٍ هنا، وانفجار هناك، واغتيال في مكان آخر، واحتراب في مكان رابع، حتى إنّ سفك الدماء أصبح المهمة الأسهل في أمتنا. ولعلّ أغرب ما رأينا هذه الأيام، هو النقاش الذي دار بين بعض رجال الدين على صفحات الجرائد المحلية، على خلفية انضمام امرأة سعودية انتحارية إلى المجموعات المسلحة في سوريا، فرجال الدين هؤلاء لم ينشغلوا بالنقاش حول حرمة الدماء، ولا جريمة قتل النفس والانتحار، ولا نية هذه المرأة في قتل الآخرين، بقدر ما انشغلوا بمدى جواز ومشروعية خروجها من البلاد بدون محرم!. إلى هذا الحدّ بلغت بهذه الأمة الضحالة الفكرية وقلة الوعي.

ولا يبدو أن هناك مخرجًا لهذه الأمة إلّا بالعودة إلى منطق الإسلام ولغة العقل. وذلك من خلال التخلّي تمامًا، عن لغة الإقصاء والتهميش والإلغاء، وأن يسود في مقابل ذلك التعاون بين الجميع من أجل بناء أوطانهم، ذلك أنّ الاحتراب والقتل والتدمير لا يعود على أحدٍ إلا بالخراب والدمار لهذه الأوطان.

مانديلا أنموذج المصالحة الوطنية

ولو شئنا الحديث عن نماذج حديثة للحكمة السياسية وتغليب لغة العقل، فلنا في الثائر والزعيم الجنوب أفريقي نيلسون مانديلا، عبرة. فهذا الرجل قدّم بسيرته أنموذجًا للثائر الذي غلّب لغة المصالحة الوطنية، على منطق الثأر والانتقام، وكم عانى هذا الرجل وجماعته الأكثرية السوداء في جنوب أفريقيا، من ظلم وتسلّط واستبداد النظام العنصري الذي تزعمته الأقليّة البيضاء هناك، وناضل طويلًا حتى دفع من حياته ٢٨عامًا قضاها خلف القضبان، في سبيل حرية شعبه، ومقاومة التمييز العنصري في بلده، ولمّا تهيأت له أسباب الانتصار، دعا إلى المصالحة، ورفض رفضًا قاطعًا أن يجري هناك أيّ شكلٍ من أشكال الانتقام من الأقلية البيضاء، بل تقاسم معهم السلطة منذ البداية، ومنع من محاسبة أيٍّ منهم على أفعالهم السابقة، أو أن يصادر أيُّ شي من

أموالهم وأملاكهم. لقد دافع مانديلا عن حقوق السّود، ولكن دون أن يحمل حقدًا على البيض، وقد جرى انتخابه رئيسًا للبلاد في ١٩٩٤م، وبعد أن انتهت فترة رئاسته لم يتشبث بالحكم، بالرغم من شعبيته الساحقة، والاحترام الواسع الذي يحظى به في الشارع الجنوب أفريقي، فاستنكف عن ترشيح نفسه لرئاسة البلاد مرة ثانية، بل تقاعد وأفسح المجال لغيره. لقد مثّل مانديلا نموذجًا مثاليًّا للحكمة السياسية، وتغليب لغة العقل.

فالأجدر بالمسلمين أن تتكرر فيهم نماذج من أمثال الزعيم مانديلا. وذلك بأن تكون السياسة السائدة في مجتمعاتهم، هي تلك القائمة على العفو والمصالحة والمشاركة، بدل الانتقام وطلب الثأر والإقصاء والإلغاء.



الخطبة الأولى

احتكار الجنة بين الطوائف الدينية

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة البقرة، الآيتان: ١١١و١١٢].

ثمّة نقاش في الفكر الديني متعلق بمصير غير المسلمين في الدار الآخرة، وما إذا كانت ترجى لهم النجاة والرحمة في تلك الدار. فهناك على مدى الزمن شخصيات كثيرة ظلت تحظى بالاحترام في مجتمعاتها، فيما حظيت شخصيات أخرى بالاحترام على المستوى البشري، إمّا لأنها قدمت خدمات جليلة للبشرية، أو لأنّها جسّدت في حياتها قيمًا نبيلة ومواقف مشرقة. من هنا يأتي السؤال فيما إذا كان يحقّ لنا أن نرجو لأمثال هذه الشخصيات الخير والرحمة في الآخرة أم لا؟ كما ينسحب السؤال نفسه على عامة الناس من غير المسلمين، هل سيحظون بالنجاة في الآخرة أم لا؟

غير المسلمين بين الجهل والعناد

والمتأمّل في مواقف وأصناف غير المسلمين، إزاء دين الإسلام الذي نعتقد أنه الحقّ، يجدهم ينقسمون إلى فريقين.

الفريق الأول هو الذي تبيّنت له أحقية الدين الإسلامي، بعد أن وصلته الدعوة،

وتبين له أن هذا الدين هو الحقّ، وبذلك قامت عليه الحجة، غير أنه ظلّ على عناده وجحوده ورفضه الخضوع إلى الحقّ، وعليه فأتباع هذا الفريق ـ حسب المنظور الأوليّ ـ لا يُرجى لهم الخير والرحمة في الآخرة. علمًا بأن الله سبحانه هو من يقرّر مصائر البشر فهو خالقهم وحسيبهم، ولكن استنادًا إلى القيم والمبادئ والنظرة الموضوعية السليمة، يبقى الإنسان الذي يرفض الخضوع والانقياد للحقّ، بعد أن تبيّن له وقامت عليه الحجة، ممن لا يرجى له الخير ولا ترجى له الرحمة في الآخرة.

أما الفريق الثاني فهم ممن لم يتبيّن لهم الحقّ، ولم تصلهم الدعوة إلى الدين أو لربما وصلهم شيء من ذلك، لكنهم كانوا يعيشون في بيئة لا ينقدح معها في أذهانهم إمكانية أن يكون الدين الذي يعتقدونه دين ضلال وخطأ وباطل.

ذلك أن البيئة المحيطة بهؤلاء الناس، لا تجعلهم يلتفتون إلى احتمال أن يكون هناك دينٌ آخر أصحّ من دينهم، وبهذا المعنى لم تتضح الحقيقة لأتباع هذا الفريق، ولم تقم عليهم الحجة.

ويمكن إرجاع سبب موقف أتباع هذا الفريق، إمّا إلى القصور أو التقصير كما في المصطلح الديني، فالشخص القاصر هنا هو من لم تتوفر له فرصة التعرف على الحقّ، بسبب البيئة التي يعيش فيها، فهو بذلك ممن يرجى له الخير والرحمة في الآخرة. أما الشخص المقصّر، فهو ذاك الآخر الذي كان بإمكانه التعرف على الحقّ، وكانت قواه العقلية وحواسّه الوجدانية تشير له بإمكانية أن يكون الحقّ في اتجاه مختلف، غير الذي هو عليه، غير أنه قابل جميع ذلك بالتجاهل وقلة الاهتمام، فهذا ممن يوصف بالجاهل المقصّر، وهو بذلك ربما دخل ضمن أولئك الذين لا ترجى لهم الرحمة في الآخرة، نتيجة تعمّده حرمان نفسه من بلوغ الحقّ والوصول للخير.

معظم البشر ترجى لهم الرحمة

ويتضح مما سبق، أنّ غالبية الناس هم على الأرجح من القاصرين، أي غير

المعاندين، وبذلك يرجى لهم الخير والرحمة في الدار الآخرة. وعلى ذلك يمكن القول إنّ كلّ إنسان كان يمتلك القابلية لقبول الحقّ، ولكن لسببٍ أو آخر لم يتبيّن له ذلك، فهذا ممن ترجى له النجاة. والمتأمّل في الآية الكريمة الواردة عن مزاعم اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، يجد المتأمل بأنّ الله سبحانه وتعالى قد وصف مزاعم اليهود والنصارى تلك بالأماني، ذلك أن أتباع كلّ دين أو ملة يتمنون في دواخلهم أن تكون الجنة من نصيبهم وحدهم، وحكرًا عليهم، لذلك جاء الاحتجاج الإلهيّ عليهم في الآية الكريمة نفسها بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقد وضع سبحانه وتعالى قاعدة عامة للنجاة واستحقاق الرحمة في الآخرة وهي التسليم والانقياد له سبحانه. ووفقًا للتعبير القرآني في الآية الكريمة ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّـهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، والتسليم هنا يعني وجود القابلية والانقياد النفسي والاستعداد لاتباع الحقّ فور التبين والوقوف عليه، سيما إذا اقترنت أعمال الشخص بالخير والإحسان للناس ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، أي إنّ الله سبحانه يجازيه خيرًا بغضّ النظر عن الأسماء والصفات الدينية التي كان عليها في دنياه، سواء كان مسلمًا أو يهوديًا أو مسيحيًّا، سنيًّا كان أم شيعيًّا، فكلّ هذه الأسماء ليست مهمّة عند الله سبحانه، بقدر أهمية أن يمتلك هذا الإنسان حالة الانقياد للحقّ عندما يتبيّن له، وأن يكون مسلكه الإحسان للناس عامة، وبذلك يكون هذا الصنف من الناس وفقًا للآية الكريمة: ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وهناك نصوص دينية كثيرة تشير إلى استحقاق الكثير من البشر الرحمة في الآخرة بغضّ النظر عن اعتقاداتهم الدينية. فقد ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّـهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَـٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧] فهذه الفئة من الناس مقصّرون دون شك، إذ كان بإمكانهم بلوغ الحقّ

لكنهم تقاعسوا عن ذلك، إلّا أن الآية الكريمة تستثني فئة أخرى من الناس بالقول ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٨]، وتفسير ذلك أنّ الظروف التي أحاطت بهؤلاء المستضعفين لم تمكنهم من بلوغ الحقّ والوقوف عليه، لذلك تكمل الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿فَأُولَـٰئِكَ عَسَى اللَّـهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّـهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

المتعصّبون واحتكار الجنة

في مقابل ذلك، هناك متديّنون في كلّ الأديان والمذاهب ظلّوا باستمرار يرون الجنة حكرًا عليهم. فقد نقل عن أحد الكهنة المسيحيين في القرن الثالث عشر الميلادي، أنه قال: «إنّ نسبة الناجين يوم القيامة لا تتجاوز الواحد من كلّ مئة ألف شخص! أي عشرة على مليون! وأمّا البقية فمصيرهم إلى النار وبئس المصير»[١].

وعلى غرار ذلك تجد مثل هذا القول عند المسلمين، فهناك اليوم نحو ثلاثة أرباع البشرية من غير المسلمين، لكن لو سألت بعض المسلمين عن مصير هؤلاء في الآخرة، لما تردّد في اعتبارهم بأجمعهم من أهل النار. بل إنّ الأمر لن يقف عند هذا الحدّ، فلو سألت عن مصير الربع الباقي من البشرية، أي المسلمين، وما إذا كانوا جميعهم من الناجين يوم القيامة، فسيرد عليك بالنفي المطلق، محدّدًا بأنّ أهل الجنة هم الفرقة الناجية فقط، ويعني بذلك جماعته وأتباع مذهبه دون غيرهم، ولو شئنا المضيّ أكثر وسألنا هذا المتعصّب عن مصير أتباع مذهبه أنفسهم، وما إذا كانوا جميعًا من أهل الجنة؟ فسيتضح لنا حينها أنّ عنده تصنيفات حتى داخل مذهبه، وهم بذلك لن يدخلوا الجنة جميعًا!.

ومن طرائف ما ذكر في هذا الشأن أن خطيبًا صعد المنبر وأخذ يتحدث عن حوض الكوثر، وأنّ سعته من صنعاء إلى إيلات، ويقف عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

(١) هاشم صالح. مدخل إلى التنوير الأوروبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، (بيروت: دار الطليعة)، ص٢٦.

ليسقي الناس العطاشى يوم القيامة. ثم أخذ الخطيب في التفصيل، بأنّ غير المسلمين كلّهم بأجمعهم لن يسقيهم الإمام عليّ من حوض الكوثر، ثم مضى في القول بأنه عليه السلام لن يسقي كلّ المسلمين، وإنما سيقتصر في ذلك على الشيعة وحدهم، بل وذهب أبعد من ذلك في القول بأنه عليه السلام لن يسقي كلّ الشيعة من الحوض وإنما سيستثني الكثيرين حتى من الشيعة أنفسهم، فمن لا يقلّد مرجعًا دينيًّا معتبرًا (الذي يقلده الخطيب نفسه) فلن يذوق من الكوثر، والشيعي غير الملتزم سيطرد عن الحوض، ومن زنى أو شرب الخمر أو كذب أو اغتاب أحدًا فسيطاله المصير نفسه، عندها ردّ عليه أحد المستمعين بالقول أن أحدًا لن يشرب من هذا الحوض إلّا الإمام عليّ نفسه!.

سعة الرحمة الإلهية

وعلى النقيض من ذلك، نجد النصوص الدينية تتحدث باستفاضة عن سعة رحمة الله تعالى، تلك الرحمة التي وسعت كلّ شيء. فقد خلق الله الناس ليربحوا عليه، جاء في الحديث القدسي: «إِنَّمَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ»[1].

كما ورد في السّياق أنّ أعرابيًّا دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا في الصلاة: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا»[2].

وجاء في الآية الكريمة ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[سورة هود، الآية: ١١٩]، فهل من المتصوّر أن هذا الخالق الذي خلق البشر ليرحمهم، أن يُدخل منهم الجنة التي عرضها السموات والأرض عشرة أشخاص من كلّ مليون فقط، فيما يزج بالباقين في النار!. إنّ النصوص الدينية دأبت باستمرار على غرس الأمل في قلوب الناس، والتفاؤل برحمة الله التي تتسع إلى الحدّ الأقصى من أبناء البشر، باستثناء أولئك الجاحدين

(١) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج١، ص٢٢٨.
(٢) صحيح البخاري، ج٤، ص٨٩، حديث ٦٠١٠.

المعاندين فقط. وقد ورد عن الإمام الصادق قوله ﷺ: «إنّما يكفر إذا جحد»[١]، أي إذا تبيّنت لهذا الإنسان الحقيقة كاملة ثم أنكرها وجحدها، فهذا هو الكافر، والمعلوم أن أكثر الناس ليسوا كذلك.

وعلاوة على ما سبق، فثمّة نصوص دينية لافتة تشير إلى أن الأصل في غالب البشر هو النجاة من النار في الدار الآخرة. فقد قيل للإمام عليّ بن الحسين ﷺ، أنّ الحسن البصري يقول: «ليس العجب ممن هلك كيف هلك؟ وإنّما العجب ممن نجا كيف نجا»، فقال الإمام زين العابدين ﷺ: «أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا وأما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله»[٢]. من هنا يتبيّن أنّ الأصل في البشر النجاة يوم القيامة، وأنّ العذاب هو الاستثناء. ومما يشير إلى المدى الذي تبلغه رحمة الله تعالى، ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أنه قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، نشر الله تبارك وتعالى رحمته، حتى يطمع إبليس في رحمته»[٣]، ولنا أن نتصوّر كيف أن رحمة الله من السّعة بحيث يطمع فيها حتى إبليس نفسه!.

وللإمام الخميني رأي لافت في هذا السّياق، يقول فيه بأن أكثر الكفّار معذورون، فهم بذلك ممن يدخلون تحت رحمة الله تعالى في الآخرة. ويُعلّل سبب ذلك في كتابه المكاسب المحرمة بأنّ «أكثرهم (الكفار)، إلا ما قلّ ونذر، جهّال قاصرون لا مقصّرون»، ثم يفصل في ذلك بالقول «فالغالب فيهم أنه بواسطة التلقينات من أول الطفولة والنشوء في محيط الكفر، صاروا جازمين ومعتقدين بمذاهبهم الباطلة، بحيث كلّ ما ورد على خلافها، ردّوها بعقولهم المجبولة على خلاف الحقّ، من بدو نشوئهم، فالعالم اليهودي والنصراني كالعالم المسلم لا يرى حجة الغير صحيحة، وصار بطلانها كالضروري له؛ لكون صحة مذهبه ضرورية لديه فلا يحتمل خلافه،

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٩٩، ح٣.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥ ص١٥٣، ح١٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٠ ص٢٣٦، ح٧٧.

نعم؛ فيهم من يكون مقصّرًا لو احتمل خلاف مذهبه وترك النظر إلى حجته عنادًا أو تعصّبًا»[1]. كما ذكر الشهيد المطهّري في كتابه «العدل الإلهي» فصلاً كاملاً على هذا الصّعيد، أشار فيه إلى أرجحية الخاتمة الحسنة في الآخرة لأغلب الناس، يقول رحمه الله تحت عنوان (الرحمة الشاملة): ليست المغفرة ظاهرة استثنائية وإنّما هي قانون كلّي مستنتج من غلبة الرحمة في نظام الوجود، ومن هنا يظهر أن المغفرة الإلهية شاملة تظلّل جميع الموجودات في حدود قابليتها وأماناتها.

ويضيف: وأصل الفوز بالسعادة والنجاة من العذاب شامل لكلّ الناجين؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦] فلو لم تكن الرحمة لم يَنْجُ أحدٌ من العذاب[2].

من هنا، ينبغي أن يكون أفق الإنسان المسلم أفقًا واسعًا، بحيث يرجو الخير والرحمة لجميع الناس. فيما عدا أولئك الذين ثبت أنهم معاندون، بعد أن بلغهم الحقّ فرفضوه، علمًا بأن من الصّعب إن لم يكن من المتعذّر ثبوت هذا الأمر على غالبية الناس. أما الكلام حول انتشار وسائل الإعلام وطغيان العولمة الثقافية والمعرفية، فهذا وحده قد لا يُشكّل حجة قاطعة، ذلك ـ وفقًا للإمام الخميني ـ أنّ الذهنية التي نشأ عليها غالبية الناس هي في اعتبار عقائدهم وأديانهم هي الحقّ المحض، وبذلك لا ينقدح في أذهانهم أية احتمالات مغايرة، فإذا كان الأمر على هذا النحو فقد يكون هؤلاء معذورين أمام الله جلّ شأنه. ولا يبقى هنا سوى القول أنّ الجنة هي جنة الله، فما الذي سيخسره المسلمون لو دخل غيرهم الجنة!، سيما ونحن نرى في الحياة الدنيا كيف أنّ فضل الله قد وسع كلّ البشر.

---

(١) الإمام الخميني، المكاسب المحرّمة، ج١، ص١٣٣.

(٢) العدل الإلهي، الشيخ مرتضى مطهري، ص٢٨٣.

الخطبة الثانية

التعاون الخليجي بين التعثّر والاتّحاد

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ»[1].

تقف المنطقة الخليجية اليوم أمام تحدّيين اثنين؛ يتمثّلان في الأطماع الأجنبية في ثرواتها الهائلة، وفي كيفية تسخير واستثمار هذه الثروة لخدمة شعوبها.

إنّ من المعروف أنّ الشعوب الخليجية ورغم قلة كثافتها البشرية، إلّا أنها شعوب متجانسة في الغالب، عرقيًّا ودينيًّا وقوميًّا، وبعد أن كانت هذه المنطقة تعيش فقرًا مدقعًا، حباها الله بالثروات الهائلة، نتيجة تفجّر آبار النفط في صحاريها وأراضيها، هذا النفط الذي يمثل حاجة ماسّة للبشرية اليوم، شكل اكتشافه منعطفًا في تاريخ هذه المجتمعات التي كانت تعيش حياة بدائية بسيطة، وإذا بها تمتلك هذه الثروات الكبيرة. من هنا باتت المنطقة تقف أمام تحدّي مواجهة النفوذ الأجنبي الطامع في ثرواتها، والتحدّي الآخر هو في إمكان تحويل هذه الثروة إلى إسعاد وتنمية شعوب هذه المنطقة الناشئة، تنمية حقيقية تلبّي احتياجاتها العملية وبنيتها التحتية.

إنّ مواجهة تحدّيات الأطماع الأجنبية، والإسراع في التنمية، يفرضان على شعوب وحكومات المنطقة الخليجية الاتّحاد والتعاون الكبير فيما بينها. ضمن هذا السّياق نفهم قول النبي الأكرم ﷺ: «أيّها الناس، عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة»، فالعمل

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١ ص٢٠٦، ح١٠٢٨، ومسند أحمد، ج٥ ص٣٧١.

الجمعيّ هو الذي يمنح المتعاونين المجتمعين قوة مضاعفة، هذا ما تهدي إليه الفطرة، ويرشد إليه العقل، وتؤكّده التجارب البشرية.

مجلس التعاون والاستجابة للتحدّيات

وبغضّ النظر عن ظروف النشأة، جاء إنشاء مجلس التعاون الخليجي استجابة للشعور بهذا التحدّي. ذلك إنّ من مصلحة شعوب هذه المنطقة، المتجانسة قوميًّا وعرقيًّا ودينيًّا، ناهيك عن التقاليد والأعراف والتاريخ، من مصلحتها قيام تعاون واتّحاد فيما بينها، حتى ينعكس هذا التعاون فائدة ومصلحة لهذه الشعوب بمجملها.

لكنّ شعوب المنطقة الخليجية باتت تراقب بأسف بالغ تعثّر مسيرة مجلس التعاون، بعد أكثر من ثلاثة عقود على إنشائه. فلا يزال متعثّرًا قياسًا على تجارب الكيانات الأخرى، كالاتّحاد الأوروبي الذي قطع أشواطًا كبيرة على طريق التعاون. في مقابل ذلك نجد كيف يجري في مجلس التعاون طرح المشاريع والمقترحات، واجتماع القادة واتخاذ القرارات، ثم لا تجد الشعوب أثرًا ولا نتيجة، اللهمّ إلّا من النزر اليسير والخطوات المتواضعة، فلا أثر لسوق خليجية، ولا جواز سفر خليجي موحّد، ولا عملة موحّدة، ولا نظامًا جمركيًّا ولا سياسة خارجية موحّدة، وغيرها من المشاريع التي ظلّت حبيسة الأدراج.

إنّ من أبرز أسباب التلكؤ في مسيرة مجلس التعاون الخليجي هي غياب الإرادة الشعبية. فالتعاون والاتّحاد الحقيقي هو الذي يتأتّى على أساس الإرادة الشعبية لشعوب ومجتمعات المنطقة، في حين لا تزال المشاركة الشعبية محدودة، إلّا في أضيق نطاق، من هنا فلا تتمثل الإرادة الشعبية ضمن القرار السّياسي تمثّلًا كامًلا وواضحًا، كما هو الحال في المجتمعات الأخرى. إنّ غياب الإرادة الشعبية جعل هذا الكيان وكأنه مقتصر على إرادة الحكام أكثر من تمثيله لإرادة الشعوب. لذلك تلحظ الشعوب كيف تصبّ المقررات ضمن المنحى الذي يخدم هؤلاء الحاكمين أكثر مما

يخدم مصالح المواطنين في المنطقة الخليجية.

كما جاء تلكؤ مسيرة مجلس التعاون الخليجي نتيجة غياب الإرادة السّياسية في بلورة اتّحاد وتعاون حقيقي بين دوله. وبعيدًا عن الكلام والشّعارات تبدو الإرادة السّياسية الحقيقية غائبة وبعيدة عن التشكّل، ولا شكّ بأنّ مصالح الشعوب إنّما تتحقق بالتعاون والاتّحاد الحقيقي.

ونشير في هذا الشّأن إلى أنّ الإعلام الخليجي لعب دورًا مسمّمًا للأجواء، ومعكّرًا لصفو العلاقات بين الحكومات والشعوب والمذاهب في المنطقة. ولعلّ ما حصل من تراشق ومشاحنات إعلامية على هامش قمة مجلس التعاون الأخيرة المنعقدة في الكويت[1] ما يكشف حقيقة الحال على نحو كبير، فبعد اعتراض إحدى دول المجلس (سلطنة عمان) على شكل التعاون المقترح لعمل المجلس، هبّ كثيرٌ من الكتّاب والإعلاميين نحو مهاجمة هذه الدولة، حتى إنّ بعض الكتّاب بدو أكثر مزايدة من الحكّام أنفسهم، هذا إن لم يكونوا مأمورين من هذه الجهة أو تلك. هذا النوع من الطرح الإعلامي يُسمّم الأجواء، ويُعكّر صفو العلاقات داخل المنطقة الخليجية، لذلك يبدو من المستغرب جدًّا ترك هؤلاء الإعلاميين يبثّون الكراهية بين مجتمعات المنطقة.

المجتمعات الخليجية وإرادة التعاون

إنّ ضعف الإرادة في التعاون والاتّحاد لا يقتصر على السياسيين وحدهم، وإنما ينسحب على المكونات الاجتماعية لشعوب المنطقة. وإذا كان هناك من عذر في إلقاء اللوم والمسؤولية على الحكّام والسّياسيين في غياب التعاون، فما العذر في غياب وعدم تبلور إرادة التعاون ضمن سائر الفئات الاجتماعية، فما الذي يمنع علماء الدين

---

(١) استضافت دولة الكويت يومي الثلاثاء والأربعاء ٧ ـ ٨ صفر ١٤٣٥هـ ، الموافق ١٠ـ١١ ديسمبر ٢٠١٣م قمة مجلس التعاون لدول الخليج الـ٣٤.

من التعاون والوحدة، ولماذا لا يتكتّل المثقفون مع بعضهم بعضًا. ولعلّ ما حصل من مشاحنات على خلفية انتخاب إدارات الأندية الأدبية في المملكة خير مثال، فقد أعقب كلّ عملية انتخاب تبادل الكثير من النزاع والتراشق والتشكيك والطعون، وهذا دون شك يدلّ على غياب أخلاقيات وإرادة التعاون قبل أيّ شيء آخر. إنّ إرادة التعاون في مجتمعاتنا تُعَدّ ضعيفة على مختلف المستويات.

وفي المحصّلة، ندعو إلى الإقرار بالإرادة الشعبية في المنطقة الخليجية، ليتبلور على أساس تلك الإرادة الاتّحاد والتعاون الحقيقي بين الكيانات القائمة، كما نرى حاجة المنطقة، إلى التعاون والتكامل من أجل التنمية والوفاء باحتياجات الشعوب، هذه الشعوب التي تمتلك ثروات هائلة، لكنها لا تزال تفتقر إلى احتياجات أساسية، فمن يصدّق أن في هذه المنطقة حالات كثيرة من الفقر والحاجة إلى أبسط الخدمات في البنية التحتية والتعليم والصحة والسكن!.

كما أنّ على مجتمعاتنا الخليجية أن تبلور إرادة التعاون في داخلها، وأن تتجاوز الخلافات والحواجز فيما بينها، كقوى وشخصيات ومجتمعات، حتى تستطيع أن تفرض إرادة التعاون والاتحاد هذه على المستوى السّياسي.



الخطبة الأولى

مجتمع المؤمنين بين التآلف والخصام

روى الشيخ المفيد، أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام أوصى بعض أصحابه قال: «يا عبد العظيم! أبلغْ عنّي أوليائي السّلامَ وقل لهم: أنْ لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلًا، ومُرْهم بالصّدق في الحديث وأداء الأمانة، ومُرْهم بالسّكوت وترك الجدال فيما لا يَعْنيهم، وإقبالِ بعضهم على بعض والمُزاوَرة، فإنّ ذلك قربة إليّ. ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضًا، فإنّي آليتُ على نفسي أنّه مَن فعل ذلك وأسخط وليًّا من أوليائي دعوتُ الله لِيعذّبه في الدنيا أشدّ العذاب، وكان في الآخرة من الخاسرين»[1].

أولى أئمة أهل البيت اهتمامًا بالغًا بالتربية السلوكية لأتباعهم وشيعتهم. فالعلاقة بالبيت النبوي بالنسبة للأئمة عليهم السلام ليست مقتصرة على العبادات والشّعائر والاعتقادات التي يؤدّيها شيعتهم فقط، بقدر ما يتعلّق الأمر بالاقتداء بهم سلوكيًّا وأخلاقيًّا، فأهل البيت يريدون من شيعتهم أن يكونوا أنموذجًا وتجسيدًا لأخلاقهم في التعامل فيما بينهم والتعامل مع الآخرين. وقد أولى أهل البيت العلاقات الاجتماعية في وسط أتباعهم أهمية كبيرة، وورد في هذا الصدد روايات ونصوص كثيرة تؤكّد بشدة على هذا الجانب. فلا يكفي الاعتقاد بأهل البيت وإظهار المحبة لهم واتّباع فقههم، وإنما المطلوب أيضًا أن تكون العلاقات داخل المجتمع الموالي لأهل البيت، تجسيدًا

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص٢٤٧.

لوصايا وتوجيهات أهل البيت، أكثر من أن تكون علاقات نابعة من الانفعالات والعواطف والأحقاد.

الشيعة أنموذج مشرق

ويأتي تأكيد أئمة أهل البيت على التزام وصاياهم في مجال العلاقات الاجتماعية لجملة أسباب. منها، أن أتباع أهل البيت هم الأجدر بتمثل القيم الدينية، من قبيل؛ قيمة الحبّ، والاحترام، وحفظ حقوق الإنسان، والتعاون وسائر القيم الأخرى.

كما يأتي تأكيد الأئمة على شيعتهم التزام القيم ضمن علاقاتهم الاجتماعية؛ لأنها تمنحهم القوة أمام الضغوط. فأتباع أهل البيت، الذين يُشكّلون أقلّية في الأمة، كانوا مستهدفين من السلطات الظالمة الجائرة، لذلك ظلّت هذه الأقلّية بحاجة ماسّة إلى التماسك الداخلي، وأن يشدّ بعضها بعضًا، فالعلاقات السليمة داخل المجتمع الإيماني تجعل منه مجتمعًا أقوى في مواجهة الضغوط والتحدّيات. في مقابل ذلك، سيصبح أتباع أهل البيت أكثر ضعفًا، إذا كانوا يواجهون ضغوطًا من الأعداء، في الوقت الذي تنخر المشاكل وسوء العلاقات أوساطهم.

الخلافات انشغال عن الرسالة

والأمر الآخر هو رغبة الأئمة في أن يتفرّغ شيعتهم لتأدية الرسالة التي يحملونها. ذلك أنّ الانتماء لمذهب أهل البيت ليس بمنزلة الانتماء القبلي، بقدر ما هو حمل لرسالة، يريدون من شيعتهم إيصالها إلى العالم. فإذا انشغل أتباع أهل البيت ببعضهم، وغرقوا في الخلافات والمشاكل فيما بينهم، فذلك سيكون على حساب تفرّغهم للقيام برسالتهم، وتقديم نموذج مشرق لمدرسة أهل البيت أمام الآخرين. أما إذا كانوا يعيشون التماسك والاحترام المتبادل، ويطبقون القيم الأخلاقية فيما بينهم، فهم بذلك يبهرون الآخرين بسلوكهم وسيرتهم، ويجتذبون إعجابهم، وذلك بلا شك سيخدم

رسالة أهل البيت.

ضمن هذا السّياق يمكن أن نفهم الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام حين أوصى أتباعه بقوله «كونوا لنا زينا»[١] فالإمام عليه السلام يدعو شيعته لتقديم نموذج مشرق عن أهل البيت، وذلك على النقيض من انتشار حالة العداء والتعبئة فيما بينهم فإنّها تسيء لمدرسة أهل البيت.

لقد أكّد الإمام الرضا عليه السلام تأكيدًا مشدّدًا على التزام أتباع أهل البيت أعلى القيم الدينية فيما بينهم. حيث قال عليه السلام في إشارة إلى شيعته «وإقبال بعضهم على بعض، والمزاورة، فإنّ ذلك قربة إليَّ»، فتبادل الزيارات والتواصل هو ما يقرّب المؤمنين من أهل البيت، وليس مجرّد القيام بالطقوس والشعائر، ويضيف الرضا عليه السلام قائلًا: «ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضًا».

ولعلّ في ذلك إشارة إلى وجود صنف من الناس ممن لا يزال شغلهم الشاغل افتعال وخوض النزاعات الداخلية في المجتمع، واستهداف هذا الشخص والإضرار بتلك الفئة، فيسخّر بعض هؤلاء أنفسهم وجلّ وقتهم لهذا الغرض.

هذا الصنف من الناس الذين يُمزّقون المجتمع الإيماني يتوعّدهم الإمام عليه السلام بقوله: «فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط وليًّا من أوليائي دعوت الله ليعذّبه في الدنيا أشدّ العذاب»، أفلا يقرأ هذا الصنف من الناس هذه الروايات والأحاديث، وكيف يعاهد الإمام نفسه أن يدعو عليهم بالعذاب في الدنيا والآخرة؟!

تطابق الآراء ليس شرطًا

إنّ من الخطأ الفادح اشتراط التوافق التامّ كسبيلٍ أوحد لتحقيق التماسك في المجتمع الإيماني. وهل من الممكن أصلًا أن يتفق ملايين البشر في تفاصيل مختلف الآراء والمواقف، سواء في المجتمع الشيعي أو غيره؟!

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٣ ص٤٩٦.

هل المطلوب أن يتفق الشيعة في كلّ آرائهم وأفكارهم؟

إذًا، ما معنى فتح باب الاجتهاد هنا؟

أليست النتيجة الطبيعية لفتح باب الاجتهاد بروز حالة التعدّد في الآراء والاجتهادات؟

إنّ من أبرز مفاخر شيعة أهل البيت أن باب الاجتهاد عندهم لم يغلق بتاتًا، على غرار ما جرى عند أتباع المذاهب الأخرى بالتوقف على اجتهادات الأئمة الأربعة. ومؤدّى فتح باب الاجتهاد قيام حالة التنوع في الآراء والأفكار، وهذا تحديدًا ما نجده ماثلًا في سيرة السّلف من العلماء والفقهاء، الذي لا زال قائمًا حتى اليوم في الحوزات العلمية. وكثيرًا ما وجدنا فقيهًا تربّى على يد فقيه آخر، فإذا ما بلغ مبلغًا من العلم والاجتهاد، وجدناه قد اختلف مع أستاذه في الرأي، بل ويقوم بإخضاع آراء أستاذه للردّ والمناقشة والبحث.

من هنا يتبيّن، أنّ من غير المطلوب أن يتفق مجتمع المؤمنين، على سعته وتنوعه، في مختلف الآراء والأفكار والمواقف، فذلك خلاف طبيعة المجتمع البشري الذين تختلف وتتعدّد آراؤهم، وتتفاوت مستوياتهم، وتتعدّد زوايا النظر للأمور عندهم، كما تختلف مصالحهم، فالمجتمع الشيعي مجتمع بشريّ وليسوا من جنس الملائكة!.

إنّ وجود حالة الاختلاف في الآراء والأفكار لا يُبرّر بأيّ حالٍ بروز حالة التمزّق والاحتراب والتسقيط فيما بينهم. فذلك خلاف أوامر الله سبحانه وتعالى، وتوجيهات الأئمة، وخلاف ما يرشدنا إليه العقل السليم.

ناهيك عن أن ذلك خلاف ما نطلبه من الآخرين من أتباع المذاهب الأخرى، حيث نطلب منهم أن يتفهّموا آراءنا. ومن غير المعقول ولا المنطقي أن يطلب بعضنا من أتباع المذاهب الأخرى، الذين بيننا وبينهم خلاف أعمق وأوسع، أن يحتملوهم وأن يحترموا آراءهم، لكن هؤلاء تضيق صدورهم عن احتمال وجود من يختلفون معهم في الرأي من داخل مجتمعهم ومذهبهم!

التعدّدية في المجتمع الشيعي

وإذا كان المجتمع الشيعي في كلّ عصوره يعجّ بالتعددية والاختلاف في الرؤى العقدية والفقهية، فإنّ دواعي الاختلاف الفكري في هذا العصر أكثر. ومردّ ذلك إلى اتّساع رقعة العلم والمعرفة لدى الناس، فقد تضاعف عدد العلماء المجتهدين في هذا العصر، على نحوٍ لا يقارن بعددهم في العصور الماضية، وتضاعف عدد الحوزات العلمية، واتسعت رقعة المثقفين والمفكرين، فضلًا عن تزايد نسبة الاهتمام بالثقافة والفكر والمعرفة على المستوى الاجتماعي، ناهيك عن حالة الانفتاح الهائل على التطور العلمي والثقافي، ومواجهة مختلف التحدّيات في العصر الراهن.

إنّ من الضروريّ تأكيد جملة أمور مهمّة:

أوّلًا: ضرورة الاعتراف بمشروعية الاختلاف والتعدّدية والرأي الآخر. إنّ من المهم جدًّا الإقرار بحقّ الجميع في تبنّي واعتناق الرأي الذي يوصله إليه اجتهاده، فقيهًا كان أو باحثًا أو مفكّرًا، ويبقى حقّ الفريق المقابل في تبنّي الرأي المغاير الذي يبلغه اجتهادهم. وليس هناك أيّ مسوّغ أن يعطي البعض الحقّ المطلق لفريقه في تبنّي الاجتهادات والآراء التي يقتنع بها، فيما يصادر حقّ الفريق الآخر في تبنّي الاجتهادات والآراء المغايرة!

وماذا يعني أن يتّجه طرف لتلقّي آرائه من فقيه معيّن، فيما يأبى على الآخرين أخذ آرائهم عن فقيه آخر؟! إذ لا يملك طرف مهما كان، حقّ الوصاية على المذهب، ولا يحقّ لأحدٍ تحجيم المنظومة الفكرية والعقدية كاملة في رأيه فقط، فيما تنهال مختلف التهم والتشكيكات على كلّ من يختلف معه في الرأي، فهذا بزعمه خارج عن المذهب، وذاك مائع أو ناقص الولاء لأهل البيت.. وغير ذلك من الافتراءات!. من جعل أمثال هؤلاء أوصياء على مذهب أهل البيت؟ ومن خولهم احتكار تفسير المعتقدات والآراء والفكر داخل المذهب؟!

إنّ من حقّ أيّ أحدٍ أن يطرح آراءه المغايرة لأيّ فريق، شريطة التزام الحوار الموضوعي، وتوخّي السُّبل العلمية، والاستدلالات المنطقية، فلا أحدَ له حقّ تكميم أفواه أهل الرأي عن طرح آرائهم واجتهاداتهم، فذلك خلاف تعاليم القرآن حتى مع أتباع الديانات الأخرى، فقد قال سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، وجاء في آية ثالثة: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾. إنّ مناقشة وتبيان نقاط الضعف عند الآراء المقابلة والمغايرة يُعَدّ إثراءً معرفيًّا يشكر عليه فاعله، فهذا ما ينضج العلوم، ويبلور المعارف، ويثري حركة الاجتهاد، ولا أحدَ يدعو لالتزام الصمت أمام الآراء والاجتهادات الأخرى، بل المطلوب طرح الرأي ووجهات النظر، والمنافحة عنها بالدليل العلمي، تمامًا كما يحقّ للآخرين طرح أدلتهم.

ولعلّ أهم النقاط في هذا الصّدد التزام الأخلاقيات الدينية، والنأي عن الاتهام والتشكيك في الطرف الآخر. فطرح وجهات النظر والدفاع عن الرأي حقّ مطلق للجميع، لكن حقّ الدفاع عن الرأي لا يعطي لأيِّ طرفٍ الحقّ في التشكيك في الآخرين، وكيل الاتّهامات لهم، من قبيل القول أنّ هذا الطرف خارج على المذهب، أو ذاك الطرف خارج عن الدّين! لأنه يختلف معه في الراي!، أنه لا يجوز التشكيك في نيّات الآخرين!، فكثيرًا ما تجد هناك من يرمي الآخرين بالتهم، استنادًا إلى تفسير تعسّفي لنيّاتهم، لا أقوالهم وأفعالهم!، وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: «هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ»[1]. إنّ الانجرار خلف أساليب التشكيك في نيّات الآخرين، ربما أعطى الفريق الآخر الحقّ في التشكيك في نيّاتك أنت أيضًا!

اختلاف الرأي لا يعني القطيعة

ثانيًا: ومما ينبغي تأكيده هنا، أهميّة وضرورة التواصل والتعاون في تحقيق المصالح العامة. أن يكون مجتمع المؤمنين، مجتمعًا متماسكًا، متعاونًا، يسوده احترام

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان/ ٤١ ـ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله/ حديث ٩٦.

الرأي الآخر، وحفظ حقوق الإيمان فيما بينهم، ويبقى اختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية، كما يقول الشّاعر.

وقد ورد عن الإمام الصادق قوله عليه السلام: «ما أنتم والبراءة، يبرأ بعضكم من بعض، إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض وهي الدرجات»[١]، فالإمام عليه السلام يحثّ مجتمع المؤمنين على قبول حالة التفاوت في الرأي والمستوى، فإذا ما وجد طرف نفسه صاحب رأي متقدّم في جانب، فلا يحقّ له أن يسقط الآخرين أو يتبرأ منهم لمجرّد اختلافهم معه!، فليس من اللائق التبرؤ من مسلم شيعي موالٍ لأهل البيت، وموافق لك في كلّ الآراء والعقائد، باستثناء بعض التفاصيل هنا أو هناك، فأيّ دينٍ وأيّ أخلاق هذه التي تدعوك لأن لا تزور أخاك ولا تجتمع معه في مجلس ولا تواسيه في أفراحه وأتراحه؛ لأنه يخالفك الرأي في مسألة هنا أو هناك؟

وجاء عن أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام: «إننا كنّا جلوسًا عنده عليه السلام فتذاكرنا أحدًا من أصحابه، فقال بعضنا، ذلك ضعيف ـ يعني أنّ دينه وعقيدته ضعيفة ـ، فرفض الإمام عليه السلام قولهم هذا، وقال: «إنّ كان لا يقبل ممن دونكم حتى يكون مثلكم، لم يقبل منكم حتى تكونوا مثلنا»[٢]، فالإمام هنا يشير لأصحابه الذين عابوا على شخص ضعف دينه لقلة ما وصله من علم، بأنه قد يعاب عليهم ضعف دينهم لقلّة ما وصلهم هم أيضًا قياسًا على علم الأئمة، ولذلك يُشدّد الإمام عليه السلام على أصحابه بألّا يستضعفوا غيرهم، وألّا يُشكّكوا في أديان بعضهم بعضًا.

المؤمن لا يبرأ من أخيه المؤمن

كما جاء في الكافي عن يعقوب بن الضحاك عن رجل من أصحابنا سرّاج، وكان

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦ص١٦٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٦ ص١٧٤، ح٢٦.

خادمًا لأبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام قال: «جرى ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك، إنا نبرأ منهم، إنّهم لا يقولون ما نقول، فقال الإمام عليه السلام: يتولّونا ولا يقولون ما تقولون، تبرأون منهم، قال: قلت نعم، فقال الإمام عليه السلام: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم، قال قلت لا ـ جُعلتُ فداك ـ، قال: وهو ذا، عند الله ما ليس عندنا، أفتراه اطّرحنا، قلت: لا والله، جعلت فداك، إذًا ما نفعل؟، قال عليه السلام: فتولّوهم ولا تبرأوا منهم»[1].

فالإمام يشدّد على أن لا حقّ لأحدٍ في أن يتبرأ من مؤمن، لأنه اختلف معه في رأيٍ ما. وجاء في تعليق الشيخ المجلسي على هذه الرواية قوله: إنّ قول الفريق الأول («إنهم لا يقولون ما نقول» أي من مراتب فضائل الأئمة عليهم السلام وكمالاتهم ومراتب معرفة الله تعالى، ودقائق مسائل القضاء والقدر، وأمثال ذلك مما يختلف تكاليف العباد فيها، بحسب أفهامهم واستعداداتهم)[2]، فالشيخ المجلسي ينظر إلى هذه الاختلافات باعتبارها اختلافات عقدية، لكنه يرى في الوقت عينه أنّ هذه الاختلافات تخضع لفهم كلّ شخص واستعداداته، ولا تستدعي براءة الناس من بعضهم بعضًا.

وفي رواية عن عمّار بن أبي الأحوص قال: قلت لأبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ عندنا أقوامًا يقولون بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويفضّلونه على الناس كلّهم، وليس يصفون ما نصف من فضلكم، أنتولّاهم؟ فقال لي: نعم في الجملة، أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ولرسول الله صلى الله عليه وآله من عند الله ما ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم، وعندكم ما ليس عند غيركم»[3]. ومفاد ذلك، ضرورة موالاة كلّ من نتفق معهم في أساسيات ومبادئ الدين، وفي أصول المذهب، ولا ينبغي لحالة الاختلاف في التفاصيل والجزئيات أن تمزّق الصف الشيعي.

---

(١) الكافي، ج٢ ص٤٣.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، الشيخ المجلسي، ج٧، ص٢٧٥.

(٣) بحار الأنوار، ج٦٦ ص١٦٩، ح١١.

من هنا، فإنّ الخطاب الديني في مجتمعنا مطالب بأن يحمل رسالة أهل البيت، التي تشدّد على التماسك والتواصل الاجتماعيّ. وعلى كلّ مؤمن واعٍ أن يرفض إثارة التشنّج في العلاقات الداخلية وسط مجتمع المؤمنين، وألّا يقبل بذلك من أيّ جهة كان، فلا يجوز إثارة التشنجات الداخلية بين المؤمنين بسبب الاختلاف في مسائل جزئية فرعية، هذه الرسالة التي ينبغي لكلّ واعٍ أن يحملها.

وينبغي للخطاب الدينيّ في المجتمع الشيعي أن يوصل هذه الرسالة الأخلاقية لشيعة أهل البيت، وأن ينأى الجميع عن تعبئة الأتباع ضدّ آراء الآخرين، والحرص على الوحدة الاجتماعية، ذلك أنّ الخطاب التعبوي، وادّعاء الحقّ المطلق، ومهاجمة أصحاب الآراء الأخرى، ووصمهم بالأمويين والكفار والناصبيين، جميع ذلك لا يمتّ بصلة للدّين ولا لأهل البيت، ولا منطق العقلاء الذين تهمّهم مصلحة مجتمعهم، بل هو أمرٌ مؤذٍ لأهل البيت وممزّق لصفوف المؤمنين.

الخطبة الثانية

٧

شبابنا بين التطرّف والضّياع

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [سورة مريم، الآيتان: ٥٩و٦٠].

يواجه الجيل الشاب في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تحدّيات خطيرة، تجعله على مفترق طرق، إما باتجاه المشاركة في بناء مستقبل وطنه وأمته، أو الوقوع في نفق الضياع والفوضى والإضطراب. ويأتي على رأس هذه التحدّيات؛ التحدّي القيمي والأخلاقي، ومردّ هذا التحدّي يعود إلى غياب الطرح المقنع والمناسب للقيم الدينية الموروثة في مجتمعاتنا الإسلامية، التي تأخذ طريقها نحو الشباب عبر التنشئة أو من خلال المنابر الدينية، فهي غالبًا لا تعرض بطريقة تتناسب ومستويات هؤلاء الشباب، الذين يعيشون عصر التقدم العلمي والمعرفي، وتطور وسائل الاتّصال، بينما لا تزال القيم الدينية تطرح أمام الشباب بصورة تقليدية، ربما كانت تتناسب مع الشباب في العصور الماضية، لكن هذا الطرح بات متقادمًا وغير مقنع، بحيث لم يعد يجتذب الشباب. وذلك ما جعل القيم الدينية والأخلاقية عسيرة على الهضم لدى الشباب؛ نظرًا لغياب الطرح المناسب.

في مقابل ذلك، يعيش الشّباب حالة من الانفتاح الهائل، يضع بين أيديهم ألوانًا من الثقافات والأفكار والتوجّهات، التي تحرّك عندهم شتى الحالات العاطفية

والانفعالية.. من هنا يبرز هذا التحدّي الأخطر أمامهم، وهنا تحديدًا نستحضر الحديث المرويّ عن النبيّ الأكرم ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»[1].

التحدّي الاجتماعيّ والسّياسيّ

ويبرز التحدّي الاجتماعيّ في المرتبة الثانية أمام شبابنا في هذا العصر. ويتمثل في القلق على المستقبل، قلق الحصول على فرص الدراسة المناسبة لتطلعاته، وضمان الوظيفة التي تلبّي احتياجاته، وتحقّق له سبل العيش الكريم، والزّواج وتكوين الأسرة، خصوصًا في ظلّ الظروف الصعبة، والتقاليد الاجتماعية المرهقة، والأهمّ من ذلك كيف يحقق الشّاب ذاته وكرامته في مجتمع قد لا يتيح له التعبير عن ذاته بوضوح؟ هذه تحدّيات اجتماعية ماثلة أمام أبناء هذا الجيل.

وفي المرتبة الثالثة يأتي التحدّي السّياسي أمام الشباب. فأبناء هذا الجيل من مجتمعاتنا، يرون نظراءهم الشّباب في المجتمعات الأخرى، كيف يشاركون فور بلوغهم سنّ الثامنة عشرة، في انتخاب رؤساء بلدانهم، واختيار ممثليهم في البرلمان، وفي وضع الأنظمة والقوانين لإدارة شؤونهم المحلية والبلدية، ويملكون حرية التعبير عن آرائهم عبر وسائل الإعلام، كلّ ذلك يراقبه شبابنا، فيما يرون أنفسهم لا رأي ولا مشاركة لهم.

إنّ هذه التحدّيات القيمية والاجتماعية والسياسية، تجعل الشباب في مجتمعاتنا أمام مفترق طرق. وإذا ما فشلت مجتمعاتنا في معالجة هذه التحدّيات، فالنتيجة الحتمية لذلك هي ضياع هؤلاء الشباب، وهنا تأتي الآية الكريمة ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، ونحن بأجمعنا نتحمّل المسؤولية أمام الله تعالى، وأمام التاريخ، عن ضياع هذه الأجيال الشّابة من مجتمعاتنا.

---

(١) سنن الترمذي، ج٣، ص٢٦١، ح٢٢٦٠.

منزلقات الضّياع والإجرام

إنّ مجاميع من شبابنا باتت فريسة لمخاطر كبيرة، ومنزلقات عديدة، نتيجة الفشل في تجاوز التحدّيات القائمة. ومن تلك المنزلقات، الوقوع في براثن اللامبالاة والضياع، والتمرّد على القيم والأعراف والتقاليد الاجتماعية، ولعلّ إطلالة سريعة على ما تنشره الصحف اليومية المحلية، تكشف إلى أيٍّ مدى باتت تتفشى الجريمة في مجتمعاتنا، علمًا بأنّ النزر اليسير من تلك الجرائم هو ما يأخذ طريقه للنشر، وهذا بالذات ما يبعث القلق على مستقبل هذا الجيل. فقد نسبت صحيفة الشرق السعودية قبل أيام إلى عضو برنامج الأمان الأسري، القانوني سعد الوهيبي قوله ضمن ورشة عمل على هامش المؤتمر الإقليمي لخطّ مساندة الطفل في المملكة الذي أقامته جامعة الملك سعود للعلوم الصحية تحت إشراف وزارة الحرس الوطني، بأنّ هناك ١٢٦٠ عصابة إجرامية على مستوى المملكة، جلّ أعضائها من الأطفال والمراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٨ سنة!، وأوضح الوهيبي بأنّ الجرائم التي تورّطت فيها هذه العصابات تراوحت بين القتل والسّلب والاعتداء على الأعراض ودخول المنازل، مشيرًا إلى أنّ أقلّ عصابة من هذه العصابات لا يقلّ تشكيلها عن أربعة أفراد، وأوضح أنّ ذلك ما تمّ الكشف عنه من قبل الجهات المختصة حتى الآن، مضيفًا القول ربما «ما خفي كان أعظم»[١].

إنّ من المؤسف حقًّا أن ذلك يجري في بلد شعاره الحكم بالكتاب والسنة، بلد الحرمين الشريفين، ومهبط الوحي، البلد الذي لا يكاد يوجد بلد آخر في العالم يضاهيه في عدد البرامج والأنشطة والفعاليات والخطب الدينية.

فخّ التطرّف والإرهاب

أمّا المنزلق الآخر الذي وقع فيه الشباب نتيجة الفشل في معالجة التحدّيات القيمية

(١) نشرت هذه المادة في صحيفة الشرق المطبوعة العدد رقم (٧٤٥) صفحة (٩) بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠١٣م.

والاجتماعية والسياسية فهو منزلق التطرف الديني. وهذا المنزلق الأخطر هو في جوهره ردّ فعل وانتقام إزاء فشل المعالجة للتحدّيات الآنفة من جهة، إضافة إلى توفر أرضية التشدّد وثقافة التطرّف من جهة أخرى، حتى قاد ذلك إلى أن تصبح شريحة من شباب المملكة والخليج وقودًا لحركات التطرف والعنف والإرهاب على مستوى العالم.

إنّ جانبًا مهمًّا من الثقافة الدينية المتشدّدة متجذّر بشكل أساس ضمن مناهج التعليم والمنابر الدينية. فالمناهج الدينية درجت على تربية الطلاب على بغض ومعاداة الآخرين ضمن عقيدة الولاء والبراء، فالمخالف في الدين أو المذهب، والمخالف في الرأي والموقف، كلّ هؤلاء كفرة مشركون، ومبتدعة وأهل ضلال، ومستحقون للمقاطعة وفقًا لمناهجنا الدينية. وقد ظلّت هذه التلقينات قائمة في المناهج حتى بعد إجراء تحسينات عليها في السّنوات الأخيرة. والأكثر من ذلك ما نجده في سيل الفتاوى التكفيرية، وفتاوى الطعن والاتهام للمغايرين مذهبيًّا في أديانهم وآرائهم. ولعلّ ما يواجهه الزائرون من أتباع المذاهب الإسلامية الذين يأتون لزيارة مسجد رسول الله ﷺ وزيارة أئمة البقيع وقبور الصحابة وأمّهات المؤمنين، في المدينة المنورة خير مثال، حيث تنهال عليهم التّهم بالكفر والشرك والبدعة والضلال عبر مكبّرات الصوت!. وهذه بالذات الثقافة التي تصنع أرضية التطرّف والتشدّد.

ولقد ساهم ظهور الحركات المتطرفة في تسعير حالة التشدّد الديني، واستقطاب الشباب. وساعدت الصّراعات السياسية في المنطقة في تجيير واستغلال الحركات المتطرفة، ومن ثم استقطاب الشباب المعبأ طائفيًّا باسم الدين والجهاد في سبيل الله، فيقذفون بهم في لهوات المعارك يمينًا وشمالًا، هذه المعارك التي تستهدف في الغالب الناس الأبرياء في المجتمعات الإسلامية وغيرها.

وقد تورط الشّباب السعوديون في مختلف النزاعات المستعرة في المنطقة والعالم، في أفغانستان والعراق وسوريا ولبنان وليبيا واليمن. وقد تابع الجميع مؤخّرًا

الهجوم على المستشفى العسكري في صنعاء، الذي كان على رأس المهاجمين فيه شبّان سعوديون، وراح ضحيته العشرات من الأطباء والمسعفين والمرضى، فقد قتل ٥٦ شخصًا وأصيب ٢١٥ آخرين وفقًا لحصيلة رسمية[1].

وفي إحصائية رسمية تبيّن أنّ هناك ٣٠٠ انتحاري سعودي فجّروا أنفسهم في العراق خلال العشر سنوات التي تلت سقوط النظام السابق[2]، ولنا أن نتصور كم من الأبرياء سقطوا على أيدي هؤلاء الانتحاريين، دونما سبّب أو مبرّر!. ورأينا أيضًا كيف تورط شباب سعوديون في المواجهات التي جرت مع الجيش اللبناني في مخيّم نهر البارد، حيث قتل منهم عشرة وأوقف ١١ آخرون، وقد تراوحت أعمارهم بين العشرين والثلاثين وفقًا لصحيفة عكاظ السعودية في عدد الرابع من نوفمبر ٢٠٠٧. ويبقى السؤال ماثلًا، حول سبب انزلاق الشباب السعودي نحو اللامبالاة والإجرام تارة والتطرف الديني والإرهاب وقودًا للحركات الإرهابية تارة أخرى.

ولعلّ التطور اللافت هو أن هؤلاء الشباب بلغوا حدًّا من التطرف بحيث يتناحرون فيما بينهم ويقتلون بعضهم بعضًا! فقد باتت عناصر المجاميع الإرهابية التي تعجّ بالسعوديين في سوريا، من داعش والنصرة، وسائر المجموعات الأخرى، بدأوا يتناحرون فيما بينهم وفقًا لتقارير إعلامية كثيرة، وقد أوردت قناة العربية تقريرًا مفصّلًا حول أعمال الاعتقال والتعذيب والإعدامات في أوساط المخالفين للتنظيم من الفصائل الأخرى، فضاع الشباب السعوديون وسط هذه المتاهة!. والأكثر فظاعة هو تورّط هؤلاء الشباب في استهداف الأبرياء، ومن ذلك ارتكاب التفجيرات الدموية وسط زوّار الإمام الحسين في العراق، فأيّ قلبٍ وأيّ عقلٍ وأيّ دينٍ يحضّ على هذه

---

(١) أوردت وكالة الأنباء اليمنية «سبأ»، إنه وفي تمام الساعة التاسعة من صباح اليوم الخميس (٢ صفر ١٤٣٥هـ/ ٥ ديسمبر ٢٠١٣م) قامت مجموعة إرهابية بالهجوم على مستشفى العرضي بمجمع الدفاع.

(٢) جريدة الشرق السعودية، الصادرة بتاريخ ٥ نوفمبر٢٠١٣م، العدد رقم (٧٠٢).

النزعة التي تدفع بهذا الإنسان إلى أن يطلق النار، أو يُفجّر نفسه وسط النساء والأطفال الأبرياء، في المطاعم والمضائف والاستراحات، فتختلط أشلاؤهم ودماؤمهم بالطعام والشّراب والتراب دونما مبرّر أو سبب!.

وقد فجع مجتمعنا في القطيف مؤخرًا بمقتل الطفلة البريئة تقى ماجد الجشّي، رحمها الله، بإطلاق النار من قبل إحدى المجموعات الإرهابية في العراق، فيما لا تزال والدتها تتلقى العلاج في المستشفى[1]، وكلّ ذنب هذه العائلة أنها كانت ضمن حشدٍ من الزّوار في طريقهم لزيارة مشاهد الأئمة في سامراء، فبأيّ ذنبٍ وتحت أيّ مبرّرٍ تقتل هذه الطفلة ذات الخمس أو الستّ سنوات وتصاب والدتها وسط حالة من الخوف والرعب؟ نسأل الله أن يتقبل من مجتمعنا هذه الشهيدة بقبول حسن وأنْ يُلهم ذويها الصبر والسلوان.

وينبغي أن يتحمّل كلٌّ منا المسؤولية كاملة، من حكومات وشعوب ومجتمعات، في حماية شبابنا، وعدم تركهم يواجهون تحدّيات الحياة على النحو القائم اليوم، حتى لا ينزلقوا نحو هذه المنزلقات الخطرة، وذلك من خلال التعاون والتضامن بين مختلف الجهات والأطراف لوضع حدٍّ لحالة الانزلاق التي تواجههم.

---

(١) وقعت الحادثة والعائلة متجهة إلى بغداد، عائدين من مدينة سامرّاء، يوم الثلاثاء ١٧ ديسمبر، راجع صحيفة الشرق العدد رقم (٧٤٥) بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠١٣م.



التضجّر والتذمّر مرضٌ فتاك

الخطبة الأولى

عن النبي ﷺ أنه قال: «يا علي! من استولى عليه الضّجر رحلت عنه الراحة»[1].

النفس عرضة للإصابة بالمرض، تمامًا كما يتعرض الجسم للأمراض. بل إن بعض أمراض النفس أشدّ خطرًا على الإنسان من كثير من أمراض الجسم. ومن تلك الأمراض التي تصيب النفس، مرض التضجر والتذمر. والضجر في معناه اللغوي هو القلق والشعور بالغمّ بسبب ضيق النفس، وعادة ما تعتري الإنسان حالة الضيق نتيجة مواجهته مشكلة من نوع ما. وقد درج العرب على وصف المكان الضيق، بالمكان الضجر. إنّ من الطبيعي أن يواجه الإنسان في حياته بعض المشاكل المزعجة، لكن لا ينبغي للإنسان أن يستجيب لهذه الحالات بالتضجر والتبرم والتذمر، بحيث يبقى أسير هذه الحالة، فحين يسمح الإنسان باستيلاء هذه الحالة على نفسه، فقد تصبح عادة عنده، والأسوأ من ذلك أن تتحول إلى مرض مزمن لديه، فيصاب حينها بالضجر نتيجة أبسط المواقف التي لا تستحق أن يتضجر منها الإنسان، أو يبدي التذمر تجاهها.

تنمية حال الضجر

إنّ هناك من الناس من يرعى وينّمي حالة الضجر في نفسه!. فترى الواحد من هؤلاء بالغ التضجر والانزعاج والتشكي والتذمر، وهذه حالة تكاد تكون شائعة عند

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٤ ص ٧٨.

كثير من الناس تجاه تصرفات الأطفال مثلًا، فمن طبيعة الطفل البكاء والصراخ، واللعب والعبث بكل ما حوله، غير أنّ بعض الآباء لا يتحملون من أطفالهم هذه الحالة، فتجدهم شديدي التضجر منها، وهذا ما يقودهم إلى التوتر، ويدفعهم إلى إبداء القسوة تجاه أطفالهم أحيانًا. والحال أن هذه حالة طبيعية عند الأطفال، ولا ينبغي أن تضيق نفوسنا بها، حتى إنّ هناك نصوصًا دينية تشير إلى أن بكاء الأطفال هو نوع من الدعاء والاستغفار للوالدين، وبذلك يثيب الله سبحانه وتعالى الوالدين بالمغفرة والثواب الجزيل نظير تحمّلهما وصبرهما على أطفالهما.

وقد تنسحب حالة التوتر والضجر هذه حتى إزاء أبسط المواقف اليومية، عند إشارة المرور مثلًا، ومع تأخر انطلاق السيارة التي أمامنا عند اشتعال الإشارة الخضراء!.

وهكذا ينسحب الأمر على مواقف عديدة من قبيل طول الانتظار للعائلة مثلًا، أو لوجبة طعام من مطعم، فترى الواحد من هؤلاء يغلي في داخله من شدة الضجر. وهذا بالضبط هو ما نصفه بتنمية حالة الضجر في النفوس.

سلبيات وأضرار

حقيقة الأمر، أنّ هناك أخطارًا ومضاعفات مرضية لنمو حالة الضجر والتذمّر عند الإنسان.

١. ومن أبرز تلك المضاعفات إيذاء النفس، لذلك جاء في وصية النبي الأكرم ﷺ لعليّ عليه السلام: «يا عليّ، من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة»، فاستيلاء الضجر هو أمر مساوٍ تماما لذهاب الراحة بحسب الوصية النبوية.

إنّ قضايا الحياة ليست دائمًا طوع يدي الإنسان، وبذلك لا يستحق الأمر أن يؤذي الإنسان نفسه ويحرق أعصابه، ويعيش التشنج والتوتر. ومما يشار إليه في هذا السياق ظهور دراسة علمية عام ٢٠١٠ أثبت من خلالها الباحثون أن أولئك الذين يشعرون بالضجر والضيق باستمرار، هم أكثر عرضة للوفاة بنسبة الضعف، قياسًا على الآخرين

الذين يتحلّون بالهدوء وبرودة الأعصاب في التعامل مع مختلف المواقف، وأكدت الدراسة التي أجريت على سبعة آلاف حالة واستغرقت ٢٥ عامًا، أن معظم الذين يعانون من الملل والضجر والضيق كانت أعمارهم أقصر وحالتهم الصحية أسوأ، سيما لناحية الإصابة بأمراض القلب[١].

٢. ومن مضاعفات حالة الضجر، حرمان الإنسان من لذة الاستمتاع بالحياة. فالإنسان المتضجر دائمًا لا يستمتع بحياته، فهو باستمرار يشعر بالأذى والضيق والألم، ومثل هذه الحالة تجعل من مجرد الخروج القصير للاستمتاع مع العائلة عند البعض سببًا إضافيًّا للانزعاج والضيق، نتيجة استيلاء حالة الضجر عليه لأسباب مختلفة، ربما بسبب الانتظار القصير عند إشارة المرور، أو محطة الوقود، أو المطعم!، وينسحب الأمر على بعض المسافرين المتضجرين أيضًا، علمًا بأن غاية سفرهم من حيث الأصل كانت بغرض الاستمتاع!، فإذا بهم يحرقون أعصابهم وأعصاب من حولهم، من هنا يفقد أمثال هؤلاء المتذمّرون حالة الاستمتاع بمباهج الحياة.

ويحضرني في هذا الصدد ما رأيته من أحد الاخوان، وقد كان غارقًا في المشاغل المتعلقة بتعمير منزله الجديد، بشكل جعله يعدّد مختلف المصاعب التي تواجهه مع البناء، بدءًا من مشاكله مع مقاول البناء، وليس انتهاءً بأسعار مواد البناء، والحال أن هذا الأخ كان يفترض به التحمل، بل الاستمتاع بما رزقه الله ومكنه من امتلاك أرض، والشروع في بناء منزل، سيمّا وأن تلك المشاكل التي يسردها هي في أغلبها أمور طبيعية جدًّا، ولا تستحقّ أن يُتلف الإنسان أعصابه بسببها!.

والغريب أن كثيرًا من الناس يفسدون على أنفسهم فرص الاستمتاع بمختلف شؤون حياتهم ومناسباتهم، نتيجة انفلات اعصابهم واستيلاء حالة التذمر والضجر

---

(١) http://www.telegraph.co.uk/health/healthnews/7187812/You-really-can-be-bored-to-death-study-shows.html

عليهم. ومما يروى عن الإمام الرضا ﴿ع﴾ أنه قال: «قال أبي لبعض ولده، إيّاك والكسل والضّجر، فإنهما يمنعانك من حظّك في الدنيا والآخرة»[١].

٣. أما ثالث مضاعفات التضجر، فهي تثبيط الإنسان عن الحركة والإنجاز. فالمبتلى بحالة التذمّر والضجر يشعر بالرهبة باستمرار من خوض التجارب والأعمال، وبذلك تصبح حالة التضجر عنده سببًا لتقليل فاعليته. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إيّاك وخصلتين: الضّجر والكسل، فإنك إنْ ضجرت لم تصبر على حقّ، وإن كسلت لم تؤدِّ حقًّا»[٢].

٤. وأخيرًا، فإنّ حالة التضجر غالبًا ما تدفع الإنسان لاتخاذ مواقف وردود أفعال سيئة تجاه الآخرين. وبذلك تكون تداعيات هذا الأمر أكثر سوءًا وسلبية.

مشروع المعالجة والخلاص

ولعلّ أول سبل العلاج لحالة التضجر والتذمّر عند الإنسان هو التحلي بالنظرة الواقعية للأمور. فمن الضروري أن يجري المرء التقدير الصحيح لمختلف المواقف، كلٌّ بقدره، فلكلّ مسألة أو قضية امتداداتها الطبيعية ومشاكلها المتوقعة، ويؤدي إدراك هذه البدهية للدخول في مختلف الأعمال مع الإدراك المسبق لطبيعة المشاكل المحيطة بالأمر، سواءً ارتبط ذلك بالدخول في مشروع كبير، أو مواجهة التزام صغير، أو حتى مجرّد مراجعة لإدارة حكومية.

إنّ التقدير المسبق، والفهم الواقعي للأمور، يجعل المرء، بطبيعة الحال، أكثر تقبّلًا ومرونة في التعاطي مع المشاكل المحيطة.

وعلى النقيض من ذلك إذا رسم الإنسان أبراجًا من الأوهام النرجسية، إزاء مختلف الأمور المزمع خوضها، فهو بذلك يقدم على الارتطام بعقبات وحواجز لم تكن في

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦ ص٢٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٤ ص٣٥٥.

حسبانه، عندها سيكون هو الملام نتيجة سوء التقدير عنده!. إنّ النظر للأمور بواقعية يساعد الإنسان على تجاوز حالة الضجر.

والأمر الثاني من سُبُل العلاج لحالة التضجر والتذمر يتمثل في تنمية حالة التحمل عند مواجهة مختلف الظروف. فمن المطلوب باستمرار أن يدرّب الإنسان نفسه ويُعوّدها التحمل والصبر، في مختلف الظروف، وهناك في هذا الصدد جملة من النصوص الدينية التي تأمر الإنسان بالتصبّر والتحلّم، فقد ورد عن أمير المؤمنين ﷺ قوله: «إنْ لم تكن حليمًا فتحلّم، فإنه قلّ من تشبّه بقوم إلّا أوشك أن يكون منهم»[١]، وهذه إشارة إلى إمكانية أن يُغيّر الإنسان طبيعته من خلال المران والتدرّب، بخلاف ما يدّعيه الكثيرون الذين يُبرّرون انفلات أعصابهم، بأنّ هذه هي طبيعتهم!. فالمطلوب أن يتحمّل الإنسان، وأن يُدرّب نفسه، وينمّي في ذاته طبيعة التحمّل، حتى ينأى بنفسه عن حالة التضجر والتذمر الدائمة.

والأمر الأخير، من سبل العلاج لحالة التضجر والتذمّر، هو إيجاد البرامج البديلة والمساعدة. ومن ذلك ما درج عليه الناس في مجتمعات كثيرة، من حمل الكتب معهم لتمضية أوقاتهم عند لحظات الانتظار، سواء كان ذلك في انتظار الدخول على الطبيب، أو في انتظار الدور في محلّ الحلاقة، أو في انتظار خروج العائلة، فكلّ هذه الظروف متوقعة، لذلك كان من المناسب أن يحسب الإنسان لها حسابًا، ويعدّ لنفسه بديلًا يصرف عنه الملل والضجر في لحظات الانتظار تلك، وقد وفرت الأجهزة الإلكترونية الحديثة كالآيباد والجوال وغيره إمكانات واسعة لتمضية الوقت فيما هو مفيد. وفي هذا السياق ثمة روايات كثيرة تأمر بالانشغال بذكر الله سبحانه وتعالى في لحظات الفراغ، وذلك إدراكًا للشارع المقدّس لخطورة الإصابة بحالة التضجر والتذمر على نفس الإنسان. من هنا، كان لزامًا أن يضع الإنسان لنفسه برامج بديلة مفيدة تساعده على امتصاص حالة التضجر التي ربما نكدت عليه حياته.

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٢٠٧.

٧

الطوائف الدينية والاحترام المتبادل

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصية لولده الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ»[1].

إنّ مبدأ حفظ الكرامة وحماية المشاعر هو أمر حاكم على صعيد الأفراد كما الجماعات والطوائف. فالأديان إجمالًا هي نزعة وجدانية عند جميع البشر، الذين قادهم وجدانهم وتفكيرهم، إلى اعتناق عقيدة أو مبدأ يربطهم بقدرة غيبية من خارج عالمهم المادي المحسوس، وذلك من خلال البحث في الأسئلة الكبرى حول سرّ الخلق والوجود، ودواعيه ومبرراته ومن ثم واجباتهم تجاه الخالق، وصولًا إلى مآلات الخلق، وتتحول مجموع الإجابات عن هذه الأسئلة إلى ما يمكن أن يطلق عليه دين عند كلّ جماعة من الجماعات. بطبيعة الحال، هناك الدين الحقّ وهو الإسلام كما نعتقد نحن المسلمون، إلّا أنّ هناك في العالم ما لا يُحصى من الأديان والمذاهب

---

(١) نهج البلاغة، الكتب والرسائل، رقم (٣١) ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

والطوائف الدينية، وكلّ طائفة من هذه الطوائف لديها اعتقاد راسخ بأنها على الدين والمذهب الحقّ. من هنا يأتي السؤال عن كيفية التعامل بين هذه الطوائف الدينية؟

لعلّ من أبرز المشكلات التي تواجه الأفراد والجماعات على حدٍّ سواء، هو الانسياق خلف تبرير العدوان الذي يرتكبونه بحقّ الآخرين. فالبعض يدّعي لنفسه التميز، ويعطي لنفسه الحقّ في الإساءة للآخرين تعسّفًا، إلّا أنه يرفض في الوقت عينه أن يتصرّف الآخرون معه على ذات المنوال، وهذا ما يُعدّ دلالة الجهل، وغياب الإنصاف، فالإنسان العاقل، ينبغي أن يعرف أن عليه أن يحفظ حقوق الآخرين حتى يحفظ الآخرون حقوقه، فالاعتداء على الغير سيعطي المعتدى عليه الحقّ في ردّ الاعتداء، وهذا أمر مشروع؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٤].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»[1]، ذلك لأنّ طبيعة التشاتم بين الأفراد تقود إلى النيل من آباء وأسلاف بعضهم بعضًا، وبهذا يقدّم التوجيه النبوي سبيلًا نموذجيًّا لكيفية حفظ وحماية الإنسان لمشاعره وكرامته الشخصية، من خلال حماية كرامة الآخرين ومشاعرهم.

أحقّية المعتقد لا تبرّر العدوان

إنّ من الخطأ الفادح أن يقود اعتقاد جماعة ما بحقانية العقيدة الخاصة بهم وبطلان عقائد الآخرين، إلى العدوان وممارسة الإكراه الديني بحقّ الناس. فهذه النزعة الخاطئة لدى البعض في ادّعاء الحقّ المطلق، تدفعهم لممارسة الإكراه وفرض العقيدة الخاصة بهم فرضًا على الآخرين، وذلك بخلاف التعليمات الإلهية في نبذ الإكراه الديني حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦]، ويقول

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسبّ الرجل والديه، حديث ٥٩٧٣.

سبحانه في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٩٩] وهذا ما يُقرّر عدم جواز فرض الدين والمعتقد على الآخرين.

إلا أنّ هناك مع ذلك مشكلة أخرى تتفرع عن النزعة والشعور بالحقانية الدينية المطلقة، وهي ما يمكن أن نصفها بمشكلة التسلّط على الآخرين طوائف واتجاهات، فأصحاب هذه النزعة التسلطية تذهب بهم بعيدًا في ممارسة التسلط، ومصادرة حقوق الآخرين، تحت عناوين الأحقيّة الدينية، والزعم بفساد عقائد الآخرين.

وبعد أن عاشت البشرية صراعًا دينيًّا مريرًا بين أتباع الأديان والمذاهب، على مدى القرون الماضية، بلغت البشرية في العصر الراهن حالة من النضج، تتمثل في المجتمعات المتقدمة. فقد آمنت هذه المجتمعات بالتعددية الدينية، وحرية المعتقد، فتجاوزت بذلك مشكلة النزاع الديني والطائفي.

المواطنة وثقافة التسامح

أما السبيل الذي انتهجته البلدان الحديثة، في تجاوز النزاع الديني والطائفي، فكان بانتهاج أمرين؛ أولهما: قيام دولة المواطنة، والثاني: إشاعة التسامح واحترام التعددية الدينية. فالحكومات الحديثة اعتمدت التعاطي مع الناس بصفتهم مواطنين فحسب، بغضّ النظر عن أديانهم، ومذاهبهم، ومعتقداتهم، أو أيّ اعتبارات أخرى، فالقاسم المشترك بين الجميع أنهم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات.

والأمر الثاني الذي وضع حدًّا لمشكلة النزاع الديني والطائفي، هي شيوع حالة التسامح الديني، واحترام التعددية، بدءًا من التنشئة العائلية، التي تربي الطفل على الإيمان بهذه المسألة، فلا يرى الطفل بعدها غضاضة في أن يؤمن بأيّ معتقد، وأن يكون جاره أو صديقه مؤمنًا بعقيدة مغايرة، وأنه في الوقت الذي يتربى على الإيمان بحقانية عقيدته، فإنه ينشأ على القبول بحقّ الآخر أيضًا في الإيمان ذاته والقناعة نفسها،

وعلى غرار ذلك تجري المناهج الدراسية في تربية وتعليم الطلاب على احترام آراء وقناعات الآخرين، وأنّ الناس أحرار في اختيار مذاهبهم وأديانهم.

وعلاوة على ما سبق يعمل الإعلام والثقافة الاجتماعية العامة على تعزيز هذا التوجه، فإذا ما برزت جماعة عنصرية تثير الكراهية بين أطياف المجتمع، فإنها سرعان ما تجابه بشدّة على كلّ المستويات القانونية والإعلامية والسياسية، لما لهذه النزعة من مخاطر على السِّلم الأهلي الاجتماعي. وعلى هذا النحو تجاوزت المجتمعات الحديثة النزاع الديني، وصار الناس يتعايشون على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، حتى إنّ الزائر للبلدان الحديثة يرى انتشار المعابد الخاصة بالديانات المختلفة في الحيّ السكنيّ الواحد، فلا غرابة في أن تجد مسجد المسلمين بجوار الكنيسة المسيحية، وبجوارهما الكنيس اليهودي أو المعبد الهندوسي، وكلٌّ يمارس عباداته وطقوسه على النحو الذي يراه.

التسامح منهج الإسلام

إنّ المسلمين هم أجدر الناس بالتسامح الديني؛ لأنّ الدين الإسلامي يربي أتباعه على احترام الآخرين، وحسن التعامل معهم، على اختلاف أديانهم وعقائدهم. وقد ورد في أوائل الآيات القرآنية التي نزلت على نبينا ﷺ من سورة الكافرون ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، وورد في آية أخرى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، فحفظ الكرامة وفقًا للآية الكريمة حقّ مطلق لجميع البشر على اختلاف ألوانهم وأديانهم، وجاء في آية ثالثة: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، وورد في آية رابعة ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[سورة الممتحنة، الآية: ٨]. إنّ جميع هذه الآيات المحكمة والواضحة، علاوة على سيرة النبي الأكرم ﷺ وسيرة الأئمة من أهل البيت والأولياء والصالحين، تؤكّد بمجموعها وجوب الاحترام المتبادل مع أتباع الديانات الأخرى، حتى مع الاعتقاد بأنّ

الإسلام هو الدين الحقّ، وأنّ الأديان الأخرى هي أديان باطلة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٨٥]، غير أنّ هذا الاعتقاد لا يبرّر بأيِّ حالٍ الإساءة والعدوان على حقوق الآخرين.

ثقافة تعصّبية بغيضة

ومن أسفٍ نقول، إنّ المسلمين باتوا اليوم ضحية لثقافة تعصّبية مقيتة انتشرت في أوساطهم، تقوم على الكراهية والحقد، وتدفع نحو العدوان على الآخرين المختلفين دينيًّا أو مذهبيًّا. فلا زالت أوطاننا وشعوبنا تدفع ثمنًا باهظًا لهذه الحالة غير السّوية، التي غالبًا ما تطفو على السطح في أوقات المناسبات التي تحتفل بها مختلف الطوائف الدينية، فلكلّ أتباع عقيدة شعائرهم وطقوسهم الدينية الخاصة، التي يحتفلون بها على طريقتهم، غير أنّ هذه الاحتفالات الخاصة عند الأمم والطوائف، لا تروق لبعض الفئات الدينية المتعصبة، فيقابلون هذه الاحتفالات بالغضب!، والسؤال الذي ينبغي أن يتوجّه لهذه الفئات المتعصبة، هو: ما شأنكم والآخرين؟ فهؤلاء الناس يحتفلون بما يعتقدون أنه النّسك الصحيح في عقيدتهم التي يتعبّدون الله بها، فما مبرّر غضب وانزعاج هؤلاء المتعصبين؟

سيّما وأن الله تعالى يقول: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[سورة الحج، الآية: ٦٧]، والمنسك هو طريقة العبادة، والتعاليم الرّبانية هنا واضحة وضوح الشمس، بالنأي تمامًا عن النزاع في أمر العبادة التي يتعبد بها الآخرون ربهم وخالقهم. ومن اللافت أنّ الله سبحانه وتعالى عندما يأتي على ذكر أماكن العبادة لدى الأديان الأخرى فإنه يذكر الأماكن تلك إلى جانب ذكر مساجد المسلمين، فقد ورد في الكريمة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّـهِ كَثِيرًا﴾[سورة الحج، الآية: ٤٠]، وقد نصّ معظم المفسرين على أنّ الضمير في كلمة «فيها» يعود على جميع

أماكن العبادة، وبعبارة أخرى، أنّ ذكر اسم الله كثيرًا، هو سمة لجميع أماكن العبادة، من صوامع وبيع وصلوات ومساجد، وليست سمة مقتصرة على المساجد فحسب. إلّا أنّه ومع وضوح هذا التوجيه القرآني البيِّن، إلّا أنّنا لا نزال نواجه شيوع التعصّب في أوساط المسلمين.

حقُّ ممارسة الشعائر الدينية

وباستعراض عام، نجد المسلمين الشيعة لديهم احتفالاتهم وشعائرهم الخاصة، سواء في عاشوراء، أو زيارة الأربعين وغيرها. ليس مهمًّا إنْ توافق معهم الآخرون في ذلك أو اختلفوا، فحقّ الاختلاف مكفول، لكن ذلك لا يعني بأيّ حالٍ أن يعطيَ أيّ طرف لنفسه حقّ ارتكاب العدوان تجاه الشيعة، كما لا يحقّ لأيِّ طرف تعبئة الشارع ضدهم، لمجرد عدم الرضا عن شعائرهم!. إنّ ما نجده على أرض الواقع من ارتكاب الفظائع ضدّ مسيرات العزاء، ومواكب الزائرين المتوجهة لزيارة الأماكن المقدسة، هو نتيجة طبيعية لممارسات وتحريض التوجهات المتعصّبة، التي تقوم على التعبئة الطائفية، وبثّ الكراهية الدينية بين الناس، على أساس ديني ومذهبي. إنّ الإحصاءات الرسمية تشير إلى أنّ هناك ٤٠٠ مسلم شيعي قضوا في جرائم طائفية خلال العام الفائت في باكستان بخلاف مئات الجرحى، وأنّ أغلب تلك الهجمات جرت على هامش الاحتفالات الدينية، أمّا في العراق فهناك أَضعاف هذا الرقم من الضحايا.

وعلى غرار ذلك، يحتفل المسيحيون بمناسباتهم الدينية وأبرزها احتفالات أعياد الميلاد. فهم يحتفلون بمولد نبيٍّ من أنبياء الله العظام، عيسى بن مريم ﵇، الذي نؤمن به كما نؤمن بالأنبياء جميعًا، وبنصّ الآية الكريمة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾، وهناك سورة كاملة باسم مريم، ورد فيها ذكر المسيح عيسى بن مريم مرارًا، فما الضّير في أن يحتفل المسيحيون بأعياد ميلاد النبي عيسى ﵇، ولماذا تقوم قيامة بعض الناس إنْ شاهدوا هذه الاحتفالات، ولماذا تستهدف كنائسهم، كما حصل في بغداد مؤخّرًا،

وراح ضحية ذلك ١٤ قتيلًا وأكثر من ثلاثين جريحًا، وهم جميعًا مواطنون عراقيون، فبأيِّ حقٍّ يُستهدفون؟

فتاوى التحريض على الكراهية

إنّ أبرز مسبّب لارتكاب الفظائع بحقّ أتباع المذاهب والأديان المختلفة هو شيوع الثقافة التي تنكر على الآخر الحقّ في اعتناق دينه وعقيدته، والاحتفاء بمناسباته وشعائره.

ولعلّ إطلالة سريعة على صحفنا السعودية هذه الأيام ترينا جدلًا كثيرًا ومعركة كلامية طويلة، بشأن ما إذا كان من الجائز شرعًا تهنئة المسيحيين بأعيادهم ومناسباتهم!، وقد ورد في استفتاء شرعي مرسل لجهة دينية في المملكة، يستفسر عن حكم الإسلام في تهنئة النصارى بأعيادهم، وبرّر السائل سؤاله بوجود جارٍ نصراني يقطن بجوار منزل خاله، وأنّ الأخير يقوم بتهنئة النصراني في الأفراح والأعياد المسيحية، فيبادله النصراني بالتهنئة في الأعياد والمناسبات الإسلامية، فجاء جواب الاستفتاء من مؤسسة دينية معتمدة، بأنه «لا يجوز للمسلم تهنئة النصارى بأعيادهم؛ لأن في ذلك تعاونًا على الإثم وقد نهينا عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، كما أنّ فيه تودّدًا إليهم وطلبًا لمحبتهم وإشعارًا بالرضا عنهم وعن شعائرهم وهذا لا يجوز، بل الواجب إظهار العداوة لهم وتبيّن بغضهم؛ لأنّهم يحادّون الله جلّ وعلا ويشركون معه غيره ويجعلون له صاحبة»[١]!.

فبأيِّ عقلية يفكّر هؤلاء المفتون، وفي أيِّ عصرٍ يعيشون؟ فلو كان هذا التعصّب صادرًا عن شخص غير مسؤول لهان الأمر، أمّا أن يصدر عن مؤسسة رسمية معتمدة، فمن أين لنا أن نقبل هذا؟ أوَليس هذا الفكر هو الذي يؤسس لاستهداف الكنائس،

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم (١١١٦٨)، http://www.alifta.net/fatawa/fatawaDetails.aspx?BookID=3&View=Page&PageNo=4&PageID=991&languagename=

ويطلق حالة النزاع والاحتراب الديني؟

في مقابل ذلك نجد أنّ العلماء الواعين المتبصّرين بمفاهيم الدين لا يقبلون حالة النزاع والاحتراب الديني مطلقًا. وقد وجدنا ذلك متمثلًا في مواقف دار الافتاء في مصر وفي فتاوى المراجع الدينية في العراق. فقد سئل المرجع الديني السيد علي السيستاني عن حكم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم كعيد رأس السنة، فأجاب «يجوز تهنئة الكتابيين من يهود ومسيحيين وغيرهم، وكذلك غير الكتابيين من الكفار، بالمناسبات التي يحتفلون بها أمثال: عيد رأس السنة الميلادية، وعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وعيد الفصح»[1].

نحن بحاجة ماسّة إلى هذه الثقافة المنبثقة من محكمات القرآن الكريم، حول احترام الآخرين، من أتباع الديانات والعقائد المختلفة. أمّا النصوص الواردة في التراث التي تنحو خلاف هذا المنحى، فإمّا هي نصوص غير ثابتة، موضوعة ومختلقة، أو جاءت ضمن بيئة وزمن معيّن، أو طرأت إساءة الفهم والتفسير لهذه النصوص، في حين نعيش اليوم عصرًا يفرض علينا التزام الاحترام المتبادل بين بني البشر، والنأي عن بثّ الكراهية، وإثارة الأحقاد بين الناس.

(١) الفقه للمغتربين، عبد الهادي السيد التقي الحكيم، وفقًا لفتاوى سماحة آية الله العظمى الحاج السيد علي الحسيني السيستاني، ص٢٢٠، مسألة ٣٠٨.



الخطبة الأولى

فليتّسع صدرك

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

[سورة الشرح، الآيات: ١-٤].

لقد امتنّ الله على النبيّ الأكرم ﷺ في محكم التنزيل بجملة من النعم، وعلى رأسها نعمة شرح الصدر. حيث ورد في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ومعلوم أن ورود الامتنان بهذه النعمة في صدر السورة الشريفة، لم يأتِ على نحو الاعتباط، بل يمكن القول إنّ سائر النعم الأخرى التي أسبغها الباري على رسوله، إنما انبثقت من هذه النعمة تحديدًا، أي نعمة شرح الصدر.

معينان لشرح الصدر

وهناك معنيان لمسألة «شرح الصدر» الواردة في الآية الكريمة، أولهما معنى فكريّ معرفيّ، والآخر معنى أخلاقيّ.

فأنْ يتخلّق المرء معرفيًّا بانشراح الصدر، فهذا يعني امتلاكه إمكانية كبيرة لاستيعاب الحقائق والمفاهيم والعلوم والمعارف، في مقابل ما يتّسم به البعض من ضيق الأفق وضعف الاستيعاب، من هنا فانشراح الصدر، معرفيًّا، يأتي بمعنى امتلاك القدرة على استيعاب الحقائق والمعارف.

أما المعنى الآخر لشرح الصدر الوارد في الآية الكريمة، وهو محلّ التركيز هنا،

فهو يعني سعة ورحابة الصدر إزاء الصعاب والمشاكل، فالإنسان بحاجة ماسّة لإدراك مدى تفاوت الناس الذين يخالطهم ويعيش بينهم، إنْ على صعيد أفكارهم وأمزجتهم، أو على صعيد أخلاقهم وسلوكهم، من هنا يأتي السؤال عن السبيل الأمثل للتعامل مع هذا الطيف الواسع من الناس، سيمّا عندما يبلغ المرء نقطة الافتراق معهم في الرأي أو المزاج أو المصلحة. ذلك أنّ مسألة التوافق مع الآخرين المشابهين فكريًّا، ليست مدعاة للفخر والراحة، إنما الامتحان الحقيقي هو التوافق مع الآخرين في ظلّ وجود نقاط اختلاف عميقة معهم.

يتّسم بعض الناس بسعة الصدر في تحمّلهم للغير، فيما يكون البعض الآخر ضيقي الصدر، بحيث لا يتحملون التعامل مع من يختلفون معهم في الموقف أو الرأي أو المزاج أو المصلحة. إنّ سعة الصدر على صعيد العلاقات الاجتماعية، صفة قرينة للنجاح، فهذه الخصلة تجعل المرء قادرًا على التأثير في محيطه الاجتماعي، كما تعطيه القدرة على جذب الاحترام والتقدير من الآخرين.

في مقابل ذلك، حين يضيق صدر الإنسان بغيره فسيكون النّكد هو الطابع الأغلب لعلاقاته بمحيطه الاجتماعي، وتبعًا لذلك، لن يكون بمقدور هذا الصنف من الناس ممارسة أيِّ قدرٍ من التأثير على المحيطين به؛ لأنّ الناس لا يستجيبون لمن يسيء لهم ويبدي الانزعاج منهم.

استيعاب المحيط العائلي والاجتماعي

من هنا تتضح حاجة المرء الماسّة للتحلي بسعة الصدر في التعامل مع الآخرين.

ولعلّ أول الناس الذين يجدر التحلّي بسعة الصدر معهم هم أفراد العائلة، الزوجة والأولاد، فهؤلاء الناس لم يخلقوا مطابقين لنا في الرأي والمزاج، غالبًا، بل هم متفاوتون معنا في أمزجتهم وتوجّهاتهم، ولعلّ الامتحان الأهمّ يكمن في النجاح في إدارة الاختلاف ضمن المحيط العائلي بالتوسّل دائمًا بسعة الصدر.

كما ينسحب ذات الأمر على محيط العمل، فسعة الصدر مطلب أساس في التعامل مع الإدارة، وزملاء العمل، والمرؤوسين، وصولًا إلى المراجعين، فجميع هؤلاء بشر ولكلٍّ منهم مزاجه الخاص، سيّما وهناك بعض الأعمال التي تتطلب قدرة نفسية كبيرة من التحمل، كممارسة الطب والتمريض مثلًا، فالطاقم الطبي غالبًا ما يتعاملون مع المرضى الذين هم في قمة المعاناة النفسية والجسدية، مع اختلاف مشاربهم وأمزجتهم، وهنا تبرز أهمية التحلي بسعة الصدر في التعامل معهم.

والأمر نفسه يجري مع العاملين في الشأن الاجتماعي، فمن يفتقد سعة الصدر سيكون عديم التأثير، وأبعد ما يكون عن قيادة الناس، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «آلة الرياسة سعة الصدر»[1]، فهذه الخصلة هي التي تمكن المرء من حسن الإدارة وقيادة زمام المبادرة.

لقد كانت سعة الصدر عند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هي القدرة الأبرز، والأداة الأهمّ، التي ضمنت له النجاح في تبليغ الرسالة. فقد بُعث في مجتمع جاهلي، يسوده الجهل، وتنتشر فيه العصبيات، وتحكمه الأعراف والتقاليد القاسية الجافة، وكانت مهمته صلى الله عليه وآله التعامل مع هؤلاء الناس، وتغييرهم وإصلاحهم، وما أصعبها من مهمة!، لكن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله امتلك الأهلية والقدرة على القيام بهذه المهمة، نتيجة سعة صدره، حيث يقول سبحانه مخاطبًا نبيّه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، فقد منحه سبحانه تعالى سعة الصدر، حتى شهد له بالنجاح في مهمته بقوله تعالى ممتدحًا نبيّه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

الخلق النبوي الرفيع

إنّ من المهم أن نتناول في هذا المقام جملة من النماذج الأخلاقية الرفيعة لتعامل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، رغبة في الاقتداء والتأسّي، لا مجرّد إظهار الإعجاب والانبهار.

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ١٧٦.

فقد روى بعض أصحاب النبي أنه كان ﷺ ذات يوم مرتديًا بُردًا غليظ الحاشية، فجاءه أعرابي وجذبه من ردائه بشدة، حتى أثرت حاشية البُرد في صفحة عاتقه ﷺ، ليس هذا وحسب، بل زاد الأعرابي، الذي كان هو نفسه محلّ الحاجة، بأن خاطب النبي على نحو جافٍّ خشن، قائلًا: يا محمد، احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت ﷺ هنيئة ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده، وهل أقاصّك يا أعرابي ما فعلت بي، فأجاب الأعرابي بالرفض، فسأله النبي عن سبب رفضه، فقال الأعرابي: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة، فضحك النبي ﷺ ثم أمر أن يحمل له الشعير على بعير، والتمر على بعير آخر[١].

وفي حادثة أخرى حضر أعرابي عند النبي ﷺ طالبًا حاجة، فأعطاه النبي حاجته، ثم خاطبه ﷺ بالقول، هل أحسنت إليك، فأجاب الأعرابي بمنتهى الجفاء والقسوة قائلًا: لا ولا أجملت، فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام فدخل منزله، ثم أرسل إلى الأعرابي فدعاه إلى البيت، فأعطاه شيئا، فقال: (أرضيت؟) فقال: لا، ثم أعطاه أيضا، فقال: (أرضيت؟) فقال: نعم، نرضى، فقال: (إنك جئتنا، فسألتنا، فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي أنفس المسلمين شئ من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب عن صدورهم ما فيها[٢])، في إشارة إلى شكره النبيّ على عطائه، ففعل الأعرابي ذلك.

وفي حادثة ثالثة، رُوي عن العلاء الحضرمي أنّه قال للنبي ﷺ: إنّ لي أهل بيت أحسن إليهم فيسيئون، وأصلهم فيقطعون، فقال رسول الله ﷺ: اِدفع بالتي هي أحسن، وقرأ عليه الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[سورة فصلت، الآية: ٣٤]، فقال العلاء: إني قلت شعرًا هو أحسن من هذا، في إشارة إلى القرآن الذي قرأه النبي عليه، فدعاه النبي لإلقاء شعره الذي زعم أنه أحسن من القرآن، فأنشده عدة

(١) عباس القمي. سفينة البحار، الطبعة الأولى١٤١٤هـ، (دار الأسوة)، ص٦٨٢.
(٢) محمد بن يوسف الصالحي الشامي. سبل الهدى والرشاد، ج٧، ص١١.

أبيات من الشعر، فأظهر النبي ﷺ حينها جانبًا كبيرًا من سعة الصدر إزاء هذا الشاعر، مخاطبًا إيّاه بعد أن سمع شعره، قائلا ﷺ: «إنّ من الشعر لحكمة وإنّ من البيان لسحرًا، وإنّ شعرك لحسن، وإنّ كتاب الله أحسن»[١]، ليقدّم ﷺ بهذه العبارات الموجزة درسًا بليغًا له وللأجيال من بعده، في حسن الخلق وسعة الصدر، وعلى هذا المنوال تحفل السيرة النبوية بالكثير من القصص المماثلة.

سيرة للاقتداء

ونحن إذ نقرأ هذه القصص والمواقف النبوية العظيمة فإنّ علينا أن نأخذ منها العظة والعبرة في تعاملنا مع الآخرين. على أن نبدأ في ذلك بأنفسنا وتعاملنا داخل العائلة، وأن نتوسّل بسعة الصدر مع الزوجة والأولاد، وألّا نستثار عند أقلّ كلمة أو تصرف؛ لأنّ نتيجة ردّ الفعل على هذا النحو، هي استفحال سوء العلاقة الزوجية والأسرية. والأمر ذاته ينسحب على العاملين في الشأن العام، والعلاقة مع الأصدقاء، وزملاء العمل، والمرؤوسين، وكافة الناس من حولنا، ويجب أن نقتدي جميعًا برسول الله ﷺ في سعة صدره، فهذا هو ما يريده الله منّا حين قال سبحانه: «ولكم في رسول الله أسوة حسنة».

(١) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٤١٥.

هل ينتظرنا غدٌ مشرق؟

عن الإمام عليّ عليه السلام: «تفاءل بالخير تنجح»[1].

إنّ من المهم جدًّا للمرء أن يخضع ذاته للمراقبة في سبيل الإبقاء على جذوة التفاؤل مشتعلة في نفسه. ذلك لأن الإنسان يستقبل أمور الحياة بمشاعره وأحاسيسه النفسية، أكثر مما يستقبلها بعقله وجوارحه، فإذا كانت نفسه مرتاحة، فإن عقله يعمل بشكل أفضل، في معالجة مشاكل الحياة، كما تكون جوارحه أكثر طاقة وقدرة على مواجهة المشكلات. وعلى النقيض من ذلك إذا كانت نفس الإنسان، تعاني من الكدر والاستياء والانزعاج، فستتأثر تبعًا لذلك قدراته العقلية والبدنية سلبًا، وهذا مما هو معروف بالتجربة والوجدان. من هنا، فإنّ على الإنسان أن يراقب نفسه، لكي يكون دائم التفاؤل، وأن تكون أحاسيسه ومشاعره في طور التفاؤل دائمًا، في استقباله لأمور الحياة.

وتتفاوت درجة التفاؤل والتشاؤم عند الناس، إزاء مختلف شؤون الحياة. فهناك من هو أقرب لحالة التفاؤل، حتى في مواجهته لأشدّ الصعوبات والشدائد، في المقابل تسود فريقًا آخر من الناس حالة التشاؤم والانزعاج، حين يواجه أقلّ مؤشرٍ من مؤشّرات الأذى. وقد ورد في وصايا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في هذا الشأن قوله عليه السلام: «تفأل بالخير تنجح»، ومضمون الوصية أن يلتزم المرء حالة التفاؤل باستمرار، عندما يقبل على أيّ مهمة أو عمل، حتى في ظلّ بروز المشاكل والصعاب، فلا ينبغي أن

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١٩٩.

نسمح بانخفاض حالة التفاؤل والأمل في نفوسنا.

الإيمان نبع الثقة والأمل

إنَّ لتمثل حالة التفاؤل في النفس مناشئ أساسية، يأتي الإيمان والثقة بالله سبحانه وتعالى على رأسها. فكلّما كان الإنسان أكثر ثقة بربه، وكان حسن الظن بالله تعالى، كان أكثر تفاؤلًا، فربنا سبحانه هو الخالق الرحيم اللطيف، فلا يقدّر لنا إلّا الصالح والخير، لذلك ينبغي أن تكون نفوسنا عامرة بهذا الأمل. ولو استعرض كلٌّ منا شريط حياته، لأدرك كم أن الله تعالى وقاه من الشّدائد والصعوبات، وأنعم عليه بتجاوزها، فالأحرى أن نتذكر ذلك باستمرار، فهو سبحانه المنقذ والمعطي دائمًا، دون أن تتضاءل يومًا رحمته ولطفه وعطفه بنا.

الوعي بطبيعة الحياة

ويأتي الوعي بطبيعة الحياة، في المقام الثاني من مناشئ التفاؤل في النفس. فالحياة ملأى بالمشاكل، ولا ينبغي أن يتوقع المرء أن يحقق النجاح من الوهلة الأولى، وأنّ الطريق سيكون أمامه مفروشًا بالورود والرياحين باستمرار، عندما يُقدِم على أمر، أو يواجه مهمة من المهام.

إنّ بروز المشاكل والصعوبات في هذا المنعطف أو ذاك، لا يعني بأيِّ حالٍ أن الطريق مسدود أمامنا، ولا يعني انعدام فرص النجاح. وكثيرًا ما وجدنا ضمن تجارب الأفراد في مختلف الأمم، أنهم يصرفون المحاولة تلو الأخرى حتى يحققوا النجاح، فالكثير من الناجحين في الحياة لم يلمسوا بشائر النجاح في أول الأمر، ولعلّ إطلالة على سيرهم الذاتية تكشف إلى أيِّ مدى عانى وتحمّل هؤلاء من عوائق وصعوبات، لكنهم مع ذلك حققوا النجاح في نهاية المطاف. وإذا ما برزت أمام المرء مشكلة أو شدّة أو مؤشّر سلبي، فلينحِّ التشاؤم جانبًا، ويضع في الاعتبار أنّ ذلك جزء من طبيعة

الحياة، ويلتزم في مقابل ذلك التفاؤل، فلعلّ النجاح قاب قوسين منه.

البرمجة النفسية على التفاؤل

أمّا المنشأ الثالث من مناشئ التفاؤل فهو العادة والبرمجة النفسية. فالإنسان يستطيع أن يبرمج ذاته، ويعوّد نفسه حالة التفاؤل، وعلى النقيض من ذلك يستطيع فعل العكس، فقد يُعوّد ذاته على التشاؤم، فالواحد من هؤلاء لا يكاد يلتقط أدنى مؤشّر سلبي حتى يطبق التشاؤم على نفسه، ومثل هذه الحالات مشاهدة ودائمة الوقوع عند الكثيرين للأسف. على المرء أن يبرمج نفسه على التزام حالة التفاؤل دائمًا وطرد التشاؤم من نفسه.

ثقافة التفاؤل

إنّ الدين الإسلامي يشجّع أتباعه على التفاؤل دائمًا، ويحضّ على النأي عن التشاؤم والتطيّر. فالتفاؤل هو توقع الخير، فيما يتلخص معنى التشاؤم في توقع الشرّ والسوء، والدّين يريد من الإنسان توقع الخير دائمًا وأبدًا. فالتفاؤل هو ما يجعل المرء أكثر جدّية وعزمًا وإصرارًا، وأكثر حيوية في الإقبال على العمل وإنجاز المهام، وقد ورد عن النبي الأكرم قوله ﷺ: «تفاءلوا بالخير تجدوه»[1]، وقد كان من أبرز صفاته ﷺ أنه كان كثير التفاؤل.

لقد درجت شعوب العالم على إنعاش روح الأمل، ورفع منسوب التفاؤل في أوساطها مع بداية عامها الجديد، على النقيض مما يجري في شعوبنا نتيجة تردّي الأوضاع على كلّ المستويات. فأغلب شعوب العام تحتفي ببداية العام الميلادي الجديد، وتسود في أوساطها روح التفاؤل، غير أنّ مجتمعاتنا تفتقد ذلك، نتيجة تردّي الأوضاع والواقع السّلبي الذي تغرق فيه، حيث تسود حالة من التشاؤم، ويزيد

(١) السيد الطباطبائي. تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٧٧.

من ذلك سوءًا انتشار العرّافين والمنجّمين الذين ينذرون الناس بمزيد من النكبات والشدائد، سيّما في ظلّ وجود من يصدّق هذه التنبؤات، وإذا ما صدقت عند أحد هؤلاء المنجمين نبوءة واحدة، من أصل عشرات النبوءات، فهو يتاجر بها إلى سنوات مقبلة وإلى أقصى المديات.

ينبغي للإنسان المؤمن الواعي ألّا يسمح للتشاؤم بالسيطرة على نفسه. حتى في ظلّ تردّي الأوضاع، ومع انتشار الإرهاب الأعمى، الذي بات ينشر الموت والرعب والدمار في بلاد المسلمين، ومع سيطرة لغة التشاؤم على مختلف وسائل الإعلام، بشكل بات الكثيرون يتساءلون: ما إذا بقي هناك من مجال للتحلّي بالتفاؤل؟ فقد هيمنت حالة من الشك في المستقبل نتيجة ما يجري من حولنا، وطال ذلك مستقبل شعوب المنطقة برمّتها، سيّما مع انفلات الأوضاع الأمنية. إنّ من المؤلم والمرعب حقًّا ما يجري في بلاد المسلمين من تفجيرات واغتيالات وسفك للدماء المحترمة، حتى بات من المعتاد أن يفجّر أحدهم نفسه، ويقتل ويصيب معه عشرات الأبرياء، دونما مبرّرات مقنعة، وقد ناهز عدد ضحايا النزاعات الأهلية في بلاد المسلمين مئات الآلاف من الأبرياء، ناهيك عن ملايين النازحين واللاجئين، الذين باتت تكتظّ بهم مخيّمات اللجوء، نتيجة سوء الأوضاع في سوريا والعراق ولبنان وأفغانستان والصومال.

هل يسمح واقعنا بالتفاؤل؟

من هنا يأتي السؤال بعد كلّ هذا، ما إذا كان من المبرر أن تسود عندنا حالة التشاؤم والتطيّر، وإلقاء التفاؤل جانبًا، والجواب على ذلك، أننا مدعوون دينيًّا وباستمرار لأن نتشبّث بالأمل والتمسّك بحالة التفاؤل، ولعلّ ما يخفف الوطء هنا، أن شعوبًا وأممًا عديدة مرت بمثل هذه التحولات والمخاضات المؤلمة، لكنها تجاوزتها باقتدار.

ينبغي أن نجعل نفوسنا عامرة بالتفاؤل، حتى مع كلّ العنف والقسوة الجارية،

وأن نؤمن أن في انتظار أمتنا مستقبلًا مشرقًا إن شاء الله. سيّما في ظل التصميم عند الواعين والخيرين من أبناء الأمة، ناهيك عن حركة التاريخ التي تسير في الاتّجاه ذاته، علاوة على ما يفرضه الواقع العالمي من تعديل لهذه المسارات، سواء طال الزمان أو قصر. إنّ التمسك بالأمل والتفاؤل، ليس في سبيل التراخي والنوم على حرير الأوهام، وإنما التمسّك بالتفاؤل الذي يعطينا طاقة الاستمرار والتطلّع للإصلاح والتغيير، فهذا التفاؤل والأمل هو الذي يجعلنا أكثر قدرة على مواجهة المشكلات والعمل على تجاوزها وتخطّيها.

الخطبة الأولى

التعافي من الحقد والضغينة

ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «أقلُّ النّاس راحةً الحقود»[1].

بناء مكارم الأخلاق هدف أساس للشرائع السماوية. لذلك احتلّ هذا الموضوع المساحة الأكبر ضمن النصوص الدينية وجهود القادة الدينيين، ولعلّ مراجعة عابرة لمختلف الكتب الدينية المقدسة، ووصايا الأنبياء والأئمة، تكشف لنا عن مدى التركيز الغالب فيها على الجانب الأخلاقي، ليس هذا وحسب، وإنما عمدت الشرائع السماوية إلى توظيف الجانبين الآخرين فيها، أي العقائد والعبادات، لتعزيز الجانب الأخلاقي.

وإذا كانت مكارم الأخلاق هي أساس الشرائع السماوية فإنّ أساس الأخلاق تزكية النفس. ومعنى تزكية النفس هو النأي بالنفس عن شوائب الانحراف والتوجّهات السلبية، وبناء المشاعر الإيجابية تجاه الناس، وهذا في مجمله هو الأمر الأساس على المستوى الأخلاقي.

ذلك أنه إذا كانت نفس الإنسان عامرة بالمشاعر الإيجابية تجاه الناس، فإنّ ذلك يهيؤها لكي تتعامل معهم تعاملًا حسنًا، أمّا إذا كانت نفس الإنسان تطفح بالمشاعر السلبية، فإنّ ذلك يدفعه بطبيعة الحال للتعامل السيئ مع الآخرين. وبذلك تكون مشاعر الإنسان وأحاسيسه الداخلية تجاه الناس هي الأمر الأساس والمهم، فكلّما

(١) بحار الأنوار، ج٧٥ ص٣٧٣، حديث ١٧.

كانت المشاعر إيجابية كان المرء أقدر على التعامل الإيجابي معهم، وعلى النقيض من ذلك إذا كانت المشاعر سلبية، فإنّ ذلك يهيئ النفس للسلوك السّلبي تجاههم.

مرض الحقد

إنّ من الأمراض الخطيرة التي تصيب نفس الإنسان مرض الحقد. وقد أشار إلى ذلك الإمام الحسن العسكري عليه السلام حين قال: «أقلُّ الناس راحةً الحقود»، وتنبع خطورة الحقد لما ينعكس من أعراضه المرضية على المرء نفسه أوّلًا، وما ينعكس على علاقته بالآخرين ثانيًا.

وقد تحدثت نصوص دينية كثيرة عن مشكلة الحقد، وفي التعريف اللغوي قال ابن منظور في معنى الحقد إنّه إمساك العداوة في القلب، والتربص لفرصتها، والحقد هو الضغن، بحيث يحمل المرء الضغينة في نفسه على الآخرين.

إنّ من الدارج في العلاقات الاجتماعية، أن يواجه المرء أحيانًا ما يسوؤه من الآخرين، سواءً الأقربين أو الأبعدين. ومن ثم، يأتي السؤال عن الأسلوب الأمثل للتعامل مع التصرفات المزعجة من طرف أولئك؟

والجواب عن ذلك: إنّ التعامل الأفضل مع التصرفات المزعجة هو الصفح والتجاهل والتجاوز، واعتبار تلك التصرفات وكأنها لم تكن أصلًا، غير أن هذا المستوى من التعامل ربما عُدّ مرتبة أخلاقية عالية لا يرقى لها كلّ أحد. وهناك مرتبة أخرى وهي التي تقتضي التعامل مع الموقف بقدره وفي حينه، فلو أسيء لشخص من الأشخاص في مجلس ما على سبيل المثال، ورأى المعتدَى عليه أن يرد الإساءة، فليكن التعامل مع الموقف في حينه ولتنتهي المسألة فور ذلك. إلا أنّ هناك أشخاصًا لا يكفيهم التعامل مع الموقف في حينه، وإنما تبقى المشكلة ويبقى موقف الإساءة ماثلًا في نفوسهم، بل ويتحول إلى مخزون نفسي من العداوة والكراهية، وهذا تحديدًا ما يُعبّر عنه بالحقد. ولعلّ خطورة هذا المرض تكمن في تحوّل الاستياء من أيِّ شخص

إلى كراهية تجاهه، ثم تتحول تلك الكراهية شيئًا فشيئًا إلى عداوة، وقد يعقب العداوة التحول إلى سلوك انتقامي. من هنا، فالحقد هو الإبقاء على المشاعر السلبية تجاه الآخرين.

وفي هذا السياق يقول الإمام الصادق ﵇: «حقد المؤمن مقامه ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئًا»[١]. ومقتضى رواية الإمام ﵇ أنْ إذا سمع المرء ما يزعجه، فإنه ربما تأذى نتيجة ذلك، ولربما اندفع نحو الردّ على مصدر الإساءة، لينتهي الموقف ضمن هذا الحدّ وإلى غير رجعة. غير أنّ ما يجري لدى بعض الناس أنّ الأمر لا يكاد ينتهي عندهم مدى الحياة، فلو تعرّض إليه أحد في موقف ما، فلربما احتفظ بذلك إلى ما شاء الله، ولربما تحوّل الأمر إلى ثأر شخصي متجدّد بين الحين والآخر، ومن عجب أن يحتفظ المرء بسجل خاص في نفسه يحفظ فيه مختلف المؤاخذات على المحيطين به، لا يزول على مدى الأعوام. والأعجب من ذلك أن هناك من يُدرّبون أنفسهم بالممارسة على حفظ المواقف المسيئة للآخرين، فهم بذلك ينشئون في أنفسهم جبالًا من الأحقاد على الآخرين.

تخزين المشاعر السلبية

إنّ الإبقاء على الأحقاد والمشاعر السلبية إزاء الآخرين مسألة مؤذية للنفس بالدرجة الأولى. ذلك أنّ نفس الإنسان مجبولة على الارتياح عندما تنعكس في داخلها المشاعر والصور الإيجابية والذكريات الجميلة، وعلى النقيض من ذلك تشعر بالانزعاج عند استعادة المواقف المؤذية، من هنا يصبح الإبقاء على المشاعر السلبية تجاه الآخرين، هو بحدّ ذاته مبعث أذى وانزعاج للإنسان. وكلّما استطاع المرء أن يمحو المشاعر السلبية من نفسه، فسيكون ذلك مبعث راحة له، ويكون أقدر على التعامل الإيجابي مع الآخرين.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٢ ص٢١١، حديث ٧.

وقد حذّرت العديد من النصوص الدينية من الوقوع في براثن الحقد. فقد ورد عن أمير المؤمنين قوله ﷺ: «سبب الفتن الحقد»[١]، فالإنسان الحاقد على الآخرين، يُبرّر لنفسه مختلف الارتكابات بحقهم، ولا يرى بأسًا في سوق الكلام السيئ عليهم، واستغابتهم، وازدراؤهم، واتخاذ مختلف المواقف السلبية تجاههم، وبذلك يتحول هذا الحقد إلى دافع للفتن والمشاكل. كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «طيّبوا قلوبكم من الحقد فإنه داء موبئ»[٢]، وجاء في رواية أخرى عنه ﷺ: «من اطّرح الحقد استراح قلبه ولبّه»[٣]، وقال ﷺ: «الحقود معذّب النفس متضاعف الهمّ»[٤]، أي إنّ هموم الحقود عادة ما تكون في ازدياد مستمر.

إنّ على المرء أن يتجنب استحضار الأقوال والمواقف المسيئة التي يمرّ بها سواء مع المحيطين به أو البعيدين عنه. فمن غير المناسب استحضار الزلات والأخطاء التي ربما وقع فيها أو ارتكبها أحد الزوجين بحقّ الآخر، وكذلك الشأن مع أفراد العائلة أو الأصدقاء، فالواجب أن يتجاوز المرء جميع ذلك، ولا يستحضره بين الفينة والأخرى، وبعبارة أخرى، ينبغي لنا أن نتجنّب الاحتفاظ بأرشيف لأخطاء الآخرين في نفوسنا!، لأنّ تداعيات هذا الأمر ستكون مؤذية لنا بالدرجة الأولى.

للتخلص من الأحقاد

وبإطلالة على النصوص الدينية نجدها تورد جملة من الوصايا للتخلص من مرض الحقد. ومن أولها، التزام المكاشفة والمصارحة، فلا ضير من الاستفسار ومعاتبة من يرتكب الخطأ، فلربما كان لديه مبرّر ما، دفعه للتصرف على النحو الذي جرى، ولعله بذلك يسحب كلامه ويتراجع عن خطئه، لينتهي الموقف وتطوى بذلك المشكلة، وقد

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٢٥، حكمة (٢١).
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٩، حكمة (٤٣).
(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٠، حكمة (٢٤١).
(٤) المصدر نفسه، ص٢٩، حكمة (٦٥٦).

ورد في هذا الشأن عن الإمام الهادي عليه السلام قوله: «العتاب خير من الحقد»[١]، فالانفتاح ومعاتبة الطرف المخطئ أفضل بكثير من حمل الأحقاد عليه.

أمّا الوصية الثانية فهي التقارب واتخاذ المبادرات الإيجابية من الطرف الآخر، لغرض امتصاص الاحتقان، وتبريد نقاط التوتر، فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «تصافحوا يذهب الغلّ، وتهادوا تحابّوا وتذهب الشحناء»[٢]، وذلك على النقيض مما يقوم به بعض الناس حيث يعمدون للابتعاد عمّن يختلفون معهم، ولا يبدون رغبة في مقابلتهم، بل يتجنبون مصافحتهم، حتى لو جمعهم بهم مجلس واحد، ولا معنى لجميع ذلك إلّا الرغبة والإصرار على عداوة الآخرين، والاحتفاظ بسخونة الخلاف معهم، وهذا خطأ كبير.

أما ثالث الوصايا للتخلص من مرض الحقد، فهي الامتناع عن الاستماع إلى النميمة، ورفض التقولات المنسوبة للآخرين، ذلك لأنّ الكثير من الأحقاد تنشأ نتيجة النميمة، كأن يأتي من يقول لك إنّ فلانًا قال فيك كذا وكذا، من هنا ينبغي للمرء ألّا يُصغِي للنقولات، ولا يستجيب لتأثيراتها على نفسه، وضمن هذا السياق نفهم التحريم الشرعي للنميمة، وكما نقل عن الإمام الشافعي أنه قال: «من نَمَّ لك نَمَّ عليك»[٣].

إنّ من الخطأ الاعتقاد بأنّ من يأتون بالنميمة هم أناس محبّون ومدافعون. بل العكس غالبًا هو الصحيح، فمن يعمد لجلب طعون الآخرين فيك، إنما يزيدك همًّا وغمًّا، فهو أشبه ما يكون بمن يأتيك بالقمامة والأوساخ عند بيتك، والنميمة والكلام السيء لا يقلّ نتانة عن القمامة، فلا ينبغي بأيِّ حالٍ أن نرتاح لها.

وقد ورد عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لأصحابه: «لا يُبْلِغْنِي

(١) بحار الأنوار، ج٧٥ ص٣٦٩، حديث ٤.
(٢) كتاب الموطأ، الإمام مالك، ج٢ ص٩٠٨، حديث ١٦.
(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٩٩.

أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»[١]، وفي هذا النهج النبوي درس كبير لنا جميعًا.

تبادل الأحقاد بين الجماعات

من هنا، نحن أحوج ما نكون للتربية على المحبّة ونبذ الكراهية. ومن المؤسف جدًّا أن تتحول الكراهية من نطاق الأفراد إلى نطاق الجماعات، حيث تعمد كلّ جماعة على تربية أبنائها وأتباعها على الحقد على الجماعات الأخرى، فينشأ الصغير وتنشأ معه الانطباعات السلبية عن الآخرين، فيحقد عليهم وهو بعد لم يتعاطَ معهم يومًا، ولم يصله سوء منهم أبدًا، اللّهم إلّا النشأة ضمن بيئة درجت على زرع الأحقاد والضغائن في نفسه ضدّ الأطراف الأخرى، لاعتبارات الاختلاف المذهبي، أو الاتّجاه السياسي، أو لأيِّ قضية خلافية أخرى. ومن اللافت أنّ هذه الأضغان سرعان ما تتبخر عندما تتاح الفرصة للقاء المباشر والعيش المشترك مع المختلفين، بعد أن كان يحكمها الحذر والريبة، كما تفيد بذلك تجارب كثير من الناس. إنَّ زراعة الأحقاد والضغائن في النفوس هي أسوأ ما يمكن أن تمر به المجتمعات، لذلك ينبغي أن نربّي أبناءنا على محبّة الآخرين، ومن الخطأ الفادح التعلّل بسلوك الآخرين في زرع الأحقاد والرد عليهم بالمثل، فلا ينبغي الانسياق خلف هذا المسلك، فالدين والمبادئ والأخلاق توجّهنا إلى المسلك الآخر، القائم على محبة الآخرين، وحسن الظن بهم، والرغبة في التقارب معهم.

---

(١) سنن أبي داوود، ج٥، ص ٢٩٩، حديث ٤٨٦٠ (٤٨٢٧).

الخطبة الثانية

٧

الاحتراب والقتل العبثي في بلاد المسلمين

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ وَلا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ»[1].

تحفل المصادر الإسلامية بكثير من الأحاديث النبوية التي يحذّر فيها النبي ﷺ أمته من وقوع الفتن. وليس الغرض من هذه الأحاديث استعراض القدرة حول العلم بالغيب، كما يتوهّم بعض الناس، وإنما الهدف تحذير الأمة، حتى تكون يقظة ومتهيأة على مرّ الأجيال؛ لئلّا تقع في أتون الفتن. ولعلّ أعظم التحذيرات النبوية للأمة، ذلك المتعلق بالنأي عن الوقوع في الاقتتال العبثي، بحيث لا يعود القاتل نفسه يدري عن سبب إقدامه على قتل الآخرين، كما لا يدري المقتول عن علّة تعرضه للقتل، فهو ليس طرفًا في أيّ نزاع يجعله عرضة للاستهداف والقتل!، كما ورد عنه ﷺ: «والذي نفسي بيده ليأتينّ على الناس زمان لا يدري القاتل في أيِّ شيء قتل، ولا يدري المقتول على أيِّ شيء قتل».

لقد مرّت الأمم بصراعات واحترابات، كانت فيها جبهات الصراع معروفة مشخّصة غالبًا. بحيث تعرف الأطراف المتحاربة مواقعها ضمن هذا الصراع لكونها طرفًا فيه، كما يدرك الجميع حدود المساحة والجبهة التي تمتد عليها المعارك، وبذلك لا شأن لبقية الناس العزّل خارج ساحات المعارك. وعمدت الأمم الراقية في العصر الحديث

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث ٢٩٠٨.

إلى نقل وإدارة صراعاتها إلى الساحة السياسية، بعيدًا عن ساحات القتال، وذلك من خلال نشأة الأحزاب السياسية، التي تخوض المنافسات الانتخابية للوصول للسلطة، في ظلّ ضمان التداول السلمي للسلطة، وضمان حقّ المعارضة السلمية، وبذلك بات الصراع يدار من خلال الوسائل الحضارية. في مقابل ذلك لا تزال المجتمعات المتخلّفة تدير صراعاتها بنفس الأسلوب القديم باستخدام العنف والاقتتال، والأسوأ من ذلك، هو انعدام الجبهات الواضحة للصراع، حتى لم يعد هناك من ساحات حرب يمكن أن يكون لها معادلاتها وتقاليدها، وإنما أصبح المدنيون الأبرياء وقودًا وأهدافًا للقتل من قبل مختلف الأطراف المتحاربة.

استهداف المدنيين

ولعلّ أسوأ حالات الاستهداف للمدنيين العزّل هو ذلك القتل الأعمى الذي يأخذ طريقه باسم الدين. حتى بات الناس يفقدون أمنهم واستقرارهم، ويدفعون حياتهم ثمنًا لشعارات ورايات إسلامية باتت ترفع هنا وهناك، وهو الأمر الماثل في وقتنا الراهن. حتى بلغ الحال أنك تجد المسلحين أنفسهم المفترض بهم التدين، يتذابحون فيما بينهم، ويفتك بعضهم ببعض فتكًا، كما هو الحال في سوريا مثلًا، فهناك جهات حملت راية القتال ومضت في إقناع الناس أنها بإزاء إسقاط النظام الحاكم، ولكنها ما لبثت أن انشقت على نفسها، وصارت تتقاتل فيما بينها وفي داخلها، كما حصل تمامًا في افغانستان في وقت سابق، والشيء ذاته لا يزال يجري في العراق والصومال، حيث القتل العبثي الذي لا حدود ولا نهاية له.

بين إنجازات الحضارة وإحصاءات الضحايا

لقد درجت الأمم المتقدمة على إحصاء إنجازاتها الحضارية مع نهاية كلّ عام، بينما باتت أمتنا الإسلامية تحصي عدد ضحاياها. فقد أصحب من الدّارج أن تستعرض الأمم سنويًّا إنجازاتها العلمية ومكاسبها على كلّ صعيد، في مقابل ذلك انتكس الحال بأمتنا

حتى لم يكن لديها من إنجاز إلّا أن تحصي ضحايا الاقتتال العبثي بين أبنائها، وليس هناك أكثر إيلامًا من هذا الحال. حتى أشارت آخر إحصائيات الصراع في سوريا، إلى سقوط أكثر من ١٣٠ ألف ضحية، ناهيك عن ملايين اللاجئين والنازحين، والعراق ليس أحسن حالًا، فقد سقط في العام الماضي وحده أكثر من تسعة آلاف قتيل، فضلًا عن آلاف الجرحى، نتيجة حوادث التفجير والقتل العبثي، وهكذا الأمر في الصومال وأفغانستان وباكستان وليبيا ومصر واليمن.

وقد بلغ العبث والاستهتار بالأرواح حدًّا كبيرًا تكشفت بعض جوانبه في جرائم المجموعات المسلّحة في المنطقة. فقد نقلت صحيفة الحياة (الخميس، ٠٩ كانون الثاني ٢٠١٤ م)[1]، مشاهدات لمعتقل سابق جرى تحريره من قبضة تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، حيث ينقل بأنّ عناصر داعش أحضروا للسجناء ذات يوم رأسًا مقطوعًا، لرجل في أواخر الثلاثينيات من العمر، وطلبوا من كلّ سجين أن يقدر وزن ذلك الرأس المقطوع!، وأمروا السجناء أن يرفع كلّ منهم الرأس من الأذنين بعد أن تعذر حمله نتيجة غرقه في الدماء، وبعد أن قدّر كل سجين وزن الرأس، أطلق عناصر داعش الضحكات وهم يصححون مقدار وزن الرأس، ثم خاطب أحد العناصر ذلك السجين بالقول، أنّ غدًا سوف يأتي شخص آخر ليزن رأسك. وتواصل الصحيفة نقل مشاهدات المعتقل بالقول، إن عناصر داعش أخذوهم ذات مرة في جولة سياحية كما يطلقون عليها، إلى مسلخ للأجساد البشرية، فساروا بهم معصّبي الأعين إلى أطراف البلدة، حيث رأوا الأجساد المعلقة بلا رؤوس، والأخرى المقطعة إربًا، وقد خاطب أحد السّيافين أرمنيًا كان ضمن السجناء بالقول، إنّ رقبتك لا تزال طرية، فلن تعذّبني حين أهمّ بحزّ رأسك. فهل ثمة عبث واستهتار أكثر من هذا المستوى.

لذلك ينبغي للعقلاء والواعين في هذه الأمة، حكّامًا وقيادات وعلماء وشعوبًا، أن يتداركوا الأمر قبل أن يدهم الجميع. فلا يظنّن أحدٌ أنه في مأمن من الخطر، ولقد

---

(١) http://www.alhayat.com/Details/591227

رأينا كيف اندلعت الفتنة في أفغانستان أولًا، فسكتنا عنها، بل أوغلّ كلّ فريق في دعم جماعة من الجماعات المتحاربة هناك، لتنتقل الشرارة بعدها إلى باكستان، ومن ثم إلى الصومال، ولتمتد إلى العراق وسوريا ولبنان، وهكذا أصبحت تتدحرج كرة النار من بلدٍ إلى بلد، فهل لا يزال هناك من يظنّ أنه في مأمن من الخطر!.

لقد أصبحت جميع ساحات الأمة مكشوفة أمام هذا الواقع المأساوي، إلى أن يتدارك الأمر وتكون هناك عودة إلى الذات، ووقفة جادة يقوم بها جميع العقلاء، رفضًا لهذا الواقع السيئ. فلن يفيدنا الوقوف إلى جانب هذا الطرف ضد طرف آخر، طمعًا في مكاسب تكتيكية وموضعية، فذلك ما سيرتدّ على أوطاننا وشعوبنا.

الخطبة الأولى

تقويم العمل بأثره على النفس

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه قال: «سيّئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك»[1].

هناك مقياسان لصلاح أيّ عمل يقوم به الإنسان. مقياس يقوّم ذات العمل لجهة كونه عملًا حسنًا أم سيئًا، جيّدًا أم رديئًا، والمقياس الآخر هو ما يرصد آثار ذلك العمل على ذات الإنسان، وما إذا كانت آثارًا إيجابية أم سلبية. فقد يكون العمل في حدِّ ذاته حسنًا، إلّا أنه إذا ما غفل المرء، فلربما ارتدت آثار ذلك العمل الحسن على نفسه ارتدادًا سلبيًّا، وتركت آثارًا سيئة.

وقد يحصل العكس إذا ما ارتكب المرء عملًا سيئًا، ثم استدرك سريعًا، وظلّ متنبهًا ويقظًا، فعندها يصبح تأثير ذلك عليه حسنًا. من هنا يمكن فهم كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك»، ومقتضى ذلك، أنّ تلك السيئة التي ارتكبها الإنسان ثم ندم وعاد عنها وتلافى الوقوع فيها ثانية، يكون تأثيرها تأثيرًا إيجابيًّا.

طاعة تدفع إلى العجب

ولمزيد من الفهم لمسألة التأثير الإيجابي أو السّلبي للأعمال على ذات الإنسان يمكن التمثيل على النحو التالي؛ فحين يعمل الإنسان عملًا صالحًا لكنه يصاب

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم (٤٦).

بالعجب والغرور، وينتابه الشعور بالتعالي على الآخرين، ويغمره الإحساس بالامتلاء والاكتفاء نتيجة ما يعدّه عملًا كبيرًا، فيعني ذلك أن عمل الخير ذاك، قد انعكس على نحو سلبي على النفس، وبات العمل الصالح عديم الجدوى، بل مضرًّا بالذات، ومصدر الضرر هنا ليس كون العمل بذاته سيئًا، بل لما انعكس في النفس من تفاعلات سلبية.

إنّ التعليمات الدينية تدفع الإنسان نحو التزام التوازن النفسي عند إنجاز عمل الخير. فلا ينبغي أن يشعر بحالة الاكتفاء والتعالي نتيجة قيامه بما يعتبره عملًا عظيمًا، ورد في هذا السياق عن الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لأحد أبنائه القول: «يا بني، عليك بالجدّ، لا تخرجنّ نفسك من حدِّ التقصير في عبادة الله عزّ وجلّ وطاعته، فإنّ الله لا يعبد حقّ عبادته»[1]، ومقتضى ذلك أن يُشعر الإنسان نفسه بالتقصير مهما قدّم من عمل خير. وفيما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الإعجاب يمنع من الازدياد»[2]، وذلك لأنّ المعجب بعمله لا يفكّر أبدًا في القيام بالمزيد، فهو مكتفٍ بما أنجز وقدّم، وفي كلمة أخرى له عليه السلام أنه قال: «من كان عند نفسه عظيمًا، كان عند الله حقيرًا»[3]، فمن غير المناسب أن يشعر المرء في داخله بأنه مهمّ وعظيم؛ لأنه سيتحول بذلك إلى موقع دنيءٍ عند الله تعالى، وفي رواية ثالثة عنه عليه السلام أنه قال: «إنّ لله عبادًا لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون له من أنفسهم بالقليل، يرون في أنفسهم أنهم أشرار، وأنهم لأكياس و..». وضمن السياق نفسه يمكن فهم الأدعية المنسوبة للأئمة حيث يعترف الإمام المعصوم في دعائه بالذنب أمام الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك تعليم للناس، حتى لا يشعروا في دواخل أنفسهم بالعجب والاكتفاء، عوضًا عن الشعور بالتقصير تجاه خالقهم وفي قيامهم بأعمال الخير. وفي كلمة أخرى له عليه السلام في صفة المؤمن أنه

---

(١) الكافي، ج٢ ص٧٢، حديث ١.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم (١٦٧).

(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٦٠.

قال: «كُلُّ سَعْيٍ عِنْدَهُ أَخْلَصُ مِنْ سَعْيِهِ، وَكُلَّ نَفْس عِنْدَهُ أَصْلَحُ مِنْ نَفْسِهِ»[١]، فالمؤمن لا ينخدع ولا يغترّ بالإطراء عند مقايسته بالآخرين لقاء قيامه بعمل الخير، وإنّما على النقيض من ذلك، ينزع المؤمن إلى التقليل من عمله مهما بلغ، واعتبار عمل الآخرين أكثر إخلاصًا لله مهما قلّ، ولربما فاق قليلهم ما عنده من كثير الأعمال، وهذا هو تحديدًا معنى قول الإمام في صفة المؤمن: «كلّ سعي عنده أخلص من سعيه». فالنأي عن الشعور بالاكتفاء والتعالي، والعجب بالعمل الصالح، هو الضمانة بألّا يتحول تأثير العمل الحسن إلى تأثير سلبي على نفسه.

خطأ يقود إلى الاستقامة

في مقابل ذلك، قد يكون تأثير العمل السيء حسنًا في نفس المؤمن، إذا ما ندم على صدور المعصية والخطأ، وسعى للتكفير عن ذلك. وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن يندفع المرء نحو عمل السيئات حتى يتحصل على التأثير الحسن نتيجة لذلك، فهذا المسلك يدخل ضمن باب تعمّد المعصية وارتكاب الجرم، وإنما المقصود من ذلك هو عندما يسترسل الإنسان، ويتملّكه الهوى، وتغلب عليه شهواته، فيقع في المعاصي، ومن ثم تنتابه حالة من الندم والامتعاض الداخلي، فيدفعه جميع ذلك للتعويض عن تقصيره، عند ذلك يكون تأثير العمل السيء حسنًا. وذلك أشبه ما يكون بالطالب الذي يحرز نتائج طيبة في منتصف العام الدراسي، وسرعان ما يصيبه الغرور، فإذا به يتراجع مستواه نهاية العام. والعكس بالعكس، فقد يقصّر الطالب فيحرز نتائج سيئة في منتصف العام الدراسي، فيكون ذلك دافعًا قويًّا نحو تحسين أدائه الدراسي، وليحرز بعد ذلك نتائج أفضل في نهاية العام. وهذا تمامًا ما يجري إزاء مسألة العبادة وطاعة الله سبحانه، فحين يشعر الإنسان بالاكتفاء والتعالي، فهو يفقد أيّ دافع نحو أداء المزيد من أعمال الخير، وعلى النقيض من ذلك إذا شعر بالندم والتقصير فسيكون

(١) الكافي، ج٢ ص٢٢٩، حديث ١.

ذلك دافعًا نحو التعويض والتلافي.

وهناك جملة من الروايات الشريفة التي تكشف مدى التأثير النفسي للأعمال، وانعكاس ذلك على مصائر العباد عند الله سبحانه. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يدخل رجلان المسجد، أحدهما عابد والآخر فاسق، فيخرجان من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد المسجد وهو مدلّ بعبادته ـ يمنّ على الله بعبادته ـ ويكون فكره في ذلك، ويكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه، فيستغفر الله من ذنوبه»[١].

فهذا الشعور بالندم الذي ينتاب الفاسق يدفعه إلى المسيرة الصالحة، بينما يدفع الشعور بالغرور والعجب ذلك العابد إلى وضع آخر. وفي رواية أخرى، عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «إنّ رجلًا كان في بني اسرائيل، عبد الله تبارك وتعالى أربعين سنة، فلم يقبل منه، فعلم ـ على نحو أو خبر ـ أن عبادته طيلة الأربعين سنة غير مقبولة، فقال لنفسه، ما أوتيت إلا منك، ولا الذنب إلا لك، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه؛ ذمّك نفسك، أفضل من عبادة أربعين سنة»[٢]، إنّ تلك اللحظة التي شعر فيها بالتقصير أمام الله، هي أفضل من عبادته طوال تلك الأربعين سنة.

حسن الظن في عاقبة العاصين:

إنّ من الضروري بمكان، ألّا يبالغ المرء في تقدير أعماله العبادية وعطاءاته في مجال الخير. وإنما ينبغي أن يُشعر ذاته دائمًا بالتقصير، وإذا ضعفت إرادته ووقع في عمل السوء وارتكاب الذنوب، فإنّ عليه أن يحول ندمه على الذنوب إلى توجه واندفاع نحو الأعمال الصالحة، وصدق ربنا سبحانه وتعالى إذ قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَـٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا

(١) بحار الأنوار، ج٦٩ ص ٣١٦، حديث ٢١.

(٢) المصدر السابق، ج ٦٨ ص٢٢٨، حديث ١.

رَّحِيمًا﴾[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]. وأوحى الله سبحانه إلى داوود عليه السلام: «إن عبدي المؤمن إذا أذنب، ذنبًا، ثم رجع وتاب من ذلك الذنب، واستحى مني عند ذكره، غفرت له وأنسيته الحفظة، وأبدلته الحسنة، ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين»[1]، وفي هذا إشارة ينبغي الالتفات لها، وذلك حين يُرى أحدهم وقد ارتكب الذنب وعمل المعصية، فلا ينبغي إسقاطه، والنظر إليه نظرة الآيس من رحمة الله، وإنه لمن الخطأ الكبير أن يقع الناس في مفارقة غريبة، حين يغفرون لأنفسهم ارتكاب المعاصي مهما بلغت، لكنهم لا يغفرون لغيرهم ما هو أدنى من ذلك. وقد روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ رجلًا قال يومًا: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عزّ وجلّ: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عمل الثاني، بقوله لا يغفر الله لفلان»[2]. علينا أن ننظر للآخرين بحسن الظن في عاقبتهم. وقد ورد في الروايات أن إذا رأيت مذنبًا عاصيًا، فلا تقل إنّك أفضل منه، فلعلّ هذا العاصي المذنب يتوب وتحسن توبته، بينما ينتكس الآخر في الذنب والمعصية. فالمطلوب باستمرار النظر قدر الإمكان نظرة إيجابية للآخرين.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٤ص٣٢٧، حديث ١٥٨.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٥ص٣٣٦، حديث ١٣.

الخطبة الثانية

لا بديل عن الحوار والتوافق في الأوطان

من كتاب الإمام عليّ عليه السلام لواليه على مصر مالك الأشتر النخعي: «ولا تدفعنّ صلحًا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا، فإنّ في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك، وأمنًا لبلادك»[1].

تمثل حالة الحرب أسوا ما يمكن أن يقع فيه بنو البشر. ذلك لأنّهم يخسرون في حالات الاقتتال أهمّ وأعزّ ما يمتلكون، يخسرون فرصتهم في الوجود والحياة، حيث يقتل بعضهم بعضًا، من هنا يفرض العقل على الإنسان الذي يعرف قيمة الحياة، أن يتجنب خيار الحرب والاقتتال ما أمكن، ناهيك بأنّ الشرائع السماوية تنهى عن المبادرة إلى الحرب، ما لم يكن ذلك دفعًا للعدوان، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٠].

الحرب خيار اضطراري

وقد ورد في آداب الحرب والقتال، ألّا يبدأ الجيش المسلم بالقتال، ولا يدعو إلى المبارزة والنزال؛ لأنّ خيار الحرب في عقل الإنسان المسلم الواعي هو خيار اضطراري، لا يقدم عليه إلّا وهو مكره، آملًا في تجنب الحرب حتى آخر لحظة. وقال الإمام عليّ عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «لا تدعونّ إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب،

(١) نهج البلاغة، من كتاب للإمام علي عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر، رقم (٥٣).

فإنّ الداعي إليها باغٍ، والباغي مصروع»[١]، إنّه ليس من الفخر استعراض العضلات، ودعوة الآخرين للحرب والقتال. وفي كلمة وجهها عليه السلام إلى جيشه جاء فيها: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم»[٢]، إنّه عليه السلام ينهى أفراد جيشه عن المبادرة للقتال حتى وهم في ساحة المعركة، ما لم يبادر الطرف المقابل في القتال. وعلى غرار ذلك، اتخذ الإمام الحسين عليه السلام موقفًا مشابهًا، عندما استقبل جيش الحرّ بن يزيد الرياحي في طريقه إلى كربلاء، حيث اقترح عليه بعض أصحابه بقولهم: «يا ابن رسول الله، إنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا به»، فأجاب الحسين عليه السلام: «ما كنت لأبدأهم بالقتال»[٣].

الاحتراب الأهلي مآسٍ ودمار

ولعلّ أسوأ أنواع الحروب هي الحروب الأهلية. ذلك لأنّ المجتمعات المتحاربة داخليًّا، تقوم بتدمير منجزاتها بيدها، حتى يعود البلد إلى نقطة الصفر، وهذه سيرة الحروب الأهلية التي ابتليت بها مجتمعاتنا الإسلامية ماثلة أمامنا. فهذه المجتمعات التي تعاني من حيث الأصل من التخلف في التمنية، وبالكاد صنعت لها شيئًا من الإعمار والبنى التحتية، أنجزت وسط حالات الفساد وسوء الإدارة والتخلف في كلّ المجالات، فأصبح هناك بعض المدارس والمصانع والمستشفيات والجسور، وإذا بالحرب الأهلية تأتي وتدمّر ما قاموا ببنائه من دمهم وعرقهم وجهودهم على مدى عقود طويلة، حتى عادت البلاد إلى أسوأ مما كانت عليه قبل عهد التنمية.

لقد دمّرت الحروب الأهلية في الآونة الأخيرة أكثر من بلد عربي وإسلامي. فكم استهلك بلد فقير مثل السودان من نفوس أبنائه وموارده في حرب الشمال والجنوب، وما كاد جنوب السودان ينفصل عن شماله، حتى اندلعت حرب أهلية أخرى بين

(١) المصدر السابق، قصار الحكم رقم (٢٣٣).
(٢) وسائل الشيعة، ج١٥ ص٩٢، حديث ١.
(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص٨٤.

الجنوبيين أنفسهم، وهم الذين يعانون الفقر والجوع والتخلف، وكأنه لم تكن تنقصهم إلّا الحرب الأهلية التي خلفت ولا تزال مآسٍ إنسانية كبيرة. وكذلك الأمر في سوريا، هذا البلد العزيز على كلّ عربي ومسلم، البلد الذي كان يعاني شحًّا في الموارد، وبطئًا وتخلّفًا في التنمية، على غرار العديد من الدول العربية الأخرى، جاءت الحرب الأهلية، الدامية المأساوية، لتعيد هذا البلد إلى الوراء عقودًا طويلة من الزمن، ولتحتاج بذلك إلى جهود هائلة لتعويض ما دمّرته الحرب.

في سوريا أرقام مرعبة

ولأجل إعطاء تصوّر عمّا وصلت إليه سوريا في ظلّ الحرب الأهلية عرضت صحيفة الحياة بتاريخ (الأربعاء، ٢٢ يناير ٢٠١٤) تقريرًا مفصّلًا بعنوان «هل تدفع «الأرقام المرعبة» الأطراف إلى «تسوية تاريخية»؟»[١]، وذلك بمناسبة انعقاد مؤتمر جنيف٢، وقد أورد التقرير بأنّ هناك ٣٠٠ شخص يُهجّرون من ديارهم في كلّ ساعة من الصراع في سوريا، علاوة على مقتل ٦٠٠٠ سوري شهريًّا، وقد جاء في أدنى الإحصاءات أنّ الحرب الأهلية السورية حصدت ما لا يقلّ عن ١٢٠ ألف قتيل خلال السنوات الثلاث الأولى من زمن الحرب، وعلى صعيد الأوضاع الإنسانية، بلغ الحال أنه من أصل ٢٢ مليون هم قوام الشعب السوري، هناك عشرة ملايين باتوا في حاجة ماسّة للمساعدات الإنسانية، وخمسة ملايين رحلوا إلى معسكرات اللجوء خارج الديار. ووفق دراسات قامت بها مجموعات العمل في «اسكوا» فقد خسرت سوريا في الحرب الأهلية ما يعادل جهود ٣٧ سنة من التنمية، فقد تبخرت في الحرب إنجازات نحو أربعة عقود من التنمية، فضلًا عن تراجع تصنيفها على كلّ المؤشرات التنموية، حتى باتت تحتلّ المركز قبل الأخير عربيًّا، ما يعني وفقًا للدراسات أن سوريا تخسر في كلّ يوم إضافي من الحرب نحو ١٠٩ ملايين دولار أمريكي نتيجة استمرار الحرب. وعلى المستوى

(١) http://www.alhayat.com/Details/595556

التعليمي أشارت الدراسات إلى أنّ معدل التسرب من العملية التعليمية بلغ ٣٨ بالمئة، فلم تعد هناك من فرصة للدراسة والتعلم أمام هذه النسبة من الطلاب، أمّا معدلات البطالة فقد قفزت إلى ٤٢ بالمئة، وهكذا تستمر الإحصاءات المأساوية نتيجة الحرب الأهلية السورية.

وكذلك الحال في اليمن. فهذا البلد الفقير، الذي يعاني كثيرًا من تأخّر وتخلف التنمية فيه، جاءت الاضطرابات الداخلية وحالات الاحتراب، لتزيد من وضعه سوءًا.

من هنا، فلا مخرج من حالات النزاع الأهلي إلّا بالحوار والتفاوض عبر الوسائل السلمية. فصراع الإرادات أمر قائم في كلّ المجتمعات الإنسانية، ولا سبيل للتعبير عن ذلك إلّا بانتهاج الوسائل السلمية، عبر الحوار والتفاوض، لا الدخول في مغامرات تدمّر الأوطان، من خلال إصرار كلّ طرف على مطالبه ومواقفه، على حساب أرواح الشعوب ومقدرات الأوطان، فهذا المسلك لا يكشف عن أيّ قدرٍ من الوعي أو الإخلاص. في هذا الشأن نأمل أن يكون مؤتمر جنيف٢ بشير خير يعيد السلم الأهلي لسوريا، وأن يحمي الله الشعب السوري من أضرار العنف والتدمير الذي يجتاح بلدهم. وكذلك نأمل في حدوث الأمر نفسه في اليمن، حيث وردت عدة مؤشّرات طيبة من هناك، تم بموجبها إقرار وثيقة من خلال الحوار الوطني، ونأمل أن يكون هناك توجّه جادّ نحو التوافق بين الأطراف المختلفة لحماية البلد من الدمار، والتوجه عوضًا عن ذلك نحو البناء. كما نأمل أن يحلّ السلام عن طريق الحوار والتفاوض في السودان والعراق وسائر المناطق العربية والإسلامية. فلا بديل عن الحوار، ولا بديل عن التوافق بين مختلف الأطراف، وأن يتنازل كلّ طرف للآخر، لا بديل عن ذلك إلّا الدمار والخراب الذي ينتظر هذه الأوطان.



الخطبة الأولى

التديّن الموروث والبعد الأخلاقي

ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة[1].

الدين رؤية للحياة، وقيم وشرائع أنزلها الله تعالى لهداية عباده، وإصلاحهم وإسعادهم.

والتدين هو التزام الدين عبر الإيمان برؤيته، وتبنّي قيمه، وتطبيق شرائعه.

لكن فهم الدين وتنفيذ تعاليمه قد تلحقه بعض الشوائب والانحرافات في مختلف الأجيال والمجتمعات، فتكون هناك صورة سائدة للدين، وشكل متداول لممارسته، من وحي الظروف والبيئة الاجتماعية للمنتمين إلى الدين.

لذا يتوجب على أبناء كلّ جيل أن يعيدوا فحص وقراءة ما تلقّوه من أسلافهم من الدين، عبر الانفتاح المباشر على المنابع والمصادر الدينية الأصيلة، ودراسة مستجدات حياتهم وتطورات عصرهم الذي يعيشون فيه.

ولا يصحّ الاسترسال مع الموروث الديني فهمًا وممارسة اعتمادًا على الثقة بالأسلاف؛ لعدم إحراز عصمتهم من الخطأ، ولأنّ تقدم الزمن، وتطور الحياة،

(١) الكافي، ج٢، ص١٠٤، حديث٢.

واختلاف الظروف، قد يفرض تغييرًا في الفكر، أو اختلافًا في البرامج وأنماط السّلوك.

من هنا كانت ممارسة الاجتهاد في فهم الدين واستنباط أحكامه، فريضة قائمة على أبناء كلّ عصر ومجتمع، يجب أن يتصدى لها من تتحقق بهم الكفاية اللازمة، ويكونون بمستوى الحاجة والمطلوب.

ومن هنا أيضًا كان الأمر بالنظر في الكون، والتأمل في سنن الحياة، والتدبر في آيات القرآن الكريم، أمرًا موجّهًا إلى جميع الأجيال والأفراد. وليس خاصًّا بأبناء جيل خاصّ أو أفراد محدّدين.

ولا معنى لهذا الأمر إن لم تترتب عليه آثار في العلم والعمل.

الأخلاق والتدين الموروث.

يركز التدين التقليدي الموروث في مجتمعاتنا غالبًا على جانبين من الدين:

الجانب الأول: هو المعتقدات، **والجانب الثاني**: هو العبادات والشعائر الدينية، ولسنا الآن في معرض البحث عن تفاصيل هذين الجانبين، لكننا نريد الإشارة إلى ضعف الاهتمام في التدين التقليدي بجانب آخر من الدين وهو جانب الأخلاق والسلوك الاجتماعي.

حيث يفخر المتديّن بإيمانه العقدي، ويعتزّ بانتمائه لهذا الدين وهذا المذهب، ولا يقبل الانتقاص من شيء من متبنياته الدينية، كما يحرص على أداء عباداته من صلاة وصوم وحج، بدقة قد تصل إلى حدِّ الهوس والوسواس، ويهتم بالمشاركة في الشعائر والطقوس المذهبية متحدّيًا الضغوط والعقبات.

لكن هذا المتديّن نفسه قد لا تراه حريصًا على تنمية ذاته وتطوير مهاراته وكفاءاته، ولا يبدي الجدية في تحمل مسؤولياته، ولا يهتم بالإتقان في عمله ووظيفته.

يدقّق في مراعاة أحكام الطهارة والصلاة، ولكنه يتساهل في مراعاة حقوق الآخرين

في محيطه العائلي والاجتماعي.

يصرف الجهد والوقت في المشاركة في المراسيم والشعائر الدينية، لكنه يبخل حتى بالقليل من جهده ووقته في الأعمال التطوعية، ومؤسسات الخدمة الاجتماعية.

ينفق الكثير من ماله في رحلات الحج والعمرة، وزيارة العتبات المقدسة، لكنه لا يتفقد أحوال الفقراء والمساكين في مجتمعه.

وقد أنتج هذا النمط من التديّن التقليدي مجتمعات تقلّ فيها الكفاءات، وينخفض مستوى الإنتاج، وتنتهك حقوق الإنسان، ويتضاءل العمل التطوعي، ويتدنى التكافل الاجتماعي، وذلك لغياب الاهتمام وضعف التركيز على الجانب الأخلاقي من رسالة الإسلام.

محورية الأخلاق في الدين:

حين نتأمل آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة الشريفة، وهما المصدر الأساس لفهم الدين، ومعرفة قيمه وتشريعاته، نجد للبعد الأخلاقي فيهما مقام الأولوية وموقع الصدارة، فالأخلاق ليست قضية كمالية ثانوية، تدخل في نطاق المستحبات والمندوبات، كما ينظر إليها التديّن التقليدي، بل هي الغاية والمقصد الأساس في الدين.

حيث تضع أكثر من آية في القران الكريم مهمة التزكية في طليعة وظائف النبوة، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[سورة الجمعة، الآية:٢]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٥١].

وفي مورد آخر يُحدّد القرآن الكريم هدف رسالات الأنبياء، ومقصد الوحي الإلهي، بأنه اقامة العدل في حياة البشر، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ

وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[سورة الحديد، الآية:٢٥].

ويحصر رسول الله ﷺ مهمة بعثته فيما روي عنه بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١]، وفي حديث آخر: «إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق»[٢]، وفي حديث ثالث: «بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها»[٣].

أما المعتقدات الدينية من الإيمان بالله وبالوحي وبالمعاد يوم القيامة، فإنّ المطلوب تجلّي آثارها في أخلاق الإنسان وسلوكه الشخصي والاجتماعي، وإذا لم تتحقق تلك الآثار، فذلك يكشف عن زيف الإيمان، ووهن الاعتقاد، وهذا ما تصرح به سورة الماعون، يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴿٧﴾.

كما تقرن عشرات الآيات الكريمة ذكر الإيمان بالعمل الصالح الذي هو ثمرة الإيمان، والكاشف عن صدقيته، كقوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة البقرة، الآية:٦٢]، ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ [سورة الكهف، الآية:٨٨]، ﴿ وَالْعَصْرِ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[سورة العصر].

إلى جانب المعتقدات، فإنّ العبادات الدينية تستهدف تعزيز القيم الأخلاقية في نفس الإنسان، لتنعكس على سلوكه وممارساته، فحين تتحدث سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد عن حِكم العبادات وعلل التشريعات، نراها تركز على الغايات الأخلاقية، تقول عليها السلام: «فجعل اللّه الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك، و الصلاة تنزيهًا لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، و الصيام تثبيتًا للإخلاص، و الحج

(١) بحار الأنوار، ج ١٦، ص٢١٠.

(٢) كنز العمال، ج٣، ص١٦، حديث ٥٢١٨.

(٣) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٨٧، حديث١٤٢.

تشييدًا للدين، والعدل تنسيقًا للقلوب»[١]، ونجد في النصوص الدينية في مجال علل الأحكام وحكم التشريعات كثيرًا مما يؤكّد هذه الحقيقة.

الأخلاق وسيلة التقرب إلى الله

من الطبيعي أن يسعى المتديّن لعمل ما يقرّبه إلى الله سبحانه، ويؤهّله لرضاه، ولنيل المزيد من الأجر والثواب.

ولأن الثقافة الدينية التقليدية تركز على ذكر فضل الأعمال العبادية والبرامج الشعائرية، لذلك يقبل المتديّنون عليها، ويتنافسون على المبادرة إليها، والقيام بها.

فصلاة النوافل، والصيام المستحب، وتكرار الحج والعمرة، وزيارة العتبات المقدسة، وإقامة الشعائر الحسينية، وبناء المساجد والحسينيات، كلّها أمور تشهد إقبالًا واهتمامًا كبيرًا من قبل جمهور المتديّنين، بسبب ما غرس في قلوبهم ونفوسهم من فضل هذه الأعمال، وما أعدّ الله للقائمين بها من أجر وثواب.

وينبغي لنا أن نسرّ ونفخر بالإقبال على هذه البرامج العبادية والشعائرية؛ لأنّها جزء لا يتجزأ من الدين، والإقبال عليها مكسب للحالة الدينية.

لكن الإشكال يكمن في تجاهل الثقافة التقليدية؛ لأهمية القضايا الأخلاقية والسلوكية، وضعف التركيز على دورها في بناء شخصية الإنسان المتديّن، وعدم تداول ما ورد من النصوص في فضلها وثواب وأجر التحلي بها.

مع أننا نجد كثيرًا من النصوص الدينية التي ترجّح بعض السلوكيات الأخلاقية على كثير من الممارسات العبادية، وتتحدث عن ثواب وأجر كبير عند الله سبحانه وتعالى لذوي الأخلاق الفاضلة والمواقف النبيلة.

وحين نقرأ حديث القرآن عن أهمّ صفات المؤمنين الصالحين، نرى الحضور

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢٩، ص٢٢٣.

المكثف للصفات الأخلاقية، إلى جانب السمات العقدية والعبادية، كالآيات الأخيرة من سورة الفرقان حيث بدأت بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾[سورة الفرقان، الآية:٦٣]، مروراً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾.

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حسن خلقه بلغه الله درجة الصائم القائم»[١].

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة»[٢].

وعنه ﷺ: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»[٣].

وعنه ﷺ: «إنّ أحبّكم إليَّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلسًا أحسنكم خلقًا وأشدّكم تواضعًا»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله»[٥].

سوء الخلق إثم أكبر

إذا كان المتديّن يحذر من الوقوع في الذنوب والمعاصي، ويتجنّب ما يوجب سخط الله وغضبه، فعليه أن يعلم أن ذلك لا يقتصر على ترك الواجبات العبادية، أو ارتكاب الآثام الشخصية، بل إنّ سوء التعاطي والتعامل مع الآخرين قريبين كانوا أم بعيدين، هو

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٦٣.
(٢) كنز العمال، ج٣، ص٥، حديث ٥١٤٩.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٥١، حديث ١٥٩١٦.
(٤) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص٣٨٥، حديث٢٦.
(٥) الكافي، ج٢، ص١٠١، حديث١٢.

من أكبر المعاصي وأشدّ الذنوب والآثام، وهذا ما تؤكّده نصوص دينية كثيرة:

- فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سوء الخلق ذنب لا يغفر»[١].
- قيل لرسول الله ﷺ: «إنّ فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: لا خير فيها، هي من أهل النار»[٢].
- عن النبي ﷺ عند دفن سعد بن معاذ أنه قال: قد أصابته ضمّة، فسئل عن ذلك فقال: «نعم، إنه كان في خلقه مع أهله سوء»[٣].
- وورد عنه ﷺ قوله: «إنّ العبد... ليبلغ بسوء خلقه أسفل درك جهنم»[٤].
- ويتحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن اتّساع عفو الله تعالى لأيِّ تقصير يحصل من الإنسان تجاه ربه، لكن عدوان الإنسان على شيءٍ من حقوق أخيه الإنسان المادية أو المعنوية، هو ذنب غير قابل للتجاوز من قبل الله تعالى، حتى يسترجع صاحب الحقّ حقّه، يقول: «أَلَا وَ إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ وَ ظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً»[٥].

هكذا تبدو محورية الأخلاق وأولويتها من خلال الفهم الواعي للدين، مما يوجب إعادة النظر في الثقافة التقليدية السائدة، التي تبخس هذا البعد الخطير حقّه.

وتشتد الحاجة لإعادة صياغة الخطاب الديني في هذا العصر، وتغيير سلّم

(١) كنز العمال، ج٣، ص٤٤٣، حديث ٧٣٦٣.
(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص ١٦٦.
(٣) الأمالي للشيخ الصدوق، ج٢، ص٣١٥.
(٤) كنز العمال، ج٣، ص٥، حديث ٥١٤٩.
(٥) نهج البلاغة، خطبة ١٧٦.

الأولويات والاهتمامات في طروحاته، لما تواجهه مجتمعاتنا من تحدّيات نابعة من سرعة تطور وتيرة الحياة، ومن الانفتاح الواسع على سائر الثقافات والمجتمعات.

إننا بحاجة لخطاب ديني يحفّز دوافع الخير في نفس الإنسان، ليكون أكثر كفاءة وفاعلية وعطاءً، وإلى ثقافة دينية تبثّ روح المحبّة والتسامح واحترام الحقوق المتبادلة بين الناس، ليصبحوا أقدر على التعايش والتعاون لخدمة مصالحهم المشتركة.

مخرجات الازدراء والتعبئة الطائفية

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الإنسان مسؤولًا عن أعماله، وعما يتمخّض عنها من نتائج، صغيرها وكبيرها. وفي سبيل أن يحسب المرء حسابًا لأيِّ عمل أو تصرف من أعماله وتصرفاته، فقد كشفت الشرائع السماوية عن أنّ جميع أعمال البشر من قول أو فعل هي قيد الضبط والتوثيق الرباني. ومهما فعل الإنسان من فعل أو ألقى من قول، ونسي ذلك لاحقًا، فلا يعفي هذا النسيان المرء من نتائج وآثار أفعاله، وفي هذا يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّـهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّـهُ وَنَسُوهُ وَاللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٦]، هكذا لكي يكون الإنسان مراقبًا لأفعاله، وليضع في اعتباره أنه سيكون حتمًا في مواجهة آثار أعماله، عاجلًا أم آجلًا.

أعمالك مثبتة عليك

ولطالما كررت آيات القرآن الكريم التذكير بحقيقة أنّ جميع أعمال الإنسان مثبتة عليه، مهما كانت ضئيلة وحقيرة في نظره. قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[سورة الكهف، الآية: ٤٩]. والأكثر من ذلك، أنّ الأمر ليس مقتصرًا على إحصاء الأعمال وحسب، وإنما تفيد نصوص كثيرة أنّ الإنسان في القيامة سيرى

أفعاله ماثلة أمامه رأي العين، كما يفيد بذلك ظاهر الآية الكريمة: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، وجاء في آية أخرى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٠]، ويقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨].

فقد ذهب بعض المفسّرين إلى القول بأنّ معنى أن يجد الإنسان أعماله حاضرة يوم القيامة، أي إنّه يرى أعماله مكتوبة ومثبتة عليه، وقال مفسّرون آخرون أي إنّه يجد جزاء أعماله، فيما ذهب فريق آخر من المفسرين إلى القول بأنّ الأمر ليس متوقفًا على تسجيل الأعمال فقط، ولا على ملاقاة الجزاء وحسب، وإنما علاوة على ذلك يجد المرء أعماله حاضرة في يوم القيامة، أي إنّه يراها متجسّدة أمامه كما هي. واستدلّ المفسّرون على ذلك بجملة من الروايات والأحاديث الشريفة. ولعلّ في تجسد الأعمال في يوم القيامة أبلغ حجة وأكثر تأثيرًا على الإنسان، وذلك على غرار ما يجري في الحياة الدنيا إذا ما صادف وكان الفعل مصوّرًا وموثّقًا بكاميرا رقمية مثلًا، فإنّ ذلك سيمثل ولا شك دليلًا دامغًا لا يمكن دحضه.

أهمية توثيق الممارسات

إنّ الآيات والنصوص الدينية التي تشير بتجسّد الأعمال في يوم القيامة، غرضها أن يتحمل الإنسان المسؤولية عن تصرفاته، وألّا يقع في شرِّ أعماله يوم العرض الأكبر. ذلك أنّ الإنسان إذا ما اعتقد أنه سيجد تلك الأعمال شاخصة أمامه، فستضفي عليه البهجة إن كانت خيرًا، أو تسوؤه إن كانت شرًّا. فإذا عمل المرء عملًا طيّبًا، وتم توثيقه على أيِّ نحوٍ من الأنحاء، فإنّ ذلك سيكون مصدر ارتياح وسعادة له، والعكس بالعكس فيما لو تم تصيّده وتصويره خلسة وهو يرتكب عملًا مخلًّا، ثم شُرع في ترويج ذلك التصوير، فإنّ ذلك ولا شك سيتسبب في إزعاج دائم للإنسان، يذكره بضعفه وإجرامه باستمرار.

ولا يخفى على أحدٍ ما للتسجيل المصور من أثر بالغ في الرأي العام، بخلاف ما إذا كان الأمر مجرّد خبر منقول. ولقد رأينا كيف تسبب تسجيل مصور واحد في تحريك الرأي العام العالمي، حين بثّت إحدى وكالات الأنباء تسجيلًا مصوّرًا للحظة إطلاق قوات الاحتلال الإسرائيلي النار على الطفل الفلسطيني محمد الدرة، ولفظ أنفاسه الأخيرة وهو في حضن أبيه.

وكذلك الحال مع الصور المسرّبة من سجن أبو غريب في العراق سنة ٢٠٠٤ إبّان الاحتلال الأمريكي، التي هزّت الرأي العام العالمي حين أظهرت بعض الجنود الأمريكيين وهم يرتكبون شتى صنوف التعذيب والتنكيل بحقّ السجناء العراقيين. وكما على الصعيد العالمي، كذلك تسببت بعض اللقطات المصورة على الصعيد المحلي في إحداث ضجة كبيرة وسط الرأي العام المحلي، أدّى بعضها إلى اتخاذ إجراءات رسمية حيال العديد من الحالات، إنْ على مستوى العنف الأسري أو التحرش الجنسي، أو ما أطلق عليه بمطاردات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذلك ما يدلّ على مستوى التأثير الذي يتركه التوثيق والتسجيل وعرض الأعمال أمام الإنسان.

ولعلّ آخر ما تسرّب في هذا الصدد عبر مواقع التواصل الاجتماعي، هو التصوير المأخوذ الأسبوع الماضي لمجموعة من الجنود الذين كانوا يجوبون بلدة العوامية وهم يطلقون إساءات صريحة بحقّ أهالي المنطقة. بلغ بهم حدّ قذف أعراض الناس بعبارات سوقية بذيئة. إنّ هذه الحادثة المصورة ينبغي أن تتخذ إزاءها إجراءات صارمة، خاصة وأن هذه الحادثة مثّلت توثيقًا مسجلًا تم تصوير أحداثه من داخل مركبة أمنية ومن قبل الجنود أنفسهم.

إنّ المأمول هو أن تكون هذه الحادثة المصورة باعثًا لحراك وطني، يدين هذه الممارسة وأمثالها، ويرفض الأرضية التي تنطلق منها. لقد كان هؤلاء الجنود الذين ظهروا في التسجيل المصور، هم ضحايا للتعبئة الطائفية، التي تشحنهم شحنًا باتجاه

ازدراء الآخرين، تارة بوصف الروافض وأخرى بالصفويين وما إلى ذلك من بذاءات.

إنّ هذه التعبئة التي تقوم بها منابر وأوساط عريضة على مرأى ومسمع من الجميع، هي التي أوجدت الأرضية الطائفية الجاهزة، حتى إذا وجد هذا المعبّأ طائفيًّا أدنى سلطة بيده، فإنّ مظاهر تلك التعبئة سرعان ما تظهر آثارها فاقعة على سلوكه وممارساته حيال الآخرين. ورغم أن بعض الصحف تناولت الحادثة[١] إلاّ أننا كنا نتوقع أن نجد قدرًا أكبر من التفاعل مع وقائع هذا التسجيل، وما يشير إليه من ظاهرة طالما عانى منها المواطنون في المنطقة. لقد كنا نتوقع تفاعلًا أكبر إعلاميًّا واجتماعيًّا ورسميًّا، ينصب في مجموعه باتجاه إدانة مثل هذه التصرفات القذرة البغيضة، حتى نثبت للعالم أنّنا كمواطنين في غاية الاهتمام بالحفاظ على كرامة بعضنا بعضًا، فإذا أهينت كرامة أيّ فئة منّا في أيّ منطقة كانت، وإلى أيِّ مذهب انتمت، فتلك إهانة للوطن والشعب بأجمعه. فلا يجوز للواعين أن يطووا كشحًا عن هذه الإساءة؛ لأنّ ضحاياها هم فئة معينة، إنها بالدرجة الأولى إهانة لكرامة الوطن أجمعه.

ولعلّ أقل ما ينتظره الناس في أعقاب هذه الإساءة بحقّ المواطنين هي أن تتخذ إجراءات رادعة. حتى يوضع حدٌّ لهذه الحوادث التي يعاني منها أهالي المنطقة منذ أكثر من سنتين، ولكلا تتكرر في قابل الأيام. ولا بُدّ أن تسنّ القوانين والتشريعات المجرمة للتحريض على الكراهية، فعلى غرار تشكيل هيئة للدفاع عن حقوق الإنسان، أو هيئة لمكافحة الفساد، ينبغي أن تتجه بلادنا نحو تشكيل هيئة بقرار من أعلى مؤسسات الدولة تتصدّى لكافة أشكال التمييز، وليكون لديها التفويض الكامل لمواجهة التمييز الطائفي والعنصري بمختلف أشكاله وألوانه، حتى لا يكون هناك مجال لمثل هذه التصرفات والممارسات المسيئة للوطن والمواطنين.

---

(١) نشرت جريدة الحياة الخبر تحت عنوان: العوامية: مقطع فيديو لـ «رجال أمن» يثير استياء مواطنين، بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠١٤، http://www.alhayat.com/Details/598048.

الخطبة الأولى

الأخلاق عنوان التقدم

عن الإمام عليّ عليه السلام: «لو كنّا لا نرجو جنّة، ولا نخشى نارًا ولا ثوابًا ولا عقابًا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنّها ممّا تدلّ على سبيل النجاح»[(١)].

تتجلى الأخلاق الإنسانية ضمن بعدين؛ بعد ذاتي وآخر اجتماعي. فالبعد الذاتي يرتبط مباشرة بإدارة الفرد لذاته، وضبطه لغرائزه وميوله، ويمكن تفسير حسن الخلق في البعد الذاتي، بما يعني تعزيز وتنمية الميول الإيجابية الحسنة في نفس الإنسان، وكبح جماح النزعات السلبية السيئة فيها، بما يفضي لإدارة الذات على نحو جيّد، وهذا تحديدًا معنى حسن الخلق في بعده الذاتي، أما حسن الخلق في بعده الاجتماعي، فإنّ ميدانه التعامل مع الناس، القريبين والبعيدين، على أساس الاحترام ورعاية الحقوق، والإحسان للآخرين.

طريق السعادة والنجاح

إنّ الإنسان الذي يتحلى بحسن الخلق في إدارته لذاته وتعامله مع الآخرين هو أقرب للنجاح. بينما الآخر الذي يتطبع بسوء الخلق فمسيرته في الحياة أقرب للتعثر، ومردّ ذلك إلى ما يصنعه حسن الخلق من رضا داخلي، واستقرار نفسي، وارتياح لدى الإنسان، علاوة على ما يعود عليه من انسجام مع محيطه الأسري والاجتماعي، فإذا

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٤ ص٢١٠.

عاش المرء رضا نفسيًّا، وانسجامًا مع من حوله، فهذا هو الطريق إلى النجاح والسعادة في هذه الحياة.

وتشير كثير من النصوص الدينية إلى أنّ حسن الخلق هو السبيل إلى جعل الإنسان ناجحًا وسعيدًا في حياته. فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «لا عيش أهنأ من حسن الخلق»[١]، فالعيش الهنيء لا يأتي عبر المال أو المنصب ولا مختلف الامتيازات، بقدر ما يأتي نتيجة توفر الرضا في نفس الإنسان، والانسجام ضمن محيطه، وهذا بطبيعة الحال لا يتأتّى إلّا بحسن الخلق. وفي إشارة لافتة يربط أمير المؤمنين عليه السلام بين أخلاق الإنسان والوضع الاقتصادي الذي يعيشه، حيث يقول عليه السلام: «بحسن الأخلاق تدرّ الأرزاق»[٢]، ومعنى ذلك أنّ المرء كلّما كان أفضل أخلاقًا، كان أقرب إلى النجاح في مجالات حياته المختلفة وبما ينعكس على وضعه المعيشي. وعنه عليه السلام في ذات السّياق أنه قال: «من حسن خلقه، كثر محبّوه وأنست النفوس به»[٣].

في مقابل ذلك تشير النصوص الدينية إلى أن سوء الخلق لدى الإنسان هو الطريق إلى نكد العيش. حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «سوء الخلق نكد العيش وعذاب النفس»[٤]، فحياة المرء تتحول مع سوء إلى الخلق إلى عيشة نكدة، وعذاب نفسي قائم، وفي كلمة أخرى روي عنه عليه السلام أنه قال: «سوء الخلق يوحش القريب وينفّر البعيد»[٥]، وورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من ساء خلقه، عذّب نفسه»[٦]، فالعذاب النفسي يبدو أنّه

---

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج٢ ص٥٦٠، ووردت عن الإمام علي عليه السلام في عيون الحكم والمواعظ، ص٥٣٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٨٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٤١، حكمة ٦٠٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٨٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢٩، حكمة ٨٦.

(٦) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٥١٢، حديث ٢٦، ووردت في أمالي الشيخ الصدوق، ص٦٣٦، حديث٣ عن الإمام الصادق عليه السلام.

النتيجة الطبيعية لسوء الخلق على المستوى الشخصي.

لا نهضة دون أخلاق

أمّا على الصعيد الاجتماعي فالأمم تقاس في نهضتها وتقدمها بالمستوى الأخلاقي العام السّائد فيها. وذلك ما يتجلّى على صعيد تعامل الناس مع بعضهم بعضًا، من حيث الاحترام المتبادل، والقدرة على التعايش، ورعاية الحقوق، والتعاون والقدرة على العمل الجمعي بين الناس، والانضباط والتقيد بالقانون والنظام، والإتقان في العمل، فهذه بأجمعها مصاديق متعددة للأخلاق الحسنة. إنّ هناك مجتمعات طالما اشتهر عنها سمة الإتقان في العمل، الأمر الذي انعكس على مستوى وجودة الإنتاج عندهم، وعاد إيجابًا على سمعتهم، وهذا ما يتضح في تعامل الناس مع السلع التجارية والمواد الآتية من بلدان معينة، على النقيض من سلع أخرى قادمة من بلدان أخرى لم تشتهر بسمعة جيّدة على صعيد الإنتاج، وهذا كله ناتج عن خُلق الإتقان عند تلك المجتمعات.

وينسحب الأمر ذاته على مستوى الانضباط العام والتقيد بالقوانين، والتزام المواعيد، فهناك مجتمعات تشتهر بحرصها الشديد على هذا الصعيد، بينما لا تجد الأمر ذاته في مجتمعات أخرى ليس بها انضباط عام، ولا تقيد بالقانون، ولا التزام المواعيد!، الأمر الذي ينعكس بطبيعة الحال على جميع المستويات، إنْ على صعيد تعثّر المشاريع العامة، أو تعطيل مصالح الناس، فلطالما تعثرت مشاريع خدمية رصدت لها الملايين دونما مبرر معقول، سوى ارتباط ذلك بغياب خلق التزام المواعيد والانضباط في إنجاز العمل، وذلك مرتبط من حيث الجوهر بأزمة في الأخلاق.

إنّ سيادة القيم الأخلاقية العامة في بعض المجتمعات هي المحرك الأساس لتقدمها. فإيقاع الحياة في المجتمعات المنضبطة أفضل، وحركة الإنتاج أكثر تقدّمًا ونموًّا، على النقيض من المجتمعات الأقلّ انضباطًا. ضمن هذا السياق يمكن فهم

الارتباط بين الأخلاق وبين تقدم المجتمعات، الذي تشير له وتشدد عليه النصوص الدينية، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة»[١].

وتنطوي تحت عنوان حسن الخلق كلّ السلوكيات الإيجابية، من قبيل الإتقان في العمل، والانضباط والتزام القانون، والاحترام المتبادل، ورعاية الحقوق، هذه كلها مصاديق لحسن الخلق، وجاء في الشعر العربي:

فإنما الأمـم الأخـلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «عليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنيئة فإنها تضع الشريف وتهدم المجد»[٢]، وقد كانت الأمة الإسلامية فيما سبق على مرتبة متقدمة من الشرف، على النقيض مما هي عليه اليوم، فأين ذهبت تلك الرفعة التي تميزت بها الأمة في سالف الأزمان؟ لقد ذهب ذلك المجد وانهدم ذلك الشرف، نتيجة سيادة الأخلاق السيئة، وغياب الأخلاقيات الحسنة، والقيم الإيجابية على الصعيد العام في الأمة.

ويشير الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه الحقيقة بقوله: «إنّ البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[٣]، وللإلمام بفهم عميق للنص، ينبغي أن نفهم حسن الخلق بأنه الالتزام الصارم بالأخلاقيات العامة والقيم الإيجابية في الحياة. وحتى ندرك الصلة المباشرة بين الأخلاق وعمارة الديار وزيادة الأعمار، يكفي النظر إلى معدل الأعمار لدى بعض الشعوب، فاليابانيون مثلًا معروفون بمعدل عالٍ في الأعمار، وأسباب ذلك أن علاقة الناس فيما بينهم على المستوى الاجتماعي لا تشكل ضغطًا نفسيًّا على الفرد الياباني. بينما المجتمعات التي يعاني الفرد فيها من الضغوط داخل الأسرة، والمدرسة، وفي مكان العمل، علاوة على ضغوط السلطة، فأيّ صحة

(١) وسائل الشيعة، ج١٢ص١٥٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥ ص٥٣، حديث ٨٩.
(٣) الكافي، ج٢ ص١٠٠، حديث ٨.

وأيّ راحة ستبقى لهذا الفرد، وأيّ عمر طويل سيتمتع به!. من هنا ندرك جيّدًا كيف أنّ حسن الخلق يزيد في الأعمار، لجهة أنّ الناس في مقدورهم أن يوفروا على أنفسهم العناء والمشاكل النفسية، التي هي من أهم أسباب السقم، واعتلال الصحة، وبالتالي قصر معدّل الأعمار.

الأخلاق مصالح ومكاسب

ولو نحّينا الوصايا الدينية جانبًا، لرأينا أنّ هناك أسبابًا ومصالح واقعية لا تحصى للالتزام بالقيم الأخلاقية. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة حين قال: «لو كنّا لا نرجو جنة ولا نخشى نارًا ولا ثوابًا ولا عقابًا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها مما تدلّ على سبيل النجاح»[١]، إنّ طلب مكارم الأخلاق، يصبّ في مصلحة تنظيم وتقدم حياتنا جميعًا، وما جاء التزام المجتمعات المتقدمة الأخلاقيات الحسنة، إلّا نتيجة وعيها بأنّ مصالحها مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بمدى التزامها هذه الأخلاق.

إنّ أمتنا الإسلامية ربما كانت أولى الأمم بالتزام الأخلاق الحسنة. وذلك لما تنتجه الأخلاق من مصالح لعامة الأمة في الدنيا أولًا، وثانيًا لما يصب في مصلحتنا الفردية في الآخرة كذلك، فالثواب الأخروي لن يتأتّى من خلال الصلاة والصيام فقط، وإنما يتحصل أكثر الثواب في الآخرة نتيجة حسن الخلق مع الآخرين، سواء في المنزل أو مع الجيران أو في التعامل مع زملاء العمل، فقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «حسّن خلقك يخفف الله حسابك»[٢]، إنّ ما يخفف العذاب يوم القيامة ليس التزام الصلاة والصيام وسائر العبادات فحسب، وإنما حسن الخلق هو أكثر ما يخفف على الإنسان العذاب. وورد في مقابل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «سوء الخلق ذنب لا يُغفر»[٣]،

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٤ ص٢١٠.
(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٢٧٨.
(٣) كنز العمال، ج٣ ص٤٤٣، حديث ٧٣٦٣.

فقد يُغفر للإنسان تقصيره في صلاته وصيامه ووضوئه، إلّا أنّ سوء الخلق يبقى ذنبًا لا يُغتفر وفقًا للحديث النبوي الشريف، ذلك لأنّ سوء الخلق سلوك متعلق على نحو مباشر بحقوق الآخرين، فالله سبحانه لا يغفر للمرء الذنوب المتعلقة بالآخرين، إلّا أن يتنازل الآخرون عن حقوقهم.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه»[1]، فلو كان لدى المرء ملف خاصّ به يوم القيامة، فسيكون العنوان الأبرز على ذلك الملف لحظة الفرز هو ما إذا كان هذا المرء حسن الأخلاق أم صاحب خلق سيئ، فالأخلاق هي عنوان صحيفة المؤمن، لذلك ينبغي الحرص على العنوان المناسب الذي يريد أن يجده الإنسان على صحيفته في الآخرة. ونختم بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «إنّ العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة»[2]، وهذا الحديث وإن كان يُعلي من شأن الأخلاق الحسنة، إلّا أنّه لا يعني بطبيعة الحال التقليل من شأن العبادة، بقدر ما يعني رقي وعلوّ مكانة حسن الأخلاق عند الله سبحانه وتعالى.

(١) بحار الأنوار، ج٦٨ ص٣٩٢، حديث ٥٩.
(٢) كنز العمال، ج٣ ص٥، حديث ٥١٤٩.

من يزجّ شبابنا في محرقة الإرهاب ؟

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف، الآيتين: ١٠٣و١٠٤].

ليس هنالك أكثر خسرانًا من أن يسلك المرء طريق الانحراف، وهو معتقد أنه يسير في طريق الخير. فقد يسلك الواحد طريق السوء والانحراف قاصدًا لذلك، وهذا لا شكّ أنه خاسر؛ لأنّ النتيجة الحتمية لمسلك السوء والانحراف هي الخسران المبين، لكن الأخسر منه من يسلك طريق الانحراف قاصدًا ومعتقدًا أنّه يسير في طريق الخير! وذلك نتيجة تقصير منه في معرفة الحقيقة، وتمييز طريق الخير عن طريق الشّر، إنّ من يمشي مع جماعة من السُّراق، وهو قاصد وعالم بأمر السرقة، فلو ضبط حينها، وأودع السجن، فلن يمثل ذلك بالنسبة إليه مفاجأة أو صدمة كبيرة؛ لأنّ ذلك الاحتمال كان واردًا على أيِّ حال. أما لو تابع أحدهم جماعة بقصد مساعدة فقير من الفقراء على حسب ظنّه، فإذا بهم يسطون على بيت ذلك الفقير ويسرقونه، عند ذلك سيمثل هذا الأمر صدمة كبرى لهذا الشخص التابع. وهذا عين ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

ضحايا التضليل

إنّ هؤلاء «الأخسرين أعمالًا» المشار إليهم في الآية الكريمة هم الضحايا الذين ارتضوا لأنفسهم التضليل. لقد أعطى الله تعالى الإنسان عقلًا ليفكر ويتأمل، حتى لا يقع ضحية لتضليل الآخرين، إلّا أنّ هؤلاء، لسبب أو لآخر، يقعون في مستنقع التضليل. إنّ القرآن الكريم يشير بوضوح إلى وجود أفعال التضليل، فقد ورد في الآية الكريمة: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾، هناك من عمل على تزيينه وإظهاره بمظهر الحسن. وفي موضع آخر تشير الآية الكريمة إلى دور الشيطان في تزيين الأعمال، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾، ودور الشيطان في هذه الحالة قد يجري عن طريق بعض البشر الذين يتولون التضليل الشيطاني للناس. ولعلّ المصداق الأبرز للمضللين المغرّر بهم هم أولئك المنقادون إلى طريق العنف والإرهاب. فهؤلاء المضللون، الذين خضعوا لما يشبه غسيل الدماغ، ذهبوا بأرجلهم وتورطوا في ارتكاب أعمال العنف والإرهاب ضد الأبرياء، فصاروا يفجرون أنفسهم ويفجرون معهم الآخرين، فيملأون البلاد عنفًا ودمارًا وخرابًا. هؤلاء هم المصداق الأبرز لمن وصفهم الله تعالى في الآية الكريمة بالأخسرين أعمالًا.

لقد شهد التاريخ الإسلامي حالة مشابهة لما يجري اليوم من ولوغ فئة في دماء المسلمين، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا. وقد أشار الإمام عليّ ﵇ في تفسيره للآية الكريمة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، بقوله ﵇: «وما أهل النهر عنهم ببعيد»[(١)] في إشارة إلى الخوارج الذين قاتلوا عليًّا في النهروان، هؤلاء الخوارج كانوا من المتحمّسين جدًّا، والمتديّنين افتراضًا، وكانوا يوصفون بأنهم من أصحاب الثفنات في إشارة إلى شدة تديّنهم ومواظبتهم على الصلاة كما ورد في الحديث عنهم: «إنّ أحدكم ليحقّر صلاته إلى جانب صلاته»، فهم بذلك جزء لا يتجزأ من الحالة الدينية، لكنهم

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج٢ ص٣٥٢.

ضلّلوا وسلكوا طريق العنف والإرهاب ضدّ الناس، حتى اضطر أمير المؤمنين عليه السلام إلى التصدّي لهم ومقاتلتهم.

إنّ مشكلة التضليل الديني للشباب، وسوقهم نحو العنف، باتت مشكلة تؤرق كلّ المخلصين من الأمة في وقتنا الراهن. فهناك من يستغل حماس الشباب المتقد لدينهم، فيدفعهم نحو طريق الإرهاب، فيخسرون بذلك أنفسهم في الدنيا، ويخسرون مستقبلهم في الآخرة، كما في الآية الكريمة: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾، وهذا هو الخسران المبين الذي ما بعده خسران، فهؤلاء هم «الأخسرون أعمالًا».

لقد أصبحت قضية التضليل مطروحة على نحو حادٍّ في مجتمعاتنا الإسلامية، من خلال القرارات المتخذة، وسيل المقالات والأخبار الصحفية والنقاشات الإعلامية، وهي بحقّ مشكلة مؤلمة ومؤرقة.

جهات التجييش والتمويل

والسؤال المطروح اليوم، هو عمّن ساق هؤلاء الشباب إلى طريق العنف، وضلّلهم ودفع بهم في أتون الحروب والمعارك والفتن. هذا ما ينبغي أن يجري الحديث الصريح حوله.

إنّ أول جهة مسؤولة عن تجييش الشباب وتضليليهم، هي الاتجاهات التكفيرية ذات النزعات الإرهابية، التي تقود شباب الأمة نحو الدمار والخسران في الدنيا والآخرة.

أما الجهة الثانية فهي الجهات السياسية الدولية والإقليمية، التي توظّف هؤلاء الشباب كوقود لصراعاتهم وألاعيبهم السياسية، فهم يستغلّونهم ويزجون بهم يمينًا وشمالًا، حتى إذا انتهت اللعبة في هذا النزاع أو ذاك انقلبوا عليهم. تمامًا كما فعل الأمريكيون في أفغانستان، حين أطلقوا ما اصطلح عليه بالجهاد في أفغانستان ضدّ الاحتلال السوفييتي آنذاك، ثم انقلب الأمريكيون على أولئك «المجاهدين» الذين

جنّدوهم بعد أن استنفذوا أغراضهم منهم، وصاروا يطاردونهم في كلّ مكان، ثم استغلوا بعضهم في نزاعات أخرى.

إنّ الجهات السياسية والاستخبارية الدولية، باتت لاعبًا رئيسًا في الزجّ بشباب الأمة في أتون الإرهاب والمعارك الخاسرة. وكم هو مؤلم الاطّلاع على مآسي هؤلاء الشباب المغرّر بهم، ومن ذلك ما كتبه أحد الكتاب في جريدة الشرق الأوسط بعنوان «الشباب السعودي والإرهاب إلى متى؟»[(١)]، وذكر الكاتب أنّ شبابًا سعوديين ألقي القبض عليهم في باكستان، وقد كانوا في طريقهم للانضمام لتنظيم القاعدة، وقد ظهروا على شاشات التلفزيون وهم في هيئة رثّة، وقام جلّهم بالتعريف بأنفسهم والمدن السعودية التي ينتمون لها، ويقول الكاتب: «بالطبع إنّنا اليوم أمام أسئلة تتكرر، منذ أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية في أمريكا، من المسؤول عن زجّ شبابنا إلى المهالك، من المسؤول عن تشويه سمعة المواطن السعودي في كلّ مكان، ومن هو حمّال الحطب في الداخل السعودي».

إنّ هناك تقارير دولية حول أعداد المنخرطين فيما يطلقون عليه بالجهاد في سوريا، وإذا كان أهل كلّ بلد أعرف بمشاكلهم، فما الداعي لكل هذا التأليب والتعبئة والزجّ بالشباب الإسلامي من مختلف البلدان لينتهوا إلى الوقوع في معركة لا مصلحة ولا ناقة لهم فيها ولا جمل؟ وقد رأينا كيف أن شبّانًا أوروبيين للتوّ دخلوا الإسلام، فإذا بهم يُضلّلون ويزجّ بهم في هذه المعارك الخاسرة. فهذه كندا تعلن عن ١٣٠ من مواطنيها استقطبوا للخوض في النزاع الأهلي في سوريا، أما عن الشباب السعودي المتورط في الصراع السوري فهناك أكثر من ١٤٠٠ شاب سعودي يقاتل هناك، أغلبهم من صغار السنّ، وفقًا لعنوان رئيس في صحيفة الوطن السعودية[(٢)]، فمن يقود هؤلاء الشباب ويقذف بهم إلى أتون المعارك والنزاعات.

---

(١) طارق الحميد، الشرق الأوسط، الأحد ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ، ٢٤ مايو ٢٠٠٩ العدد ١١١٣٥.

(٢) الخميس ٦ فبراير ٢٠١٤م.

استخدام الدين في التعبئة للإرهاب

لقد لعبت التعبئة الدينية دورًا محوريًّا في قذف الشباب إلى أتون النزاعات الأهلية في المنطقة. فالتعبئة ضدّ اليهود والنصارى والمبتدعة والرافضة والصوفية والليبرالية، كلّ هذه الأشكال من التعبئة التي تأخذ غالبًا منحًى تحريضيًّا على الآخرين، هي التي هيَّأت الأرضية في نفوس الشباب لارتكاب الجرائم ضد المختلفين عنهم، هنا تكمن خطورة هذا التعبئة. إنّ الأساليب التأليبية التي أخذت طريقها إلى مناهج التعليم، وفتاوى بعض رجال الدين وخطبهم، وصولًا إلى وسائل الإعلام، هي التي صنعت الأرضية لهذا التيار العنفي الإرهابي. حتى غدا حال الشباب الخاضع للتعبئة والتحريض ليلًا ونهارًا كما يصور الشاعر:

ألقاه في اليّم مكتوفًا وقال له   إيّاك إيّاك أن تبتل بالماء!.

والسؤال هنا، لماذا نصنع كلّ هذه الأجواء التعبوية لشبابنا، ثم نأتي لنحاسبهم ونلومهم على أفعالهم، ونحن الذين هيّئنا الأجواء لهم لكي يقعوا في هذا المأزق وهذه النار.

ولعلّ أحد أسوأ العوامل التي دفعت بالشباب دفعًا للانخراط في العنف، هو التشريع الديني للعنف تحت مزاعم الجهاد. إنّ مما يدعو للشفقة حال هؤلاء الشباب الخاضعين إلى سيل من الخطب والمحاضرات، التي تَعِدُهُمْ إذا فجّروا أنفسهم بمشاركة النبي على موائد الجنة، وأنهم سرعان ما يكونون في أحضان الحور العين. إنّ هذا لا يمتّ للجهاد بصلة، بل هو ضلال وإرهاب وخسران، ذلك لأنّ الجهاد في الإسلام له ضوابطه، وموارده، ولا يصحّ لأيِّ أحدٍ ممارسة العدوان تجاه الآخرين تحت مزاعم الجهاد.

إلى ذلك، تلعب الجهات الممولة دورًا حيويًّا في دفع الشباب إلى محارق العنف والإرهاب. فكل المؤشرات توحي بأنّ هناك تمويلًا هائلًا بالسلاح والمال يصبّ في

جيوب الجماعات الإرهابية، وإلّا كيف تحصل هذه الجماعات على أحدث الأسلحة والتجهيزات العسكرية، ويستمرون في إدارة شؤونهم، مع أنّ بعضهم يعيشون في الكهوف والجبال، كلّ ذلك يشير إلى أنّ هناك جهات تمولهم، وتوفر لهم الإمكانات تحت مختلف العناوين.

أما العامل الأخير في دفع الشباب إلى أحضان الجماعات الإرهابية، فهو انسداد الأفق، وغياب الخيارات السياسية البديلة أمامهم. فالشباب المسلم يرى بأمِّ عينه كلّ أشكال الأزمات، دون وجود أيّ خيارات مطروحة أمامهم للمعالجة، بل ويجري التعتيم على إمكانية وجود سبل أخرى للمعالجة، وهذا ما يجعل الشباب أمام خيار واحد للتغيير، وهو خيار ممارسة العنف والإرهاب.

لقد عانت البلاد الإسلامية بما يكفي جرّاء هذا الواقع المؤلم. وأكثر ما يحزّ في النفس هو تكرار التجارب ذاتها، والوقوع في ذات المآزق، فقد جرّبنا الأمر في أفغانستان وعانينا ما عانينا من الويلات، بعد أن ذهب شبابنا إلى هناك، فإذا بهم يعودون إلى الديار ناقلين معهم نزعات العنف والإرهاب، فكانت تجربة من عرفوا بالعرب الأفغان، وما أن انحسرت هذه الموجة وظنّ الناس أن هذه الصفحة طويت، ولن تتكرر في بلادنا، إذا بالأمر يعود في الشيشان، ثم يعقبه العراق، وبأسوأ مما سبق، حيث التعبئة والزجّ بالشباب في أتون تلك المعارك، وأخيرًا تكرّر الأمر ذاته في سوريا، ولا ندري على من سيأتي الدور فيما بعد! إنّنا جميعا نتحمّل المسؤولية أمام هؤلاء الشباب المضلّلين المغرّر بهم؛ لأنّ النتيجة الحتمية للتحريض على العنف ليست سوى الخراب والدمار في ديارنا، وتلطيخ سمعة ديننا، والعبث بالأمن والاستقرار، وهيمنة الرعب والهلع في كلّ مكان، كما هو حاصل اليوم في أكثر من بلدٍ عربي.

الخطبة الأولى

الأخلاق بين التأثير والتأثر

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآيتان: ٣٤و٣٥].

إنّ الفطرة تحفز الإنسان على التحلي بالسلوك الأخلاقي النبيل، والعقل يرشده إلى ذات السبيل. فهنالك عمق فطري وعقلي للنبل والأخلاق الإنسانية، يدرك من خلاله الإنسان تلقائيًّا أفضلية السلوك الحسن على السلوك السيئ، فأيما إنسان سوي يدرك حتمًا أفضلية الصدق على الكذب، والعدل على الظلم، والأمانة على الخيانة، والإحسان على الإساءة، فذلك هو الجواب الذي تمليه فطرة الإنسان وعقله، فتقرران بأنّ السلوك النبيل هو الأفضل، وهو المطلوب.

في مقابل ذلك، هناك نزعات داخل نفس الإنسان، تدفعه إلى ارتكاب السلوك السيئ. وهذا هو تفسير جنوح الفرد نحو الانحراف وارتكاب الأخطاء، وتلعب الأجواء الخارجية التي يعيشها الفرد دورًا كبيرًا في الوقوع في الانحراف. كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1]، فعامل التربية والنشأة، والظروف المحيطة بالإنسان، لها دور كبير في

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب (٧٩)، حديث١٣٥٨.

أن يسير باتجاه أحد خيارين اثنين؛ السلوك الحسن، الذي يؤيّده العقل والفطرة، أو السلوك السيئ الذي تدفع اليه النزعات الشهوانية داخل نفس الإنسان.

الانزلاق للخطأ عبر المحاكاة

ويدخل ضمن عوامل جنوح الفرد نحو الأخلاق السيئة، والوقوع في الانحراف، ما يُعبّر عنه بالمحاكاة والعدوى الاجتماعية. وفي معنى المحاكاة أن يرى الفرد أحدًا يمارس سلوكًا ما، فيقوم بتقليده ويعمل عمله، وهكذا تتسرّب بعض الأخلاقيات للفرد عن هذا الطريق، وقد تجري المحاكاة تحت دافع الرغبة والارتياح لعمل الطرف الآخر، فيما يمكن أن يقوم البعض بمحاكاة بعض السلوكيات تحت دافع الانتقام، وهذه ناحية دقيقة مهمة، فقد يتعرض البعض لإساءة أو كلمة نابية، فيقوم بالردّ بالمثل، يرد السبّ بالسبّ، والشتيمة بمثلها، ومع تكرر حالة التقاذف بالألفاظ البذيئة، سيجد أنه قد انساق خلف استخدام الكلمات النابية، التي لم تكن في قاموسه فيما سبق!، وبذلك ينتقل إليه الخلق السيء بالمحاكاة الانتقامية.

ويُحذّر المختصون في التربية الأسرية من تسرّب السلوكيات الخطأ للأطفال عن طريق الأسرة نفسها. فإذا لمس الأبوان بروز حالة من العناد لدى طفلهما، فلا ينبغي أن يبادلاه العناد؛ لأنهما بفعلهما ذاك، يزرعان حالة العناد في نفس الطفل دون أن يشعرا، عند ذلك تتكرس حالة العناد لدى الأبوين، كما تتعزّز الحالة عند الطفل نفسه.

من هنا ينصح المختصون بأن تنأى العائلة عن الردّ على عناد الأطفال بعناد مقابل؛ لأنّ هذا يعني تعزيز السلوكيات السلبية عن طريق العدوى. وهذا ما ينطبق على كافة المجالات، فمن يعتاد على السلوكيات الإيجابية في قيادة السيارة واتباع نظام المرور، بعد سنوات قضاها في دولة متقدمة للدراسة أو العمل، ربما تجده وقد تخلّى عن ذلك الانضباط الذي اعتاد عليه، بعد عودته للبلاد، ويبرر فعله بأن الناس هنا غير متقيدين بنظام المرور! فهو يقلد الآخرين في تجاوزهم لأنظمة المرور، والغريب أنّ أمثال هذا

الشخص ربما يمارس تلك السلوكيات الخطأ وهو غير مرتاح؛ لأنه يقوم بالردّ على مخالفات الآخرين بأحد أمرين؛ إمّا بمحاكاة أفعالهم، أو التعرّض للعدوى منهم!

ولطالما حذّر المنهج القرآني من الوقوع في براثن العدوى السيئة، أو محاكاة أعمال المسيئين. فهناك توجيهات متتابعة بأن يظلّ المرء واعيًا لهذه المسألة، فإذا ما عمد أحدهم للتصرف والتلفظ عليك على نحو سيئ، فالحذر الحذر من الردّ عليه بذات الأسلوب؛ لأنك بذلك تخضع إلى تأثيره، بدلًا من أن تكون أنت المؤثر فيه، ولا ينبغي بأيِّ حالٍ السماح لذلك الطرف بنقل أخلاقه السيئة إليك، في حال أنّ المطلوب أن تؤثر أنت فيه وأن تنقل أخلاقك الحسنة إليه.

مواجهة السيئة بالحسنة

من هنا جاءت الوصايا الإسلامية للفرد المسلم بألّا يواجه السيئة بمثلها، حتى مع حقّه في ردّ الاعتداء، غير أنه من ناحية قيمية وأخرى تربوية، يوجّه الإسلام إلى النأي بالمسلم عن التأثر بأخلاق السوء، عن طريق المحاكاة الانتقامية؛ لأنه سيتأثر بالأخلاق السيئة لغريمه من حيث يشعر أو لا يشعر. لذلك تقول الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾.

إنّ الحسنة هي الأفضل، وهي السبيل الصحيح. فإذا واجه المرء سلوكًا سيئًا، فليحذر من الانجرار والوقوع في منحدر السوء.

وهنا قد يتساءل البعض عن أفضل سبل المواجهة، بين الردّ بالمثل وبالطريقة السيئة نفسها، وبين أن يردع الطرف الآخر بسبل أخرى، كأن يلجأ لانتزاع حقّه بالطرق القانونية مثلًا، فهو بذلك يمارس الردع، وينتزع حقّه، دون التلوث بسلوكيات الآخر عبر تقاذف السُّباب والشتائم. ينبغي ألّا يقع الفرد المسلم في فخ الأخلاق السيئة الذي ربما نصبه الآخرون، من هنا يأتي تأكيد الآية الكريمة: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ومضمون ذلك أن يلجأ المرء للبحث عن أفضل السبل الحسنة لدفع الإساءة. إنّ ردّ الاساءة بالتي هي

أحسن ربما يساعد في تغيير الطرف المسيء إلى الأحسن، فعوضا أن يتشبه المحسن بالمسيء، ينبغي دفع الأخير للتشبه بالأول، لذلك تقول الآية الكريمة:﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، وتلك إشارة عميقة إلى إمكانية أن تتغير الصفة السيئة عند الآخر نحو الأحسن.

لا شك بأنّ كبح الأعصاب، ولجم الرغبة في الانتقام خاصة في حال الخلاف الشديد تُعَدّ مسألة صعبة. والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحالة بوضوح، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، بمعنى أنّ السيطرة على النفس ليست متاحة إلّا لمن لديه نصيب عظيم من الأخلاق والقيم.

ثمّة نصوص دينية كثيرة تشجع على التزام أعظم الأخلاقيات، والنأي عن الانسياق خلف السلوكيات السيئة للآخرين. فقد وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟، العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك»[1]، وورد في دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أَعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ»[2]، حيث تأتي مواجهة الغش بالنصح لا بغش مماثل، ويمضى الإمام عليه السلام في دعائه بالقول: «وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ». إنّ البعض يتعامل مع الأخلاق على نحو التجارة، فيعطي من أعطاه، ويصل من يصله، وهذا عين ما نصفه بالمنحى التجاري في التعامل مع الناس، في مقابل ذلك هناك من لا يزحزحه شيء عن التعامل مع الآخرين على نحو قيمي، يريد أن تتكرس في نفسه الحالة القيمية والأخلاقية، ولا يزحزحه عنها أحد، فلا يردّ على السُّباب بالمثل، بل يستحضر قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

وهناك من يفتقد القدرة على السيطرة على نزعاته، فيظن بأنْ لا ردّ للإساءة إلّا

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٠٧، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو/ حديث١.

(٢) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيِّ الأفعال، الدعاء (٢٠)، ص٩٤.

بإساءة مقابلة. وهو لا يدري أنه بذلك يتخلى عن خلقه وشيمه. وعلى هذا النحو، هل يجوز أن يردّ على الإرهابي الذي يفجر الأبرياء بردٍّ مماثل! وهل إذا مارس أحدهم الشتيمة يقابل على ذات النحو! وهل يواجه من يكفر المؤمنين بالتكفير المعاكس!، إن جميع هذه السلوكيات السالفة خطأ جملة وتفصيلًا، وهي أبعد ما تكون عن المنهج القرآني الصحيح. ونستحضر هنا موقف أمير المؤمنين عليه السلام حينما عمد جيش معاوية إلى منع الماء عن جيشه في واقعة صفين، ثم استولى جيش الإمام على المشرعة، فقال أصحاب الإمام حينها، يا أمير المؤمنين: نمنعهم من الماء كما منعونا، وتقتلهم بسيف العطش، ولكنه رفض ذلك وقال: «خذوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى معسكركم وخلّوا بينهم وبين الماء»[١]، وجاء في شرح النهج: «خلّوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون»[٢] وكأن لسان حاله عليه السلام يقول لو فعلنا كما فعلوا فما الفرق بيننا وبينهم؟، ويقول الشاعر[٣]:

فحسبكمُ هذا التفاوت بيننا   وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

فينبغي للمؤمن أن ينضح أخلاقًا طيبة، كلامًا وأسلوبًا، فأن يشتمك أو يكفرك الآخرون ليس مبرّرًا لأنْ تنحدر بأخلاقك نحو ممارسة ذات السلوكيات الخطأ، فهذا خلاف ما يأمر به الله تعالى، وهذا ما ينطبق على كافة الدوائر المحيطة بالإنسان من عائلته وزملائه وأصدقائه. إنّ على المرء أن يكون حذرًا يقظًا، وأن يفكر مليًّا في مساعدة الطرف المخطئ، على تجاوز خطئه، لا أن يسلك الطريق الخطأ نفسه، وذلك ما يحتاج إلى وعي وإرادة وصبر ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٣٢، ٤٤٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٣، ٣٣١.

(٣) أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين المعروف بـ «حيص بيص».

الخطبة الثانية

الغرب وتجارة الحروب

ورد عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ: «نَهَى عَنْ بَيْعِ السِّلاحِ فِي الْفِتْنَةِ»[1].

إنّ وجود السلاح ضرورة في حياة البشر من أجل الدفاع عن النفس، لكنه قد يتحول إلى أداة للعدوان وإشعال الحروب. لذلك لا يجوز ولا يصح من الناحية الشرعية والعقلية أن تكون هناك تغذية وتشجيع للحروب، عبر نشر وبيع السلاح في أوقات النزاع. وقد روى عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن بيع السلاح في زمن الفتن، وهذا أمر شرعي وعقلي؛ لأنّ التزويد بالسلاح في حال الفتن يعني التشجيع على الحروب، والمشاركة في سفك الدماء، وإيذاء الناس، فمن الطبيعي أن تكون تلك التجارة من المكاسب المحرمة، وبصورة أوضح يَعتبر الفقه الإسلامي أنّ من المحرم شرعًا بيع السلاح في زمن الفتنة على من يستخدمه في العدوان.

أعضاء مجلس الأمن تجار السلاح

لعلّ أكبر مفارقة في عالمنا الراهن، هي أنّ أكبر مصنّعي ومسوّقي السلاح الأشد فتكًا في العالم، هي الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، المنوط بها حفظ الأمن والسلم الدوليين!. فالأمم المتحدة كما هو معلوم تمثل المؤسسة العالمية الأكبر التي تضم ممثلين عن كلّ دول العالم، غير أنّ تصويت الدول الأعضاء

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٤ ص١٠٨.

في الأمم المتحدة لا يُعَدّ ملزمًا، بخلاف أعضاء مجلس الأمن الدولي، وهو أبرز المجالس الرئيسة المكونة للأمم المتحدة، فهذا المجلس الذي يضمّ خمسة أعضاء دائمين هم؛ أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين، ويملك كلّ واحد منهم حق النقض «الفيتو»، إضافة إلى عشرة أعضاء غير دائمين لا يملكون حقّ النقض. إنّ هؤلاء الأعضاء الخمسة الدائمين في المجلس الذي تأسّس بغرض حفظ الأمن والسلم الدوليين، يقفون على سلم دول العالم الأكثر تصنيعًا وتسويقًا لأشدّ أنواع الأسلحة الفتاكة التي تبيد البشر وتقضي على الحجر!.

وهناك في كلّ دولة من هذه الدول جماعات ضغط ولوبيات تدعم تجارة السلاح، التي تُعَدّ التجارة الأكثر ربحًا في العالم، فهناك تأثير كبير لملاك مصانع السلاح على القرار السياسي في هذه الدول، وبما أنّ المطلوب أنْ تستمر هذه المصانع في العمل والإنتاج والمنافسة والتسويق، فلا بُدّ تبعًا لذلك من تأجيج الحروب، وخلق حالات التوتر بين الدول، لتسويق أكبر كمية من الأسلحة، وإلّا، فمن يا ترى سيشتري السلاح!.

الحروب لتسويق السلاح

من هنا تلعب الدول الكبرى دورًا رئيسًا في خلق الظروف والأرضية الملائمة لإنتاج وتسويق الأسلحة. ومن ذلك الدفع بحالة القلق بين الدول إلى أقصاه، كما هو حاصل في منطقتنا العربية والإسلامية، منذ ترسيم الحدود بين دول المنطقة في الحقبة الاستعمارية، فقد ترك المستعمرون خلفهم حدودًا ملغومة، قابلة للتحول إلى مادة للنزاع والخلاف، وظلّوا يعملون بمختلف الطرق على تحريض الدول على بعضها، ويثيرون قلق كلّ جهة من الأخرى. ولأنّ حكّام هذه الدول وسياسييها يعتمدون بصورة كبيرة على المستشارين الأجانب، ويخضعون لتأثير المؤسسات ومراكز الدراسات ووسائل الإعلام الأجنبية، فهم بذلك الأكثر عرضة لحالة القلق التي يختلقها أولئك في كلّ دولة تجاه الدولة الأخرى. فإذا ما تعزّزت حالة الخوف والقلق لدى كلّ دولة

فستلجأ بطبيعة الحال نحو شراء واستيراد المزيد من السلاح، لإحداث التوازن مع الأخرى، وهكذا يتسابق الجميع على شراء السلاح، والمستفيد الأول من كلّ ذلك هي مصانع السلاح في الدول الكبرى!

وإذا لم يَفِ تأجيج حالة القلق بالغرض، يجري حينها الدفع بأساليب أخرى باتجاه إشعال الحروب والنزاعات العسكرية لإنعاش الصناعات الحربية في العالم. وتشير التقارير المتداولة حول صناعة السلاح إلى معطيات مثيرة للرعب، حيث يقول أحد المحللين في مجموعة استشارية دولية متخصصة في قضايا السلاح في دراسة له، يقول: «نحن إزاء أكبر انفجار للتجارة العالمية للأسلحة في تاريخ العالم»[1].

وللإضاءة على حجم النفوذ الذي تحظى بها لوبيات السلاح في العالم، يمكن النظر إلى فشل مجلس الشيوخ الأمريكي مؤخّرًا في تمرير تعديل قانون اقتناء السلاح في الولايات المتحدة. وذلك حين طرح الرئيس الأمريكي باراك أوباما مقترحًا لتعديل القانون، يضع شروطًا محسنة تحدّ من اقتناء السلاح، خصوصًا في أعقاب تكرر حوادث القتل الجماعي في البلاد، إلّا أنّ القانون الذي كان بحاجة إلى ستين صوتًا لتمريره، تعثّر في مجلس الشيوخ، والسبب في ذلك كما بات معروفًا، هي الضغوط التي مارسها لوبي تجارة السلاح في الولايات المتحدة. فهذه اللوبيات ليست معنية بتكرر حالات القتل الجماعي في المدن الأمريكية، بقدر ما يهمّها مقدار الإيرادات المالية المليارية التي تدرّها مصانع السلاح لهم، فإذا كان الحال في أمريكا على هذا النحو، فما بالك بموقف هذه اللوبيات من تجارة السلاح على المستوى الدولي.

أرقام هائلة للسلاح مع فقر الشعوب

إنّ الولايات المتحدة والأعضاء الدائمين في مجلس الأمن تحوز على أعلى الأرقام في تجارة الأسلحة. وتكشف التقارير الخاصة بتجارة السلاح خلال السنة

(١) صحيفة الاقتصادية، الثلاثاء ١٦ شعبان ١٤٣٤هـ. الموافق ٢٥ يونيو ٢٠١٣ العدد ٧١٩٧.

الماضية، عن معطيات مرعبة حول الإنفاق العسكري، فقد بلغ الإنفاق الأمريكي على السلاح خلال العام الماضي ٦٠٠ مليار دولار، وجاءت الصين في المرتبة الثانية بإنفاق عسكري بلغ نحو ١١٢ مليار، فيما أنفقت روسيا ٨٦ مليار دولار، وأعقبتها السعودية التي أنفقت نحو ٦٠ مليار دولار، وتلا ذلك بريطانيا بمعدل ٥٧ مليار دولار، ثم فرنسا بمعدل إنفاق تجاوز ٥٢ مليار دولار، فإسرائيل التي أنفقت ١٨ مليار دولار، وإيران بمعدل ١٧ مليار دولار. فهناك حركة وسوق مليارية نشطة في مجال تجارة السلاح، في الوقت الذي يعيش العالم أزمات اقتصادية كبيرة، وتعيش شعوب بأكملها تخلّفًا كبيرًا في التنمية، وانعدام أدنى متطلبات الحياة والعيش الكريم، والفقر والجوع والحرمان.

إنّ الدول الكبرى تتحمل المسؤولية في تنامي تجارة السلاح على المستوى العالمي. وهذه الدول هي المسؤولة عن إغراء حلفائها على الصرف، وإهدار ثروات الشعوب في شراء الأسلحة، حتى إنّ المرء ليستغرب من بعض الدول التي تراكم السلاح، وسط تساؤل كبير عن الغرض من تكديس هذا السلاح، وفي مقابل من يجري هذا التسلح، اللهم إلّا هدر الثروات!

لا جدّية في معالجة الأزمة السورية

وليس هناك أسوأ من اهدار الثروات على التسلح، إلّا إشعال الحروب والنزاعات والفتن. ولعلّ في الأزمة السورية مثالًا حيًّا على هذا، فهناك بين الحين والآخر تجري الاجتماعات لحلّ النزاع السوري في جنيف، وفي هذه العاصمة أو تلك، والسؤال هنا: من أشعل هذا النزاع أصلًا؟ إنّ القوى العالمية تفتقد الجدية في إخماد النزاعات الدولية والإقليمية، فالأمريكيون الذين كانوا إلى بضعة شهور خلَت يشجّعون على نقل المقاتلين إلى سوريا لمحاربة الدولة هناك، وسعوا في هذا السبيل لدى الحكومة الأردنية والحكومة التركية، ومختلف الدول، عاد الأمريكيون مجدّدًا للطلب من

الدول المجاورة لسوريا بأن تمنع انتقال ودخول المقاتلين إلى سوريا، وكأن الأمر برمّته لعبة بأيديهم، بدأوها بالأمس واليوم يعودون عنها!، بعد أن قتلوا العباد وخربوا البلاد وشرّدوا الملايين من ديارهم، حتى بلغ عدد ضحايا الصراع نحو ١٨٠ ألف قتيل في السنوات الثلاث الأولى من الصراع، بدرجة جرى فيها تشويه الإنسان السوري، بحيث يحتاج إلى سنوات طويلة للتعافي وتجاوز آثار هذا الصراع.

هكذا يجري العبث بقضايا الشعوب، وهذا يدلّ على ما يعيشه العالم من تضليل ونفاق وازدواجية في المعايير، فالشعارات المرفوعة شيء، والواقع على الأرض شيء آخر، وليس متوقّعًا من هؤلاء المستكبرين غير هذا.

والرهان الوحيد هو على وعي الشعوب. وإذا كان هناك من عتب فهو على الشعوب وخاصة النخب، الذين قبلوا الوقوع في فخ الألاعيب المكشوفة، وورّطوا أنفسهم في النزاعات الدموية، وشاركوا في هذه الحروب وإثارة المشاكل، فذلك ليس مقبولاً مهما كانت المبررات، وبعيدًا عن جدلية المحقّ والمبطل في الأزمة، يبقى هذا النزاع المدمّر ليس من مصلحة أحد، باستثناء تجار الحروب.

الخطبة الأولى

الانتماءات الفئوية ورعاية القيم

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ١١١].

الإنسان مدنيٌّ بطبعه؛ لذلك يبحث عن انتماء اجتماعي من نوع ما. وهناك أكثر من سبب يدفع الإنسان للبحث عن حضن اجتماعي ينتمي إليه، فالإنسان في هذه الحياة يوحشه العيش منفردًا منعزلًا، ولديه نزعة اجتماعية، تدفعه للبحث عن آخرين ينتمي إليهم تحت عنوان أو آخر، هذا أولًا.

والسبب الثاني، هو الرغبة الغريزية في بحث الإنسان عن تكتّل يقوّيه في مواجهة تحدّيات الحياة، فهناك تحدّيات ومشاكل تعترض حياته، وهو بانتمائه للآخرين يتقوّى في مواجهة هذه التحدّيات، ليرى نفسه أقدر على مواجهتها.

أما السبب الثالث فيعود إلى طبيعة التنافس بين بني البشر، فالناس يتنافسون فيما بينهم رغبة في تحقيق المزيد من المكاسب والمصالح، فتلك هي طبيعة الإنسان في حبّه لذاته، وحبّه لتوفير مصالحه، لذلك يبحث عن آخرين يشاركونه المصلحة، ويلتقون معه في ذات التطلع.

نوعان من الانتماء

وهناك نوعان من الانتماء؛ انتماء اجتماعي طبيعي، وانتماء آخر على أساس فكري

أو سياسي. فالانتماء الطبيعي كانتماء الإنسان إلى أسرة وقبيلة، أو عرق أو منطقة بعينها، فهو بذلك يشعر أن بينه وبين آخرين قاسمًا مشتركًا، وعنوانًا يجمعه معهم ويجمعهم معه.

وهناك لون آخر من الانتماء، وهو الانتماء على أساس منهج فكري أو توجّه سياسي واجتماعي، إنّ هذا الانتماء يجعل الإنسان جزءًا من فئة ومجموعة وإطارٍ ما، والانتماء إلى فئة ما بحدّ ذاته ليس أمرًا سلبيًّا، بل فيه من الإيجابيات الشيء الكثير. والنصوص الدينية تحضّ على العمل الجمعي، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[1]، وجاء في الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[سورة المائدة، الآية: ٢]. وعلاوة على كون الانتماء يمثّل نزعة طبيعية لدى البشر، فإنّ عقل الإنسان يدفع باتجاه التعاون مع الآخرين. وبغضّ النظر عن شكل الإطار الذي ينتمي إليه، ليس من السلبي، أن يكون الإنسان جزءًا من جماعة أو توجّه.

القيم فوق الانتماءات

وتخيم في كثير من الأحيان سلبيات عارضة نتيجة انتماء الفرد لجماعة ما. ويأتي ذلك عندما لا يكون الالتزام القيمي حاكمًا على الإنسان في علاقاته؛ لأنّ المرء عندما ينتمي إلى فئة فإنه مطالب بالتزام القيم الدينية والإنسانية في علاقاته بالآخرين، غير أنّ ما يجري في كثير من الأحيان، هو تحوّل انتماء الإنسان إلى جماعة ما سببًا في تجاوزه للقيم، فلكونه منتميًا لهذا الحزب أو تلك الجماعة أو ذلك المذهب أو الدين، تجده مندفعًا نحو تجاوز القيم والضوابط، بغرض الانتصار إلى فئته وجماعته على الجماعة الأخرى، كما يعطي لجماعته ما لا تستحقّ فيما يبخس الجماعة الأخرى، وفي هذه الحال بالذات يكون أسلوب الانتماء منافيًا للقيم والمبادئ.

فلا ينبغي للإنسان أن يقدّم مصلحة انتمائه الفئوي، على ارتباطه بالله سبحانه

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، باب في لزوم الجماعة، ج٣ ص٣١٥.

وتعالى، ولا يصحّ أن يعصي ربه، من أجل رضا جهة من الجهات، وقد حذّرت نصوص كثيرة من الوقوع في هذا المنحى، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أيًّا كان ذلك المخلوق، فالأولوية القصوى لا بُدّ أن تكون للقيم في الالتزام.

لقد حذّرت نصوص قرآنية من أن تقود الإنسان عاطفة الانتماء إلى تجاوز القيم حتى لصالح أقرب الناس إليه وهي العائلة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّـهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[سورة النساء، الآية: ١٣٥]، فلا ينبغي تجاوز القيم وتخطيّ العدل لصالح طرف ما، لمجرد الارتباط العائلي، أو على أساس الانتماء الفئوي، في مقابل فئة أخرى بينك وبينها منافسة أو خصومة. وقد ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّـهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨].

تقف فردًا أمام الله

وهناك جملة من التوجيهات الإسلامية التي تصبّ باتجاه تذكير الإنسان بحقيقة موقفه بين يدي الله تعالى في يوم القيامة. فالإنسان سيقف في اليوم الآخر منفردًا وحيدًا للحساب أمام الله، وما من فئة أو جماعة تناصره وتحميه حينها، جاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [سورة النحل، الآية: ١١١]، فلن ينفع أحدًا يوم القيامة انتماؤه إلى هذا الحزب أو تلك الجماعة، ولا كونه جزءًا من هذه الديوانية أو ذلك النادي، لن ينفعه جميع ذلك، سيكون وحده مشغولًا بالدفاع عن نفسه. ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩٤]، فالإنسان سيقف فردًا أمام الله سبحانه، ولن ينفعه تبرير أفعاله ساعتها، بدفاعه عن جماعته، وما عسى أن تنفع الجماعة حينها عندما يكون منشغلًا بنفسه بين يدي الله.

وجاء في آية أخرى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[سورة عبس، الآيات: ٣٤-٣٧]، فلماذا يا ترى يحتطب

المرء على ظهره ذنوبًا لمجرد الانتصار لفئته أو جماعته، باستغابة هذا والتجريح في ذاك، وإطلاق الكلام غير المنضبط، واتخاذ الموقف غير المسؤول، وهو يدري أنه سيدفع الثمن باهظًا يوم القيامة؟ وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة مواطن لا يذكر أحدٌ أحدًا، عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز الصراط أم لا يجوزه، وعند الصحف حتى ينظر بيمينه يأخذ الصحف أم بشماله، فهذه ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحدٌ حميمه ولا حبيبه ولا قريبه ولا صديقه ولا بنيه ولا والديه، وذلك قوله تعالى: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»[١].

على الإنسان أن يكون متيقّظًا تجاه التزاماته الاجتماعية. فمن حقّه أن ينتمي ويتعاون مع الآخرين، وأن يدافع عن جماعة ترتبط به وينتمي إليها، ولكن حذارِ حذارِ أن يكون ذلك دافعًا لتجاوز القيم والضوابط الشرعية، فإنّ ذلك مما يجعله يوم القيامة أمام موقف رهيب عظيم. وأكثر من ذلك، تشير الآيات القرآنية إلى أنّ الفئة التي يتبعها الإنسان، ويكون اتباعه لها دافعًا لمخالفته الضوابط الشرعية، هذه الفئة ستتبرأ من الإنسان في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٦].

لا تبع آخرتك بدنيا غيرك

الإنسان في يوم القيامة يتحمل مسؤولية نفسه بالدرجة الأساس، وعليه تبعًا لذلك ألّا يُضحّي بالقيم والمبادئ. جاء في وصايا النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يا عليّ، شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره»[٢]، إنّ هناك أناسًا يبيعون آخرتهم من أجل مصالح غيرهم، ولعلّ أحد أبرز الأمثلة على ذلك، أولئك الذين يشهدون شهادة الزور لصالح أطراف من أقاربهم أو جماعتهم أو

(١) البرهان في تفسير القرآن، ج٥، ص٥٨٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٥٣.

فئتهم، حتى يكسب المدّعي قضية خلافية في مال أو عقار وما أشبه، فإذا ما كسب الأخير مصلحته، فما عسى شاهد الزور أن يكسب وقد باع آخرته بشهادته الزور لأجل مكاسب دنيوية يجنيها غيره!، والحال نفسه ينطبق مع أيّ عمل مخالف للضوابط الشرعية، لغرض الانتصار للفئة والجماعة. إنّ على الإنسان أن يجعل نصب عينيه التزام القيم والمبادئ، ورضا الله، ولا يترك للشيطان منفذًا في نفسه، يدفعه للنيل من الآخرين والعدوان عليهم، انتصارًا لفئته أو جماعته أو الزعامة التي يتبعها، فذلك ما سيجعله في موقف صعب يوم القيامة.

الوهن العربي والانشغال عن فلسطين

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ»[1].

لا شكّ أنّ كون الإنسان صاحب حقّ، فتلك نقطة قوة تحسب له، ولو كان على باطل، تلك نقطة ضعف عنده، لكن كونه على حقّ لا يعني امتلاكه القدرة على تحقيق الانتصار على عدوّه، كما أنّ مجرد كون الطرف الآخر على باطل، لا يعني أنه سيمنى بالهزيمة، فهناك عوامل وأسباب أخرى إذا اجتمعت إلى جانب الحقّ أو إلى جانب الباطل فإنّها ستغير الموقف، وتقلب المعادلة، ومن أهم تلك الأسباب مسألة الاجتماع أو الفرقة. فإذا امتلك أصحاب الحقّ قوة الاجتماع إلى جانب حقّهم فإنهم سيكونون أقدر على تحقيق النصر، أمّا إذا كانوا يعيشون حالة من التشتت والتفرق، وكان عدوّهم، الذي هو على باطل، يحقق حالة الوحدة والتضامن داخل صفوفه، فلا شكّ أنّ من يحقق حالة الاجتماع سيكون أقدر على انتزاع النصر، ممن يعيش حالة الفرقة والتمزق.

الحقّ العربي والباطل الإسرائيلي

ويمكن رؤية تأثير معادلة التفرق والاجتماع ماثلة بوضوح في صراع الأمة مع

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (٢٥).

العدو الإسرائيلي. فلا أحد يشك أنّ الاحتلال الإسرائيلي باطل؛ لأنه يحتلّ شعبًا آخر، ويستولي على أراضي الغير، الإسرائيليون على باطل، وفق كلّ القرارات الدولية، والمواثيق الشرعية، وحسب كلّ القيم، ولا يجادل في ذلك أحد في العالم، بينما يلتزم المسلمون جانب الحقّ في مقاومتهم لهذا الاحتلال؛ لأنهم يدافعون عن أرضهم وأعراضهم وأموالهم وكرامتهم، وهذا أمر واضح.

غير أنه ومع امتلاك العرب والمسلمين للكثير من نقاط القوة، إضافة إلى كونهم أصحاب حقّ، ومع كون اليهود قلة في هذا العالم وهم على باطل، إلّا أنّنا لا نزال نرى الاحتلال قائمًا، بل ويُعزّز مواقعه، في الوقت الذي تتراجع فيه مواقف العرب والمسلمين يومًا بعد آخر!.

تفرّقنا مصدر قوّتهم

إنّ من أهم عوامل التفوق الإسرائيلي على العرب اجتماعهم على باطلهم، وتفرق العرب عن حقّهم. فاليهود يعيشون في دول عديدة عبر العالم، لكنهم مع ذلك مجمعون على خدمة قضية الاحتلال الباطلة، ومع كلّ التنوع الحزبي والمذهبي، واختلاف المصالح في أوساطهم، إلّا أنّهم متضامنون فيما بينهم للدفاع عن احتلالهم الباطل.

في مقابل ذلك، نجد العكس لدى العرب والمسلمين، حيث يعيشون أسوأ حالات التشرذم والتمزق، لذلك فالإسرائيليون يمضون في تعزيز مواقعهم يومًا بعد آخر.

وما يجري اليوم في الأراضي المحتلة، هو محاولة جادّة لتصفية القضية الفلسطينية، ومن ذلك المساعي الأمريكية التي يرعاها وزير الخارجية في محاولة للتوصل لما يسمّى اتفاق إطار لتسوية القضية الفلسطينية، ويتضمن هذا الاتفاق إقرارًا ينتقص من حقوق الفلسطينيين، بالاعتراف بيهودية إسرائيل، وجعل إسرائيل دولة خاصة باليهود، بما يعني عدم أحقية غير اليهود بالتمتع بالمواطنة في هذه الدولة، ومحصلة ذلك إبقاء جميع اللاجئين الفلسطينيين في المهاجر، وتوطينهم خارج فلسطين، وتعويضهم ماليًّا،

وأن تكون هناك دويلة فلسطينية هزيلة منزوعة السلاح، تعيش تحت هيمنة إسرائيل، ويأتي تسويق هذا الاتفاق باستغلال الأوضاع السيئة التي تعيشها المنطقة العربية، خاصة فيما عرفت بدول المواجهة مع إسرائيل، مصر وسوريا والأردن ولبنان. فهذه الدول باتت غارقة في مشاكلها، فمصر التي تمثل الدولة الأقوى مشغولة بمشاكلها الداخلية، أما عن سوريا فحدث ولا حرج، بخلاف الأردن الذي لا طاقة له على أدنى مواجهة مع إسرائيل، وحتى لبنان الذي يحظى بوجود مقاومة قوية، لكنها هي الأخرى تواجه تحّديات داخلية كبيرة.

الانقسامات تضعف الأمة

إنّ من أهمّ عوامل التفوق الإسرائيلي الانقسامات التي تحفل بها السّاحة العربية والإسلامية. فهناك سلسلة من الانقسامات الداخلية في الأمة، بين السنة والشيعة، وبين الإسلاميين والعلمانيين، والمواجهة مع الإرهاب والتطرف، الذي أصبح عامل إرباك وإزعاج وتمزيق للأوطان الإسلامية. ولنا أن نتساءل عمّن يقف خلف هذا الإرهاب الذي يحترف التفجيرات، ويرتكب الاغتيالات، ويستهدف الأبرياء في كلّ بلد. هذا الواقع السيئ الذي تعيشه المنطقة العربية والإسلامية يقدّم أفضل فرصة لإسرائيل وللأمريكيين، حتى يفرضوا التسوية على الفلسطينيين، الذين يعيشون أسوأ أوضاعهم، نتيجة الانقسامات الداخلية، علاوة على الحصار المفروض على المقاومة في غزة، التي كانت فيما سبق تتلقى العون من بعض الدول والشعوب، فإذا بها اليوم تحت الحصار المطبق من جميع الجهات. لهذا باتت إسرائيل تجد نفسها في أحسن أوضاعها التي تمكنها من فرض شروطها على الفلسطينيين، فيما يسارع الأمريكيون لانتهاز الفرصة، لكي يسوّقوا الاتفاقيات التي يريدونها.

والمؤسف أنّ شعوبنا العربية والإسلامية باتت غارقة بمشاكلها الداخلية. ولقد تحول معها المزاج العام، بما لا يتسع لمجرد الحديث عن القضية الفلسطينية، وبدرجة

قد يتعرض فيها المتحدث عن فلسطين إلى الملامة!، فهناك في كلّ بلد قضايا ومشاكل باتت تشغل بال الناس، وتستولي على اهتمامهم، حتى أصبح الحديث عن فلسطين مرفوضًا، وبما يوازي حدّ الهروب من الواقع الداخلي، وهذا هو أفضل وقت يبحث عنه الأعداء.

على الواعين من أبناء الأمة أن يعيدوا توجيه البوصلة، والتذكير بالخطر الماحق المتمثل في إسرائيل. إنّ وجود إسرائيل، هذه الغدة المزروعة في الجسم الإسلامي، هو من أبرز أسباب الشتات والتمزق والمشاكل والتخلف الحاصل في المنطقة. وأنّ من يغذّي الخلافات البينية في الأمة الإسلامية إنّما يقدم خدمة لإسرائيل.

إنّ شعوبنا العربية والإسلامية باتت تعيش اليوم مرحلة مخاض سرعان ما تتجاوزها قريبًا إن شاء الله. ويبشرنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح، الآيتان: ٥-٦]، إنّ ثقتنا بالله سبحانه، وبضمائر وتطلّعات أبناء الأمة، تجعلنا نعتقد أنّ ما يجري الآن في الأمة، ما هو إلّا مرحلة مخاض، ستتجاوزها شعوب الأمة فور تجاوزها لحالة الاستبداد، ونيلها لسيادتها واستقلالها، حينئذٍ سيكون أمام شعوب الأمة، فرصة أن تدافع عن كرامتها وعزّتها بشكل سليم صحيح.



الخطبة الأولى

ضغط الشهوة وقوة الإرادة

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾.

[سورة النساء، الآيتان: ٢٧و٢٨].

إنّ وجود الشهوات والغرائز في نفس الإنسان يُعَدّ محركًا أساسيًّا لنشاطه وفاعليته في هذه الحياة. ولولا وجود الغرائز والشهوات لما اندفع الإنسان يكابد الأهوال في كلّ اتجاه، فحبّ الإنسان لذاته وسعيه للتملك، وتطلعه للرقي والتقدم، ووجود الرغبة والشهوة لديه، هو ما يدفعه لهذه الفاعلية والنشاط الذي يقوم به في هذه الحياة.

وفي الوقت نفسه تُعَدّ هذه الغرائز والشهوات ساحة امتحان للإنسان، وميدان اختباره، ذلك أنّ الإنسان يقف بين اتجاهين، بين كبت هذه الشهوات، وهو ما يمكن أن يشلّ حياته، وبين إطلاق العنان لها فيخرج عن حدود إنسانيته، وينحرف عن طريق الكمال، حتى يصبح كسائر البهائم التي تعيش غرائزها وشهواتها.

لقد كرّم الله سبحانه الإنسان بأنْ زرع فيه الطموح والتطلع نحو الكمال، ولا يستطيع أن يبلغ مراقي الكمال إلّا إذا استطاع أن يضبط غرائزه وشهواته، وهنا الابتلاء والامتحان في هذه الحياة.

تنمية وتصليب الإرادة

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى الشرائع السماوية لكي تساعد الإنسان على تلمّس حالة

الانضباط. بحيث يمارس حياته بفاعلية، ويستجيب للرغبات والشهوات الموجودة في نفسه، من أجل إعمار الحياة، لكنه في الوقت نفسه لا يكون منساقًا مع الشهوات والرغبات على حساب كماله وسموّه الإنساني، من هنا يحتاج الإنسان إلى التزام الشرائع السماوية، كما يحتاج إلى الوعي والإرادة، اللذين يساعدانه على الانضباط.

وعلى امتداد تاريخ البشرية، كانت هناك جهات شغلها الشاغل تحريض الشهوات والغرائز في نفس الإنسان. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَاللَّـهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾، فالله سبحانه يريد للناس التوبة، فيما تعمل بعض الاتجاهات على الدفع بالناس ليميلوا نحو الشهوات والغرائز ميلًا عظيمًا. إنّ للإنسان أن يمارس غريزته وشهوته ولكن ضمن حدود، فإذا ما انحرف وتجاوز تلك الحدود ومال ميلًا عظيمًا، على حد تعبير الآية الكريمة، فذلك ليس في مصلحته ولا يخدم إنسانيته. وعلاوة على التحريض الخارجي للإنسان باتجاه الانغماس في الشهوات، يساعد على ذلك وجود حالة الضعف الذاتي عند الإنسان، وقد وصف الله هذه الحالة بقوله سبحانه: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾، والضعف المشار إليه في الآية، هو الضعف أمام الشهوات والغرائز، والمطلوب في مقابل هذا الضعف، التحلّي بالوعي والتسلح بالإرادة، وإلّا فسيكون الإنسان ضحية لضعفه الطبيعي أمام شهواته وأهوائه.

التحريض على الشهوات تجارة

ويبدو أنّ الجهات التي تدفع بالبشر نحو الغرق في الشهوات والغرائز، تعيش اليوم عصرها الذهبي. فهؤلاء الذي وصفتهم الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾، يعيشون قمة نشوتهم في زمننا الراهن، فالجهات التي تحرك الأهواء والشهوات عند الناس، باتت تستفيد من التطور العلمي، والتقدم التكنولوجي، عبر مختلف الوسائل المتاحة، من أجل أن تحرك الشهوات والأهواء عند الجمهور، وعلى أوسع نطاق

ممكن. ويدفعهم بهذا الاتّجاه سببان:

الأول: أنّ هؤلاء أنفسهم ممن يتبعون الشهوات، ويريدون أن تتوفر لهم الأجواء لممارسة أهوائهم ورغباتهم، وكلما اتّسعت الفرص أمامهم فهذا يصبّ في صالح ميولهم الغرائزية.

والسبب الآخر، هو السعي نحو الكسب المادي والربح التجاري، فتحريض الشهوات وإثارة الغرائز بات اليوم تجارة تدرّ الأرباح، ومصدرًا كبيرًا من مصادر الدخل، وتحقيق الثراء. ويكفي النظر إلى الكمّ الهائل من المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، التي بلغ عددها أكثر من أربعة ملايين ومئتي ألف موقع إباحي، ويمثل ما يقرب من ١٢ بالمئة من مواقع الشبكة العنكبوتية!.

وذكر إحصاء آخر أنّ هناك فيلمًا إباحيًّا جديدًا يجري إنتاجه في الولايات المتحدة وحدها كلّ ٣٩ دقيقة، وهذا بخلاف الأفلام الإباحية التي يجري إنتاجها في أماكن أخرى في العالم. كما تفيد الإحصاءات عن حجم الأموال التي تنفق في هذا المجال، بأنّ هناك ثلاثة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف دولار تنفق في كلّ ثانية على المواد الإباحية، ما يشير إلى حجم التجارة المحمومة التي تعمل خلفها جهات تجدّ في نشر أجواء الشهوة والإغراء وتحريض الغرائز.

الاحتماء بالأجواء الصالحة

أمام هذا الكمّ الهائل من وسائل الإغراء يحتاج الإنسان إلى أمرين أساسيين:

أولهما تنمية وتصليب الإرادة الذاتية في نفسه أمام ضغط الشهوات، والأمر الثاني هو التواجد في الأجواء الصالحة، بغرض تخفيف الضغط الغرائزي، ذلك لأنّ الإنسان سيبقى يعيش معركة دائمة داخل نفسه، إذا ما ظلّ يعيش أجواءً ملؤها الإغراء والإثارة، وهو على الأرجح ما سيجعله يضعف وينهار في نهاية المطاف، وهذا عين ما ذكره سبحانه تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾، من هنا على المرء أن يهتمّ كثيرًا بالأجواء

التي يعيش فيها، بحيث تسودها الحشمة.

ولعلّ إحدى المشاكل في هذا الصدد هي التساهل في مسألة الاحتشام، بدءًا من داخل الأسرة. متناسين أنّ أجواء الحشمة ينبغي أن تبدأ بالمنزل، فمن الدّارج أن تتصرف الأم أو البنات والأولاد على سجيتهم، دون ملاحظة هذا الجانب، لكونهم يعيشون أجواء المنزل والعائلة، غافلين تمامًا عن أنهم بشر يعتريهم ما يعتري الآخرين. ويكفي الإشارة هنا إلى ما تشير اليه العديد من الدراسات حول أسباب الانحرافات، وخاصة الجنسية منها، نتيجة ضعف أجواء الاحتشام داخل المنزل.

إنّ القرابة العائلية لا تبرر الابتذال والتراخي في التزام الحشمة حتى بين الأخوة والأخوات، بحيث يظهرون أمام بعضهم على نحو الإثارة، سواء في الملبس أوعرض المفاتن، فذلك أمر بالغ السوء والضرر، ويشمل ذلك الأم بطبيعة الحال، وسائر الأقارب، الذين يتواجدون في مكان واحد، إذ ينبغي مراعاة أجواء الاحتشام، لما لفقدانها من تأثير سلبي على الأولاد، حتى وإن لم يكن ملحوظًا عند الآخرين، فأغلب تلك التأثيرات النفسية الطبيعية لا يتحدث عنها الأولاد ولا البنات، لكن ذلك لا ينفي انعكاساتها السلبية.

من هنا ينبغي أن تسود الأجواء المحتشمة باستمرار، سيما أثناء الاجتماعات العائلية الموسعة، التي يحضرها سائر الأقرباء من الأخوال والخالات، والأعمام والعمّات، وأبناؤهم وبناتهم. أضف إلى ذلك النأي عن الانسياق خلف بعض العادات الدخيلة، من قبيل السماح بدخول العريس إلى قاعات الأفراح النسائية يرافقه بعض الرجال، فهذا أمر مرفوض لما له من تأثيرات سلبية كبيرة ووقوع في المحرمات والآثام.

الحذر من مواقع التواصل الاجتماعي

وينبغي للإنسان أن يتعاطى مع وسائل الإعلام على نحو حذر. فلربما دفعت المرء نفسه إلى النظر والبحث عمّا يثير الغرائز عبر مختلف الوسائل، تساعده في ذلك

وساوس الشيطان، التي ربما استدرجه بذريعة حبّ الاستطلاع، كما لو أنّ هذا الإنسان محصّن وبعيد عن التأثر بما سيراه في تلك المواقع والقنوات.

كثيرًا ما وصلتنا الشكاوى من وقوع فتيات في براثن الرذيلة نتيجة الانسياق خلف محاولات الاستدراج، والأمر نفسه يحدث مع شباب أوقعوا أنفسهم في علاقات مشبوهة تحت مزاعم إرشاد وهداية الفتيات، علاقات ظنّوا أول الأمر أنها ستكون بريئة إلّا أنها قادتهم إلى الرذيلة، وهذا من خداع وأحابيل الشيطان التي حذّرنا الله منها بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، فعلى الإنسان أن يكون حذرًا فلا يخدع نفسه ولا ينخدع.

إنّ هناك نصوصًا دينية كثيرة تؤكّد بشدة ضرورة أن يشحذ الإنسان إرادته أمام شهواته. فقد ورد: «إِنَّمَا سُمِّيَ الهوى هَوًى، لأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ»[١]، وعن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «الشهوات مصائد الشيطان»[٢]، سواء في استماع صوت لا يحلّ الاستماع اليه، أو النظر إلى صورة لا ينبغي النظر إليها، أو الوقوع في مراسلات تقود إلى الرذيلة، أو مشاهدة فيلم يدفع للانحراف، فهذه بأجمعها أول مصائد الشيطان، ولا يعلم إلّا الله عواقب ذلك. وعنه عليه السلام أنه قال: «من تسرّع إلى الشهوات تسرّعت إليه الآفات»[٣]، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «رُبّ شهوة ساعة تورث حزنًا طويلاً»[٤]، فربما لم تدم الشهوة إلّا برهة من الزمن إلّا أنها ربما أوقعت المرء في هوة سحيقة ومأزق كبير، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «غالب الشهوة قبل قوة ضراوتها فإنها إنْ قويت عليك ملكتك واستقادتك ولم تقدر على مقاومتها»[٥].

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، ج١٦ ص١٦٧، عن الشعبي.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٦٥.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٣٧، حكمة ٤٨٤.
(٤) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٥٣٣.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٦٨، حكمة٥.

التفكيك بين الرأي وقائله

الخطبة الثانية

جاء عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «اقبل الحقّ ممن أتاك به، صغيرًا أو كبيرًا، وإنْ كان بغيضًا، واردُدِ الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان حبيبًا»[1].

ثمة معايير عقلية واضحة ينبغي أن يركن إليها الإنسان لقبول الآراء الأخرى أو رفضها. كما أنّ لديه معايير مصلحية وذوقية إزاء الأمور المادية، فعلى أساسها يقبل أشياء ويرفض أخرى، سواء عند الإقدام على شراء سلعة، أو تناول طعام، فالمرء عندما يقدم على أيِّ خيار يرتبط بشأن من شؤونه المادية، فإنّه يقيس ذلك بمعادلات مصلحية أو ذوقية يعتمدها. وذلك يجري مع قضايا الرأي والفكر، إذ ينبغي أن تكون للإنسان معايير عقلية تحدّد مدى القبول والرفض لمختلف الآراء، لا أنْ يخضع الأمر للميول المزاجية. ذلك أن تبني رأيًا معيّنًا تجاه أيِّ فكرة أو قضية من القضايا، ينبغي أن يأتي من خلال الاحتكام للعقل والقيم التي يؤمن بها الإنسان، فذلك هو المحدّد لتبنّي أو رفض الأفكار والآراء الأخرى.

لا تكن إمّعة

إنّ هنالك صنفًا من الناس يتنكّر لعقله ويرتضي أن يكون إمّعة. فالآخرون ينتجون الرأي وما عليه سوى الاتّباع، وأولئك يصطنعون الفكرة والموقف وهو يتلقفها، دون

(١) كنز العمال، ج١٥ ص٧٩٤، حديث٤٣١٥٢.

أن يعمل عقله فيما إذا كانت الفكرة صحيحة أم لا؟ وهل ذلك الرأي صائب أم غير ذلك؟ إنّ التعاليم الربانية تأمر الإنسان بالتفكير وإعمال العقل، ودراسة الموقف والفكرة، حيث يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، فالمؤمن العاقل يستمع ويفكر، ثم يقرر اتّباع الأحسن، تمامًا كما يتعامل مع أيِّ سلعة تجارية، حيث يقوم بالمفاضلة بين السلع تبعًا لمعاييره الخاصة المتعلقة بميزانيته المالية وذوقه ورغبته. ذلك الأمر نفسه ينطبق تمامًا في مجال الرأي والفكر بالنظر لاعتبارات القيم والمعايير العقلية.

انظر إلى ما قال

وهناك مسألة في غاية الأهمية والدقة تتعلق بضرورة التفكيك بين الرأي وصاحبه، وبين الفكرة وقائلها. فهنالك رأي وشخص يطرح هذا الرأي، وهناك فكرة وشخص أنتج هذه الفكرة، هنا ينبغي للمرء أنْ يفكّك بين العنصرين، فلا يجعل علاقته بصاحب الفكرة ذات تأثير على موقفه من الفكرة نفسها، كما لا ينبغي أن يكون موقفه من الفكرة مؤثّرًا على علاقته بصاحب الفكرة.

هنا ينبغي التفكيك بين الأمرين. حينما يستمع المرء رأيًا عليه أن يفكّر مليًّا، قبل اتخاذ أيِّ موقف تجاه ذلك الرأي، بغض النظر عن مدى قرب أو بعد صاحب هذا الرأي منه، كأن يكون شخصًا حبيبًا إليه، موثوقًا عنده مثلًا، لكنه في نهاية المطاف ليس معصومًا عن الخطأ، لذلك يمكن أن يعتري فكرته الخطأ، وقد يجانب رأيه الصواب، ولا ينبغي قبول رأي الشخص؛ لأننا نحبّه وحسب، أو نأخذ برأيه بالنظر لعلاقتنا وانتمائنا إليه، بقدر ما ينبغي العودة والاحتكام إلى العقل.

إنّ من الضروري دائمًا تقليب الرأي والتفكير بجدّية في مدى صوابية أم خطأ الأقوال التي تصلنا. فقد يكون صاحب الفكرة طرفًا غير محبوب، لكن ذلك لا يلغي صواب أقواله بالمطلق، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «اقبل الحقّ ممن

أتاك به، صغيرًا أو كبيرًا، وإنْ كان بغيضًا»، فقبول القول وفق حديث النبي ﷺ غير منوط بمدى الحبّ أو البغض لقائله، بقدر ما هو منوط بمدى صواب أو خطأ ذلك القول. وفي مقابل ذلك، ينبغي رفض الرأي إذا كان خطأ، حتى لو كان صادرًا عمّن نحب، فلا يصح بأيِّ حالٍ اتّباع تلك الفكرة والأخذ بالقول الخطأ لمجرد محبّتنا لقائله.

الحكمة ضالة المؤمن

كما أنّ الموافقة في الدين أو المذهب ليست معيارًا لقبول أو رفض الآراء الأخرى على نحو عام. فلو قال شخص ما، مختلف في الدين أو المذهب، قولًا صائبًا، أو فكرة سليمة، فلا بُدّ من الأخذ بها. وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «خذ الحكمة ولا يضرّك من أيِّ وعاء خرجت»[1].

فالمناط هنا هو البحث عن الحكمة، والحكمة في اللغة من الإحكام والإتقان، أيّ يكون الرأي محكمًا ومتقنًا. وورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك، تكون أحقّ بها وأهلها»[2]، فلو كان عند المشرك رأي ناضج فلا مانع من الأخذ منه، وورد عنه عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»[3]، وفي نصٍّ آخر عنه عليه السلام: «خذ الحكمة ممن أتاك بها، وانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال»[4].

وتُجمع النصوص الدينية على أهمية التعاطي باستمرار مع الفكرة مجرّدة، وتقييم مدى نضجها وصحتها، بغضّ النظر عن قائلها. جاء في الرواية عن أهل البيت عليهم السلام عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: «خذوا الحقّ من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل

(١) محمد الريشهري العلم والحكمة في الكتاب والسنة، ص٢٤٥.
(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٦٢٥.
(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم (٨٠).
(٤) علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٢٤١.

الحقّ، كونوا نقّاد الكلام»[١].

كم هي رائعة هذه الكلمة، ومضمونها لو أنّ إنسانًا كان على باطل من الناحية الدينية، لكنه قال فكرة أو رأيًا صحيحًا، فالمتوجب الأخذ بتلك الفكرة وذلك الرأي دون النظر لدينه وتوجّهه. وفي مقابل ذلك لو أطلق شخص متديّن من أهل الحقّ رايًا أو فكرة باطلة ـ وهو ليس معصومًا من الخطأ ـ، إمّا بسبب جهله أو التباس الأمور عليه، أو كان هذا غاية تفكيره ومعرفته، أو ربما طمعًا في مصلحة من خلف تلك الأقوال، هنا ينبغي عدم الأخذ برأيه إطلاقًا، بل المطلوب وفق الرواية الآنفة أن نكون نقّاد الكلام، فهذا ما يريده الإسلام للإنسان المؤمن.

رفض الفكرة دون قائلها

إنّ رفض أيّ فكرة أو رأي معيّن لا ينبغي مطلقًا أن يقود إلى نصب العداوة لصاحب ذلك الرأي. فلو أطلق إنسان رأيًا أو فكرة خطأ وفق تقييمك، فمن حقّك أن ترفض ذلك الرأي، لكن ذلك لا يعني أن تعادي صاحب الرأي، أو تتبنّى موقفًا عنيفًا ضدّ مطلق الفكرة. من الضروري هنا التفكيك بين الفكرة وصاحب الفكرة، فقد يكون رأيه خطأً وقد يكون صوابًا، ولربما غيّر رأيه فيما بعد ليكون مطابقًا لرأيك، أو ربما غيّرت أنت رأيك في مستقبل الأيام حتى وافقته الرأي.

إنّ هنالك صنفًا من الناس ليس بمقدوره التفكيك بين الرأي وصاحبه، ولربما قطع علاقته مع صديقه لمجرد الاختلاف معه في الرأي إزاء قضية من القضايا، أو مسألة من المسائل، إنّ كلّ أحدٍ له كامل الحقّ في أن يقبل أو يرفض رأيًا أو فكرة ما، تبعًا لمعاييره الخاصة، لكن ذلك لا ينبغي أن يترتب عليه اتخاذ مواقف حدّية من أصحاب الآراء الأخرى، فهؤلاء بشر لهم حقوقهم وكرامتهم، هذا أولًا، وثانيًا، تبقى هناك مشتركات كثيرة بين البشر مهما اختلفوا في الرأي إزاء هذه المفردة أو تلك القضية.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢ ص٩٦، حديث٣٩.

وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى تقسيم المتخصصين في العلوم الدينية لرواة الحديث، بما يصل إلى قبول الرواة حتى من خارج الدائرة المذهبية، والذين ربما يطلقون عليهم فاسدي العقيدة. فعلماء الدين يقسمون الحديث من حيث السند إلى عدة أقسام: حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث موثق، وحديث ضعيف، وعند تناول العلماء للقسم الثالث، أي الحديث الموثق، فهم يعرّفونه بأنه الحديث أو الرواية التي تأتي عن طريق راوٍ من خارج المذهب، أي من أحد المذاهب المخالفة لمذهب أهل البيت، لكن هذا الراوي يعدّونه ثقة، أي لا يكذب فيما يروي، فالعلماء حينئذٍ يقبلون روايته ويعدّون حديثه موثّقًا معتبرًا. فكون هذا الراوي مختلفًا في المذهب، وهو فاسد العقيدة في نظرهم، لا يعني مقاطعته على نحو تام، وعدم الأخذ بروايته، ولذلك اشتهر عن العلماء قولهم في هذا الصدد ما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال ـ وقد سئل عن كتب بني فضّال ـ: «خذوا بما رووا وذروا ما رأوا»[١]، ومضمون ذلك أن نأخذ الصحيح من روايتهم حتى لو اختلفنا معهم في آرائهم.

من هنا ينبغي التفكيك بين الرأي وصاحب الرأي. فقد يجري قبول الفكرة، حتى مع رفض منهج صاحبها، كما يمكن رفض الفكرة لكن لا يعني ذلك رفض قائلها ومقاطعته وإسقاطه، سيما والناس في هذا العصر أصبح لديهم انفتاح كبير على مختلف الأفكار والآراء، بخلاف ما كان يجري في الماضي من غياب التعليم وقصور المعرفة، واقتصار الناس على همومهم المعيشية. فقد ارتفعت نسب التعليم، وارتفعت معها اهتمامات الناس ونقاشاتهم في جميع ما يجري حولهم من أحداث وقضايا وآراء، وتبعًا لذلك فاختلاف الرأي بين الناس أمر وارد جدًّا وكثير الحصول.

إدارة الاختلاف في الرأي

غير أنّ الإشكالية الرئيسة عندنا، هي أننا بَعْدُ غير مهيئين لإدارة الاختلاف الفكري

---

(١) بحار الأنوار، ج٢ ص٢٥٣.

في أوساطنا، وهذا ما ينسحب على كلّ المستويات، حتى على صعيد الاختلاف في المجال الرياضي، فلربما برزت مشاكل وقطيعة حادة بين بعض الناس لمجرد تشجيعهم ناديًا رياضيًّا ضدّ آخر!، ناهيك عن الاختلاف حول رأي سياسي أو فكري، وهذا خطأ كبير!. إنّ على المرء أن يفكّك بين الموقف من الرأي والموقف من صاحب الرأي، وبين الموقف من الفكرة وصاحبها، فمهما بلغت حميمية العلاقة والارتباط بصاحب الفكرة، فلا يعني ذلك أن تكون كلّ أفكاره صحيحة، وبالمقابل مها كان شكل الارتباط والعلاقة المتوترة مع صاحب فكرة ما، فذلك لا يعني أنه باطل وشرٌّ مطلق. نحن في أمسّ الحاجة إلى تدريب أنفسنا على القبول بتعددية الآراء واختلاف وجهات النظر، وحسن إدارة الاختلاف، حتى لا يكون ذلك سببًا للقطيعة والنزاع والشقاق، فذلك ما لا يجيزه الشرع ولا يقبله العقل.



الخطبة الأولى

مبادرة التذكير ببرّ الوالدين

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[سورة الذاريات، الآية: ٥١].

الإنسان معرض للنسيان، نتيجة عوارض الانشغال، أو جرّاء الغفلة، أو بسبب الإهمال.

قد يجهل المرء شيئًا فيحتاج إلى التعليم والإرشاد، وقد يعرف شيئًا، ولكن ما كلّ ما يعرفه يكون حاضرًا في ذهنه، وعلى باله دائمًا، فقد ينسى ما قد علم، وقد يهمل شيئًا مع أهميته، نتيجة عدم استحضاره في نفسه، كما قد يتغافل عن بعض الأشياء بسبب انشغالاته المتعددة. ونتيجة عوارض الانشغال أو الإهمال أو الغفلة فهو محتاج إلى التذكير باستمرار.

ويأتي التذكير لغة في مقابل النسيان، وهو بذلك يختلف عن التعليم، فالتعليم يعني تنوير شخص بشيءٍ يجهله، أما التذكير فهو تنوير شخص بشيء يعرفه سلفًا لكنه نساه أو انشغل وغفل عنه.

إنّ المهمة الرئيسة للأنبياء والأئمة والدعاة إلى الخير هي التذكير، ذلك أنّ كثيرًا من القيم التي جاء بها الأنبياء موجودة من حيث الأصل في وجدان وفطرة الإنسان، لكنه يغفل عن ذلك، من هنا تفهم كلمة الإمام عليّ عليه السلام في وصف مهمة الأنبياء حين قال: «وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ»[1]، القيم موجودة في قلوب الناس، إلاّ أنها مدفونة

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (١).

تحت ركام الانشغالات والاهتمامات المختلفة، فيأتي الأنبياء للناس ويثيرون عندهم هذه القيم.

التذكير بقيم الخير

إنّ الإنسان بحاجة دائمة للتذكير بالقيم الفاضلة، وأمور الخير، وخاصة في هذا العصر. ذلك أنّ عصرنا الراهن أكثر العصور التي بات فيها الإنسان غارقًا في الانشغالات والاهتمامات المختلفة، فقد كانت حياة البشر في العصور الماضية أكثر بساطة، والإنسان حينها أقلّ انشغالًا، على النقيض تمامًا من هذا العصر الذي يعجّ بالاهتمامات ضمن أبعاد واتجاهات مختلفة، خاصة فيما يرتبط بالحياة المادية والمصلحية، مما يجعل الانسان أكثر حاجة إلى التذكير بالقيم الفاضلة، وأمور الخير، والتحذير من الأشياء السيئة التي تؤثر على حياته سلبًا.

إنّ من التطورات الإيجابية في المجتمعات المعاصرة، توجهها نحو تخصيص بعض الأزمنة والأنشطة للتذكير ببعض القيم المفيدة، والنافعة للإنسان، ومن ذلك تخصيص يوم للطفولة، يوم للمعلم، يوم الأم ويوم البيئة وغرض ذلك تذكير الإنسان المنشغل اللاهث خلف مصالحه ورغباته، بهذه القيم والأمور الصالحة. مع إطلاق الحملات العامة والمنسقة، من قبيل حملات الاهتمام بالبيئة، وحملات تعزيز العلاقات الإنسانية، وأخرى لمراعاة أنظمة المرور، وجميع هذه الحملات وأمثالها أمور جيّدة بالنظر لحاجة الإنسان إليها.

برّ الوالدين قيمة عليا

إنّ من المفيد جدًّا قيام مؤسسات أهلية تعنى بقضايا الشأن العام على مختلف الصُّعد. وقد سرّني قيام مجموعة أهلية مؤخّرًا في محافظة القطيف معنية بالتذكير بأهمية برّ الوالدين، تلك القيمة الأخلاقية الكبيرة، فبرّ الوالدين قيمة مهمة تنطلق من

صميم وجدان الإنسان، فكلّ امرئ يشعر بفضل والديه عليه، من هنا تأتي أهمية التذكير بهذه القيمة الأخلاقية العالية. هذه المبادرة الطيبة التي يقوم عليها بعض المؤمنين في منطقتنا، تأتي بغرض إحياء برنامج سنوي يُعلي من قيمة برّ الوالدين، وقد اختاروا لهذه المناسبة يوم العشرين من شهر جمادى الأولى، المصادف هذا العام لعيد الأم المعلن عالميًّا في ٢١ مارس من كلّ عام، فالقائمون على المبادرة ارتأوا جعل عيد الأم مناسبة لبرّ الوالدين، عوضًا عن جعله عيدًا للأم فقط.

إنّ إحياء مناسبة برّ الوالدين تعدّ مبادرة جيّدة، وقد تمّ الاستعداد لها عبر حملة إعلامية في مختلف المواقع، من خلال إعداد النشرات واللقاءات، من أجل دفع وتشجيع الناس على المساهمة في إنجاح هذه المبادرة، وقد أعلن القائمون عن سلسلة من الفعاليات في هذا الشأن، كما اقترحوا أن يجري على هامش المناسبة الذهاب للمقابر لزيارة الراحلين من الآباء والأمّهات، فبرّ الوالدين يبقى قيمة أخلاقية فاضلة سواء كان في حياة الأبوين أم بعد مماتهما، لذلك فزيارة قبر الوالدين من مظاهر البرّ.

وقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤]، وبالنظر في الآية الكريمة نجد أنّ العبارة الواردة في مطلعها هي «قَضَىٰ» أي إنّ الباري عزّ وجلّ قد حكم وألزم، بأن تكون العبادة له وحده سبحانه، ثم يأتي تاليًا في الدرجة الثانية الإحسان للوالدين. وفي آية أُخرى يضع ربنا سبحانه وتعالى شكر الوالدين بعد شكره مباشرة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[سورة لقمان، الآية: ١٤]، فالشكر للوالدين وفقًا للآية الكريمة هو في المرتبة التالية لشكر الله سبحانه وتعالى.

وورد عن رسول الله ﷺ أنّ رجلًا سأله، يا رسول الله، ما حقّ الوالدين على

ولدهما؟ قال ﷺ: «هما جنتك ونارك»[١]، وقال ﷺ: «بِرُّوا آباءكم تَبَرُّكُمْ أبناؤكم»[٢]، ومضمون قول النبي ﷺ أن برّ الوالدين قيمة قابلة لترسخ عبر الأجيال متى ما تحولت إلى سلوك اجتماعي عام، وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: «برّ الوالدين أكبر فريضة»[٣]. وكما سبقت الإشارة، فإنّ قيمة برّ الوالدين ليست مقتصرة في حال الحياة، وإنما تجري حتى بعد الوفاة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه، حيّين أو ميتين، يصلّي عنهما، ويتصدق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك»[٤].

الوالدان في مرحلة الكبر

وتكتسب قيمة برّ الوالدين أهمية مضاعفة عند بلوغ الوالدين مرحلة الكبر. ذلك أنّ الإنسان عندما يكون طاعنًا في السنّ، قد يتغير مزاجه بدرجة كبيرة، فهو يحتاج إلى مزيد من الرعاية والعناية، لذلك ينبغي للأبناء ذكورًا وإناثًا، أن يولوا هذا الأمر أهمية كبيرة، وأن يراعوا آبائهم وأمهاتهم بشدّة في المراحل العمرية المتقدمة، إنّه لا يوجد عمل أهمّ وأفضل وأعظم من العناية بالوالدين الطاعنين في السنّ، وعلى الإنسان أن يعلم أنه كلّما كانت حاجة أحدهما إلى العناية أكبر، فإنّ في ذلك فرصة عظيمة منحها الله تعالى إيّاه لنيل المزيد من رضاه، ونيل المزيد من التوفيق، ولعلّها تكون أكبر فرصة يحصل عليها، حتى وإنْ شعر باستثقال الأمر أحيانًا، ذلك أنه لا يوجد مجال ولا فرصة لكسب الثواب، ونيل رضا الله، والحصول على التوفيق الإلهي أفضل من هذا السبيل، حتى إنّ الأمر يستحق أن يفرغ الإنسان نفسه لخدمة والديه ما أمكنه ذلك.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب برّ الوالدين، حديث رقم ٣٦٦٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٤ ص١٥٤.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، الصفحة ١٩٥.

(٤) الكافي، ج٢ ص١٥٩.

إلى المزيد من المؤسّسات الأهلية

إنّ مجتمعاتنا في حاجة ماسّة لقيام المزيد من المؤسسات الأهلية، علاوة على الجمعيات الخيرية والنوادي الرياضية القائمة، تبقى الحاجة ماسّة لوجود مؤسّسات مهتمة بالتوعية ونشر القيم، على غرار قيام مؤسسة تهتم بتوعية وتحذير الشباب عن التورط في العنف، هذه الظاهرة السلبية بالغة السوء، التي بتنا نلمس تداعياتها على نحو متكرر، حيث تُفضي المشاجرات العنيفة بين الشباب عن حالات قتل مروعة، عند نشوب أقلّ خلاف ولأتفه الأسباب!، حتى إنّ مصادر في الدفاع المدني في المنطقة تقول إنّ ثمة انتشارًا لظاهرة حرق السيارات الخاصة، وتعلل المصادر بأنّ أهمّ أسباب هذه الظاهرة هي تصفية الحسابات بين المتخاصمين، حيث تقود الخلافات الشخصية بين الشباب إلى أن يقوم أحدهم بحرق سيارة الآخر!. إنّ من السيئ جدًّا انتشار ظاهرة استخدام العنف بين أبناء المجتمع، وبذلك نحتاج إلى جهود توعوية كبيرة في هذا المجال، بما يشمل تقديم المحاضرات، وتنظيم الندوات واللقاءات، وتوزيع النشرات، واستخدام مختلف وسائل وأساليب التوعية، في سبيل النأي بالشباب عن العنف، لمختلف الأسباب الشخصية أو السياسية، فاستخدام العنف بمجمله أمر سيئ، ونحتاج تبعًا لذلك إلى مؤسّسات تأخذ على عاتقها التوعية حول نبذ العنف الاجتماعي بمختلف مستوياته.

وعلى غرار ذلك يحتاج مجتمعنا أيضًا إلى قيام مؤسّسات إصلاح ذات البين، لمواجهة حالات العنف الأسري. وفي هذا السّياق لا يفوتني الإشادة بمسابقة جمال الأخلاق، تلك المؤسسة التي كان لمنطقتنا سبق الريادة في تأسيسها والانطلاق بعملها، والتي جعلت محور اهتمامها دفع الفتيات للتسابق على الريادة في مجال حسن الأخلاق والتزام القيم الفاضلة، آملين أن تحذو حذوها المبادرة الجديدة «برّ الوالدين»، وأن تصبح المنطقة أنموذجًا لتصدير المبادرات الطيبة والمفيدة.

٧

لماذا تضطهد المرأة في المجتمعات الإسلامية ؟

أخرج الحاكم النيسابوري في مستدركه على الصحيحين عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ أنه قال: «قال رسول الله ﷺ لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[1].

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ كَلامًا وَحَدِيثًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَرَحَّبَ بِهَا وَأَخَذَ بِيَدِهَا فَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَتْ هِيَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَتْ إِلَيْهِ مُسْتَقْبِلَةً وَقَبَّلَتْ يَدَهُ»[2].

ثمّة حقيقة كاشفة تشير إليها النصوص الدينية والسيرة النبوية حول المرأة، وهي أنّ الأنوثة لا تقعد بالمرأة عن منافسة الرجال أو التفوق عليهم. ولعلّ جملة النصوص الكثيرة التي تتناول سيرة السيدة فاطمة الزهراء ﷺ إنما تدلّ على أمرين مهمين، يدلّ الأمر الأول على ما لفاطمة الزهراء ﷺ من مكانة مميزة، وفضلٍ عظيم، يوجب على جميع أبناء الأمة، رجالًا ونساء، محبّتها وتعظيمها والاقتداء بها؛ لأنّ ما ورد بحقّها عن رسول الله ﷺ ليس منطلقًا عن عاطفة محضة، سيمّا وقد وصفه سبحانه بالقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[سورة النجم، الآيتان: ٣-٤]، فحينما

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٦٧، حديث ٤٧٣٠.
(٢) المصدر السابق، ص١٧٤، حديث ٤٧٥٣/ ٣٥١.

يتحدث ﷺ عن ابنته بهذا القدر، إنما يعني تأكيد ما لها من مقام ومكانة يجب أن تحفظها الأمة.

والأمر الثاني الذي تدلّ عليه النصوص، وهو محور حديثنا، إنّ الأنوثة لا تقعد بالمرأة عن منافسة الرجال والتفوق عليهم، فكون المرأة أنثى لا يعني بأيِّ حالٍ أنها في مرتبة أدنى، وإنما بإمكانها أن تصل إلى أعلى الرتب. فالأنوثة ليست مرتبة دونية، والذكورة ليست بحدِّ ذاتها مرتبة عالية، بقدر ما هناك معايير ومقاييس إذا توفرت في إنسان، رجلًا كان أم امرأة، فبإمكانه أن يشقّ الطريق نحو الفضل والعظمة، والمكانة العالية عند الله وعند الناس.

المرأة قد تفوق الرجل

إنَّ آيات الكتاب الكريم تشير بوضوح إلى أن المرأة مؤهلة كما الرجل إلى بلوغ درجات الكمال. فكونها امرأة لا يعني أنّها أقلّ من أن ترتقي وتتقدم وتزداد تميزًا، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]، فالتقوى هي المقياس بحسب الآية الكريمة وليست الذكورة أو الأنوثة، وتبعًا لذلك أيمّا امرأة كانت أكثر تقًى فستكون أكثر فضلًا بطبيعة الحال.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]، فلا فرق عند الله بين الرجل والمرأة، روحًا وعقلًا وسلوكًا. وليس هناك مجال من المجالات يتميّز الرجال بالسباق فيه على النساء، فكلّ الميادين مفتوحة أمام المرأة، تمامًا كما هي مفتوحة أمام الرجل، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

(١) سنن الترمذي، الترمذي، ج١ ص٩٠، حديث ١١٣.

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّـهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّـهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]، فالميادين كلّها مفتوحة أمام المرأة لكي تنافس وتتقدّم وتتفوق وترتقي.

لا نزال ننتقص المرأة

إنَّ واقع المجتمعات الإسلامية اليوم صادم إلى حدٍّ كبير على صعيد قضايا المرأة. حتى إنّ المرء ليستغرب من هذه المجتمعات التي تدين بالإسلام الذي يحدّد رؤيته للمرأة على النحو السّالف الذكر، إلّا أنّ المرأة ظلت تعاني الاضطهاد والإجحاف والتنكر لحقوقها في الكثير من المجتمعات المسلمة، حتى إنّ بعضهم لا يزالون إلى اليوم يعدون المرأة في مرتبة أدنى، فإذا جاء ذكر النساء على لسانه، استدرك مخاطبًا مستمعيه بعبارة: كرمكم الله!.

إنّ هذا السلوك ينبئ عن وجود ذهنية لا واعية عند الكثيرين، مضمونها دونية وانحطاط منزلة المرأة قياسًا على الرجل، وخاصة في بلادنا، حيث استغرقنا زمنًا طويلًا وجهدًا مضنيًا حتى يقبل البعض بتعليم المرأة، والغريب أنّ هؤلاء الناس الذين يقول نبيهم ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[1]، يرفضون أن تتعلم المرأة، ويتطلب الأمر معاناة طويلة حتى تفتتح مدارس لتعليم البنات، كما نحتاج إلى جهود مضنية حتى تقبل المرأة عضوًا في مجلس الشورى، مع أنّ السؤال الذي ينبغي أن يطرح هو عن سبب عدم تعيين المرأة عضوًا في الشورى لا العكس، وكذلك الحال مع انتخاب المرأة في المجالس البلدية، والأمر نفسه يجرى مع انتخابها في غرف التجارة، وكذلك في كل المواقع، إذ لا مانع دينيًّا يحظر على المرأة المشاركة، أوَلم تكن المرأة عبر التاريخ الإسلامي شريكة كاملة مع الرجل المسلم في كلّ الميادين والمجالات؟. ويبدو أنّنا سنحتاج إلى زمن

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، ج١ ص٩٢، حديث ١٨٤/ ٢٢٣.

حتى يقرّ للمرأة بقيادة السيارة، خلافًا لكلّ بلدان العالم، كما سنستغرق زمنًا آخر حتى تصبح المرأة عندنا وزيرة أو سفيرة، وغير ذلك من المواقع المتقدمة التي تمكن المرأة من تحمل مسؤولياتها السياسية والاجتماعية.

إنّ جميع ما سبق في كفّة، وما تعانيه المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية من سوء المعاملة في كفة أخرى. فعلى الرغم مما يكرره العلماء والدعاة صبح مساء حول تكريم الإسلام للمرأة، إلّا أنّ الكلام شيء وما يجري على أرض الواقع شيء آخر، ولو شئنا الإشارة إلى مورد واحد فقط من موارد كثيرة على هذا الصعيد، فيكفينا الإشارة إلى مسألة العضل الشائعة في مجتمعاتنا، فكثيرًا ما تورد التقارير أخبار فتيات بلغن سنّ الرشد، ويتطلّعن إلى الزواج، وغالبًا ما يطرق أبوابهن الخطّاب واحدًا تلوا الآخر طلبًا للزواج، لكن جميع آمالهنّ تتحطم نتيجة رفض آبائهنّ غير المبرر!.

وقد اتصلت على مكتبنا بالأمس فتاة تشتكي أهلها الذين يرفضون تزويجها رغم طلب يدها من قبل خمسة وعشرين شابًّا خاطبًا!، وتقول في شكواها أنّ تدخلات العائلة في هذا الشّأن أفسدت عليها حياتها، فإذا وافق أبوها على خاطب رفضته أمها، وإذا وافقت أمها رفضه أخوها أو خالتها أو عمتها، وهكذا بلغت سنّ الثلاثين من العمر وهي على هذا الحال البائس!. هذا التصرف من العائلة مرفوض جملة وتفصيلًا، فما هكذا ينبغي أن نتعامل مع بناتنا.

العضل جريمة كبرى

هنا ينبغي الإشارة إلى أنّ جميع الفقهاء من جميع المذاهب الإسلامية يرفضون عضل البنات. وفي هذا الصدد يمكن القول إنّ هناك نقاشًا واختلافًا بين الفقهاء حول مدى حاجة الفتاة البكر إلى إذن وليّها حينما تكون بالغًا رشيدًا وفق التعبير الفقهي، إلّا أنّ كلّ الفقهاء من السنة والشيعة لا يقبلون العضل، فإذا ما تقدم للفتاة خاطب كفؤ فلا يجوز للأب أن يمنعها من الزواج، وإذا منعها فإنّ الحاكم الشرعي له أن يرفع الولاية

عن الأب ويزوج البنت، فالعضل محرّم شرعًا وعلى نحو قطعي.

والأسوأ من ذلك هو ما يتداول من أسباب تدفع البعض لعضل البنات، التي تعود في بعض الأحيان لأسباب مالية، فقد تكون البنت موظفة وتستلم راتبًا جيّدًا، فيرفض الأب تزويجها طمعًا في مرتبها!، وقد واجهنا مثل هذه الحالة تمامًا عندما تدخلنا مع أحد الآباء لاستشراف سبب رفضه تزويج ابنته، فقد أوضح أنّ سبب رفضه هو أنّ الشابّ الخاطب طامع في راتب ابنته، والحقيقة أنّ الأب نفسه هو الطامع في راتب البنت لا الخاطب.

وقد أوردت الصحف أيضًا أنّ من ضمن أسباب العضل الذي يمارسه بعض الأشقاء هو وجود إرثٍ كبير لدى أخته، فيرفض تزويجها تحت ذريعة عدم انتقال الإرث إلى تصرف زوجها!، فولاية الأخ على الأخت في النكاح قائمة في الفقه السني كما هو معروف، بخلاف الفقه الشيعي الذي لا يرى ولاية للأخ على أخته، وقد نشرت الصحف مؤخّرًا خبرًا مستغربًا حول رفض محامٍ تزويج ثمانٍ من أخواته، ستّ منهن غير شقيقات، وقد تجاوز بعضهن سنّ الأربعين، هذا وهو محامٍ يعرف القوانين وعلى اطّلاع على حقوق الإنسان[1]!. فكيف يقبل مجتمع يدين بالإسلام، أن يحدث فيه هذا الأمر.

من هنا ينبغي أن يكون الاحتفاء بالسيدة فاطمة الزهراء ﷺ مناسبة لمعالجة حقوق المرأة، ومنها مشكلة عضل البنات!. فلا يكفي في ذكرى الزهراء ﷺ أن نتحدث عن فضائلها ومكانتها، فهذا أمر نؤمن به ونعتقده سلفًا، لكن ما يلزمنا إلى جانب الحديث عن فضائلها وسيرتها ومصائبها، هو أن نتحدث عمّا نستفيده من سيرتها، وأن نتعلم كيف تعامل معها أبوها ﷺ، وكيف تعامل معها زوجها ﷺ، وكيف كانت مكانتها المحترمة في محيطها، فذلك ما ينبغي أن نتناوله حتى نأخذ من حياتها دروسًا نحتاجها في حسن التعامل مع المرأة؛ الأم والأخت والبنت.

(١) صحيفة الاقتصادية، السبت ١٦ ذو القعدة ١٤٣١هـ. الموافق ٢٣ أكتوبر ٢٠١٠م، العدد ٦٢٢١.

الخطبة الأولى

حديث الفطرة عن الله

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٢٧].

يدرك كلّ إنسان بعقله ووجدانه ساعة يفتح عينيه على هذه الحياة، أنّ وجوده إنما جاء بفعل قوة خارجة عن حدوده الذاتية. حيث يدرك أنه ليس الموجد لنفسه، وذلك لأنه من حيث الأصل لم يكن موجودًا، فكيف يتسنّى له منح الوجود لنفسه!. وفيما لو تجرّأ أحد على الادّعاء بأنه قد أوجد نفسه، فهذا يعني بطبيعة الحال أنه قادر على إدامة وجوده في هذه الحياة، ولا أحد يدّعي ذلك، بل وأبعد من ذلك، لا يدّعي القدرة على دفع الضرر أو جلب المنفعة إلى نفسه على النحو الذي يريد، وهذا أمر وجداني يعيشه الإنسان في كلّ لحظة.

ومعنى ذلك أنه لا بُدّ وأن تكون هناك قوة خارجة عن وجود الإنسان، هي التي أوجدته وخلقته، وهنا يلتفت ذهن الإنسان وفطرته، إلى أنّ له خالقًا موجدًا قائمًا بذاته، ولا يحتاج لغيره، وهو الله سبحانه وتعالى، وبهذا المعنى يكون الإيمان بالله تعالى وتوحيده أمرًا فطريًّا وجدانيًّا تقرره حقيقة وجود الإنسان نفسه.

لقد أودع الله الحياة في الإنسان، وأشهده على نفسه، وقد شهد بفطرته ووجدانه أن الخالق الموجد هو الله سبحانه. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ﴾، ومعنى الآية الكريمة الذي يرجّحه العلماء المحقّقون، هو ما تشهد به حقيقة وجود الإنسان وخلق الحياة، هذه الحياة التي يشعر الإنسان فيها أنه مفتقر لغيره، وأنه ليس الموجد لنفسه، ولا قدرة لديه على إدامة وجوده، وذلك ما يكشف بطبيعة الحال عن قوة أخرى قد أوجدته وهي الله سبحانه وتعالى. وذهب البعض إلى القول في تفسير الآية بأنّ هناك عالماً، سبق عالمنا هذا، يقال له عالم الذّر، وقد حشر الله سبحانه وتعالى الناس على هيئة الذر، أي الوجود الضئيل، وهناك سألهم سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأجابوا بالقول: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾، حسبما ورد في بعض الروايات التي ذهبت في تفسير الآية وفق هذا المنحى، لكن فيها نقاشًا من حيث السند والمتن.

لماذا ينكرون وجود الله

قد ترين على قلب الإنسان ووجدانه بعض الشبهات والأهواء التي تصرفه عن الاعتراف بحقيقة خلقه ووجوده. ومن أسباب ذلك، ما يترتب على الاعتراف من آثار، وما يلزم من إخلاص العبادة له وحده، والخضوع له سبحانه، وذلك ما يتعارض بطبيعة الحال مع الشهوات والرغبات التي تأبى الخضوع والتزام أوامر الله، لذلك يلجأ الإنسان إلى إنكار هذه الحقيقة، كوسيلة للتهرب من التزام عبادة الله تعالى، لكنه يبقى مع ذلك إنكارًا ظاهريًا، سرعان ما يتلاشى أمام شهادة أعماق نفسه بهذه الحقيقة الساطعة، وقد كشف سبحانه عن هذه الحقيقة في الآية الكريمة: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[سورة النمل، الآية: ١٤]، فسبب الإنكار، وفقًا للآية الكريمة، هو الظلم والتعالي، ومن ثم الاسترسال مع الرغبات والأهواء، فكانت أفضل وسيلة هي إنكار الخالق سبحانه تمامًا، حتى لا يرى المنكِر نفسه ملزمًا بالخضوع له.

حين تتجلى الحقيقة

وعادة ما يجد الإنسان نفسه في أوقات الشدائد والأزمات وجهًا لوجه أمام حقيقة

وجود الخالق سبحانه، وإن تظاهر بإنكارها والغفلة عنها. وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، إنّ هذا المنكِر إذا ما كان على ظهر سفينة، وأحدق به الخطر، وسط الأمواج العاتية، فسرعان ما يبحث عن قوة أو جهة يمكن أن تنقذه مما هو فيه، فيقر حينها تلقائيًّا أنّ هناك قدرة ما في هذا الكون بيدها أزمّة الأمور فيلجأ لها، وهي قدرة الله سبحانه وتعالى. وهذا ما يشير تحديدًا إلى أن الإنسان عندما تحدق به الشدائد، فهو يصبح أمام الحقيقة الواضحة الجلية، بوجود الخالق القادر عزّ وجلّ. وفي هذا السياق يذكر أحد الباحثين أنه التقى أحد الشيوعيين العرب، وهو صاحب كتب ومؤلفات عديدة، فدار بينهما جدل حول حقيقة وجود الله التي ينكرها الشيوعي، حتى إذا انتهى الجدال، يروي الباحث أنه التفت إلى وجود صورة امرأة معلقة على الجدار، فسأل عن صاحبة الصورة، فأجاب الشيوعي: بأن تلك صورة لزوجتي يرحمها الله!، فهذا الشيوعي الذي استغرق في الجدل طويلًا منكرًا حقيقة وجود الله، إذا به في تلك اللحظة يقرّ عفويًّا بفطرته بأنه سبحانه قد توفى زوجته وهو الوحيد المسبغ للرحمة عليها!.

فولتير يعلن إيمانه أخيرًا

وعلى هذا النحو جرت الأمور مع كثير من المفكرين والفلاسفة، حيث يعترفون في لحظة ما بحقيقة الخالق سبحانه التي طالما أكثروا الجدل في إنكارها. فقد ورد في سيرة المفكر الفرنسي الشهير فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨) رائد عصر التنوير الذي هزّ بأطروحاته الفكرية أوروبا والعالم، حتى قال عنه ديورانت في موسوعته الشهيرة قصة الحضارة: إنّ فولتير ربما كان أعظم المفكرين حيوية ونشاطًا عبر التاريخ.

وقد وردت عنه أطروحات ضدّ الأديان، حتى قال ذات مرة ساخرًا: إنه قرأ ٢٠٠ مجلد من كتب اللاهوت المسيحي، فتصورت نفسي مع قراءتها أنني أتنقل بين أقسام مستشفى للأمراض العقلية، فولتير الذي ولد مريضًا، ويعاني من الهزال، لدرجة لم

يتوقع له الأطباء العيش أكثر من يوم واحد، عاش عمرًا مديدًا ناهز ٨٤ عامًا، كتب خلالها ٩٩ كتابًا ملأت عصره وشغلت الناس فكريًّا وعلميًّا، فهو من المفكرين الذين يستفيد القارئ حقًّا من علمهم وفلسفتهم، وكان هذا الرجل ضعيفًا في تعليمه وعمله، وكان والده يائسًا منه، حتى قال عنه: إنّ ابني لا يصلح لشيء، ولا يرجى منه خير، قبل أن يتفتّق عن ذلك الفكر العظيم الذي بلغ آفاق أوروبا والعالم.

شاهدنا من الحديث أنّ فولتير هذا ومع كلّ ماورورد عنه من كفر بكلّ الأديان، ورفض الاعتقاد بالغيب، إلّا أنه في نهاية المطاف وجد نفسه أمام حقيقة وجود الخالق، على نحو لم يستطع إنكارها، حتى بنى بنفسه كنيسة في أواخر حياته، قال عنها: إنّها الكنيسة الوحيدة في أوروبا التي بنيت لعبادة الله، وكتب واصفًا إيمانه بالله، بأنه ليس على إيمان الطوائف المختلفة، بل إيمان بوجود الله الخالق القوي الذي يجزي بالحسنة ويأخذ بالسيئة. وقد تراجع عن كتاباته المسيئة للنبي محمد ﷺ بعد أن اطّلع على سيرته، فعاد وكتب في امتداح النبي ﷺ، والإشادة به في مؤلفاته الأخيرة.

البيئة الدينية الطاردة

هكذا يبدو الإيمان موجودًا في أعماق نفس الإنسان، لكن إعلانه هذه الحقيقة قد يتخلف لجملة أسباب. ومن تلك الأسباب وجود رد فعل على الحالة الدينية التي تنحرف عن قيم الدين، فالعيش في ظلّ بيئة دينية سيئة قد يدفع للتنكر لأصل الدين، لكن متى ما عاد الإنسان إلى نفسه وفطرته، يمكنه الفرز بين الحالة الدينية المنتسبة إلى الدين، وبين الدين نفسه، كحقيقة يقرّرها الوجدان.

من هنا، على الإنسان أن يستحضر في نفسه وجود الله سبحانه وتعالى، وأن يوثّق علاقته به، لا أن يقتصر في علاقته مع خالقه على أوقات الشدائد وحسب، فالوجود كلّه من الله، وحياتنا وآخرتنا كلّها مرتبطة بالله الخالق الرحيم، الذي إليه مرجعنا وبين يديه سبحانه حسابنا.

خطر الغفلة عن رعاية الأبناء

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «ضادّوا الغفلة باليقظة»[1].

تمثل الغفلة مشكلة حقيقية على مختلف الصُّعد، إلّا أنها تلامس حدّ الخطر عندما تطال مجال رعاية الأبناء. وقد جاء في تعريف الغفلة أنّها غيبة الشيء عن بال الإنسان، وعدم تذكره له، فليس بالضرورة أن يكون الإنسان جاهلًا بالشيء وإنما هو عارف به خير المعرفة، إلّا أنه قد يكون غائبًا عن باله، فلا يعود يتذكره، وتبعًا لذلك لا يعود الاهتمام به قائمًا، ولا يستطيع التعامل معه على النحو المناسب، مع علمه المسبق بأهميته، هذه هي الغفلة التي لا ينبغي أن يسمح الإنسان بأن تستولي عليه.

لا يجادل أحدٌ في أهمية إيلاء تربية وإصلاح الأبناء الاهتمام الأقصى، غير أنّ كثيرين ربما يغفلون عن هذا الأمر المهم. ولو استعرضنا حياة الفرد العادي لوجدنا اهتمامه متركّزًا قبل مرحلة الزواج على ذاته، غير أنّ ذلك ينبغي أن يتغيّر بعد أن يتزوج ويرزق بالأبناء، لتأخذ رعايتهم الأولوية القصوى عنده، منذ ولادتهم، وحتى يكبروا ويشقّوا طريقهم في الحياة، وليس هناك من شيءٍ يستحقّ أن يقدّمه الآباء على هذه الأولوية.

ومهما بلغت مكاسب الآباء في هذه الحياة، فإنها ستغدو بلا قيمة إذا ما قابلها فشل في تربية الأبناء، حتى صاروا فاشلين ومنحرفين، عندها لن يعوّض الأبوين كلّ متع

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، صفحة ٢٤٣، حكمة ١٧.

العالم عن هذه الخسارة، وهما يريان أولادهما على حال بائس، بل ستتحول حياتهما إلى معاناة وجحيم لا يطاق، أقلًا على صعيد المشاعر والأحاسيس.

لقد ساهمت ظروف الحياة الحديثة في بعث اهتمامات كثيرة عند الآباء والأمهات، على حساب رعاية الأبناء. وقياسًا على الأزمان السابقة، التي كانت فيها الانشغالات قليلة، بات الآباء أقلّ اهتمامًا بتربية الأبناء في عصرنا الراهن المليء بالانشغالات التي لا تكاد تنتهي. كذلك الحال مع المحيط الاجتماعي، الذي كان عنصرًا مساعدًا في تربية الأبناء سابقًا، وبات اليوم عنصرًا معاكسًا يلعب دورًا غير بنّاء في تربية الأبناء، سيّما في ظلّ الحياة الصاخبة، والتدفق المتسارع لوسائل الإعلام والاتصالات. واللافت أنه في الوقت الذي باتت تربية الأبناء تتطلب اهتمامًا أكبر، يتجاوز بكثير ما كان يوليه الآباء في مرحلة زمنية سابقة، نجد آباء اليوم وقد انصرفوا نحو اهتمامات تجعلهم في غفلة عن رعاية أبنائهم.

أسباب الغفلة

ما هي يا ترى أسباب الغفلة التي تنتاب البعض حيال الأمور المهمة في حياتهم؟ إنّ سبب ذلك هو غياب الإدراك الملائم لأهمية تلك الأمور، ذلك أنّ هناك تناسبًا بين حضور الأمر في ذهن الإنسان، وإدراكه لأهميته، فبمقدار الاهتمام يكون الحضور في الذهن نشطًا.

ومن الأسباب الرئيسة للغفلة أيضًا، الانشغال عن الأكثر أهمية بما هو أدنى أهمية، كمن يجهد نفسه في الحصول على مقعد على الطائرة، ثم ينشغل بأشياء جانبية حتى تضيع عليه الرحلة التي استمات في اللحاق بها. من هنا نفهم سبب اهتمام برامج الإدارة الحديثة بترتيب جداول الأعمال، وحفظ المواعيد، عبر مختلف الوسائل، والغرض من ذلك تذكير الإنسان بالأولويات، حتى لا يتشتّت انتباهه بأشياء أخرى.

في العُطل انتبه لأبنائك

إنّ رعاية الأبناء لا بُدّ وأن تكون عملية دائمة مستمرة ما دام الأبناء لم يبلغوا سنّ الرشد. ولطالما قرأنا عن أناس يعربون عن الأسف لضياع أبنائهم نتيجة الغفلة عن رعايتهم لفترة معينة، بسبب ظروف طارئة ألمت بهم، أو انشغال أخذهم بعيدًا عن بيوتهم وأبنائهم، وما عسى يجدي الأسف بعد أن يسقط الأبناء في الهاوية. لذلك ينبغي ألّا يغفل الإنسان ولو لوقت قصير عن رعاية الأبناء والاهتمام بهم.

كما تتضاعف الحاجة إلى رعاية الأبناء خلال العطل المدرسية على وجه التحديد، سواء كانت أيامًا أو أسابيع، وذلك بالنظر إلى حالة الفراغ التي يعيشها الأولاد والبنات، فإذا لم يجرِ التوجّه نحو إغداق المزيد من العاطفة عليهم، وملء أوقات فراغهم بالبرامج المفيدة، فلربما حدث التحوّل السيئ في حياتهم خلال فترة أقصر مما يتخيّل الأبوان. وهذا ما تفيده التقارير السنوية التي تتناول تزايد قوائم المجرمين والمنحرفين في الفترات التي تعقب العطل الصيفية.

من هنا ينبغي أن يكون الإنسان دائم اليقظة، وأن يحذر الغفلة عن رعاية الأبناء. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «مَنْ عَرَفَ الأَيَّامِ لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الاسْتِعْدَادِ»[1]، ذلك أنّ من يدرك طبيعة الأوضاع في زمانه، فإنه ينبغي أن يضعها بعين الاعتبار في تعامله مع الأمور، وبالأخصّ فيما يتعلق بموضوع رعاية الأبناء والاهتمام بهم. فليس من المفهوم أن يترك ربّ العائلة زوجته وأطفاله خلف ظهره، ويسافر خارج البلاد طلبًا للراحة، ومن غير المفهوم أيضًا أن يترك بعض الآباء زوجته وأبناءه يسافرون بمفردهم فيما يتخلف هو عنهم دون مبرر مقبول، فمن يا ترى سيتولى رعايتهم والاهتمام بهم هناك، سيّما في ظلّ المحاذير الكثيرة المحيطة. وهذا ما يتطلب من الآباء البقاء قريبًا من أبنائهم، وألّا يتركوهم بعيدًا عن أعينهم مع التزام الأساليب المناسبة.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة الإمام عليّ عليه السلام المعروفة بالوسيلة.

تأثير الأصدقاء على الأبناء

ولعلّ أحد أكثر الأخطار الناتجة لحالة الغفلة عند الأبوين، هي انزلاق الأبناء نحو الشلل الإجرامية المنحرفة. سواء كان ذلك من خلال الانخراط في صداقات مباشرة في المجتمع، أم من خلال الدخول في علاقات غامضة مع مجهولين في العالم الافتراضي، عبر شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وهذا ما يمكن أن يقود إلى عواقب وخيمة، تطال أخلاق واستقامة الأبناء.

ونظرة عابرة لأحدث التقارير عن انتشار المخدرات في المملكة تكفي للحذر على الأبناء، هذه الآفة المهلكة التي ما ابتلي بها شابٌ إلّا قضت على مستقبله إن لم تقضِ على حياته، حيث تفيد التقارير بأنّ الجهات الأمنية في المملكة ألقت القبض خلال الأربعة أشهر الأولى من عام ١٤٣٥هـ على ٨٤٩ متّهمًا بتهريب وترويج المخدِّرات، بينهم ٢٧٨ سعوديًّا فيما بلغ عدد الأجانب ٥٧١ ينتمون إلى ٣١ جنسية.

وقد بلغت قيمة المخدِّرات المضبوطة في حوزة المتهمين نحو مليارين وثلاثة وتسعين مليون ريال. هذا ما يتعلق بالكميات المضبوطة فقط بحسب الجهات الرسمة، فما بالك بالكميات التي نجحت في العبور لأسواق وشوارع المملكة، وليس خافيًا أن بلادنا والدول الخليجية تُعَدّ من الأسواق المغرية لتجار المخدِّرات، لذلك ينبغي مرة أخرى أن نكون يقظين لما يجري حولنا، وأن نفتح أعيننا على رعاية أبنائنا.

دعوة إلى اليقظة والانتباه

إنّ النصوص الدينية تشدّد على دوام الانتباه واليقظة، والنأي عن الغفلة في كلّ الأمور. فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ضادّوا الغفلة باليقظة»، وفي ذلك دعوة صريحة لبقاء الإنسان متيقّظًا ومنتبهًا غير غافل عن الأمور المهمة في حياته، وألّا يتلهّى بالأمور الأقلّ أهمية على حساب الأهمّ، سواء في أمر دنياه أم آخرته. وقد تناولت آيات كثيرة في القرآن الكريم موضوع الغفلة، إلى درجة شبّه سبحانه وتعالى

الغافلين عن أمور دنياهم وآخرتهم بأنهم كالأنعام، قال تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]، إنّ الغافلين أسوأ من الأنعام الغارقة في حالة الاسترسال، وغياب الأولويات في حياتها؛ لأنّها لا عقل لها يدفعها لليقظة وجدولة الاهتمامات.

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[سورة يونس، الآية: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥]، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «احذروا الغفلة فإنّها من فساد الحسّ»[1]، ذلك أن الغفلة تكاد تكون معادلاً موضوعيًّا لحالة فساد الحسّ، وضعف الشعور بالمسؤولية، وغياب الوعي بالحياة.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٩٢، حكمة ٤٤.



الخطبة الأولى

مواقع التواصل الاجتماعي والإعراض عن اللغو

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٥٥].

ثمة معايير أساسية ينبغي للإنسان أن يأخذها بعين الاعتبار عندما يطرق سمعه كلام في هذا الشأن أو ذاك. ذلك أنّ حواس الإنسان المختلفة تقع على جميع ما يصادفه المرء من أشياء وأمور ومواقف في هذه الحياة، لكنه إنما يركز على ما يشدّه للاستماع أو النظر إليه، ويتجاوز عمّا سواه. ولربما وقع بصر الإنسان على مناظر كريهة مقزّزة، فتراه يعمد لتجاوزها سريعًا، دون إمعان النظر فيها. كذلك الحال مع ما يطرق السمع من كلام وأصوات، فالإنسان إنما يركز على ما يهتم به، ويتجاوز ما لا يهمّه. ويعود ذلك إلى ما يضعه المرء لنفسه من معايير تحدّد ما يودّ الاستماع أو النظر إليه.

ولعلّ المعيار الأساس الذي ينبغي أن يحدّد مقدار اهتمام المرء بما يطرق سمعه، هو مدى الفائدة مما يسمعه، فالمرء مدعو بداية لتقدير مدى الفائدة العائدة عليه من وراء إصغاء السمع لأيِّ أمر، فإذا كان سيعود عليه بالفائدة، فإنه يصغي إليه، ويركز على استماعه، وإلّا فعليه أن يتجاوزه.

ومن المعلوم أنّ هناك فرقًا بين السماع والاستماع، فالسماع حالة عفوية، تتلقى خلالها الأذن جميع ما يدور حولها من أصوات دون تمييز، وبذلك يختلف السماع

عن حالة الاستماع، التي تنطوي على فعل قصدي، يعمد المستمع خلاله إلى التركيز على ما يستمع إليه. من هنا فالمطلوب من الإنسان أن يتقصّد الاستماع إلى ما يفيده. وفي هذا الشأن يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الاعراف، الآية: ٢٠٤]، إنه سبحانه يحثنا على الاستماع للقرآن بتركيز، لا مجرّد سماعه كأيِّ شيء آخر، ويقول تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّـهُ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[سورة الزمر، الآية: ١٨]، فالمؤمن معنيٌّ بتقصّد استماع الأقوال والأفكار المتعددة، حتى ينتفع بالأحسن منها. ومما يذكره الفقهاء في هذا الصّدد، أنّ مجرّد وجود المرء في مكان به غناء وأصوات محرمة كالمطعم أو السوق، فلا شيء عليه ما دام غير معنيٍّ بالاستماع والتركيز على تلك الأصوات المحرمة، وإنما يأثم عندما يتقصّد الاستماع لما حرم الله. لذلك فالكلام هنا عن مسألة الاستماع لا مجرّد السّماع العابر.

تنزيه السمع

إنّ الله سبحانه وتعالى لا يريد للإنسان المؤمن أن يقف على جميع ما يطرق سمعه، باستثناء المفيد من الكلام. وفي السياق يقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق: «وأما حقّ السمع: تنزيهه أن تجعله طريقًا إلى قلبك إلّا لفوهة كريمة، تحدث في قلبك خيرًا، أو تكسب به خلقًا كريمًا، فإنه باب الكلام إلى القلب، يؤدي إليه ضروب المعاني، على ما فيها من خير أو شرّ»، فالمطلوب أن يتعامل المرء مع السمع، على غرار تعامله مع حاستي النظر والشم، فإذا كان من الطبيعي أن يشيح بوجهه، ويسدّ أنفه، إذا ما رأى منظرًا قبيحًا، وشمّ رائحة كريهة، فكذلك السمع ينبغي أن ينصرف به عن الاهتمام بالقبيح من الكلام.

ولعلّ أحد أكبر الأخطاء التي يقع فيها المرء، في عصر التدفق المعلوماتي الهائل، هو أن يترك نفسه فريسة سهلة للقيل والقال من مكتوب ومسموع. فقد بات يتلقى

الناس الكثير من الكلام المقروء والمسموع عبر أجهزتهم النقالة، وعبر مواقع التواصل الاجتماعي: من تويتر وفيس بوك وغيرهما، غير أنّ كثيرًا من هذا الكلام قد لا يكون صحيحًا، ولا مفيدًا، بل هو بالغ السوء على المتلقي في أحيان كثيرة، إلّا أنّ المؤسف هو انطلاء ذلك على من يجعلون أنفسهم في موقع المتلقّي والمتفاعل مع أيِّ كلام يصلهم، خاصة وأنّ هناك درجة من التأثر التي سيتركها الكلام الخطأ على نفس المتلقّي دون أن يشعر، وهنا مكمن الخطأ الكبير.

إضاعة الوقت

هناك محاذير كثيرة ينبغي أن تصرف المرء عن الانشغال فيما لا يفيده، وعلى رأسها إضاعة الوقت. حيث ينبغي ألّا يضيع المرء وقته واهتمامه فيما لا يعود عليه بالفائدة، فلربما كان ذلك على حساب اهتماماته الأخرى، وأن يمنع كلّ ما يسبب أيّ تأثير سيئ في نفسه، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه»[1]، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: «من اطّرح ما يعنيه دفع إلى ما لا يعنيه»[2]، واطّرح بمعنى ترك، وبذلك يكون من ترك ما يعنيه ويهمّه من الأمور، فسيجد نفسه مشغولًا فيما لا يعنيه ولا يهمّه الانشغال به، وفي رواية ثالثة عنه عليه السلام أنه قال: «من اشتغل بغير المهم ضيع الأهمّ»[3]، فما الذي يدعو المرء لتتبّع وقراءة ما لا يفيده، لا لشيء إلّا لأنها وصلت إليه!، وهل الوقت رخيص إلى هذا الحدّ حتى تصرفه في تتبّع ما لا طائل من ورائه!

إرباك المشاعر والأفكار

أما المحذور الآخر فهو ما يصيب المرء من ارتباك المشاعر والأفكار جرّاء

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، صفحة ٣٢٩، حكمة ٢٠٣.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٤١.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٢٩، حكمة ٢٠٢.

الانشغال بالترّهات المكتوبة والمسموعة. ذلك أنّ الانغماس في تبادل الترّهات خاصة إذا ما استهدفت النيل من هذا الشخص أو تلك الجهة، فهي غالبًا ما تأتي بنتائج عكسية تربك مشاعر وأفكار من يخوضون فيها أنفسهم، من هنا ينبغي أن يجنّب المرء نفسه خطر الانسياق خلف هذه الأمور. إنّ من المؤسف أن تجد أناسًا منغمسين حتى النخاع في تداول الكلام المسيء، عن هذا وذاك، وهذه الجهة وتلك، ليتسلّى بذلك وحسب، بل وتراهم يلهثون خلف التفتيش عن كلّ ما يسيء وينال من الآخرين، ولا يدري هؤلاء أنهم بذلك إنّما يؤذون مشاعرهم ويربكون أفكارهم.

من هنا نفهم التعاليم الإلهية التي تأمر المؤمنين بالإعراض عن اللغو. حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، فالمؤمنون لا يعيرون اللغو أدنى اهتمام، حماية لأنفسهم ومشاعرهم من أيّ تأثير سلبي. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، أنه قال: «أن يتقوّل الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله»[1]، ومضمون كلام الإمام عليه السلام هو أنّ الإعراض هو الردّ المناسب على الخائضين في اللغو والترّهات، وحين يعبّر الإمام بقوله: «فتعرض عنه لله» أي إنّ الإعراض عن اللغو إنما يمثل استجابة لأمر لله سبحانه الوارد في الآية الكريمة.

وجاء في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام: (شتم بعضهم زين العابدين صلوات الله عليه، فقصده غلمانه فقال: «دعوه فإنّ ما خفي منّا أكثر مما قالوا، ثم قال له: ألك حاجة يا رجل؟»)[2]، واللافت هنا أنّ الإمام عليه السلام لم يعر شتيمة الرجل أدنى اهتمام يذكر، وزاد على ذلك بأن عرض عليه السلام تلبية حاجة الرجل إن كان محتاجًا.

وفي حادثة أخرى استقبل الإمام عليه السلام رجلًا آخر، فأخذ يكيل للإمام السبّ والشتم، فأجابه الإمام بالقول: «يا فتى، إنّ بين أيدينا عقبة كؤودًا، فإن جزت منها فلا أبالي بما

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٥٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦ ص٩٥.

تقول، وإنْ أتحيّر فيها فأنا شرٌّ مما تقول»[١]، ويشير عليه السلام إلى أنّ المرء معنيٌّ بما يشغله ويهمّه من أمر دنياه وآخرته، ولا يقف عند ما دون ذلك.

وفي حادثة أخرى شتمه رجل فأشاح الإمام عليه السلام بوجهه عنه، فقال الرجل: إيّاك أعني، فأجابه الإمام على الفور قائلًا: وعنك أغضي[٢]، مشيرًا إلى ترفّعه التام عن السباب والشتائم. من هنا ينبغي أن نتربّى على هذه المواقف الرائعة، فلا يستوقفنا أيّ كلام، ولا نتفاعل مع كلّ ما يربك أفكارنا ويؤذي مشاعرنا وأحاسيسنا.

المسيئون لا يستحقون الاهتمام

كما أنّ هناك محذورًا ثالثًا يدعونا للإعراض عن القيل والقال، وهو المتمثل في إيلاء المسيئين اهتمامًا لا يستحقونه. ذلك أنّ إبداء أيّ قدرٍ من ردّ الفعل والتفاعل مع الشتامين إنّما يعني انتزاعهم منّا الاهتمام، وإعطائهم وزنًا هم ليسوا أهلًا له، وهذا أشبه ما يكون بالخطباء المتناثرين في حديقة هايد بارك في لندن، التواقين لأن يستمع الناس إليهم، فبقدر ما تقف للاستماع لأحدهم فإنك بذلك تزيد من مستمعيه فتزيده وزنًا، والأمر ذاته ينسحب على بعض مواقع التواصل الاجتماعي، فكلّما زاد عداد القراءات عندهم ازداد أصحابها انتفاخًا. فالتفاعل مع الكلام السلبي يعني إعطاء الجهة التي يصدر عنها ذلك الكلام اهتمامًا تبحث عنه وتريده.

في المقابل وعلى النقيض من ذلك، إذا ما تجاهل الناس أيّ متحدّث بالسوء، فهو بذلك سيشعر بتجاهل الآخرين له فلا يعود لكلامه أدنى وزن يذكر. من هنا فالإنسان المؤمن مدعو للتقيّد بالخلق القرآني المتمثل في الإعراض عن اللغو. ويعرّف اللغويون، اللغو، بأنه ما لا يعتدّ به من كلام، أي لا قيمة ولا أهمية له، وأقصى ما يستحقه هو المجابهة بالإعراض.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه.

إنّ ملابسات العصر الراهن تقتضي قدرًا أكبر من الإعراض والتجاهل. فهناك أطراف والغة إلى حدٍّ بعيد في قذف الآخرين بالكلام المسيء، وأطراف متورطة في دبلجة ذلك الكلام، وأطراف تسقط كلامًا ربما قيل قبل سنوات فتسقطه على مناسبة مغايرة تمامًا لما قيل فيها، وجميع هذه الأساليب باتت معروفة مكشوفة، غرضها إرباك الناس وإثارة المشاكل بينهم، وإشغالهم فيما لا طائل من ورائه.

المؤمن لا يتفاعل مع اللغو

لذلك على الواعين أن يتساموا على هذه الحالة وألّا يستجيبوا لها، وأن يمتثلوا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيات: ١-٣]، فالمؤمنون ليسوا من ذلك الصنف الذي يستغفله الآخرون بإشغاله فيما لا قيمة له من مكتوب ومسموع، على خلاف أولئك الذين يستقبلون اللغو ويتفاعلون معه، ويعطون أهل اللغو جلّ اهتمامهم، وهذا تحديدًا ما يريده أهل اللغو.

ويصف الله سبحانه المؤمنين في مورد آخر بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، فالمؤمن يعرض عن اللغو، إذا صادف مروره به، احترامًا لنفسه وحفظًا لكرامته.

وورد عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»(١).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث ٢٠١٨.

من هنا ينبغي أن تكون عند الإنسان معايير أساسية لا يعطي معها بالًا، ولا يعير اهتمامًا، لما ينشر من إساءات عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي أو القنوات الفضائية. سواء تلك التي تنال من الأشخاص، أو التي تستهدف الجهات، فهناك جهات غارقة في الجدل المذهبي، مرة بين الشيعة والسنة، وأخرى بين الصوفية والسلفية، وثالثة بين هذه الجماعة وتلك الجماعة، فهؤلاء شغلهم بثّ الفتنة وإثارة النزاع بين الناس، هؤلاء يتحدثون باسم السنة، وآخرون باسم الشيعة، وغيرهم باسم الصوفية، وغير ذلك من العناوين والأسماء.

ويأتي التساؤل مشروعًا هنا عن الدّاعي الذي يجبرنا على الخوض مع هؤلاء الخائضين!، أوَلسنا محاسبين على أوقاتنا؟ أوَلسنا مسؤولين عن اهتماماتنا؟ ذلك أنّ أيّ وقتٍ يصرفه الإنسان على متابعة القنوات الفضائية التحريضية والمثيرة للفتن، فإنه يدعم هذه القنوات على نحوٍ أو آخر؛ لأنّ هذا ما يبحث عنه أصحاب هذه القنوات، فالمطلوب عوضًا عن ذلك الإعراض عنهم تمامًا، وكذلك الحال مع مواقع التواصل الاجتماعي التي تستهدف النيل من الآخرين، فالمطلوب أيضًا الإعراض عنها وتجاهلها كليًّا، والنأي عن متابعتها والترويج لأكاذيبها؛ لأنّ ذلك من قبيل نشر الفاحشة، والعياذ بالله.

فالمرء مدعو لتحمّل المسؤولية تجاه نفسه في المقام الأول، وتجاه القيم الأخلاقية ثانيًا، وتجاه المجتمع أخيرًا، فلا يصرف وقته، ولا يضيع جهده فيما لا يفيد، بل بعضه يضرّ، ولا يساعد في إعطاء الاعتبار للجهات التي تحترف القيام بهذه الأدوار، ولنتذكر وصف الله سبحانه لعباده المؤمنين في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[سورة القصص، الآية:٥٥].

اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحّد

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «رحمة الضعفاء تستنزل الرحمة»[1].

إنّ من المعتاد في أيّ مجتمع بشري وجود أفراد يعانون من حالات الضعف والمرض. هذه الحالة تمثل في حقيقة الأمر ابتلاءً وامتحانًا من الله تعالى، لكافّة الأصحاء من أفراد المجتمع، ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى إنّما خلق الناس للابتلاء والامتحان، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[سورة الأنبياء، الآية:٣٥].

امتحان التعامل مع الضعفاء

ويتمثل جوهر الابتلاء والامتحان هنا في كيفية تعامل المجتمع مع المرضى والضعفاء من أفراده، وما إذا كانوا يهتمون بأفراد هذه الفئة ويرحمونهم، فإذا ما أحسن المجتمع التعامل مع مواضع الضعف في داخله، فإنه سيكون مستحقًّا للمزيد من رحمة الله سبحانه وتعالى، سواء على مستوى الأفراد المهتمين على نحو مباشر برعاية الضعفاء، أو على مستوى المجتمع على نحو عام، فالمهتمون المباشرون برعاية الضعفاء سينالون المزيد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «رحمة الضعفاء تستنزل الرحمة»، والمجتمع يكون برمّته محلًّا للمزيد من الفضل والخير والرحمة الإلهية، إذا كان مهتمًّا بالضعفاء من أفراده.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢١٧، حكمة ١٦.

إنّ وجود حالات ضعف في المجتمع، تمثل بحدّ ذاتها محفّزًا لتنمية الأحاسيس والمشاعر الخيرة في أعماق أفراد المجتمع، وتدفعها للتحول إلى سلوك عام، وممارسة عملية لدى مختلف الأفراد.

وتتنوع حالات الضعف لدى الأفراد في أيّ مجتمع. فقد يعاني البعض من الفقر وشحة الموارد المالية، فيما قد ينتاب البعض الآخر ضعف في القدرات الجسمية نتيجة الإعاقة، على حين يعاني آخرون ربما من تدهور في صحتهم النفسية، فهذه جميعًا تمثل حالات ضعف مختلفة قد تلمّ بفئة من أفراد أيِّ مجتمع. ومع تطور العلوم الطبية والنفسية، أضحى هنالك فرز، وتسليط ضوء على مختلف حالات الضعف في المجتمع البشري، ونتناول هنا واحدة من هذه الحالات، وهي حالة مرض التوحّد، الذي يصيب الأطفال منذ سنٍّ مبكرة.

التوحّد: أسبابه وأعراضه

ونظرًا لأهمية هذا الأمر، فقد حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠٧، يومًا عالميًّا يصادف الثاني من أبريل من كلّ عام، يهدف إلى التوعية بمرض التوحّد، والتحذير من أخطاره.

ويتمثل المرض في ظهور أعراض الاضطراب والخلل الوظيفي في المخ، مما يؤثر على مهارات التواصل لدى الطفل ضمن محيطه الاجتماعي، على مستوى القدرة على الكلام، والتخيّل والإشارات التعبيرية، ومختلف الأعمال والممارسات الروتينية اليومية.

ولا يزال التوحّد يمثل لغزًا غامضًا لدى علماء الطب وأهل الاختصاص. حيث لم يتوصل العلم حتى الآن، مع ما بلغه من التطور، إلى الأسباب التي تقف خلف الإصابة بمرض التوحّد، ولعلّ آخر ما ذكر في هذا السياق: أن أعراض المرض تبدأ بالظهور على الجنين في بطن الأم. وليت البشرية توجّهت لبذل المزيد من الجهود والأموال

على الأبحاث الخاصة بهذا المرض وغيره، لاستفادت كثيرًا، وحققت تقدّمًا أكبر، عوضًا عن صرف الأموال على تمويل الحروب والنزاعات.

واللافت أنّ مرض التوحّد المكتشف حديثًا بات يتزايد بوتيرة متسارعة. حيث تشير الإحصاءات الطبية إلى اتّساع رقعة المرض، وتنامي انتشاره، على نحو أكبر مما كان معروفًا في الماضي، فقد كانت التقارير العلمية تشير في العام ٢٠٠٠م إلى إصابة طفل واحد بمرض التوحد من بين كلّ عشرة آلاف حالة ولادة، وأنّ معدل إصابة الأطفال الذكور أربعة أضعاف الإناث، في حين باتت التقارير الحديثة تشير إلى إصابة طفل واحد بالمرض من بين كلّ ١٥٠ حالة ولادة، وتشير تقارير أخرى إلى إصابة طفل من بين كلّ ٧٧ حالة ولادة. ومعلوم أنّ الإصابة بمرض التوحّد تنعكس سلبًا على مستقبل الطفل نفسه، وعلى عائلته ومجتمعه، فالمرض بحدّ ذاته يمثل منطقة ضعف في جسد المجتمع ككل.

وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ لدينا في المملكة أعدادًا لافتة من المصابين بمرض التوحّد. فقد قدرت إحصائية رسمية أنّ هناك ما يزيد على ٢٥٠ ألف طفل توحّدي في المملكة، كما سجّلت الإحصاءات الرسمية نفسها إصابة ٢٠٠ إلى ٤٠٠ طفل بمرض التوحّد في كلّ عام. والمؤسف في الأمر أنّ كثيرًا من الأسر تفتقد المهارة في التعامل مع الطفل المصاب بالتوحّد، فقد تصاب الأسرة بالصدمة، وتنتابها الكآبة والتشاؤم نتيجة إصابة أحد أفرادها بالمرض، غير أنّ الأسرة المؤمنة الواعية ينبغي أن تكون راضية بقضاء الله وقدره، وأن تتحمّل مسؤوليتها تجاه هذا الطفل المصاب، من خلال تشخيص المرض خلال الثلاث سنوات الأولى من عمره حيث بداية ظهور الأعراض، فالاكتشاف المبكر لهذه الحالة يساعد أكثر في التكيف مع الحالة، ومساعدة الطفل في تحسين مهاراته وأدائه في مختلف شؤونه اليومية والخاصة، والتقليل من أثر الإصابة بالمرض على مستقبله وحياته. وبحسب المختصين يمكن ملاحظة أعراض المرض من خلال ملاحظة تأخر الطفل في النطق، وضعف استجابته للمؤثرات المحيطة، وقلة

التفاعل مع من حوله، إضافة إلى ضعف القدرة على التخيل وإبداء ردّ الفعل المناسب، عند ذلك ينبغي مراجعة الأطباء والأخصاايين.

الأسرة ومواجهة الابتلاء

إنّ أول الأطراف المسؤولة عن العناية بالمريض بالتوحّد هي الأسرة في المقام الأول. إذ ينبغي أن تتعامل الأسرة على نحو خاصّ مع المصاب، على أن تضع في الاعتبار أولًا أن ذلك ابتلاء وامتحان من الله، ينبغي الاستعداد له من خلال وضع برنامج للتعاطي مع هذا الابتلاء. ومن المؤسف ما ينتاب بعض الأسر من الانفعال والغضب، نتيجة هذه الحالة، فيتعاملون مع الطفل المريض تعاملًا سيئًا قاسيًا، كما لو أنه طفل سويّ وقد اختار لنفسه المرض!، في حين هو مولود مع المرض، ولا يملك من أمره شيئًا. فالأسرة مطالبة بتفهّم أوضاع طفلها التوحّدي وأن تحسن التعامل معه، من خلال عرضه على الأطباء، والوقوف على كامل أوضاع المرض وأعراضه، وسبل التعامل معه.

التوحّد والمسؤولية الاجتماعية

وينبغي أن يتحمّل المجتمع مسؤوليته في رعاية مرضى التوحّد. وذلك من خلال توفير المراكز والمؤسسات المهتمة بالأطفال المصابين، ونحمد الله تعالى أن مجتمعنا في القطيف قد تنبه لهذا الأمر مبكرًا، وقد تشكّلت مؤسسة أهلية، تدعى بلجنة أسر أطفال التوحّد، وأخذت طريقها للعمل في جزيرة تاروت سنة ١٤١٨هـ، بمبادرة من أسر الأطفال ذوي الإعاقة بمرض التوحّد.

وقد عملت اللجنة منذ ذلك الحين على جمع المعلومات، وإنشاء البرامج المساعدة للأسر والأطفال المصابين، وبادروا منذ ذلك الحين في إنشاء فصول لتدريب مرضى التوحّد، اتخذت من أحد المنازل مقرًّا لها، وكانت هذه أول بذرة للعمل الأهلي على

هذا الصّعيد، على مستوى المنطقة والمملكة ككل، حتى إنّ مؤسسي جمعية التوحّد في مدينة الرياض، بعثوا يستطلعون تجربة لجنة أسر أطفال التوحّد في تاروت. وتمت الاستفادة من خبرات هذه اللجنة على المستوى الاقليمي، فقد ساهم أعضاؤها في تقديم خبراتهم حيال إنشاء مراكز متخصصة بالتوحّد في جمهورية العراق. والخبر الجيّد على هذا الصّعيد، هو انطلاق مركز جديد تأسس مؤخّرًا في مدينة القطيف باسم مركز تواصل، التابع لجمعية القطيف الخيرية، وهو مركز مختصّ بالتعامل مع مرضى التوحّد، وقد بدأ نشاطه بخدمة ٢٥ طفلًا توحّديًا.

الحاجة إلى مراكز متخصّصة

إنّ على المجتمع أن يتحمّل مسؤوليته تجاه مرضى التوحّد، كذلك على الجهاز الحكومي إيلاء هذا الأمر اهتمامًا أكبر. فهناك على مستوى المملكة مراكز قليلة، مهتمة بمرضى التوحّد، تُعَدّ على الأصابع، حيث يبلغ مستوى الحاجة الفعلية للمراكز الخاصة بمرضى التوحّد في المملكة نحو أربعة إلى خمسة آلاف مركز، سيما وأنّ لدينا أكثر من ٢٥٠ ألف طفل توحّدي في المملكة، علاوة على ارتفاع تكاليف رعاية مرضى التوحّد في مراكز خارجية، ومن المعلوم أنّ تكاليف رعاية الطفل التوحّدي في الأردن حيث يتواجد كثير من الأطفال السعوديين، يبلغ نحو ١٥٠ألف ريال للطفل الواحد سنويًّا، في حين ستنخفض هذه التكاليف بنحو النصف فيما لو تم إنشاء مراكز متخصصة في داخل المملكة، ناهيك عن ما سيوفّره ذلك من تواجد الأطفال على نطاق قريب من عوائلهم، عوضًا عن بقائهم بعيدًا عن أهلهم لفترات طويلة خارج البلاد. إنّ علينا جميعًا أن نتحمّل مسؤوليتنا في الاهتمام بهذه الشريحة الضعيفة في المجتمع. فبرحمتهم ينزل الله رحمته علينا، وهذه المسألة ينبغي أن تستولي على أهمية كبيرة لدى المجتمع، فالاهتمام بهذه الفئة من الضعفاء لا يقلّ أهمية عن الاهتمام بالمساجد والحسينيات والمواكب واللجان الأهلية المختلفة، وذلك لما لهذا الأمر من انعكاس مباشر على حياة هؤلاء الأفراد وعوائلهم والمجتمع على نحو عام.

الخطبة الأولى

البحث عن عيوب الناس

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا رأيتم العبد متفقّدًا لذنوب الناس ناسيًا لذنوبه، فاعلموا أنه قد مُكر به»[1].

تحفل الحياة الاجتماعية للناس بأنماط لا حصر لها من السلوكيات الطيبة الصالحة والسلبية المنفرة. وتنحصر مسؤولية الفرد في الاهتمام بما يعنيه من هذه الأعمال والسلوكيات، التي يلحظها ضمن حياته الاجتماعية اليومية، فإذا كانت نزعة الفرد نزعة صالحة وخيرة، فسينصبّ اهتمامه على السلوكيات الخيرة، وعلى النقيض من ذلك، إذا كانت نزعاته نزعات سيئة، فسيندفع للاهتمام بما يتلاءم مع تلك النزعة من سلوكيات.

إنّ الإنسان العاقل غالبًا ما يبحث عن الوجه الخيّر وأعمال الصلاح في بيئته الاجتماعية، فيزداد تحفّزًا لتمثل أعمال الخير والسلوك الحسن، وليجسّدها في حياته، في مقابل ذلك يغضّ العاقل الطرف عن الأعمال السيئة عند الآخرين، الموجودة بطبيعة الحال في كلّ مجتمع بشري. وبذلك يتجه الإنسان العاقل للاهتمام بالأعمال والسلوكيات الحسنة الصالحة، فيقف عندها ويتأمّل فيها ويتحدّث عنها، حتى يزداد تحفّزًا لتجسيدها في نفسه ونشرها في مجتمعه.

(١) بحار الأنوار، ج٧٢ ص٢١٥، حديث١٤.

التفتيش عن المعايب

غير أنّ هناك صنفًا من الناس لا يهمّهم سوى التفتيش عن كلّ ما يشين من السلوكيات العامة. فمثل هؤلاء تراهم غارقين في البحث عن أخطاء وزلّات ومعايب الآخرين، والحديث عنها، وتناقلها على أوسع نطاق، فما لك ولمعايب الآخرين وزلّاتهم؟.

إنّ غاية ما ينبغي للمرء في هذا الصّدد هو الحذر وتوقّي الانزلاق في المعايب والأخطاء التي وقع فيها الآخرون، لا أن يحترف التفتيش والحديث في زلّاتهم وعثراتهم. ومن عجب ترى بعض الناس مولعين للغاية في التنقيب عن عثرات الناس وزلّاتهم، كما لو كانوا رادارات مسلّطة على حياة الآخرين الخاصة والعامة، وهذه من أسوأ الرذائل التي قد تعتري أيّ امرئ من الناس.

إنّ النصوص الدينية تنهى بشدّة عن تعقب زلّات الناس على أيٍّ نحوٍ من الأنحاء. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا رأيتم العبد متفقّدًا لذنوب الناس ناسيًا لذنوبه فاعلموا أنه قد مكر به»، وتنطوي الرواية الشريفة على عدّة أبعاد، بدءًا من استنكار تعقّب عثرات الآخرين والتنقيب عن أخطائهم، واستطرادًا بلفت نظر المتورّطين في هذه الرذيلة إلى أنهم هم أنفسهم لا يخلون من عثرات، وأنّ عليهم عدم نسيان ذلك، فهم ليسوا قطعة من الكمال لا نقص فيها!، فالأحرى بهم أن يفتّشوا عن أخطاء أنفسهم ويتوقّوا الوقوع في الزّلات، ثم لتنتهي الرواية بالتحذير المغلظ بتوصيف من يقع في هذا السلوك المشين بأنه «قد مُكر به»، أي إنّه قد أوقع نفسه في فخ وورطة سرعان ما سيرى نتائجها السلبية في الدنيا والآخرة.

بين النحل والذباب

هناك سمات عديدة لمسلك المفتشين عن معايب وزلّات الآخرين، أوّلها تأمل

عيوب الناس. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «تأمّل العيب عيب»[1]، إنّ من يُمْعِنُ النظر والتدقيق في عيوب الناس، فهو بهذا السلوك إنّما يرتكب عيبًا، ولعلّ أقرب توصيف لنوعية متابعة الإنسان لأعمال الآخرين، هو ما يفعله النحل الذي لا يحطّ سوى على الورود والأزهار العبقة الرائحة فيمتص منها الرحيق، بخلاف الذباب الذي لا يعرف سوى القمامة، وكذلك الأمر مع الأشخاص، فالشخص الباحث عن زلّات وعثرات الآخرين، إنّما يتقمّص سلوك الذباب الذي يبحث في المزابل، في مقابل من يتخلّق بأخلاق النحل، حيث يهتم بالجوانب المشرقة عند الآخرين، المتمثلة في نجاحاتهم وإنجازاتهم وإيجابيّاتهم، فيتحدث عنها وينشرها ويشيع الأجواء الصالحة في مجتمعه، تحفيزًا لذاته لبلوغ ما حقّقه الآخرون.

نشر المعايب

والسمة الثانية لمسلك المفتشين عن معايب الناس هي إظهار عيوب الآخرين ونشرها على أوسع نطاق. وقد أفسحت وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة المجال واسعًا أمام هذا الصنف من الناس، فمثل هؤلاء لا يدّخرون جهدًا في نشر معايب الآخرين عبر أيّ وسيلة تصل إليها أيديهم، واللافت أنّ الأخبار السلبية والكاذبة سرعان ما تنتشر انتشار النار في الهشيم، يحثّ يتداولها البعض على قاعدة «انشر تؤجر»، ودونما تمحيص ولا تدقيق لحقيقة الخبر، ولا إدراك لخطورة هذه الممارسة المضرّة بالآخرين، في مقابل ذلك لا تجد الأخبار الإيجابية التي تتحدث عن المنجزات والنجاحات عُشْرَ الاهتمام الذي تحظى به الأولى.

اختلاق المعايب

أمّا السمة الثالثة لمحترفي البحث عن عيوب الناس، فهي النزعة نحو اختلاق

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٧٣، حكمة ١٠.

المعايب اختلاقًا، وتلفيقها للآخرين. ولعلّ الواحد من هؤلاء يستيقظ صباحًا فلا يجد خبرًا يسيء للآخرين فيقلقه ذلك كثيرًا، ولربما عمد عندها لاختلاق الشائعات وألصاقها بالناس جزافًا.

التشويه وسوء التفسير

كما يعمد المفتشون عن معايب الناس، في سمة رابعة، نحو إساءة تفسير أعمال وتصرّفات الآخرين. فقد يقوم الآخرون بأعمال إيجابية، غير أنّ محترفي التفتيش عن الزلّات، يعمدون إلى تشويه وإساءة تفسير تلك الأعمال الإيجابية، فبنظر صاحب النظارة السّوداء تتحول الإيجابيات والجوانب المشرقة عند الآخرين إلى معايب ومثالب يطعن عليهم بسببها.

عوامل وأسباب

هنا يبرز السؤال المهم؛ حول أسباب تورّط البعض في هذه المسلكيات الخاطئة.

حقيقة الأمر أنّ هناك أسبابًا عديدة تقف خلف هذا المسلك السيئ. ويأتي في طليعة الأسباب ما يمكن أن نصفه بالعقد النفسية عند هؤلاء، فلو أُخضع هؤلاء للفحص النفسي والسلوكي، للكشف عن طبيعة شخصيّاتهم، لاتضح كم يعانون من العقد والأمراض النفسية التي تتمظهر عندهم على هذا النحو السلبي.

ثم يأتي سوء التنافس في المقام الثاني من أسباب التورط في الإساءة للآخرين، مع لحاظ أنّ التنافس بين أبناء البشر أمر طبيعي على كلّ الصُّعد والمجالات، غير أنّ هناك من يخوض غمار التنافس من خلال زيادة نشاطه وفاعليته حتى يتفوق على الآخرين، فيما ينزع آخرون نحو التنافس السلبي وغير الشريف، الذي يعمد إلى عرقلة وتكسير المنافسين الآخرين. إنّ منافسة الآخرين على نحو خطأ، هي ما تدفع البعض نحو التفتيش عن الزلّات والمعايب لمنافسيهم.

أمّا السبب الثالث المحرك لمحترفي النبش في مثالب الناس فهو الفراغ، فالواحد من هؤلاء غالبًا لا يشغل وقته باهتمامات مفيدة، فيشعر عندها بفراغ كبير، ليقوده ذلك نحو إشغال نفسه بالتنقيب عن معايب الناس.

النتائج والتداعيات

هناك نصوص دينية كثيرة تحذّر الإنسان من التورط في هذه الخصلة الذميمة، والتفتيش عن عيوب الناس. ولعلّ أول محاذير هذا المسلك الخطأ هي انشغال المرء بمثالب الناس والغفلة عن عيوبه، كما لو أنه خالٍ تمامًا من الأخطاء والعيوب، التي من الحريّ أن يتجه نحو إصلاحها. ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[1]، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: «أفضل الناس من شغلته معايبه عن عيوب الناس»[2]، وجاء عنه عليه السلام في رواية ثالثة أنه قال: «أعقل الناس من كان بعيبه بصيرًا وعن عيب غيره ضريرًا»[3].

وينبغي أن نلفت النظر هنا، إلى أنّ مسلك التفتيش عن الأخطاء، كما يجري على صعيد الأفراد، فهو يجري أيضًا على مستوى الجماعات. فقد تتورّط بعض الجماعات الدينية أو السياسية والاجتماعية في مسلك الإساءة للجماعات الأخرى، برصد عثراتها ونشرها عوضًا عن التفتيش عن عيوبها هي ومراجعة أخطائها.

ويحضرني في هذا الصّدد دراسة وافية للباحث الشيخ حسن بن فرحان المالكي بعنوان «قراءة في كتب العقائد»، حيث يشير في مقدمة دراسته إلى أن أبرز مشكلة وقعت فيها الفرق والمذاهب الإسلامية، هي أنّ كلّ فرقة اهتمت بالبحث عن أخطاء الفرق الأخرى، والثغرات في تراثها، فالشيعة صاروا ينقّبون عن الأخطاء في كتب

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج١٤، ص٢٠٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٢، حكمة ٢٨٠.

أهل السنة، فيما تفرغ السنة للتفتيش عن الأخطاء في كتب الشيعة. ويخلص الباحث المالكي إلى ضرورة الاعتراف بأنّ كلّ التراث الاسلامي يعجّ بالأخطاء، فهذا التراث نتاج بشري، ينتمي إلى بيئته وعصره، وهناك ثغرات ونقاط ضعف يحفل بها التراث السني والشيعي على حدٍّ سواء، وحبّذا لو اتّجه أهل كلّ مذهب إلى إصلاح وتصحيح تراثهم. غير أنّ الحالة المتخلفة ونزعة التفتيش عن أخطاء الآخرين تجعل البعض يصبّ جلّ اهتمامه على ساحة الآخرين، ويغفل عن نفسه، وبذلك تبقى نقاط الضعف بمحلها، والثغرات في مكانها.

إنّ النصوص الدينية توجّه الإنسان المسلم إلى أن يتسامى على هذه الحالة، فلا يفتّش عن العيوب في علاقاته مع الناس. وقد توعّد القرآن الكريم بالويل لمن يسلك مسلك التنقيب عن عيوب الآخرين، قال تعالى: «ويل لكل همزة لمزة»، والهمزة هنا تأتي بمعنى سوق نقاط الضعف عند الآخرين بغرض كسر شخصيّاتهم، ولمزهم من خلال استغابتهم والتنقيص من مقامهم، وقد توعّد الله سبحانه أصحاب هذا المسلك بالويل والخزي والعذاب. وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حسب ابن آدم من الإثم أن يرتع في عرض أخيه المسلم»[١].

بين النقد والتشهير

وهنا ينبغي الالتفات إلى عدم الانخداع بالخوض في شخصيات الآخرين والانتقاص منهم، بادّعاء الحقّ في النقد وحرية التعبير عن الرأي، فلا ضير من مناقشة الأفكار وتقييم المواقف ضمن حدودها، أمّا الإساءة للأشخاص والتلفيق عليهم، بحجة حرية التعبير فتلك مخادعة فجّة للذات، ذلك أنّ حرية التعبير في تناول أفكار الآخرين ومناقشتها أمر صحيح، وحقٌّ مشروع، أمّا المساس بكرامة الأشخاص، والتجريح في شخصياتهم، والتشكيك في نيّاتهم، فلا صلة لذلك كلّه بحرية التعبير

(١) حكم النّبيّ الأعظم، محمد الريشهرى، ج٤ ص٦٢٥.

بتاتًا، بل هو اعتداء سافر تجرّمه الأعراف والقوانين. وتشير النصوص الدينية إلى أنّ الله سبحانه ينتقم من الإنسان المتتبع لعيوب الآخرين، وأنّ من بحث في أسرار غيره أظهر الله سبحانه أسراره، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عوراته فضحه في جوف بيته»[1]، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «ومن تتبع عورات الناس كشف الله عورته»[2].

إنّ شيوع مسلك البحث عن أخطاء وزلّات الآخرين سيجعل الجميع عرضة لأخطاره. فلا يظننّ أحدٌ أنه سيكون بمنأى عن ارتدادات هذا السلوك المشين في حال استفحل في الوسط الاجتماعي، لذلك ينبغي أن ينأى الجميع عن هذه الرذيلة حتى لا يساهم في تعزيزها في المجتمع، ويكون أحد ضحاياها، ولعلّ ذلك من المعاني التي تشير إليها النصوص، بأن الله يفضح ويكشف عيوب من يمارس هذا الدور.

(١) الأمالي، الشيخ المفيد، ص١٤١، ح٨.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٣٨.

الخطبة الثانية

أجواء العاطفة والحنان في الأسرة

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله عبدًا أعان ولده على برّه بالإحسان إليه والتألف له، وتعليمه وتأديبه»[1].

تمثل الأسرة الحاضنة الأولى والأهمّ التي ينشأ فيها الإنسان. حيث يفتح عينه على هذه الحياة، ويتشكل وعيه بها من خلال العائلة، فوسط أجواء الأسرة يتعلم الإنسان النطق ولغة التعامل، ومنها يكتسب العادات والأعراف والتقاليد، فرعاية الأسرة للطفل لا تساهم في نموه جسميًّا عبر توفير الغذاء وحسب، إنما إلى جانب نمو الجسم تنمو المشاعر والأحاسيس، وتزرع القيم والتوجّهات. لذلك تؤكد الدراسات الاجتماعية والنفسية أهمية دور الأسرة في صناعة شخصية الإنسان، فالإنسان الصالح غالبًا ما تصنعه أجواء الأسرة الصالحة، ولا عبرة بالاستثناءات في هذا السياق. من هنا فقد اهتمت مختلف الأديان والثقافات المعنية بالقيم النبيلة، بإصلاح وتحصين الأجواء الأسرية، وصناعة أجواء عائلية صالحة لنشأة وتربية الأطفال.

الإشباع العاطفي

إنّ هنالك بعدين رئيسين يحكمان صلاح الأجواء الأسرية. يتمثل البعد الأول في مستوى الحنان والاهتمام العاطفي الذي تغدقه الأسرة على أبنائها، فكلّما كان مستوى الحنان والعاطفة داخل الأسرة عاليًا، كان أفراد الأسرة أقرب إلى الصلاح،

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج٢١ ص٤١١.

وهذا يشمل جميع أفراد الأسرة دون استثناء، بما في ذلك الأب نفسه، فالأب الذي يعيش في أسرة تغمره بالمحبة والاحترام، من قبل الزوجة والأبناء، سيكون أقرب إلى الراحة والاستقرار. ويجري الأمر ذاته مع الزوجة أيضًا، فالزوجة التي تعيش في أجواء تغمرها بالعطف والمحبة، تكون بطبيعة الحال أقرب إلى الصلاح والاستقامة، وكذلك الأمر مع الأولاد.

من هنا جاء تأكيد هذا الجانب، فالعلاقة داخل الأسرة يجب ألّا تكون أشبه بالعلاقة بين سكنة الفنادق وروّاد المطاعم، يتحولون لمجرد أفراد يجمعهم مبنى واحد، يوفر لهم السكن والطعام وحسب، وسط غياب تام لأجواء العطف والمحبة.

ولعلّ هذا هو ما يفسّر سبب بقاء الأولاد لفترات طويلة خارج المنزل، بحثًا عن الراحة وقضاء الأوقات مع الأصدقاء، فلا يعود للمنزل إلّا في أوقات النوم، ونادرًا يشارك الأسرة على مائدة الطعام. إنّ هذا يكشف عن أجواء خلل تنتاب الأسرة، التي ينبغي أن تكون أجواء جاذبة مستقطبة لجميع أفرادها، فالرجل يعود للمنزل ليشعر بالراحة والاطمئنان، وكذلك الحال مع المرأة والأولاد، فأجواء العطف والحنان مسألة مهمّة ينبغي أن يهتم بها الجميع داخل الأسرة.

وهناك نصوص دينية كثيرة تؤكّد أهمية إشاعة الحنان وترسيخ البعد العاطفي ضمن أجواء الأسرة. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نظر الوالد إلى ولده حبًّا له عبادة»[١]، أي إنّ مجرد النظر إلى الابن بمحبة يُعَدّ عبادة، تشبه إقامة الصلاة والصيام وأداء الحج وقراءة القرآن. وفي حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «من قبّل ولده كتب الله له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة»[٢]، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «رحم الله عبدًا أعان ولده على برّه بالإحسان إليه والتألف له وتعليمه وتأديبه»، إنّ من واجب المرء أن يستألف ولده ويجتذبه نحوه، إضافة إلى تعليمه وتأديبه، كما ورد عن الإمام

(١) مستدرك الوسائل، ج١٥ ص١٧٠، حديث٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٧ ص٣٠٤، حديث٧٤.

جعفر الصادق ﷺ أنه قال: «إنّ الله ليرحم العبد لشدّة حبّه لولده»[١]، إلى غير ذلك من النصوص الدينية الكثيرة، التي تؤكّد ضرورة وأهمية وجود أجواء الحبّ والحنان داخل المنزل وضمن كنف الأسرة.

التربية والتوجيه الأخلاقي

أما البعد الثاني الذي ينبغي أن يحكم الأسرة فهو بُعْدُ التوجيه الأخلاقي والتربوي. وبإلقاء نظرة على الماضي، نجد أن الآباء والأمهات كانوا معنيين بالقدر الذي يتسنّى لهم، ببث القيم والأخلاق في نفوس الأولاد، فلم يكن آباؤنا وأجدادنا يجيدون القراءة والكتابة، وإنما كانوا يتداولون معظم معارفهم شفاهية من خلال سرد القصص والأساطير، فكان الأطفال ينامون على وقع حكايات جدّاتهم وأمّهاتهم، وقد لعبت هذه القصص والأحاديث دورًا في صناعة شخصية الأولاد وتنمية أجواء العاطفة في نفوسهم.

ولعلّ إحدى أبرز مشاكل الأسرة في العصر الحديث، أنها باتت أمام تحدّيات كبيرة، أبرزها تضخم الجانب الأناني في نفوس الأفراد، فالأب مهتم بشدّة بتلبية رغباته، والأم مشغولة بمصالحها، وعلاوة على الروح الأنانية يأتي تشعّب الاهتمامات وظروف الحياة المعقّدة، وهذه كلها باتت لا تصبّ في صالح الأسرة المعاصرة؛ لانعكاس ذلك على قلة وضعف اهتمام الأسرة بأفرادها قياسًا على الماضي.

لذلك بدأنا نرى انتشار بعض السلوكيات السلبية في صفوف أبناء مجتمعاتنا المحافظة، من ارتفاع معدّل الجريمة والانحرافات، وهذه نُذُرُ سوء ومؤشّرات خطر، ينبغي الوقوف عندها ومعالجتها، وأوّل سبل العلاج هو التوجه نحو الأسرة، وإعادة الاهتمام بتنمية أجواء الحنان داخلها، حتى ينعكس ذلك على جميع أفرادها. وإلّا فما الذي يدفع المرأة المتزوجة للشكوى من الجفاف العاطفي لولا انشغال زوجها عنها بمجالسة رفقائه وتلبية رغباته، ما يهدّد بخلق أرضية للانحراف داخل الأسرة، ويؤثر

(١) الكافي، ج٦ ص٥٠، حديث٥.

على تربية الأبناء.

الخدمات والقوانين المساعدة

لقد باتت مجتمعاتنا في حاجة ماسّة لسنّ القوانين المساعدة في مجال الأسرة. فبلادنا تحتاج إلى المزيد من القوانين والخدمات الاجتماعية التي تساعد الأسرة على القيام بدورها، فكلّما خففت أعباء الحياة عن الأسرة، من حيث كفاية المؤونة والسكن، فسينعكس ذلك إيجابًا، لناحية تماسك الأسرة، وقلة المشاكل، وانخفاض معدّل الانحرافات. وكذلك الحال مع القوانين المساعدة، ذلك أنه بالرغم من الالتزام الديني المتعاظم في بلادنا، إلّا أنّ الحاجة تبقى ماسّة لسنّ قوانين تساعد الأسرة على القيام بدورها.

ومن تلك القوانين المطلوبة ما يتعلّق بلمّ شمل الأسر العاملة، فمن غير المقبول بقاء الأم بعيدة ولفترات طويلة عن عائلتها وأولادها لأسباب العمل، هذه المعاناة الكبيرة طالما رزح تحتها الكثير من المعلمات والممرضات العاملات في أماكن نائية بعيدة، لماذا لا تعالج هذه المشكلة جذريًّا، لما لها من آثار سلبية؟

وكذلك الحال مع معدّل ساعات دوام المرأة العاملة، ذلك أنه كلّما كان دوام المرأة ميسّرًا انعكس ذلك على أجواء الأسرة وتربية الأبناء، وغير ذلك من متواليات سلبية، وإلّا ما المتوقع عائليًّا من امرأة تصل لمنزلها مرهقة بعد ساعات عمل طويلة، ودوام لفترتين في اليوم الواحد في حالات كثيرة!، هذه المرأة لن يتسنّى لها بالتأكيد إيلاء عائلتها وأطفالها وزوجها الاهتمام المناسب. وأيُّ جيلٍ صالح نترقّب أن تساهم هذه المرأة في صناعته إذا لم نشرع القوانين المساعدة لها للتفرغ لعائلتها؟.

وعلى هذا الصعيد ينبغي النظر اجتماعيًّا لقرار وزارة التجارة القاضي بإغلاق المحلات التجارية عند التاسعة مساء. ولسنا في هذا المقام بصدد مناقشة تأثيرات القرار اقتصاديًّا، غير أنه من الوجهة الاجتماعية سينعكس إغلاق المحلات التجارية

عند التاسعة مساء على عودة المتسوقين وأفراد الأسر إلى منازلهم باكرًا، ومن المعلوم أن أغلب دول العالم تُغلق المحلات التجارية عندهم في وقت مبكر من المساء، فبعض الدول تُغلق المحلات التجارية فيها على الساعة السادسة، وفي دول أخرى على الثامنة، أو على العاشرة في دول قليلة، وثمة نقاش طويل حول فوائد هذا الأمر اجتماعيًّا وتربويًّا لجهة اجتماع أفراد العائلة بعد يوم طويل.

نحن بحاجة ماسّة إلى تشجيع الناس إلى الاجتماع إلى بعضهم بعضًا ضمن أجواء أسرية في منازلهم.

أعراف تضرّ بالأسرة

ومن الأمور التي تحتاج إلى ترشيد على هذا الصّعيد، هي تلك الأعراف والتقاليد، المرتبطة بالأعراس مثلًا، وخاصة في جانبها النسائي، حيث لا تنتهي مراسيم الزواج عند النساء إلّا عند وجه الفجر! ولنا أن نتصور تأثير بقاء الزوجة خارج المنزل طوال الليل، وعلى نحو متكرر بتكرر مناسبات الزواج في العائلة والأسر الصديقة، وتبعًا لذلك تركها زوجها، وبقاء أطفالها وحدهم أو برفقة الخادمات، فما الداعي لمثل هذه العادة السيئة؟ ومن الذي ألزمنا بها؟ وما الذي يمنعنا من التمرد عليها ووضع حدٍّ لها؟ إذْ من الخطأ الفادح أن تعتاد النساء على هذا السلوك لمجرد الخضوع لحكم العادات الاجتماعية المستحدثة.

وكذلك الحال بالنسبة للشباب الذين درجوا على السّهر في المجالس والديوانيات والاستراحات حتى أوقات متأخرة من الليل، كما لو أنهم بلا زوجات ولا أطفال لهم حقٌّ عليهم.

إنّ علينا أن نتجاوز العادات السلبية، وأن نهتم بإصلاح الأجواء الأسرية، إذا أردنا أن نربي جيلًا صالحًا. وذلك من خلال البعدين الآنفين؛ المتمثلين في توفير العاطفة والحنان، وتوفير التوجيه الأخلاقي والقيمي داخل الأسرة.

الخطبة الأولى

التحرش الجنسي ووسائل العلاج

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور، الآيتان: ٣٠و٣١].

استتبع تزايد دخول المرأة حقل الحياة العامة، ومشاركتها الرجل سواء بسواء، بعد غياب طويل، ومشاركة محدودة نتيجة الثقافات والبيئات التاريخية التي كانت سائدة على مدى طويل، استتبع ذلك تداعيات سلبية، ومشاكل ذات أبعاد مختلفة، وأبرزها ذات البعد الجنسي، سيما في ظلّ الميل الغريزي للجنسين كل منهما تجاه الآخر، وكان من نتائج ذلك تداعي الجانب الأخلاقي الذي انعكس سلبًا على تماسك الأسرة إجمالًا، ومن ثم انعكس على الأمن الاجتماعي، بحيث صارت الغريزة الجنسية دافعًا للاعتداء والعدوان من خلال ما عرف بالتحرش الجنسي.

لقدبات التحرش الجنسي موضوعًا عالميًّا مطروحًا للنقاش، على طاولة المؤتمرات والندوات الموسّعة. لما له من انعكاسات خطرة على حياة النساء والأطفال، وقد قاد ذلك إلى سنّ كثير من التشريعات والقوانين في مختلف دول العالم، أما في منطقتنا التي طالما عرفت بكونها من المناطق المحافظة، فبالكاد خرج النقاش حول مشكلة التحرش الجنسي للعلن أخيرًا، بعد أن كان التعتيم على تنامي الظاهرة سيّد الموقف؛

لأنّ تعقيدات المشكلة فرضت نفسها.

وفي بلد محافظ كبلدنا السعودية، تشير الإحصاءات إلى أنّ المملكة احتلت المرتبة الثالثة على صعيد التحرش الجنسي، من بين أربعة وعشرين دولة، وقد نشرت صحيفة الرياض، عن دراسة تشير إلى أنّ نسبة التحرش الجنسي بالأطفال في المملكة، بلغ ٥ ,٢٢ بالمئة، حيث بات يتعرّض طفل واحد من بين كل أربعة أطفال للتحرش، وأشارت الدراسة نفسها أن ٩٠ بالمئة من حالات التحرش ارتكبت على يد أشخاص معروفين للطفل[١]، فالمتحرشون إمّا هم من أفراد العائلة، أو أصدقاء العائلة الذين يكونون محلّ ثقة عند الطفل.

كيف نواجه المشكلة؟

إنّ تنامي هذه الظاهرة جعل مجتمعاتنا في حالة ارتباك إزاءها. فهناك اتجاه لا يرى حلًّا لهذه الظاهرة ووقاية المجتمع من تداعياتها، سوى بالإمعان في الفصل بين الجنسين على كلّ المستويات، وحجب مواقع التواصل الاجتماعي، تطبيقًا للمثل المعروف «الباب اللّي تجيك منه الريح سدّه واستريح»، ويأتي السؤال هنا، ما إذا كان هذا الفصل والحجب معقولًا أو ممكنًا من حيث الأصل؟!

إنّ هذا النمط من التفكير يشبه إلى حدٍّ بعيد، من يفكر في منع استيراد السيارات والعودة لركوب البعارين، والسبب مشاكل وحوادث المرور!، أو على غرار رجل الدين الذي وقف محذّرًا الناس في النجف الأشرف حين أنشئت سكة القطار قائلًا: أيّها الناس، أتتركون حمير الله وتركبون حمير الشيطان!.

إنّ من غير الممكن الفصل بين الجنسين، فالحياة لا تجري وفق ما يشتهيه بعض المتشدّدين المتزمّتين الذين بودّهم لو استطاعوا أن يجعلوا الرجال في كوكب والنساء في كوكب آخر منفصل تمامًا، أو أن تكون الدنيا من طابقين، أحدهما للرجال والآخر للنساء!.ولطالما اعترض هؤلاء المتزمّتون على خطوات سابقة، ثم وجدوا أنفسهم

---

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الجمعة ٧ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ الموافق ٧ فبراير ٢٠١٤م، العدد ١٦٦٦٤.

منصاعين لها رغمًا عنهم، من هنا فمن غير الممكن الدعوة إلى الفصل التام بين الجنسين. وعلاوة على عدم الإمكانية، فالتعاليم الدينية لا تحثّنا على إجراء هذا الفصل الحادّ بين الجنسين، فلا النصوص الدينية ولا السيرة النبوية، ولا سيرة الأئمة والخلفاء تدفع بهذا الاتجاه من قريب أو بعيد، ويكفي أن مناسك الحج كانت منذ البدء ولا زالت تؤدى جماعيًّا، ومختلطة بين الرجال والنساء، حتى إنّ أحد الدعاة عندما اقترح تخصيص طابق للنساء وآخر للرجال للطواف والصلاة في الحرم المكي، اعترض عليه الجميع، وسخروا من طرحه. وكذلك الحال مع حجب المواقع الإعلامية، ومواقع التواصل الاجتماعي فهذا أمر غير ممكن عمليًّا.

إنّه لا ينبغي الاستسلام لمشكلة التحرش الجنسي، وإنما ينبغي التفكير في معالجة المشكلة ضمن آفاق أوسع. فالمشكلة لم تعد منحصرة في بيئة معينة، بل باتت ظاهرة عالمية، تشغل بال كثيرين في هذا العالم، حتى بلغت أروقة أشد المواقع انضباطًا، كما في المعسكرات والثكنات العسكرية، بل وسجّلت حالات تحرش حتى في مقرّ وزارة الدفاع الأمريكية نفسها، كما أنّ تداعيات هذه الظاهرة باتت خطرة على الأسرة والمجتمع في كلّ مكان. ونحن بما نستند إليه من قيم وتراث، يفترض أن نكون أقدر على مواجهة المشكلة، إذا ما فعّلنا قيمنا وتراثنا.

ثقافة الوقاية

وفي سبيل الحدّ من ظاهرة التحرش الجنسي في مجتمعاتنا لا بُدّ من اتخاذ خطوات أساسية، منها: إثارة قيم الانضباط والالتزام في حياة الفرد المسلم، فهناك كثير من الآيات القرآنية والنصوص الدينية، التي توجّه المسلم دائمًا وأبدًا إلى الحذر من انفلات غريزته الجنسية، والنأي عن الانسياق وراء الشهوات.

هذه التعاليم ينبغي أن نستحضرها باستمرار ضمن وعي الجمهور، وبين ثنايا التوجيه التربوي والثقافي للأفراد، ومن أبرز الآيات الواردة في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٥]، وفي آية ثالثة قال سبحانه: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]، ولفظة الفروج التي وردت في الآيات الكريمة إنما جاءت عنوانًا للغريزة الجنسية.

إنّ من الطبيعي أن ينجذب الإنسان غريزيًّا إلى مظاهر الإثارة والجمال، لكن ينبغي في الوقت عينه أن نتذكر بأن الله بصير ورقيب على جميع تصرفاتنا، وأنّ العقاب هو مآل أولئك الذين يطلقون العنان لغرائزهم. وفي مقابل ذلك، فإنّ الله سبحانه سيكافئ المنضبطين بأوامره ونواهيه بما هو أفضل من هذه المتع العابرة. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار»[١]، فالنظر للحرام يستدعي العقوبة من الله، وهذا يشمل الرجل والمرأة على حدٍّ سواء. وعنه ﷺ أنه قال: «اشتدّ غضب الله عزّ وجلّ على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها»[٢]، كما ورد عنه ﷺ: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفًا من الله أعطاه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»[٣]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتدّ إليه بصره حتى يزوّجه الله عزّ وجلّ من الحور العين»[٤]. وعليه لا بُدّ من إثارة قيم الانضباط والالتزام في نفوس الأفراد كخطوة أولى في سبيل الحدّ من هذه الظاهرة السيئة.

أجواء العفّة والاحتشام

كما أنّ من سبُل الحدّ من ظاهرة التحرش الجنسي في مجتمعاتنا، توفير أجواء العفّة والاحتشام، والبعد عن أجواء الإثارة. إذ إنّ ما يجري في أحيان كثيرة، هو أنّ

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٠١ ص٣٢، حديث ٣.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٠ ص٢٩٩، حديث ٦.
(٣) بحار الأنوار، ج١٠١ ص ٣٨، حديث٣٤.
(٤) المصدر نفسه، ج١٠١ ص٣٧، حديث ٢٨.

الأفراد يضعون أنفسهم وسط أجواء الإثارة، من خلال مشاهدة الأفلام الإباحية التي تحرّض شهواتهم، وتدفعهم من ثَمَّ نحو ارتكاب جرائم الاعتداء والتحرش الجنسي والاغتصاب. من هنا ينبغي أن نمنع مثل هذه الأجواء، إن على المستوى الشخصي أو العائلي، على أن يكون المنع قائمًا على أساس من الإقناع والتوعية، لا المنع بالقوة. ولا فائدة من ممارسة الإرشاد والتوعية في ظلّ بقاء كل وسائل الإثارة والإغراء، فعندها سنكون كما قال الشاعر:

ألقاه في اليمِّ مكتوفًا وقال له   إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء

وكما أنّ على الرجل أن يلتزم وينضبط، فكذلك على المرأة أيضًا التزام الحشمة، وألّا تُبدي زينتها، وتكشف عن مواضع الإثارة في جسمها، حتى تحافظ على عفّتها، وتمنع الاعتداء عليها، فهذا تكليف مشترك يشمل الجنسين.

وينسحب هذا الأمر على داخل البيوت نفسها، فقد يكون هناك تساهل في الاحتشام داخل الأسرة وبين الأقرباء، فقد ترتدي البنات ملابس مثيرة، وحولهنّ أخوة مراهقون، وهؤلاء بشر يتأثرون بما حولهم، وقد يدفعهم نحو ارتكاب الحرام، كما ينطبق ذات المحذور على الشباب الذين يستعرضون مواقع الإثارة في أجسامهم أمام شقيقاتهم وأقربائهم. من هنا تأتي أهمية توفير أجواء العفّة والاحتشام داخل الأسرة.

التقنينات الرادعة

أما الخطوة الثالثة والأخيرة من سبل الحدّ من التحرش الجنسي، فهي ضرورة سنّ العقوبات الرادعة. وتأتي في هذا السياق مناقشة مجلس الشورى السعودي لقانون الحدّ من التحرش الجنسي، وقد سبقتنا على هذا الصعيد دول كثيرة، بات التحرش الجنسي فيها يعتبر أحد أخطر الجرائم، وقد وضعوا في هذا السبيل عقوبات شديدة رادعة للمتحرشين، بينما في بلادنا بعد لم تسنّ العقوبات الرادعة، بما يكفي للحدّ من هذا السلوك المشين. إنّ وجود العقوبات الرادعة، وتطبيقها بصرامة، سيكون له أثر في الحدّمن هذه الظاهرة.

الخصومة في الدين انقلاب على الدين

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إيّاكم والخصومة في الدين!.. فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عزّ وجلّ، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجير الكذب»[1].

قد يتخاصم المرء مع آخرين نتيجة تضارب مصالحه المادية معهم، سواء كان مورد النزاع عقارًا أو تجارة أو تقاسم ثروة، ولربما تخاصم الناس على مكانة سياسية، أو للاستيلاء على نفوذ وسلطة، فهذا أمر واضح مفهوم، وقد خلقت الأمم الناضجة أطرًا حديثة لتقنين هذا التنافس، فسنّت القوانين، ووضعت الأنظمة في هذا السبيل، وذلك للاحتكام إليها عند نشوب النزاعات سواء كانت ذات طابع سياسي أو مالي. غير أنّ الخصومات الدينية تُعَدّ لونًا من الخصومات أثبت باستمرار أنه الأسوأ والأخطر على نحو مطلق.

أخطر الخصومات

ويمكن تعريف الخصومة الدينية بأنّها تلك القائمة على الاختلاف في الرأي الديني، أو المذهبي، أو الانتماء لمدرسة فكرية معينة. وفي هذه الحالة يختصم الأفراد أو الجماعات؛ لأنهم يختلفون مع بعضهم في الرأي الديني، فتنشأ نتيجة ذلك الخصومة بين فريق وآخر، وهذا اللون من الاختلافات الدينية يفوق بأضعاف

(١) بحار الأنوار، ج٢ ص١٢٨، حديث ٦.

الاختلافات الأخرى سوءًا وخطورة.

ويعود مصدر الخطورة في هذا الشأن، إلى كون الخلافات السياسية أو المالية خلافات ذات حدود واضحة غالبًا، فيما تكون الصراعات الدينية مفتوحة وملتبسة، يطرح فيها الأطراف أنفسهم صفتهم مدافعين عن الله والدين والحقّ، لذلك يأخذ الصراع أبعادًا أعمق في حياة الناس، بما يفوق الأبعاد التي تأخذها النزاعات السياسية والاجتماعية والمالية. ذلك أنّ النزاعات الدينية عادة ما تستنفر كلّ مشاعر وأحاسيس الأفراد؛ لكون الدين أقدس ما يملكه الناس، ولما للدين من تأثير مباشر على حياة الأفراد.

غرض الدين

إنّ الخصومات الدينية تمثل في حقيقة الأمر انقلابًا على غرض وجوهر الدين. فقد أنزل الله الأديان لبني البشر ليعيشوا السلام فيما بينهم، ولكي تعيش المجتمعات حياة آمنة مطمئنة، وقد قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّـهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[سورة الرعد، الآية: ٢٨]، فالطمأنينة هي هدف الدين، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[1]، وبذلك يتضح أنّ غاية التعاليم الدينية هي زرع الانضباط في النفوس، وكفّ العدوان بين الناس، والنأي عن الدخول في الخصومات مع الآخرين. غير أنّ المؤسف، هو أنّ هذا الدين العظيم الذي يكتنز في أعماقه كلّ هذه الروح السلمية، اتخذه بعض الناس مادة للتخاصم والاعتداء، وهذا هو عين الانقلاب على جوهر الدين، وقمة الإساءة إلى الإسلام.

لماذا الخصومة؟

ويأتي السؤال هنا، عن سبب الخصام الذي يهيمن على عقول البعض تجاه

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٢ ص٧٢٢، حديث٧٠٨٦.

الآخرين لمجرد اختلافهم معهم في الرأي الديني!. فإذا كان الإنسان معتنقًا لدين أو مذهب، وتغمره القناعة بأنه على الدين والمذهب الحقّ، وأنه يلزم الطريق الأصوب للوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى وبلوغ الجنة، فهنيئًا له بذلك، ومن يعتنق رأيًا فكريًّا ويعتقد أنه الأكثر صوابية فله الحقّ في ذلك، ولكن ما شأنه وشأن الآخرين، وما الذي يهمّه من أمرهم، ولماذا يقحم نفسه في الخصومات معهم على هذا الأساس؟

هنا، قد يزعم البعض أنّ منشأ خصومته مع الناس هي التعاليم الدينية التي تأمره بهداية الآخرين. وقد يستند في ذلك إلى قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، غير أنه لو أكمل الآية لكفّ عن التخاصم مع الناس، حيث يقول سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥]، فالدعوة إلى الله لا تكون بالدخول في الخصومات والعدوان ورفع السلاح أو السبّ والشتم. إنّ من يخوض الخصومات مع الآخرين انطلاقًا من قناعة دينية، فهو قد فهم الدين على نحو خطأ تمامًا، أو أنه يطلق العنان لغرائزه الأنانية تحت شعار الدين، فيسعى للاستعلاء وفرض الهيمنة باسم الدفاع عن الدين، رغم أنّ التعاليم الدينية الحقّة لا تقرّ ذلك، بل وتنبذ هذه الأساليب. ولتبسيط الأمر إلى حدٍّ بعيد، يمكن القول إنّ هذا يشبه بدرجة كبيرة من يستمتع بتناول طعام معيّن، فيقوم على إثر ذلك بمعاداة وخصومة من لا يحب ذلك الطعام!

الدين اقتناع لا إجبار

إنّ الإيمان مرتبط على نحو مباشر بقلب الإنسان. وتبعًا لذلك لا يمكن إجبار أحدٍ على اعتناق ما لا يؤمن به، ومن غير اللائق صنع العداوات مع الآخرين، لمجرد إثبات أنك على الحقّ وأن رأيك هو الصواب. إنّ إثبات صحة الدين والمذهب والفكرة يتطلب تقديم الأدلة والبراهين، كما في الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، فالإقناع وسيلته الحوار، وإثبات الحقّ أداته المجادلة بالتي هي أحسن، فإن قبلوا رأيك فأهلًا

وسهلًا، وإن لم يقبلوا، فليس عليك هداهم، ولا إكراه في الدين. إنّ جميع أنبياء الله الذين كانوا على الحقّ بلا أدنى جدال، ما كانوا يخاصمون أقوامهم، ولا يجبرونهم على الاقتناع برسالاتهم، تبعًا لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، فأقصى ما يتوجّب على المرء هو أن يطرح رأيه، ولا يحقّ له أن يكره الآخرين على رأيه. قال تعالى مخاطبًا نبيه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٩٩]، إنّ أحقية وصوابية الرأي مهما بلغ مداها، ليست مبررًا لفرض الرأي على الناس بالإكراه.

وفي قصة معبّرة قدم أحد أصحاب النبي شاكيًا لرسول الله ﷺ، بأنّ له ابنين نصرانيين، ولا يريدان الدخول في الإسلام، وقال للنبي ﷺ: «ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلّا النصرانية»، فأنزل الله على نبيه قوله تعالى: «لا إكراه في الدين»[1]، فلا يجوز الإكراه حتى مع الأبناء الذين هم أقرب وأعزّ ما عند الإنسان.

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّـهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٢٠] فلا حقّ لأحدٍ أن يحاسب الناس على آرائهم، فضلًا عن اصطناع العداوة معهم على هذا الأساس، ولم يُعطِ الله أحدًا الحقّ في محاسبة الناس على أديانهم ومذاهبهم وآرائهم في هذه الحياة.

ومع شدّة وضوح الآيات والنصوص في هذا الصدد، إلّا أننا ـ مع الأسف الشديد ـ نعيش أجواء التعبئة الدينية القصوى في أوساط المسلمين، فأتباع كل مذهب يشتغلون بالتعبئة ضد أتباع المذهب الآخر، والمدهش أن كلّ واحدٍ من هؤلاء مقتنع إلى حدٍّ بعيد أنه هو على الحقّ، وعلى طريق النجاة، لذلك يأتي السؤال؛ ما لك وللآخرين، ولماذا تدخل في صراعات مفتوحة مع الناس؟.

---

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج١ص٣١٨.

كما تنسحب ذات التعبئة على الداخل المذهبي نفسه، فلربما تجد أحدًا يؤمن برأي معيّن حول أهل البيت ﮹، سواء على صعيد الشعائر الحسينية، أو الوقائع التي عاشها آل البيت، أو مقاماتهم وما شابه ذلك، فإذا ما تبنّى أحد آخر رأيًا مغايرًا، ثارت ثائرته!. لا مبرّر للخصام ولا الإجبار على النزول عند رأي معيَّن، فكلٌّ مسؤول عن رأيه، وله حقّ التبشير بأفكاره بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء كان الرأي صادرًا عن اجتهاد منه أو تقليد لغيره، فليس لأحدٍ حقّ الوصاية على آراء الآخرين.

لا وصاية على الآخرين

وهناك على ذات الصعيد نصوص دينية عديدة تنبذ الوصاية وفرض الرأي قهرًا على الآخرين. قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللَّـهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۞ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[سورة الغاشية، الآيات: ٢١-٢٦] وانطوت الآية الكريمة على مضامين جوهرية، يأتي على رأسها اقتصار مهمة الأنبياء على تذكير الناس وحسب، وألّا سيطرة ولا وصاية لهم على الآخرين. وحتى لو رفض الناس هداية الأنبياء، فليس من حقّ أو من مسؤولية الأنبياء معاقبتهم، وإنما يكمن الحقّ المطلق لله وحده في إيقاع العقاب والعذاب على المخالفين للأنبياء، فمآل الناس جميعًا الوفود على ربهم. وجاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّـهِ إِلَـٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، فحساب الناس على يد خالقهم، سواء قبلوا الحق أو رفضوه.

إنّ الأنبياء والأئمة لم يكونوا يتعاملون مع المخالفين لهم في القضايا الدينية كما يتعامل الناس اليوم. فهل أن الناس اليوم أحرص على الدين من الأنبياء، وهل هم أكثر غيرة على العقيدة من الأئمة!، فلماذا كلّ هذا التشنج القائم، والخلافات، والصراعات، وقطيعة الأرحام، وتبادل السباب والشتائم في أوساطنا؟ وما الضّير أصلًا في أن يتبنى الناس آراء مختلفة، وما شأن الآخرين إن اعتنق إنسان رأيًا من الآراء التي لا تنسجم

وآراءهم. إنّ غاية ما هناك أن يلتزم الناس ما هم مقتنعون به، ولا دخل لهم فيما اعتقده الآخرون، فكلٌّ له منهجيته وطريقه الذي يسير عليه، هذه هي توجيهات الدين.

ضبط النفس أمام التعبئة الطائفية

نحن بحاجة إلى مستوى عالٍ من ضبط النفس، خصوصًا في هذه الظروف الحسّاسة، التي يجري فيها التصعيد من وتيرة الجدل والنبرة الطائفية التي تسخن الساحة لأغراض ومصالح سياسية.

وقد حثّ أئمتنا باستمرار على ضبط الأعصاب وعدم الانجرار إلى ساحة النزاع والخصومة، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إيّاكم والخصومة في الدين»، فالخصومة بحدّ ذاتها أمر سيئ مرفوض، سواء كانت الخصومة مع المختلفين دينيًّا أو مذهبيًّا، أو حتى المختلفين ضمن مفردات جزئية داخل المذهب الواحد، فلا يستحق الأمر كلّ هذا التوتر النفسي والتشنج الاجتماعي، لدرجة يشفق المرء فيها على بعض الناس، لشدة ما يرى فيهم من تشنّج وانفعال، يبدو جانب كبير منه فيما يتناولونه عبر حساباتهم في مواقع التواصل الاجتماعي، فالسّمة الغالبة لهم هي الغضب الشديد، وإشهار سيف الاتّهام على كلّ مخالف، وليت هؤلاء يعلمون بأنّ الله لا يريد منهم كلّ هذا التشنج، ولا الأئمة ينتظرون منهم كلّ هذا الحماس المنفلت من عقاله.

إنّ منهج أئمتنا يقول بوضوح «إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عزّ وجلّ وتورث النفاق وتكسب الضغائن وتستجير الكذب»، وفي نصٍّ آخر «.. وتستجيز الكذب»[1]. حيث إنّ صاحب الخصومة يلجأ للاختلاق والكذب والتقوّل، حتى ينال من خصومه المختلفين معه في الرأي!. وروي عن عليّ بن يقطين أنه قال: «قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: مُرْ أصحابك أن يكفّوا من

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٦ ص١٩٨، حديث ١٢.

ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجتهدوا في عبادة الله عزّ وجلّ»[١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تخاصموا الناس لدينكم فإن المخاصمة ممرضة للقلب»[٢]، وعن أيوب بن الحرّ قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنّ رجلًا أتى أبي فقال: إني رجل خصم، أخاصم من أحبّ أن يدخل في هذا الأمر[٣]، فقال له أبي[٤]: لا تخاصم أحدًا، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيرًا نكت في قلبه»[٥]، ومضمون قول الإمام للرجل، أنّ أحدًا لم يطلب منك الدخول في هذا النوع من الجدل المذهبي، كما لم يكلفك بهذه المهمة أحد، وأنّ الهداية أمر ربّاني في المقام الأول.

من هنا، على المرء ألّا يستجيب لحالات التحريض الطائفي، وألّا ينجر إلى إثارات التأليب الفكري ضمن الداخل المذهبي. بل المطلوب دائمًا أن نتعامل مع بعضنا بأعصاب هادئة، وأن ننأى بمجتمعنا عن التشنجات الاجتماعية الناتجة عن اعتناق هذا الرأي أو رفض تلك الفكرة، وأن يحتفظ الجميع بحقّ التعبير عن الرأي دون الدخول في الخصومات والعداوات، فهذا مما لا ينبغي للإنسان المؤمن التورّط فيه.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج٤ ص، حديث١١.

(٢) الكافي، ج١ص١٦٦، حديث٣.

(٣) بمعنى أنه ميّال للجدل المذهبي لغرض إدخال الناس في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

(٤) الإمام الباقر عليه السلام.

(٥) جامع أحاديث الشيعة، ج١٤ص٤٦٨، حديث٢٢.

الخطبة الأولى

اشكر من حولك وتجاوز عن أخطائهم

جاء في دعاء مكارم الأخلاق للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه، وَسَدِّدني لأن أعَارِضَ مَنْ غَشَّني بالنُّصح، وَأَجزِيَ مَنْ هَجَرَني بالبرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَني بالبَذل وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَني بالصِّلَة وأُخَالف مَن اغتَابَني إلى حُسن الذِّكر، وَأن أشكرَ الحَسَنَة وأغضي عَنِ السَّيِّئَة»[٦].

يواجه الإنسان ضمن حياته اليومية، في محيطه الصغير أو مجتمعه الكبير، خليطًا من المواقف الإيجابية والسلبية، التي يحتاج معها إلى ضبط ردود أفعاله عليها، على نحو متّزن. والإنسان كتلة من المشاعر، لا يمكنه أن يكون في منأى عن التأثر، سلبًا أو إيجابًا، فإذا ووجه بعمل جميل فهو يرتاح إليه نفسيًّا، وإذا ووجه بعمل سيء فهو يتأذّى وينزعج منه، هذا من طبيعة البشر. لكن السؤال هنا، هو عن كيفية ترجمة المرء لمشاعره وأحاسيسه وردود فعله إزاء المواقف الإيجابية والسلبية التي يصادفها في تعامله مع الآخرين؟

إبداء الشكر والرضا

إنّ أول وأهمّ ما يتوجب على المرء تجاه ما يقدمه الآخرون إليه من أعمال

(٦) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيِّ الأفعال، الدعاء (٢٠)، ص٩٤.

تسرّه، هو إبداء الشكر وإظهار السرور لصاحب المعروف. كأيِّ عمل إيجابي تقدّمه الزوجة في المنزل، أو تصرف جميل من أبنائه، أو خدمة يقدمها جارٌ أو زميل أو أحد المعارف، فجميع تلك الأعمال تستحق الشكر. بعض الناس بخلاء جدًّا في إظهار ارتياحهم وشكرهم للآخرين، وهذا نوع من الجفاف في التعامل. ذلك أن من الواجب التعبير عن مشاعر السرور والرضا إزاء من يحسنون إلينا، وهذا تحديدًا ما يعبّر عنه بشكر المعروف وشكر الإحسان. إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام وفي شطر من دعاء مكارم الأخلاق يطلب من الله سبحانه أن يُسدّده ويوفقه لأنْ يشكر الحسنة، أي العمل الجميل الذي يسديه الآخرون له.

الشكر على أداء الواجب

وينبغي الملاحظة هنا، بأنّ إسداء الشكر والتقدير لأهل المعروف، يبقى مسلكًا جديرًا بالاهتمام، حتى لو كان ذلك المعروف مرتبطًا بصميم واجبات الآخرين. فمن أعظم مكارم الأخلاق إبداء الشكر إزاء أيِّ عمل جميل يقدم لنا على نحو مطلق، ويجري ذلك ـ على سبيل المثال ـ مع ما تقدّمه الزوجة داخل المنزل، فهي تستحق كلّ الشكر بالمطلق، لا كما يفهمه بعض الأزواج المنتفخين ذاتيًّا، من أنّ الزوجة إنما تقوم بما تقوم به باعتباره جزءًا من واجبها، وبذلك لا تستحقّ عليه حمدًا ولا شكورًا! وهذا خلاف المنهج الرباني، فربنا سبحانه وتعالى يشكر عباده المؤمنين، ويجازيهم بالثواب، ويعدهم بحسن المآب، مع أنهم لم يقوموا إلّا بواجباتهم التي فرضها سبحانه عليهم.

وعلى غرار ذلك، ينبغي أن يبدي الآباء الشكر لأبنائهم الذين يبرونهم ويحترمونهم، مع أنّ ما يقوم به الأبناء هو واجب عليهم، لا كما يفعل بعض الآباء الذين ربما لا يجدون بأن عليهم إبداء مشاعر الامتنان أمام الأبناء، معتقدين -خطأً- بأن ذلك من صميم واجبات الأبناء وحسب، فلا يستحقون عليه الشكر.

وسواء أُسدي المعروف من الأهل والأصدقاء أو الزملاء والجيران، من المهم أن يعوّد المرء نفسه شكر الحسنة الصادرة من أيٍّ كان، بما في ذلك الزوجة أو الخادمة أو العامل أو السائق الذي يوصلنا، كما أنّ من المهم النأي عن العجرفة التي تستكثر تقديم عبارات الشكر التقليدية للعاملين تحت أيدينا، على قاعدة أنهم يتسلّمون معاشًا لقاء عملهم ذاك. إنّ على الإنسان حين يجد عملًا إيجابيًّا من الآخرين، أن يشجّعهم على الاستمرار في هذا المسلك الحسن، من خلال شكرهم حتى لو كان ذلك العمل جزءًا من واجباتهم.

الشكر حقٌّ للمحسنين

وثمّة دواعٍ ومبرّرات عديدة لإبداء الشكر والإشادة بالعمل الجميل من الآخرين. ولعلّ أول هذه المبررات، هو أنّ تقديم الشكر لأهل المعروف حقٌّ أدبيٌّ ومعنويٌّ للطرف الآخر، ونجد ذلك جليًّا في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين ﷺ حين قال: «أما حقّ ذي المعروف عليك أن تشكره وتذكر معروفه»، فالزوجة التي تصرف جهدًا هائلًا في تربية الأبناء، ورعايتهم في كلّ شؤون حياتهم، وتوفير جو مريح لعائلتها وزوجها، تستحقّ الإشادة وتقديم عظيم الشكر والامتنان لها على ذلك. والأمر ذاته ينطبق على الزوجة التي ترى زوجها يكدّ على توفير لقمة العيش للعائلة، وينفق عليها، ويهتمّ بمختلف شؤون المنزل، فعليها أن تعوّد نفسها شكر زوجها على كلِّ عمل إيجابي وجميل يؤدّيه تجاهها، وإن كان واجبًا شرعيًّا عليه.

التشجيع على الخير

أما المبرر الثاني فهو ما يقدّمه الشكر والإشادة بالعمل الحسن من تشجيع وتعزيز لذلك السلوك عند أهل المعروف. متى ما وجدوا انعكاس ذلك إيجابًا، في ردود فعل الآخرين المليئة بالشكر والعرفان، وقد ورد في هذا السّياق عن أمير المؤمنين عليّ بن

أبي طالب عليه السلام أنه قال: «شكرك الراضي عنك يزيده رضا ووفاء»[١]، وأيضًا: «شكرك للسّاخط عليك يوجب لك منه صلاحًا وتعطّفًا»[٢].

وثالث المبررات أنّ هذا المسلك يعزّز السّلوك الإيجابي في الواقع الاجتماعي العام. حين يتعارف الناس على شكر الطيبين، وتقدير الأعمال الإيجابية، والإشادة بها، فهم بهذه الممارسة يحفّزون بعضهم بعضًا على أداء المعروف، والأعمال الحسنة، والإشادة بالمبادرات الخلاقة، ضمن محيطهم الاجتماعي العام.

وعلى النقيض من ذلك، سيغدو المجتمع سلبيًّا إذا تمت مجافاة أهل المعروف، وتجاهل إحسان المحسنين في خدمة الجميع، وربما عُدّ أولئك الذين لا يشكرون أهل الإحسان باعتبارهم قاطعي طريق المعروف، ذلك أنّ فاعلي الخير بشر لهم مشاعرهم، ويتأثّرون بما حولهم، فإن وجدوا الشكر على صنيعهم تشجعوا واستمروا في فعل الخيرات، وإن ووجهوا بالإساءة أو التجاهل فسينال ذلك من عزائمهم، ولربما تأثر عطاؤهم لمجتمعهم سلبًا.

واستدراكًا ينبغي أن نضع في الاعتبار بأنّ المؤمن الواعي ليس في وارد انتظار الشكر من الناس على أعماله الخيرة، بقدر ما ينتظر الثواب من الله متمثلًا بقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّـهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٩] فالعمل لوجه الله هو الأصل في سيرة المؤمنين، لكن مع ذلك يبقى الإنسان بشرًا له مشاعر وأحاسيس تتأثر بواقعها المحيط سلبًا وإيجابًا، وحيثما غاب الشكر لأهل المعروف، حضر التثبيط لتوجهات الخير والمعروف. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعي سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»[٣]. من

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٣٢، حكمة ١٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٣٢، حكمة١٩.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٥٧، حديث ١٦٩٦.

هنا ينبغي أن يعوّد المرء نفسه شكر كلّ عملٍ إيجابي، وأن يشيد بأيِّ فعل خير يُسدى إليه شخصيًّا، أو يصبّ في اتجاه خدمة المجتمع عمومًا.

التغاضي عن الإساءات

في المقابل، ينبغي للمرء أن يُحسن ترجمة ردود فعله إزاء المواقف السلبية التي قد يتعرض لها ضمن حياته اليومية. ذلك أنّ المحيطين بالإنسان ليسوا ملائكة، وإنما هم بشر مثله، ومن المتوقع أن يجدهم يقعون في الخطأ والجهل والغفلة، ولا شك بأنّ المرء سيناله انزعاج حين تطاله تصرفات مسيئة من المحيطين به، فهناك من يأتي رد فعله مزيجًا من الغضب والعداء والقطيعة مع المسيئين، في حين تشدّد التعاليم الدينية على أن يكون المسلم الواعي مغضيًا متجاوزًا عن تلك الإساءات ، فإذا ما أخطأت الزوجة فليتجاوز الزوج، وإذا ما أخطأ الزوج بحقّ زوجته فلتتجاوز هي عن ذلك، وعلى غرار ذلك ما يمكن أن يجري بين الآباء والأولاد، وبين الجيران والزملاء والعاملين، فالمطلوب في كلّ الأحوال أن يتمتع الجميع باستعداد نفسي للتغاضي.

إنّ من غير الصحيح أن يتصلّب المرء في مواقفه فلا يتسامح مع من أخطأ بحقّه. حتى إنّ بعض الناس يصعب عليه أن يتجاوز عن كلمة خرجت خطأ من فم زوجته التي عاشت معه عمرًا طويلًا، بل وتظلّ تلك الكلمة وذلك الخطأ لازمة دائمة في قلبه ونفسه!، وذات الأمر ينطبق على الزوجة في حال صدر الخطأ من زوجها، فمن الواجب عليها ألّا تضع ذلك التقصير أو تلك الزلة عنوانًا يلخص كلّ حياتها مع زوجها، فتصل إلى حدِّ التنكر لكلّ المعروف الذي كان بينهما على مدى طويل، وضمن هذا السياق نفهم كلمة الإمام زين العابدين ﷺ حين يقول في دعاء مكارم الأخلاق: «أن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئة»، وإغضاء المرء عن السيئة هنا، أي التجاهل لها،وكأنه لم يَرَهَا، وكما لو أنّها لم تكن أصلًا.

وتتجه كثير من النصوص الدينية إلى تحفيز الإنسان على التجاوز عن أخطاء

الآخرين. فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «نصف العاقل احتمال، ونصفه تغافل»[١]، ولعلّها من طبيعة ومتطلبات الحياة أن يحتمل المرء جانبًا ويتغافل عن جانب آخر، وإلّا فلن يعيش مع من حوله على نحو مستقرّ، لذلك جاء في رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: «من لم يتغافل عن كثير من الأمور تنغصّت معيشته»[٢]. من هنا نفهم الإشادة الإلهية بالصفة الأخلاقية المتمثلة في كظم الغيظ، بقوله سبحانه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٣٤]، هذه الصفة العظيمة ينبغي أن يضعها المرء في الاعتبار عند تعامله مع زوجته وأبنائه وخدمه والعاملين عنده والمحيطين به، فلا يحسن أن تبقى هذه التوصية الأخلاقية الإلهية مجرّد آيات نسمعها، فيملؤنا الإعجاب والانبهار بمن يتمثّلها من الأئمة والأولياء، ونقف عن هذا الحدّ.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «تعافوا تسقط الضغائن بينكم»[٣]، وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «عليكم بالعفو، فانّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزًّا»[٤]، ذلك أن عفو الإنسان عن الأخطاء، يجعل من نفسه نفسًا طيبة مرتاحة، بينما سيكون وقوفه عند الأخطاء سببًا للألم في نفسه، ولربما انعكس على هيئة مشاكل نفسية يمكن أن تلم به، وقد ورد في ذات السياق عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «من كثر عفوه مُدّ في عمره»، علاوة على ما ينطوي عليه العفو عن الآخرين من دعوة ضمنية لهم للمراجعة وإعادة النظر في سلوكهم وسوء تصرّفهم، فقد شكى رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله من تقصير وإساءة بعض من حوله، فأرشده صلى الله عليه وآله قائلًا: «اُعفُ عنهم تستصلح به قلوبهم»[٥].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٩٧، حكمة ٣٣.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٦٣، حكمة ١٣٩٠.
(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٨ ص٨٢، حديث ١٣٠٦٤.
(٤) الكافي، ج٢ ص١٠٨، حديث٥.
(٥) جامع أحاديث الشيعة، ج١٦ ص٢٨٨.

القيم بين التغنّي والالتزام

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ أعظم الناس حسرةً يومَ القيامة مَن وصف عدلًا ثمّ خالفه إلى غيره»[1].

إنّ من الطبيعي أن يمجّد الإنسان قيم الخير، لكنه يبقى باستمرار أمام تحدّي الامتثال لتلك القيم متى ما اصطدمت مع مصالحه الذاتية. إنّ قيم العدل والخير تنسجم مع فطرة وعقل الإنسان، وفيها حماية لحقوقه ومصالحه، لذلك فمن الطبيعي أن يمجّدها. لكن هذه القيم قد تتعارض أحيانًا، في مجال التطبيق، مع مصالح الإنسان ورغباته الآنية، فيكون حينئذٍ أمام امتحان عسير لمصداقيته، كمن يشيد بقيمة الحرية مثلًا، ثم يكون أعدى أعداء الحرية متى ما خالف تطبيقها رغبة من رغباته الذاتية. فهل يقبل المرء بهذه القيم سواء جاء تطبيقها لصالحه أم ضدّ مصالحه؟ أم أنه يقبلها متى ما كانت تصبّ في مصلحته فقط، وإذا ما تعارضت مع مصالحه فإنّ له رأيًا مختلفًا وموقفًا آخرا!

الازدواجية

ثمّة كثيرون يصدحون بالشعارات القيمية ليل نهار، لكن سرعان ما يفتضح موقفهم الحقيقي، عند تخلّيهم عن تلك القيم ساعة التطبيق. وهذا يشبه إلى حدٍّ ما،

(١) بحار الأنوار، ج٢ ص٢٩، حديث٢.

ذلك الشاب الذي لا يملك ثروة ولا مالًا عند بواكير شبابه، فتجده كثيرًا ما ينتقد بخل الأغنياء، وإحجامهم عن العطاء ومساعدة مجتمعاتهم، فإذا ما أتيحت لهذا الشاب الفرصة وصنع له ثروة نتيجة جدّه واجتهاده، وتهيؤ الظروف المناسبة له، ليصبح ضمن شريحة الأثرياء، فإذا به يصبح أشدّ بخلًا من أولئك الأغنياء الذي كان يكيل لهم سيلًا من الانتقادات الحادّة!. وقد تناول القرآن الكريم هذا النوع من الناس في الآية الكريمة ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّـهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّـهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[سورة التوبة، الآيات:٧٥-٧٧].

إنّ ذات الأمر ينطبق على الشأن السياسي. فهناك جهات طالما رفعت صوتها بالشعارات عاليًا وهي في صفوف المعارضة، لكنها حين وصلت للحكم وأصبحت بيدها مقاليد السلطة، أصبحت أسوأ بمراحل ممن كان في السلطة قبلها. ولطالما تكرر هذا المشهد في عالمنا العربي على يد أحزاب وشخصيات.

وعلى المستوى الشخصي هناك صنف من الناس، لديهم نزعة شديدة نحو تقييم الآخرين، إلّا أنّهم لا يرون أنفسهم ضمن دائرة التقييم! فأمثال هؤلاء لا يترددون في إخضاع آراء ومواقف الآخرين للمحاكمة وفق معيار القيم، فيهاجمون هذا الرأي بشدة، وينتقدون ذاك الموقف بحدّية بالغة، والسؤال؛ هو ما إذا كانت مواقف هذا الشخص نفسه وآراؤه منسجمة مع القيم التي يحتكم لها أم لا؟ ولو تناولنا في هذا الصدد مثلًا واحدًا وهو الانضباط المروري، فسنجد البعض ينتقدون بعنف المخالفين لأنظمة المرور، غير أنّهم هم أنفسهم ممن يخرق أنظمة المرور، ويبررون لأنفسهم تلك الخروقات بتبريرات واهية. وعلى غرار ذلك تجد من ينتقد غياب الانضباط عند الموظفين العموميين في الدوائر المختلفة، إلّا أنه بارع في اختلاق الأعذار لنفسه عند بروز التقصير منه شخصيًّا. من هنا ينبغي القول، إنّنا حينما نحاسب الآخرين على أساس القيم، فالمطلوب أن نحكّمها على سلوكنا وتصرفاتنا.

ولعلّ إحدى القضايا الشائكة في هذا الصدد هي قضايا الرأي وحرية التعبير. فحين يتعلق الأمر بالحقّ في ضمان حرية التعبير عن الرأي فإنّ البعض يلحّ في المطالبة، وينتقد بشدة تكميم الأفواه، ويكرر الاستدلال بالآية «لا إكراه في الدين»، لكن في مقابل ذلك لا يجرؤ هؤلاء أنفسهم على ضمان حرية التعبير لأقرب الناس إليهم، من أصحاب الآراء المخالفة لاجتهاداتهم وتوجّهاتهم، بل ويزيدون على ذلك بتبرير موقفهم القمعي بقذف مخالفيهم في الرأي بأنهم من أهل الضلال، وغير ذلك من عبارات التشنيع!، فإذا كنتم أنفسكم تنتقدون الآخرين لعدم ضمانهم حرية التعبير لكم، فلماذا تتقصمون ذات الموقف، فلا تعترفون للآخرين بحرية الرأي؟ أليست هذه ازدواجية مفضوحة؟

المصداقية

وتشدّد الشريعة على تحلّي الفرد المسلم بالمصداقية، وقرن القول بالعمل. فأيُّ شعار وقيمة يرفعها المرء لا بُدّ وأن يلتزمها هو أولًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّـهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[سورة الصف، الآيتان:٢-٣]، وعلى هذا النحو تنطوي الكتب الحديثية، من قبيل كتاب الكافي وبحار الأنوار على باب مهم بعنوان «من وصف عدلًا ثم عمل بغيره»، أو بعنوان «من وصف عدلًا ثم خالفه»، وتجمع هذه الأبواب الأحاديث والروايات التي تتناول هذا السلوك ومن تلك النصوص ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ من أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلًا ثم خالفه إلى غيره»، يقول الشيخ المجلسي في بحار الأنوار[١] تعقيبًا على هذه الرواية: «إنما كانت حسرته أشدّ لوقوعه في الهلكة مع العلم»، أي إنّ هذا نفسه الذي يتحدث عن العدل، هو يعرف جيّدًا معنى العدل لكنه يوقع نفسه في خلافه، وكذلك الأمر مع الذي يتشدّق بالحرية ثم يفعل العكس،

(١) بحار الأنوار. ج٦٩، ص٢٢٤.

فهؤلاء يقعون في الخطأ مع علمهم المسبق بهذا الخطأ، ويضيف الشيخ المجلسي بأنّ هذا «أشدّ من الوقوع فيها بدونه»، أي بدون علمه، «لمشاهدته نجاة الغير بقوله، وعدم نجاته به».

أسباب الازدواجية

وهنا تساؤل عن تفسير وقوع بعض الناس في هذه الازدواجية بين القول والفعل؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن إيراد سببين رئيسين لهذه الازدواجية:

أولهما: عدم تجذّر هذه القيم في النفوس، حيث لا تتجاوز لقلقة اللسان، كما يقول تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٧].

أما السبب الآخر: فيكمن في البيئة الحاضنة، حينما يعيش المرء في بيئة تعزّز تطبيق القيم والتزامها، فهذه البيئة ستكون مساعدة بدرجة كبيرة، وعلى النقيض من ذلك إذا عاش المرء في بيئة تسودها مخالفة القيم، وتبدأ البيئة الحاضنة بالتربية، فحين يتربى الطفل على التزام القيم في المنزل والمدرسة، إضافة إلى وجود قانون يحمي القيم ويرعى تطبيقها، ووجود رأي عام اجتماعي يعترض على كلّ مخالف لتلك القيم، هذه العناصر بمجملها تمثل بيئة حاضنة تجعل الناس يلتزمون القيم، أمّا في حال غياب هذه البيئة، فإنّ القيم تتحول إلى مجرّد شعارات، كما هو حاصل بالفعل في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فبالرغم من كثرة الحديث عن القيم إلّا أنّ واقعنا لا يزال أبعد ما يكون عنها.

وعلى نحو الإيضاح لمدى أهمية البيئة الحاضنة التي تُعزّز تطبيق القيم والتزامها في المجتمع، نورد القصة التالية التي حدثت الجمعة الماضية ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ بجوار أقدم وأكبر المراكز الإسلامية في شمال أمريكا، وهو المركز الإسلامي في مدينة ديربورن بولاية ميتشيغن الأمريكية، الذي تأسّس سنة ١٩٦٤م على يد عالم الدين اللبناني الراحل الشيخ محمد جواد شري المتوفى سنة ١٩٩٤م رحمه الله، وجدّد بناء

المركز سنة ٢٠٠٥ على مساحة ١١ ألف متر مربع، ويؤمّ الصلاة في المركز في الوقت الحاضر العلامة السيد حسن القزويني، وهو ممن يُفخر بهم من العلماء الواعيين، فهو عالم منفتح يعرف جيّدًا طبيعة وظروف الحياة في أمريكا، ويجيد التعامل مع مختلف الظروف المحيطة بالجالية الإسلامية هناك.

في الأسبوع الماضي، في اليوم الذي يصادف الجمعة العظيمة، أي يوم صلب المسيح بحسب التقويم الكنسي، عمدت امرأة للوقوف مقابل بوابة المركز الإسلامي، وكان المصلون يفدون لأداء صلاة الجمعة، وكانت المرأة ترفع لافتة كبيرة مكتوب عليها؛ أنا أؤمن بعيسى؛ لأنّه حيّ، ولا أؤمن بمحمد لأنّه قد مات، وقد جاءها شاب من داخل المركز وسألها في حوار منشور عبر اليو تيوب عن معنى هذا الشعار الذي ترفعه، وعن سبب اختيارها هذا الوقت والمكان بالذات؟ علّلت المرأة موقفها بأن هذا اليوم يصادف الجمعة العظيمة وأنها أحبت أن تبلغ المسلمين في هذا المكان بموقفها من المسيح ومحمد على حدٍّ سواء، فردّ عليها الشاب بأن موقف المسلمين هو نفسه ما عبرت هي عنه حرفيًّا، فالمسلمون يؤمنون بأنّ الله تعالى قد رفع إليه نبيّ الله عيسى وهو لا يزال حيًّا، وأنّ النبيّ محمدًا قد مات، كما جاء في الآية الكريمة ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣٠]، وبذلك لا مشكلة ولا خلاف بيننا، فقالت المرأة إنّه ما دام لا مشكلة في محتوى اللافتة فما الضّير في أن أقف هاهنا؟

قامت إدارة المركز بالاتصال بمركز الشرطة، فسألتهم الشرطة عن مكان وقوف المرأة بالتحديد، وما إذا كان داخل ملكية المركز الإسلامي أم في الشارع العام؟ فأجابوا بأنها تتواجد خارج ملكية المركز، لكنها تجلس في مقابل البوابة مباشرة، فقالت لهم الشرطة إنّ المرأة ما دامت تقف على أرض عامة فهي حرّة في التعبير عن رأيها، فأعربت إدارة المركز عن خشيتها من حصول استفزاز أو مشكلة لسبب أو لآخر، فأرسلت الشرطة بعض عناصرها لمراقبة الموقف، وضمان عدم التعرض للمرأة، ما دامت تعبّر عن رأيها لا أكثر. وفي تلك الأثناء تحدّث خطيب الجمعة في

المركز السيد القزويني، وخاطب المصلين بالقول إنّ اللافتة التي ترفعها المرأة قبالة مدخل المركز، إنما هي كلمة حقّ أريد بها باطل، ذلك أن ما أرادته هذه المرأة هو استفزاز المصلين المسلمين، طمعًا في أن يتعرض لها أيّ أحد، فتعمد وسائل الإعلام بعدها لافتعال قضية عريضة، وأكّد السيد رجاءه للمصلين بألّا يتعرضوا للمرأة، وأن يتجاهلوا وجودها تمامًا، وهذا ما حصل بالفعل، فقد تجنّب الناس الاقتراب منها أو التعرض لها، فبقيت مكانها حتى غادر آخر المصلين ثم طوت لافتها وغادرت، وغادر أفراد الشرطة بعدها، وانتهى الأمر وكأن شيئًا لم يكن.

الانضباط أمام الاستفزازات

من خلال هذه القصة يتضح مدى النّضج الذي يتمتع به هؤلاء الناس عند هذه المواقف. فهناك قانون يحمي الحريات، ورأي عام تسامحي تجاه حالات الاختلاف الديني أو الفكري، ولكن دعونا نفترض لو أن مسلمًا شيعيًّا كتب لافتة ورفعها أمام مسجد سنّي، أو أنّ مسلمًا سنيًّا كتب لافتة ورفعها أمام مسجد شيعي، ربما وقعت نتيجة ذلك واقعة يسجلها التاريخ وتتحدث عنها الأجيال!.

إننا بحاجة إلى وعي أكبر في التعامل مع مثل هذه الحوادث الاستفزازية. فإذا عمد أحدهم لإساءة التعبير، وإساءة اختيار المكان والزمان لغرض الاستفزاز، فلماذا نعطيه الفرصة ونحقق له مبتغاه من خلال الاستجابة لاستفزازه؟ ما الذي يحذونا لجعل أجوائنا متشنّجة، ونفوسنا مشحونة، وقابلة للاستفزاز عند أقلّ موقف، كما لو أننا في انتظار سماع أقلّ استفزاز؟ وهذا تحديدًا ما بات يعرفه الأعداء عن طبيعتنا نحن المسلمين، إذ يكفي لافتعال مشكلة في أيّ بلد مسلم، أن يجري تشجيع أيّ أحمق على إلقاء خطبة نارية، أو كتابة مقالة تستفز مشاعر الطرف الآخر في بلده، سواء كان ضد السنة أو ضد الشيعة، أو أيّ جهة من الجهات، والنتيجة ستكون معروفة فور الانتهاء من هذه الخطبة أو المقالة.

ونختم حديثنا بذكر هذه القصة التي وقعت في عهد أمير المؤمنين عليه السلام. فقد جاء في تاريخ الطبري أنّ عليًّا قام في الناس يخطبهم ذات يوم في مسجد الكوفة، وهو الخليفة حينها، وأثناء ذلك قام رجل من جانب المسجد صائحًا بشعار الخوارج؛ لا حكم إلّا لله، فما إنْ سكت حتى مضى أمير المؤمنين في خطبته دون إبداء أيِّ ردة فعل على الرجل، فقام آخر، وثالث حتى توالى عدة رجال منهم يرددون ذات الشعار، فقال الإمام عليّ عليه السلام: الله أكبر، كلمة حقّ يلتمس بها باطل، ومضى يخاطبهم عليه السلام بالقول: أما عندنا لكم ثلاثًا ما صحبتمونا، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا، ثم رجع إلى مكانته من خطبته التي كان يخطبها؛ وكأنّ شيئًا لم يكن[1].

وبهذا يرشدنا الإمام عليه السلام إلى الخلق الرفيع والتعامل المطلوب إزاء حالات الاستفزاز، فهو عليه السلام لم يسكت عنهم وحسب، وإنما أعطى بسيرته وممارسته درسًا بليغًا في عدم الاستجابة إلى الاستفزاز، بل وضمان حقوق أولئك المعارضين. هكذا ينبغي أن تتجذّر القيم في نفوسنا.

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٣.



الخطبة الأولى

التشيّع بين المظاهر والالتزام

ورد في كلام لأبي جعفر الباقر عليه السلام مع جابر الجعفي أنه قال: «يا جابر، أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه»[1].

وورد عنه عليه السلام أنه قال: «لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلّا من أطاع الله عزّ وجلّ»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس من شيعتنا مَن قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا»[3].

إنّ تحديد معايير الولاء والتشيّع لأهل البيت، ليست مسألة خاضعة للمزاج الشخصي أو العام، وإنّما أئمة أهل البيت أنفسهم هم من يضع تلك المعايير. ويمثل إحياء مناسبات أهل البيت جانبًا من مظاهر المحبّة والولاء لهم عليهم السلام، شريطة أن يكون ضمن السقف الذي يضعونه هم، لا وفق ما يراه غيرهم. ذلك أنّ بعض الناس ربما يضعون برامج ويختلقون ممارسات وفق ميولهم، ثم لا يترددون في اعتبار تلك البرامج والممارسات بابًا حصريًّا للتعبير عن الولاء لأهل البيت!، في حين نجد بالعودة لتراث وسيرة أهل البيت أنهم وضعوا المقاييس التي تعبّر عن الولاء والتشيّع لهم، لا أن ينبري كلّ من هبَّ ودبَّ لوضع مقاييس متوهمة ويحاكم الآخرين على ضوئها.

(١) الكافي، ج٢، ص٧٤، حديث٣.

(٢) الكافي، ج٢، ص٧٣، حديث١.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٤٧، حديث ٢٠٤٠٩.

جوهر التشيّع

والسؤال المهم هنا، هو عن تعريف التشيّع ومعايير الولاء الحقيقي لأهل البيت كما وضعها أئمة أهل البيت أنفسهم.

ولعلّ السائد في أوساط كثير من المؤمنين أن التشيّع لأهل البيت يعني الاعتقاد بمقامهم ومكانتهم المتميزة التي وضعهم الله تعالى فيها، وأنّ التشيّع لأهل البيت يعني إظهار الفرح أو الحزن في مناسباتهم بالصيغ المتعارفة في كلّ مجتمع من المجتمعات، وهذان البعدان من مصاديق التشيّع والولاء، لكن التشيّع الحقيقي وفقًا لأئمة أهل البيت يتمثل في تقوى الله وطاعته سبحانه وتعالى. وقد ورد في الرواية عن جابر بن يزيد الجعفي أنه قال، قالي لي أبو جعفر الباقر ﵇: «يا جابر، أيكتفي من ينتحل التشيّع، أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه». واللافت في الرواية أنّ الإمام الباقر ﵇ يقسم قسمًا بأن مجرّد إضمار المحبة لأهل البيت، أو إعلان الولاء لهم باللسان، لا يعدو سوى انتحال للتشيّع، أمّا التشيّع الحقّ فهو المتمثل في تقوى الله وطاعته سبحانه وتعالى. وجاء في رواية عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر ﵇ أنه قال: «لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلّا من أطاع الله عزّ وجلّ»، وهنا دعوة صريحة للإمام ﵇ بألّا ينساق المؤمن خلف توجّهات ومزاعم من هنا وهناك، ربما حصرت التشيّع في اعتقاد ضيق، أو ممارسة محددة، إنما الشيعة الحقيقيون هم فقط وفقط أولئك المطيعون لله عزّ وجلّ. وتكمن أهمية هذا الكلام في كونه يأتي ردًّا على من ينبري إلى حصر التشيّع لأهل البيت في اعتقادات مغالية، أو آراء غريبة، حول مقام أهل البيت ومكانتهم، أو المزايدة والمبالغة في المظاهر الولائية، فمن يبالغ أكثر في إظهار الاحتفاء بمواليد أئمة أهل البيت ووفياتهم هو الأكثر تشيّعًا لأهل البيت. إنّ المظاهر الولائية بمفردها ليست جوهر التشيّع، إنما جوهر التشيّع هو طاعة الله، وبدونها لا فائدة من كلّ الاعتقادات، ولا جميع المظاهر التي نسبغها على أهل البيت.

وجاء في رواية عن الإمام الصادق ﵇ أنه قال: «إنّما شيعة عليّ من عفّ بطنه وفرجه

واشتدّ جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه فإذا رأيت أولئك، فأولئك شيعة جعفر»[١]، وبذلك ينزع الإمام صفة التشيّع عمّن لم تكن فيه هذه الصفات، وإن ادّعى وتظاهر بكلّ مظاهر التشيّع.

الأتباع وليس مجرّد الحبّ

والحقيقة أنّ خطابنا الديني الشيعي في معظمه كثيرًا ما يستغرق في الحديث عن مقام ومكانة أهل البيت، أكثر من الحثّ على اتباع تعاليمهم والإقتداء بسيرتهم. نحن بحاجة ماسّة إلى خطاب يؤكّد عمق التشيّع، ويوجّه أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى أن يتمثلوا تعاليمهم عليهم السلام ويأخذوا بكلامهم ووصاياهم.

إنّ البكاء والفرح في ذكرى وفيات ومواليد أئمة أهل البيت ليستا أكثر من مصاديق ومظاهر للحبّ لا أكثر. فلا يظنّ من يبكي على الإمام عليه السلام في يوم وفاته، أو يفرح بمناسبة مولده أنه قد فعل ما عليه وانتهى الأمر، كلّا. ولعلّ أبلغ تجسيد جليٍّ لهذه الحقيقة هو قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّما إنا إمام من أطاعني»[٢]، فالمقياس بحسب الإمام هو الاتّباع الحقّ له، لا الاقتصار على البكاء عليه في ذكرى وفاته، أو الفرح بيوم مولده. إنّ أكثر ما يحبّه أئمة أهل البيت ويفرحون به في ذكرى مواليدهم هو أن يروا شيعتهم مطيعين لربهم وملتزمين تعاليم أئمتهم.

المناسبات والممارسات الخاطئة

ولعلّ أسوأ ما يمكن أن يحيط بمناسبات أهل البيت هي تلك المظاهر السلبية التي يمارسها بعض الشباب. فقد حوّل البعض مناسبات أهل البيت إلى مواسم للتفحيط خاصة في قلب الأحياء السكنية، وما ينتج عن ذلك من مشاكل تستدعي حضور الشرطة

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٥١، حديث ٢٠٤٢٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٨٠، حديث ٧٦.

في العديد من الأحيان، أو التواجد الشبابي وسط الشوارع في بعض المناسبات بأعداد كبيرة ومزاحمة النساء، الأمر الذي يسوّغ للبعض الاصطياد في المياه العكرة في مثل هذه الظروف. فأين هذا من الاحتفال بمناسبات أهل البيت؟ وهل هذه الممارسات السلبية إلّا تشويه وإساءة لمناسبات أهل البيت؟ إنني أتمنى أن يكون لعلماء البلاد ووجوه المجتمع موقف واضح، وبيان حاسم، بأنّ هذه الممارسات إنّما تمثل اساءة لأهل البيت، ولا ينبغي أن تحصل، ولا يجوز الدعوة لها ولا المشاركة فيها، ولا التفرج عليها؛ لأنّ المتفرجين بحضورهم داعمون فعليون لهذه الممارسات الخاطئة. إنّ المناسبات الدينية المتعلقة بأهل البيت ينبغي أن تكون فرصة لتجديد العهد بسيرتهم وتعاليمهم ومعاهدة الله بالسير على طريقهم.

الخطبة الثانية

الصورة النمطية بين الجماعات والمجتمعات

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٧٥].

يحفل القرآن الكريم، ضمن سياق المنهج التربوي للأمة، بكثير من الآيات الهادية إلى الطريق القويم في التعاطي مع مسألة الصور الذهنية والنمطية عن الأقوام والملل الأخرى. حيث تركّز آيات الكتاب في قسم منها على طريقة تعامل المجتمع المسلم مع بعضه وفي داخله، وتنحو آيات أخرى للتركيز على مسألة تعامل المجتمع المسلم مع المجتمعات الأخرى، على اختلاف دياناتها. ويبدأ هذا المنهج التربوي في تناول العلاقة مع المجتمعات، من نقطة تشكيل الصورة الذهنية، وصناعة الانطباع العام عنها، بحيث تنتهي إلى تشكيل صورة ذهنية متوازنة عن المجتمع الآخر، ومنشأ اهتمام القرآن الكريم بهذا الأمر مردّه إلى أن الصورة الذهنية، والانطباع النفسي عن المجتمعات الأخرى، هو الذي يهيئ الأرضية للتعامل معها بشكل صحيح.

الإنصاف منهج قرآني

وقد تضمن القرآن الكريم أحد أبرز النماذج موضوعية في النظرة للمجتمع الآخر، حين أنصف أهل الكتاب، حتى وهم في أوج مناكفتهم العقدية، وعداوتهم العسكرية للمجتمع المسلم. إنّ إشارة القرآن الكريم لأهل الكتاب، خاصّة إبّان الفترة المدنية،

غالبًا ما كانت تعني اليهود تحديدًا، فقد كانوا أشدّ الجماعات مناوءة للمسلمين آنذاك، وقد خاض المسلمون معارك وحروبًا عديدة معهم، مثل معركة بني قريضة وخيبر وغيرهما.

وإذا ما علمنا بأنّ الصراعات المختلفة غالبًا ما تنحو خلالها قيادات ورموز كلّ طرف نحو إعطاء انطباع سيئ عن المعسكر الآخر، فتلصق به كلّ صفات الإجرام، بغرض صنع صورة ذهنية قاتمة عنه، إلّا أنّ القرآن الكريم لم يستنكف من إنصاف أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾، فالآية الكريمة تشير إلى أنّ من بين هؤلاء اليهود الأعداء أشخاص في غاية الأمانة، وهم حريصون على تأدية الأمانة بتمامها حتى لو كانت بمقدار قنطار، أي بما يساوي حمل بعير من الذهب بمكاييل ذلك الزمن، وهناك من اليهود من لا يؤدي الأمانة إلّا بشق الأنفس، حتى لو كانت لا تتجاوز الدينار الواحد!. وبذلك يشدّد المنهج القرآني على رفض تعميم الصورة النمطية السلبية المتحيزة على الآخرين أيًّا كانوا، حتى في أوج الاختلاف والصّراع معهم.

الصور النمطية ظلم وتضليل

لقد أصحبت الصور النمطية المأخوذة عن الآخرين إحدى أبرز عوائق التواصل بين المجتمعات، وقد عرف المختصون الصورة النمطية بأنها: تلك الصورة الذهنية، أو المفهوم الذهني، ذي الدلالة المعينة، الذي يعلق في ذهن مجموعة بشرية تجاه مجموعة بشرية أخرى، ويتضمن ذلك فكرة مسبقة أو أفكارًا جاهزة، مع إلباسها صفة العمومية على كلّ الأفراد، كأن يكون في أذهان المسلمين صورة معينة تجاه كلّ المسيحيين أو كلّ اليهود. وهكذا الحال يمكن أن تشيع الصور النمطية داخل المجتمعات الإسلامية نفسها، كأن يعمّم الشيعة صورة محدّدة على جميع السنة، ويقع

السنة في الشيء نفسه بتعميم صورة معينة على جميع الشيعة.

وتنطوي الصور النمطية عن الآخرين على مشاكل كبيرة. وأبرزها أنّ الصورة النمطية تعمد إلى اختزال كلّ صفات الجماعة في صفة معينة، وهذا بخلاف الواقع، فكلّ جماعة لها صفات كثيرة مختلفة، وكلّ فرد له صفاته المختلفة عن الآخرين، في حين تأتي الصورة النمطية لاختزال الجميع في صفة واحدة، ولا تستثني من أفراد ذلك المجتمع أحدًا. وذلك من قبيل ما يفعله بعض غلاة السنة عند حديثهم عن الشيعة، باتّهامهم أجمعهم بتحريف القرآن، أو أنهم يعبدون الحجر «التربة»، وحيثما جاء على ذكر الشيعة حضرت في ذهنه تلك الصورة النمطية المفتراة. وكذلك الحال عند بعض الشيعة المتشدّدين، الذين ربما ينظرون لجميع السنة باعتبارهم نواصب، وأعداء لأهل البيت، وبذلك يختزل كلّ هذا المجتمع الكبير في صفة معينة، قد تكون صحيحة وقد لا تكون. هذا التبسيط والاختزالية هي إحدى مشاكل الصورة النمطية عن الآخرين.

كما تنطوي الصور النمطية عن الآخرين على مشكلة التعميم الكاسح. ذلك أنّ جميع المجتمعات تعجّ بالتمايز في داخلها، فليس جميع المسلمين على مستوى واحد، ولا الشيعة في قالب واحد، وليس كلّ السنة على نمط واحد، غير أنّ الصورة النمطية تعمد لإعطاء حكم كاسح، ربما يطال اعتباطًا ملايين الناس من أهل بلد، أو ديانة، أو مذهب.

أما المشكلة الأخيرة للصور النمطية فهي التصلب. فأيّما أحد ابتلي بهذا النمط من السلوك التعميمي على الآخرين، فإنّ الصورة الذهنية عن الآخرين لا تبارح دماغه، حتى لو توفر لديه ما يبدّد تلك الصورة عن أولئك الناس، إلّا أنه يبقى على تصلّبه الأول، ويظلّ متشبثًا بالصورة النمطية التي كانت تعشش في ذهنه، بل ويسوق التبريرات التي تبقي تلك الصورة في ذهنه كما هي.

صور قاتمة متبادلة

إنّ مجتمعاتنا باتت تعاني كثيرًا نتيجة تفشي الصور النمطية بين الطوائف وأتباع المذاهب الدينية. فهناك صور قاتمة باتت راسخة في أذهان الأطراف حول بعضها بعضًا، ومنشأ هذه الصور القاتمة استدعاء الحوادث التاريخية، وما يحمله التراث من عفونة تطال الطرفين.

إنّ هناك من السنة من ينبشون في تراث الشيعة لتصيّد كلّ ما يساهم في ترسيخ الصورة النمطية المسبقة بالاتكاء على قول شاذّ لهذا العالم، ورأي أحادي لذلك الفقيه، وذات الأمر يجري مع بعض الشيعة الذين ينبشون في تراث السنة، فيلتقطون آراء بعض الشيوخ المتعصّبين من السنة، فيشنّعون بذلك على جميع السنة.

كما تساهم بعض مناهج التعليم والتراث الشعبي في مجتمعاتنا في تكريس الصور النمطية السلبية القائمة. التجمعات السنية تجدها تطفح بالحديث عن الروافض، في حين تجد التجمعات الشيعية تفيض بالحديث عن النواصب، ما يعزّز الصورة النمطية عن الآخر. والحال أنه لم يعد في الأمة اليوم، لا روافض ولا نواصب، فالنواصب هم من يجهرون ببغض أهل البيت، وهل هناك اليوم في الأمة من يجهر ببغض أهل البيت؟ هناك من يختلف مع الشيعة حول مقام ومكانة أهل البيت، لكن لا وجود لمن يبغضهم، وإن وجد فهو بحكم الشاذّ والمنبوذ عند جميع المسلمين السنة والشيعة على حدٍّ سواء.

وينبغي الإشارة في هذا المقام، إلى أنّ الصراعات السياسية تغذّي هذا النوع من التنابز، وتكريس الصور النمطية بين الطوائف والمجتمعات على ضفتي الصراع. فهي غالبًا ما تقف خلف الدفع بوسائل الإعلام والفتاوى والخطب الدينية لتغذية وتكريس هذه الصور النمطية، التي يتقاذفها المتصارعون في الطوائف.

الأحكام الكاسحة

إنّ المنهج القرآني يحضّنا على نبذ التعميم والصور النمطية عن الآخرين. وإذا كانت التوجيهات الإلهية تنهى المسلمين عن هذا السلوك وهم في غمرة الصراع والحرب مع اليهود في صدر الإسلام، فما بالك بما يجري بين المسلمين أنفسهم! وكيف يقبل المسلمون لأنفسهم بأن يتعاملوا مع بعضهم بهذه الصورة. والأنكى حين ينسحب هذا السلوك المشين على الداخل المجتمعي نفسه، حيث لا يكاد يخلو مجتمع من التنوع، فيجري تقاذف الأوصاف المنبوذة والصور النمطية السلبية بين الفئات والجماعات في المجتمع الواحد. ولربما استسهل طرف في وصم جماعة كبيرة من أبناء مجتمعه بصفة تعميمية كاسحة، دون أن يستثني منهم أحدًا، خاصة ساعة خروج الخلافات الاجتماعية إلى السطح. وقد رأينا في السنوات الأخيرة كيف وصم البعض أحد أكبر العلماء الشيعة بأنه «عدوّ الزهراء»!، وهو من ذرّية الزهراء ﴿عليها السلام﴾، وله مؤلفات قيّمة عن الزهراء، فضلًا عن كونه ممن خدم شيعة الزهراء!، لا لشيء إلّا لأنه اختلف معهم في رأي قد يكون فيه مصيبًا أو مخطئًا، فهل يجوز اختزال هذا العالم في صورة نمطية تختزل مسيرته الطويلة، بوصفه عدوًّا للزهراء! إن هذا من أفظع الظلم.

وعلى غرار ذلك، من يصم الآخرين بأنهم أعداء للشعائر الحسينية، وهل هناك شيعي يقف بوجه الشعائر الحسينية؟ ألا يحتفي كلّ الشيعة بعاشوراء فيجتمعون ويقرؤون مقتل الحسين ﴿عليه السلام﴾؟، وماذا لو كان لدى بعضهم رأي في مفردة من المفردات المحسوبة على الشعائر؟ فهل نصم هؤلاء بأنهم ضدّ الشعائر الحسينية لمجرد اختلافهم معنا في هذا الجزء أو تلك المفردة؟

إنّ نهج القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية ترفض رفضًا قاطعًا تعميم الصور النمطية على الآخرين، دونما وجه حقّ. ومنشأ الرفض أنّ هذه الصور النمطية غالبًا ما تأتي خلاف الواقع، وفيها ظلم فادح للآخرين، علاوة على ما فيها من مجافاة للعدل والانصاف، في حين يريد القرآن أن يربي المسلم على أن يكون عادلًا حتى مع أعدائه،

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨]، فإذا كان الحال هكذا مع الأعداء، فكيف هو الأمر مع المختلفين معنا في الرأي من أهلنا وأبناء مجتمعنا؟.

إنّنا مطالبون جميعًا برفض الثقافة القائمة على الصور النمطية التعميمية. سواء تجاه أتباع الأديان أو المذاهب الأخرى، أو إزاء الاتجاهات المنافسة داخل المجتمع الواحد، ممن قد يختلفون في الرأي أو التوجه، وأن نبقى منصفين وملتزمين ما يربّينا عليه القرآن الكريم.

الحياة العائلية ومبدأ الشراكة

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٣٣]

تمثل الحياة الأسرية في جوهرها شراكة مصيرية. وذلك تبعًا للشريعة الإسلامية، والأعراف الدولية، على حدٍّ سواء، ومن هنا جاء الاحتفاء باليوم الدولي للأسرة الذي أقرّته الأمم المتحدة، والمصادف للخامس عشر من مايو من كلّ عام، تأكيدًا على أهمية الأسرة في الحياة الإنسانية، والقيم والمفاهيم التي يجب استحضارها ضمن الحياة الأسرية، ومن أبرز تلك المفاهيم التي أكّدتها الأمم المتحدة، ضمن دعوتها للاحتفاء بهذا اليوم، هو مفهوم الشراكة الأسرية، فالعلاقة داخل الأسرة بين الزوجين، ليست مجرّد نزوة حبٍّ وعاطفة، ولا هي علاقة تسلطية من الرجل على المرأة، أو استخدام من المرأة للرجل، إنما هي شراكة مصيرية، هي أقوى وأخطر أنواع الشراكات في حياة الإنسان، لذلك عبّر القرآن الكريم عن هذه العلاقة تعبيرًا لم يُعبِّر به عن أيّ علاقة أخرى، بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾، حيث لم يرد في القرآن الكريم وصف بالميثاق الغليظ لأيِّ علاقة إلّا العلاقة الزوجية، فقد أخذ الله سبحانه وتعالى على الناس ميثاقًا غليظًا مشدّدًا فيما يرتبط بهذه العلاقة.

معنى قوامة الرجل

ومع كون العلاقة الأسرية قائمة على الشراكة، إلّا أنّ ذلك لا يلغي احتفاظ الرجل بميزة الإدارة في الأسرة. فالرجل يبقى مسؤولًا عن إدارة العائلة، وهو ما يُعبّر عنه شرعًا بحقّ القوامة، وأقرب مثال يشرح مسألة الشراكة والإدارة داخل الأسرة، هو في الشركات التجارية التي ينشئها الناس فيما بينهم، فمع احتفاظ جميع الشركاء بحقوقهم كاملة داخل الشركة، إلا أنّهم في ذات الوقت يقومون بانتخاب مدير للشركة، إمّا من بين الشركاء أنفسهم أو أجنبي عنهم، ويمنح المدير صلاحية إدارة الشركة، غير أنّ هذه الإدارة لا تعني بأيِّ حالٍ تسليط أحدٍ على أحد.

وهذا هو معنى القوامة الذي جاء في القرآن الكريم ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٤] على أن تكون القوامة ضمن الحياة الزوجية حصرًا، بحيث يكون الرجل هو المسؤول الأول في إدارة الأسرة، دون أن يعني ذلك ممارسة التسلط أو فرض الهيمنة، ولا يعني قوامة للرجل على المرأة خارج إطار الزوجية. من هنا يأتي تأكيد القرآن الكريم للحقوق المتبادلة بين الرجل والمرأة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٢٨]، والدرجة الواردة في الآية هي درجة القوامة والإدارة للأسرة، أما فيما يرتبط بجانب الحقوق، فإنّ كلّ حقٍّ لأحدهما يقابله واجب على الآخر تجاهه.

إنّ مضمون الشراكة بين الزوجين ينبغي أن يكون قائمًا على أساس المودة والرحمة. كما يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم، الآية: ٢١]، وبذلك تكون المودة والرحمة هي الأرضية التي تقوم عليه الشراكة الزوجية، أرضية الحبّ والاحترام المتبادل بين الزوجين.

إنّ التأكيد على مسألة الشراكة في الحياة الأسرية ينتج الحرص على تحقيق النجاح عند الطرفين، وهذا يشبه إلى حدٍّ بعيد سلوك الشركاء في أيِّ مشروع عام، في حرصهم

على نجاح المشروع؛ لأنّ الأرباح الواردة ستعود عليهم جميعًا بالمصلحة، وكلما كانت الشركة أكثر نجاحًا وتقدّمًا، فستتضاعف تلقائيًّا حصة كلّ شريك، وهذا بخلاف الموظف العامل في الشركة، فهو لن يحمل همَّ الشريك بأيِّ صورة من الصور، فمرتبه الشهري مضمون، ولن يتغير كثيرًا، سواء تضاعف أو تضاءل دخل الشركة. وهكذا الأمر في الحياة الزوجية، فإذا كان كلٌّ من الزوجين ينظر إلى العائلة باعتبارها مؤسسة إنسانية قائمة على الشراكة، فسيكون أكثر حرصًا وتحمّلًا لمسؤولياته في إنجاح هذه المؤسسة ودفع المكاره والأسواء عنها.

ترويض الأنا

وتتطلب الشراكة الأسرية سلسلة أمور. أولها أن يتنازل كلّ طرف عن حالة الأنا لمصلحة هذه الشراكة، ذلك أن أسوأ ما يصيب الحياة الزوجية، أن يتجه كلٌّ من الطرفين نحو ممارسة أنانيته، وتحقيق رغباته الذاتية وحسب، والسير على هذا النحو سيكون أول خطوات الفشل في العلاقة الزوجية، فالشراكة الناجحة تتطلب استعدادًا من كلا الطرفين لتقديم التنازل تجاه الآخر، في سبيل إنجاح هذه الشراكة.

وكثيرًا ما واجهنا هذه الحالة التي تشكل لبّ الخلافات الزوجية في أحيان كثيرة، فالزوجة لها رغباتها الذاتية التي تصرّ على تحقيقها، مهما كان الثمن، كالرغبة في اقتناء ملابس معينة لحضور مناسبة عامة، أو القيام بممارسات لا ترضي زوجها، وغير ذلك من الرغبات. والحقيقة أنه مهما كانت الزوجة تجد ذاتها في تحقيق هذه الرغبات، إلّا أنّها في موازاة ذلك مطالبة بالتضحية من أجل مصلحة المؤسسة الأسرية، حتى لو كان على حساب بعض رغباتها.

وكذلك الحال مع الزوج الذي يضع جلّ تفكيره في تحقيق رغباته هو، فهناك من الأزواج من درج على اغتنام أيّ عطلة للسفر بمفرده، وترك زوجته وأولاده خلفه، وهو بذلك يحمل زوجته عبئًا أكبر في إدارة العائلة، لتعويض الفراغ الذي يتركه غيابه عن

المنزل، ونحن لا نتحدث في هذا الصدد عن السفرات الاستثنائية أو الاضطرارية التي لا مفرّ منها، وإنما نعني أولئك الذين تحوّل عندهم السّفر والغياب عن المنزل إلى نمط وسلوك عام. فإن كان مبرر سفر بعض الأزواج هو البحث عن الراحة، فتلك الراحة من حقّ الزوجة والأبناء أيضًا، فلماذا يؤثر هؤلاء الأزواج راحتهم على راحة عائلاتهم. من هنا ينبغي ألّا يكون الرجل أنانيًّا غير مهتم سوى بنفسه، إنما المطلوب أن يفكر بروح ومشاعر الشراكة، فهو شريك أساس مع زوجته في الحياة الأسرية، ولا يصحّ أن تكون الحالة الأنانية جامحة مسيطرة على حساب تجسيد مفهوم الشراكة.

التشاور نهج الشراكة الناجحة

أما الجانب الآخر من مفهوم الشراكة الأسرية فهو التشاور في الشؤون المرتبطة بالطرفين، وبعموم الأسرة. ويمكن أن نلمح ضمن آيات القرآن الكريم إشارة دقيقة إلى مفهوم التشاور بين الزوجين، حين يتحدث عمّا يرتبط بفطام طفلهما عن الرضاعة، فقد ورد في الآية الكريمة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٣٣]، ومضمون الآية؛ أنّه إذا أراد الزوجان فطام طفلهما عن الرضاعة قبل إتمامه السنتين من العمر، فلهما ذلك، شريطة أن يكون ذلك عن تراضٍ منهما وتشاور.

والمبدأ المهم هنا الذي يأمر به الله تعالى هو التراضي والتشاور، حتى لو كان في أصغر الأمور المتعلقة بفطام طفلهما من الرضاعة. والمستوحى من الآية الكريمة أنّ الأمور المرتبطة بالأسرة ينبغي أن تعالج عن طريق التراضي والتشاور دائمًا، وليس عن طريق فرض أحد الزوجين إرادته على الآخر. ناهيك عن انطباق النصوص الدينية الأخرى، التي تتناول مبدأ الشورى على هذا المورد، وإن كانت هناك نصوص غير ثابتة تنزع إلى إلغاء رأي المرأة، من قبيل «شاوروهن وخالفوهن»، إلّا أنّ أمثال هذه

النصوص لا تنسجم مع المبادئ العامة التي تطرحها تعاليم الإسلام في العلاقة بين الزوجين، وبين الناس بوجه عام.

وتصل التعاليم الدينية في هذا المجال إلى الحدّ الذي تنهى المسلم عن إلزام عائلته بإعداد الطعام في المنزل تبعًا لذوقه هو، وبصرف النظر عن رغبة باقي أفراد العائلة، وجاء في الرواية عن رسول الله ﷺ: «المؤمن يأكل بشهوة عياله، والمنافق يأكل بشهوة نفسه»[1]، ذلك أنه من غير اللائق بالمرء أن يفرض رغباته في المنزل، حتى على مستوى اختيار وجبة الطعام التي تتشارك فيها العائلة، بل المستحسن دائمًا هو تقديم رغبة أفراد العائلة على رغبته، ومن ثم مشاركتهم في ذلك. هكذا تربي النصوص الدينية الإنسان المسلم على أن تكون إدارته لأسرته نابعة من الشعور بالشراكة، والحرص على نجاح هذه المؤسسة.

الانفتاح والتحمل المتبادل

كما أنّ من متطلبات الشراكة في الحياة الأسرية تحقق مبدأ الانفتاح والتحمل المتبادل بين الزوجين. فما يجري أحيانًا، هو إضمار كلٍّ من الزوجين لمشاعره السلبية تجاه الآخر، فقد يكون في نفس الزوج غضاضة تجاه زوجته، وقد يحدث العكس، مما يعني غياب الانفتاح، وافتقاد عنصر الشفافية بينهما، في حين ينبغي أن تكون بين الزوجين حالة انفتاح، فلعلّ الغضاضة الموجودة تعود لأسباب وهمية لا أساس لها، ولربما كانت أسبابًا تافهة لا تستحقّ الوقوف عندها أصلًا، وهذا بأجمعه لا يزول إلّا في ظلّ حالة انفتاح كامل بينهما. كما ينبغي أن تكون هناك حالة من التحمل المتبادل بين الزوجين، فالحياة الزوجية لا ينبغي أن تكون قائمة على التحدّي والعناد، فليس من اللائق أن ينظر كلا الزوجين للآخر باعتباره خصمًا يريد أن يكسره، فهذا أبعد ما يكون عن أجواء الشراكة والمودة، إنّ الحياة الزوجية ليست معركة نخوض غمارها

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٢١ ص٥٤٢، حديث ٣.

ليبحث كلٌّ طرف عن كسر إرادة الطرف الآخر والانتصار عليه. ذلك أنّ الانتصار في الحياة الزوجية حتى لو كان في صالح أحد الزوجين، فهو في عمقه هزيمة، وهو أبعد ما يكون عن النصر. وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «ما ظفر من ظفر الإثم به»[1]، وهزيمة أحد الزوجين للآخر إنما تمثل مصداقًا لهذه المقولة، فليس نصرًا أن يهزم الزوج زوجته، أو تنتصر الزوجة على زوجها، بل هو الهزيمة بعينها.

إنّ الشراكة الزوجية تقتضي الاحترام والمودة بين الطرفين. وقد وردت في هذا السياق العديد من النصوص الدينية التي تؤكّد أهميّة التحمل المتبادل، كما عن إسحاق بن عمار قال: «قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد؛ ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسنًا، قال عليه السلام: يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها»[2]، ومضمون الرواية ضرورة أن يتمتع الرجل بالمرونة والتسامح مع ما قد يبدر من زوجته من خطأ. وروي عنه صلى الله عليه وآله: «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر ما أعطاه داوود عليه السلام على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل ثواب آسية بنت مزاحم»[3]، والغرض من ذلك أن تتعزّز في النفوس حالة التحمّل والصبر المتبادل.

وبمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للأسرة، الذي يتزامن هذا العام مع مولد السيدة زينب عليها السلام، علينا أن نؤكّد مفهوم الشراكة في حياتنا العائلية، وأن تكون الأسرة قائمة على هذا المبدأ، بحيث يحرص الزوجان على إنجاح هذه المؤسسة الإنسانية؛ لأنّ في ذلك نجاحًا لحياتهما، ونجاحًا لذريتهما، فالذرية التي تنشأ في ظلّ أسرة منسجمة متراحمة، تكون ذرية أقرب للاستقامة والصلاح.

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم (٣٢٧).

(٢) الكافي، ج٥ ص٥١١، حديث ١.

(٣) بحار الأنوار، ج١٠٠ ص٢٤٧، حديث ٣٠.

العنصرية حين تنسب إلى الدين

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧٥].

يدرك الأسوياء بفطرتهم وعقولهم قبح الظلم والعدوان على أيِّ أحدٍ من الناس. كما يدركون لزوم احترام حقوق الآخرين المادية والمعنوية، وتأتي الشرائع والأديان لتأكيد ذلك أيضًا، وبذلك حين يعتدي أحدٌ على شيء من حقوق الغير، فإنه يكون مستحقًّا للمؤاخذة والعقاب، نظير ارتكابه الظلم والعدوان. ولعلّ أول مناشئ المؤاخذة هو ضمير الإنسان نفسه، ثم تأتي بعدها سلطة القانون العادل، لتعاقب الفرد المرتكب للعدوان، إلى أن ينتهي المعتدي إلى الوقوف بين يدي الله، فيقتصّ سبحانه منه لصالح المعتدَى عليه. ووفقًا للنصوص الدينية فإنّ الاعتداء على الغير يعتبر من الذنوب التي لا يعفو الله عن مرتكبها، فالله سبحانه يعفو عن الذنوب المتعلقة به عزّ وجلّ، أما ما يتعلق بالاعتداء على العباد فذلك شأن آخر، ليس لأحدٍ حقّ العفو عنه، باستثناء ضحايا الاعتداء أنفسهم. فالاعتداء على الناس يجعل المعتدي مستحقًّا للمؤاخذة والعقاب من داخل نفسه، ومن سلطة القانون، ومن قبل الله تعالى في الآخرة.

حرمة الإنسان وكرامته

إنّ حكم الاعتداء يتخذ صفة الشمولية. على أيّ إنسان، دونما خصوصية لدائرة دون

أخرى، فمهما كان عرق ذلك الإنسان وانتماؤه، فإن له حرمة وحقوقًا بصفته الإنسانية الصرفة، ولا يجوز الاعتداء عليه والتجاوز على حقوقه بأيّ حالٍ من الأحوال، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، ولم يخصص سبحانه التكريم بعرق من الأعراق دون غيره، بيضًا أو سودًا، مسلمين أو كافرين، بل شمل جميع بني آدم بالتكريم.

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما شيءٍ أكرم على الله من ابن آدم»[١]، وعنه ﷺ أنه قال: «الناس سواء كأسنان المشط»[٢].

وهذا تحديدًا ما يحكم به العقل وتؤكّده الشرائع، لكن النزعات الأنانية في ذات الإنسان، تنتج أفكارًا وتوجّهات عنصرية، وتقود هذه الأفكار العنصرية إلى الاعتقاد بأنّ من ينتمي إلى عرق أرقى من غيره، وأن غيره أدنى منه إنسانية، فيؤدي ذلك إلى تبرير ارتكاب التجاوزات على من يراهم أدنى منه، إمّا لاختلاف عرقي، كما ينظر العنصريون البيض للسود مثلًا، أو اختلاف طبقي، كما هو الحال مثلًا مع نظرة الهنود لطبقة المنبوذين.

الاختلاف الديني لا يسقط الحصانة

وتنسحب ذات الحالة العدوانية على المتغايرين دينيًّا ومذهبيًّا. فهناك عبر العالم ملايين البشر ممن ينتمون إلى أديان ومذاهب مختلفة، ويعتقد أصحاب كلّ دين بأن دينهم هو الصواب، ولكن هل يعطي اعتقاد أيّ فئة بأنها على الدين أو المذهب الصحيح الحقّ في التجاوز والاعتداء على أتباع الأديان والمذاهب الأخرى؟

إنَّ هناك تصورات منحرفة تعتري بعض المتدينين، حين يعمدون إلى التبرير لأنفسهم الاعتداء على حقوق الآخرين لمجرد أنّ أولئك ينتمون إلى دينٍ آخر باطل

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٢ص١٩٢، حديث ٣٤٦٢١.
(٢) كنز العمال، ج ٩ ص٣٨، حديث ٢٤٨٢٢، ومثله في بحار الأنوار، ج ٧٥ ص٢٥١، حديث ٩٩ عن الإمام الصاق عليه السلام.

بنظرهم، فيحتقرونهم ويسيئون إليهم، وينتقصون من حقوقهم المادية والمعنوية.

وكذلك الحال في التنوعات المذهبية، فكلّ طرف يعتقد اعتقادًا جازمًا أنه يعتنق المذهب الحقّ والعقيدة الصحيحة، ولكن هل يبرر هذا الاعتقاد الجور على أتباع المذاهب والمعتقدات الأخرى؟. إنّ ارتكاب العدوان تحت يافطة الاعتقاد بأننا على الدين أو المذهب الحقّ، لا يقبله العقل ولا يقبله الدين، ومنشأ هذه القناعات والارتكابات هي التصورات العنصرية الشيطانية النابعة من المصالح وحب الهيمنة.

والأسوأ هو نسبة هذا العدوان العنصري والعرقي إلى الدين. إنّ العنصرية بحدّ ذاتها فعل خطأ وظلم وانحراف، غير أنّ العنصرية المنسوبة إلى الدين هي أسوأ أنواع العنصريات؛ لأنها ببساطة افتراء على الله!، فهناك من يعمد إلى ظلم الناس مبرّرًا ذلك بأن الله يجيز له ارتكاب الظلم، وهذا ظلم مضاعف؛ لأنه فيه افتراءً على الله، وحاشا الله أن يأمر بالظلم.

الإسلام يرفض العنصرية

لقد تناول القرآن الكريم موضوع العنصرية المقيتة بالرفض في عدة مواضع. وقد لامست بعض الآيات مسألة دقيقة جدًّا، وهي اعتقاد بعض المتديّنين أنهم في منأى عن المحاسبة الإلهية، إذا تجاوزوا على حقوق المخالفين لهم في الدين أو المذهب، كما لو كان في ظنهم أن القيَم قابلة للتبعيض والتجزئة، ففي الوقت الذي يعتقد هؤلاء أن الكذب خصلة ذميمة، لكنهم يجيزون الكذب على من هم خارج جماعتهم أو دينهم ومذهبهم!، وقد يعتقدون أن الانتقاص من الآخرين رذيلة، لكن لا مانع من انتقاص غير المنتمين لدائرتهم الخاصة.

إنّ الله سبحانه وتعالى يمقت هذا السلوك كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّـهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، والأميون المقصودون في الآية الكريمة هم العرب، الذين ظنّ اليهود أنهم غير مؤاخذين في حال

مارسوا الكذب عليهم، أو استغابوهم، وأساؤوا إليهم، أو خانوهم؛ لأنّ هؤلاء العرب ليسوا إلّا جهلة وأميين وأتباع ديانة باطلة، غير أن الله سبحانه يردّ عليهم، ويصف جميع مزاعمهم تلك بالكذب، يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّـهِ الْكَذِبَ﴾، ذلك أن الله تعالى لا يمكن بأيِّ حالٍ أن يضفي الشرعية على ممارسة الظلم بحقّ أحدٍ من عباده، إن اليهود الذين أجازوا لأنفسهم التجاوز على العرب يومئذ، كانوا وفق الآية الكريمة يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم بذلك يكذبون على الله ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّـهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، غير أنّ حبّ الهيمنة وفرض السيطرة هو الذي يدفعهم بهذا الاتجاه.

ولعلّ أسوأ ما يعتري بعض المتديّنين أن يظنوا أنهم يتقربون إلى الله بإيذاء الآخرين. فلربما توجه المسلم المتعصّب لإيذاء الشخص المسيحي، لا لشيء إلّا لكونه مسيحيًّا! وكذلك الحال مع أولئك الذين يرتكبون الظلم بحق الآخرين لمجرد الاختلاف المذهبي لا غير، تحت مزاعم أن أولئك من المبتدعة، فيتجاوزون على حقوقهم. فأن يتقرب المرء لله بإيذاء عباده هذا هو غاية الجهل والانحراف؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يرضى بالظلم لأيِّ أحدٍ من عباده.

احترام حقوق الانسان

إنّ النصوص الدينية تشدّد على احترام حقوق الناس جميعًا بصرف النظر عن أديانهم وأعراقهم وألوانهم. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة هود، الآية: ٨٥]، فالآية الكريمة تشير هنا بوضوح إلى النأي عن بخس الناس حقوقهم المادية والمعنوية، دونما تخصيص لأصحاب دين أو مذهب معيّن. وفي آية أخرى يقول تعالى:﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٣]، وفي ذلك إشارة إلى حقّ جميع الناس علينا في أن نسمعهم القول الحسن، بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم، وفي آية ثالثة يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٨]، فالحكم بالعدل هو أمر إلهيّ يجري

بين كلّ الناس، لا بين المسلمين وحدهم، وليس مخصّصًا لأتباع هذه الطائفة أو تلك الجماعة حصرًا.

ولطالما حذّر النبي الأكرم ﷺ المسلمين من التجاوز على حقوق المخالفين لهم في الدين. فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة»[١]، فالنبي ﷺ يضع نفسه يوم القيامة خصمًا لمن يظلم معاهدًا، والمعاهد هو الفرد غير المسلم الذي يعيش بين المسلمين، فهو ﷺ لا يجيز بأيِّ حالٍ الاعتداء على أحدٍ لمجرد كونه من أتباع دين آخر، وعلى ذات المنوال ورد عنه ﷺ أنه قال: «من آذى ذميًّا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[٢].

كما شدّد أئمة أهل البيت عليهم السلام على أتباعهم على التعامل بالحسنى، واعتماد أفضل الأساليب مع المختلفين معهم في المذهب، وفي حين أن من حقّ أيِّ فئة أن تعتقد بأن مذهبها هو المذهب الحقّ، إلّا أنّه لا مبرّر مطلقًا للإساءة إلى أتباع المذاهب الأخرى، وقد جاء في الرواية عن عبد الله بن زياد قال سلمنا على أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام بمنى ثم قلت: يا ابن رسول الله، إنا قوم مجتازون ـ أي مسافرون ـ لسنا نطيق منك هذا المجلس كلّما أردناه فأوصنا، قال عليه السلام: «عليكم بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الصحبة لمن صحبكم وإفشاء السلام وإطعام الطعام، صلّوا في مساجدهم وعودوا مرضاهم واتبعوا جنائزهم فإن أبي حدّثني أن شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم»، أي إنّ أتباع أهل البيت يجب أن يكونوا نموذجيين في التعامل مع غيرهم في كلّ مجتمع يعيشون فيه.

---

(١) سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، ج٣، ص٤٩٧، كتاب الخراج والإمارة والفيء، حديث٣٠٥٢.
(٢) الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٥٨.



الخطبة الأولى

مستوى الجودة والإتقان في العمل

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»[1].

الحياة تفرض على الإنسان العمل والحركة، لتحصيل المكاسب، وتلبية المتطلبات، فلا خيار للإنسان في أن يعمل أو لا يعمل، وأن يتحرك أو لا يتحرك، فالحياة تفرض عليه أن يعمل وأن يتحرك. لكن التفاوت بين الناس، ليس في كونهم يعملون أو لا يعملون، وإنما يكمن التفاوت في مستوى العمل، ومدى الجودة والاتقان فيه، سواء كان على الصعيد الفردي أم العام.

والإتقان يعني أداء العمل في وقته المناسب، وخلوه من الخلل، وإنجازه طبقًا للشروط وضوابط الأداء. إنّ هناك من الناس من يحرصون على إتقان أعمالهم، فيما يتساهل آخرون في أداء أعمالهم إلى حدِّ التسيّب، فأمثال هؤلاء عودوا أنفسهم تلفيق أعمالهم كيفما اتّفق.

إنّ تعاليم الإسلام تحضّ الإنسان المسلم على الإتقان في العمل، فليست المسألة مجرّد أداء العمل كيفما كان، وإنما المهم هو الظهور بالعمل متقنًا وفي غاية الجودة.

---

(١) كنز العمال، ج٣، ص٩٠٧، حديث ٩١٢٨.

الإتقان سمة الوجود

ويمكن رؤية التأكيد المشدّد في تعاليم الشريعة على إتقان العمل ضمن العديد من الأبعاد. ويأتي على رأسها التأكيد الإلهيّ منه سبحانه وتعالى في خلق الإنسان، وتكوين جميع الخلائق في غاية التكامل والإتقان، وكأنّ الغاية من ذلك إخبار البشر أنّ الإتقان هو السمة المطلوبة في الكون والحياة، حيث يقول سبحانه: ﴿صُنْعَ اللَّـهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[سورة النمل، الآية: ٨٨]، فأين ما يمم الإنسان وجهه، وجد الإتقان الإلهي في آفاق الكون، وأنواع الخلائق، في كلّ جانب ومجال، إن في تكوين الذرّات أم في خلق المجرات.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[سورة السجدة، الآية: ٧]، وبذلك يخبرنا تعالى بأنّ كلّ شيء خلقه سبحانه، لا بُدّ وأن يكون على أعلى مستوى من الإتقان والجودة.

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين، الآية: ٤]، وفي آية أخرى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّـهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١٤]. وما ذلك كلّه إلا لأجل أن يلفت سبحانه نظر الإنسان إلى أنه يعيش في كونٍ صنع على أساس الإتقان، وتقوم سننه على الإتقان والإحكام، وبذلك فليكن عملك وتحركك أيّها الإنسان منسجمًا مع الحال العام في هذا الكون البالغ الإتقان.

الآداب الشرعية جودة في السلوك

وقد بلغ من الآداب والسنن الشرعية التي تدفع باتجاه الإتقان حدًّا تناول أدقّ التفاصيل الشخصية لدى الإنسان، في مختلف مجالات حياته. حتى الأمور الخاصة، كالنوم والأكل ودخول بيت الخلاء، فمع أنّ النوم حاجة بيولوجية للجسم، إلّا أنّ في الشريعة آدابًا ووصايا متعلقة بهذا الأمر، وكذلك دخول بيت الخلاء فهناك مستحبات ومكروهات، كما يجري الحال نفسه مع الآداب المتعلقة بالأكل والشرب، التي تتناول

المستحبات والمكروهات المتعلقة بالغذاء والشراب، بما يشمل ذلك الاهتمام بجودة الغذاء وطريقة تناول الطعام والشرب. وهناك عدد من النصوص الدينية الواردة حول ارتداء الملابس، من حيث النظافة والظهور بالمظهر الأنيق، إنّ جميع تلك الآداب والسنن جاءت لتربي الإنسان على الإتقان، لا مجرّد تأدية العمل كيفما اتفق.

الإتقان ميدان تنافس الأمم

لقد أصبح إتقان العمل اليوم محلًّا للتنافس المحموم بين الأمم والشعوب. فقد أصبحت المجتمعات تتسابق في إظهار مستوى الإتقان، في إنتاجها، وصناعاتها، وتعليمها، وخدماتها، فلم تعد المسألة أن يكون لديهم تعليم أو لا يكون، وإنما يكمن لبّ المسألة في مستوى ذلك التعليم وجودته، وكذلك الحال على مستوى الإنتاج الصناعي، والخدمات الصحية، حتى بات هناك مؤسسات دولية متخصصة في مراقبة مستوى الجودة والإتقان في كلّ مجالٍ من المجالات.

إنّ المراقب للأوضاع في مجتمعاتنا الإسلامية، يدرك بسهولة حجم الخلل الكبير، والعجز عن تقديم الأعمال المتقنة. وهذا بطبيعة الحال ما يؤدي إلى تعثّر التنمية في أوطاننا، نتيجة التسيب والإهمال على صعيد العمل، بالرغم من حجم الإنفاق الكبير الذي ترصده الحكومات، ذلك أنّ الحلقة المفقودة هنا، هي غياب الإتقان في أداء العمل. حيث تُنشأ المدارس وتُرصد لها الميزانيات التعليمية، ويُوظّف المعلمون، لكن تجد الخلل ضاربًا بأطنابه بدءًا من مناهج التعليم، إلى البيئة التعليمية، إلى إعداد المعلم، وصولًا إلى مستوى أداء المعلم لوظيفته، وهذا الخلل والتسيب هو الذي يؤدي إلى الفشل في مخرجات التعليم في الكثير من أوطاننا ومجتمعاتنا. والحال نفسه مع الخدمات الصحية، فهناك ميزانيات ضخمة معتمدة على هذا الصعيد، ومع ذلك يرى المواطن أنّ هناك خللًا كبيرًا في مستوى الخدمات المقدمة، ولو بحثنا عن سبب التردي هنا، فسنجد أنّ لبّ المشكلة أو جزءًا كبيرًا منها يكمن في تردّي مستوى

الجودة الإتقان في العمل.

ثقافة الإتقان

إنّ لغياب الجودة والإتقان في العمل أسبابًا وعوامل عديدة. ومن تلك العوامل الأساسية غياب ثقافة الإتقان حيث ينبغي أن يتربى الإنسان على هذه الثقافة منذ النشأة في المحيط العائلي، وخلال مرحلة الدراسة، وأثناء مراحل التدريب والتأهيل، إضافة إلى التوجيه والتثقيف العام، وما دمنا نمتلك هذا الوازع ضمن منظومتنا الدينية فينبغي أن نعمل على تفعيله، حيث نعتقد أنّ الله سبحانه يراقبنا وينظر إلى أعمالنا.

أيّها المعلم، لا تظنّن بأن مصدر الرقابة عليك هي إدارة المدرسة أو وزارة التعليم، بل أنت محاسب على عملك أمام الله سبحانه وتعالى، وكذلك الطبيب الذي يقدم خدماته العلاجية إلى المرضى، هو مؤتمن من قبل الله تعالى قبل أن يكون مؤتمنًا من إدارة المنشأة الطبية التي يعمل بها، أو من وزارة الصحة. لذلك ينبغي أن يظلّ شعور الإنسان قائمًا بأنّ الله سبحانه وتعالى يراقب عمله، وفقًا للآية الكريمة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٥]، وحين يتساهل أو يتسيّب في أداء الخدمة والواجب تجاه عباد الله، فإنه سيكون محاسبًا بين يدي الله سبحانه. من هنا ينبغي التأكيد دائمًا على ثقافة الإتقان وتفعيل الوازع الديني.

وإضافة إلى ما سبق، يُعَدّ إتقان العمل دليلًا على مدى احترام الإنسان لنفسه. ولا ينبغي أن يرضى لنفسه ولعمله الظهور مشوّهًا، فمن لا يجدّ في أداء عمله إنما يستهين بنفسه في حقيقة الأمر؛ لأنّ هذا العمل المشوّه سينسب إليه. وقد كتب أحدهم في سيرة أحد الخطباء، بأنّ ذلك الخطيب كان إذا أراد الذهاب إلى قراءة مجلس، فإنه يهتمّ بالتحضير الجيّد، وكان مدعوًا ذات مرة للقراءة في مجلس ليس فيه حضور كثير، وعلى قلتهم لم يكن الحاضرون في المجلس من ذوي المستويات، إلّا أنّه مع ذلك ظلّ يعكف على التحضير، فخاطبه الكاتب متسائلًا عن سرِّ إجهاد نفسه في التحضير لهذا

المجلس، فأجابه الخطيب بأني إنّما أجدّ في التحضير احترامًا لنفسي بالدرجة الأولى وحتى لا أقدّم خطابًا غير متقن، فالخطاب الذي ألقيه ينبغي أن أراعي فيه مستواي أنا، لا مجرّد قبول الآخرين له كيفما اتفق.

التحفيز والتشجيع

إنّ وجود عناصر التحفيز تُعَدّ من أهمّ العوامل المشجعة على الإتقان في العمل. ذلك أنّ الموظف والعامل في أيّ مجالٍ من المجالات إذا لم يجد صدًى أو مردودًا لإتقانه العمل، فستضعف عنده مع الوقت الدافعية لإتقان العمل، مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية وجود الحافز الذاتي والعامل الديني، لكن طبيعة البشر تتأثّر بالتقدير والشكر.

من هنا نجد المؤسّسات المهتمة بتطوير أداء منسوبيها تعمل على تفعيل جانب المحفّزات، التي تشجّع الموظفين والعاملين الذين يظهرون اهتمامًا أكبر بعملهم، والمؤسف أنّ ما يجري في مؤسساتنا الوطنية أحيانًا هو العكس تمامًا، فقد يأتي الموظف ولديه اندفاع كبير للعمل، غير أنه لا يحظى بالتقييم المناسب، بل يرى كيف تتورط إدارته في تقييم العاملين اعتمادًا على المحسوبيات والانتماءات المختلفة، وسرعان ما يضعف عنده مستوى الدافعية؛ لأنّ الأمر سيّان، أتقن عمله أم لم يتقن، وهذا أمر خطأ دون شك، غير أنّ الطبيعة البشرية تبقى عرضة للتأثر بوجود العوامل المحبطة وغياب عناصر التحفيز.

الرقابة والتقويم

وأخيرًا تأتي أهمية وجود الرقابة والتقويم العام ضمن العوامل المؤدية للإتقان في العمل. فهي أمر بالغ الأهمية، سواء كان من قبل الجهات الرسمية أم الأهلية، فهناك على مستوى العالم مؤسسات لا تسكت على وجود الخلل بل تدفع باتجاه التحرك

الرسمي والشعبي نحو استئصال الأخطاء، ولها أثر كبير في التوجيه نحو الإتقان والإحكام.

إنّ الحديث الوارد عن الرسول ﷺ: «إنّ الله تعالى يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» يحفّز لدينا الوازع الديني، فالله سبحانه وتعالى يحبّ الإتقان، فإذا كان المرء يصلي ويصوم ويتعبّد الله لأنّ الله يحبّ منه ذلك ويثيبه عليه، فكذلك الحال مع ضرورة الإتقان في العمل الذي ينبغي أن يظهر على أحسن ما يكون؛ لأنّ الله يحبّ منّا ذلك. فالمقاول الذي يعمل على بناء المساكن والعمارات للناس، يحبّ الله منه الإتقان في عمله، بينما يرقى التساهل في العمل إلى حدِّ خيانة الناس الذين وثقوا به. وهكذا الحال في سائر الخدمات الطبية والتعليمية وغيرها، ينبغي أن يعلم الإنسان أنّ الله تعالى سيحاسبه على عمله. إنّ الخلل في إتقان العمل هو الذي ينتج عنه هذا التخلف العام الذي نعيشه على مستوى التنمية في أوطاننا.

رفد الجمعيات الخيرية بالطاقات والكفاءات

ورد عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «عليكم بأعمال الخير فتبادروها ولا يكن غيركم أحقّ بها منكم»[1].

تمثل مسألة الانخراط في الشأن العام وخدمة الآخرين تطوعيًّا، ذروة العطاء المدفوع بالروح القيمية والوعي الحضاري. فأن يبادر الإنسان إلى نيل المكاسب الشخصية، فتلك نزعة غريزية طبيعية، ذلك أنّ كلّ إنسان حريص على اغتنام أيّ فرصة تلوح أمامه، لتحصيل المكاسب المرتبطة بمصالحه الذاتية. فحين يُعلن عن منح أراضٍ للمواطنين، أو اكتتاب مربح في سوق الأسهم، أو فرص وظيفية جيدة، فإنّ من الطبيعي أن يسعى كثيرون لنيل تلك الفرص، ولكن أن يبادر الإنسان إلى الانخراط في الشأن العام، ويسابق غيره إلى خدمة الآخرين طوعيًّا، فهذا ما يحتاج إلى دافع قيمي، ووعي حضاري لا يتسنّى إلّا للقلة من الناس.

الدافع القيمي

ويتمثل الدافع القيمي الذي يدفع إلى خدمة الآخرين، في ثراء وجدان الإنسان، وفيض مشاعره النبيلة. فقد أودع الله في أعماق الإنسان وجدانًا وفطرة يدفعانه نحو الخير وخدمة الآخرين، كما أنّ الانتماء الإيماني من الدوافع الأساسية لعمل الخير،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٥٦، حكمة ٢.

على قاعدة الإيمان بالله، والاعتقاد أنه سبحانه يريد من الإنسان فعل الخير للآخرين، ويثيبه على ذلك.

وتحفل النصوص الدينية بكثير من التعاليم الحاثّة على المبادرة إلى خدمة الناس، وفعل الخير للآخرين. ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «عليكم بصنائع المعروف فإنها نعم الزاد إلى المعاد»[١]، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أول من يدخل الجنة أهل المعروف»[٢]، وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ المؤمن منكم يوم القيامة ليمرّ عليه الرجل وقد أمر به إلى النار، فيقول له: يا فلان أغثني، فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا، فيقول المؤمن للملك: خلِّ سبيله: فيأمر الله الملك أن أجز قول المؤمن»[٣]، فإذا ما فعل الإنسان الخير للناس فقد يكون ذلك حبل إنقاذ وطوق نجاة له في الآخرة. كما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، قيل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال يغفر الله لهم بالتطول منه عليهم فيدفعون حسناتهم إلى الناس فيدخلون بها إلى الجنة، فيكونون أهل المعروف في الدنيا والآخرة»[٤]. إنّ من يعطي الناس في الدنيا، فإن الله سبحانه سيهبه يوم القيامة رصيدًا هائلًا من الثواب والحسنات، يعطي الناس منها يوم القيامة، خاصة أقرباءه وأرحامه، ومن يعرفهم، ومن يريد التشفع فيهم.

الوعي الحضاري

وإلى جانب الدافع القيمي يأتي الوعي الحضاري، باعتباره دافعًا آخر يقود إلى خدمة الآخرين. انطلاقًا من إرادة الإنسان الجادة في رؤية المجتمع الذي ينتمي إليه مجتمعًا قويًّا، وأن يكون الوطن الذي يعيش في كنفه وطنًا متقدّمًا، وهذا لا يكون إلّا

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٥٦، حكمة ١٣.

(٢) دعائم الإسلام، ج ٢، ص ٣٢١، حديث١٢١١.

(٣) أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ١٨٥.

(٤) تحف العقول، ص٥٦.

إذا تسابق أبناء الوطن نحو التكافل والتعاون فيما بينهم، ولعلّ نظرة عابرة إلى الشعوب التي باتت تنافس على الريادة عالميًّا، سنجدها من حيث الجوهر تسلك طريق المعروف للناس، من أجل أن تؤكّد حضورها الدولي وريادتها العالمية. ومن تجلّياته انبثاق المؤسسات الخيرية والإغاثية العالمية، من شعوب تتطلع إلى أن تكون في موقع الريادة والقيادة على مستوى العالم.

لقد أصبح العمل الخيري في عالم اليوم، ميدانًا للمعرفة ولتراكم الخبرات والتجارب. وهناك كثير من البحوث والدراسات لتخطيط وتطوير العمل الخيري التطوعي، حيث انبثقت مؤسسات تراقب العمل التطوعي عبر العالم، سعيًا وراء تطويره وتقدّمه، وخلق المنافسة في ميادينه.

ونحن كمسلمين، ينبغي أن نكون أحرص على المبادرة لعمل الخير، وخدمة المجتمع، اقتداء بأمير المؤمنين عليه السلام القائل: «عليكم بأعمال الخير فتبادروها ولا يكن غيركم أحقّ بها منكم».

لذلك يأتي السؤال عن علة التنافس الواسع في المجتمعات الأخرى في مجال العمل الخيري التطوعي، بينما تعاني الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية في مجتمعاتنا من ضعف الإقبال وقلة التفاعل معها؟، والجواب يكمن في تربية المجتمعات الأخرى أبناءها على المشاركة في الأعمال التطوعية من بواكير حياتهم. وقد تحدثت تقارير كثيرة عن بعض الأفكار المميزة المطبقة في عموم المدارس الابتدائية البريطانية، مثل تخصيص يوم لكي يأتي الأطفال ببعض المبالغ البسيطة من ذويهم كتبرعات لصالح لجمعيات الخيرية، أو لرفد حملة إغاثية لمناطق منكوبة وما أشبه ذلك، من أجل أن يتعوّد الأطفال منذ الصّغر عمل الخير والتطوع.

المسلمون أجدر بالإقبال على العمل الخيري

ولعلّ الاطّلاع على التقارير المنشورة حول حجم العمل الخيري التطوعي

في العالم، وانكماشه في مجتمعاتنا في المقابل أمر يبعث على الأسى، سيّما وأن مجتمعاتنا تتلو القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، كما تستمع إلى كمٍّ هائل من الخطب والأحاديث، فلماذا نعاني من شحّ الإقبال على العمل الخيري التطوعي قياسًا على المجتمعات الأخرى؟

وفي هذا السياق تحدث مدير مبادرة متطوعو العرب في الجامعة العربية، قائلًا: إنّ العمل التطوعي في العالم العربي يعدّ الأضعف قياسًا على الدول الأوروبية والأمريكية، وهذا ما تعكسه الأرقام المتداولة في هذا المجال، إذ إنّ ما نسبته ٨٠ بالمئة من الشباب الأوروبي الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ٣٥ بالمئة ينشطون في العمل التطوعي، في مقابل ثمانية بالمئة فقط من الشباب العرب يشاركون في العمل التطوعي[١].

وفيما يتعلق بمجتمعنا، فقد أصبحت الشكوى الرئيسة لدى الجمعيات الخيرية هي قلة المتطوعين أكثر من شحّ الموارد المالية. وقد جمعتنا خلال الأسبوع الماضي سلسلة لقاءات بعدد من رؤساء وإداريي الجمعيات الخيرية في المنطقة، بعد أن أجرينا لقاءات مع رئيس كل جمعية، وكان بعدها لقاء موسّع مع جمع من إدارات الجمعيات الخيرية، ولمست خلال الاجتماعات شكوى معظم هذه الجمعيات من ضعف الموارد البشرية حصرًا، فلم تعد المشكلة عندها تكمن في قلة الموارد المالية كما كان سابقًا، سيما بعد أن اتجهت معظم الجمعيات نحو تأمين مواردها المالية من خلال الاستثمار، بعد أن سمحت وزارة الشؤون الاجتماعية بذلك، علاوة على المساعدات الآتية من أهل الخير والشركات.

إنّ المشكلة الرئيسة لدى الجمعيات الخيرية باتت تكمن في ضعف التفاعل من قبل المجتمع، ويتمثل ذلك في قلة الأعضاء المشتركين، الذين يحقّ لهم حضور الجمعية

---

(١) جريدة الخبر الصادرة بتاريخ ٧ مايو ٢٠١٤م.
http://www.elkhabar.com/press/article/40377/#sthash.ywUH66wX.dpbs

العمومية والمشاركة في الانتخابات. لا يكفي الاقتصار على التبرع للجمعيات بمبالغ وإن كانت كبيرة، إنما تحتاج الجمعيات إلى منحى تطوعي يرفدها بالجهد الشخصي، والوقت والفكر والمشاركة في التخطيط، وهذا من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، فالله سبحانه لم يرزقنا المال فقط، بل أعطى الإنسان القوة والرأي والجهد والجاه، وفي كلّ شيءٍ من تلك النعم زكاة، فهناك زكاة للوقت والجاه والكفاءة الفكرية والإدارية. من هنا، فالجمعيات بحاجة ماسّة إلى من يشارك فيها بالعمل وبذل الجهد والوقت، وإلّا فما الفائدة في أن تكون للجمعية ميزانية كبيرة في ظلّ غياب الكفاءة الإدارية القادرة على التخطيط والإنتاج الأفضل؟

المؤسسات الخيرية واجتذاب الكفاءات

إنّ مسؤولية المجتمع تنصب بشكل أساس في رفد الجمعيات الخيرية بالعناصر المؤهلة. ولعلّ شكوى كثير من الناس من أداء الجمعيات الخيرية مردّه إلى ضعف الموارد البشرية عند هذه الجمعيات، فالمطلوب رفدها بالكفاءات والقدرات حتى نتوقع منها بعد ذلك أداءً أفضل، وأول هذه المهمات تعزيز قائمة المشتركين في عضوية الجمعيات، فليس مقبولًا أن مدينة تضم عشرات الآلاف من الناس، فيما لا تتجاوز قوائم المشتركين في الجمعية الخيرية مئات من المشتركين!، فأين هؤلاء الناس من الاشتراك في عضوية الجمعية الخيرية التي تخدم منطقتهم؟ لذلك نهيب بالجميع أن يسعوا للاشتراك في عضوية الجمعية الخيرية العاملة في منطقتهم، ونتمنّى أن نصل إلى المرحلة التي تقول فيها الجمعيات الخيرية، أنّ لديها فائضًا من الأعضاء المشتركين، وقد أصبحوا بحيث لم تعد هناك إمكانية لجمعهم في قاعة واحدة.

وهناك مشكلة أخرى تكمن في أنّ بعض المشتركين يبخلون بساعة أو ساعتين من وقتهم لحضور الجمعية العمومية السنوية، ومناقشة التقرير السنوي للجمعية، وإبداء الملاحظات عليه، وإيصال الملاحظات والانتقادات لإدارة الجمعية مباشرة، وصولًا

إلى المشاركة في الانتخابات ترشّحًا وترشيحًا، فإدارة الجمعية منتخبة من الأهالي، فإذا أقبل الناس على المشاركة، وتقديم آرائهم وأصواتهم الانتخابية، فإنهم سينتخبون من هم أكثر كفاءة وإتقانًا للعمل. إنّ قلة المرشّحين المتقدمين لإدارة الجمعيات الخيرية في بعض مناطقنا، يكشف عن مشكلة حقيقية في مجال العمل الخيري التطوعي، فأين حرصنا على تنمية مجتمعنا؟ وأين وعينا بأهمية الخدمة الاجتماعية، التي يحثّ عليها ديننا؟

فالمطلوب من كلّ من لديه كفاءة إدارية أكاديمية، أو في أيّ مجال من المجالات، أن يشترك في أيّ جمعية أو مؤسسة لخدمة المجتمع، وليبذل زكاة جهده ووقته من أجل مجتمعه. كما أهيب في الوقت نفسه بالجمعيات الخيرية نفسها، أن تسعى للبحث عن الكفاءات والقدرات، وأن تستوعبها ضمن أجهزتها، ذلك أنّ ما يجري أحيانًا هو وجود ضعف لدى هذه الجمعيات في الاجتذاب والاستقطاب. إنّ ما هو أهمّ من تحصيل الإمكانات المالية للجمعيات هو الحصول على الكفاءات والطاقات البشرية، وأن نجتذبها لمؤسساتنا الخيرية، كما أنّ من الضروري أن تتجه الجمعيات إلى توظيف وتفريغ بعض الكفاءات لأداء أعمالها؛ لأنّ بعض الأعمال لا يكفي أن يقوم عليها متطوعون بدوام جزئي، فإلى جانب المتطوعين قد تحتاج الجمعية لتفريغ بعض الكفاءات بدوام كامل، من أجل ضمان القيام بدورها على أكمل وجه.

الخطبة الأولى

العطلة الصيفية وفرص التطوير

جاء في وصية النبي ﷺ لأبي ذرٍّ الغفاري: «يا أبا ذرّ، كن على عمرك أشحَّ منك على درهمك ودينارك»[(١)].

ثمة أشياء في الحياة لا يمكن تعويضها إن فقدت، وأهمها عُمر الإنسان نفسه. فقد يفقد المرء بعض أو سائر ما يمتلكه من مال أو متاع، إلّا أنّ تعويض جميع ذلك يبقى أمرًا ممكنًا، فتلك طبيعة الأمور، خاصة في مجالات التجارة والأعمال. غير أنّ عمر الإنسان المتمثل في أيامه وساعاته في هذه الحياة، هي مما لا يمكن تعويضها إن فات شيء منها، ذلك أنّ رصيد الإنسان من الحياة محدود، فقد وضع الله سبحانه لكلِّ أحد، في «بنك الحياة» رصيدًا محدّدًا من العمر، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٦١] ويتضح جليًّا مدى قصر عمر الإنسان عند القياس مع حجم الطموحات والآمال الكبيرة التي يحملها، بسبب تميّزه بنعمة العقل، والروح التي بثّها الله ونفخ فيه من روحه. ومهما طال عمر الإنسان، الذي بلغت معدّلاته اليوم في بعض البلاد حدَّ الثمانين سنة، فإنّ ما يفقده من رصيد عمره المحدود، وأيامه المعدودة تلك، لن يتسنّى له تعويضها بأيِّ حالٍ من الأحوال، ما يعني ضرورة حرص الإنسان أشد ما يكون الحرص على كلّ لحظة من لحظات حياته.

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص٥٢٧.

استثمار كلّ لحظة حياة

وتضمّنت التعاليم الدينية الكثير من الوصايا في الدفع باتجاه استثمار أيام العمر وساعاته. ومن ذلك ما جاء في وصية رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ الغفاري: «يا أبا ذرّ، كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك»، فإذا كان المرء حريصًا على الحفاظ على مختلف أمواله من التلف والضياع، ويسعى بكلّ السُّبل نحو تنميتها، فإن الحرص ينبغي أن يكون مضاعفًا إزاء أيام عمره وساعات حياته.

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال «إنّما أنت عدد أيام، فكلّ يوم يمضي عليك يمضي بعضك»[(١)]، إنّ الإنسان كتلة من الزمن في هذه الحياة، وكلّما ذهب جزء من ذلك الزمن ذهب معه قسط من حياته، كما روي عنه عليه السلام قوله: «ما أنقصت ساعة من دهرك إلّا بقطعة من عمرك»[(٢)]، وهذه كلمات رائعة ينبغي أن تلفت النظر إلى حقائق يغفل عنها الإنسان، مع كونها حقائق يعيشها عمليًّا.

فائض الوقت في العطل

ضمن هذا السياق يمكن الحديث عن العطل الصيفية، واستثمار فائض الوقت فيها، فيما يعود بالنفع على الجميع. فالعطلات على نحو عام ومنها العطل الصيفية جاءت انعكاسًا لتطور قوانين العمل في العصور الحديثة، وقد بات للموظفين والطلاب بموجب ذلك حق التمتع بإجازات سنوية وعطل صيفية. من هنا يأتي السؤال عن الكيفية التي ينبغي أن يتعامل بها الناس مع هذه الإجازات والعطل، وما إذا كان يصلح التعامل معها باعتبارها إضافة غير محسوبة من العمر!؟ إذ إنّ هذا ما يبدو عليه تعامل بعض الناس مع إجازاتهم وعطلهم!، وتبعًا لذلك لا يبدون حريصين ولا مهتمين باستثمار هذا الوقت من حياتهم، وهذا خطأ كبير يقع فيه هذا الصنف من الناس. إنّ

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٥٠، حكمة٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٨١، حكمة١١٨.

كلّ لحظة وساعة ويوم من عمر الإنسان هو قطعة من حياته، وإنّ عليه أن يستفيد منها وأنّ يستثمرها فيما ينفعه دنيا وآخرة.

ويهمّنا في هذه المساحة أن نتناول البرامج المخصصة لأبنائنا وبناتنا الطلاب خلال العطلة الصيفية، في بعدين أساسيين، يتعلق أحدهما بضرورة استثمار هذا الوقت، واستثمار طاقات أبنائنا خلاله، بحيث نحول العطلة الصيفية إلى فرصة للنمو والاستفادة النوعية، وجعلها قفزة تحقق المزيد من التقدم في حياة أبنائنا وبناتنا، عوضًا عن اعتبارها وقتًا ميّتًا، يجري قتله وإمضاؤه على أيِّ نحو كان. ومع التقدم الكبير الذي شهدته البشرية في العصر الراهن، فقد بات من الممكن الاستفادة على نحو أفضل من العطل الصيفية، خاصة في ظلّ وجود البرامج والوسائل والتسهيلات المتاحة في هذا السبيل.

العطل ومزالق الانحراف

أما البعد الآخر والأخطر فهو حماية الأبناء والبنات من الانزلاق خلال العطلة الصيفية إلى طريق الفساد والانحراف. ذلك أنه وبحسب الدراسات الاجتماعية الميدانية، ترتفع معدلات السلوكيات الطائشة والمنحرفة، في أوساط الشباب، خلال العطل الصيفية، والعامل الجوهري الذي يقف خلف ذلك هو زيادة أوقات الفراغ عند الشباب، التي لا يجري التعامل معها على نحو سليم. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «من الفراغ تكون الصبوة»[1]، والمقصود بالصبوة هنا، هي الأعمال والممارسات الصبيانية الطائشة والمنحرفة، خاصة في ظلّ وجود من يستثمر هذا الفراغ عند الشباب لجرّهم نحو الانحرافات، وعلى رأس هؤلاء المستفيدين مافيا المخدّرات، والعصابات، والتجمعات الفاسدة، فالعطلة الصيفية عند هذه الفئات المنحرفة فرصة ثمينة لاصطياد الشباب والفتيات، وايقاعهم في بؤر الفساد والانحراف.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٧٥، حكمة١٥١.

البرامج الجاذبة الهادفة

وهنا يأتي الدور الحيوي للعائلات والمؤسسات الاجتماعية، والواعين في المجتمع، إزاء الاستفادة من العطلة الصيفية، في كسب الشباب نحو الاهتمامات المفيدة لهم ولمجتمعاتهم وأوطانهم. إنّ على كلّ عائلة أن تهتم بالتخطيط لاستثمار العطل في تنمية الأبناء، ومع بقاء الترفيه عنصرًا أساسيًّا، لكنه ليس كلّ شيء، فهناك برامج معروفة على مستوى العالم، وعلى مستوى المنطقة، ومن ذلك الرحلات المعرفية الصيفية، التي تتضمن إلى جانب الترفيه برامج معرفية وعلمية مفيدة، تطور من قدرات الأبناء والبنات، وتصقل مهاراتهم، وتطلعهم على آفاق جديدة مفيدة. وفضلًا عن ذلك، ينبغي على الصعيد المحلّي أن يجري تصميم البرامج المتنوعة التي تستوعب جلّ الأبناء والبنات خلال العطلة الصيفية.

ليس من الصّواب الاقتصار على نمطٍ واحد من البرامج الصيفية. فليس كلّ الأبناء متحمسين لدخول الدورات الدينية والثقافية، هناك من لديه ميول ومهارات فنية، وآخر تستهويه المجالات الرياضية، وثالث اهتماماته بيئية، وتبعًا لذلك ينبغي أن تخطط العوائل وأن تنشط المؤسسات الاجتماعية في هذا السبيل، وبإمكانها التخطيط لبرامج صيفية كثيرة، يتم من خلالها استقطاب القدرات والطاقات القادرة على إجراء الدراسات والأبحاث المفيدة، من الطلاب، والاساتذة الجامعيين، وأصحاب المهارات المختلفة، ولتصنع منهم فرقًا ناشطة في مجال البحث والدراسات الميدانية، حتى لو كان ذلك في مقابل مكافآت ومحفزات مختلفة، وهناك كثيرون ممن هم مستعدون لخدمة مجتمعهم متى ما رأوا في ذلك العمل والخدمة تطويرًا لكفاءتهم وقدراتهم. وعلى ذات المنوال ينبغي أن تجتهد الأندية الرياضية، والحال نفسه مع المساجد واللجان القرآنية، والمواكب الحسينية.

وفي هذا الصدد سبق لي الحديث مع عدد من مواكب العزاء حول ضرورة تطوير برامجها، وعدم الاقتصار على إقامة العزاء في أوقات المناسبات الدينية فقط،

فالموكب الواحد من هذه المواكب قد يحتضن المئات من الشباب، وينبغي أن تقوم إدارة الموكب باستدعاء هؤلاء الشباب خلال العطلة الصيفية، وإفادتهم من خلال تقديم العديد من الدورات التثقيفية والمهارية، لتقوية قدراتهم وصقل مواهبهم، ويكفي لو حضر من شباب الموكب عشرة أو عشرون بالمئة، لأصبح عندنا عدد معقول من الشباب المنخرط في النشاط الصيفي للموكب.

ونلفت النظر أخيرًا إلى الاهتمام بوضع الفتيات، ذلك لأنّ البرامج الصيفية المخصصة للأولاد تُعَدّ أكثر نشاطًا في مجتمعنا، بخلاف البرامج المخصصة للفتيات، وربما يعود ذلك لمحدودية القدرة على الحركة بالنسبة للنساء إجمالًا، وهذا للأسف مدخل واسع لهدر الإمكانات والطاقات المجتمعية، فالمرأة كما الرجل تمامًا، طاقة كبيرة يمكن الاستفادة منها في مختلف المجالات التنموية والمعرفية والاجتماعية المختلفة، ومن واجبنا جميعًا أن نوفّر لفتياتنا أجواء الخير والصلاح، حتى لا تستغلّ من قبل التوجّهات الفاسدة والمنحرفة.

كما ينبغي أن نوجه المزيد من الدعم المالي في خدمة الأنشطة الصيفية المخصصة لتنمية وتطوير أبنائنا وبناتنا، وذلك بنفس الحماس الذي نوليه لدعم إحياء المناسبات الدينية.

الخطبة الثانية

اصطناع المعروف لكلّ النّاس

جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ابذل معروفك للناس كافة، فإنّ فضيلة المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء»[1].

ثمة تساؤل مطروح، عمّا إذا كانت سُبُل المساعدة وإسداء المعروف وتقديم الإحسان، ينبغي أن يكون مقتصرًا ومحصورًا ضمن دائرة المتوافقين عقديًّا وفكريًّا. فلا يعود عندها يشعر الإنسان بآلام أخيه الإنسان الآخر، ما لم يكن متوافقًا معه في العقيدة والدين، فضلًا عن الإحسان إليه؟

إنّ من المعروف أن الإنسان يُسرّ بوجود من يوافقه الرأي والعقيدة ضمن محيطه العام، لما في ذلك من تأكيد الثقة الذاتية، والرضا عن النفس وسلامة المسار، وهذا جانب من أسرار انجذاب الناس المتوافقين عقديًّا وفكريًّا لبعضهم بعضًا، كما أنّ هذه نزعة طبيعية عند الإنسان، قد تزداد أوارًا في ظروف التنافس والصراع الاجتماعي. وذلك ما ينصّ عليه القرآن الكريم؛ فالآية الكريمة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ طبّقها القرآن الكريم على أصناف عديدة من الكفار والظالمين واليهود والنصارى، كما طبّقها على المؤمنين أيضًا، فقد جاء في الآية ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. غير أنّ غياب التوافق الديني والفكري، هل يُعَدّ سببًا مقبولًا يمنع اصطناع المعروف مع الآخرين؟.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٧٥، حكمة ٧.

تحجيم النزعة الإنسانية

إنّ المتأمّل من زاوية وجدانية يجد أن لدى الإنسان نزعة أكثر اتّساعًا وهي النزعة الإنسانية. وجوهر تلك النزعة، ميل الإنسان إلى أخيه الإنسان، والتعاطف معه، ويعزّز الدين هذه النزعة الإنسانية، من خلال رفض اصطناع الحواجز العالية بين الإنسان وإخوانه من بني البشر، نتيجة اختلافهم معه في العقيدة.

إنّ من الصحيح أن للمتوافقين مع الإنسان في الدين حقًّا أوفر عليه، لكن هذا لا يعني بأيِّ حالٍ إسقاط حقوق الآخرين من المختلفين دينيًّا، ولا يعني الإجحاف والجفاء إزاءهم. ومؤسف أنّ بعض المتدينين وقعوا في سوء الفهم حين اعتقدوا أنهم ملزمون حصرًا بمساندة أبناء جماعتهم وأهل ملّتهم، وتأسّست في هذا السبيل مؤسّسات وجمعيات تعاونية وإغاثية، لكن خدماتها بقيت مقتصرة على المستحقين من لون ديني واحد، فيما نأت تمامًا عن تقديم الإغاثة والعون للمستحقين من غير المسلمين. ثم انسحبت التصنيفات الدينية في هذه المؤسسات على الداخل الإسلامي، فصارت تحصر مساعداتها في أتباع أهل مذهب دون أتباع المذاهب الأخرى. وفي هذا تحجيم بالغ لنزعة الخير ومشاعر النّبل الموجودة في أعماق الإنسان.

والأسوأ هو اعتقاد بعض المتديّنين: أن من صميم واجبهم الديني، أن يكونوا عدوانيين تجاه من يخالفهم في الدين أو المذهب. وهذا ظلم وانحراف واضح، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل الظلم ولا الاعتداء على الآخرين.

لا حواجز في عمل الخير

إنّ النصوص الدينية، تؤكّد بما لا يقبل الشك، على أنّ عمل الخير والإحسان إلى الناس، لا ينبغي أن يحدّده دين، أو مذهب، أو انتماء، وإنما ينبغي أن يكون منفتحًا على أبناء الإنسانية جمعاء.

وقد وردت نصوص دينية كثيرة تحضّ على بذل المعروف لكافّة الناس دونما تمييز. فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الخلق كلّهم عيال الله فأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ أنفعهم لعياله»[١]، وقد تحدث النبي الأكرم عن الخلق أجمعين ولم يحصر حديثه في المسلمين وحدهم.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل جدّه ﷺ «: من أحبّ الناس إلى الله؟ قال: أنفع الناس للناس»[٢]، ولم يقلّ أنفعهم للمسلمين.

وأكثر من ذلك، فقد جاءت نصوص صريحة تدفع باتجاه الإحسان لغير المسلمين، كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨]، وقد تضمنت الآية الكريمة وصايا صريحة بالبر والقسط مع غير المسلمين.كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ابذل معروفك للناس كافة فإنّ فضيلة فعل المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء» فبذل المعروف ينبغي أن يكون موجّهًا «للناس كافة».

ونجد النبي الأكرم ﷺ يوصي على نحو صريح باصطناع الخير حتى لمن يُصنّفون فجّارًا ومنحرفين. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «رأس العقل بعد الدين التودّد إلى الناس واصطناع الخير إلى كلّ برٍّ وفاجر»[٣]، ولعلّ في ذلك ردًّا على من يريد حرمان بعض المستحقين لمجرد انحرافهم الديني، وما يدريك، لعلّ في اصطناع الخير إعانة لذلك المنحرف على الاهتداء للطريق الصحيح.

وهناك قصة متداولة قيل أن مجوسيًا استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: إن أسلمت أضفتك، فمرّ المجوسي فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم لم تطعمه إلّا بتغيير دينه، ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك، فمرّ إبراهيم

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٦ ص٣٤٥، حديث٢١٧٢٠.
(٢) الكافي، ج٢ ص١٦٤، حديث ٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٧١ ص٣٩٢، حديث١٢.

يسعى خلف المجوسي، فردّه وأضافه فقال له المجوسي: ما السبب فيما بدا لك؟ فذكر له، فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني ثم قال: أعرض على الإسلام، فأسلم[١]. فكانت كلمات إبراهيم هذه مفتاحًا لدخول الرجل في الإيمان وتركه الكفر.

أولويات لا تمنع التوسع

ليس من منطق الإسلام وضع حدود دينية أو قومية على فعل الخير للناس. إنّ من الصحيح إعطاء الأولوية للأرحام على قاعدة «الأقربون أولى بالمعروف»، لكن ذلك لا يعني الاقتصار عليهم، واحتكار عمل الخير فيهم وحدهم، وورد في رواية عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «أخذ أبي بيدي ثم قال يا بني، إنّ أبي محمد أخذ بيدي كما أخذت بيدك، وقال إنّ أبي علي بن الحسين أخذ بيدي، وقال: يا بني افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله»[٢].

وروى معلّى بن خنيس أنّ الإمام الصادق عليه السلام خرج ومعه جراب من خبز، فأتينا ظلة بني ساعدة، إذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين تحت وسادة كلّ واحد منهم، حتى أتى على آخرهم ثم انصرفنا، فقلت؛ جعلت فداك، يعرف هؤلاء الحقّ؟ فقال: لو عرفوه لواسيناهم بالدقة ـ وقيل الدقة أي الملح ـ»[٣]، وفي ذلك إشارة من الإمام عليه السلام أنّ المطلوب إسداء الخير والمعروف لجميع الناس، سواء عرفوا الحقّ أم لم يعرفوه، آمنوا بديننا ومذهبنا أم لم يؤمنوا. إنّ من المؤسف جدًّا انكفاء عمل الخير في أوساط المسلمين واقتصاره على حدود جماعتهم، في حين نجد كيف تقوم المجتمعات الأخرى بأعمال الخير والبر بشكل مفتوح، وعلى مستوى الكرة الأرضية برمّتها.

---

(١) الإمام محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، (بيروت: دار الهادي)، ص٢٢٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٩٤، حديث ٢١٥٨٤.

(٣) الكافي، ج٤، ص٩.

الاهتمام بالعمالة الأجنبية

من هنا ينبغي أن نكون أكثر التزامًا بتعاليم ديننا إزاء بذل المعروف للجميع. سيما وأن بلادنا تعجّ بالعمالة الأجنبية، وسواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، فهم جميعًا بشر مثلنا، من الواجب أن نعطف عليهم، وأن نحسن إليهم، ولو بإيصال الماء البارد لهم، سيّما أولئك العاملون في أجواء مفتوحة في حرّ الصيف، وتحت أشعة الشمس الحارقة، فضلًا عن تهيئة السكن اللائق لهم، ذلك أنّ هؤلاء العمال يعيشون في كثير من الأحيان في ظروف مزرية. إنّ علينا أن نهتم بهؤلاء كما نهتم بأبناء مجتمعنا، فهؤلاء بشر، وسيسألنا الله تعالى يوم القيامة عنهم، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»[١]، وقد تحدث النبي هنا عن الجار دونما تحديد أو اشتراط في أن يكون مسلمًا أو غير مسلم.

إنّ من المعيب جدًّا في مجتمعاتنا النظر للآخرين نظرة ازدراء وتعالٍ لمجرّد كونهم عمّالًا أجانب فقراء. أوليس هؤلاء هم من يساعدونا في بناء بلادنا، ولولاهم من يا ترى سيكنس شوارعنا ومن يبني بيوتنا؟ وقد رأينا عندما وضعت بعض القيود على تأشيرات العمل لأمثال هؤلاء، كيف ضجّ المقاولون الراغبون في استقدام المزيد من العمال، وكذلك الحال مع أرباب الأسر الراغبين في استقدام سائقين وخدم لبيوتهم، أليس في ذلك دليلٌ على أنّ هؤلاء يقومون بدور كبير في حياتنا؟ من هنا فإنّ علينا أن نوسّع من أفقنا وأن نحسن لهؤلاء العمال، ونأمل قيام جمعيات خيرية تعنى بتحسين ظروف حياة العمالة الوافدة، وتهتم بتوفر العلاج الصحي لهم، وتحسين ظروف سكنهم ومعيشتهم، فهذا مما يأمرنا به الدين؛ لأنّ البرّ بالناس من أوليات الدين.

---

(١) الكافي، ج ٢ ، ص ٦٦٨، حديث ١٤.

الخطبة الأولى

الإنسان حين يظلم نفسه

﴿إِنَّ اللَّه لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.
[سورة يونس، الآية: ٤٤].

حبُّ الإنسانِ لذاته غريزةٌ أساس تُعدّ أصلًا لسائر الغرائز الإنسانيّة الأخرى، وبهذه الغريزة يقوم الإنسان بحماية نفسه، فيدفع عنها الأضرار، ويحميها من الأخطار، ويبحث عن مصالحها، ويدفع المفاسد عنها، وهذا ما أقرّته جميع الشرائع السماويّة والقوانين البشريّة؛ كما لا تختص هذه الغريزة بالإنسان، بل زوّد الله كلّ الكائنات الحيّة بغريزة الدفاع عن ذاتها، كلٌّ بحسب استعداداته التي منحتها له الخليقة.

وفي نفس الوقت الذي تواجه فيه الذاتُ البشريّة الأخطارَ التي تقف أمامها، نلاحظ إغفالها لخطرٍ يمكن عَدّه من أهمّ مصادر الظلم والعدوان بالنسبة إليها، وهو: نفس الذات الإنسانيّة؛ إذ أنّ هذه النفس تظلم الإنسان في كثير من الأحيان، وهذا ما أشارت إليه النصوص القرآنيّة والروائيّة؛ حيث نلاحظ أنّ مضمونها عمومًا يخاطب الإنسان قائلًا له: أيّها الإنسان الذي تُعبئ كلّ قواك من أجل دفع وردع أيّ عدوان خارجيّ ينتابك، ما بالك تخنع أمام ظلم ذاتك لك واعتدائها عليك؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: ٧٠].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ...﴾[سورة النساء، الآية: ٩٧].

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»[١].

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «نفسك أقرب أعدائك»[٢].

كيف يظلم الإنسان نفسه؟

وقد يسأل سائل: عن كيفيّة ظلم الإنسان لنفسه، وهل يمكن أن يحصل ذلك في الحقيقة وواقع الأمر، ونحن نعرف أنّ الظلم يحصل من الإنسان للغير فقط؟

وفي الجواب: يمكن أن نذكر ثلاثة مصاديق لظلم الإنسان لنفسه، وهي:

١. **إطلاق العنان للرغبات**

لا شكّ أنّ للإنسان رغبات متعدّدة كامنة فيه، ولا بُدّ من استيفاء استحقاقاتها في إطار حدودٍ وسقوفٍ حدّدها الشرع والعقل، لكن فتح المجال أمام هذه الرغبات دون قيود وشروط هو إيذاء للنفس، وظلم لها، رغم السعادة الظاهريّة التي قد يحسّ بها الإنسان.

والمؤسف أنّ البعض ممن يطلقون العنان لأنفسهم في عموم الميادين الغرائزيّة البشريّة، نجدهم لا يلتفتون إلى ذلك، ولعلّ نظرة يسيرة إلى الغريزة الماديّة، وإطلاق العنان لها من قبل البعض، كفيلة بإيضاح هذا الأمر؛ فإن من يتجاوز القيود والسقوف الغذائيّة مثلًا يفضي به إلى ظهور أزمات صحيّة كثيرة، ترافقه طيلة حياته، وربما تقضي عليها مبكرًا، ومن هنا أكّدت النصوص الدينيّة ضرورة الالتزام بالضوابط والقيود في استيفاء حقوق هذه الغريزة؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾[سورة الأعراف: الآية ٣١.]، وغاية ذلك هي صحة الإنسان وسلامة بدنه.

وتشير الإحصاءات إلى أنّ نسبة الإصابة بالسكري في المملكة العربيّة السعوديّة

(١) بحار الأنوار. ج٦٧، ص٧٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٩٥، حكمة ٨.

في عام ١٩٨٥ هي ٥٪، أمّا في عام ٢٠١٤ فقد ارتفعت النسبة إلى: ٢٤٪، وهي نسبة عالية جدًّا؛ أي ما يربو على ثلاثة ملايين شخص مصابين بهذا المرض، وكذا الأمر في مرض السمنة؛ حيث إنّ الجلوس واختزان السعرات الحراريّة في الجسم يتحوّل إلى أمراض فتّاكة في الجسم الإنساني.

ولا يقتصر الأمر على غريزة الطعام، بل يشمل ذلك غريزة الجنس أيضًا؛ فمن حقّ الإنسان أن يمارس الجنس، شريطة أن يأخذ القيود والضوابط الشرعيّة والأخلاقيّة بعين الاعتبار، ومن دون ذلك ستصبح هذه الغريزة وبالًا ونكدًا عليه؛ حيث الأمراض الجنسيّة التي تأتي عن طريق التواصل الجنسي غير المنضبط الذي يعدُّ من أبرز أسباب الإصابة، فقد كثرت هذه الأمراض في الآونة الأخيرة كما تشير الإحصاءات حيث بلغ عدد المصابين بالإيدز في العالم أكثر من ٣٦ مليونًا، يموت منهم سنويًّا أكثر من ٧٢٠ ألف.

وحذّرت جمعيّة أواصر الخيريّة المواطنين المسافرين خارج المملكة العربيّة السعوديّة، من سماسرة الجنس الذين يستقبلونهم في المطارات والفنادق المختلفة ويدفعونهم نحو الممارسة غير المنضبطة، باسم الزواج التي قد تسبب لهم أمراضًا فتّاكة تودي بحياتهم في نهاية المطاف[(١)].

ويشير تقرير صادر عن وزارة الصحة السعودية أنّ العدد التراكمي لكافة الحالات المكتشفة بهذا المرض في السعودية منذ بداية عام ١٩٨٤ وحتى نهاية عام ٢٠١٢، بلغ ١٨٧٦٢ حالة، كما تم اكتشاف ١٢٣٣ حالة جديدة مصابة بفيروس الإيدز عام ٢٠١٢ م[(٢)].

---

(١) جريدة الرياض. الأربعاء ٦ شعبان ١٤٣٥هـ/ ٤ يونيو ٢٠١٤م، العدد ١٦٧٨١ صفحة رقم (٤٨).

(٢) موقع الجزيرة نت. السبت ٢٧/ ١/ ١٤٣٥هـ/ الموافق ٣٠/ ١١/ ٢٠١٣م.
http://www.aljazeera.net/news/pages/533b966643-9997-fc-9df415923-d0e4033

٢. تحجيم الاهتمام النفسي بالماديّات

لا شكّ أنّ الإنسان يختلف عن باقي الكائنات الحيّة في قيمته المعنويّة العالية؛ حيث لم يُخلق من تراب خالص، وإنما نفخ فيه خالقه الجبّار من روحه، بعد أن أحسن صنعه وخلقته، من هنا فهو يمتلك أفقًا معنويًّا يتطلّع من خلاله إلى دارٍ أخرى غير داره الدنياويّة، وهذا يدعوه إلى الحفاظ على البعد المعنوي، والاستجابة له وتنميته، لا أن يترك ذاته منغمسةً في البعد الماديّ الخالص.

لكن المؤسف أنّ البعض يذهب صوب الماديّات، محجِّمًا لذاته في الطعام والجنس والممتلكات، ويحرم نفسه من المكاسب المعنويّة الهائلة التي كانت تتوفّر له لولا ابتعاده عنها وإهماله لها، على أنّ الشارع المقدّس لا يقف أمام المكاسب الماديّة وتحصيلها، لكنّه يدعو الإنسان إلى عدم تحجيم نفسه في إطارها؛ فأين الإنسان من المنجزات المعنويّة؟ وأين هو من التقدّم في ذلك العالم الذي سينتقل إليه؟

ولا شكّ أنّ أفق العلم والمعرفة، هو من التوجّهات المعنويّة، التي ينبغي للإنسان أن ينحوَ نحوها، ويميل إليها، ومن يحرم نفسه من هذه المتعة العظيمة، والمكسب الجليل، فسوف يظلم نفسه دون شكّ وريب.

أجل؛ على الإنسان أن يلتفت إلى هذه الميزة التي ميّزته عن سائر المخلوقات، وعلى الإنسان أن يخصّص وقتًا لطلب العلم والمعرفة، كما يخصّص ساعات لتلك الأمور الماديّة؛ فقد ذمّت النصوص الدينية حالة الركود في طلب العلم، والانكفاء على النفس، والعيش بجهالتها.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْماً﴾[سورة طه، الآية: ١١٤].

وروي عن الرسول الله ﷺ القول: «كُلُّ يَوْمٍ لا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يُقَرِّبُنِي مِنَ اللَّهِ فَلا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمَ»[١].

(١) كنز العمّال، ج١٠، ص١٣٦.

وليس العلم والمعرفة هي الأمور المعنويّة الوحيدة التي ينبغي للإنسان تهيئة النفس لطلبها، والالتذاذ بها؛ فإنّ لذة مناجاته تعالى، والاتصال به، لذّة عظيمة، خصوصًا في أيام الله المباركة، التي حثّت النصوص الدينيّة على استثمارها بالعبادة والنسك؛ حيث يشعر الإنسان المنفتح على خالقه باللذة والسعادة والسّرور، وهو يناجيه في آناء الليل وأطراف النهار، وهذا ما نجد مظهره على لسان النبي الأكرم ﷺ حينما كان يطلب من مؤذنه بلال أن يريحه بالصلاة، فورد عنه ﷺ: «يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها»[١].

كما أنّ تجسيد القيم الأخلاقيّة والتمثّل بها يعدّ من أرقى اللذائذ المعنويّة الكبيرة؛ فحينما يكون الإنسان مصدرًا لرسم البسمة على شفاه الأيتام؛ وإدخال السّرور على قلوب المكروبين والمحزونين؛ والفرج على المهمومين... أقول حينما يكون الإنسان كذلك، فلا شكّ أنّه سيحصل على أفضل السعادات المعنويّة.

ومن هذه الإشارات المتقدّمة، نفهم: أنّ الإنسان الذي يهمل كلّ هذه المكاسب المعنويّة، لا شكّ أنّه يظلم نفسه، وهذا ما نبّه إليه الإمام عليّ عليه السلام حيث قال: «إِنَّ لِأَنْفُسِكُمْ أَثْمَاناً فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِالْجَنَّةِ»[٢]، وليس ذلك دعوة للعزوف عن اللذائذ الماديّة والابتعاد عنها، وإنما هو تشديد على ضرورة أن يكون الاستيفاء في إطار النُّصب التي وضعت لها.

٣. ظلم الآخرين ظلم للنفس

حينما يظلم الإنسان إنسانًا آخر، فهو في واقع الأمر قد ظلم نفسه، وبخسها حقّها، وعليه أن يتجنّب ظلم أبنائه أو زوجته أو أقربائه أو موظّفيه، أو أيَّ شخص آخر، من أجل لذّة زائلة داثرة لا استمرار لها؛ فإنّه بذلك يظلم نفسه ويتجاوز عليها.

وهكذا نعرف أنّ الانتصار الحقيقيّ هو الانتصار على الذات والنفس، وكما قال

(١) كنز العمال. ج٧، ص٢٧٤، حديث١٨٩٤٦.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٢١٩، حكمة٩٧.

الإمام عليّ ﷷ: «مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوب»[١].

فالظلم ظلمات وتبعاته خطيرة، وأول تبعاته مواجهة تأنيب الضمير، ثم سوء السمعة لدى الآخرين، وقد يقع الإنسان تحت طائلة العقوبة وردّ الفعل ممن أصابه ظلمه، أو يناله البلاء، أما التبعة الأشدّ فهو العذاب في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾[سورة الفرقان، الآية: ١٩]، ويقول عليّ ﷷ: «وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ»[٢].

وعنه ﷷ: «وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ»[٣].

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ٣٢٧.

(٢) نهج البلاغة، كتاب ٥٣.

(٣) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦.

المزايدة في الدين

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَيْلٌ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفُلَانٌ فِي النَّارِ»[1].

التنافس في عمل الخير وطاعة الله تعالى أمرٌ مطلوب في ذاته؛ فقد حثّت الآيات القرآنيّة الكريمة على ذلك في مواطن متعدّدة، وكذا النصوص الروائيّة والأدعية الشريفة؛ حيث دفعت بالإنسان نحو التقدّم في عمل الخير وطاعة الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَ فِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُون﴾[سورة المطففون، الآية: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرات﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٨].

كما جاء هذا المعنى في دعاء مكارم الأخلاق للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام حيث قال: «اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحمَّد وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أكْمَلَ الإِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّـاتِ، وَبِعَمَلِي إلى أَحْسَنِ الأعْمَالِ»[2].

ومن هذه النصوص يظهر: أنّ على الإنسان أن يكون طموحًا لأن يكون أفضل من الآخرين تديُّنًا والتزامًا، وسبَّاقًا إلى الخير وطاعة الربّ.

(١) كنز العمال، ج ٣، ص٥٥٩، حديث ٧٩٠٢.

(٢) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيِّ الأفعال، الدعاء (٢٠)، ص٩٤.

ازدراء تديّن الآخرين

لكن قد تنبثق للإنسان المؤمن بعض الأمراض التي تعيقه عن إنجاز هذه المهمة بخلوص نيّة وصفاء قلب، من قبيل: «التفاخر بالتديّن وازدراء تديّن الغير»؛ حيث نلاحظ أنّ البعض يرى في تديّنه الأفضل والأحسن والأنجع، ويكيل التهم لتديّن الآخرين وأديانهم، وما هذه إلا مزايدة باسم الدين.

وقد تحمّلت النصوص الدينيّة مسؤولية ذمّ هذه المزايدة، وتقريع من يمارسها بشدّة وصلابة، وهي نصوص ربما لا تكون صحيحة الأسانيد بآحادها، ولكن من حيث مجموعها ومجملها نراها منسجمة مع قيم الدين ومقاصده ومفاهيمه، نظير ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «وَيْلٌ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفُلَانٌ فِي النَّارِ».

والذي يُعنى من التألّي على الله هو: أنّ الإنسان يُصدر حكمًا على المستقبل الأخروي للآخرين، فيصنّف الناس على أساس قناعاته في: الجنّة والنار، ولا ندري من هو الذي منح له هذا الحقّ في تقرير مصير الآخرين؟!؛ إذ كيف يُسوَّغ له الحكم السلبي على عباد الله، خصوصًا من يشاركونه في الدين والعقيدة؟

كما جاء في الرواية عن أبي ذرّ الغفاري: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ يَوْماً وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي تَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَ الْمُتَأَلِّي بِقَوْلِهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ»[١].

وجاء في حديث آخر عنه ﷺ: «لَا تَأْلُوا عَلَى اللهِ، لَا تَأْلُوا عَلَى اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ تَأَلَّى عَلَى اللهِ أَكْذَبَهُ اللهُ»[٢].

(١) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٣٣٦؛ وصحيح مسلم. حديث ٢٦٢١.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ج٨، ص٢٢٩.

من مجموع هذه النصوص نفهم أنّ التفاخر بالدين أمرٌ محظور ومنبوذ من الناحية الشرعيّة؛ لكونه من مصاديق الرياء؛ فإنّ الله لا يقبل من عبده المؤمن ـ مهما كانت درجة تديّنه وعبادته ـ أن يتفاخر محاولًا اكتساب السمعة والفخر بين الناس على أساس عمله الديني؛ فقد جاء في الحديث: «عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّهُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ فَذَكَرْتُهُ، فَأَبْكَانِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ، وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ؟

قَالَ: نَعَمْ... أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا حَجَرًا وَلَا وَثَنًا، وَلَكِنْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ...»[1].

ومن هنا نجد أنّ الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام يتضرّع إلى الله كي يجعله في قمّة الالتزام بالقيم والأخلاق، دون أن يسبب له ذلك شعورًا بالتعالي على الآخرين، أو بالتفاخر بينهم، حيث قال في دعائه: «وَهَبْ لي مَعالِيَ الأَخْلاقِ، وَاعْصِمْني مِنَ الفَخْرِ»[2].

تصنيف الناس دينيًا

ومجمل القول: إنّ مكمن الداء في أوساطنا هو أنّ البعض من المتدينين يمنحون لأنفسهم الحقّ في تصنيف الناس، وتوزيع الرتب والمواقع عند الله، بوعي أو بدون وعي، وربما يحسبون أنّ هذا الأمر مهمة قد منحها الله جلّ وتعالى لهم، فيصدرون أحكامًا في نجاة هذا وهلاك ذاك، وفي فساد عقيدة (أ) وصلاح عقيدة (ب)، وما هذه المزايدة إلّا واحدة من المساوئ القائمة في حياة المسلمين الدينيّة؛ مع أنّ الدين بتعاليمه يربّي الإنسان المسلم على حسن الظنّ بإخوانه المسلمين، حتى وإن تملّك

(١) الإمام أحمد، مسند أحمد، ج٢٨، ص٣٤٦.

(٢) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال، الدعاء (٢٠)، ص٩٤.

درجة أفضل في العلم والمعرفة الدينيّة، إلّا أن ذلك لا يدعوه للازدراء بهم، بل يتحمّل مسؤولية رفع مستواهم وإقناعهم بما يملك، لا أن يتعامل معهم بازدراء، ويحكم بخروجهم عن الدين والملّة؛ لأنهم لا يتفقون معه في رأي جزئي أو مسألة تفصيليّة.

وقد روى: «الصَّبَّاحِ بْنِ سَيَابَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام القَولَ: مَا أَنْتُمْ وَالْبَرَاءَةَ؟ يَبْرَأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُهُمْ أَكْثَرُ صَلَاةً مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُهُمْ أَنْفَذُ بَصَراً مِنْ بَعْضٍ، وَهِيَ الدَّرَجَاتُ»[١].

وليس هذا الداء مقتصرًا على هذا العصر، بل نلاحظ جذوره موجودة في عصور الأئمة عليهم السلام أيضًا؛ حيث كشفت بعض النصوص الروائيّة عن اختلاف المراتب في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وكشفت عن وجود هذه الظاهرة فيما بينهم، كما جاء ذلك في روايةٍ: «عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَرَاطِيسِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَذَكَرْتُ لَهُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الشِّيعَةِ وَمِنْ أَقَاوِيلِهِمْ، فَقَالَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ:

الْإِيمَانُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ لَهُ عَشْرُ مَرَاقِيَ، وَتُرْتَقَى مِنْهُ مِرْقَاةً بَعْدَ مِرْقَاةٍ، فَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الْوَاحِدَةِ لِصَاحِبِ الثَّانِيَةِ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الثَّانِيَةِ لِصَاحِبِ الثَّالِثَةِ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْعَاشِرَةِ.

قَالَ: وَكَانَ سَلْمَانُ فِي الْعَاشِرَةِ، وَأَبُو ذَرٍّ فِي التَّاسِعَةِ، وَالْمِقْدَادُ فِي الثَّامِنَةِ.

يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ: لَا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دُونَكَ فَيُسْقِطَكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، إِذَا رَأَيْتَ الَّذِي هُوَ دُونَكَ فَقَدَرْتَ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى دَرَجَتِكَ رَفْعاً رَفِيقاً فَافْعَلْ، وَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ مَا لَا يُطِيقُهُ فَتكْسِرَهُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ كَسَرَ مُؤْمِناً فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ؛ لِأَنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ تَحْمِلُ الْفَصِيلَ حَمْلَ الْبَازِلِ فَسَخْتَهُ»[٢].

ولم تكتفِ النصوص الدينيّة بشجب هذه الظاهرة ونقدها، بل طرحت حلولًا

---

(١) الكافي، ج٢، ص٤٥.

(٢) الصدوق، الخصال، ٢، ص٤٤٨.

لتجاوزها، من خلال بيان كيفيّة التعامل مع الذي لا يتفق مع الإنسان في بعض القضايا الدينيّة، فجاءت ثلاثة مقاييس:

الأوّل: احتمالات الخطأ والصواب

فما هو الضمان بصحّة الرأي الذي يختاره الإنسان وسقم رأي غيره، فربما يكون الأمر بالعكس تمامًا؛ إذ لا يمكن للإنسان العادي أن يدّعي العصمة في آرائه على الإطلاق، بل هي مسائل اجتهاديّة سواء أكانت في القضايا الفكريّة أو الفقهيّة، والمجتهد بطبيعته قد يختلف في رأيه عن المجتهد الآخر، ومن يطمئن بمجتهد معيّن فيأخذ رأيه الفقهي أو الفكري فهو معذور عند الله؛ لكونه أخذ برأي مجتهد، أو إنه اجتهد، حينما تكون له القدرة على ذلك، فلا يُسوّغ الحكم القطعي بصواب الرأي وخطأ خيار الآخر؛ فنحن من الذاهبين إلى «التخطئة» التي تعني عدم إمكانيّة ادّعاء الجزم بالوصول إلى الحكم الواقعيّ الحقيقي؛ حيث إنّ كلّ مسألة تحتمل الخطأ والصواب سوى الضروريّات المتفق عليها.

وكم من فكرة تنازع الناس عليها، واختلفوا فيما بينهم حولها، لكن وبعد مرور فترة من الزمن تغيّرت الأمور، وساد رأي غير الرأي الذي كان سائدًا في الماضي؛ ومع كون الأمر كذلك فلا ينبغي للإنسان أن يتهم الآخرين في دينهم؛ لكونهم يمتلكون رأيًا آخر.

الثاني: احتمال القبول وعدم القبول

يجتهد المؤمن في تبنّي ما يعتقد أنه حق، وفي العمل بما يوصله إلى رضا الربّ تعالى، لكنه لا يستطيع إحراز قبول عمله من قبل الله تعالى، فهو يتهم نفسه بالتقصير دائمًا، ويشعر بالخوف والوجل من عدم تحقق موجبات قبول الله تعالى لعمله، فكيف يصحّ لمؤمن أن يجزم بأن ما يمارسه من تديّن هو المقبول عند الله، وأن تديّن غيره المختلف معه غير مقبول؟ فقد يكون عمل الآخر مقبولًا، وعملك غير مقبول.

من هنا جاءت النصوص الدينيّة الكثيرة الناصّة على عدم إخراج الإنسان المؤمن نفسه

عن حدّ التقصير، فيظلّ متردّدًا في قبول عمله وعدم قبوله؛ فإن القبول وعدمه ليس من صلاحيات الفرد الحكم فيه وتقرير المصير، جاء في الرواية: «عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي خَلَفٍ: عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسىٰ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِبَعْضِ وُلْدِهِ: يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِالْجِدِّ، لَا تُخْرِجَنَّ نَفْسَكَ مِنْ حَدِّ التَّقْصِيرِ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَاعَتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُعْبَدُ حَقَّ عِبَادَتِهِ»[١].

وروى ابنُ أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة عن محمد بن فضيل بن غزوان قال: قيل لعليّ ﷺ: كم تتصدق؟ كم تخرج مالك؟ ألا تمسك؟ قال: إني والله لو أعلم أن الله تعالى قبل مني فرضًا واحدًا لأمسكت، ولكني والله ما أدري، أَقَبِلَ الله منّي سبحانه شيئًا أم لا[٢].

الثالث: احتمالات حسن العاقبة وسوئها

فمن هو الإنسان الذي يضمن حسن عاقبته، وسوء عاقبة الشخص الذي يتنازع معه؟ وعلى كلّ إنسان أن يدعو الله بحسن العاقبة، ولكن يبقى احتمال سوئها قائمًا.

ورد عن رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلّا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبين النار إلّا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة»[٣].

كلّ ما تقدّم يكشف لنا عن ضرورة عدم إعجاب الإنسان بتديّنه عمومًا، سواء أكان على المستوى العقدي، أو على المستوي السلوكي، وهذا لا يمنع من إبداء الرأي والدفاع عنه، ولكن من الخطأ تجهيل الآخرين وازدرائهم، وتحمّل مسؤولية تصنيفهم وإثابتهم ومعاقبتهم؛ إذ نصّت الآيات القرآنيّة على أنّ الحساب على الدين والعمل

---

(١) الكافي، ج٤، ص١٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة. ج٢، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، (بيروت: دار الجيل)، ص٢٠٢.

(٣) كنز العمال. ج١، ص١٢١.

شأن إلهيٌّ خالص، قال تعالى:

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾[سورة الشعراء، الآية: ١١٢].

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[سورة الغاشية، الآية: ٢٦].

وأخيرًا نقف مع المحاورة التي جرت بين محمد بن مسلم الزهريّ وبين الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام؛ حينما دخل الزهريّ مهمومًا كئيبًا عليه فبادره الإمام عليه السلام بالسؤال عن السرّ الذي يقف وراء همّه وكآبته وغمّه، فيبدي له الزهري انزعاجه من الطّماعين والحسّاد ممن أحسن إليه، وهكذا يستمر الحديث بينهما حتى يقول له الإمام عليه السلام:

«إِنْ عَرَضَ لَكَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ بِأَنَّ لَكَ فَضْلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَانْظُرْ إِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ قَدْ سَبَقَنِي بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي؛ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ قَدْ سَبَقْتُهُ بِالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي؛ وَإِنْ كَانَ تِرْبَكَ فَقُلْ أَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ ذَنْبِي وَفِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِ فَمَا لِي أَدَعُ يَقِينِي لِشَكِّي»[١].

أجل؛ هكذا تربّي النصوص الدينيّة الإنسان المؤمن في التعامل مع أقرانه المؤمنين، وتطلب منه عدم الإعجاب بالنفس والمزايدة باسم الدين، هذه الظاهرة التي تُعدّ من أخطر الأمراض في ساحتنا الدينيّة، وينبغي للناس أن يحسنوا الظن ببعضهم بعضًا، وأن يديروا ما يختلفون عليه من أمور فقهيّة أو فكريّة بالحوار، وضمن الضوابط العلميّة والأخلاقيّة.

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٣٢٠.



الخطبة الأولى

الثقافة المهدوية وسوء التوظيف

روى الشيخ الطوسي عن جابر قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ونحن جماعة بعد ما قضينا نسكنا فودّعناه وقلنا له: أَوْصِنا يا ابن رسول الله، فقال: «ليعن قويّكم ضعيفكم، وليعطف غنيّكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا فإن وجدتموه، والقرآن موافقًا فخذوا به، وإنْ لم تجدوه موافقًا فردّوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده وردوه إلينا، حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا، فإذا كنتم كما أوصيناكم، لم تعدوا إلى غيره، فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيدًا»[١].

احتلّت قضيّة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه موقعًا بارزًا في الفكر والتراث الإسلاميّ، وهي لا تختصّ بمذهب دون مذهب؛ فعند الاطّلاع على المصادر الإسلاميّة لمختلف المذاهب نلاحظ حضورًا لقضيّة الإمام المهدي، والروايات موجودة في مختلف كتب المسلمين، وهي ليست رواية أو روايتين، بل هي من حيث الإجمال وبغضّ النظر عن درجاتها في السند والاعتبار تصل إلى المئات، وكلّها تؤكّد على ثبوت هذه الحقيقة، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بشّر أمّته بمجيء رجل من أهل بيته

(١) بحار الأنوار. ج٧٥، ص ١٨٢.

يكون به ختام الدنيا، حيث يقيم حضارة العدل والحقّ، ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا.

الجدل في التفاصيل

إنّ قضيّة الإمام المهدي تشكّل حيّزًا ثقافيًّا في الفكر والتراث الإسلاميّ، لكن نجد أنّ هذه الثقافة تنقسم إلى اتجاهين:

الاتجاه الأوّل: هو الذي يأخذ بهذه القضيّة نحو مسار الجدل في تفاصيلها؛ فهناك مجمل يتفق عليه المسلمون وهو: أنّ أحدًا من آل بيت رسول الله ﷺ وعترته، وبالتحديد من ولد فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، يظهر في آخر الزمان، لإقامة دولة الحقّ والعدل على مستوى العالم، فقد أخرج أبو داوود في سننه عن أمّ سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[١].

وقد صحّح هذا الحديث رجال الحديث من إخواننا أهل السنّة، وعند المدرسة السلفيّة بالخصوص، كالألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة[٢].

وهذا المجمل متفق عليه، وهناك تفاصيل كأيّ قضيّة عقديّة أخرى، بدءًا من التوحيد، ومرورًا بالنبوّة، وانتهاءً بالمعاد، أو كأيٍّ قضيّة فقهيّة كالصلاة والصوم والحجّ؛ فإنّ المسائل والتفاصيل الداخليّة هي مساحة للاختلاف بين العلماء والفقهاء، بسبب اختلاف الروايات والنصوص، أو بسبب اختلاف الفهم والاستنباط من تلك الروايات والنصوص.

هناك ثقافة أخذت بموضوعة الإمام المهدي عليه السلام نحو هذه التفاصيل، بحيث أصبحت هذه القضيّة واحدة من ساحات الجدل والخلاف المذهبي.

---

(١) سنن أبي داوود. حديث ٤٢٨٤.

(٢) الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج٤، ص٣٩.

إسقاط الروايات على الواقع

والاتجاه الثاني: أخذ قضيّة الإمام المهديّ ﷺ باتجاه الأمور العاطفيّة، والاستغراق في هذا الجانب، وسوء إسقاط الروايات على الواقع الذي يعيشه.

وهذا التطبيق هو نوع من التأويل لهذه الروايات، يختلف فيه الناس باختلاف دوافعهم وأفكارهم ومصالحهم وبيئاتهم، لذلك أصبحنا نشهد ادّعاءات على هذا الصعيد بناءً على بعض الروايات التي تتحدث عن صفات المهدي، فطبّقها البعض على نفسه، أو هناك من طبّقها عليه، فحصلت ادّعاءات كثيرة للمهدوية في تأريخ المسلمين، وغالبًا في صفوف إخواننا من أهل السنّة، وآخرها ما حصل في المملكة العربيّة السعوديّة، وفي مكّة المكرّمة بالذات، في قضيّة جهيمان، حينما ادّعى أنّه هو الإمام المهدي، وطلب البيعة من الناس في مطلع سنة ١٤٠٠ للهجرة؛ في الحادثة الإجرامية المشهورة في البيت الحرام، إذ طبّق روايات صفات الإمام المهدي على نفسه، وطبّقها عليه أصحابه، واستعانوا ببعض الأطياف والمنامات التي أوحت لهم أنّ هذا هو المهديّ.

كما أنّ هذه الثقافة المهدويّة في جزء من بعدها العاطفيّ، أنبتت أدعياء السفارة والنيابة الخاصّة عنه ﷺ؛ حيث يدّعي بعضهم لقاءه بالإمام، وأنّه استسفره وعيّنه صلة بينه وبين الناس، وهذه الدعاوى خرج الكثير منها في الأوساط الشيعيّة؛ فدعاوى المهدويّة أكثرها في الأوساط السنيّة، ودعاوى السفارة أكثرها في الأوساط الشيعيّة؛ وذلك لأنّ ادّعاء المهدويّة في الأوساط الشيعيّة يواجه صعوبةً لتعذّر إمكانية تطبيق النصوص الشيعيّة عليه؛ لكن ادّعاء السفارة والنيابة عنه يمكن تغطيته ببعض النصوص الملتبسة!!.

وهناك من يقبل بمثل هذه الدعاوى، كما نلاحظه في أكثر من بلدٍ كإيران والعراق والبحرين، وربما في بلدان أخرى، وبسبب تأويل النصوص على الأشخاص وعلى

الأحداث المعاصرة، وبالاستعانة بالأطياف والأحلام.

كما إذا رأى طيفًا يتراءى له من خلاله أنّ الإمام قال له ذلك، أو رأوا جماعة فيه ذلك، ومن الطبيعي حينما تأخذ القضية هذا المنحى من الأطياف والأحلام، يصعب حينئذٍ وضع الضوابط والمعايير فيها؛ إذ تتنوّع الأحلام والأطياف بين الأشخاص والجماعات حسب الاتجاهات واختلافها.

وكيف يقبل العقلاء لأنفسهم أن ينقادوا على أساس الأحلام والأطياف والخرافات، ولم يكن هذا الأمر ليحدث لولا وجود أرضيّة؛ فإن جزءًا من الخطاب في الوسط الديني منح الأحلام والأطياف قيمة كبيرة، فتجد بعض العلماء والخطباء ينقلون أطيافًا وأحلامًا كشواهد وأدلة فيما يريدون توجيه الناس له وإقناعهم به، ولسنا الآن بصدد الحديث عن الأطياف والأحلام، وما تحمله من قيمة معرفيّة، إذ إنّ لهذا الأمر موطنًا آخر، ولكن نؤكدّ عدم إمكانيّة القول بمصدريّة الأطياف والأحلام لأيّ حكم أو موقف شرعيّ، لا تساعد عليه الأدلّة الواضحة والمعتبرة في المجال التشريعيّ، وما هذا إلّا من سوء التعامل والاستفادة من الثقافة المهدويّة.

وكذلك الحديث عن علامات عصر الظهور، وهو الشغل الشاغل لكثير من الناس؛ حيث تراهم يبحثون عن بعض النصوص الروائيّة لتفسير أيّ حدث من الأحداث الواقعة، وبالتالي يدّعون أنّ هذا العصر هو عصر الظهور، أو أنّ عصر الظهور قد اقترب، مع أنّ الأمر بيد الله سبحانه وتعالى، ولا يدري الإنسان أنّ ظهور الإمام الموعود هل هو في هذا العصر أو في عصر آخر، في هذا القرن أو بعد قرون، لكن البعض من الناس يأخذ الثقافة المهدويّة بهذا الاتجاه الخطأ، وهذا قسم من الثقافة المهدويّة التي توظّف توظيفًا سلبيًّا.

جوهر القضية المهدوية

بينما يجب الاستفادة من الثقافة المهدويّة بالاتجاه الإيجابيّ الذي يفيد: أنّ جوهر

القضية المهدويّة هو التطلّع لدور الأمّة الرياديّ، وإقامة الحقّ والعدل في ربوع الأمّة والعالم، فينبغي لنا الاستفادة من الثقافة الموجودة في تراثنا بهذا الاتجاه، وذلك:

أولًا: تعزيز الأمل والتطلّعات للإصلاح في داخل الأمّة، وتبنّي دور الريادة على المستوى العالميّ؛ لأنّ قضيّة الإمام المهديّ لا تتحدّث عن إصلاح شيعي أو إسلاميّ فقط، وإنما تتحدّث عن إصلاح كونيّ، حيث عبّرت النصوص عنه أنه يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا.

علينا أن نعزّز بفكرة المهدويّة الأمل في نفوس الناس؛ لأنهم يواجهون أمواجًا من الظلم، وعصورًا من الاستبداد والقمع، وجولات لانتصار الباطل والفساد، لكن الإنسان المؤمن يجب أن يتمسّك بالأمل مهما أدلهمّت الظروف وحلكت، ولكن بعض الناس قد ربط تفاعله النفسي بالأحداث اليوميّة؛ فحينما يتحقّق انتصار يكون متفائلًا، وحينما تحصل نكسة تراه متألمـًا محبطًا.

إنّ القضيّة المهدويّة تريد أن تجعل الأمل ثابتًا في نفس الإنسان المؤمن، وأن ينظر إلى الأحداث ضمن معادلة التدافع البشريّ، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[سورة الحج، الآية: ٤٠]؛ حيث يحصل انتصار هنا وانتكاسة هناك، تقدّم هنا وتأخر هناك، لكن الإنسان المؤمن لا بُدّ أن يحافظ على الأمل مشبعًا في نفسه برحمة الله، متطلّعًا إلى الفرج.

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله؛ فإن أحبّ الأعمال إلى الله انتظار الفرج»[١].

فينبغي أن تكون القضيّة المهدويّة وسيلة لتعزيز هذه الحالة النفسيّة المتفائلة، في مقابل حالة الانكسار والانهزام النفسيّ، واليأس والقنوط أمام المشاكل والظروف الحالكة.

(١) تحف العقول. ص٧٥.

الاستعداد لصنع المستقبل المنشود

ثانياً: ينبغي الاستفادة من الثقافة المهدويّة في بناء الكفاءة استعدادًا للمشاركة في بناء الواقع والمستقبل الموعود؛ فإنّ المؤمن الذي ينتظر أن تملأ الأرض قسطًا وعدلًا، ويتطلّع لإزالة الظلم والجور عنها، ينبغي أن يهيّئ نفسه بالكفاءة والقدرات، ليكون جزءًا من عمليّة تحقيق هذا الوعد الإلهيّ، كما نقرأ في فقرات الدعاء: اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ فِي سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة[١].

وكيف يكون الإنسان من الدعاة والقادة إلّا إذا توفّر على الكفاءة والقدرات؛ من هنا فإنّ الثقافة المهدويّة يجب أن تدفع الإنسان المؤمن لتنمية قدراته وكفاءاته، حتى يكون أهلًا لحمل هذه التطلّعات والآمال والهموم.

وقد جاء عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في حديث مطوّل مع أبي خالد الكابلي القول: «يا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ وَالْمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ»[٢].

أيّ إنّ القدرات والاستعدادات التي يمتلكها المنتظرون لظهوره عليه السلام أفضل من الأجيال التي سبقتهم، وهذا الأمر طبيعيّ بسبب تطوّر الحياة وتراكم الخبرة والمعرفة والتجربة، وهكذا تضيف الرواية تعليلًا لهذه الأفضليّة قائلة: «لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ فَصَارَتْ بِهِ الْغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ»[٣].

فهم يعيشون أفق التطلّعات والتزام القيم، وكأنّ الإمام عليه السلام يعيش معهم؛ فالغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة.

---

(١) الكافي. ج٣، ص٤٢٤.

(٢) بحار الأنوار. ج٣٦، ص٣٨٧.

(٣) المصدر نفسه.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يضع فيها برنامجًا لمن يريد أن يكون من أصحاب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام بعيدًا عن البرامج التي لا تركّز على المهام البنائيّة والتربويّة: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ فَلْيَنْتَظِرْ وَلْيَعْمَلْ بِالْوَرَعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ»[1].

فعلى الإنسان المنتظِر ألّا ينزلق إلى مزالق الحرام والانحراف والفساد، وعليه التحلّي بمحاسن الأخلاق في برامجه الشخصيّة وفي تعامله مع الآخرين.

وهكذا يقدّم الإمام نتيجة من هذه المواصفات وطريقة الانتظار قائلًا: «فَإِنْ مَاتَ وَقَامَ الْقَائِمُ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ أَدْرَكَهُ، فَجِدُّوا وَانْتَظِرُوا...»[2].

والجِدُّ الذي تطلبه الرواية، هو: الجدُّ في العمل والحركة، وفي كسب المعرفة وبناء الكفاءة؛ لذا ينبغي للإنسان أن يتوجّه لبناء كفاءته وطاقته، وألّا يكتفي بالتوجهات العاطفيّة فقط، فقراءة الدعاء والتوسّل والاحتفاء والانتظار أمرٌ حسن لا نقاش في حسنه، لكن ينبغي أن يرافق ذلك بناءٌ للقدرات والكفاءات.

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٠.

الخطبة الثانية

٧

المناسبات الدينية وممارسة التشويه

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٣٩].

رسالات الله هي شرائعه التي أنزلها لهداية عباده، وقد أوحى الله تعالى بهذه الشرائع لأنبيائه الذين أختارهم وكلفّهم مهمة تبليغ هذه الرسالات، وبعد الأنبياء جاء دور أوصيائهم؛ الذين يواصلون مسيرتهم في تبيين الشرائع والأحكام الإلهيّة، وبعد الأوصياء تكون المسؤوليّة ملقاة على عاتق العلماء، العارفين بشرائع الله، وهم يتحمّلون مسؤوليّة تبليغها وتبيينها للناس، فهم ورثة الأنبياء، كما ورد في الأحاديث والنصوص.

يتحمّل العلماء مسؤوليّة تبيين رسالات الله وشرائعه للناس، لكن هناك عوائق تنتصب أمام من يحمل رسالة الله، تمنعه من تبليغها وتبيينها، وقد يكون العائق سياسيًّا بوجود سلطة مخالفة للشرائع الإلهيّة، وبالتالي لا يستطيع العالم أن يأخذ حريّته ويتحرّك من أجل تبليغ هذه الرسالات؛ لأنّ ذلك يكلّفه ثمن الاصطدام بالسلطات المخالفة للشرائع؛ وقد يكون العائق اجتماعيًّا كأن يكون الناس لا يتقبّلون هذه الشرائع، أو تسودهم أفكار وتوجهات مخالفة لهذه الشرائع، ويرفضون من العالم أن يعارض توجّهاتهم وما يمارسونه ويطرحونه، وسنتوقّف عند هذا العائق لكونه خطيرًا.

العلماء وترشيد الحالة الدينية

إنّ مسؤوليّة العالم ـ كما أسلفنا ـ هي بيان الأحكام والمفاهيم الدينيّة، وإذ كانت

هناك عادات وأعراف وتوجهات مخالفة للدين، فإنّ على العالم أن يتحمّل مسؤوليّته في تبيين خطأ هذه التوجهات والعادات، وقد يكلّفه ذلك ثمنًا، لكنّه يجب أن يكون مستعدًّا لهذا الثمن، حسبما تقتضيه الحكمة، لمصلحة الرسالة، وليس لحماية ذاته.

والقرآن الكريم والنصوص تؤكّد أنّ مسؤوليّة العلماء ألّا يتكتموا على الشّرائع والأحكام الدينيّة، مراعاة لمشاعر الناس وعواطفهم وتوجّهاتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٧٤].

ويقول في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٥٩].

وجاء عن الرسول الأكرم ﷺ: «أيّما رجلٌ أتاه الله علمًا فكتمه وهو يعلمه لقي الله يوم القيامة ملجمًا بلجامٍ من نار»[١].

وعنه ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه، ومن لم يفعل فعليه لعنة الله»[٢].

من هنا كان على العلماء ألّا يسكتوا على انتشار المفاسد والبدع والمخالفات للدين، وخاصّة ما يكون منها باسم الدين، فهذا يكون من باب الافتراء على الله والدين، وحينما يسود شيء باسم الدين وهو مخالف له، فمسؤوليّة العلماء هي مواجهة مثل هذه الأمور.

والمؤسف أنّ واحدًا من معاناة الأمّة الإسلاميّة هي نمو بعض العادات والتقاليد السيئة، وانتشارها في بعض المجتمعات الإسلاميّة، مع وجود العلماء، لكن العلماء

(١) بحار الأنوار. ج٢، ص٦٨.
(٢) الكافي. ج١، ص٥٤.

يتردّدون ويتحفّظون في مواجهتها؛ لأنّ الناس لا يقبلون، حيث ترى البعض منهم متذمّرًا ومبرِّرًا إمساكه عن ردعها برفض الناس لذلك، ولو أنّ العلماء تعاونوا فيما بينهم، واجتمعوا، لأثّرت مقولتهم على الناس، خصوصًا في هذا العصر الذي تقدّم فيه مستوى وعي الناس، لكن الأمر يحتاج إلى جهد علمائي حتى يقفوا أمام البدع والمفاسد.

ممارسات تشوّه المناسبات الدينية

ويهمّنا هنا أن نشير إلى مورد وهو التعامل مع المناسبات الدينيّة؛ حيث تشكّل فرصة مهمة لتعزيز قيم الدين في نفوس الناس، ولإظهار الوجه المشرق للمجتمع من خلال هذه المناسبات، لكن في بعض الأحيان قد تبرز بعض الممارسات والتصرفات الانفعاليّة أو العاطفيّة، وأحيانًا ممارسات طائشة وشطحات سلوكيّة، مما يعدُّ تشويهًا للمناسبة ولصورة المجتمع، كما أنّه استغلال سيئ لهذه المناسبة الدينيّة؛ حيث ينبغي الاستفادة منها لخدمة قيم الدين، ولا يصحّ أبدًا أن تصبح غطاءً لما ينافي تعاليم الدين.

وهذا الأمر قد يحصل لأنّ هناك بعض الجهلاء والمغرضين الذين يبتغون تشويه الصورة، فيستغلون مثل هذه المناسبات، وهنا لا بُدّ وأن يأخذ العلماء دورهم، وأن يقولوا كلمتهم بوضوح؛ وها نحن نستقبل مناسبة مهمّة هي ليلة النصف من شعبان، وفيها ذكرى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه، وهي ليلة عظيمة، كما أشارت لذلك النصوص، وجعلتها أعظم ليلة بعد ليلة القدر، فعلينا الاستفادة منها في تعزيز القيم الإيمانيّة والدينيّة، وفي البناء الروحي والأخلاقيّ، وفي تعزيز التلاحم الاجتماعي، وإظهار الصورة المشرقة لهذا المجتمع، ولمدرسة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، ومع الأسف الشديد، في بعض الأحيان تكون هناك ممارسات سيئّة، تحت غطاء هذه الليلة العظيمة المباركة.

فماذا يعني أن تكون هناك حفلات تفحيط في بعض الشوارع في هذه الليلة الكريمة؟! وماذا يعني أن يخرج عشرات من الشباب على دراجاتهم الناريّة يستعرضون

بطولاتهم في الشوارع أمام الناس؟! وماذا يعني حصول حالات من الاختلاط غير المحتشم بين الجنسين باسم هذه المناسبة والاحتفاء بها؟! وماذا يعني تعويق السير في شوارع رئيسة بإقامة بوابات لتوزيع الحلويات؟

على أنّ ما أشرنا إليه لا يشكّل صورة عامّة، لكن السكوت عن بعض المظاهر والممارسات يفسح لها المجال لكي تنتشر وتسود أكثر وأكثر، وقد تحدّثنا في السنوات الماضية، ويجب أن نتحدّث كلّ عام، وأن يتحدّث جميع العلماء والخطباء، وتكون لديهم مواقف واضحة من أجل حماية أجواء هذه المناسبات العظيمة، بغية ألّا تلوّث وتشوّه، وتكون غطاءً لممارسات خاطئة مخالفة لتعاليم الدين وقيمه؛ فنحن نريد أن نسرّ أهل البيت وأن نفرح لفرحهم، وهذه الممارسات لا تسرّهم ﷺ بل تحزنهم، وما شيعتهم إلّا الذين يفرحون لفرحهم وما يسرّهم.

وبالتأكيد فإنّ مثل هذه الممارسات لا تسرّ أهل البيت ﷺ، بل تحزنهم، وتسيء إلى مذهبهم ومدرستهم المشرقة المباركة، لذلك ينبغي أن يكون هناك كلام واضح صريح، ولو أنّ العلماء في كلّ بلد وحّدوا كلمتهم، وأعلنوا رأيهم، وطلبوا ممن يُحيي المناسبة التزام هذه التعاليم، لكان ذلك أدعى إلى إظهار هذه المناسبة بالمستوى اللائق.

نأمل أن تتضافر الجهود بدءًا من العوائل نفسها، فعلى كلّ صاحب عائلة ألّا يترك الحبل على الغارب لأولاده وبناته، خاصّة ونحن نعيش ظروفًا فيها الكثير من المصاعب والتحديّات، التي تملي على الأب والأم مزيدًا من اليقظة في حركة أبنائهم وبناتهم في ليلة النصف من شعبان، وألّا يعطوا مجالًا لاستعراض الجمال والمفاتن في مثل هذه المناسبة، كما قد يصنع البعض والعياذ بالله، وألّا نترك الفرصة للسيئّن لتلويث أجواء هذه المناسبة، وينبغي أن يعبّئ المجتمع قواه تجاه هذه الممارسات الطائشة، فإنّ ما يصنعه الشباب في هذه المناسبة من مضايف وبوابات على الشوارع، إن كان يهدف إلى التقرّب إلى الله تعالى، وهو ما نحتمله فيهم، فعليهم أن يكونوا في مواجهة هذه التصرّفات الطائشة، وألّا يسمحوا للعناصر المغرضة والطائشة أن تستفيد

من هذه المظاهر، في نشر ما لا يسرّ أهل البيت ﷺ، ويشوّه المناسبة.

استثمار الليلة العظيمة

إنّ ليلة النصف من شعبان ليلة عظيمة لا بُدّ من استثمارها بالعبادة والتضرّع إلى الله تعالى، ليلة انفتاح على الله سبحانه وتعالى، «وهذه الليلة ـ ليلة النصف من شعبان ـ من الليالي المشرفات المعظمات اللواتي جعلن علامات لنزول الخيرات والبركات، وروي أن أمير المؤمنين ﷺ لم يكن ينام فيها محييًا لعبادة الله عزّ وجلّ بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن»[١].

«وَرَوَى زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ يَجْمَعُنَا جَمِيعاً لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، ثُمَّ يُجَزِّئُ اللَّيْلَ أَجْزَاءً ثَلَاثاً، فَيُصَلِّي بِنَا جُزْءاً ثُمَّ يَدْعُو، وَنُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَسْأَلُهُ الْجَنَّةَ حَتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»[٢].

هذا هو برنامج أهل البيت ﷺ في ليلة النصف من شعبان، وليس الخروج إلى الشوارع بطريقة غير مناسبة؛ فالاحتفاء وإدخال البهجة على نفوس الأبناء أمر مطلوب، لكن ينبغي أن يكون ضمن الضوابط الشرعيّة، ولا يصحّ أن نسمح بالانفلات عنها، وجاء في سنن ابن ماجة عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا ... »[٣].

ويتأكّد في هذه الليلة استحباب صلاة جعفر الطيّار؛ ومن المستحبات قراءة دعاء كميل، وزيارة الإمام الحسين ﷺ، يجب أن نعمل لكي تكون هذه الليلة ليلة خشوع وسكينة والتزام القيم، وليس ليلة انفلات وشطحات وأعمال منافية لما يريده الدين وأهل البيت ﷺ.

---

(١) الشيخ المفيد. المقنعة، ص٢٢٦.

(٢) وسائل الشيعة. ج٨، ص١١٠، حديث ١٠١٩٢.

(٣) سنن ابن ماجه، ج١، ص٤٤٤.

الخطبة الأولى

اختيار التخصّص العلميّ

ورد عن الحسين بن عليّ عن جدّه رسول الله ﷺ إنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ وَمَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: «كُنْ بَعِيدَ الْهِمَمِ إِذَا طَلَبْتَ»[2].

نجد في هذه الحياة أشخاصًا متفوقين بارزين، ذوي إمكانات كبيرة في العلم أو المال أو الجاه، ونرى الأكثريّة من الناس يعيشون وضعًا عاديًّا، بل إنّ بعضهم يعيش فقيرًا في إمكاناته وقدراته؛ فتجد عالمـًا يحترمه الناس ويلتفون حوله ويقدّرونه، وحوله أناسٌ كانوا يعيشون نفس الظرف الذي عاشه ونشأ فيه، لكنّهم لا يمتلكون جزءًا بسيطًا من المكانة التي يمتلكها هذا العالم، ولعلّ بعضهم كان زميلًا وتربًا له أو ندًّا له، لكن هذا أصبح عالمـًا وذاك بقيَ شخصًا عاديًّا.

وتجد طبيبًا متمرّسًا أصبحت له مكانة في تخصصه، ودخلٌ متقدّم لكفاءته الطبيّة، وترى إلى جانبه سكرتيرًا أو عاملًا يعيش وضعًا ضعيفًا من ناحية الإمكانات، ولعلّه كان يعيش ظرفًا شبيه الظرف الذي كان يعيشه ربّ عمله.

تفاوت المستويات بتفاوت الهمم

وفي إحدى الدول ركبت مع شخص لكي يوصلني إلى عيادة طبيب من الأطباء،

(١) مستدرك الوسائل. ج٤، ص٢٤٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٠٩، حكمة٣٠.

فصار ذلك الشخص يحدّثني عن علاقته مع الطبيب الذي أقصده، وإنّه جاره وزميله في المدرسة، وتربطه به علاقة طفولة، وهكذا أراد أن ينقل لي صورة الظرف الذي عاشه والمشابه لظرف هذا الطبيب، وحينما وصلنا إلى الطبيب ـ والذي هو جرّاح يمارس إجراء العمليّات باستمرار ـ أخذ يحدّثني عن مبالغ طائلة وكبيرة جدًّا يتقاضاها لعمله، فعملية تستغرق عشر دقائق مثلًا قد يتقاضى عليها مبلغًا يقارب عشرة آلاف دولار، مع أن زميل صباه وطفولته السائق الذي أوصلني كان يقول لي إن مرتّبي الشهري لا يصل إلى نصف هذا المبلغ!!

فمع أنّ كليهما عاشا في بيئة وظرف ومجتمع واحد، فلماذا أصبح هذا طبيبًا له كلّ هذه الإمكانات، وزميله وجاره وندّه موظف لا يحصل على جزء يسير من الإمكانات التي يحصل عليها هذا الطبيب؟!

وربما تجد محاميًا ـ ومهنة المحاماة معروفة بدخلها الكبير والوافر ـ يترافع في قضيّة واحدة، يكتسب فيها ملايين الريالات، كما حدّثني ـ مثلًا ـ ليلة البارحة محام بأنّه ترافع في قضيّة كبيرة، يقدّر ربحها بالنسبة إلى أصحابها بمبلغ أربعة مليار ريال، وقد تقاضى عليها نسبة عشرة بالمئة من مجموع المبلغ النهائي إذا قُدّر له كسبها.

ويحدّثني أحد المحاميين أنه بعد كسبه للقضية التي ترافع عليها، واستحقاقه بذلك مبلغًا كبيرًا من المال، أخبره القاضي الذي كان يتولّى القضاء في هذه القضية، قائلًا له: إنّ ما تقاضيته على هذه القضية يعادل مرتّبي الشهري لمدة سنة أو أكثر، مع أنّك حصلت على هذا المبلغ من خلال ترافعك في قضيّة واحدة!!.

إذًا من حقّ الإنسان أن يسأل عن السبب الذي يكمن وراء التفاوت الحاصل بين الناس ـ سواء كان في العلم أو المال أو الجاه ـ، فلماذا نجد أنّ بعضهم يعيش وضعًا متقدّمًا متميّزًا، وكثيرًا منهم يعيشون وضعًا عاديًّا أو فقيرًا؟

ربما يكون للظروف والبيئة مدخليّة في بعض الأحيان في إيجاد مثل هذا التفاوت، ولكن الدرجة الأساس التي تفسّر هذا التفاوت، هي: إنّ همّة الإنسان واجتهاده هما

اللذان يصنعان مستقبله؛ فالإنسان الذي لديه همّة عالية، ويبذل جدّه واجتهاده لتحقيق تلك الهمّة، فسيكون النجاح والتميّز حليفه في الغالب، وتصبح له إمكانات ضخمة في أيّ مجالٍ من المجالات، بينما الإنسان الذي يفتقد الهمّة العالية، والاستعداد لبذل الجهد والاجتهاد للوصول إلى المواقع المرموقة، لا ترى له مستقبلًا محفوفًا بهذه القوة والتميّز، من هنا جاءت التوجيهات الدينيّة السّامية تدعونا لامتلاك الهمم العالية.

اختيار التخصص الجامعي

إنّ علينا ـ ونحن نرى أبناءنا وبناتنا ممّن تخرّجوا من المرحلة الثانوية، وهم أمام فرصة اختيار التخصّص ـ شحذ الهمّة العالية فيهم، حتى يكون اختيار التخصّص نابعًا من همّة وطموح وتطلّع، لكن المؤسف أنّ البعض من أبنائنا يستهين بموضوعة اختيار التخصّص؛ حيث إنّ عيونه تترقّب من يدور حوله من أصدقائه غير الجادّين، فأينما رسا اختيارهم تابعهم على ذلك، على أساس الجو المحيط بهؤلاء الأصدقاء وظروفهم، وقد لا يكون ذلك الاختيار يؤهّله لمستقبل أفضل.

وهناك قسم من أبنائنا يختارون التخصّص على أساس السهولة والراحة، سواء على مستوى الدراسة أو المكان، ولا شكّ أنّ مثل هؤلاء الطلاب لا يمتلكون طموحًا ولا همّة.

وقد قرأت مؤخّرًا مقالًا عن اختيار التخصّص في الجامعات المتقدّمة في الولايات المتّحدة ذات الدرجة الأولى، كهارفارد مثلاً؛ فإن هذه الجامعة قد خصّصت نسبًا معيّنة للدول، حيث لا يمكن أن تقبل إلّا على أساس هذه النسبة، وقد تحددت نسبة المملكة العربيّة السعوديّة في جامعة هارفارد بخمسة مقاعد في السنة فقط، وخصصت لإسرائيل واحدًا وعشرين مقعدًا؛ والإسرائيلون يتنافسون فيما بينهم للحصول على هذه المقاعد، بينما لا نجد تنافسًا فيما بين الطلاب السعوديين على هذه المقاعد الخمسة؛ لأنهم يتهيّبون صعوبة الجامعة، كما ينقل صاحب هذا المقال، وهو سعوديّ

مثقّف كان يعمل في السفارة السعودية بواشنطن، وربما نجد هذا التهيّب يتناقل فيما بين الطلاب، يحذّر بعضهم بعضًا من الانتساب إلى الجامعات التي يعتبرونها صعبة أو متشدّدة، ليحدث هذه الظاهرة لدى جميعهم.

وهذا يكشف عن عدم وجود همّة عالية لدى أبنائنا؛ حيث ينبغي أن يكون اختيار التخصّصات من قبل طلابنا نابعًا من همّة وطموح، وليس بحثًا عن أجواء الراحة وما هو أسهل.

ولا يقتصر هذا الأمر على الجامعات الدوليّة، بل تجد الطالب في وطنه قد يعزف عن الجامعة ذات التخصّص الأفضل، وفرص القبول فيها أكثر؛ لكونها بعيدة عن مكان إقامته وسكناه، ويفضّل عليها الجامعة القريبة؛ لكونها أريح، ولا ندري أيّ مستقبل يصنع بهذه الطريقة؟!

علينا أن نشحذ الهمم في نفوس أبنائنا وبناتنا، حتى يكون اختيار التخصّص متناسبًا مع الطموح والمستقبل الأفضل الذي نريده لهم، على ألّا نغفل العوامل الأخرى التي لها دور في اختيار التخصّص نظير: قدرات الإنسان وميوله، لكن أثبتت التجربة أيضًا أنّ الهمّة العالية تمكّن الإنسان من تجاوز الكثير من الصعوبات والعراقيل.

معايير الاختيار بين الطموح والمزاج

كما أنّ اختيار الطالب لتخصّصه على أساس عاطفيّ انفعاليّ من دون وعي ودراسة لا يمنحه الفائدة المرجوّة، بل ومن الممكن أن يغيّر تخصّصه بعد ذلك؛ إذ تشير الدراسات إلى أن نسبة (١٥٪) من الطلّاب يغيّرون تخصّصاتهم بعد السنة الأولى من مباشرتهم، وما هذا إلّا إضاعة للوقت والجهد، خلافًا لما إذا كان الاختيار مدروسًا، فإنّ المستقبل العلميّ والوظيفيّ يكون أفضل وأنجع.

وقد تشكلت بحمد الله في بلادنا جهاتٌ تعطي استشارة وخبرة في هذا المضمار؛ حيث تعين الطالب والطالبة على الاختيار المناسب، وعلينا الاستفادة من هذه

الجهات، والتواصل معها، والاستفادة من خبرتها، لكن المسألة التي أودّ التأكيد عليها، هي: «الهمّة العالية»؛ فما هو السبب الذي يحدو بالناس في البلدان الأخرى أن يتخرّج منهم مكتشفون ومبدعون وعلماء منجزون ونحن لا نجد ذلك بالمستوى المطلوب في مجتمعاتنا؟! فهل عقمت مجتمعاتنا وانكفأت قدرات أبنائنا على نفسها لتكون أقلّ استعدادًا من قدرات الآخرين الذهنيّة؟!

لا شكّ إن الأمر ليس كذلك، لكن الهمّة التي نفتقدها هي التي منحت للآخرين هذا التفوّق في الغالب؛ حيث تراهم يبذلون جدًّا واجتهادًا في هذا المجال.

وقد كان البعض يتحدّث في الماضي من الأيام أن الأجواء التي تحيط بتلك المجتمعات وبيئتهم هي التي منحت لهم هذه الكفاءة والاستعداد، لكن الفرصة في هذه العصور مواتية لأبنائنا للدراسة في بلدانهم وجامعاتهم فما هو المبرّر لعدم التقدّم إذًا؟! فها هي البعثات الدراسيّة متوفّرة في الخارج، وبالتالي فالبيئة التي تتوفّر للأجنبي المتميّز متوفّرة لأبنائنا، كما أن المنهج الدراسي والجامعة التي تتوفّر لهم تتوفّر لأبنائنا أيضًا.

نحن نأمل في أن يجتهد الأبناء، وأن يكون للعوائل دور في تشجيع أبنائهم، وإذكاء حالة التطلّع والطموح في نفوسهم، حتى يكون الاختيار للتخصّص اختيارًا مدروسًا، ومن وحي حالة الطموح والتطلّع والهمّة العالية.

فإنّ الصعوبات والهموم التي يحملها الطالب وهو يختار تخصّصه المتقدم، تتناسب مع حجم الهمّة التي يتحلّى بها.

الخطبة الثانية

المشاعر الدينيّة بين الوعي والاستغلال

روي عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: «الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا تَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْداً»[1].

تحديد المقصد والهدف شيء أساس في حركة الإنسان وسيره في مختلف مجالات الحياة، فلا بُدّ وأن يحدّد الإنسان هدفه ومقصده في كلّ مجال من المجالات، لكن تحديد الهدف ليس هو كلّ شيء، وإنّما هناك جانب لا يقلّ أهميّة عن هذا الجانب، وهو اكتشاف الطريق الصحيح الموصل إلى الهدف، فربما يختار الإنسان هدفًا جيّدًا ،لكنّه إذا لم يكتشف الطريق المناسب، وسلك طريقًا آخر، فلا شكّ أنّه لا يصل إلى هدفه، ولا بُدّ من اكتشاف الطريق الصحيح إلى الهدف الصحيح، وقد يكون في بعض الأحيان طريق أطول وأوعر من آخر، وبإمكان الإنسان حينها أن يختار الطريق الأسهل والأسرع، من هنا كان على الإنسان أن يبذل جهدًا في اكتشاف الطريق الذي يوصله إلى هدفه وغايته؛ فكثير من الناس لا يبذلون الجهد المناسب لاكتشاف الطريق الموصل إلى مقاصدهم وأهدافهم، فمثلًا:

إنّ نجاح الحياة الزوجيّة هدفٌ لكلّ متزوج، ولكن لا نلحظ إيلاء عناية ولا جهد مناسب من قبل المتزوجين، لمعرفة أفضل السبل الكفيلة بإنجاح الحياة الزوجيّة، وكذا الأمر في تربية الأولاد الصالحين، فهي مقصد وهدف يحمله كلّ إنسان، لكن

---

(١) من لا يحضره الفقيه. ج٤، ص٤٠١.

المطلوب هو بذل الجهد من أجل معرفة الطريق الصحيح لتربية الأولاد وتنشئتهم، كي يكونوا ناجحين صالحين، وهكذا في مختلف المجالات والصُّعد الأخرى.

الطريق إلى الله بين المعرفة والعاطفة

وعلى الصعيد الدينيّ، فالمؤمن الذي يريد تحقيق رضا الله، عليه أن يصرف جهدًا في معرفة الطريق لتحقيق رضا الله عزّ اسمه، وقد يصرف الإنسان جهدًا في طريق من الطرق، إلّا أنّه يكتشف بعد ذلك خطأ ذلك الطريق فيخسر جهده.

يقال: إنّ هناك عاملين كان مطلوبًا منهما أن يقوما بإصلاح أجهزة من على سقف عمارة تتكوّن من أربعين طابقًا، وحينما وصلا إلى العمارة شاهدا تعطّل مصعد هذه العمارة، الأمر الذي يملي عليهما الصعود من على سلالم العمارة ذات الأربعين طابقًا، وحينما صعدا إلى سطح العمارة بعد عناء وتعب طويل، بان لهما الخطأ الكبير الذي ارتكباه؛ حيث لم تكن هذه العمارة التي تجشّموا عناء صعود السلالم للوصول إلى سطحها هي العمارة التي كُلّفوا بإصلاح الأجهزة فيها!! وبغض النظر عن واقعيّة هذه القصّة أم رمزيّتها، لكنها ترمي التأكيد على موضوع أنّ الإنسان إذا لم يتأكّد من الطريق إلى مقصده، فيمكن أن يضيّع عمره ليكتشف بعد ذلك خطأ طريقه.

من هنا أكّدت النصوص والتوجيهات الدينية الاهتمام بمسألة التثبّت من الطريق الذي يسير فيه الإنسان؛ فهذه الرواية الجميلة عن الإمام الصادق عليه السلام التي تقول: «الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا تَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْداً»، تفيد هذا المعنى وتؤكّد أنّ الإنسان الذي يعمل من دون بصيرة ودراية، هو كالسائر الذي يسير في غير الطريق الذي يوصله إلى مقصده، كمن أراد الذهاب إلى مكّة فسار في طريق الشام مثلًا، وكلّما أسرع في طريقه ابتعد عن هدفه وغايته التي يريد الوصول إليها، من هنا وجب عليه التأكّد من صحة الطريق، وذلك بالبحث الموضوعي السليم.

فبعض الناس يختارون الطريق بناءً على عواطفهم ورغباتهم، كمن أراد الذهاب

إلى مكّة، فأعجبه طريق جميل معبّد فسلكه، من دون أن يتأكد أن هذا الطريق سيوصله إلى مكّة، غافلًا عن أنّ المهم في الطريق هو الغاية والهدف الذي تريده منه، لا في الارتياح إلى الطريق والرغبة فيه وجماليّته، ولا يصحّ من الإنسان الاعتماد على رغباته وعواطفه في تحديد الطريق الذي يوصله إلى هدفه، وإنّما عليه التأكّد من إيصال هذا الطريق إلى الهدف، حتى وإن كان خلاف عواطفه ورغباته، وهذا ما تؤكّده النصوص.

بالعقل نكتشف الطريق الصحيح

لقد أعطى الله الإنسان عقلًا وعليه التفكير واستخدامه بشكل سليم، والاستعانة بالعلم والمعرفة، فإن ذلك هو الكفيل بأن يكشف للإنسان الطرق الصحيحة للمقاصد والأهداف.

إنّ بعض الناس تفوتهم هذه الأمور حتى في المجالات الدينيّة، فحينما يريد الإنسان أن ينال رضا الله سبحانه وتعالى، والقيام بعمل الخير، فلا بُدّ من التفكير في الطريق الصحيح لبلوغ ذلك، وما الاعتماد على الأشياء العاطفيّة، والأطياف والأحلام للوصول إلى الله، والتقرّب إلى أهل البيت عليهم السلام إلّا خطأ فادح في هذا المجال، كما هو الأمر كذلك في سلوك الطرق المنتسبة إلى الغيب كمن يستخير مثلًا، ومما أثار استغرابي ودهشتي ما نقله لي بعض الأخوة من أنّ طالبًا سأل أحد المواقع الدينيّة حول اختيار التخصّص المناسب لدراسته الجامعية فأجابه: عليك بالخيرة!!

إذا كان مقصود هذا الموقع من الخيرة معناها الشرعي، وهو صلاة ركعتين وطلب الخير من الله عزّ وجلّ، على أساس تفكير ودراسة، فلا شكّ في سلامة هذا الخيار؛ لكن إذا كان معناها الاعتماد على فتح القرآن أو المسبحة، أو الاتصال بشخص يمتهن هذه المهنة، فهذا ليس بطريقٍ يؤمر به من قبل الشرع على حساب العقل والعقلانيّة؛ فالشارع يأمرك بالتفكير والمشاورة، وبعد ذلك تأتي مرحلة الاستخارة بالمعنى الوارد في الروايات الصحيحة.

إذًا؛ اختيار الطريق ـ سواء في المقاصد الدنيويّة أو المقاصد الأخرويّة ـ ينبغي أن يعتمد على العقل.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «يَا كُمَيْلُ، مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ»[1]. فالمعرفة هي التي تسوّغ الحركة، بغض النظر عن مسار الحركة وهدفها، لا الأحلام والأطياف والغيبيّات.

كما يروى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه قال: «مَنْ عَمِلَ عَلى غَيْرِ عِلْمٍ، كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ»[2]، فما دامت حركة عمله ليست على أساس علم ومعرفة ودراية، فإنّ ما يفسده في هذا المجال أكثر.

استغلال العواطف والمشاعر الدينية

وفي هذا السياق علينا التنويه إلى ما نلاحظه من نصب واحتيال في الميدان الدينيّ؛ فبقدر ما يحمله الناس من حماس وتوجّهات دينيّة، يوجد نصّابون يصدّونهم عن الطريق الصحيح لتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى، لذلك ليس كلّ من أرشد إلى طريق للتقرّب إلى الله أو أهل البيت عليهم السلام هو صادق في ذلك، وينبغي للناس القبول بإرشاداته وطرقه، بل عليهم أن يفكّروا بعقلانيّة، وألّا يغفلوا عن استخدام العقل.

لقد تحدّث القرآن الكريم عن دور الشيطان في صدّ الإنسان عن السبيل، يقول تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾[سورة النمل: الآية٢٤]، وهكذا تحدّث القرآن الكريم عن الأحبار والرهبان، علماء اليهود والنصارى، الذين كان يفترض بهم هداية الناس إلى الطريق الصحيح في الدين، لكنهم ضيّعوهم وأضلّوهم بدل هدايتهم إلى الطريق الصحيح، وهذا ما أشارت له الآية الكريمة: ﴿إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه﴾[سورة التوبة، الآية: ٣٤]، وهذا يكشف

(١) تحف العقول. ص١٧٢.
(٢) الكافي. ج١، ص٤٤.

عن ضرورة كون الإنسان مفكّرًا فيما يسلك من طريق.

في هذا الزمن نجد أنّ هناك استغلالًا من قبل جماعات تتبنّى التطرّف لمجموعة من الشباب المتحمّسين، الذين يريدون خدمة دينهم وأمتهم في مختلف البقاع والأصقاع؛ حيث تلعب بمشاعرهم الدينيّة، وتقودهم إلى التطرّف والعنف، يدلّسون عليهم بآية من هنا، ورواية من هناك، ولو استخدم هؤلاء الشباب عقولهم فلا شكّ أنّ هذا المصير لم يكن حليفهم، كلّ ذلك يجب أن يدفع الإنسان إلى اليقظة، وعدم السماح لأحدٍ باللعب على مشاعره الدينيّة والمذهبيّة، أو دغدغتها، ليجرّه إلى متاهات، على الإنسان أن يفكّر بعقله الذي منحه الله إيّاه.

سَأَلَ ابْنُ السِّكِّيتِ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ [الإمام الرضا أو الإمام الهادي عليهما السلام][(١)]: مَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ عليه السلام: «الْعَقْلُ؛ يَعْرِفُ بِهِ الصَّادِقَ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ، وَالْكَاذِبَ عَلَى اللَّهِ فَيُكَذِّبُهُ»[(٢)]. فيمكن للإنسان عن طريق العقل اكتشاف سلامة وصحّة طرح الداعي والموجّه الذي يقدّم فكرة معيّنة.

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّه قال: «إنَّ اللَّهَ يُطَاعُ بِالْعِلْمِ، وَيُعْبَدُ بِالْعِلْمِ، وَخَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ»[(٣)]، فلا يطاع الله بالخرافات والأساطير.

ومن المناسب جدًّا أن نتأمل في القصة التالية التي أوردتها مصادر الحديث كصحيح البخاري وغيره، لندرك أهمية الرجوع إلى العقل وألّا يُسلِّم الإنسان قياده

---

(١) ابن السكيت هو يعقوب بن إسحاق السكيّت النحوي المشهور، قتله المتوكّل لتشيّعه سنة ٢٤٤هـ، وقد استشهد الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣هـ، فمن المستبعد جدًّا إدراك ابن السكيت للإمام الرضا عليه السلام وسؤاله هذا السؤال، من هنا رجّح البعض أن يكون المقصود من أبي الحسن الوارد في الرواية هو أبو الحسن الثالث وهو الإمام الهادي عليه السلام.

(٢) الكافي. ج١، ص٢٥.

(٣) بحار الأنوار. ج١، ص٢٠٤.

ومصيره لكلّ أحد، خارج نطاق التعقل والتفكير:

«بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[1].

والقصّة أعلاه تكشف عن الدور الكبير الذي منحته الشريعة الإسلاميّة للعقل؛ حيث إنّ على الإنسان أن يستخدم عقله، ويحكّمه في أحلك الظروف، فيقدم على ما يعرف العقل حُسنه، ويحجم عمّا يقرّر قبحه، فمع أنّ تأمير هذا الرجل الأنصاري من قبل النبيّ ﷺ مباشرة، وجميع المأمورين قد سمعوا الأمر المباشر منه عليهم، ولم يسمعوا ذلك من رواية قد مرّ عليها أكثر من ألف سنة مثلًا، لكنّهم حكّموا عقولهم، ولم يأتمروا لطلبه منهم، وقد أقرّهم النبي ﷺ على ذلك، بل حذّرهم لو كانوا أطاعوه من مصير الهلاك.

ومجمل القول: إنّ على الإنسان أن يفكّر بعقله قبل الإقدام على أيِّ عمل دينيّ أو دنيويّ، وفي مختلف الصُّعد والمستويات.

(١) صحيح البخاري. ج٣، ص١٠٤، حديث٤٣٤٠.



الخطبة الأولى

المفاهيم الأخلاقيّة قيم مشتركة بين الديانات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾[سورة البقرة، الآية: ١٨٣].

يمثّل الاهتمام بالفضائل والأخلاق قاسمًا مشتركًا بين جميع الديانات على اختلافها، ومنها الديانات السماويّة المعروفة، كاليهوديّة، والمسيحيّة، والإسلام، الذي هو آخر الأديان وخاتمها، وكذا الديانات الأخرى كأديان الحضارات القديمة نظير: ديانة المصريين القدامى، أو الأديان الهنديّة كالهندوسيّة والبوذيّة، وكذا أديان الشرق الأقصى كالطاويّة والكونفوشيوسية في الصين والشنتوية في اليابان، في كل هذه الديانات يشكّل موضوع الاهتمام بالفضائل والأخلاق قاسمًا مشتركًا، بين جميع هذه المنظومات الأربع من الديانات، حسب تصنيف مؤرّخي الأديان.

فليس هناك من ديانة إلّا وهي تدعو أتباعها إلى القيم الأخلاقيّة على اختلاف في التفاصيل والتطبيقات سعةً وضيقًا، فلا توجد ديانة تبيح قتل النفس المحترمة، ولا توجد ديانة تبيح الكذب والخيانة، كما لا توجد ديانة تسمح بالظلم والجور، إنّ كلّ الديانات بغض النظر عن أصل صحّتها وبطلانها، تمجّد القيم الأخلاقيّة، وتحذّر من القبائح والعدوان، وتشيد بالفضائل والقيم الأخلاقيّة بشكل عام، وهذا يدلّ على أنّ هناك منبعًا مشتركًا لهذه الديانات، رغم لحوق التحريف لبعضها، أو عدم إتيانها من مصدر سماويٍّ مباشر، وإنما جاءت من بقايا ديانة سماويّة سابقة، كلّ هذا الأمر يدلّ

على أنّ المنبع واحد هو الفطرة والوجدان، والوحي الإلهيّ؛ حيث لم يشأ الله سبحانه وتعالى لخلقه أن يعيشوا الضلال والتيه والضياع، لذلك بعث إليهم الأنبياء والرسل.

الوحي لتعزيز القيم الأخلاقية

إنّ معظم هذه الديانات جاءت على أيديّ الأنبياء والرسل، لكن لحق بها تشويه وتحريف، وبعض الديانات هي من بقايا آثار الوحيّ والرسالات السماويّة السابقة؛ ولأنّ المنبع مشترك نلاحظ الاهتمام بالفضائل والقيم الأخلاقيّة.

لقد أنكر البعض من مؤرّخي الأخلاق العلاقة والارتباط بين القيم الأخلاقيّة والوحي، وأبرزهم الفرنسي (جيمس هنري برستيد) فقد نصّ في كتابه «فجر الضمير» على إنكار كون الوحي مصدرًا للقيم الأخلاقيّة، مستدلًّا على ذلك بما يوجد في الديانات المصريّة القديمة مثلًا من تعاليم أخلاقيّة، مع أنّها سابقة لنزول التوراة بألفي سنة، وسابقة لميلاد السيد المسيح بأربعة آلاف سنة، وبالتالي سابقة لنزول الإنجيل[1].

لكن هذا الاستدلال ليس دقيقًا؛ لأنّ الديانات لم تبدأ من التوراة والانجيل، بل الصحيح حسب اعتقادنا أنّ أوّل البشر ـ وهو آدم عليه السلام ـ كان نبيًّا، وأنّ الأنبياء توالوا في المجتمعات البشريّة كما يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا منهم أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾[سورة النحل، الآية: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ امَّةٍ الاَّ خَلا فيها نَذير﴾[سورة فاطر، الآية: ٢٤].

فالأنبياء والرسل كانوا في الأمم القديمة، غاية ما هناك عدم ذكر جميع الأنبياء في القرآن أو في الكتب السماويّة كما يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٧٨]، ولعلّ بعض من تنتسب إليهم بعض الأديان هم أنبياء في واقع الأمر ربما، ولعلّ دياناتهم كانت من تراث الأنبياء في أممهم، وما هذه المشتركات بين الأديان إلّا دليلًا على أنّ هناك منابع

(١) جيمس هنري برستيد، فجر الضمير، ترجمة: د. سليم حسن، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، ص١٣.

مشتركة، ومن هنا أشار القرآن الكريم إلى هذه النقطة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

كلّ هذا يؤشّر على وجود مشتركات بين الأديان ينبغي لمعتنقيها البحث عنها، والتعاون فيها، والتمحور حولها، بدل أن يدخلوا فيما بينهم حروبًا وصراعات ونزاعات.

الديانات وترويض الشهوات

إنّ الفضائل والقيم الأخلاقيّة تمثّل قاسمًا مشتركًا بين الديانات، لكن التزام الإنسان القيم الأخلاقيّة غالبًا ما يصطدم بأهوائه وشهواته، فيكون متمرّدًا ساحقًا لهذه القيم الأخلاقيّة ومتجاوزًا لها؛ لأنه ينطوي على رغبات وشهوات تدفعه لتجاوز التزام الفضائل والقيم، وهذا هو المنشأ الأساس للتمرّد عليها، وليس ذاك نابعًا من عدم معرفته بها؛ بل إنّ وجدانه وضميره يهديه إليها، فلا يوجد من يجهل قبح الظلم والكذب، وحسن العدل والصدق، جميع الناس يعرفون ذلك بفطرتهم ووجدانهم، وإنما المشكلة في التطبيقات والتفاصيل، والموانع الشهوانيّة، التي تحول دون التزام القيم الأخلاقيّة.

من هنا جاءت الديانات للاهتمام بالبرامج «الترويضيّة والتهذيبيّة» التي تطوّع رغبات الإنسان، بحيث يكون مسيطرًا على رغباته وشهواته، ولا تكون الرغبات والشهوات مسيطرة عليه؛ لأنّ خضوعه لذلك يعني الدفع به لتجاوز القيم والأخلاق.

ومن الوسائل المتبّعة في مختلف الديانات لترويض الإنسان للسيطرة على رغباته وشهواته هي: «الصوم»، فهو برنامج تدريبي ترويضيّ للشهوات والرغبات، إذ يمتنع الإنسان

اختيارًا أثناءه عن الأشياء التي يرغب فيها ويميل إليها، بل يحتاجها كالطعام والشراب.

لذلك أشارت الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ إلى أن الصوم ليست فريضة خاصّة بالمسلمين، بل يشمل أصلها جميع الديانات السابقة، ونشير هنا إلى أن الدين في الأصل واحد، وإنّما الشرائع تختلف من نبيٍّ إلى آخر، ومن باب المجاز نعبّر بالديانات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾؛ وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٩؛ سورة المائدة، الآية: ٤٨]. نعم يستفاد من بعض النصوص الشريفة أنّ تخصيص شهر رمضان بهذه الفريضة هو من خصوصيّات الأمّة الإسلاميّة، يقول أبو عبدالله عليه السلام: إنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضل الله به هذه الأمة، وجعل صيامه فرضًا على رسول صلى الله عليه وآله وعلى أمته[١].

والترويض النفسي عبر الصوم لا ينحصر في الديانات السماويّة فقط، بل حتى الديانات الأخرى نظير الهنديّة والصينيّة تجد فيها حضورًا لبرنامج الصوم؛ حيث تشجّع معتنقيها على ممارسته.

قد تختلف أوقات الصوم وتشريعاته بين الديانات، إلّا أنّ أصل الموضوع وهو الامتناع اختيارًا عن الرغبات لزمن معيّن، مشترك بين الديانات عمومًا، والهدف منه هو التدرّب والترويض للسيطرة على الرغبات والشهوات.

الصوم تدريب وترويض

إنّ صوم الإنسان عن الأكل والشرب والجنس والمفطرّات الأخرى، إنما يكون اختياريًّا، فنلاحظ العمّال المسلمين مثلًا، وصومهم في أيام الحرِّ والصيف، إنما هو ترويض حقيقي للنفس، وهيمنة على الرغبات، أو نلاحظ صوم المسلمين في البلدان التي يطول فيها النهار، فيحتاجون مقاومة شديدة للرغبات وصبرًا على الصوم.

(١) من لا يحضره الفقيه. ج٢، ص٦٢.

وقد أوضحت الحسابات الفلكيّة في هذا العام، أنّ مسلميّ أوروبا هم الأعلى في عدد ساعات الصيام، حيث تصل إلى واحد وعشرين ساعة في بعض مناطقهم، وبذلك يكون الليل ثلاث ساعات فقط، بينما أقلّ عدد الساعات يكون في الأرجنتين، حيث تقدّر ساعات الصوم بتسع ساعات ونصف فقط، أمّا في مناطقنا فالصوم يتراوح بين الأربع عشرة إلى خمس عشرة ساعة.

فالإنسان الذي يحبس نفسه عن جميع اللذائذ الشهوانيّة المفطرّة طيلة إحدى وعشرين ساعة، وفي تلك البلدان، التي ربما لا تساعد أجواؤها على الصوم، كما هو الحال في بلداننا؛ حيث لا يعيش الصائم هناك في إطار مجتمع صائم، يمنحه القوّة والاستمراريّة من خلال الأجواء المشجعة، أقول: من يصوم طيلة هذه الفترة لا شكّ بأنّ له أجرًا وثوابًا عظيمًا عند الله عزّ وجلّ، وفي مثل هذه الأجواء يتمظهر الغرض الأساس من الصوم، وهو السيطرة على الرغبات والشهوات، وأنّ الإنسان لا يكون مندفعًا مع رغباته وشهواته.

لذلك ورد في خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام عن حكمة الصيام، بأن فرضه: «تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ»[1].

وعن عليٍّ عليه السلام: «وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ»[2].

ومن هنا جاءت النصوص في فضل الصوم؛ لكونه ينمّي في الإنسان هذه الملكة.

وأشارت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إلى هذا الهدف السّامي؛ حيث جعلت التقوى مقصدًا وملاكًا، لعلّ الإنسان من خلال الصوم وحبس نفسه عن الملذات وترويضها يتوفر على تلك الملكة.

---

(١) بحار الأنوار. ج٦، ص١٠٨.

(٢) نهج البلاغة. حكمة ٢٥٢.

سماسرة الضغائن والأحقاد

«... عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) خَطَبَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ أيها الناس إنه قد اقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات وهو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم...»[1].

استقبال شهر رمضان المبارك ينبغي أن يشيع في نفس الإنسان المؤمن الأملَ والتفاؤلَ؛ فيستقبل هذا الشهر بروحٍ يغمرها الأملُ والبهجةُ والسرورُ؛ لأنّه مقبل على فرصٍ هائلةٍ عظيمةٍ من المكاسب، يمكنه تحصيلها وحيازتها، مكاسب معنويّة روحيّة كبيرة، حيث ضيافة الله، وسعة عطائه، ومواهب رحمته ولطفه، فالإنسان في هذه الفترة مقبل على شهر عظيم، يمكّن الإنسان من القرب نحو خالقه أكثر وأكثر، ويمكّنه من الحصول على أكبر قدرٍ من الثواب ونيل مغفرة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٠، ص٣١٣.

اصلاح النفس مهمة رمضانيّة

هي فرصة عظيمة تمكّن الإنسان من إصلاح نفسه وتغييرها إلى الأفضل والأحسن، لذلك كان رسول الله ﷺ قبيل شهر رمضان يلتفت إلى الناس قائلاً لهم: «سبحان الله!! أتدرون ما يستقبلكم وماذا تستقبلون» ويكّرر هذه الكلمة مرّات ثلاث؛ إنّ شهر رمضان ليس وقتًا عاديًّا، وينبغي أن يعرف الإنسان المسلم تميّز هذا الشهر العظيم والكريم.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ إنّه قال: «... لَا يَكُونَنَّ شَهْرُ رَمَضَانَ عِنْدَكُمْ كَغَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً، وَفَضْلًا عَلَى سَائِرِ الشُّهُور...»[1]؛ وعلى هذا الأساس فإنّ على الإنسان أن يُقبل على الشهر الكريم بتفاؤل، ولكننا نجد ـ ومع الأسف الشديد ـ أنّ بعض الناس يكون شهر رمضان بالنسبة لهم عبئًا، إمّا تهربًّا من الصيام أو تثاقلًا منه، وكما قال ذلك الأعرابي حينما هلّ هلال شهر رمضان عليه وكان الوقت قائظًا فقال: «أقبلت إلينا في الصيف، والله لأقطّعنك بالأسفار»، على أنّ الفقهاء جوّزوا السفر في شهر رمضان، لكن ما يفوّته الإنسان على نفسه من فرصة عظيمة أكبر وأجلّ، علمًا أنّ قيمة شهر رمضان لا ترتبط بالصوم فقط؛ حيث يمكن للمسافر أن يعيش بركات هذا الشهر الكريم أيضًا.

شهر فاعلية ونشاط

وهذا الاستقبال كما يكون بالتفاؤل، ينبغي من جهة أخرى أن يحفّز الإنسان للمزيد من الفاعليّة والنشاط في عمل الخير؛ فشهر رمضان ليس شهر راحة، وإنما شهر كفاح وجدّ ونشاط؛ فالنبي ﷺ كان يستعدّ لهذا الشهر، ويقضيه بالمزيد من أعمال الطاعة والخير، بما في ذلك معارك الجهاد التي حصل بعضها في شهر رمضان المبارك.

من هنا نجد أنّ النصوص تدعو الإنسان للإكثار من عمل الخير في شهر رمضان،

---

(١) بحار الأنوار. ج٩٣، ص٣٤٠.

فإن الدوام على صلاة النافلة في شهر رمضان، والإكثار منها، وتلاوة القرآن، وعمل الخير، والنشاط الاجتماعيّ والمعرفي، كلّها أعمال خير يستحسن بالإنسان أن يمارسها ويربّي نفسه عليها في هذا الشهر الفضيل، وإن لم يكن ملتزمًا بها في غيره من الشهور، وما تعوّده بعض الناس من كون هذا الشهر شهر راحة وكسل وتقاعس، ما هو إلّا غفلة عن حقيقة هذا الشهر الكريم، الذي هو شهر نشاط وفاعليّة واجتهاد في عمل الخير.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ إنّه قال: «مَنْ أَدّى فِيهِ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَ كَمَنْ أَدّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُور»[١]، فعلى الإنسان أن يفتّش فيما عنده من أرشيف عن الفرائض الإلهيّة ـ الأعمّ من كونها ماليّة أو عباديّة ـ التي لم يؤدّها، وبقيت عالقة في ذمّته، فعليه المسارعة إلى تأديتها في هذا الشهر الفضيل؛ فإن أداء الفرائض في هذا الشهر أفضل وأكثر ثوابًا؛ فالصدقة والبذل في هذا الشهر الكريم مثلًا أفضل منها في باقي الشهور؛ فقد سئل رسول الله ﷺ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ»[٢].

«وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»[٣].

فهو شهر بذل وعطاء أكثر، وهكذا على مستوى جميع البرامج حيث ينبغي أن تُكثّف، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «أَكْثِرْ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ، وَذِكْرِ اللَّهِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبِرِّ الْإِخْوَان...»[٤].

---

(١) الكافي. ج٤، ص٦٧.
(٢) كنز العمال. ج٨، ص٥٩١.
(٣) البخاري. ج١، ص٤.
(٤) مستدرك الوسائل. ج٧، ص٤٣٥.

التواصل الاجتماعي أمر مطلوب

ينبغي أن تزداد وتيرة البرامج الاجتماعيّة والتواصل والبرّ وصلة الرحم في شهر رمضان، أكثر من غيره من الشهور، لهذا جاءت الأحاديث حول إفطار الصائم مثلًا، حيث عُدّ هذا الأمر نوعًا من النشاط والتفاعل الاجتماعي، فقد جاء الحديث عن رسول الله ﷺ: «فِطْرُكَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ وَإِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ صِيَامِك»[١].

وفي رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «مَنْ فَطَّرَ صَائِماً، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»[٢].

شرطان لحصول التوفيق

السؤال الذي ينبغي الإجابة عنه هنا، هو: كيف يتوفّق الإنسان لاستثمار شهر رمضان، وللاستزادة من بركاته وخيراته؟ هذا ما أشارت له فقرة من كلام رسول الله ﷺ في خطبته حيث قال: «فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ، وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِصِيَامِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ»[٣]؛ فإنّ النيّة الصادقة والقلب الطاهر أمران مهمّان في كسب التوفيق في هذا الشهر الكريم، وحينما يسمع الإنسان الأحاديث والنصوص الروائيّة التي حثّت على ذلك، فلا ينبغي له الاكتفاء بالدعاء لطلب التوفيق فقط، وإنّما عليه العزم والإرادة الجدّية للوصول إلى ذلك، فالإنسان هو الذي يقرّر ويعزم، فالتوفيق ليست حالة نفسانيّة تأتي إلى الإنسان بشكل غير اختياريّ، دون عزيمة وإرادة من داخل هذا الإنسان، هذا على مستوى «النيّة الصادقة» وهي القرار وتهيئة البرامج كشرط أوّل لحصول التوفيق.

أمّا الشرط الثاني فهو: «طهارة القلب»؛ فعلى الإنسان أن ينظّف ما في قلبه من الأحقاد والضغائن والحسّاسيّات على العباد، وهذا الأمر يهيّؤه لاستثمار شهر رمضان،

(١) الكافي. ج٤، ص٦٩.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٠، ص١٤١.

(٣) وسائل الشيعة. ج١٠، ص٣١٤.

على الإنسان أن يعيَ جيِّداً ألّا وجود لعائق يعيقه من داخله عن عمل الخير، كما هي الإعاقة الحاصلة من الأحقاد والضغائن، فإنّ وجودها يعيق عن أعمال الخير وعن الانفتاح على الله سبحانه وتعالى، لهذا ينبغي للإنسان أن يهتم بنظافة داخله وقلبه من جميع الأحقاد، كما يمارس تنظيف بيته ومنزله حينما يستقبل الضيوف، كيف والقادم هو شهر رمضان، «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا تَسْتَقْبِلُونَ وَمَا ذَا يَسْتَقْبِلُكُم»[١].

وفي رواية جميلة عن رسول الله صلى الله علي وآله وسلّم عن أنس: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وسَلَّمَ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وسَلَّمَ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وسَلَّمَ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وسَلَّمَ تَبِعَهُ أحد الأصْحاب وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأوِيهِ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَكَانَ هَذَا الصَّحَابِيِّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، ولَمْ يَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا.

فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكادَ أَنْ يَحْقِرَ عَمَلَهُ، قْالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وسَلَّمَ يَقُولُ ثَلَاثَ مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ[آله] وسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ

(١) مستدرك الوسائل. ج٧، ص٤٢٥.

مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ...»[(١)].

تلويث القلوب بالأضغان

هذا الحديث يكشف عن واقع ينبغي للمتديّنين العمل به ووضعه كأساس في تصرّفاتهم، فإنّ الإكثار من الصلاة والصيام وباقي العبادات لا فائدة منه ما لم ينعكس على أخلاق الإنسان وتعامله مع نفسه ومع غيره، تجد الإنسان في بعض الأحيان يشفق على بعض المتدينين ممن يبالغ في الشعائر والفرائض، وهو في نفس الوقت يحمل بقعًا سوداء داخل قلبه على عباد الله، فيكره هذا، ويحقد على ذاك، وهو يظنّ بأنّه من أتباع العقيدة الصحيحة والمذهب السليم؟! إنّ أهل البيت عليهم السلام لا يريدون قلوبًا سوداء، وإنما يطلبون قلوبًا طاهرة من الأحقاد والأغلال.

هناك من يكرهون الناس ويبغضونهم على أقلّ اختلاف، فإنّ البغض قد ينشأ في بعض الأحيان جرّاء مشكلة خاصّة، وقد يكون لأن المبغوض من أتباع الديانات أو المذاهب الأخرى، وربما يكون من داخل نفس المذهب إلّا أنّه له رأي آخر، ولا ندري كيف جاءت الوصاية لهذا الإنسان على بني البشر؟! ولماذا تلويث القلب بالأحقاد والضغائن التي من أسوأها: الحقد على الأرحام والأقرباء بسبب خلافات على قضايا معيّنة وتافهة.

سماسرة الأحقاد وتجارها

تعاني الأمّة في الوقت الحاضر من الأحقاد الاجتماعيّة بين الطوائف والأديان والمذاهب والشعوب، التي يدير كفّتها تجار وسماسرة أحقاد، هؤلاء السماسرة والتجار ينتظرون حدثًا يحصل من هنا وهناك، ليؤجّجوا الخلاف والأحقاد والضغينة، خصوصًا والأمّة تعيش في الوقت الحالي مرحلة تحوّل ترافقها أحداث وصراعات

---

(١) مسند أحمد بن حنبل. ج٤، ص ١٢٨-١٢٩، حديث١٢٧٢٧.

في أكثر من بلد عربي وإسلاميّ، فيستغل هؤلاء هذا الوضع، ليفجّروا مخازن الأحقاد والسموم، فيبثونها وينشرونها، وعلى الفرد المسلم أن يحذر مثل هؤلاء، وأن يواجه هذه الحالة، بنشر ثقافة التسامح والصفح والتجاوز، مهم أن ننشر ثقافة العبادة والدعاء شرط أن ترافقها دعوة للتسامح والمحبّة، ورفض التعبئة والتعبئة المضادة، هذا هو ما تحتاجه الأمّة في هذا العصر.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يطهّر قلوبنا من الأحقاد والأغلال والضغائن، وأن يمنحنا النيّة الصادقة والعزيمة الراسخة على استثمار هذا الشهر الكريم، اللهمّ بلّغنا لشهر رمضان، ووفقّنا لصيامه وقيامه، وتقبّل فيه أعمالنا وطاعاتنا.

التديّن والنزعة الإنسانيّة

الخطبة الأولى

جاء في خطبة رسول الله ﷺ في فضل وآداب شهر رمضان أنّه قال: «أيها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازًا على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ومن خفّف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه ومن كف فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه ومن أكرم فيه يتيمًا أكرمه الله يوم يلقاه ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه»[1].

يفترض بالإنسان حين يكون متديِّنًا، أن تفيض مشاعره بالمحبّة والاحترام لمن حوله من الناس، وأن تظهر على سلوكه وممارساته نزعة اللطف واللين، في علاقاته مع المحيطين به؛ ذلك لأنّ التديّن يعني استهداف رضا الله سبحانه وتعالى، فالمتديّن هو من يريد الحصول على رضاه عزّ اسمه. وقد دلّت النصوص الدينيّة الواردة عن الله سبحانه وتعالى، عن طريق الوحي والأنبياء وأوصيائهم، على أنّ الله عزّ اسمه يرضى بحسن التعامل مع الناس، ويسخطه سوء التعامل معهم، فمن كان يريد الحصول على مرضاة الله فعليه أن يسلك هذا الطريق، ولأنّ المؤمن يفترض فيه أن يستهدف الوصول إلى مرضاة الله، فهذا يعني أن يكون ملتزمًا سلوك طريق المحبّة والاحترام، لمن حوله من الناس.

(١) ابن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص ٢٩٦.

جفاف أخلاق بعض المتدينين

لكن ما نراه في الواقع الخارجيّ، يحكي شيئًا مخالفًا في كثير من الأحيان، لهذه التعاليم الدينيّة؛ فبعض المتدينين غالبًا ما يكونوا عابسيّ الوجوه، ومنقبضين في أخلاقهم، وقاسين في تعاملهم مع من حولهم، ترى بعضهم مهتمًا بتفاصيل مسائل العقيدة، أو بجزئيّات الأعمال العباديّة، لكنّه ليس حريصًا على رعاية مشاعر الآخرين، واحترام حقوقهم، يجتنب عن بعض الخدوش في عباداته حتى لا يسخط ربه، لكنه ليس حريصًا على اجتنابها في العلاقة مع الآخرين، مع أنّ ذلك يسبب سخطًا كبيرًا من قبل الله تبارك وتعالى، وما هذا إلّا انفصامًا وازدواجيّةً في الشخصيّة.

طالعت قبل مدّة ـ في إحدى الصحف المحليّة ـ مقالًا لكاتب يتحدّث عن انطباعات أحد أصدقائه وزملائه عن والده، حيث يقول وهو يستذكر والده: إنّ والده وخاصة في شهر رمضان كان حريصًا على صلاة الجماعة، وقراءة القرآن، والأوراد والأذكار والمستحبات، لكنّه يضيف الشيء الذي لم يستطع فهمه، حينما يقارن بين تديّنه والقسوة التي يلحظها من أبيه تجاه أمّه؛ فطالما رآه ـ وهو طفل ـ يجرّها من شعرها ويضربها!!

ولا ندري: كيف يوفّق هذا الإنسان بين مواظبته على صلاة الجماعة، وصيامه، وتلاوته للقرآن، وبين هذه المعاملة القاسية مع زوجته، وبعضهم مع أبنائه، وبعضهم مع عمّاله والخدم الذين يعملون لديه، أو مع جيرانه، حيث نرى جارًا لا يسلّم على جاره المسلم المختلف معه مذهبيًّا، أو جاره الذي يتفق معه في المذهب والعقيدة ويختلف معه في بعض الآراء والتوجّهات، في الوقت الذي نراه مواظبًا على صلاة الجماعة وشعائر الدين، ولا ندري كيف نفسّر هذه الازدواجيّة؟!!

وبغية فهم خطورة هذا الأمر، نلاحظ التركيز الذي أولته النصوص الدينيّة على الترابط والتلازم بين العبادات، وبين حسن التعامل مع الناس؛ فالإنسان المؤمن الذي

يهتم بأداء العبادات، ويريد أن تكون صحيحة مقبولة، عليه أن يهتم بحسن التعامل مع من حوله، وحيث إنّا نعيش في رحاب فريضة عظيمة، وهي صوم شهر رمضان، نجد التركيز على الارتباط بين أداء هذه الفريضة، وبين مراعاة مشاعر الآخرين، والاهتمام بحقوقهم، وهذا ما نستطيع أن نلمسه في موارد عديدة، تؤكّده النصوص والأحكام الشرعيّة؛ فإنّ من جوانب حكمة فريضة الصوم، هو لأجل إشعار الصائم بمعاناة الآخرين من الفقراء والمحتاجين، كما تشير إلى ذلك نصوص عديدة:

ومنها: «سُئِلَ الْحُسَيْنُ ﷺ: لِمَ افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَبِيدِهِ الصَّوْمَ؟

قَالَ: لِيَجِدَ الْغَنِيُّ مَسَّ الْجُوعِ فَيَعُودَ بِالْفَضْلِ عَلَى الْمَسَاكِينِ»[1].

و«عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ عِلَّةِ الصِّيَامِ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ الصِّيَامَ لِيَسْتَوِيَ بِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدَ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ؛ لِأَنَّ الْغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَنْ يُذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالْأَلَمِ، لِيَرِقَّ عَلَى الضَّعِيفِ، وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ»[2].

فهذه الفريضة فرضت من قبل الله تعالى حسب هذه النصوص، من أجل إشعار الإنسان بآلام الآخرين، والإحساس بمعاناتهم؛ لأنّ الله يريد أن يربي الإنسان على الاهتمام بأوضاع الآخرين وآلامهم.

أحكام الصوم قرينة على أخلاقيّته

وحينما نريد أن نطلّ على حقيقة هذه الفريضة وطبيعة مدّياتها، نلاحظ مثلًا آخر يؤكّد هذه الحكمة التي آشرنا إليها آنفًا، وهو أنه يجوز للحامل المقرب، التي تخاف

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٦٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٧٣.

من الصوم على نفسها، أو جنينها، الإفطار والقضاء بعد ذلك، وكذا الأمر فيما إذا كانت تُرضع ولدًا، وكان الصوم يؤثّر على لبنها، كلّ هذا يؤكّد أنّ هذه الفريضة مأخوذ بالاعتبار فيها، مراعاة حقوق الآخرين، كما بيّنت ذلك تفاصيل مختلفة من أحكامها الشرعيّة.

أولوية حقوق الآخرين ومشاعرهم على المستحبات

وفي سياق الشواهد التي تُظهر النزعة الإنسانيّة في عبادة الصوم، نلاحظ مراعاة مشاعر الآخرين وحقوقهم، حينما تتزاحم مع أمر عبادي آخر، هو: استحباب تقديم صلاة المغرب على الإفطار؛ فقد دلّت النصوص على أن هذا الاستحباب، إنما هو في حالة عدم وجود من ينتظر على الإفطار، أمّا في حالة وجود صائمين جالسين على مأدبة الإفطار، فلا استحباب في البين، وعلى الإنسان أن يراعي مشاعرهم، فقد ورد: «عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: تُقَدِّمُ الصَّلَاةَ عَلَى الْإِفْطَارِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يَبْتَدِءُونَ بِالْإِفْطَارِ، فَلَا تُخَالِفْ عَلَيْهِمْ، وَأَفْطِرْ مَعَهُمْ، وَإِلَّا فَابْدَأْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْإِفْطَارِ، وَتُكْتَبُ صَلَاتُكَ وَأَنْتَ صَائِمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ»[1].

«وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنِ الْإِفْطَارِ قَبْلَ الصَّلَاةِ أَوْ بَعْدَهَا؟ قَالَ: إِنْ كَانَ مَعَهُ قَوْمٌ يَخْشَى أَنْ يَحْبِسَهُمْ عَنْ عَشَائِهِمْ فَلْيُفْطِرْ مَعَهُمْ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّ وَلْيُفْطِرْ»[2].

إفطار الصائم ثواب جزيل

ومن النماذج الأخرى التي تظهر النزعة الإنسانيّة في عبادة الصوم هي: «إفطار الصائم»؛ فإنّ الاهتمام بالآخرين، ومراعاة مشاعرهم، لا يقلّ ثوابًا عن نفس فريضة

(١) المفيد، المقنعة، ص٣١٨.

(٢) الكافي، ج٧، ص٤٧٤.

الصوم، وقد أشارت النصوص الدينيّة لذلك:

وعَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»[١].

ومنها: عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله «فَطْرُكَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ وَإِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ صِيَامِك»[٢].

حُسن الخلق جواز على الصراط

ومن النماذج أيضًا في موضوع الصيام هو التأكيد على حسن الخلق حين أداء هذه الفريضة؛ فالصائم لكونه يحسّ بالجوع والعطش، وبتغيير في برنامجه، ربما يكون هذا الأمر مبرّرًا لعدم الاهتمام بمشاعر الآخرين وأحاسيسهم بسبب اختلاف مزاجه، لكن النصوص ركّزت وأكدّت على أن يلتفت الإنسان إلى ضرورة تفادي خطورة هذا الأمر، من هنا نلاحظ ما جاء في خطبة النبي ﷺ، حيث نصّت على أنّ من حَسَّنَ خُلقه في هذا الشهر الكريم، كان له جوازًا على الصراط يوم تزلّ الأقدام فيه.

ما قدّمناه عيّنات ونماذج نلاحظ مثلها في الصلاة؛ فلو تابعنا أحكام الصلاة وآدابها، لوجدنا النصوص الكثيرة، التي تدلّ على الترابط بين أداء هذه الفريضة وبين احترام مشاعر الآخرين، والاهتمام بحقوقهم، كلّ هذا يؤكّد أن التديّن ينبغي أن يكون دافعًا لحسن الخُلق والتعامل، والمتديّن الذي يسيء التعامل مع الناس، عليه أن يعرف أنّه يسلك الطريق الخطأ، ويبتعد عن الفهم السليم للتديّن، وأنّ ما يريده من رضا الله وثوابه لا يتحصّل بهذا الأسلوب وبهذه الطريقة.

---

(١) الترمذي، السنن، ج٢، ص١٦٢.

(٢) ابن الأشعث، الجعفريّات، ص٦٠.

تشويه سمعة الآخرين خلل في التديّن

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنِ اغْتَابَ مُسْلِماً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَمْ يُؤْجَرْ عَلَى صِيَامِهِ»[1].

شهر رمضان دورة تأهيليّة تدريبيّة للالتزام بالقيم وضبط الرغبات والأهواء؛ وذلك لأنّ ما يعوّق الإنسان عن التزام القيم والمبادئ هو خضوعه لشهواته ولأهوائه، وفي هذا الشهر الكريم يلتحق الإنسان بهذه الدورة التأهيليّة التدريبيّة، بغية أن يتعوّد ضبط رغباته ومخالفة أهوائه، بما يتوافق مع التزام القيم والمبادئ.

احترام الآخرين قيمة أخلاقيّة دينيّة

ومن القيم التي تركّز النصوص على مراعاتها في هذا الشهر الكريم: «قيمة احترام الآخرين وعدم التجاوز على حريم حقوقهم الماديّة والمعنويّة»، وهي قيمة مهمة أكّدتها النصوص؛ أمّا الحقوق الماديّة ـ كإصابة جسم إنسان أو سرقة ماله مثلًا ـ فلا يتوغّل فيها إلّا عدد محدود من الناس؛ لتسالم الجميع على قبح هذا اللون من الاعتداء، ولوجود روادع قانونيّة؛ لكن الاعتداء المعنوي ـ ونعني منه إسقاط شخصيّة الإنسان وتشويه سمعته ـ فهذا ما يمارسه كثير من الناس؛ لأنّ البعض منهم لا يلتفت إلى قبح هذا العمل، أو لأنه تعوّد التساهل فيه؛ لعدم الاكتراث بسلبيّته من قبل المجتمع، فلا يبدو في نظره أمرًا قبيحًا مستهجنًا.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٥٩.

وقد ألفتت النصوص نظر الإنسان إلى أنّ الاعتداء على كيان الإنسان المعنويّ، ليس أقلّ قبحًا وسوءًا من الاعتداء على كيانه الماديّ؛ بل هو أشدّ وأخطر.

الغيبة نموذج للعدوان

الغيبة هي نموذج بارز لهذا النوع من الاعتداء؛ فذكر الإنسان عيب أحد في حالة عدم وجوده، من أجل تشويه سمعته، والانتقاص منه، يُعدُّ أمرًا قبيحًا مستهجنًا، شرعاً وأخلاقًا، حتى ولو كان ذلك العيب حاصلًا في واقع الأمر؛ إذ نرى البعض يسوّغ استغابته للناس، وذكر معايبهم، بأن ما ذكره موجود فيمن استغابه، ولكن خفيَ على هؤلاء أن مجرّد ثبوت هذا العيب في الإنسان لا يكون مسوّغًا لنشره وفضحه، بل تبقى المسألة غيبة محرّمة، ما دام ذكره يشوّه سمعة هذا الإنسان ويحطّ من كرامته.

وقد مثّل الله سبحانه وتعالى للغيبة بأبرز الأمثلة الصارخة المستقبحة عند بني البشر حيث قال تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً؛ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحيم﴾[سورة الحجرات، الآية: ١٢].

فالإنسان يكره أن يأكل من لحم أخيه الميّت، ويستقبح أكل لحوم البشر عمومًا، وحينما يتحدّث العقلاء عن شخص يمارس هذا الموضوع فسيموضعونه في دائرة الشذوذ والانحراف، وهذا ما نوّهت إليه الآية المتقدّمة؛ فإنّ من ينهش كيان الإنسان المعنوي وسمعته فهو يمارس عملًا أقبح من أكل لحمه الماديّ.

والروايات في هذا الباب كثيرة؛ حيث حذّرت من الغيبة وشدّدت النكير على ممارستها، فقد ورد عن رسول الله ﷺ حديثٌ ينبغي التأمّل فيه كثيرًا، من أجل معرفة قبح هذه الظاهرة:

«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِيَّاكَ وَالْغِيبَةَ، فَإِنَّ الْغِيبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْغِيبَةُ؟ قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ ذَاكَ الَّذِي يُذْكَرُ بِهِ. قَالَ:

اعْلَمْ إِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[١].

وقد يعجب البعض مما ذكره الحديث أنّ الغيبة أشدّ من الزنا، لكن من يعرف المعايير والموازين الدينية، يدرك أنّ الزنا جرأة على حقِّ الله تعالى، بينما الغيبة عدوان على حقوق الناس، وعفو الله عن الذنوب التي ترتبط بحقوقه تعالى أقرب من عفوه عن ظلم الآخرين والعدوان على حقوقهم المادية أو المعنوية، كما تصرح بذلك عدد من النصوص الدينية، دون أن يعني ذلك الاستهانة بتلك الذنوب كالزنا، والذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية:٣٢].

ولا شكّ أنّ السبب الذي حدا بالشريعة لتشديد النكير على حرمة الغيبة، إنما هو أثرها السلبيّ على كرامة الإنسان، والانتقاص منه، وتسقيط شخصيّته، وتشويه سمعته، ولأنّ الغيبة تنشر الفاحشة والسوء في المجتمع، فإنّ تداول الغيبة بين الناس، وتحوّلها إلى حالة عامّة بينهم، هو سحق للقيم والأخلاق، الأمر الذي يفضي إلى التشجيع على التجاوز، فحينما يرى الإنسان الآخرين يفعلون فعلًا فإنّ ذلك باعث على إسقاط هيبة ذلك الفعل في نفسه، بل تسبّب الغيبة ردّة فعل من قبل المغتاب؛ فربما ينزعج وينتقم لنفسه، وهو أمرٌ طبيعيّ، لأجل جميع هذه الأمور جاء التشديد على قبح الغيبة والتحذير منها.

غيبة الآخرين تمنع قبول العبادة

وفي شهر رمضان بالذات ركّزت النصوص على حرمة الغيبة وقبحها، بغية تدريب الإنسان على ضبط نفسه ولسانه من ممارسة هذه الرذيلة الأخلاقيّة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الصَّائِمُ فِي عِبَادَةٍ وَإِنْ كَانَ نَائِماً عَلَى فِرَاشِهِ مَا لَمْ يَغْتَبْ مُسْلِماً»[٢].

أي إنّ قبول العبادة يتوقّف على عدم الاغتياب؛ فقد يكون الصوم كعبادة ظاهريّة

---

(١) الطوسي، الأماليّ، ٥٣٧.

(٢) الكافي، ج٧، ص٣٧٤.

سليمًا، حينما يطبّق الإنسان شروطه الفقهيّة، لكنه من حيث أهليّته للقبول عند الله سبحانه وتعالى، قد لا يكون كذلك، إذا أفسد الصائم جوهره بمثل هذه الرذائل الأخلاقيّة، ومن الواضح أنّ العلماء يفرّقون بين شرائط الصحّة وشرائط القبول.

ولعلّ الالتفات إلى مضمون هذا الحديث المرويّ عن رسول الله ﷺ، يُسهم في الابتعاد عن ممارسة هذه الرذيلة، في هذا الشهر الفضيل، وغيره من الشهور، حيث استخدم فيه نبيّ الرحمة نفس التعبير القرآني فقال: «مَا صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاس»[١].

وفي حديث آخر روي عن الرسول الأكرم ﷺ قال فيه: «مَنِ اغْتَابَ مُسْلِماً أَوْ مُسْلِمَةً لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى صَلَاتَهُ وَلَا صِيَامَهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُه»[٢].

هذه عينة من النصوص الدينيّة التي جاء فيها تأكيد رعاية حرمات الآخرين، لكننا نعيش اليوم في عصر أصبحت فيه ظاهرة انتهاك الحقوق المعنويّة للآخرين، وتشويه شخصياتهم، من أكثر الظواهر تفشّيًا وظهورًا، وخاصة في أوساط المتدينين، مع الأسف الشديد؛ فالمتديّنون الذي يتعاطون ويتداولون هذه النصوص الشريفة الذامّة لهذه الرذيلة والمتلبّس بها، نراهم يمارسونها دون هوادة، ولا أدري لِمَ هذا التساهل في أوساطهم في تشويه شخصيات بعضهم بعضًا، مع هذه النصوص الماثلة أمامهم؟ ولا أدري أيضًا السّر الذي جعل من هذه المشكلة خطرًا أكبر وأظهر في عصرنا الراهن؟

حرية التعبير سلاح ذو حدّين

إننا نعيش في عصر أصبح من السهل التعبير فيه عن الرأي؛ فالاهتمام بالرأي والمعرفة لم يعد حكرًا على طبقة خاصّة من المجتمع، قد تمتنع أحيانًا من الكشف عنه والتصريح به، بل أصبح مع اتّساع رقعة التعليم والمعرفة شرعة لكل وارد، ومع وجود

(١) مستدرك الوسائل، ج٧، ص٣٧٠.

(٢) بحار الأنوار. ج٧٢، ص٢٥٨.

فرصة التعبير عن الرأي فستحصل لا محالة آراء متعدّدة، ومع تعدّد الآراء يحصل الاختلاف والتباين بينها، وفي خضم هذه المعمعة يصبح تسقيط الشخصيات وتشويه سمعتها سلاحًا في معركة اختلاف الآراء والأفكار في الأوساط الدينيّة، إنّ التعبير عن الآراء والأفكار شيء معقول وسليم جدًّا، لكن خيبتنا أن يتحوّل هذا الأمر إلى سلاح فتّاك، لاتّهام الآخرين في الدين والعرض وغير ذلك، من أنواع الاتهامات الجاهزة.

التطوّر الإعلاميّ سبب آخر

إنّ تطوّر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعيّ سببٌ آخر يسّر أمر هذا السلوك القبيح، أعني الغيبة وتشويه السمعة؛ حيث تجد البعض يسقّطون الناس تحت مظلّة اسم مستعار بإسفاف وجهل، لكنهم غفلوا أنّ هذا الاسم المستعار قد يخفى على الناس، لكنّه لا يخفى على خالقهم العليم الخبير بكلّ شيء.

والأنكى والأتعس تكوّن جهات تحترف إسقاط شخصيات الناس، من خلال تجهيز وسائل إعلاميّة يكون شغلها الشاغل تسقيط سمعة المؤمنين؛ فلديهم آراء معيّنة متطرّفة، يعتبرونها هي الحقّ الصراح، ومن خالفهم في ذلك فهو كافر وضالّ ومبتدع وناقص العقيدة وهادم للإسلام... إلى غير ذلك من الأوصاف التي يكيلونها دون أن يفرّقوا بين متقدّم ومتأخر، ولم يسلم من إيذائهم وسوئهم أحد من الأولين والآخرين، من مراجع وعلماء وفقهاء ومفكّرين.

وهذا الأمر أخطر من الخطير؛ فحينما تتحوّل الغيبة وإسقاط سمعة الآخرين، من عمل فرديّ إلى عمل مؤسّساتي، فهذه هي الكارثة؛ إذ نجد مؤسسات منظّمة شغلها الشاغل إسقاط الآخرين وتشويه سمعتهم، مرتكزين في ذلك على عنوان التقرّب إلى الله تعالى، خدمة للدين والمذهب، مع أنّ هذا العمل من أشدّ المحرمات التي تحقّق أهداف الأعداء المتربصين لإضعاف مجتمع المؤمنين، ولا وسيلة أفضل من هذه الوسيلة الناجعة في تفكيك اللحمة، والإجهاز على ثقة الناس بالدين وعلمائه؛ فإذا

فرضنا أنّ هذا المرجع أو هذا الخطيب الذي أدّى دورًا كبيرًا في خدمة الدين والمنبر، يوصف بهذه المواصفات البذيئة، فلا يبقى للدين ورموزه باقية، وهذا الأمر يُعَدّ من أخطر وأقبح الأعمال السيئة التي تفشّت في مجتمعات المؤمنين في هذا العصر.

وعلى المؤمنين أن يكون لهم دور في تحصين المجتمع من تأثيراتها، وينبغي ألّا يصغي الناس لهؤلاء، حتى لا يتربّى جيل مجتمعيّ على هذا المنحى والتوجّه، كما نلحظ في واقعنا الحاضر شبابًا في مقتبل العمر متحمّسين لدينهم، يلهجون بلعن هذا واتّهام ذاك.

إننا ونحن نعيش في رحاب هذا الشهر الكريم، ومع هذه النصوص الدينيّة الوافرة التي حذّرت من انتهاك سمعة الآخرين وتشويه شخصياتهم، ينبغي أن نستثمر هذا الشهر الفضيل، في بثّ ثقافة التحصين لمجتمعنا من مثل هذه التوجهات السيئة السلبيّة، نسأل الله تعالى أن يبعدنا وإيّاكم عن مساوئ الأخلاق.



الخطبة الأولى

أداء العمل بشوقٍ وتفاعل

ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»[1].

يتفاوت الناس في مستويات أدائهم لأعمالهم، وفي تفاعلهم مع القيام بوظائفهم التي يلتزمونها على أنحاء:

١. فهناك من يؤدّي عمله تحت ضغط الإلزام، دون رغبةٍ واندفاع نفسيّ، بحيث لو استطاع التخلّص منه لما قام به، فنلاحظ في بعض الأحيان مثلًا: إنّ تلاميذ الصفوف الأولى حينما يحين وقت ذهابهم للمدرسة، تراهم يبحثون عن حجج واهيّة، وأعذار وهميّة، من أجل تبرير عدم ذهابهم، وإن ذهبوا يذهبون متثاقلين على غير رغبة؛ والحال كذلك عند بعض الموظفين؛ حيث يكونون أشبه بالمكره الذي لا رغبة لديه في العمل الذي أكره عليه، بحيث لو تمكّن من التخلّص لما ذهب.

وهذا الأمر لا يقتصر على الواجبات الوظيفيّة، بل يشمل حتّى الوظائف العباديّة الدينيّة، فنرى من يؤدون عباداتهم من دون رغبة واندفاع، على طريقة مجبر أخاك لا بطل.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن فريق من الذين يتلبسون بهذه الصفة، في موقفهم

(١) الطوسي، الأمالي، ص١٦٦.

تجاه فريضة الجهاد، حينما دعاهم الرسول الأكرم ﷺ في معركة بدر حيث يقول تعالى: ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ؛ يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[سورة الأنفال، الآيات: ٥-٦].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ...﴾[سورة التوبة، الآية:٣٨].

ولا تقتصر المسألة على موضوعة الجهاد فقط، حيث ربما يكون الخروج إليه محفوفًا بالمخاطر، لكنا نجد أنّ البعض ممن لا يكون الإيمان عميقًا في نفسه، يوسّع دائرة تردّده وتقاعسه إلى عموم العبادات الأخرى، فقد تحدّث القرآن الكريم عن حالة البعض ممن يقيم فريضة الصلاة، وممارسة الإنفاق بكسل وتثاقل، يقول تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسالى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كارِهُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: ٥٤].

٢. وهناك من يؤدّي عمله لكن في حدوده الدنيا، بحيث يصدق عليه أنّه مارس وظيفته الحياتيّة أو اليوميّة، فحينما يريد أن يمتثل لفريضة الصوم مثلًا، يأخذ حدّها الأدنى، الذي يصدق من خلاله عليها وصف الصوم، وهو: الاجتناب عن المفطرات، وقد وصف رسول الله ﷺ مثل هذه الحالة كما ورد عنه: «إِنَّ أَيْسَرَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى الصَّائِمِ فِي صِيَامِهِ تَرْكُ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ»[1].

ونلاحظ هذا المستوى من الأداء في فريضة الصلاة أيضًا؛ فترى بعض المكلّفين يبحثون عن الحدّ الأدنى من الواجب فيها.

٣. وهناك من يؤدّي عمله من حيث الشكل بإتقان، لكن لا يصحبه تفاعل نفسي، ولا تفكير في استثمار العمل.

٤. أمّا الحالة الأفضل، والمستوى الطموح الذي ينبغي أن يتطلّع إليه الإنسان في كلّ عمل من أعماله، أن يؤدّيه برغبة وتفاعل وتفكير في استثماره، فصرف

(١) وسائل الشيعة، ج١٠، ص١٦٤.

الوقت والجهد يقتضي الاهتمام بالعمل وترقيته إلى أعلى مستوى.

استثمار فرصة العمل

فالطالب حينما يحصل على بعثة دراسيّة فإنّ الفرص التي أمامه كثيرة جدًّا؛ لكن البعض يكتفي بالحدّ الأدنى من الدرجات الامتحانيّة، بحيث يضع نفسه في دائرة المستحقين للمكافأة التي تدفعها الملحقيّة الثقافيّة وفي إطار ضوابطها، لكن البعض من المبتعثين يمتلك عشقًا واهتمامًا باستثمار تواجده في المنطقة التي ابتعث فيها؛ فما دام يتواجد في دولة متقدّمة علميًّا وحضاريًّا، فلماذا لا يستثمر وقته، ويصرف همته، في الاهتمام الأكبر بدراسته وتنمية قدراته المختلفة.

وحينما يأتي الإنسان إلى صلاة الجماعة ويصرف وقتاً من أجلها، فعليه أن يفكّر في كيفية استثمار وقته الذي صرفه في هذا المجال، على المستوى النفسي، والروحي، والمعرفي والاجتماعيّ...، وهكذا في مختلف المجالات كالسفر مثلًا؛ فبعض الناس يصرف أموالًا طائلة للسفر والسياحة، لكنه يقصر سفره على النوم والأكل فقط، من دون أن يستفيد من سفره بأن يكسب أشياء جديدة، وأصدقاء جددًا.

ينبغي أن تكون عند الإنسان هذه الروحيّة في كلّ عمل من الأعمال التي يؤدّيها، أن يتفاعل نفسيًّا مع العمل وأن يستثمره بأعلى حدٍّ ممكن.

وفي رحاب فريضة الصيام علينا أن نلاحظ كيفيّة التوجيه الذي تقدّمه التعاليم الدينيّة حول هذه الفريضة، فعندما يصوم الإنسان، ويصرف جهدًا، ويمتنع عن الأكل والشرب والرغبات، فلا بُدّ من استثمار ذلك، وعدم جعلها تمرّ دون فائدة مناسبة، ومن هنا جاءت النصوص التي وصفت حظّ بعض الصائمين بالجوع والعطش، من دون تفاعل نفسي، وسيكولوجي مع الحدث الذي يمرّ به، ومن دون استثمار للفرصة التي يمرّ بها، وهكذا بالنسبة للمصليّ الذي يؤدّي العبادة كشكلٍ دون أن يرافقها تمعّن ومضمون.

أرقى درجات الصيام

إنّ التوجيهات الدينية تدفع الإنسان لأداء فريضة الصوم ـ وغيرها من الفرائض الأخرى ـ بأفضل وجه، وتوضح الآليّة لذلك؛ حيث تحدّثت النصوص عن آداب الصيام والآفاق التي يمكن أن يستثمرها المكلّف من خلال هذه الفريضة، فقد ورد عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: الصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي عَلَيْهِ»[١].

وبذلك يخرج الصوم من دائرة الرياء حيث إنّه التزام ذاتي بين المكلّف وبين خالقه، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الصَّوْمُ عِبَادَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وخَالِقِهِ، لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ لاَ يُجازِي عَنْهَا غَيْرُهُ»[٢].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الصَّائِمَ مِنْكُمْ لَيَرْتَعُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ تَدْعُو لَهُ الْمَلَائِكَةُ حَتّى يُفْطِرَ»[٣].

وما دام الإنسان يعيش هذه الحالة فلا بُدّ أن يستثمرها ويستفيد منها، وقد ورد عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها قالت: «مَا يَصْنَعُ الصَّائِمُ بِصِيَامِهِ إِذَا لَمْ يَصُنْ لِسَانَهُ وَ سَمْعَهُ وَ بَصَرَهُ وَ جَوَارِحَه»[٤].

وفي مستوى متقدّم توجّهنا النصوص إلى انعكاس هذه الفريضة على فكر الإنسان ومشاعره وأحاسيسه، وهو المستوى الأرقى والأكمل، وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صِيَامُ الْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ فِي الْآثَامِ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ الْبَطْنِ عَنِ الطَّعَامِ»[٥].

---

(١) الكافي، ج٤، ص٦٣.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٢٩٦.
(٣) الكافي، ج١٥، ص٨٠٦.
(٤) دعائم الإسلام، ج١، ص٢٦٨.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٤١، حكمة ٧٨.

فعلى الإنسان أن يبعد قلبه عن التفكير في الذنوب والمعاصي، وهذه ناحية مهمّة، إذ يطلق الإنسان في بعض الأحيان لفكره العنان في التفكير ببعض المعاصي، والشرع لا يحرّم هذا التفكير بمجرّده، لكن من الواضح أنّ ذلك قد يفضي إلى ولادة نفسيّة سلبيّة عند الإنسان، حيث تنخفض عنده درجة المناعة، ويصبح أقرب للوقوع في شبك المعصية، من هنا ورد ضرورة الابتعاد عن التفكير بالذنوب، كأن يفكّر في ممارسة موبقة معينة مثلًا؛ فإنّ أصل التفكير بهذه الموبقة عمل ينبغي الابتعاد عنه، وذلك لما قاله عليّ عليه السلام فيما روي عنه: «مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِي الْمَعَاصِي دَعَتْهُ إِلَيْهَا»[1].

وفي كلمة أخرى: «مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِي اللَّذَّاتِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ»[2].

وهذه كلمات رائعة، تمثّل خلاصة للحقائق والتجارب الإنسانيّة، وعلى الإنسان أن ينصاع لها، ويربّي نفسه عليه.

وفي هذا الشهر الكريم علينا أن نمارس لا صوم الطعام والشراب فقط، وإنما صوم الجوارح عن بقيّة المحرّمات كالغيبة والنميمة والاستماع إلى ما يحرم، والمستوى الأرقى من الصوم هو صوم القلب عن التفكير في الآثام والمعاصي. ورد عن عليّ عليه السلام: «صَوْمُ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ اللِّسَانِ وَصِيَامُ اللِّسَانِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ الْبَطْنِ»[3].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٥٩، حكمة ١٢٧٠.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٥٩، حكمة ١٢٦٩.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٤٠، حكمة ٧٤.

كيف تقرّر لنفسك وتحترم قرارك

روي عن الإمام محمد بن جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِيَّاكَ أَنْ تَفْرِضَ عَلَى نَفْسِكَ فَرِيضَةً فَتُفَارِقَهَا اثْنَيْ عَشَرَ هِلَالاً»[1].

التزام الإنسان القرارات إمّا أن ينبع من مصدر خارجيّ، وإمّا أن يكون من مصدر داخليّ، ويختلف المصدر الخارجي، وتتنوّع أسباب الانصياع له؛ فربما يلتزم الإنسان القرار الذي تتخذه عليه جهة عليا، لكونه يهابها أو يحترمها.

والإنسان المؤمن حريص على الالتزام بما قرّره عليه خالقه ورازقه تعالى؛ حيث أمره بمجموعة من الأوامر، وطلب منه الابتعاد والكفّ عن مجموعة من النواهي، ولا شكّ أن امتثال الإنسان يأتي من حيثية شكره لربه، ورجائه لثوابه، أو حذرًا من سخطه وعقابه.

وربما يلزم الإنسان نفسه بعض الأعمال والقرارات بسبب التزام ناتج من عادات وأعراف اجتماعيّة، فالمجتمع لا يخلو من الأعراف والالتزامات المتداولة، التي تلزم الإنسان مثل هذه الواجبات، فيكون أداؤها استجابة لالتزام خارجيّ عرفي، حتى وإن لم يكن منسجمًا معها نفسيًّا.

وربما يكون الإنسان قد سنّ له عادة في المجتمع كأن يكون له مجلس أو برنامج

(١) الكافي، ج٢، ص٨٣.

معيّن وحين يتركه تُطرح تساؤلات مجتمعيّة من هنا وهناك عن سبب إحجامه عن تلك العادة والبرنامج، ودفعًا لهذه الأمور يرى نفسه ملزمًا.

هذه نماذج من القرارات التي تأتي من جهة خارجيّة، بغض النظر عن كونها جهة عليا، أو جهة يهابها، أو يحترمها، أو عرفًا اجتماعيًّا.

الإلزامات الذاتية حالة راقية

وهناك حالة تُعَدّ أرقى من الحالة المتقدّمة، وهي: التزام الإنسان القرارات المنبعثة من داخله، فهو الذي يقرّر لنفسه ويضع برامج لها، وهذه الحالة لا يمارسها معظم الناس، بل ينتظرون الزامات خارجة عن ذاتهم، فإن جاءت، فبها ونعمت، وإلّا فيبقون يعيشون حياة سائبةً بلا مبالاة، في مختلف الجوانب التي لم يتدخّل أحدٌ في الزامهم ضمنها، والحالة المثاليّة التي ينبغي أن تكون، هي: أنّ على الإنسان أن ينظّم ذاته، ويتخذ قراراته بنفسه، هو الذي يبرمج لنفسه نظامًا غذائيًّا، ويبرمج ساعات نوم واستيقاظ معيّنة، وهو الذي يقرّر لنفسه بعض العادات الخاصّة كالرياضية بأنواعها مثلًا، كما ويقرّر لنفسه في مجال الثقافة والمعرفة وقتًا محدّدًا للمطالعة وللكتابة، وهذا النوع من القرارات التي يتخذها الإنسان لنفسه هو المستوى الأفضل، ولا يدع المجال لغيره أن يقرّر له في مثل هذه الميادين التي تخصّه وترتبط به، وعلى الإنسان أن يتخذ لنفسه برامج وقرارات.

ولعلّ السرّ الذي يجعل الإنسان بعيدًا عن اتخاذ قرارات من هذا القبيل لنفسه هو: اللامبالاة تجاه نفسه، وأمّا الإنسان الذي لديه اهتمام بنفسه وصحّته وثقافته فإنه يقرّر لها برامج، ويفكّر في تطوير أُفقه وكفاءاته وقدراته ومواهبه، وفي أن يرتقي بنفسه في هذا المجال وذاك، إدراكًا منه أنه: «مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ»[1] على حدِّ تعبير الإمام علي عليه السلام.

(١) الصدوق، الأمالي، ص٦٦٨.

وهناك قسم من الناس لا يملك إرادة التزام قرارات نفسه، تجده يلتزم أوقات الدوام الوظيفيّة ولا يتجاوزها لوجود بصمة الكترونيّة مثلًا، لكنّه لا يجد إرادة في نفسه تجعله ينهض مبكرًا، قبل ساعات دوامه الوظيفيّة، لممارسة رياضة المشي من أجل صحّته وسلامته، وإذا قرّر البعض ذلك إلّا أن التزامه يتميّع يومًا بعد يوم، حتى ينتهي القرار دون تطبيق، وفي بعض الأحيان يقرّر الإنسان لنفسه قرارًا ثم يتركه.

وربما تسأل البعض عن السبب الذي يبعده عن القراءة، فيجيبك على الفور إنّه كان ملتزمًا المطالعة لكنه تركها هذه الفترة لأسباب ما، وقد تسأل البعض عن سبب عدم ممارسته للرياضة في هذه الأوقات، فيجيبك بأنه قد مارسها في الفترات السابقة لكن التكاسل والضجر منعه من الاستمرار على ذلك.

ينبغي للإنسان أن يحترم نفسه، ولا يجعل التزامه مخصوصًا بالقرار الذي يصدره الغير له، فإن الإنسان الذي لا يلتزم قرار نفسه على نفسه لا يحترم نفسه، وقد روي عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلَا تَرْجُ خَيْرَهُ»[1].

وهذا النصّ يرمي الإشارة إلى أن الإنسان الذي لا يحترم نفسه وقراراتها، فلا ينبغي أن يُتوقّع منه خيرًا وعطاءً، فمن لا يحسن لنفسه كيف يمكن أن يحسن لغيره.

من هنا نجد أنّ العظماء والمتميّزين في هذه الحياة يتحلّون بهذه الصفة، حيث يقرّرون على أنفسهم قرارات ويلتزمونها، ما لم تستجد لهم بعض المستجدات، التي تحدو بهم إلى تغيير هذا القرار نحو الأفضل، وليس ذلك تسيّبًا وملًلا كما هو شأن الكثير.

شواهد للاقتداء:

ينقل عن الشيخ محمد حسن النجفي (١١٩٢ - ١٢٦٦ هـ) صاحب كتاب الجواهر

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٨٦، حكمة١٥٥١.

ـ الذي يُعدّ كتابه مرجعًا فقهيًّا مهمًّا لفقهاء الطائفة في العصور المتأخرة ـ أنّه قرّر على نفسه أن يكتب عددًا معيّنًا من الصفحات في تأليفه كلّ يوم، وحين توفيّ ولد له، لم يترك القلم حتى عند جنازة ولده، حيث جلس يبكي ولده والقلم بيده.

وينقل عن فقيه آخر هو السيد حسين القمّي أنّه كان ملتزمًا ممارسة التدريس حتى في أثناء سفره، حيث يصطحب معه مجموعة من طلاب بحثه لممارسة هذا النشاط العلمي حتى في أثناء السفر.

وكان المرجع السيد محمد الشيرازي يكرّر كلمة في كثير من جلساته يقول فيها: «إذا غاب إمام الجماعة عن الصلاة فاذهبوا إلى عيادته، وإذا غاب المدرّس عن درسه فاذهبوا إلى تشييع جنازته»، مع أنّ الدراسة الحوزويّة لم تكن وظيفة والتزاماً وإنما كانت ممارسة تطوعيّة.

هكذا ينبغي للإنسان أن يلتزم ما يقرّره لنفسه، وإذا أراد أن يغيّر القرار فليكن لما هو أفضل وعليه ألّا يسمح لنفسه بالتساهل في القرارات التي يتخذها.

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَدُمْ عَلَيْهِ سَنَةً ثُمَّ يَتَحَوَّلُ عَنْهُ إِنْ شَاءَ إِلَى غَيْرِه...»[1].

فالتحوّل ينبغي أن يستند إلى قرار لا أن يكون ناشئاً من كسلٍ وملّلٍ.

وهناك روايات كثيرة في هذا السياق، تربّي في الإنسان المؤمن شخصيّة قويّة يحترم نفسه ووجوده، ويستثمر حياته بأفضل صورة وطريقة، وعلينا ونحن نعيش شهر الطاعة والعبادة، أن نتخذ فيه قرارات الخير، فإنّ من أفضل الأعمال التطوّع بخصلة من خصال الخير كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ـ إلى أن يقول ـ: وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال

(١) الكافي، ج٣، ص٢١١.

الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ[١].

وعلى الإنسان ألّا تكون قراراته في مختلف المجالات وقتيّة وحماسيّة، لا تلبث أن تخبو وتفقد جذوتها، إنما يتخذ القرار الذي يداوم عليه، وكما ورد في كلام عليّ ﷺ: «قَلِيلٌ يَدُومُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مُنْقَطِعٍ»[٢].

(١) كتاب فضل الأشهر الثلاثة، للشيخ الصدوق ص ٧١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٨٥، حكمة٩٦.

الخطبة الأولى

الصبر في العلاقات الاجتماعية

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «الصَّبْرُ أَحْسَنُ حلل الْإِيمَانِ وَأَشْرَفُ خَلَائِقِ الْإِنْسَانِ»[(١)].

يحتوي تراث عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثراءً كبيرًا في المسألة الأخلاقيّة، لا نظير له في تراث عموم القادة الدينيّين والاجتماعيّن؛ حيث تحدّث كثيرًا عن أهميّة الأخلاق، ودورها في حياة الفرد والمجتمع، وتناول أغلب مفردات الصفات الأخلاقيّة، في جانبيّ الفضائل والرذائل، على أنّ ما وصل إلينا ليس إلّا جزءًا ممّا قاله عليه السلام، وهناك الكثير من تراثه الذي لم يصل، ومع هذا نجد ثراءً منقطع النظير في هذا التراث المنقول.

مفردة الصبر في تراث علي:

احتلت «مفردة الصبر» حيّزًا واسعًا في تراثه عليه السلام، على أنّ من الضروري التنويه إلى تكامل النظريّة مع التطبيق في التراث الأخلاقيّ له عليه السلام؛ إذ نلاحظ كلامًا مع سيرة عمليّة مارسها عليه السلام.

وقد تحدّث عن مفردة الصبر في عشرات من الكلمات والنصوص؛ وطرح موضوعة أساس الصبر وجذره في شخصيّة الإنسان، حيث لخّصه بالكلمة التالية:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٩، حكمة ١٠٥٣.

«أَصْلُ الصَّبْرِ حُسْنُ الْيَقِينِ بِاللَّه»[١].

فمن يمتلك يقينًا بأنّ الله لا يفعل به إلّا الخير والصلاح، سواء أدرك المصلحة أم لم يدركها، مثل هذا الإنسان يمتلك أرضيّة كاملة لملكة الصبر.

والصبر في رأي عليّ عليه السلام لا يعني الخنوع، وإنما هو الإرادة القويّة، من هنا نجده يقرّر أنّ: «الصَّبْرُ شَجَاعَة»[٢]، قد يكون شجاعة المواجهة للمشكلة، أو شجاعة تحمّل المشكلة والتكيّف معها.

إنّ الصبر عند عليّ عليه السلام وسيلة لتجاوز المشاكل وليس للخنوع لها، من هنا قال عليه السلام: «الصَّبْرُ عَوْنٌ عَلَى كُلِّ أَمْر»[٣].

وقال أيضًا: «وَمَنْ رَكِبَ مَرْكَبَ الصَّبْرِ اهْتَدَى إِلَى مِضْمَارِ النَّصْر»[٤].

إنّ كلّ مشكلة تمرّ بالإنسان سوف تنتهي وتنقضي، سواء في العاجل أم الآجل، وعليه أن يتجاوزها بأقلّ قدر من الخسائر، يقول عليه السلام:

«إِنَّ لِلنَّكَبَاتِ غَايَاتٍ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَيْهَا، فَإِذَا حُكِمَ عَلَى أَحَدِكُمْ بِهَا فَلْيُطَأْطِئْ لَهَا وَيَصْبِرْ حَتَّى تَجُوزَ...»[٥].

فالصبر على أقلّ التقادير يساعد الإنسان الذي حلّت به النكبات على تخفيف تداعياتها، فـ «بِالصَّبْرِ تَخِفُّ الْمِحْنَة»[٦] كما يعبّر عليه السلام في كلمة أخرى بقوله: «الصبر يهوّن الفجيعة»[٧].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١١٠، حكمة٢٠٧.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٩٦.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٠، حكمة ١٠٨٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٧٩.
(٥) تحف العقول، ص٢٠١.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٦٥، حكمة٧٢.
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٠، حكمة١٠٩٣.

حقيقة الصبر

لكن علينا أن نعرف معنى الصبر في كلمات الإمام عليه السلام؟

يجيب الإمام بذكر وصفين أساسيّن لهذه المفردة، كما ورد في النصّ المرويّ عنه: «الصَّبْرُ أَنْ يَحْتَمِلَ الرَّجُلُ مَا يَنُوبُهُ وَيَكْظِمَ مَا يُغْضِبُهُ»[١].

ولا شكّ أن المقصود من الرجل في هذا النصّ هو الإنسان ذكراً وأنثى، ومرام هذا الحديث هو الإشارة إلى ضرورة أن يتحمّل الإنسان النوائب التي تلمّ به، كشرط لوصفه بالإنسان الصبور، وليس هذا فحسب، بل عليه ألّا ينفعل مع الشيء الذي يغضبه كردّ فعل وممارسة خارجيّة.

أقسام الصبر وأنحاؤه

إنّ الصبر عند عليّ عليه السلام على أنحاء كما ورد عنه حيث قال: «الصبر إمّا: صبر على المصيبة، أو على الطاعة، أو عن المعصية، و هذا القسم الثالث أعلى درجة من القسمين الأولين»[٢].

لكن يبقى السؤال عن كيفيّة فاعليّة وفعليّة الصبر عند الإنسان، فهل هو حالة تكوينية، أو مزاجيّة لا ترتبط بالمقوّمات والاستعدادات التي يهيؤها الإنسان في نفسه، أم أنّ الفضائل الأخلاقيّة ـ ومنها الصبر ـ أمور كسبيّة؟

أجاب الإمام عليه السلام في كثير من النصوص بأنّ الأخلاق أمر كسبيّ، يمكن للإنسان أن يكتسبها ويتدرّب عليها، فقد قال عليه السلام: «عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ»[٣].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٩، حكمة١٠٥٩.
(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج ج١ ص ٣١٩.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٦٣، حديث ٢٠٤٥٦.

و عنه عليه السلام: «عَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ؛ وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ»[1].

وعنه عليه السلام: «أَفْضَلُ الصَّبْرِ التَّصَبُّرُ»[2].

فعلى الإنسان أن يعيش حالة التصبّر، وإن كان يعيش مرارة الألم والمضض؛ فهذا من أفضل أنواع الصبر؛ لأنه يُعزّز هذه الملكة والخلق في نفسه.

الصبر الاجتماعيّ حالة متألقة

هناك صبر يرتبط بالشأن الذاتي والشخصيّ كما في حال المرض والخسارة، والمشاكل التي ترتبط بذات الإنسان؛ وهناك صبر أهمّ هو الصبر الاجتماعيّ، بأن يتحلّى الإنسان بالصبر في علاقاته مع الآخرين، وهذا هو الامتحان الكبير الذي وضعه الله سبحانه وتعالى أمام الإنسان في هذه الحياة، كما أشارت لذلك الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾[سورة الفرقان، الآية: ٢٠].

فالامتحان الحقيقيّ الذي يمرّ بالإنسان هو في علاقاته مع زوجته وأبنائه ووالديه وجيرانه، ومن يحيط به في مختلف دوائر الحياة، والمؤسف أنّ بعض الناس لا يملكون صبرًا في علاقاتهم الاجتماعيّة؛ فحينما يواجهون مشكلة في علاقاتهم الأسريّة، تراهم لا يصبرون، ولا يتحمّلون المشكلة، حتى وإن كانت طفيفة، وكذا مع جيرانهم والمحيطين بهم، لذلك جاءت النصوص من أجل تأكيد أهميّة الصبر في مجال العلاقات الاجتماعيّة.

ومن باب المثال نلاحظ العلاقات الأسريّة بين الزوج وزوجته، فإنّ الإنسان يحتاج فيها إلى مستوى من الصبر، بحيث يتمكّن خلاله من استيعاب بعض المشاكل من شريكه الآخر؛ فالزوجة في نهاية المطاف بشر ينتابه ظروف ومزاج وحالات مختلفة، ولا تمتلك مواصفات حسب الطلب والمقاييس التي يطلبها الزوج، كأيّ سلعة توفّرها

(١) نهج البلاغة، كتاب٣١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١١٤، حكمة٣٥٥.

الأسواق، بل إنّ الزوجة التي تتوفّر وفقًا للطلب والمواصفات الخاصّة، قد لا تستمر بمواصفاتها، وذلك لتغيّر مزاج الزوج نفسه في بعض الأحيان، تبعًا لظروف الحياة؛ والأمر كذلك بالنسبة للزوج فهو إنسان له ظروفه ومزاجه، وعلى المرأة أن تستوعب بعض الأحداث التي تحصل في هذا السياق، وتضعها في موضعها المناسب لها، من هنا وردت نصوص حول الصبر بين الزوجين، كما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مَا أَعْطَى أَيُّوبَ عليه السلام عَلَى بَلَائِهِ؛ وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ»[١].

والأمر كذلك بالنسبة إلى الجار؛ فعلى الإنسان أن يصبر في العلاقة معه، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفَّ الْأَذى، وَلكِنَّ حُسْنَ الْجِوَارِ صَبْرُكَ عَلَى الْأَذى»[٢].

إنّ الصبر في العلاقات الاجتماعيّة مهمٌّ جدًّا، وخاصة لمن يعمل في الشأن الاجتماعيّ؛ حيث يوجد في كلّ مجتمع أناس متطوعون في الميدان الاجتماعيّ، على اختلاف مجالاته، من دينيّ وثقافيّ وخيريّ وسياسي، ومن يعمل في هذا الميدان يحتاج إلى دروع من الصبر والتحمّل؛ لأنّ المجتمع الذي يتعامل معه فيه طبقات مختلفة، من جهلة ومخادعين وطامعين وحاسدين ومخالفين في الرأي، وعلى الإنسان الذي يشتغل في هذا الميدان أن يتحلّى بالصبر.

والملاحظ أنّ بعض من يدخل هذا الميدان بروح مندفعة، لا يلبث أن ينكفئ على نفسه ويتراجع، بمجرد أن تطرأ أمامه مشكلة في الطريق؛ لعدم امتلاكه ثقة في نفسه؛ فإن الانكفاء والانزواء من العمل الاجتماعيّ ليس فخرًا فهو في متناول الجميع، بل الفخر هو القيام بالدور والمسؤوليّة الاجتماعيّة، والتحمّل في مواجهة الصعوبات، والصبر عليها.

(١) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٢١٣ـ٢١٤.

(٢) الكافي ج٢ ص ٦٦٧ ح٩.

الصبر العلويّ نظريّة وتطبيق

حينما يقرأ الإنسان سيرة عليّ ﷺ، يشعر بمدى المضاضة والألم والعناء الذي تحمّله أمير المؤمنين ﷺ في الصبر على المجتمع الذي كان يعيش فيه، فلم نقرأ في سيرته ﷺ، أذية أو إساءة بحقّ أحدٍ، بل كان ديدنه خدمة الناس ونفعهم، وهو الذي أشاد الدين، وبنى كيان المجتمع الإسلامي مع نبي الرحمة ﷺ، هذا المجتمع الذي ضحّى عليّ من أجل أن يقوم كيانه، لم يجازه سوى الألم وغصّات المعاناة.

قال ﷺ في إحدى كلماته: «فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا»[1].

وفي كلمة أخرى له ﷺ: «فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَار»[2].

لقد كان عليٌّ مهيّأً لهذا الأمر، ولم يكن متفاجئًا مما حدث وحصل معه، ولم يصدم بالطريقة التي واجهها به هذا المجتمع من نكران الجميل، بل كان عليٌّ ملمًّا بهذه النتيجة من أول الأمر، حيث أخبره رسول الله ﷺ بما سيواجهه من عناء ومشكلات، كقوله ﷺ له ذات مرة: «إنّ الأُمّة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملّتي، وتقتل على سنّتي. من أحبّك أحبّني، ومن أبغضك أبغضني. وإنّ هذه ستخضب من هذا ـ يعنى لحيته من رأسه ـ »[3].

و«رَوَى سَدِيرٌ الصَّيْرَفِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: اشْتَكَى عَلِيٌّ شِكَايَةً فَعَادَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ فَأَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَأَلَهُمَا: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمَا؟

قَالا: عُدْنَا عَلِيًّا.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣.

(٢) المصدر نفسه، خطبة ٢١٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٥٣ ، حديث ٤٦٨٦ .

قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتُمَاهُ؟

قَالا: رَأَيْنَاهُ يُخافُ عَلَيهِ مِمَا بِهِ.

فَقَالَ: كَلَّا! إِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يُوَسَّعَ غَدْراً وَبَغْياً، وَلَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ عِبْرَةً يَعْتَبِرُ بِهِ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي»[١].

فقد أراده الله تعالى قدوة ونموذجًا في تحمّل المشاكل والألم في ميدان العمل الاجتماعي، ففي رواية عن أنس بن مالك: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فمرّ بحديقة، فقال عليّ عليه السلام: ما أحسن هذه الحديقة! قال: حديقتك في الجنّة أحسن منها. حتى مرّ بسبع حدائق، كلّ ذلك يقول عليّ: يا رسول الله، ما أحسن هذه الحديقة، فيردّ عليه النبيّ ﷺ: حديقتك في الجنّة أحسن منها.

ثمّ وضع النبيّ ﷺ رأسه على إحدى منكبي عليٍّ فبكى، فقال له عليّ: ما يُبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يُبدونها لك حتى أفارق الدنيا.

قال عليّ عليه السلام: فما أصنع يا رسول الله؟ قال: تصبر. قال: فإن لم أستطِع؟ قال: تلقى جميلًا. قال: ويسلم لي ديني؟ قال: ويسلم لك دينك»[٢].

من هنا فعلى الإنسان الذي يعمل في الجانب الاجتماعيّ، أن يقرأ معاناة عليّ بن أبي طالب عليه السلام حينما تواجهه الصعوبات والمشاكل، ليرى طبيعة المعاناة التي واجهها هذا الإمام عليه السلام حتى قال: «لَقَدْ ظُلِمْتُ عَدَدَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ»[٣].

وعنه عليه السلام: «مَا لَقِيَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَا لَقِيتُ»[٤].

فقد واجه ما واجه حتى وهو في موقع الخلافة والحكم، وقد كشف عن هذا الأمر

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٣٧ـ٣٣٨.

(٢) تاريخ دمشق، ٤٢/ ٣٢٣ / ٨٨٨٢.

(٣) المفيد، الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة، ص١٢٤.

(٤) بحار الأنوار، ج٣٤، ص٦٣.

في خطبة له عليه السلام ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة جاء فيها: «وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي...»[١].

إنّ كلمات عليّ هذه تُدمي وتؤلم القلب، حتى نراه من شدّة معاناته يقف أمام أصحابه، ليسجل سطورًا مليئة بالحسرة والألم والخيبة، مما عاناه من المحيطين به...«لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَأَعْقَبَتْ سَدَماً، قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ...»[٢].

وهكذا حتى كتب الله له الشهادة في محراب صلاته، على يد شخص طالما غمره عليّ عليه السلام بإحسانه ولطفه، واستمر في إبداء الشفقة عليه حتى بعد جريمته وعدوانه، حيث كان عليّ عليه السلام على فراش مرضه يوصي أبناءه بالإحسان إلى قاتله عبد الرحمن بن ملجم «أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشتُ رأيت فيه رأيي، وإن أنا متّ فاضربوه ضربة لا تزيدوه عليها»[٣].

(١) نهج البلاغة،خطبة ٩٧.

(٢) المصدر نفسه،خطبة ٢٧.

(٣) المناقب للخوارزمي، ٣٨٨/ ٤٠٣.

التحدّي الأكبر مواجهة التطرف الديني

ورد عن الإمام الإمام عليّ عليه السلام أنه قَالَ: «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ: فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا...»[1].

مكارم عليّ وفضائله ومواقفه العظيمة لا تُعدّ ولا تُحصى، لكنه في هذه الخطبة يباهي بموقف معيّن، هو مواجهته الحاسمة لفتنة الخوارج، بحيث فقأ، أي اقتلع عين تلك الفتنة، معتبرًا أن الوقوف الصارم بوجهها، وإيقاع الهزيمة بها، ليس شأنًا يقدر عليه أيّ أحد سواه، فقد امتدّت ظلمتها وتطاولت، وشبهها بداء الكَلَب وهو داء معروف يصيب الكلاب، فكلّ من عضته أُصيب به، فَجُنّ ومات إنْ لم يُبادَر بالدواء.

وحين نتساءل عن السرّ الذي يدعوه عليه السلام إلى توظيف هذا المفهوم في هذه القضية التي حدثت، خصوصًا وأنّ هناك العديد من الحوادث التي مرّت على عليّ عليه السلام، نظير معركة الجمل وصفّين، ولم نرَ منه هذا التوصيف وهذا التوظيف، فلماذا كانت مواجهة الخوارج هو الموقف المتميّز والشاخص الذي يباهي به، وأنه لم يتمكّن منه أحد سواه بل لا يجرؤ أحدٌ على ذلك؟

الخطر من الداخل أشدّ

لعلّ نظرة فاحصة إلى سيرة أغلب المجتمعات، تعطينا إجابة عن هذا التساؤل؛

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٥٩.

فإنّ مواجهة التطرّف والتشدد الدينيّ هو أكثر صعوبة من مواجهة أيّ خطر آخر، فإنّ الخطر حينما يكون خارجيًّا تكون مهمة الوقوف أمامه ومواجهته ليست بالعسيرة، كما لا تكون المشكلة عسيرة ومتعذّرة حينما تدار المواجهة ضدّ أعداء الدين والمذهب، ومن هم منحرفو السير والسلوك وخارج الدائرة الدينيّة، لكنها تتعسّر بل تتعذّر حينما ينبري أناسٌ من داخل نفس العقيدة والدين، ليقدّموا قراءة متطرفّة لهذه العقيدة والدين، وينظّموا سلوكهم على أساسها.

وتكمن خطورة أمثال هذه الحركات في تعاطف الناس واندفاعهم نحوها في أحاسيسهم وانفعالاتهم، حينما يشاهد الناس حرص هؤلاء الظاهريّ على الدين، وتمسّكهم به أكثر من غيرهم، كما هو وصف المتطرّف والمتشدّد، سوف تنطلي عليهم الخدعة، وعندما تحصل لهم مواجهة، فإنهم يصدرون أحكام التكفير والخروج عن ربقة الإسلام، تجاه مناوئيهم بل مخالفيهم، وقد كفّروا عليًّا الذي لا يشكّ عاقل في نصاعة إسلامه وإيمانه، من هنا تضحى مسألة مواجهة التشدّد الديني خطرًا أكبر.

قال بعض المحقّقين: «حقيقة الأمر أنّ استئصال جذور هذه الفتنة ـ التي كانت في ظاهرها تيّارًا وطيدًا في التديّن ـ عملٌ في غاية الإعضال، وكان الإمام عليه السلام يرى أنّ إبادة هذا التيّار واقتلاع جذور الفتنة من مفاخر عصر خلافته، فقد قال عليه السلام: «إنّي فقأتُ عين الفتنة، ولم يكن لِيَجْترئ عليها أحدٌ غيري».

إنّ قتالَ أدعياء الحقّ؛ القرّاء الذين كانت ترنيمات القرآن قد ملأت حياتهم، وجرى على ألسنتهم نداء (لا حُكْم إلاّ لله) وهم بِسيَر ربّانيّة الظاهر، عملٌ جدٌّ عسير؛ فهؤلاء كانوا يُحيون الليل بالعبادة، ويخرّون للأذقان سُجّدًا سجدات طويلة، وجباههم ثفنات من كثرة السجود. وكانوا لا يعرفون حدًّا لانتقاد غيرهم، واشتُهروا بوصفهم رجالاً أُولي شأن وقوّة في الدين. لكن وا أسفاه ! إذ كانوا مرضى القلوب، ضيّقي الأفكار، صغار العقول.

من هنا كان الاصطدام بتيّار التعمّق ممّا لم يقدر عليه يومئذٍ إلّا الإمام عليه السلام، وكان قمعه يتطلّب بصيرة وحزمًا خاصًّا متميّزًا لم يقدر عليه سوى عليّ عليه السلام. وهذه الكلمة كلمته المشهورة التي نطق بها بعد قتال الخوارج لم يَقُلها لذلك في حربه مع الناكثين والقاسطين فإنّه ما قال في قتال هاتين الطائفتين: لم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري، أو: لولا أنا ما قوتل . . .، بيد أنّه قال ذلك في قتال الخوارج»[1].

أعظم التحديات أمام الأمة

إنّ مواجهة التطرّف والتشدّد والغلو من أعظم التحدّيات أمام الأمّة، وها نحن نشاهد ذلك ونراه بين المسلمين، حيث ترفع رايات باسم الإسلام، يمارس في ظلّها الإرهاب والقتل والذبح وحزّ الرؤوس، ومع هذا نرى تفاعل مشاعر البعض معهم ولهم مؤيدون، لأنّ مثل هذه الرايات تدغدغ مشاعر الناس، وتنطلق من عنوان مقدّس بالنسبة إليهم. ولا شكّ أنّ مواجهة مثل هذا التطرّف هو التحدّي الأكبر الذي ينبغي أن يتحمله المعنيّون، سواء التطرّف في الميدان العمليّ (الإرهاب) أو في الميدان الفكريّ كما في الحركات المتطرّفة فكريًّا؛ لأنّ التشدّد والتطرّف يمثّل انحرافًا خطيرًا عن منهج الله عزّ اسمه، فإنّ الله حينما شرّع الدين أراد من الناس التزامه كما رسمه، أمّا المتشدّدون والمتطرّفون فيزيدون على ما شرّعه الله تعالى، إمّا زيادة فكريّة، أو زيادة في الممارسة والعمل، وما هذا إلا تقوّل على الله، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ﴾[سورة النساء، الآية: ١٧١]، وما الغلو إلا الزيادة في الدين، والتشدّد فيه، ويعني الافتراء على الله.

مثال ذلك: حينما فرض الله تعالى الصلاة على الناس، فقد جاءت فيها شروط وضوابط، وعدد محدّد لفرائضها وركعاتها، ولا بُدّ من التزام ذلك، أمّا الزيادة فيها، وادّعاء أنّ هذه الزيادة هي أمر تشريعيّ، فهذا ليس إلّا افتراء على المشرّع الديّان، نعم

(١) محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنّة والتأريخ، ج٦، ص٢٦٧.

من حقّ الإنسان أن يصليّ ما يشاء من النوافل، لكن عليه ألّا يعطي صبغة التشريع الواجب لمثل هذه الصلوات؛ كما فرض الله الصوم أيضًا، في إطار حدود وأوقات منضبطة فلا ينبغي الإخلال فيها. لذلك حرّم الفقهاء صوم الصمت، بأن يعتبر الصمت عن الكلام جزءًا من الصوم، كما حرموا صوم الوصال، بإضافة صوم الليل إلى النهار؛ لأنّ ذلك زيادة على ما شرعه الله.

إنّ التشدّد على النفس ربما لا يحمل مؤونة زائدة، ولا يؤثّر كثيرًا على الوضع العام، لكن تسويق هذا التشدّد، ومحاولة فرضه على الناس، هو الكارثة الأكبر؛ ونلاحظ أن أدعياء التشدّد والإفراط الديني، يحملون حملات الويل والثبور على من لم يلتزم دعواتهم، فيصبح كافرًا مشركًا زنديقًا، يبيحون دمه وعرضه وماله، وهنا تتمظهر خطورة التطرّف.

عدم السكوت على التشدد والتطرف

من هنا نجد أنّ عليًّا عليه السلام قدّم درسًا يطلب من الأمّة فيه عدم السكوت على حالات التطرّف والتشدّد، فإذا شاهدوا تيّارًا يشتغل تحت عنوان التعمّق والتشدّد في الدين، ويركّز على مسألة على حساب المسائل الأخرى، فهذا خطر كبير على الدين والأمّة، ولا بُدّ من الوقوف أمامه، والمشكلة أنّ هؤلاء يزايدون حتى على قادة الدين والأمّة؛ فبعضهم تتضخم لديه مسألة دينيّة، ويرى في نفس الوقت بقية الأعلام والمراجع والمفكّرين لا يشعرون مثله بهذا التضخم المصطنع، هنا تثور ثائرته، ويشنّ حملات شعواء عليهم، وهذا ما ابتلينا به نحن الشيعة في عصرنا الراهن، فنلاحظ ظهور شخصيات ليس لهم مكانة على المستوى العلمي الحوزويّ، يجعلون أنفسهم حكمًا في عدالة وعلميّة هذا المرجع من عدمها، وصلاحيّة هذا المفكّر من سقمها، وينال من هذا وذاك، وينتهك حرمات المجتمع ورموز الطائفة، بلا رقيب أو حسيب، وهذه الحالة تُعدّ طبيعيّة في عرف المتشدّدين.

ولعلّ مثال التبرّي من أعداء الله وأعداء أهل البيت هو المثال الأبرز في محلّ حديثنا؛ فلا شكّ أنّ الدين الإسلاميّ حمل في جنباته ضرورة التبرّي من أعداء الله، وعلى المسلم أن يمارس هذه المهمة ويعقد القلب عليها، لكن التبرّي من أعداء الله ينبغي أن يكون منسجمًا مع سياقات الدين الأخرى، وألّا يطبّق بطريقة تسحق جميع المقاصد الدينيّة الأخرى، كما نلاحظه من قبل البعض؛ فالدين الذي يأمر بالتبرّي يأمر كذلك بالوحدة والألفة والانسجام، ورعاية المصالح، وحقن الدماء، ومراعاة سمعة الدين والمذهب، ولا ينبغي أن يتضخّم موضوع التبرّي على حساب المواضيع الأخرى، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِدِينِ اللهِ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جوانبه»[1]، ولا ينبغي التركيز على مسألة وإغفال بقيّة المسائل، أو التركيز على جانب وترك الجوانب الأخرى؛ فإن الدين منظومة متكاملة، ولا بُدّ من أخذ جميعها بنظر الاعتبار، حينما يتخذ موقفًا دينيًّا، وكلّ ما ذكرناه يُعدّ من مشاكل التطرّف الذي نعاني منه، والذي تنتهك على أساسه الحرمات.

إنّ مواجهة المتطرفين تحمل خطورة، وليست بإمكان كلّ أحد أن يتصدّى لها؛ ذلك لأنهم يدغدغون مشاعر الناس وعواطفهم، فيصطفون خلفهم جرّاء العناوين التي يتحركون من خلالها، كحماية العقيدة، وحفظ الهوية المذهبية، والتزام النص.

من هنا نلاحظ: عِظمْ الأجر الذي يناله العلماء الذين تصدّوا لموجات التطرّف والتشدّد، ونالوا ما نالوا في سبيل ذلك؛ فإنّهم في ركب عليٍّ عليه السلام فقد فقأوا عين الفتنة أو حاولوا فقأها.

بذور نزعة التطرف

وقد بدأت بذور نزعة التطرف والتعمق في الدين من عهد رسول الله ﷺ، فكانوا يزايدون في التديّن حتى على رسول الله ﷺ، لذلك حذّر الأمة منهم، وتنبأ بتحولهم

---

(١) كنز العمال، ص ٨٤، حديث ٥٦١٢.

إلى تيار خطير على مستقبل الأمة.

فقد جاء في مصادر الحديث أنه: «أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، فَوَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ رَأَيْتُ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «أَجَلْ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ؟»، قَالَ: لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ؟، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلا نَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: لا، دَعُوهُ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[١].

من هنا نجد أنّ النبيّ ﷺ والأئمة عليهم السلام واجهوا الغلو والتطرّف بقوّة، وتحدّثوا حول الغلو والتطرّف أكثر مما تكلّموا حول التقصير، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله»[٢]؛ وهذا يعني أنّ المغالي أخطر من المقصّر في حقهم عليهم السلام، بخلاف المعادلة السائدة في الوسط الشيعي، الذي تجتاحه حالة استنفار إذا صدرت من أحد كلمة أو فكرة، يستشف منها التشكيك في صحة رواية من روايات الفضائل والمعاجز والمصائب، بينما يتم التغاضي والسكوت عن طرح أفكار الغلوّ والتشدّد والتطرف.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «احْذَرُوا عَلَى شَبَابِكُمْ الْغُلَاةَ لَا يُفْسِدُونَهُمْ، فَإِنَّ الْغُلَاةَ شَرُّ خَلْقِ اللهِ...»[٣]، وتركيز النصّ على الشباب؛ لأنهم يعيشون حالة الحماس والاندفاع، وحينما يأتي هؤلاء المتشدّدون ليطرحوا أفكارًا تتناغم مع اندفاع وحماس هذه الطبقة المجتمعيّة، فلا شك بحصول التأثير عليها واستقطابها.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص ٣٦٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٦٥، حديث٦.

(٣) الطوسي، الآمالي، ص٦٥٠.

الخطبة الأولى

لماذا خلق الله النار؟

رويّ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: غَفَرَ اللَّهُ لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْخَلْقِ؛ فَإِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَلِيهَا ضَاعَفَهُمْ؛ فَإِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَلِيهَا ضَاعَفَ كُلَّ مَا أَعْتَقَ؛ حَتَّى آخِرَ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تُضَاعِفُ مِثْلَ مَا أَعْتَقَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»[١].

أكبر همٍّ يحمله الإنسان المؤمن، هو: همّ النجاة من النار، والخلاص من عذاب الآخرة؛ وذلك لأنّ أيّ عذاب أو ألم دنيويّ، لا يوازي عذاب الآخرة، لا من حيث الشدّة، ولا من حيث المدّة، من هنا جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «... مَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، وَمَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ...»[٢].

وفي شهر رمضان تجد لهذا الهمّ حضورًا دائمًا في نفس الإنسان المؤمن، لذلك يكرّر المؤمن الدعاء بقوله: «اللهم اجعلنا في هذا الشهر الشريف من عتقائك من جهنم وطلقائك من النار».

لماذا خلق الله النار؟!

وهنا قد يتساءل البعض: لماذا الله خلق النار والعذاب في الآخرة، مع كون سماته

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، ج١، ص٣.

(٢) الكافي، ج١٥، ص٧٣ـ٧٤.

وصفاته الغالبة هي الرحمة والغفران والتفضّل على خلقه؟!

سيقتصر حديثنا عن أمرين في هذا الجانب ونترك الحديث في سائر جوانبه إلى دراسات أعمق:

الأمر الأوّل: إنّ مقتضى العدالة التي يحكم بها العقل، هي التفريق بين المحسن والمسيء؛ وحينما لا تجري العدالة على المجرمين والظالمين في هذه الدنيا ـ كما هو الغالب ـ فلا بُدّ من وجود نشأة أخرى، ترجع فيها الأمور إلى نصابها، ويقتصّ من المجرمين والظالمين، وهي نشأة الآخرة، كما وعدت بها العدالة الإلهيّة، ومع عدم وجود عقاب وحساب فيها، سوف تختلّ هذه العدالة الإلهيّة، وتوضع في دائرة الاستفهام.

الأمر الثاني: إنّ وجود العذاب والنار، يعتبر دافعًا للإنسان نحو الكمال؛ لأنّ شعور الإنسان بهذا الخطر يدفعه للسير في طريق الخير والصلاح؛ فإنّ طبيعة الإنسان مصمّمة بهذا النحو، إذ يندفع الإنسان في الغالب وفقًا للرهبة أو الرغبة.

وبعبارة أوضح: إنّ وجود الجنّة والنار يُذكي في الإنسان الدافع الداخليّ، والالتزام السلوكيّ، بينا إذا فرضنا عدم وجود الثواب والعقاب هناك، فلا دافع قويًا للإنسان نحو هذا الاتجاه أو ذاك، أمّا التزام المبادئ والسير على أساسها انقطاعًا إلى الله وعشقًا لعظمته، فهو محصورٌ بأفراد نوادر وأفذاذ في هذه الحياة، كأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي يصف عبادته لخالقه بالقول:

«مَا عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ وَلَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ لَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُك»[1].

إنّ عدم وجود حساب وعقاب، يعني تحوّل الحياة إلى عبث، كما صرّحت بذلك الآيات القرآنيّة الكريمة، يقول تعالى: ﴿أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥].

(١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص١٨٦.

ومع كلّ ما تقدّم من مبرّرات لخلق النار، والوعيد بها، إلّا أنها لم تُخلق من أجل التشفيّ والانتقام؛ فهذه المفاهيم بعيدة كلّ البعد عن ساحة عزّه وجلاله، فهو رحمة مطلقة بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ، وإذا ما وردت في القرآن الكريم آيات تدلّ على ذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعينَ﴾[سورة الزخرف، الآية: ٥٥].

فهي على سبيل المجاز لا الحقيقة، وترمي مرامًا آخر أجاب العلماء عنه مفصّلاً في بحوثهم التفسيريّة؛ إذ يستحيل التشفّي والانتقام بالمعنى البشريّ المتعارف في حقّه تعالى.

وجود النار بين الحقيقة والخيال

بقيَ شيء لا بُدّ من الإشارة إليه في سياق هذه المسألة الهامّة، هو: هل أنّ النار حقيقة أم خيال؟

ذهب البعض من الفلاسفة ـ المتأثرين بالنزعة الماديّة ـ إلى أنّ وجود النار مفهوم وهميّ ابتدعه الأنبياء والرسل، بغية تحفيز الناس على الطاعة، واجتناب المعصيّة، وهو غاية نبيلة، كما في تخويف العائلة أطفالها بموجودات وهميّة كالغول مثلًا، وحينما يسمع الطفل بهذه المفردات سوف تصيبه حالة من الهلع والخوف.

لكن هذا الكلام ليس سليمًا؛ لأنّا نعتقد بصدق الأنبياء ونزاهتهم، ولا يمكن القبول بكذب الأنبياء في هذه المسألة، حيث إنّ احتمال كذبهم فيها يسري في بقيّة المسائل، ومع جريان هذا الاحتمال إلى بقيّة المسائل فكيف تتحقق الثقة بهم، وبما ينقلونه عن الله تعالى في مختلف الأمور؟

إنّ الأنبياء لا يتوسّلون بالكذب والأوهام من أجل تمرير دعواتهم ورسالتهم، والحقّ الذي بعثوا من أجله، هذا الأمر منهيٌّ عنه حتى بالنسبة للإنسان العاديّ الذي يتحاور مع خصم له؛ فلا ينبغي له الركون إلى منطق ميكافيلي يقرّر أنّ الغاية تبرّر

الوسيلة من أجل إثبات قناعاته، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن الذهاب إلى وصف أنبياء الله ورسله بذلك؟!

وحقيقة القول: إنّ النار وجود واقعيّ قائم، لا يمكن وصفه بالوهم والخيال، وقد نصّ القرآن الكريم على هذه الحقيقة قائلًا: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٥٣].

وكذا ما جاء في آيات أخرى من التنصيص على هذه الحقيقة حيث قال: ﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ؛ ما لَهُ مِنْ دافِعٍ﴾[سورة الطور، الآيتان: ٧ـ٨].

باب التوبة مفتوح

ومع كون النار حقًّا وحقيقة، لكن الله سبحانه وتعالى فتح باب الخلاص من النار أمام عباده، لذا يجد الإنسان اسم الجلالة مقرونًا بالرحمة والرحمانيّة بنحوٍ دائم فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وهذه الصفّة يجري توكيدها؛ لكي يعرف الإنسان أنّ الله رحيم به، ولا يريد به العذاب، وكما قال تعالى: ﴿ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكانَ اللَّهُ شاكِراً عَليماً﴾[سورة النساء، الآية: ١٤٧].

العذاب ظاهرة استثنائيّة

ليس العذاب ـ كما يبدو ذلك من مجمل النصوص الدينيّة ـ ظاهرة عامّة تلحق بني البشر بمجموعهم، وإنما هي ظاهرة استثنائيّة خاصّة تشمل البعض منهم؛ إذ أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليرحمهم لا ليعذبهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[سورة الزمر، الآية: ٥٣].

كما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ لله تعالى مئة رحمة، وأنه أنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخر تسعًا

وتسعين رحمة لنفسه، بها يرحم عباده يوم القيمة»[١].

عجز العقل عن إدراك تفاصيل القيامة

وعلينا الإشارة إلى أنّ تفاصيل الأحداث في يوم القيامة، والمواقف التي تمرّ على الناس فيها، من الصراط، وتطاير الكتب، ودرجات الجّنة، ودركات النار، وطُرق التنعيم والتعذيب، إنما نستقيها من الوحي والنصوص الدينيّة، ولا مجال للعقل إليها على الإطلاق، كما نصّ على ذلك كبار الفلاسفة.

قال ابن سينا: «يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو منقول من الشرع، ولا سبيل إلى إثباته إلّا من طريق الشريعة، وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث»[٢].

رحمة الله واسعة لكلّ شيء

أجل؛ الرحمة الإلهيّة شاملة لكلّ الموجودات؛ فلنصغِ إلى رواية وردت عن الإمام الصادق عليه السلام تؤكّد هذه الحقيقة، قال فيها: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَشَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَحْمَتَهُ حَتَّى يَطْمَعَ إِبْلِيسُ فِي رَحْمَتِه»[٣].

وهذه النصوص تؤكّد كون العذاب والنار استثناء، وليست القاعدة التي تسير عليها الأحداث في يوم القيامة، وهذا ما يعبّر عنه في بعض الدراسات العرفانيّة بحكومة بعض الأسماء الإلهيّة على بعضها الآخر؛ حيث إنّ الرحمانيّة والرحيميّة الإلهيّة تكون حاكمة وقاهرة على اسم المنتقم المعذّب، وغيرها من الصفات الإلهيّة في هذا السياق.

وفي إطار التدليل على هذه الفكرة ننقل نصًّا جاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام

---

(١) محمد تقي المجلسي، روضة المتقين، ج٢، ص٣١٨. وقريب منه في صحيح مسلم. ص١٤٧٢، حديث١٩.

(٢) ابن سينا، الشفاء، الإلهيات، ص٤٢٦، الفصل السابع من المقالة التاسعة.

(٣) الصدوق، الأمالي، ص٢٠٥.

حيث قيل له: «إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَالَ: لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا.

فَقَالَ عليه السلام: أَنَا أَقُولُ لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ مَعَ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ»[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ...﴾[سورة النساء، الآية: ٤٨].

والاعتقاد برحمة الله، يدفع الإنسان نحو التوازن، والعيش بين حالتي الخوف والرجاء، فلا ينبغي الانغماس في المعاصي وممارسة الرذائل، والابتعاد عن الأوامر الدينية، بحجة الرحمة الإلهيّة.

من هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام القول: «ارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَا يُجَرِّئُكَ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَخَفِ اللَّهَ خَوْفاً لَا يُؤْيِسُكَ مِنْ رَحْمَتِهِ»[٢].

ويكفي أن ندلّل على انفتاح باب الرحمة الإلهيّة من خلال موضوع الشفاعة، الذي فتحه الله للمذنبين الذين تجاوزوا الحدود الإلهيّة، وظلموا أنفسهم بالتمرّد على طاعته؛ فالأنبياء والشهداء والعلماء يشفعون، بل المؤمن العادي يشفع أيضًا كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «... إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَشْفَعُ فِي مِثْلِ رَبِيعَةَ وَ مُضَر»[٣].

ونختتم حديثا حول الشفاعة بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْ رَبِّ عَبْدُكَ فُلَانٌ سَقَانِي شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فِي الدُّنْيَا فَشَفِّعْنِي فِيهِ؟

فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص ١٥٣ حديث١٧.
(٢) الصدوق، الأمالي، ص١٤.
(٣) بحار الأنوار ج٨ ص٣٨.

فَيَذْهَبُ فَيَتَجَسَّسُ فِي النَّارِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْهَا»[١].

وقال ﷺ أيضًا: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ سَيُدْخِلُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مُضَر»[٢].

وما دمنا في شهر رمضان، فعلى الإنسان أن يعرف أنّ أبواب الرحمة مفتوحة فيه بلا حدود، وعلى المؤمن الذي يحمل همّ الانعتاق من العذاب، والخلاص من النار، أن يستثمر فرصة هذا الشهر الكريم ليحقّق أمنياته وآماله، فهو شهر العتق والغفران «بالجملة»، ورد عنه ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ سِتَّ مِائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ»[٣].

على أنّ الأرقام الواردة في بعض النصوص الدينيّة هي لإيضاح الكثرة فقط، وقد تكون ليست مقصودة بذاتها.

إنّ الغفران والدخول إلى الرحمة الإلهيّة في هذا الشهر الكريم في متناول الجميع، ولا يتطلّب سوى التوبة والإنابة إلى الله عزّ وجلّ، بنيّة صادقة، وحسن سريرة، كما نوهّت لذلك النصوص الدينيّة الشريفة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيّاكم في هذا الشهر الكريم، من عتقائه من جهنم، وطلقائه من النار، اللهمّ إن لم تكن قد غفرت لنا فيما مضى من شهر رمضان فاغفر لنا فيما بقي منه.

---

(١) بحار الأنوار، ج٨، ص٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤.

(٣) بحار الأنوار، ج٨٦، ص١٣٠.

الحفاظ على المكاسب

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُم﴾.

[سورة محمد، الآية: ٣٣].

حينما يبذل الإنسان جهداً لنيل مكسبٍ من المكاسب، ويتحقّق له ذلك، فعليه حينئذٍ الحفاظ على هذا المكسب؛ فإنّ نيل المكسب شيء، والحفاظ عليه شيء آخر، إنّ كثيرًا من الناس ينالون مكاسب إلّا أنهم يفرّطون فيها، فما يلبث ذلك المكسب حتى تقلّ قيمته عند الإنسان، ويقلّ اهتمامه به، وهكذا يتبخّر بعد أن صرف جهدًا حتى وصل إليه.

إنّ مهمة الحفاظ على المكسب صعبة للغاية، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «الْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ»[1].

والحفاظ على المكسب ـ مهما كانت حقيقته وسنخه ـ إنّما يتلّخص بتفعيله ومراكمته، وفي حالة فقدان ذلك، فلا شكّ أنّ التلاشي والضمور سيكون مصير هذا المكسب، الذي بذل الإنسان لنيله الكثير من التضحيات، لذا كان من الواجب على الإنسان التفكير بالحفاظ على كلّ مكسب من المكاسب.

في هذا السياق: نصّت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُم﴾ على عدم إبطال الأعمال الحسنة التي يقوم بها الإنسان، وعليه الحفاظ عليها، وتفعيلها،

(١) الكافي، ج٣، ص٧٢٥.

وتنميتها، كي يحترم الجهد الذي بذله من أجل الوصول إليها، وحتى يكون كل مكسب خطوة أمام الإنسان لمكاسب أخرى متقدّمة، وهذا ما يربّي الإسلام الإنسان عليه.

وبغية التذكير بنماذج لهذه المكاسب، سنحاول استعراض نماذج نوعية من المكاسب التي قد يحصل عليها الإنسان في مسيرة حياته.

المكسب المعرفيّ

حينما يتعلّم الإنسان علمًا من العلوم، لا بُدّ من الحفاظ عليه، وتفعيله في داخله، إمّا من خلال تطويره، والتفكير فيه، وإمّا من خلال نشره وبثه، إذ دون ذلك سوف يتميّع هذا العلم في داخله. وقد أوضحت النصوص الدينيّة بعض الآليّات لتفعيل العلم والحفاظ عليه، فطرحت موضوع «تقييد العلم»، حيث ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «... قَيِّدُوا الْعِلْمَ. قِيلَ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟ قَالَ: كِتَابَتُهُ»[1].

وكما قال الشاعر:

العِلمُ صَيدٌ والكِتابةُ قَيدُهُ ... قَيِّدْ صيودكَ بالحِبالِ الواثِقَة

فَمِن الحَماقَةِ أَنْ تَصيدَ غَزالَةً ... وتَفكها بَينَ الخَلائقِ طالِقَةً[2]

أمّا تفعيل العلم فله آليّات متعدّدة أشارت النصوص الدينيّة إلى بعضها من قبيل ما ورد عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: «زَكَاةُ الْعِلْمِ نَشْرُهُ»[3]، فممارسة العلم والدربة فيه ونشره، آليّة من الآليّات المتبعة في تطويره وتفعيله.

والملاحظ: إنّ جميع النصوص الدينيّة تدفع الإنسان نحو اللاتفريط في المعرفة بعد اكتسابها؛ فتجد أنّ بعض الناس حينما يتعلّم لغة من اللغات مثلًا، ويصرف وقتًا طويلًا من أجل ذلك، ثم لا يفكّر في كيفيّة الحفاظ عليها؛ من خلال القراءة والاستماع،

---

(١) ابن ابي جمهور، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج١، ص٦٨.

(٢) يُنسب للإمام الشافعيّ.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢٢، حكمة١٦.

والكتابة والمحادثة، وهذا نموذج من النماذج المعرفيّة.

وفي هذا السياق، تؤكّد نصوص دينية كراهيّة نسيان الإنسان شيئًا من القرآن كان قد حفظه؛ فإذا حفظ نصًّا قرآنيًّا فعليه أن يحافظ عليه، ويداوم الاستمرار على ذلك. وهكذا في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

المكاسب الصحيّة

كما أنّ المكاسب الصحّية كذلك أيضًا؛ فتجد أنّ بعض الناس يتجاوز برنامجًا علاجيًّا معيّنًا بإجراء عمليّة جراحيّة مثلًا، لكنه سرعان ما يفرّط بهذا المكسب الصّحي، من خلال ممارسة نفس الأسباب التي أدّت إلى وقوعه في ذلك المرض، وبالتالي رجوعه للمربّع الأوّل، من هنا تجد النصائح التي يقدّمها الأطباء بعد نجاح العمليّة للمريض، وأنّ مرحلة ما بعد العمليّة لا تقلّ أهميّة عن نفس العمليّة، وعليه الحفاظ على هذا المكسب الصحيّ من خلال برنامج غذائيّ ودوائيّ معيّن، ومراعاة في بعض الممارسات.

أو تجد أن بعض الناس ينظّم له برنامج نحافة معيّن، من خلال رياضة أو تقييد نفسه في الأكل مثلًا، فيستجيب جسمه لهذا البرنامج، لكنه يعود بعد أيام من فاعليّة هذا البرنامج إلى عادته القديمة، من الأكل الكثير وعدم التحرّك.

المكاسب الاقتصاديّة

وللمكاسب الاقتصاديّة مجال للحديث أيضًا؛ فإذا كان للإنسان ثروة فعليه ألّا يفرّط بها، بل يفعّلها وينميّها ويراكمها، ولعلّ في خطابات وتوجيهات أئمة الهدى ﰈ رافدًا للإنسان في هذا الميدان؛ فها هو الإمام الصادق ﰅ يخاطب معاذ بن كثير وقد رآه جالسًا في المجلس عازفًا عن العمل قائلًا له:

«يَا مُعَاذُ، أَ ضَعُفْتَ عَنِ التِّجَارَةِ أَوْ زَهِدْتَ فِيهَا؟ قُلْتُ: مَا ضَعُفْتُ عَنْهَا وَمَا زَهِدْتُ فِيهَا.قَالَ: فَمَا لَكَ؟قُلْتُ: عِنْدِي مَالٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ فِي يَدِي، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيَّ شَيْءٌ، وَلَا

أَرَانِي آكُلُهُ حَتَّى أَمُوتَ.فَقَالَ: لَا تَتْرُكْهَا؛ فَإِنَّ تَرْكَهَا مَذْهَبَةٌ لِلْعَقْلِ، اسْعَ عَلَى عِيَالِكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ هُمُ السُّعَاةَ عَلَيْكَ»[١].

هكذا يقدّم النصّ مضمونًا عاليًا، يشكّل ركيزة حياتيّة مهمة بالنسبة للإنسان؛ فكلّما همّش الإنسان نفسه وأبعدها، فسوف تقلّ خبرته في الأمور الحياتيّة وتتضاءل، وهو ما عبّر عنه الإمام بقوله: «فَإِنَّ تَرْكَهَا مَذْهَبَةٌ لِلْعَقْلِ»، والمؤسف أننا نلاحظ انتشار ظاهرة التقاعد المبكّر بين الموظفين بغية الراحة والدِعة، مع أنّ هذا الإجراء غير مستحسن على الإطلاق، إلّا في حالة ما إذا كان للإنسان عمل آخر يشغل نفسه فيه؛ فعلى الإنسان ألّا يفرّط في المكاسب التي حصل عليها بسهولة.

المكاسب الاجتماعيّة

وفي المكسب الاجتماعيّ تتمظهر القضيّة أيضًا؛ فقد تتهيّأ الظروف للإنسان لتكوين علاقات جيّدة مع أشخاص وجهات، فتجد إنسانًا يحاول تطويرها وتوسعتها، وتلاحظ آخر يتركها ويهملها، مع أنّ المفترض بالإنسان ألّا يفرّط بأيِّ علاقة إنسانية وديّة، خصوصًا في هذا الزمن، الذي لا يحتاج إلى وقت كثير وجهد كبير لتفعيل التواصل مع الآخرين، فها هي التكنولوجيا الحديثة توفّر لك الخدمة بضغطة زرٍّ واحدة.

جاء في الحديث المرويّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ حِفْظَ الْوُدِّ الْقَدِيمِ»[٢].

وعن عليّ عليه السلام: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ»[٣]. وقال أيضًا: «من كرم المرء حفظه قديم إخوانه»[٤].

---

(١) الكافي، ج١٠، ص١٠.
(٢) كنز العمال حديث رقم ٢٤٧٦٠.
(٣) نهج البلاغة، حكمة رقم ١٢.
(٤) بحار الأنوار، ج٧١، ص ٢٦٤، حديث٣.

قد نجد إنسانًا لا مزاج له في التواصل مع الأصدقاء الذين كسبهم في أيام دراسته وعمله مثلاً؛ وبمجرد أن تنتهي دراسته، أو يغيّر عمله، يقطع التواصل مع هؤلاء، غافلًا عن أنّ هؤلاء الأصدقاء مكسب ينفعه الحفاظ عليه، وعدم التفريط فيه؛ أو ما نلاحظه من قطع العلاقات على أساس الاختلاف في وجهات النظر مثلًا؛ كأن يكون الشخص في لجنة أو جمعية أو نادٍ رياضيّ، فيقطع علاقاته مع زملائه وأقرانه في هذه التشكيلات، بمجرّد انسحابه، أو اختلافه معهم في الرأي؛ إنّ الإنسان يتطوّر في آرائه وأفكاره، وتحصل له قناعات ربما تختلف عن قناعات زملائه وأقرانه الذين تعايش معهم في الفترة السابقة، لكن التقاطع في الآراء ووجهات النظر لا ينبغي أن يؤثر على مستوى العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة، فإنها مكاسب لا بُدّ من الحفاظ عليها، والتفريط بها ليس إلّا ضيق أفق وجهل، لا يقبله الإنسان الواعيّ لنفسه.

المكاسب الروحيّة

يمرّ على الإنسان شهر رمضان، ويتعايش مع أجوائه الروحيّة، من الصوم إلى صلاة الجماعة، وقراءة القرآن والأدعيّة، ولا شكّ في كون هذه الأمور من المكاسب التي يحصل عليها الإنسان في هذا الشهر الكريم؛ حيث ترتفع المعنويّات، ومستوى القرب من الله سبحانه وتعالى، لكن المؤسف أنّ هذه المكاسب تنتهي عند البعض بمجرّد انقضاء هذا الشهر الكريم.

وهذا خطأ كبير؛ فالإبقاء على العمل أشدّ من العمل، كما ورد في الحديث، وعلينا الحفاظ على المكاسب العظيمة التي حصلنا عليها في شهر رمضان، والتفكير في آليّة تفعيلها وتطويرها وتنميتها، كي يكون هذا الشهر الكريم منعطفًا في حياة الإنسان، ولا بُدّ أن يكون ما بعد الشهر الكريم غير ما قبله؛ وذلك بالحفاظ على المكاسب والفوائد التي نلناها فيه.

سيكولوجيّة الغيبة

الخطبة الأولى

ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ»[1].

إنّ وجود عرض جسمانيّ في الإنسان يكشف عن خلل داخليّ في وظائف أعضائه، ونظام حركة الأجهزة داخل جسمه؛ فيسعى الأطباء لتبيّن ذلك الخلل عبر التحاليل والفحوصات المخبريّة، وأنواع الأشعة، دون أن يتعاملوا مع ذلك العرض بشكل سطحيّ ظاهريّ، بل يحاولون أولًا فهم سبب وعلّة هذا المرض، ومن ثمّ يصفون له العلاج ثانيًا.

وكما هو الأمر في الأمراض الجسمانيّة، كذا الحال في الأمراض النفسيّة والأخلاقيّة؛ فحينما نجد عند الإنسان عرضًا من أعراض أمراض النفس والأخلاق، فلا بُدّ أن نفتّش ونُجري التحاليل والفحوصات في داخل نفس هذا الإنسان، لنرى الخلل الذي أوجد هذا العرض الخارجيّ السلوكيّ.

وهذا الأمر من وظائف علم النفس؛ إذْ يسلّط هذا العلم الضوء على العالم الداخليّ لنفس الإنسان، ليكتشف أسباب الأمراض، ومنتجات السلوك، ودوافع التحرّك والممارسات عند الإنسان.

وقد نصّت تعاليم الديانات وتوجيهات الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأيضًا نصائح وآراء

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، حكمة ٤٦١.

الحكماء والعرفاء، على هذا الاتجاه قبل أن يتبلور ويتطوّر علم النفس المعاصر؛ من هنا نجد أنّ كثيرًا من النصوص الدينيّة، سلّطت الأضواء على خلفيّة الممارسات والسلوكيّات التي يقوم بها الإنسان، على أساس أنّ هذا السلوك أو الممارسة الخارجيّة إنما هي حصيلة شيء داخليّ أدى إلى ذلك السلوك.

على أن نشير إلى أنّ حديث الأنبياء والأئمة عن هذه الأمور إنما ينشأ ويتّكئ على الوحيّ، أمّا العرفاء والحكماء فحديثهم عن ذلك ناتج من تأملهم ودقّة ملاحظتهم، وتراكم الخبرة والتجربة في معرفة البشر والمجتمعات لديهم، من هنا جاءت هذه الحكم والتوجيهات الرائعة.

الغيبة كسلوك

ومن الأمراض التي سلّطت النصوص الدينيّة الضوء على أسبابها وعللها: «الغيبة»، والتي تعني ذكر معايب الناس لإسقاطهم والتشهير بهم؛ حينما يرصد الإنسان نقاط ضعف الآخرين وثغراتهم ويتحدّث عنها.

«رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ.

قِيلَ: أَ رَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ.

قَالَ ﷺ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[(١)].

والنصّ أعلاه يفرّق بين الغيبة والبهتان، وهو مطلب أساسٍ لا بُدّ من الالتفات إليه جيّدًا، ومعرفة خطورة الابتلاء بهذه الأمراض الأخلاقيّة الخطيرة؛ فحينما يذكر الإنسان أخاه بشيء موجود فيه، ويريد من خلال ذلك التشهير به، وهو يعلم إنْ ذكر

(١) صحيح مسلم. باب تحريم الغيبة، ص١٣٩٧، حديث٢٥٨٩.

ذلك يزعجه ويغيظه فهذا هو: «الغيبة»؛ أمّا إذا ذكر الإنسان أخاه بشيء ليس فيه، مفتريًا عليه بذلك، فهذا هو: «البهتان».

لكن ما هو السبب الذي يولّد هذا المرض ـ أعني الغيبة ـ عند الإنسان؟

والجواب: بدايةً علينا أن نميّز بين الغيبة كحادثة عابرةٍ استثنائيّةٍ يمارسها الإنسان، وربما يندم عليها بعد ذلك، وبين الغيبة كسلوك عام يمارسه البعض يوميًّا، ويلتذّ به، ويتعايش معه، ويحترفه، وحديثنا في الثانيّ دون الأوّل.

لقد كشف أمير المؤمنين عليه السلام عن السبب الذي يؤول إلى ظهور مثل هذا المرض النفسيّ الأخلاقيّ؛ معبّرًا عن الغيبة بكونها جهد العاجز؛ وحينما نحاول التأمّل في هذه الكلمة القصيرة المعبّرة فسوف نجد أنّها تحمل مضمونًا عاليًا.

أسباب الغيبة في نماذج عمليّة

الحالة الأولى:

إذا شاهدنا إنسانًا يكون شغله الشاغل الحديث عن أخطاء الناس ومعايبهم، ونقاط ضعفهم، إمّا بلسانه، وإمّا بقلمه، فلا شكّ بوجود خلل داخليّ عنده وضعف في شخصيّته؛ ذلك أنّ الإنسان الذي تكون لديه اهتمامات حقيقيّة في تطوير ذاته، وتقديم منجزات في حياته، لا يملك وقتًا للحديث عن أخطاء الآخرين وعيوبهم، وإنما يتحدّث عن أخطاء الآخرين: من يعيش حالة الفراغ وعدم وجود الاهتمامات، فلا يوجد ما يملأ عليه حال الفراغ، ليشغل تفكيره ونفسه، فهو عاجز وضعيف لا يمتلك اهتمامات حقيقيّة، فيشغل نفسه بهذا السلوك والممارسة.

إنّ كثيرًا من الناس الذي يمتهنون الغيبة كسلوك، إنما يعود إلى الفراغ من الاهتمامات الحقيقيّة؛ ومن كان عنده اهتمامات حقيقية لا شكّ أنّه سيبتعد عن الحديث عن أخطاء الآخرين وثغراتهم.

يصف أحدهم جلسات زملائه الليلية فيقول: إنّها مليئة بالغيبة وذكر معايب الآخرين، إلّا إذا كانت هناك مباريات فإنها تشغلهم عن ذلك.

الحالة الثانية:

وحينما يلحظ الإنسان خطأً لدى شخص آخر، فإمّا أن يكون لديه دوافع صالحة وأهليّة، فيقوم بنصح صاحب الخطأ لتجاوز خطئه، ويتعاون معه من أجل تصحيح الخطأ، كما إذا لاحظ إنسانًا مريضًا فيذهب لمساعدته والوقوف إلى جنبه بنيّة حسنة خالصة.

وأما إذا كان الإنسان لا يملك هذه اللياقة والروح الخالصة، ويعاني من فشل وعجز عن أن تكون له هذه اللياقات، فتراه بدل أن يهتم بمعالجة الأخطاء عند الآخرين، يقوم بالتشهير بها، والتحدّث عنها، فهو عاجز عن مساعدة الآخرين على إصلاح أخطائهم، فيتوجّه للحديث عن تلك الأخطاء، بدل أن يقوم بإصلاحها أو المساعدة على ذلك، ومن هنا تكون الغيبة جهد العاجز.

الحالة الثالثة:

وإذا تنافس الإنسان مع الآخرين فشاهد أن الآخرين قد سبقوه وتجاوزوه في السباق، فالمفترض به أن يتحفّز وينشغل بتطوير نفسه، لكن بعض الناس يشعر بالفشل والضعف حينما يرى تقدّم الآخرين عليه، وتجاوزهم إيّاه، وهو غير مجتهد في مسيرته، فحينها يسلّي نفسه بالحديث عن أخطائهم، ويعوّض عليها بالحديث عن ثغراتهم؛ فالغيبة جهد من يعجز عن التقدّم والتفوّق على الآخرين.

وهناك كلمة رائعة تروى عن أمير المؤمنين ﵇ تُعطي مقياسًا أساسيًّا يلقي بظلاله على جوهر مفهوم الغيبة، وبعض جوانبها: «ذَوُو الْعُيُوبِ يُحِبُّونَ إِشَاعَةَ مَعَايِبِ النَّاسِ لِيَتَّسِعَ لَهُمُ الْعُذْرُ فِي مَعَايِبِهِم»[1].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٠٩، حكمة٤٥.

نعم؛ حينما يكسل الطالب عن التفوّق في دراسته، تراه يتحدّث في منزله وأمام أهله عن الفاشلين فقط، دون أن ينقل شيئًا عن المتفوقين من زملائه، وكأنه يريد أن يقول: إنّ فشله ليس وليد نقص فيه، وإنما لمبررات أخرى، بدليل وقوع كثيرين مثله في ذات الفشل، وهكذا ينطلق من يستغيب الناس من هذه الخلفيّة.

هكذا يلخّص الإمام عليه السلام سيكولوجيّة الغيبة لدى المغتاب؛ فالإنسان العاجز والمتعثّر الذي لا يملك إرادة التطوير والتقدّم، والانشغال بالاهتمامات الحقيقيّة، هو الذي يمارس هذا العمل والموبقة الأخلاقيّة.

وهناك رواية أكثر تفصيلًا مرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام تتحدّث عن أنواع الغيبة بتفاصيل أكثر، قال فيها: «أَصْلُ الْغِيبَةِ مُتَنَوِّعٌ بِعَشَرَةِ أَنْوَاعٍ: شِفَاءِ غَيْظٍ؛ وَمُسَاعَدَةِ قَوْمٍ؛ وَتُهَمَةٍ؛ وَتَصْدِيقِ خَبَرٍ بِلَا كَشْفِهِ؛ وَسُوءِ ظَنٍّ؛ وَحَسَدٍ؛ وَسُخْرِيَّةٍ؛ وَتَعَجُّبٍ؛ وَتَبَرُّمٍ؛ وَتَزَيُّنٍ؛ فَإِنْ أَرَدْتَ الْسَلَامَةَ فَاذْكُرِ الْخَالِقَ لَا الْمَخْلُوقَ، فَيُصَيِّرُ لَكَ مَكَانَ الْغِيبَةِ عِبْرَةً، وَمَكَانَ الْإِثْمِ ثَوَاباً»[1].

على الإنسان أن يكبح هذه الحالة في نفسه، وإذا رأى نفسه قد تورّط في هذه الممارسة، فعليه أن يستغفر الله سبحانه وتعالى ويتراجع فورًا.

قال عليّ عليه السلام: «لَا تُعَوِّدْ نَفْسَكَ الْغِيبَةَ؛ فَإِنَّ مُعْتَادَهَا عَظِيمُ الْجُرْمِ»[2].

وأخيرًا: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «قَالَ تَرْكُ الْغِيبَةِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ رَكْعَةٍ تَطَوُّعاً»[3].

نسأله تعالى أن يوفّقنا لتنزيه ألستنا عن الغيبة، وقلوبنا عن الرياء، وعيوننا عن النظر إلى الحرام.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٥٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤١٩، حكمة١٧٦.

(٣) مستدرك الوسائل. ج٩، ص١١٧، حديث ١٠٤٠٤.

خدمة الناس قيمة كبرى

قال رجل لرسول الله صلى الله وآله: «أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ؟ فَقَالَ ﷺ: «خَيْرَ النَّاسِ من ينفع الناس فكن نافعاً لهم»[1].

وورد عنه ﷺ: «خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا مِنَ الْبِرِّ شَيْءٌ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالنَّفْعُ لِعِبَادِ اللَّهِ...»[2].

نفع الناس يعني تقديم الخير لهم بما ينفعهم في تيسير أمور حياتهم، وإسعادهم على الصعيد الماديّ أو المعنويّ؛ وقد تحدّث القرآن الكريم عن مصاديق النفع في البعدين معًا، أمّا البُعد الماديّ فقد قال تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاس﴾[سورة البقرة، الآية: ١٦٤].

وقال تعالى:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٢١].

وأمّا عن البُعد المعنويّ فقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِين﴾[سورة الذاريات، الآية: ٥٥].

فتقديم الخدمة للناس بما ينفعهم في هذين البعدين، هو ما حثّت النصوص الدينيّة عليه؛ فالإسلام يعتبر نفع الناس قيمة كبرى يدعو إليها، كما في الأحاديث الشريفة

(١) كنز العمال. ج١٦، ص١٢٨، حديث٤٤١٥٤.
(٢) تحف العقول، ص٣٥.

حيث عبّرت عنه بكونه: من أكبر القيم في الدين.

وقد يسأل سائل: لماذا جعل الدين من نفع الناس قيمة كبرى؟

يعود ذلك لعدّة أسباب، منها:

نفع الناس تمظهر بصفات الله تعالى

١. إن نفع الناس فيه اقتراب من الصفات الإلهيّة، وتخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى؛ فحيث إنه تعالى جواد وكريم ورحيم ومعطاء ورؤوف، فلا بُدّ أن يمارس الإنسان المؤمن نفس الدور الإلهيّ مع الناس، فيكون جوادًا كريمًا رحيمًا معطاءً ورؤوفًا بهم.

وهذه الممارسة توجب الرحمة الإلهيّة، كما توجب زيادة النعم على الإنسان؛ فكلّما أعطى الإنسان لعباد الله، يعطيه الخالق أضعافًا مضاعفة.

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥].

وإذا أرنا أن نقرّب الفكرة المتقدّمة بمثالٍ نلاحظ: الأب الذي يقدّم لابنه حلوى ويشجّعه على إعطاء الأولاد الذين بجنبه منها؛ فإنّ تقسيم الابن حلواه بين من يحيط به من الأولاد، يغمر الأب سعادة وفرحًا، فيقبّله ويمنحه أكثر وأكثر... وهذا الأمر أكثر تحقّقًا من رب العالمين مع عباده الذين يقدّمون الخدمات والخيرات للناس.

وحينما لا يتعامل الإنسان مع النعمة التي وفّرها الله في يديه، بالطريقة المناسبة التي ترتضيها السماء، فسوف تسحب من يديه، وتحوّل إلى غيره، وهذا ما كشفت عنه النصوص الدينيّة، نلاحظ ذلك في النص المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول فيه: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا

مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِم»[١].

وكما قال أحد الشعراء:

لم يعطك الله ما أعطاك من نعمٍ إلا لتوسع من يرجوك إحسانا
فإن منعت فأخلقْ أن تصادفها تطير عنك زرافـات ووحدانا

نفع الناس توثيق لعلاقاتهم الاجتماعيّة

٢. النفع للناس يوثّق العلاقة فيما بينهم؛ فإنّ الناس الذين يتعاونون فيما بينهم ويخدم كل منهم الآخر، ترى قلوبهم متحابة متقاربة، ونفوسهم متواشجة، وبالتالي فإن هذه القيمة الكبرى تصنع أجواء طيبة إيجابيّة في حياة المجتمع البشريّ، ومن هنا جاء التركيز عليها من قبل الدين.

نفع الناس يطوّر الإنسان والحياة

٣. إنّ النفع للناس يطوّر الإنسان والحياة؛ فالإنسان عبر خدمته للآخرين يكتشف ذاته، وينمّي المهارات والقدرات في نفسه، بينما الانكفاء على النفس يحجِّم الذات؛ فالملاحظ: أنّ العلماء والمكتشفين والمخترعين من خلال إنجازاتهم واكتشافاتهم يطوِّرون البشريّة والحياة، ويدفعونها نحو الأمام، كما ويطوّرن ذواتهم أيضًا. وكذا الأمر في المتطوعين في أعمال الخير، والناشطين في مختلف المجالات. بينما الإنسان الأنانيّ يحجّم نفسه وينكفئ عليها، ويحرمها من التقدّم والرقيّ، ومن هنا قال تعالى: ﴿...وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة الحشر، الآية: ٩].

أجل؛ الإنسان الذي يتجنّب الأنانيّة والبخل سيرتقي ويتقدّم إلى الفلاح والنجاح، من دون شكّ وريب، كما نصّت هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص الدينيّة.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ٤٢٥.

نشر القيم والمبادئ الأخلاقيّة

من مظاهر نفع الناس نشر القيم والمبادئ الأخلاقيّة، وتشجيع الناس عليها، فهؤلاء الذين يقومون بحملة لنشر مفهوم البرّ بالوالدين، أو جمال الأخلاق، كمشروع ملكة جمال الأخلاق، يمارسون دور النفع للناس.

كما أنّ الدعوة إلى حماية البيئة، والتزام قوانين المرور، ومراعاة الصحّة، والتزام العفة والورع، ومختلف هذه القيم هي مظهر من مظاهر نفع الناس، ومن يعمل في نشر هذه القيم والمبادئ الأخلاقيّة فهو يخدم الناس وينفعهم.

ولا يقتصر الأمر على ذلك؛ بل إنّ نشر العلم والمعرفة على مختلف الصُّعد والسياقات، هو من تجليات نفع الناس، فنحن نسمع عن دورات لتعليم الكتابة والخطابة واللغات الأجنبيّة، ولا شكّ أنّ في ذلك خدمة للناس، ومساهمة في تقدّمهم ورقيّهم.

وعلينا أن نشيد هنا بجهود الأستاذة الفاضلة غالية المحروس من القطيف؛ فقد تفرّغت هذه الأستاذة بعد تقاعدها من أرامكو، لتعليم البنات والنساء اللغة الإنجليزيّة، حيث كتبت عنها الصحف قبل مدّة أنّها كانت تصرف يوميًّا ما يعادل سبع ساعات في تدريس اللغة الإنجليّزية مجانًا، ومن دون مقابل. كما كانت تقيم ثلاث دورات تعليمية يوميًّا من دون مقابل، ويبلغ عدد طالباتها في الفترتين الصباحيّة والمسائيّة نحو ثمانين طالبة، يتلقين دروسًا في اللغة الإنجليزية، في منزلها الذي حوّلته بمساعدة زوجها إلى معهد تعليمي، وأيضًا: تقيم دورات في المستشفيات والجمعيات الخيريّة ولجان القرآن الكريم لتعليم اللغة الإنجليزيّة[1]، وهذا نفع عظيم للناس، ونشر للعلم والمعرفة.

---

(١) جريدة الحياة. العدد ١٦٣١٤، الصادرة بتاريخ ٤/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

نشر الفرح والسرور

كما أنّ نشر الفرح والسرور والبهجة عبر الأساليب المشروعة، في أوساط المجتمع، وإدخال السرور على قلوب الناس، وتنفيس حالات الكبت والاحتقان عن نفوسهم، هو من مظاهر وتجليّات نفع الناس؛ فالبرامج الترفيهيّة التي تقام، ويصرف فيها متطوعون من أبناء المجتمع وقتًا وجهدًا كبيرًا، هي من هذه التجليّات، وما المهرجان الذي يقام في القطيف والذي يحتضن أكثر من ستمئة متطوّع ومتطوّعة، يصرفون ساعات من وقتهم، في أجواء الصيف اللاهب، إلّا أنموذج في هذا السياق؛ فلا شكّ أنّ هؤلاء ينطبق عليهم مفهوم: خير الناس من نفع الناس.

وهكذا مساعدة الفقراء والمحتاجين، وزيارة المرضى وإعانتهم في تجاوز حالة المرض؛ فإن ذلك يبعث الأمل والسّرور فيهم.

إنّ مثل هذه الأخلاقيّات صارت تشقّ طريقها وتنتشر بكثافة في المجتمعات الغربيّة، ونحن كمسلمين أولى بهذه الأخلاقيّات؛ فقبل أيام نشرت الصحف أن زوجين محبّين لعمل الخير، أنفقا الملايين من اليورو لشراء سفينة، يعتزمان استخدامها في إنقاذ المهاجرين من الزوارق المتهالكة، في قلب البحر المتوسط، وأبلغ كريستوفر وريجينا كاترامبون المقيمان في مالطا وسائل الإعلام، أنهما شعرا بأنهما ملزمان بالتحرك بعد نداء وجهه البابا عقب العثور على مئات من المهاجرين الأفارقة غرقى قبالة جزيرة لامبيدوزا الإيطالية.

وأسّس الزوجان محطة إغاثة المهاجرين واشتروا السفينة «فينكس ١» التي ستبحر باتجاه المسارات المركزية التي يتخذها المهاجرون[١].

هكذا ينبغي للإنسان أن يسابق الزمن في تقديم الخير لنفسه وآخرته ومجتمعه، وعلينا أن نجعل النصوص الدينيّة وتجارب الآخرين نصب أعيننا.

---

(١) جريدة الحياة. الصادرة بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠١٤م.

الخطبة الأولى

الهامشية والتأثير في الحياة

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس، الآية: ١٢].

ثمة ثلاثة أصناف من الناس يمكن التمييز بينها، من حيث القدرة على التأثير في واقع الحياة. وأول هذه الفئات تلك التي يعيش أفرادها على هامش الحياة، يستهلكون ولا ينتجون، ويتأثرون ولا يؤثرون، فهم في الأعمّ الأغلب يمرون بالحياة ولا يتركون بصمة أو أثرًا يذكر، يعيشون حياتهم ثم يغادرون، دون أن يفعلوا شيئًا مميزًا، أو إحداث تغيير، أو تطوير في واقع الحياة، ويمثل أفراد هذه الفئة الغالبية من أبناء البشر.

وفي مقابل هذه الفئة، هناك فئة أخرى، تتحلّى بالفاعلية والإنتاج، والقدرة على التأثير، في واقعها ومحيطها، فأفراد هذه الفئة يعملون بجدٍّ على الإصلاح والإنتاج في مجتمعهم، إنْ على صعيد التأثير النظري والعمل الفكري، أم على الصعيد العملي، بتحقيق إنجازات عملية، أو بصناعة نفوذ وتأثير اجتماعي، وتمثل هذه الفئة النخبة من أبناء البشر، التي تضمّ المميزين والمؤثرين في واقع الحياة.

غير أنّ هناك صنفًا آخر من الأشخاص هم الأكثر تميّزًا، والأعمق تأثيرًا، ليس في حدود حياتهم وحسب، وإنما يتركون خلفهم تأثيرًا كبيرًا في الحياة، حتى بعد أن يغادروا الدنيا، وهذا النوع من التأثير هو المستوى الأرقى والأكثر تقدّمًا.

استمرار التأثير بعد الحياة

لقد سطّرت آيات الكتاب الحكيم حقيقة مدى التأثير الذي يتركه بعض البشر خلفهم. حيث ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، حيث أشارت إلى حقيقة رصده سبحانه لما يقدّمه البشر أثناء حياتهم ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ من أعمال خير أو شرّ، وبعدها تكمل الآية بقوله تعالى: ﴿..وَآثَارَهُمْ﴾ ومعنى ذلك أنه علاوة على تقييده سبحانه لما يقدم البشر في حياتهم، فهو سبحانه يحفظ لهم أيضًا آثارهم، أي التأثيرات التي يتركونها على الحياة بعد رحيلهم، فالله سبحانه يكتب للإنسان تأثيرات أعماله، ودوره المستمر بعد مغادرته.

كما ورد في آية كريمة أخرى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، ومعلوم أن عبارة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ الواردة في الآية، أي ما فعلت هذه النفس في حياتها، أما عبارة «وأخرت» فهي تلك الأعمال المتأخرة عن حياة الإنسان، التي تظهر نتائجها وتأثيراتها بعد رحيله عن الحياة، فهذه التأثيرات اللاحقة ستكون حاضرة في سجل الإنسان يوم القيامة.

حساب مفتوح للأجر والثواب

وقد تناولت النصوص الدينية نماذج ومصاديق للآثار التي تبقى بعد حياة الإنسان. حيث ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فله أجرُها، وأجرُ مَن عمل بها بعدَه. من غير أن ينقص من أجورِهم شيءٌ»[1]، وهذا مما يتطابق تمامًا مع مضمون الآية الكريمة المتقدمة ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

إنّ من مصاديق السنة الحسنة، أن يعمل الإنسان من أجل تأسيس جمعية خيرية، ثم

(١) صحيح مسلم، حيث ١٠١٧

يغادر الحياة، لكن الجمعية تستمر في تقديم الأعمال الخيرية، التي يقابلها الله سبحانه بالأجر والثواب، هنا يغدو حساب ذلك الرجل المؤسّس مفتوحًا أمام استقبال الأجر والثواب حتى بعد مماته، ليراه لاحقًا يوم القيامة.

وعلى غرار ذلك من يقوم بتأسيس نادٍ رياضي يجمع الشباب، ويحميهم من الانحراف، وينمّي طاقاتهم وكفاءاتهم، ثم يتوفى الله هذا المؤسّس، فيما يبقى عطاء النادي مستمرًّا في المجتمع، ليبقى بذلك حساب المؤسّس مفتوحًا لاستقبال الأجر والثواب. وكذلك الحال لو أسّس الإنسان مسجدًا أو حسينية أو لجنة، في أيّ مجال من المجالات، من رعاية المرضى، إلى حماية البيئة، أو تزويج العزّاب، فآثار هذا العمل تبقى تسجّل عند الله للقائم على أمر التأسيس حتى بعد مماته.

وكذلك الحال مع الآثار السيئة لعمل الشرّ. كما ورد عن الرسول ﷺ: «من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»، ومردّ ذلك أن صاحب السنة السيئة كان السبب في انخراط الآخرين في طريق المعصية والانحراف، فهو بذلك يكون شريكًا ويتحمّل وزرًا يستمر معه حتى بعد وفاته.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته، وولد صالح يدعو له»[١]، والصدقة الجارية الواردة ربما تمثلت في تخصيص وقف خيري، لخدمة مشروع اجتماعي أو ديني أو ثقافي، وكلّما انتفع أحد منه فإن الثواب يتواصل لمن وقف ذلك الوقف. وكذلك الحال مع «سنة هدى سنها» الواردة في الرواية، فقد تكون مشروعًا أو فكرة عمل، ولعلّ من نماذج ذلك، ما تقوم به بعض الفعاليات من تقديم الجوائز لحفظة القرآن الكريم والمؤلفين والمبدعين، فجميع ذلك مما يصدق عليها أنها سنة حسنة، وذلك بالنظر إلى النتائج النافعة التي

---

(١) الكافي، ج٧ ص٥٦، حديث١.

تحققها في المجتمع، وهي تظلّ تحسب في رصيد من أسّسها وبدأها. والحال نفسه مع من أنجب أولادًا وربّاهم تربية صالحة، فعم نفعهم مجتمعهم، فإنّ الأبوين الذين ربيا هذا الولد الصالح، سينعمان بثواب أعماله الصالحة، دون أن ينقص من ثوابه شيئًا.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ستّ خصال ينتفع بها المؤمن بعد موته؛ ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ منه، وقليب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده»[(١)]، والقليب الوارد في الرواية هو البئر، ويتمثل في حفر الآبار التي يسقى منها الناس، فهناك من الناس، في أفريقيا على سبيل المثال، من لا يجدون ماءً يشربونه، فيضطرون نتيجة ذلك للسير عدة كيلومترات حتى يستسقوا الماء لأنفسهم ولعيالهم، والتكلفة الإجمالية لحفر البئر قد لا تتجاوز في المتوسط بين ٤٠٠ إلى ١٠٠٠ دولار، وهذا ما شجع بعض أهل الخير على التبرع بمبالغ مخصصة لحفر آبار الماء في تلك المناطق، ومعلوم أن ثواب وأجر ذلك سيعود على من ساهم ودفع كلفة حفر ذلك البئر.

وتستمرّ الرواية في تعداد النماذج حتى تأتي على القول «وغرس يغرسه»، ولعلّ في ذلك اشارة إلى أهمية التنمية المتمثلة في الزراعة، فزراعة الأشجار تمثل إضافة نوعية؛ لأن الناس تستفيد منها، سواء لجهة الاستفادة من ثمارها، أو لانعكاساتها البيئية الطبيعية على المحيط.

وهكذا نجد النصوص الدينية تشجع الإنسان على التفكير في أن يُبقي أثرًا ينتفع به الناس من بعد رحيله عن هذه الحياة. فليس المطلوب أن يكون المرء فاعلًا ومنتجًا في حياته وحسب، إنما المطلوب أن يفكّر فيما سيترك خلفه بعد مماته، حتى يكون الأجر والثواب مستمرًّا له، سواء من خلال فكرة صالحة، أو ابتكار علمي، أو مشروع اجتماعي، أو خدمة إنسانية عامة.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠١، ص١٠٠، حديث٨١.

التطرف وارتداداته الداخلية

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٠].

تشكل النزاعات والحروب أمرًا واقعًا في المجتمعات البشرية. نتيجة تضارب المصالح بين الجماعات، واستفحال الأنانية والنزعات السيئة في أعماق نفس الإنسان، لذلك جاءت الأديان والشرائع بما تحمله من مبادئ أخلاقية، رافضة للعدوان على الآخرين، وأعطت الحقّ فقط في الدفاع عن النفس ومقاومة العدوان.

ضوابط لردّ العدوان

غير أنّ التعاليم الدينية تضع ضوابط صارمة في حالات الصراع وردّ العدوان. حتى لا تشيع ولا تتفاقم حالات العدوان، وحتى لا يقع الناس فريسة لشهوة الانتقام والمبالغة في ردّ الاعتداء. سيمّا وأنّ حالات الاعتداء تبعث على استفزاز الإنسان، ما قد يدفعه للمبالغة في الردّ، لدرجة قد يتحول معها المظلوم الذي كان ضحية الاعتداء، إلى ظالم ومعتدٍ، نتيجة تجاوز الحدود في ردّ العدوان.

من هنا يأتي تأكيد الرسالات السماوية على رفض الشروع في العدوان، على أيٍّ كان، وإذا ما واجه طرف اعتداء من جهة من الجهات، فإنّ عليه أن يبحث عن طرق المعالجة السلمية، لتجاوز وردع العدوان، تجنبًا للدخول في الحرب، يقول تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، وهذا تشجيع إلهي للمؤمنين على تلافي الصراع الدموي، والتفتيش عن السبل الكفيلة بتجنب الدخول في الحرب.

وتحضّ الشريعة في حال الاضطرار لخوض الحرب إلى الاكتفاء بدفع العدوان وحسب. فإذا ما ألجئ الإنسان إلى الدخول في صراع، فليكن الدفاع والمقاومة ضمن نطاق الضرورة، والنأي عن الانزلاق إلى مستنقع الانتقام، وتجاوز الحدود، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، إنما يكون القتال حصرًا مع المقاتلين المعتدين، وأما من لم يرفعوا السلاح ولم يعتدوا، فلا سبيل لمقاتلتهم، ولا يجوز الاعتداء عليهم، بأيِّ نحوٍ من الأنحاء.

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «كان رسول صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية، دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا صبيًّا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرًا إلا أنّ تضطروا إليه»[١]. كما ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقى السّم في بلاد المشركين»[٢].

وبذات التوجه عالجت التعاليم الدينية النزاعات الداخلية في المجتمع. حيث يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ﴾[سورة الشورى، الآيتان: ٣٩-٤٠]، وتنص آية أن يكون جزاء السيئة بالسيئة المثيلة لها، دونما مبالغة في ردّ الإساءة، مع تفضيل العفو والنأي قدر الإمكان عن الدخول في النزاعات. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٦]، فالعقوبة في حال الضرورة تأتي بمقدار العقوبة المتلقاة لا أكثر، مع أرجحية قصوى

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥ ، ص ٥٨، حديث ١٩٩٨٥.
(٢) تهذيب الأحكام، ج ٦ ، ص ١٤٣، حديث ٢٤٤.

للتجاوز والصبر على الإساءة، فذلك ما يتبدى في وعد الله بالخير للصابرين.

إنّ التعاليم الدينية تحض على ضبط النفس، والنأي عن الاستجابة للاستفزاز، والانجرار للنزاع. ذلك أن الصراعات تخرج أسوأ ما في نفس الإنسان، وتزج به نحو الأسوأ تحت تأثير سكرة الانتقام، ودافع إثبات القوة والقدرة.

التطرف يرتدّ على مؤيديه

وقد أثبتت التجارب، أنّ سكوت أيّ جماعة عن ارتكاب التجاوزات بحق مخالفيهم ومناوئيهم، يقود إلى ارتداد ذات السلاح عليهم، وارتكاب ذات الخطيئة بحقّ الجماعة نفسها. فأيّما طرف سمح لأحد من جماعته بكيل الشتائم والسباب على رموز الآخرين، والترعرع على البذاءة اللفظية بحق المخالفين، فإن هذا الشتّام السبّاب سيرتد على من رضوا بفعله السيئ إزاء الآخرين، وسيستخدم ذات اللغة والمفردات البذيئة ضدّ بني دينه ومذهبه وجماعته، تمامًا كما تطاول على رموز الفرق الأخرى. من هنا يأتي التشديد على الرفض الجذري لهذا الخلق السيئ، ومنع تشريعه وتفشيه في المجتمع.

ولعلّ نظرة عامة على مسيرة التيارات المتطرفة التي ابتلي بها العالم اليوم، تكشف عن خطر السكوت على التطرف. فهذه التيارات التي رفعت عقيرتها في البداية بشعارات الدفاع عن الأمة، ومارس أتباعها إرهابهم الدموي ضد غير المسلمين، وتجاوزوا أقصى الحدود، حتى صاروا يستهدفون الأبرياء، ويعتدون عليهم بغير حقّ. ولربما عبر البعض عن ارتياحهم في البداية إزاء الاعتداء الذي ضرب أبراج مركز التجارة العالمي في نيويورك، في سبتمبر ٢٠٠١، على قاعدة أن الأمريكيين يدفعون ثمن أخطائهم، وكان ذلك موقفًا خطأً جملة وتفصيلًا، فالدين لا يقبل الاعتداء على الناس الأبرياء، كما أنّ الإرهاب في حال الرضا به، أو السكوت عليه، فإن الإرهابيين سيستخدمون ذات السلوك المدمّر داخل أمتهم، وضدّ مجتمعاتهم، وهذا ما باتت

الأمة تعاني منه اليوم.

لقد مارست التيارات الإرهابية اعتداءاتها بداية ضدّ من تعتبرهم أعداء الأمة والإسلام، ثم انتهى بها الحال لممارسة الإرهاب ضد المسلمين أنفسهم. والولوغ في دماء المسلمين إلى أبعد الحدود، حتى فاق تعداد ضحايا الإرهاب من المسلمين ضحاياه من غير المسلمين، بأضعاف مضاعفة، وجميع الإحصاءات تشهد بذلك.

وحين سُكت عن ممارسة الإرهاب ضدّ أتباع الطوائف والمذاهب الأخرى، كان ذلك تشريعًا ضمنيًّا لممارسة الإرهاب ضد أتباع الطائفة والمذهب نفسه، ولعلّ نظرة على تعداد ضحايا الإرهاب المرتكب على يد التيارات المحسوبة على أهل السنة، تظهر أن أغلب ضحاياهم اليوم هم من أهل السنة أنفسهم، كما يحدث في أفغانستان والصومال ونيجيريا وسوريا والعراق وقبل ذلك في الجزائر. وهذا دليل على أن التطرف الديني سلوك إجرامي، لا يصحّ قبوله، ولا تأييده، ولا الرضا به، ولا السكوت عن مرتكبيه بحق الآخرين؛ لأنه سرعان ما سينقلب على الراضين به والمؤيّدين له، وهاهنا تحديدًا تكمن معاناة الأمة في عصرها الراهن، فقد ضربها الإرهاب في الصميم، ولا يزال يستنزف مقدراتها البشرية والمالية، ويلطّخ صورتها في العالم أجمع.

الخطبة الأولى

كيف يخون الإنسان نفسه

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.
[سورة النساء، الآية: ١٠٧].

تتعدّد أشكال وأنماط الخيانة، إلّا أنّ أعظمها خيانة الإنسان لنفسه. والخيانة في اللغة هي التفريط فيما يؤتمن عليه الإنسان، ونقيض ذلك؛ الأمانة، وتعني حفظ المرء لما يؤتمن عليه. فإذا ما وأُتُمن إنسان على مال، فإن الأمانة تقتضي أن يحفظ ذلك المال، وأن يرده إلى صاحبه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، بينما تعني الخيانة أن يجري التصرف في ذلك المال المؤتمن عليه، أو التفريط في الحفاظ عليه مما يؤدي لضياعه، وهذا ما يُعَدّ خيانة على الصعيد المالي.

وقد حذّرت الشريعة من الوقوع في الخيانة المالية، تجاه أيّ أحد، مسلمًا كان أم كافرًا، وصديقًا كان أم خصمًا، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تخن من خانك، فتكون مثله»[1]، ذلك أن الخيانة تجعل الطرفين على حدٍّ سواء في تلك الصفة القبيحة. وورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمدًا بالحقّ نبيًّا، لو أنّ قاتل أبي الحسين بن علي عليه السلام ائتمنني على

(١) بحار الأنوار، ج ١٠٠ ص ١٧٥، حديث٣.

السيف الذي قتله به لأدّيته إليه»[١].

كما يندرج تحت عنوان الخيانة أيضًا؛ الخيانة في العرض. وذلك بأن يأتمن إنسان أحدًا آخر على عرضه، زوجته وبناته وسائر أهله، فيسوّل الشيطان لهذا الآخر أن يخون تلك الأمانة، ويتصرف تصرف السوء، بدلًا من أن يحافظ على عرض الرجل.

وتلحق بألوان الخيانة خيانة السّر، وذلك بإفشاء أسرار الآخرين الذين يأتمنونه على أسرارهم، وفي هذا الصدد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إفشاؤك سِرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك»[٢]، ويشمل ذلك جميع الخصوصيات التي لا ينبغي للآخرين الاطّلاع عليها.

وقد تتمثل الخيانة في الإخلال بأداء العمل، أو القيام بالوظيفة على غير الوجه المطلوب، والأداء غير المناسب، كما لو تم الاتفاق مع مقاول بناء على تنفيذ بناء وفق مواصفات معينة، فإذا ما أخلّ بالاتفاق، فإن ذلك مما يندرج تحت عنوان الخيانة، والحال نفسه ينطبق على عمل المهندس والطبيب، وأيّ عامل في أيٍّ مجالٍ من المجالات.

التأكيد على الامانة

وورد في النصوص الدينية التشديد المضاعف على حفظ الأمانة، وحسن أداء العمل. ومن ذلك ما ورد عن وقوف أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم على خيّاط ملابس، فقال عليه السلام: «يا خيّاط، ثكلتك الثواكل، صلّب الخيوط، ودقّق الدروز، وقارب الغرز، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله الخيّاط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه»[٣]، وهذا الموقف مدعاة للتأمل، في مدى الدقة التي تدعو الشريعة

(١) وسائل الشيعة، ج ١٩ ص٧٦، حديث ٢٤١٨٨.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٢ ص ٣٠٧، حديث ١٦٣٧٢.
(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٨ ص ٨٢، حديث٥٨.

لتمثلها، عند أداء مختلف الأعمال، واحترام حقوق الناس.

وما ينطبق على الخيّاط، ينطبق تمامًا على العاملين في ورش الميكانيكا، ومكاتب الهندسة، وعمّال البناء وغيرهم، فالحديث هنا عن الخيّاط ليس إلّا نموذج وحسب.

أما أشدّ ألوان الخيانة فهو ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «إنّ أعظم الخيانة، خيانة الأمة، وأفظع الغش غشّ الأئمة»[1]، وفي ذلك إشارة إلى القائمين على الخدمة العامة، فعندما يُقصّر هؤلاء في أعمالهم، فهم يقعون في أعظم ألون الخيانة على الإطلاق؛ لأنها ليست خيانة فرد هنا أو هناك، وإنما هي خيانة لجميع الناس، كما أنّ من الخيانة العظمى وفقًا لقوله عليه السلام: خيانة الأئمة، والمقصود بالأئمة هنا الزعماء والقادة، الذين يغشّون رعيتهم وأتباعهم، ويفرّطون بمصالحهم.

وهكذا تمضي النصوص الدينية في التحذير من الوقوع في الخيانة. فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنّ المؤمن لا يخون»[2]، سواء كانت تلك الخيانة خيانة مال، أو عرض، أو إفشاء سرٍّ، أو في أداء عمل. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إيّاك والخيانة فإنها شرّ معصية»[3]، فلا يوجد بحسب منطق الإمام عليه السلام معصية تضاهي الوقوع في وحل الخيانة.

خيانة النفس

ويتحدث القرآن الكريم عن لون عميق من ألوان الخيانة، وهو خيانة النفس!. فتارة يخون الإنسان الآخرين، كما تبين آنفًا، وتارة أخرى يخون نفسه. ويأتي السؤال هنا عن كيفية ارتكاب المرء الخيانة بحقّ نفسه، تلك الخيانة التي تشير لها الآية الكريمة بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً

(١) بحار الأنوار، ج ٩٣ ص٩٢، حديث٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص١٨٣، حديث٣٦٨٦.

(٣) مستدرك الوسائل، ج١٤ ص١٤، حديث ١٥٩٧٤.

أَثِيماً﴾، ولعلّ الصفة ﴿خَوَّاناً﴾ الواردة في الآية تشير إلى تكرر فعل الخيانة للنفس من أولئك الذين تتناولهم الآية في ثناياها، واللافت في الآية الكريمة التشديد الإلهي في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾، أي إنه سبحانه لا يحب الخيانة في مطلق الأحوال، سواء وقعت بحقّ الآخرين، أم ارتكبت بحقّ الذات نفسها. وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ..﴾. من هنا، يتكرر السؤال مجدّدًا عن الكيفية التي يخون بها الإنسان نفسه، وهو الذي يفترض به أن يحفظ نفسه، ويرعاها خير رعاية، بجلب المصالح لها ودفع الأضرار عنها، وكأنما هذه النفس أمانة عند صاحبها، وبذلك كان التقصير بحقّها خيانة تضاهي خيانة الآخرين.

إهمال النفس خيانة

إنّ هناك العديد من المصاديق لخيانة النفس. ولعلّ أولها هو التقصير البالغ في تزكية النفس، وتنمية قدراتها، واكتشاف كفاءتها، وبذلك يصبح خائنًا لنفسه كلّ من يتلكأ في تزكية وتطوير واكتشاف نفسه، بمختلف أبعادها، والنفس في هذه الحالة أشبه ما تكون بالبستان العامر بمختلف الزراعات، الذي أوتمن عليه إنسان، فإذا ما أهمل سقاية هذا البستان والعناية به، حتى ذبلت أشجاره، وتلفت ثماره، فهل هناك خيانة أعظم من هذه الخيانة!. هذا المثال ينطبق تمامًا على النفس، التي حباها الله بقدر هائل من الكفاءات والقدرات، ويمكن أن تصنع الكثير إذا ما رعاها المرء واهتم بها، فإذا ما أهملها كان خائنًا لنفسه.

التفريط بالمستقبل خيانة

أما المصداق الآخر لخيانة النفس فهو التفريط بالمستقبل الأخروي، الذي ينتظر كلّ نفس في نهاية المطاف. إذ أنه مع معرفة الإنسان بأنّ له حياة قصيرة محدودة زمنيًّا، فإن ذلك يتطلب استثمار كلّ ثانية للتجهيز لمستقبله في الآخرة، فإذا كانت أنفاس

الإنسان هي العملة التي يستخدمها في الدنيا، فإنّ الآخرة تحتاج إلى عملة من نوع آخر، هي الأعمال الصالحة، وعمل الخير، وبذل الجاه، والتضحية بالوقت والمال في سبيل الله، فإذا ما تناسى الإنسان هذه الحقيقة، وفرّط في استثمار حياته، فإن هذا من أجلى مصاديق خيانة النفس.

وفي تعبير قرآني دقيق يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[سورة الأعراف الآيتان ٨ - ٩]، فالنفس في هذه الحياة أشبه بعملة ينبغي أن يستبدل بها عملة أخرى تنفع في الآخرة، فإذا ما أهملها المرء ولم يستبدل بها عملة الأعمال الصالحة، فتلك هي الخيانة والخسارة الكبرى. من هنا ينبغي ألّا يفرط الإنسان بنفسه في أمر سوى ما ينفعه في الآخرة. وقد ورد ضمن روائع أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا»[1]، فلا ينبغي أن يبيع الإنسان نفسه بأيِّ ثمن سوى الجنة، ولا يليق بالمرء أن يعاين أيامه تتسرب من بين يديه في غير سبيل الآخرة.

تعريض النفس للهوان

أما المصداق الثالث لخيانة النفس فهو تعريضها للمهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة. فإن كلّ من يعرض نفسه للهوان في الدنيا أو الآخرة، فإن هذا يكون خائنًا لنفسه، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[سورة التحريم الآية: ٦].

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٤٥٦.

بين التعبير عن الرأي وافتعال الصراعات

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من كرمت عليه نفسه قلّ شقاقه وخلافه»[1].

تنطوي النزاعات البينية المفتعلة، على إمكانية كبيرة لتعريض الإنسان نفسه إلى الامتهان، وقلة الاحترام. لذلك تجد من يحترم ذاته، لا يشغل نفسه، ولا يبدد جهده، في توافه الأمور، ويحرص على أن تتصف نفسه بالصفات النبيلة، وألّا تتلوث بالملوثات المختلفة، تمامًا كما يحرص على نظافة لباسه من الأوساخ، وهذا هو عين الاحترام للنفس. وحين يحترم الإنسان نفسه فإنه لا يعرضها للهوان من قبل الآخرين. وحيث أنّ النزاعات والخلافات توقع الإنسان في المهانة، فإنّ من يحترمون ذواتهم يتسامون على الخلافات، وينأون عن الوقوع في منزلق النزاعات. وهذا تحديدًا ما يشير إليه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حين قال: «من كرمت عليه نفسه قلّ شقاقه وخلافه».

احترام الذات باجتناب النزاعات

ذلك أنّ العداوة مع الآخر، صغيرًا كان أم كبيرًا، لها ارتدادات على الإنسان نفسه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب»[2]، إنّ المتورط في الخصومات يجلب الهمّ والغمّ ومرض القلب لنفسه، ناهيك عمّا يتضمنه

(١) تحف العقول، ص ٢٧٨.

(٢) الكافي. ج٢، ص٣٠٠، حديث١.

ذلك من إشغال للنفس وتبديد الجهود.

وكما في الأفراد، ينطبق الحال أيضًا على المجتمعات. فالمجتمعات التي تحترم نفسها أكثر ميلًا إلى تنظيم خلافاتها على النحو الذي لا يوقعها في شرك التطاحن والنزاع، على النقيض تمامًا من المجتمعات المتخلفة التي تكثر فيها الخلافات والنزاعات، وهذا أوضح دليل على أن هذه المجتمعات لا تحترم نفسها؛ لأنّ المنازعات غالبًا ما تدفع للنيل من هذه الفئة أو تلك، والإساءة إلى هذه الشخصية أو تلك، الأمر الذي يقود إلى تبديد الجهود والقدرات في المجتمع برمّته.

وقد ورد في النصوص الدينية التشديد الكبير على النأي عن التنازع حرصًا على احترام وسلامة النفس. فقد روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه جمع أبناءه يومًا وأوصاهم بالقول: «يا بني، إيّاكم ومعاداة الرجال، فإنهم لا يخلون من ضربين؛ من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجل عليكم»، ثم أنشأ ﷺ قائلًا:

سليم العرض من حذر الجوابا　　ومن دارَى الرجال فقد أصابا
ومن هاب الرجال تهيّبوه　　ومن حقر الرجال فلن يهابا[١]

وورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «وإيّاك وكثرة الخصومات، فإنها تبعدك عن الله»[٢]، إنّ ذلك الإنسان المتورط في الخلاف مع هذا، والصراع مع ذاك، والكلام ضد هذه الجهة والنيل من الأخرى، هذا الإنسان بعيد عن الله، حتى لو سوّل له الشيطان أنه يتقرب بأفعاله تلك إلى الله، ذلك أن الخصومات والإساءة لعباد الله تبعد الإنسان عن الله سبحانه وتعالى.

إنّ على الإنسان الواعي أن يهرب من الخصومات. وأن يستخدم أقصى درجات ذكائه وحكمته ليبتعد عن العداوات مع القريب والبعيد، وعدم الاستجابة للاستفزاز

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٥، ص٥٦٢، حديث١٨٣٤.
(٢) مستدرك الوسائل، ج٩، ص٧٣، حديث ١٠٢٤٠.

والاستدراج من قبل الآخرين. وكما يقول الشاعر:

ولقد أمـرّ على اللئيم يسبني فمضيت ثـَمّ قلت: لا يعنيني

والأروع من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[سورة القصص، الآية:٥٥]. وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلًا يشتم خادمه قنبر، وقد رام قنبر أن يرد على الرجل، فناداه أمير المؤمنين: «مهلًا يا قنبر! دع شاتمك مهانًا، تُرضي الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فوالذي فلق الجنة وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه»[١].

ومما روي في هذا الشأن، أنّ شخصًا شتم الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فأشاح الإمام بوجهه عنه، فصرخ الرجل في وجه الإمام قائلًا: إيّاك أعني، فأجابه الإمام بالقول: وعنك أغضي[٢].

إنّ هناك من الناس من لديهم شهوة الصراع والاستمتاع بالنزاع. فأمثال هؤلاء في وقتنا الراهن لا شغل لهم إلّا الدخول على مواقع التواصل الاجتماعي، بحثًا عن شخص أو جهة ما يصب عليها جام غضبه وسيل شتائمه، سيما وقد وفرت هذه المواقع فضاءً واسعًا للتعبير عن الرأي. أوَليس الأولى بالإنسان عبر هذه المواقع أن يدعو إلى الخير بالتي هي أحسن، وأن يبشّر بالتسامح، وينشر المحبة والمودة بين الناس، عوضًا عن البحث عن كلمة يرد عليها، أو شخصٍ يتنازع معه؟ إنّ النفسية الباحثة عن الخصومة والنزاع تنمّ عن شخصية مريضة، لا تحترم ذاتها بأيِّ حال.

إنّ العاقل أحوج ما يكون إلى كبح جماح النفسية التنازعية عنده. وعلينا في هذا السبيل أن نُعزّز هذا التوجه في أنفسنا أولًا، وأن نوصيَ من حولنا بالنأي عن هذا

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص٤٢٤، حديث٦٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٦.

المسلك ثانيًا، سيما في هذه الظروف التي نجد فيها الكثيرين قد فقدوا توازنهم، فهم بالكاد وجدوا أنفسهم قادرين على التعبير عن أنفسهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وسرعان ما انزلقوا نحو إثبات وجودهم على نحو خطأ، في هذا الفضاء الافتراضي، وهذا ما وفّر الوقود للصراعات والخلافات والمهاترات.

فهم خطأ للتعبير عن الرأي

إنّ من المؤسف أن يفهم البعض مسألة التعبير عن الرأي على نحو خطأ. ذلك أن بعض من يمارسون الإساءة لغيرهم في الفضاء الإلكتروني، يزعمون أنهم يمارسون حقّ التعبير عن الرأي!. صحيح أن حرية التعبير عن الرأي تُعَدّ حقًّا أصيلًا من حقوق الإنسان، لكن ينبغي الالتفات إلى أنّ تلك الحرية مشروطة بضابطتين:

الأولى: هي التعبير عن الرأي تجاه الأفكار وليس النيل من الأشخاص، فلو أنّ شخصًا ما طرح فكرة، ولدى شخص آخر فكرة مخالفة، فللثاني كلّ الحقّ في نقد الفكرة الأولى، وطرح الفكرة المقابلة لها، وليس شخصنة الأمور، والتهجم على صاحب الفكرة، والنيل منه بأقذع العبارات.

أما الضابطة الثانية، فهي البعد عن الطعن في نيّات الآخرين والتشكيك في تدينهم، حيث إنّ البعض يقفز مباشرة إلى اتهام ضمائر الناس، والتشكيك في غاياتهم، ولعلّ أبلغ ما يقال لهؤلاء هي كلمة النبي الأكرم ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه»[١].

إنّ الهدي النبوي الشريف يرشدنا إلى أفضل الطرق حكمة في معالجة الأخطاء، دون الإساءة إلى الأشخاص. فقد ورد عن النبي ﷺ أنه إذا بلغه تصرف أو قول لا يرتضيه، فإنه ﷺ يتبع أسلوب الموعظة الحسنة على نحو جماعي في المسلمين، مع استخدام عبارته الشهيرة: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»، فهو ﷺ إنما ينتقد القول المغلوط أو التصرف الخطأ، على نحو عام دون تعيين الأشخاص. هذا هو الخلق

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث ١٤٣.

الذي ينبغي اتّباعه ضمن العلاقات المجتمعية، وحين مناقشة الأفكار والردّ عليها.

إننا مدعوون جميعًا لاحترام أنفسنا، والنأي عن التنازع. حتى يسود الاحترام أجواء المجتمع، فالمجتمع التي تنال فئاته المختلفة من بعضها بعضًا، وتعمد إلى تسقيط رموزها، فإن مؤدّى ذلك هو التسقيط لجميع الرموز، وانعدام الاحترام لكلّ الفئات، فلا حرمة حينئذٍ لأيٍّ شخصية، ولا اعتبار لأيٍّ فئة أو جماعة، والمحصلة النهائية هو سقوط للمجتمع برمّته.

الخطبة الأولى

قيمة الجود والسخاء

ورد عن الإمام محمد بن عليّ الجواد عليه السلام أنه قال: «ما عظمت نعمة الله على أحدٍ إلّا عظمت عليه مؤونة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرّض النعمة للزوال»(١).

نعم الله تعالى على الإنسان متعددة ومختلفة، فمنها؛ نعمة العلم، ونعمة المال، ونعمة الجاه، والمهارات والقدرات، وبمقدار ما يتوفر للإنسان من هذه النعم، فإنه يصبح مقصدًا لحوائج المحتاجين، ومقتضى ذلك أن يشرك الآخرين في هذه النعم التي أنعم الباري بها عليه. وبمعنى آخر؛ ألّا تكون النعم التي يسبغها الباري سبحانه حكرًا على صاحب النعمة وحده، بقدر ما ينبغي بذلها للناس.

كما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام فإنّ هناك نسبة وتناسبًا بين نعم الله على العبد، وبين حاجات الناس إليه، وزوال النعمة ربما كان بأحد طريقين؛ إما من خلال زوال النعمة نفسها، أو زوال المرء ذاته ومفارقته لتلك النعمة.

الجواد أنموذج للسّخاء

إنّ حياة الإمام الجواد عليه السلام كانت أنموذجًا للعطاء والسّخاء. وما لقب بالجواد إلّا لكونه عنوانًا مجسّدًا للجود، فقد كانت هذه الخصلة الأكثر بروزًا وجلاءً في سيرته عليه السلام. وفي هذا الصّدد يقول الذهبي، أحد أبرز المؤرخين من أهل السنة والجماعة، في كتابه

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٧٩، حديث٥٩.

«تاريخ الإسلام» عن الإمام الجواد، أنه عليه السلام «كان أحد الموصوفين بالسّخاء، فلذلك لقب بالجواد»[١]، وقال ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة»: «محمد بن عليّ الجواد كان من أعيان بني هاشم وهو معروف بالسّخاء والسّؤدد ولهذا سمّي الجواد»[٢]، كما أورد الصفدي، وهو من أعلام أهل السنة أيضًا في كتابه «الوافي في الوفيات» عن الإمام الجواد عليه السلام: «كان من الموصوفين بالسّخاء؛ ولذلك لقب بالجواد»[٣].

وقد نقل المؤرخون قصصًا كثيرة عن سخاء الإمام الجواد عليه السلام. ومن ذلك ما ورد، بأنّ أحمد بن حديد قد خرج مع جماعة من أصحابه إلى الحج، فهجم عليهم جماعة من السرّاق، ونهبوا ما عندهم من أموال ومتاع، ولما انتهوا إلى يثرب، انطلق أحمد بن حديد إلى الإمام محمد الجواد، فأخبره بما جرى عليهم، فأمر عليه السلام له بكسوة وأعطاه دنانير ليفرّقها على جماعته، وكانت بقدر ما نُهب منهم.

الموارد المالية للإمام الجواد

من هنا يأتي السؤال عن مصدر هذه الأموال التي بين يدي الإمام عليه السلام، وفي هذا الشأن يشير المؤرخون إلى عدة مصادر، أولها ما كان يجريه الخليفة العباسي من راتب سنوي للإمام عليه السلام، فقد احتضن المأمون العباسي الإمام الجواد، وتظاهر برعايته، بعد وفاة أبيه الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقد أراد المأمون من وراء ذلك التغطية على قتله الإمام الرضا مسمومًا، والتظاهر بميوله لآل البيت، وثمّة من يرجح أن يكون هذا العطاء للإمام بغرض وضعه عليه السلام تحت المراقبة.

ليس من الصحيح القول بأنّ الإمام الجواد عليه السلام إنما قبل عطاء المأمون مضطرًا، بل لأنه عليه السلام رأى في ذلك دعمًا يصبّ في صالح رسالته ومنهجه، وإلّا لو لم يكن كذلك

---

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج١٥، ص٣٨٥.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج٢، ص١٢٧.

(٣) الوافي بالوفيات، ج٤، ص ٧٩.

لما قبل الإمام من المأمون ذلك العطاء. فأئمة أهل البيت ليس من دأبهم إيثار الحماية والسّلامة الشخصية على حساب رسالتهم، وغاية ما هناك أنّ الإمام الجواد وجد أن إقامة العلاقة مع المأمون، وفق الموازين القائمة آنذاك، كان أجدى وأكثر نفعًا للرسالة من الاصطدام معه، بل إنّه عليه السلام ذهب أبعد من ذلك عندما قبل الزواج من ابنة المأمون المعروفة بأمّ الفضل، وأجرى الأخير للإمام راتبًا سنويًّا قدّره المؤرخون بنحو مليون درهم، وهذا ما كان يُعَدّ مبلغًا ضخما آنئذ. وإذا ما علمنا بأنّ الإمام الجواد لم يعش حياة باذخة ولم يسع لذلك، سيما مع علمه بأن هذا المال إنما هو من بيت مال المسلمين، فقد خصّص ذلك العطاء لتقسيمه على المسلمين، فكان ينفق بسخاء على المحتاجين والسائلين.

أما المصدر الآخر للأموال التي تحت يد الإمام الجواد عليه السلام فكانت الحقوق الشرعية. حيث كان المؤمنون من كلّ مكان يوصلون زكاة أموالهم وأخماسهم ونذورهم وكفّاراتهم.

أما المصدر الثالث فقد كانت الأوقاف الشرعية لأهل البيت، فقد كانت لهم أوقاف كثيرة يتوارثون الولاية عليها، بدءًا من الإمام عليّ عليه السلام الذي كانت تحت يده مزارع كبيرة قام على غرسها وزراعتها بنفسه، وكذلك بقية الأئمة. وقد كانت هذه المصادر المالية تدرّ على الأمام الجواد، فكان يصرف منها بسخاء حتى لقب بالجواد.

العطاء قيمة إنسانية حضارية

إنّ الجود والعطاء قيمة إنسانية حضارية مهمة، يركز عليها الدين كثيرًا. وفلسفة ذلك، هي أن غاية ما يحتاجه الإنسان أن تتوفر له سبل العيش الرغيد، وتسدّ جميع حاجاته الأساسية والكمالية، فماذا عسى أن يفعل بما زاد على ذلك من أموال، خاصة وأنه سيأتي عليه يوم يفارق كلّ هذه الأموال فتذهب بأجمعها لغيره من الورثة، من هنا يأتي التوجيه الديني للإنسان نحو التفكير الصحيح في مصير الثروات التي تحت يده.

لا غرو بأنّ للإنسان أن يضمن كل احتياجاته الشخصية من هذه الثروة، ولا ضير في أن يجعل لنفسه مالًا احتياطيًّا يقيه عائدات الدهر، كما أنّ من الطبيعي أن يترك لأبنائه ما يعينهم في مستقبل حياتهم، سيما إذا لم يكونوا في سنّ العمل. ولكن ما زاد على ذلك ينبغي أن يجد طريقه نحو الإنفاق في سبيل الله، وخدمة المجتمع.

إنّ ما سبق ليس مختصًّا بأصحاب الثروات الطائلة وحدهم، وإنما يشمل كلّ الميسورين. فأيّما شخص لديه دخل جيّد، فهو مدعو للإنفاق على نفسه قدر حاجته، أما ما زاد على ذلك، من أموال تكدس في البنوك، أو تترك ضمن ادخارات الشركات، أو تعوم في سوق الأسهم ومحافظ الاستثمار، فماذا يريد الإنسان بكلّ هذه الأموال؟ إنّها في نهاية المطاف إمّا ستزول عنه أو يزول هو عنها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «جُدْ بما تُجِدْ تُحْمَدْ»[1] حيث يكون الشكر للإنسان المنفق موصولاً من قبل الله ومن قبل الناس. وفي كلمة أخرى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «جود الرجل يحبّبه إلى أضداده، وبخله يبغّضه إلى أولاده»[2]، إنّ السّخاء ربما جلب محبة الأعداء، على النقيض من البخل الذي يسبب بغض أقرب الناس للإنسان وهم أولاده. إنّ وجود الإمكانات المالية مدعاة لأن ينفق الإنسان منها عبر التوسيع على عياله وأرحامه، وينفع بها أبناء مجتمعه، وإلّا فبماذا ينتفع الأثرياء من أموالهم المجمّدة؟

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أنه قال: « هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله بخلًا، ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو في معصية الله، فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره، فرآه حسرة وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عزّ وجلّ»[3]، لذلك فإنّ على الإنسان أن يعيد النظر

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٨٦، حكمة ٢٦.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٨٨، حكمة٨٣.
(٣) الكافي، ج٤، ص٤٢.

في تعامله مع ما عنده من مال وثروة، فهذا ما يقود إليه العقل والوجدان.

أين أثرياء العرب؟

ومما يذكر في هذا الشّأن توقيع مجموعة من أبرز الأثرياء في الولايات المتحدة، في لقاء جمعهم قبل سنوات، على وثيقة تقضي بأن يتبرع كلّ واحد منهم بنصف ثروته، لصالح الإعمال الإنسانية والخدمة الاجتماعية، وقد استجاب لهذه الدعوة ثلاثون ملياردیرًا أمريكيًّا، أوليس الإنسان المسلم أولى بهذا التوجّه؟. إنّ من المؤسف أن نجد من الأثرياء العرب سنويًّا على قوائم الأكثر ثراءً في العالم، فيما تحيط بهم من بني جلدتهم شعوب بأكملها تئنّ من الجوع وينهشها الفقر، وما يستتبع ذلك من الاضطرابات والقلاقل، أوليست هذه هي حال الناس في اليمن والصومال والسودان وغيرها من البلدان التي تعاني شعوبها الجوع والعوز!. وحتى في مناطقنا العربية الميسورة تنتشر الفئات الفقيرة المكبلة بالديون، وارتفاع أسعار السكن، وغلاء المعيشة، سيّما في ظلّ رواتب محدودة لا تسدّ الرمق أمام كم الالتزامات الكبيرة. في حين ينتشر عدد غير قليل من كبار أثرياء العالم في هذه المنطقة!، فماذا يفعل هؤلاء الأثرياء بأموالهم وثرواتهم؟ ولا نريد هنا التعميم، فهناك من الأثرياء من يتحلّون بالسّخاء، نسأل الله أن يوسّع عليهم، وأن يضاعف لهم الخير والأجر والثواب، ويكثر من أمثالهم، غير أننا نأمل أن يكون كلّ ثريٍّ وكلّ ذي مال، من الذين ينفقون في خدمة مجتمعهم ودينهم.

الخطبة الثانية

الحجّ.. تعارف وتعرّف على آثار الإسلام

روى هشام بن الحكم قال سألت أبا عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: ما العلّة التي من أجلها كلّف الله العباد الحج والطواف بالبيت؟ فكان من جواب الإمام عليه السلام قوله: «إنّ الله خلق الخلق .. وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى»[1].

لكلّ عبادة من العبادات عطاءات تعود بالنفع والخير على حياة الإنسان الفردية والاجتماعية. إنّ الهدف الأساس للعبادات هو تعزيز العبودية لله في نفس الإنسان، وأن يتربى على الخضوع لأوامره، والتطلع لرضاه سبحانه وتعالى. غير أنه إلى جانب هذا الهدف يمكن القول: إنّ هناك عطاءات ومنافع فردية واجتماعية لكلّ عبادة، ينبغي تلمّسها. وتأتي فريضة الحج في طليعة العبادات الإسلامية التي أوجبها الله تعالى على كلّ مسلم مستطيع، مرة واحدة في العمر، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾. إنّ مناسك فريضة الحجّ تكرّس حالة العبودية والخضوع لله سبحانه بأجلى معانيها، وإلى جانب ذلك تأتي العطاءات والمنافع لهذه الفريضة.

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٤، حديث١٤١٢٤.

التعارف مقصد أساس

يشير القرآن الكريم ومختلف النصوص الدينية، إلى أنّ للحجّ منافع ينبغي الالتفات لها. حيث ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [سورة الحج، الآيتان: ٢٧-٢٨]، كما ورد في الرواية عن الربيع بن خيثم قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، منافع الدنيا أو منافع الآخرة؟ فأجابه الإمام عليه السلام بأنّ الآية تعني الكلّ[1]، أي ليشهد الحجاج منافع الدنيا ومنافع الآخرة.

وقد تناول الإمام الصادق عليه السلام ثلاث منافع حياتية مهمة للحجّ، أوّلها التعارف. فقد روى هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: ما العلّة التي من أجلها كلّف الله العباد الحجّ والطواف بالبيت؟ فكان من جواب الإمام عليه السلام قوله: «فجعل الله فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى». فالتعارف بين الناس هو أول منافع الحجّ الثلاث بحسب الرواية، وهو هدف أساس مهمّ. إنّ التنوع البشري ينبغي أن يكون دافعًا للتعارف لا التنافر، وللتعاون لا الصراع والصدام، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[سورة الحجرات، الآية: ١٣].

إنّ للتعارف دورًا كبيرًا في تدوير التجارب بين الشعوب، والتعرف على نقاط القوة والضعف عند كلّ أمةٍ من الأمم. كما أنّ التعارف يمنع العداوة أو يحدّ منها، حيث أنّه، وفي كثير من الأحيان، قد ينظر الناس نظرة سلبية إلى بعضهم بعضا، ولربما تولدت لدى أبناء قومية أو أتباع مذهب انطباعات مغلوطة عن قومية معينة، أو مذهب آخر، لا لشيء، إلّا نتيجة جهل كلّ طرف بالآخر، وفي سبيل أن تتجلى صورة كلّ أمة أو مجتمع

---

(١) الكافي. ج٤، ص٤٢٢، حديث١.

أمام المجتمع الآخر، يغدو التعارف أمرًا في غاية الأهمية.

وتنبع أهمية التعارف بين أبناء الأمة الإسلامية لجهة التنوع البشري الواسع فيها، العرقي والقومي والمذهبي والفكري والسياسي. وعلاوة على ذلك، تنبع أهمية التعارف لوجود من يجهد في إثارة البغضاء والكراهية بين مكونات هذه الأمة، انطلاقًا من أرضية الجهل التي يجري الاستفادة منها إلى أقصى الحدود، حيث تعمد بعض الأطراف إلى رسم صورة خطأ عن كلّ طرف لدى الطرف الآخر.

من هنا ينبغي الاستفادة من موسم الحج، ليتعرف الناس على بعضهم بعضًا، خاصة وأنهم على المستوى المذهبي، الشيعة والسنة والإباضية، والإسماعيلية والزيدية والصوفية والسلفية، يتواجدون بأجمعهم لأداء مناسك الحج، ولا يخلو الأمر من إشكالات وشبهات ونقاط استفهام عند أتباع كلّ مذهب تجاه المذهب الآخر، فليكن موسم الحج فرصة ليتعرفوا على بعضهم بعضًا.

لا عذر لأحدٍ حين يختار العيش في ظل الجهل، ثم يتبنّى المواقف على ذلك الأساس. ويغرق في الجهالات، وهو يمتلك الفرصة لكي يتعرف على حقيقة الأطراف الأخرى، ويحيط بكل قضية من مختلف جوانبها. من هنا يغدو التعارف مسألة مهمة لا ينبغي أن تفوّت، خاصة بالنسبة للنخب العلمية والدينية والفكرية، والأطراف المؤثرة في مجتمعاتها.

إنّ من المؤسف جدًّا أن يذهب كثير من المسلمين لأداء فريضة الحج، لكنهم يتجاهلون هذا الهدف؛ أي التعارف فيما بينهم، فلا يسعون من أجل التعرف على الحجاج الآخرين، وبينهم من قدموا من مختلف البقاع والأصقاع والقوميات والمذاهب، أوليس الأولى أن يتعرفوا على بعضهم بعضا، ويقفوا على أوضاع بعضهم بعضًا، ويرسموا صورة أوضح عن اتجاهاتهم وانتمائهم ومجتمعاتهم. ينبغي الاعتراف هنا بغياب الأجواء المساعدة والمشجّعة بالمقدار الكافي لتحقيق التعارف، لكن هناك دورًا كبيرًا تلعبه المبادرات الفردية والمؤسسية على هذا الصّعيد، لذلك ينبغي أن تشقّ طريقها قدمًا.

الحراك الاقتصادي

أما المنفعة الثانية للحج بحسب الإمام الصادق عليه السلام فهي الحركة الاقتصادية. فقد ورد في الرواية قوله عليه السلام: «.. ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد ولينتفع بذلك المكاري والجمال»، وفي السياق، لا بأس أن نشير هنا إلى يوم السياحة العالمي الذي يصادف يوم غدٍ السّابع والعشرين من سبتمبر، الذي أقرته منظمة السّياحة العالمية عام ١٩٨٠، ويجري بهذه المناسبة تكثيف البرامج والاحتفالات والمؤتمرات، في بلاد كثيرة حول العالم، للتعريف بدور السياحة، وأهميتها في التعرف على المناطق والمجتمعات الأخرى عبر العالم.

ذلك أنّ السّياحة أصبحت موردًا اقتصاديًّا مهمًّا لكثير من بلاد العالم، فهناك بحسب إحصاءات منظمة السّياحة العالمية أكثر من ٢٥٠ مليون شخص يعملون في قطاع السّياحة عبر العالم، وقد بلغت عائدات السّياحة في العام الماضي ٢٠١٤ وحده نحو ٥٠٠ مليار دولار، وهي أعلى بنحو ١٢ بالمئة من عائدات السّنة التي سبقتها.

وعلى المستوى الوطني، قدّرت إحصائية حجم الإنفاق الذي صرفه السعوديون على السّياحة خلال العام الماضي بما يزيد على ٣٠ مليار ريال، وهناك تقديرات بأنّ السائح السعودي ينفق على السياحة أكثر مما يصرفه السائح الغربي بنحو ٦٠ بالمئة، نتيجة قلة الوعي السّياحي، وضعف المعلومات، وبذخ الإنفاق، وبذلك يتمتع السائح الأوروبي أكثر، وبنسبة إنفاق أقلّ من السائح السعودي، نتيجة الوعي وحسن التخطيط.

والحديث عن السياحة يجرنا إلى الحديث عن بعد هامٍّ من أبعاد الحج. فأنْ يتوجه هذا العدد من المسلمين لأداء مناسك الحج، فلا بُدّ أن يصنع هذا الحدث حراكًا اقتصاديًّا ملحوظًا، وكما هو معروف فإنّ عددًا من الدول الإسلامية تعمل على مدى سنوات في تحصيل واستثمار أموال مواطنيها الراغبين في الحج، وهذا أمر حاصل في إيران وتركيا وأندونيسيا وماليزيا، حيث يحتاج الراغب في أداء مناسك الحج في تلك البلدان للتسجيل في قوائم انتظار، ودفع التكاليف مسبقًا، وقد يمتدّ به الانتظار إلى سنوات حتى تتاح له الفرصة، وأثناء ذلك تقوم الجهة المنظمة باستثمار أموال الحجاج

المسجلين على قوائم الانتظار، وتدرّ هذه الأموال أرباحًا كبيرة لصالح مؤسسة الحج، وإدارة شؤون الحجاج. ومن أسفٍ نقول إنّه نتيجة لضعف الاهتمام، فإن مجتمعنا قلّما يستفيد اقتصاديًّا من موسم الحج على النحو المناسب، حتى مع وجود الكمّ الهائل من الحركة الاقتصادية التي يوفرها.

استحضار تاريخ الرسالة

أما الفائدة الثالثة للحج التي يتناولها الإمام الصادق عليه السلام فهي استحضار تاريخ الإسلام. فالمسلمون القادمون من أصقاع الأرض لأداء مناسك الحج، لا بُدّ أن يتعرّفوا على أخبار وآثار رسول الله صلى الله عليه وآله، فهؤلاء الحجيج طالما سمعوا عن مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والهجرة النبوية، وعن وقائع بدر وأحد، وهي في أذهان هؤلاء لا تزيد عن أسماء وعناوين، لذلك يأتون وأنفسهم تعتمل بالحنين، وتمتلئ شوقًا، للاطّلاع المباشر على هذا التاريخ، والوقوف عيانًا على هذه المعالم، وهذا هدف كبير من أهداف الحج، حتى يكون هنالك تواصل نفسي وثقافي مع السيرة والقيم النبوية. إنّ هذا الأمر يتطلب تهيئة الأجواء للحجيج، وأن يصاحب ذلك برامج لحفظ الآثار النبوية والمواقع التاريخية.

ومن أسفٍ نقول: إنّ بلادنا تفتقد الاهتمام بالآثار النبوية والمواقع التاريخية. حيث ساد فيها اتجاه ديني يحارب هذا الأمر، وذلك بالنظر إلى الآثار النبوية والمواقع التاريخية نظرة حدّية، محورها الخشية من أن يتبرك الناس بهذه المواقع والآثار، معتبرًا ذلك شكلًا من أشكال الوقوع في البدعة، وارتكاب الحرام، ومن مظاهر الشرك، ونتيجة لهذه النظرة الضيقة حرموا الأمة من كثير من الآثار العظيمة، والمواقع التاريخية. ولعلّ التطور الأبرز الذي ظهر مؤخرًا، هو ارتفاع الأصوات المنادية بضرورة حفظ الآثار التاريخية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وقد شقّت بعض الكتابات والأحاديث طريقها عبر الصحف المحلية، والبرامج التلفزيونية، آخذين في الاعتبار رغبة الحجيج في الاطّلاع على معالم تاريخهم الإسلامي، وسيرة وآثار نبيهم، وآثار أهل بيته وصحابته، فلماذا يحرمون من هذه الفرصة، فهذا من أبرز أهداف الحج.

الخطبة الأولى

مفهوم الوحدة والتطبيقات المعاصرة

ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «إنّ من أعظم الناس ذنبًا من وقف بعرفات ثم ظنّ أنّ الله لم يغفر له»[1].

تمثل مناسبة الحج عمومًا، والوقوف على جبل عرفة على وجه الخصوص، أحد أروع المشاهد الإيمانية الوحدوية، التي يتوق لها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها. حيث تشخص الأنظار، وتشرئبّ الأعناق، في كلّ بقاع العالم الإسلامي، صوب الحجيج الواقفين على جبل عرفة. ويتجلى في هذا الموقف المهيب أمران؛ أولهما، حضور الدين متجدّدًا في نفس الإنسان المؤمن، بالرغم من كلّ تطورات الحياة المعاصرة، وسيادة النزعة المادية في المجتمعات البشرية.وبذلك لا يستطيع أحدٌ الادّعاء بأن هناك انحسارًا أو تراجعًا في حضور الدين في نفوس معتنقيه.

إنّ مناسبة الحج، والإقبال الشديد على أداء المناسك، يكشف بكلّ جلاء ووضوح، النسق المتصاعد لحضور الدين والاهتمام به. ذلك أن المتواجدين في مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، والواقفين على عرصات عرفة، ما هم إلّا جزء يسير من عشرات الملايين من المسلمين التائقين لأداء هذا النسك، وحضور هذا الموقف، ولو كان المجال مفتوحًا، والظروف مساعدة، فلربما وصل عدد الحجيج عشرة أضعاف ما هم عليه اليوم، حيث إنّ عدد المليوني حاج ما هم إلّا أولئك الذين أتيحت لهم الفرصة

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٣، ص٥٤٧، حديث ١٨٤٠٧.

لأداء الحج، وإلّا فهناك عشرات الملايين يتحرّقون شوقًا لأداء هذه الفريضة.

فقد أفصح بعض الحجيج عن انطباعاتهم ومشاعرهم الجيّاشة بمناسبة قدومهم للحج، قال أحدهم وهو في السبعينات من عمره، إنّه ولشدّة اشتياقه للذهاب إلى مكة، ورؤية الكعبة المشرفة، فإنه لم ينم طوال الأيام الثلاثة التي سبقت موعد الرحلة، ويقول إنه لم يستوعب حتى تلك اللحظة التي يتحدث خلاها، أنّ قدمه قد وطأت أرض الحجاز، وأنه الآن في الطريق إلى مكة، ويعلل ذلك بأنه كان يعيش هذه الأمنية طوال حياته. هذه المشاعر الجيّاشة إنما هي مظهر من مظاهر حضور الدين في نفوس أبناء الأمة.

وفي يوم عرفة تتجلّى مدى عظمة الخالق سبحانه، على نحو لا يتسنّى للإنسان تجاهله. فلربما تطغى الغفلة على الإنسان، وتسيطر عليه الشهوة، وقد تجرفه أمواج المادة، لكنه حين يعود إلى وجدانه، وأعماق ضميره، فإنه يجد الله حاضرًا عنده. في يوم عرفة، ترفع الأكفّ على جبل عرفات، وتشخص الأبصار، وتذرف العيون الدموع شوقًا إلى رحمة الله، ورجاءً لمغفرته ورضوانه، والله سبحانه وتعالى أعظم وأسمى من أن يردّ هذه الدموع، ويخيّب هذه المشاعر. وفي هذا الشأن نستحضر كلمة الإمام محمد الباقر عليه السلام حين قال: «إنّ من أعظم الناس ذنبًا من وقف بعرفات ثم ظنّ أن الله لم يغفر له»، ذلك أن العبد متى ما كان صادقًا ومتوجّهًا إلى ربّه، بكلّ وجدانه وجوارحه، فإنّ الله سبحانه يستجيب له بلطفه وكرمه.

إنّ سلسلة النصوص والأدعية الخاصة بالحج، المروية عن أئمة أهل البيت، تكشف بجلاء أنّ الإنسان متى استجاب لنداء فطرته وضميره، فإنه بذلك ينضوي تحت رحمة الله وعفوه. فقد روي عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة أنه قال: «اللهمّ إنّ هذا يوم عرفة يوم شرفته وكرمته وعظمته، نشرت فيه رحمتك ومننت فيه بعفوك، وأجزلت فيه عطيتك، وتفضّلت به على عبادك، وها أنا ذا بين يديك صاغرًا ذليلًا، خاضعًا خاشعًا خائفًا معترفًا بعظيم من الذنوب تحمّلته،

وجليلٍ من الخطايا اجترمته مستجيرًا بصفحك، لائذًا برحمتك موقنًا أنّه لا يجيرني منك مجير، ولا يمنعني منك مانع»، ومن الجليّ أنّ انطلاق مثل هذه الدعوات، وعلى هذا النحو من التضرّع، لا بُدّ وأن يقابله الخالق عزّ وجلّ بالمغفرة، وألّا يخيب آمال عباده الصادقين.

المشهد الوحدوي وواقع التمزق

وإلى جانب المشهد الإيماني، يتجلّى في يوم عرفة الجانب الوحدوي بين أبناء الأمة. حيث يقف على صعيد عرفة ممثلون عن جميع الشعوب الإسلامية، من مختلف البلدان والقوميات والمذاهب، يقفون جميعًا على صعيد واحد، وفي وقت واحد، ويتجهون نحو مقصد واحد، وكلّهم يتحدث بلغة واحدة، هي لغة الاعتراف بالعبودية والخضوع لله، والرجاء لعفوه ورضوانه، والاستجابة لأوامره وأحكامه، وهذا مشهد وحدوي عظيم، تعجز الكلمات عن تصويره، وتفسير معانيه وأبعاده.

إنّ هذه الأمة التي يجمعها هذا المشهد الوحدوي المتكرّر كلّ عام، الذي لا تقتصر آثاره على الحجيج بمفردهم، بقدر ما بات يعيشه جميع الناس بفضل وسائل الإعلام، التي تنقل الحدث لحظة بلحظة، هذا الحدث الذي يفترض أن يكون مكرّسًا ومعزّزًا لوحدة الأمة، سيمّا وأن تعاليمها الدينية تؤكّد الوحدة، فبالرغم من كلّ ذلك؛ لماذا باتت هذه الأمة اليوم أكثر الأمم اختلافًا ونزاعًا في داخلها؟

وبالرغم من أنّ أيّ أمة من الأمم لا تكاد تخلو من الصراعات، إلّا أن أمتنا سبقت جميع الأمم في هذا المضمار، وباتت الصراعات تمزّقها من كلّ جانب، فما هي علّة هذا الواقع المزري في الأمة؟ ولماذا لا يؤثّر في مسلكها كلّ هذا الكمّ الكبير من النصوص الدينية، والمشاهد الوحدوية، التي تأخذ مكانها خلال موسم الحج، ولماذا لا تنعكس هذه المشاهد على شكل معالجات لمشكلة التمزّق القائم؟.

إنّ تناول أزمة التطاحن وغياب الوحدة في الأمة يتطلّب حديثًا طويلًا. فذلك همٌّ

ينبغي أن يحمله كلّ إنسان مسلم، وأن يفكّر فيه، ويشعر بالقلق إزاءه، وأن يتلمّس الطريق نحو العلاج والخلاص، حيث إن تجاوز حالة التنازع والخلاف في الأمة ليس واجبًا نخبويًّا كفائيًّا تهتم به فئة من أبناء الأمة، وإنما هو واجب عيني يقع على عاتق كلّ مسلم.

كيف نترجم مبدأ الوحدة؟

ويمكن القول إنّ هناك أسبابًا وعوامل تقف وراء هذه الحالة من التشرذم والتنازع التي تعيشه الأمة اليوم. ويمكن الإشارة هنا إلى عاملين أساسيين، أولهما؛ عدم ترجمة القيم الوحدوية إلى مفاهيم عصرية مقنّنة، تأخذ طريقها نحو التطبيق على أرض الواقع. ولو أردنا أن نقرّب الصورة لفهم هذا التناقض، يمكن النظر على سبيل المثال إلى قيمة العلم، فهي قيمة مسلّم بها في الإسلام بل عند جميع البشر، غير أنّ هذه القيمة ـ العلم ـ أصبحت لها ترجمة واقعية من خلال النظم والقوانين والمؤسسات التعليمية، وأيّ أمة أغفلت هذه النظم المؤسسية في مجال التعليم، ولم تنشئ المدارس الحديثة وتشيد الجامعات ومراكز الأبحاث، انطلاقًا من مؤسسة ونظام تعليمي حديث، فإنّ هذه الأمة لا يمكن أن ترتقي علميًّا، ولن تنفعها في هذه الحال ملايين النصوص التراثية التي تكتنزها حول فضل وقيمة العلم. وكذلك الحال في المجال الصحي، لو شئنا أخذ مثال آخر، فلو أنّ أمة من الأمم لم تأخذ بالخدمات الصحية المعاصرة في مجال الرعاية الصحية، ولم تدر بالًا لإنشاء المستشفيات والصيدليات وكليات الطبّ والعلوم الطبية، واختارت عوضًا عن ذلك البقاء على التقاليد الطبية القديمة فهل ستحافظ على المستوى الصحي لأبنائها!. هنا تنطبق تمامًا ذات المعادلة في مجال الوحدة الإسلامية.

إنّ الوحدة الإسلامية لا يمكن أن تأخذ طريقها للتطبيق في واقع الأمة بمجرد ترديد الآيات والروايات الحاثة على الوحدة، فيما تغيب الآليات والنظم الواضحة. إنّ تحقيق

الوحدة في الأمة، لن يتسنّى في ظلّ غياب القوانين الناظمة للوحدة، وحينها سيكون أيّ حديث عن الوحدة مجرّد فقاعات في الهواء، تمامًا كمثالي التعليم والصحة. وفي حين أخذت شعوب الأمة بالنظم التعليمية الحديثة بعد تردّد، كما استنسخت النظم الصحية الموجودة في دول كثيرة من العالم، إلّا أنها عجزت عن أخذ النظم والآليات السائدة في المجتمعات المتقدمة في مجال تحقيق الوحدة داخل الأمة.

مفهوم المواطنة لتعزيز الوحدة

ولعلّ أحد أبرز المفاهيم العالمية الحديثة المؤصّلة للوحدة هو مفهوم المواطنة. فقد تحوّل هذا المفهوم إلى حالة قانونية راسخة، في أكثر بلاد العالم، فكلّ مجموعة بشرية تعيش في بلدٍ من البلدان، هم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات، يحكمهم دستور وقوانين ناظمة، فإنّ بقيت بلداننا بعيدة عن تطبيق مفهوم المواطنة، فليس لها سوى البقاء على حالة المغالبة والتمييز والتفاخر القومي والديني والمذهبي بين فئاتها، وهي بالتالي ستبقى أبعد ما تكون عن الوحدة، والانسجام والعيش المشترك، ولن يفيدها ساعتئذ ترديد أحاديث الوحدة، وتلاوة الآيات في فضل التعاون، وذلك أشبه ما يكون بالاكتفاء بالكتاتيب عوضًا عن إنشاء المدارس والجامعات.

فليس هناك من سبيل لتحقيق الوحدة، إلّا من خلال خلق الحالة المؤسسية، التي تدفع بالوحدة قدمًا، وترفدها بالقوانين الناظمة، فإذا لم يتحقق هذا الأمر، فستبقى الأمة تعيش التناقض بين ما هو موجود في النصوص الدينية، وبين واقعها المأساوي المعيش.

أما العامل الثاني من عوامل التّشرذم والتنازع في الأمة فهو ضعف انتشار ثقافة التسامح وقبول الآخر، فما دامت ثقافة التعصّب والتشدّد تضخ بمفاعيلها في أوساط أبناء الأمة، فإنّ واقع الأمة لن يكون قريبًا من الوحدة، وستظلّ الأمة تتخبّط في واقعها المأساوي الراهن، تحت وطأة النزاع والتفرقة والاحتراب.

حرمة الأديان وحرمة الإنسان

ورد في خطبة رسول الله ﷺ في منى في حجّة الوداع أنّه قال: «أيّ يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر قال: فأيّ بلدة أعظم حرمة؟ قالوا: هذه البلدة، قال: فإنّ دماء كم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم»[1].

حين يرتبط الإنسان بعقيدة دينية، فإنّها تحظى بأعظم قداسة واحترام في نفسه، فالدين بالنسبة للمؤمنين يمثل الحقّ المطلق، والقيمة العليا، من هنا تنبع قداسة الدين وتعظيمه.

وتتجسّد العقيدة الدينية في الرموز والمعالم. التي قد تكون مكانًا، أو زمانًا، أو شعيرة، أو شخصية تضفى عليها القداسة، وهذا ما ينطبق على كلّ الأديان، ففي كلّ دين هناك رموز مقدّسة، تأخذ قداستها من قداسة الدين نفسه، إن الانسان المتديّن يحترم رموزه الدينية ويقدّسها، انطلاقًا من احترامه وتقديسه لدينه، وهذا أمر واضح وجليّ بين أبناء البشر.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٩٣، حديث٥١٥١.

أعظم حرمة من الكعبة

ولأنّ الإسلام أولى اهتمامًا عظيمًا بحرمة الإنسان وقيمته في هذه الحياة، جعل احترام الإنسان حالة موازية لاحترام الدين، فبقدر ما يكنّ المسلم من عظيم احترام لدينه، فإنه مطالب بذات القدر بإظهار الاحترام لنظيره الإنسان.

فالمسلم الذي لا يحترم أخاه الإنسان، فإنّ احترامه لدينه مشكوك فيه. ذلك لأنّ الإسلام جعل هنالك علاقة وثيقة بين الأمرين، وارتباطًا عضويًّا بين حرمة الدين وحرمة البشر. ومن شاء التفكيك بينهما فهذا أبعد ما يكون عن المصداقية في احترامه لدينه.

وإذا ما أراد المؤمن أن يظهر مقدار حرمة الخالق جلّ وعلا في نفسه، فإنه مطالب بالقدر نفسه بإظهار اهتمامه ورعايته لحرمة عباده، على اختلاف مراتب العلاقة بهم، من الوالدين، والأسرة، والجيران، والأصدقاء، والمعارف، والآخرين. فأن تشكر الله سبحانه على نعمة من النعم، فذلك ما يستوجب أن تشكر بالقدر نفسه من يحسن إليك من عباده، وقد ورد عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ»[1]، وبذلك يكون شكر الخالق عزّ وجلّ بموازاة شكر المخلوقين دون مواربة.

إنّ هناك نصوصًا دينية كثيرة، تربط على نحو وثيق بين حرمة الدين وحرمة البشر. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله في تعريفه للفرد المسلم، أنه قال «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده»[2]، إنّ الفرد المسلم لا يكون مسلمًا حقًّا ما لم يَرْعَ حقوق نظرائه من بني البشر، فإذا ما ادّعى التديّن، في حين راح يعتدى على الآخرين بلسانه، يتهمهم، ويفتري عليهم، ويستغيبهم، ويُشهّر بهم، فهذا ليس من الإسلام في شيء. وفي رواية بهذا المعنى، يشير الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى أن الله قد يسامح عباده فيما يتعلق

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٥٣٨، حديث١٥٤٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص٣٧٩.

به تعالى من حقوق، لكنه سبحانه ليس في وارد إغفال محاسبة العباد على إساءتهم واعتدائهم على حقوق الآخرين، حيث قال: «... وأما الظلم الذي لا يترك ظلم العباد بعضهم لبعض»[١]، وقال عليه السلام: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»[٢]، وعباد الله الوارد ذكرها في الرواية عامة، تشمل الجميع، بدءًا من الزوجة والأولاد، وصولًا إلى جيرانه، وكل من يتعامل معهم في حياته اليومية. وبعبارة أخرى؛ إنّ عباد الله هم كلّ الناس بمختلف أصنافهم، فمتى ما عمد المرء إلى ظلم أحدٍ، فكأنما اعتدى على الله جلّت قدرته، وبذلك يكون الله خصمه الأول يوم القيامة. وهذا مصداق واضح لمدى الارتباط العميق بين حرمة الدين وحرمة البشر.

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله حيث كان صلى الله عليه وآله يطوف بالكعبة ويخاطبها قائلًا: «مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»[٣]، إنّ حرمة الإنسان أعظم من حرمة الكعبة، على الرغم من عظم شأنها ومكانتها وقدسيتها، بل إنّ من يسيء للكعبة ربما كان أقرب للمغفرة والتجاوز، منه إذا أساء لأحدٍ من الناس، فالإساءة للناس أعظم وأشدّ عند الله سبحانه.

حرمة الدم والمال والشخصية الاعتبارية

إنّ لحرمة المؤمن في الشريعة معايير ومحدّدات لا ينبغي تجاوزها بأيِّ حال. وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله هذه المحددات في قوله: «ماله ودمه وأن يظن به إلّا خيرًا»، فلا يجوز بأيِّ حالٍ الاعتداء على الأموال أو الأنفس، ولا النيل من القيمة المعنوية للآخرين، من خلال إساءة الظن بهم جزافًا.

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٥٠، حكمة ٩٣٩.
(٣) سنن ابن ماجه، حديث ٣٩٣٠.

إنّ الأمة الإسلامية في عصرنا الراهن، أحوج ما تكون لإدراك القيم الدينية العالية، إزاء مراعاة حرمات البشر. خاصة في ظلّ الانتهاكات الصارخة التي تعجّ بها ساحتها. إنّ هذه الأمة التي يسطر نبيها هذه المفاهيم العظيمة المتعلقة بحرمة الناس، بات يُعتدى فيها على الناس نهارًا جهارًا، وصارت الدماء المحرمة تسفك في ساحاتها اعتباطًا، حتى إنّ المرء ليتساءل في نفسه، ما إذا كانت هذه حقًّا أمة الإسلام، وهل هذه هي الأمة التي تتلو القرآن الكريم وتردد أحاديث النبي ﷺ؟ كيف تحولت إلى بؤرة ترتكب فيها أبشع الفظائع، من قطع الرؤوس وسبي النساء، ومجازر تسفك فيها الدماء، وتنتهك الأعراض، حتى لا يكاد يمرّ يوم دون تفجيرات انتحارية تحصد مدنيين أبرياء.

في اليوم العالمي للاعنف

ما أحرى بالمسلمين أن يكونوا روادًا في منهجية اللا عنف. سيّما والعالم يحتفي هذه الأيام باليوم العالمي للاعنف، المصادف للثاني من اكتوبر، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠٧، وهو اليوم المصادف لذكرى ميلاد الزعيم الهندي المهاتما غاندي، رائد فلسفة اللا عنف. أوليس الأحرى بنا كمسلمين أن يرتبط شعار اللا عنف بتاريخنا؟ وأن يكون اللاعنف مجسّدًا في حياتنا وواقعنا؟

إنّ من المشروع لكلّ فئة أن يكون لها تطلّعاتها، لكن ذلك لا ينبغي ولا يجوز أن يكون من خلال توسّل العنف، وارتكاب المجازر والتفجيرات الانتحارية، فهذه الأساليب الدموية ليست من المشروعية في شيء.

لقد ساهمت عوامل وأسباب عديدة في تحويل الأمة الإسلامية إلى السّاحة الأشدّ عنفًا من بين الأمم. وفي طليعة تلك العوامل، استفحال الأنظمة القمعية التي توالت على شعوب الأمة عبر تاريخها الطويل، وإلى وقتنا الراهن، لقد ساهمت الأنظمة في توليد وتنمية حالة العنف في المجتمعات الإسلامية. يضاف إلى ذلك مساهمة الحكومات الأجنبية إبان مرحلة الاستعمار التي اجتاحت البلاد الإسلامية، ولاتزال

آثارها متمثلة في الاحتلال الصهيوني لفلسطين، الذي يذيق شعبها الهوان والإذلال، وهذا ما قاد إلى بروز ردود فعل أنتجت قدرًا من العنف.

غير أنّ السبب الأهمّ في تفشّي العنف في الأمة هو التفسير العنفي للدين. فقد نشأت مدرسة في أوساط المسلمين تعتمد في تفسيرها لأحكام الدين وتعاليمه على قاعدة عنفية، وتشجع على ممارسة العنف، باسم الدين وتحت شعار الإسلام، وهذا هو الأمر الأشدّ والأخطر الذي تعاني منه الأمة الإسلامية اليوم.

الخطبة الأولى

بين نقد الذات ولوم الآخر

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّـهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾.

[سورة ابراهيم، الآية: ٢٢].

لأن الإنسان سيكون وجهاً لوجه أمام آثار ونتائج قراراته وأعماله عاجلًا أم آجلًا، فإنه مدعو لأن يكون يقظًا وحذرًا إزاء أيّ قرار يتخذه، أو ممارسة يقدم عليها. وليس هناك من أحدٍ سيواجه هذه النتائج والآثار سوى الإنسان نفسه. ربما ينساق المرء أحيانًا خلف الرغبات والشهوات، فيقع في بعض المواقف ويرتكب بعض الممارسات، غير أنه لا يلبث أن يصاب بالصدمة حين يواجه نتائج وآثار أفعاله تلك، فيتمنى أنه لو لم يقدم على ما أقدم عليه. من هنا فالأحرى به منذ البداية ألّا يندفع خلف الرغبات والشهوات التي توقعه فيما لا يحمد عقباه.

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «كم من شهوة ساعة قد أورثت حزنًا طويلًا»[١]، وفي كلمة أخرى ورد عنه عليه السلام أنه قال: «حلاوة الشهوة ينغّصها عار الفضيحة»[٢]، ذلك أن المرء ربما يغرق في اللذائذ لحظة ممارسة الشهوات، غير

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢١٠، حديث٢٠٣٠٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٩٤، حكمة ٧١.

أنه سرعان ما يتنغّص عليه عيشه إلى أبعد مدى فور مواجهته نتائج وآثار تلك الشهوة العابرة.

وعنه ﷺ أيضًا أنه قال: «أذكروا عند المعاصي ذهاب اللذات وبقاء التبعات»(1)، وفي ذلك إشارة إلى أن لذة الشهوات تنقضي فور انقضاء ممارستها، بخلاف ما تترك خلفها من النتائج والتبعات.

ربما يقع الإنسان في الأهواء أحيانًا نتيجة انسياقه خلف أجواء محيطة به، غير أنّ ذلك لا يعفيه من دفع ثمن أخطائه. إنّ الأجواء المحيطة بالإنسان مهما تعاظم تأثيرها في الدفع به نحو مزالق الشهوات، فإن ذلك لن يعفيه من تحمل النتائج. قد يكون هناك من يغري الإنسان ويدفعه نحو الأخطاء، غير أن هذا لن يعفيه من مواجهة نتائج أفعاله، ذلك أن عليه أن يتسلّح بالإرادة وأن يعود إلى عقله، فلا يستجيب لمن يغريه ويدفع به نحو الهاوية.

قد يسلي بعض المخطئين أنفسهم بإلقاء اللوم على الآخرين، ولن يفيدهم ذلك بشئ. فكلّ إنسان هو صاحب إرادة ولديه عقل، ولا ينبغي له أن يتنازل عن إرادته، وأن يفكر بعقل غيره.

الشيطان يتبرأ ممن أغواهم

ويسرد القرآن الكريم في هذا الصدد عددًا من مشاهد القيامة، بغرض التحذير، وإثارة اليقظة في النفوس. ومن تلك المشاهد؛ ساعة يتوجه الناس الذين أغراهم الشيطان، ووسوس لهم ارتكاب المفاسد، يتوجهون نحو الشيطان بإلقاء اللائمة عليه في إغوائهم، وتوريطهم، ساعتئذ لا يفيدهم الشيطان ولا يفعل لهم شيئًا، بل يعترف لهم بأنه الذي أغواهم وأغراهم، على اعتبار أن ذلك دوره الذي أخذه على عاتقه في الحياة، وطلب من الله أن يمنحه إيّاه، بإغواء بني البشر، واستجاب الله لطلبه امتحانًا

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٨٧، حكمة ٣٤.

لعباده. ويُلخّص تعالى هذا الموقف في الآية الكريمة: «وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم».

والحقيقة أنّ الشيطان ليس له أدنى سلطة فعلية على الإنسان. يقول تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، فلا مقارنة البتة بين إرادة الإنسان وكيد الشيطان، فالكفة تميل لصالح إرادة الإنسان بمراحل، سيما وأن لدى الإنسان عقلًا يهديه، ويميز بواسطته بين الخير والشر. ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل، الآيتان: ٩٩-١٠٠]، فالمشكلة الأساس تكمن في القابلية للانسياق خلف الشيطان، والانزلاق في هوة الشهوات استجابة لإغوائه، وليست المشكلة في قدرة الشيطان على بسط الهيمنة والتسلط على الإنسان.

الأمم الواعية تحاسب نفسها

إنّ ما ينطبق على الأفراد في ضرورة محاسبة الذات، ينطبق تمامًا على وضع الشعوب والأمم. ذلك أنّ الأمم الواعية، أكثر ميلًا لمحاسبة نفسها على أوضاعها وما يجري في واقعها، فحين تتعرض أيّ أمة لنكسة ما، أو تقع في كارثة، أو تواجه قضية كبرى، فإن هذه الأمة الواعية تتجه فورًا إلى نفسها، فتحاسب قياداتها وأجهزتها ووسائل إعلامها، وتفحص أنظمتها وقوانينهاومناهجها التعليمية..، وبعبارة أخرى، فإنّ المتهم الأول حينها ستكون الأمة ذاتها، هذا هو نهج الأمم المتقدمة، وهو المنهج الصحيح دون ريب. بينما تتجه الأمم المتخلفة في حال النكسات للبحث عمّن تلقي عليه باللائمة، عوضًا عن البحث عن الخلل الداخلي، والأسباب الجوهرية، المتمثلة في مناهجهم التعليمية، وثقافتهم، وأنظمة الحكم المتسلطة عليهم، والحالة العامة السائدة عندهم. وهكذا تميل الشعوب المتخلفة إلى إلقاء المسؤولية عن إخفاقاتها

على عاتق الأعداء أو الاستعمار، وما إلى ذلك من أعذار لا تنتهي.

وإنّنا لا نبرئ الأطراف الأجنبية من التآمر والعمل العدائي ضد الأمة؛ لأنها تبحث عن مصالحها وأطماعها، إلا أنّ المسؤولية الأولى والأخيرة تقع على الأمة التي وفّرت القابلية، وأعطت الفرصة لتآمر الأمم الأخرى عليها. فالدول الكبرى لا تفتأ تبحث عن بلدان تكون أسواقًا لمنتجاتها، وتبسط عليها هيمنتها، وتجعلها تسير في فلكها، إلّا أنّ السؤال المحوري هنا، هو عن سبب وجود القابلية عند الأمة لتنزو عليها الأمم الطامعة.

إنّ أيّ أمة درجت على تحميل الخارج المسؤولية عن نكساتها وإخفاقاتها، فإنها أمة تفتقد الإرادة الجادة لعلاج مشاكلها. إنّ من يبحث جادًّا عن معالجة مشكلاته، مدعو إلى تلمّس الثغرات في واقعه، أما من ينشغل بإلقاء اللوم على الآخرين، فهو ليس صادقًا في مواجهة المشاكل.

إنّ التعاليم الدينية تنزع إلى تربية الإنسان على الاتجاه نحو محاسبة النفس. وأن يلتزم غاية الحذر عند اتخاذ قراراته، والإقدام على أعماله.

الخطبة الثانية

أممٌ تنتج العلم وأخرى تعيش الجهل

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة»[1].

سخّر الله تعالى للبشر مقدرات الكون، وجعل السبيل إلى اكتشافها اكتساب العلم. فقد أودع تعالى في هذا الكون ثروات هائلة، وخلق الإنسان ليتنعم بهذه الثروات، وليستمتع بها، فلم يخلق الله هذه الخيرات عبثاً، لتترك دونما استثمار واستغلال، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، وفي آية أخرى: ﴿اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٢-٣٣].

غير أن الطريق للاستفادة من ثروات الكون هو التعرف عليها، واستكشافها من خلال العلم، وبمعرفة الأنظمة والسنن التي تحكم هذا الكون، وهذه الحياة، فكلّما كان الإنسان أكثر علمًا ومعرفة، كان أقدر على الاستفادة والاستثمار.

وقد منح الله تعالى الإنسان القدرة على فهم واكتشاف ثروات الكون. يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، حيث جاء في جملة من الروايات، عن تفسير معنى الأسماء الوارد في الآية الكريمة، بأنها أسماء الخلق والوجود. فالإنسان مدعو

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٨٩، حكمة ٩٠.

إلى التأمل في الكون والتعرف على أسرار الحياة، قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّـهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وفي ذلك دعوة إلى النظر في بدايات الخلق، ونشأة مختلف الكائنات.

من هنا نفهم كلمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين قال: «اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة»، ذلك أنّ العلم يجعل الحياة أكثر تقدّماً، ويجعل كلّ مقدرات الدنيا مكسباً في متناول اليد. وفي كلمة أخرى له قال عليه السلام: «بالعلم تكون الحياة»[١]، وفي ثالثة قال عليه السلام: «العلم حياة»[٢].

العلم وتطوير الحياة

لم يَعُدْ سرًّا في وقتنا الراهن ما للعلم من دور حاسم في تغيير وجه العالم، وانعكاس ذلك على مختلف مناحي الحياة. فعلى المستوى البشري، كان متوسط عمر الإنسان في الأزمان الغابرة قصيرًا نسبيًّا، وبالكاد كان يتجاوز الثلاثين إلى الخمسين سنة، بينما ارتفع متوسط عمر الإنسان في المجتمعات الحديثة إلى أكثر من ذلك بكثير، حتى أنّ هناك توقعات بأن يرتفع متوسط عمر البشر إلى تسعين عاماً بحلول العام ٢٠٥٠، خاصة وأن هناك مجتمعات متقدمة في وقتنا الراهن، بلغ متوسط العمر فيها أكثر من ٨٣ عاماً كالمجتمع الياباني. ومعلوم أن متوسط الأعمار يتفاوت من مجتمع لآخر، تبعاً لجودة الخدمات الطبية، والتقدم العلمي والتكنولوجي، وما يرتبط بذلك من وسائل الرفاهية والخدمات، التي سهّلت حياة البشر.

وعلى المستوى الخدمي، كم كان الإنسان قديماً يحتاج إلى جهد مُضْنٍ للقيام بأبسط الأشياء. فقد كان بحاجة إلى مدة طويلة ل مجرد إيصال رسالة إلى منطقة أخرى بعيدة، بينما لم يَعُدْ يحتاج الناس اليوم لأكثر من الضغط على أزرار هواتفهم

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٦٥، حكمة ١٠٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٩، حكمة ١٤٥٢.

النقالة، ليتخاطبوا مع أصدقائهم على الطرف الآخر من العالم، أو يبعثوا لهم أيّ رسالة يريدون. والطريف أن البحوث العملية تجري اليوم حثيثاً للوصول إلى تقنية ما، يجري من خلالها ـ بضغطة زر ـ إرسال وتبادل الأشياء لحظيًّا بين الناس، من البضائع والطرود أو الهدايا، وكلٌّ من مكانه، بالرغم من بعد المسافات. ولعلّ شيئاً من ذلك يحدث في يوم من الأيام، كما سبق وأن حدث فعليًّا، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في سرده لقصة نبي الله سليمان ﵇، قال تعالى على لسان سليمان مخاطباً قومه بشأن عرش بلقيس: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[سورة النمل، الآيات: ٣٨-٤٠]، وقصة الإتيان بالعرش هذه، تشبه تماماً كما لو كنا اليوم نحدّث بدويًّا عاش قبل ألف سنة بقدرتنا الفورية على إرسال ما نريد من رسائل، إلى من نشاء عبر العالم. لذلك يمكن أن نفترض بأن إرسال وتبادل الأشياء لحظيًّا بين الناس أمر وارد الحدوث، مع تطور التقنيات العلمية.

أمم تنتج وأخرى تستهلك

إنّ عالمنا اليوم ينقسم إلى صنفين من الأمم والشعوب، شعوب متعلمة منتجة، وأخرى مستهلكة تستمرئ واقع الجهل. فهناك شعوب دأبها البحث العلمي، والاستكشاف، والإنتاج الصناعي، فتحقق بذلك إنجازات علمية، تمثل مكاسب عظيمة للبشرية. وهناك شعوب تغرق في الجهل، وتستمرئ العيش المتخلف، حتى أصبح الجهل مصدر راحة لهم، لدرجة دفعت بعضهم لأن يشكروا الله أن سخّر لهم من يقوم بالمخترعات والاكتشافات التي تأتيهم على طبق من ذهب، فيما هم يضعون رجلًا على رجل ولا يحرّكون ساكنًا!.

ولعلّ ما هو أسوأ لدى بعض الشعوب، هو انتشار تيارات الخراب والتشدّد الديني

في أوساطها. ففي حين تتجه الشعوب المتقدمة نحو التعمير والإنتاج، لا تزال الشعوب المتخلفة ترزح تحت رحمة التيارات التخريبية القائمة على القتل، وسفك الدماء، والتفجيرات، وافتعال النزاعات، وشتّان بين هذين الصنفين من الأمم والمجتمعات.

لقد تابع العالم قبل أيام، مناسبة الإعلان عن الفائزين بجائزة نوبل للعلوم الطبية. هذه الجائزة المهمة التي أنشأها الكيميائي السويدي الفريد نوبل (١٨٣٣-١٨٩٦)، وهو الرجل نفسه الذي اخترع مادة الديناميت المتفجرة، وأنشأ مصانع كثيرة في أنحاء العالم، وأصبح خلال سنوات قليلة أحد أبرز أثرياء العالم، لكن هاله استغلال اختراعه ذاك في الفتك والتدمير في الحروب، بعد أن كان يعتقد بأن اختراعه سيكون مخصّصاً للأغراض العلمية، فأصيب جرّاء ذاك بنوبة حزن عميقة، يقال أنها كانت سبباً في إنشائه صندوقًا، تدعم أرباحه الجائزة التي لا تزال تحمل اسمه حتى اليوم.

وقد خصّص نوبل مبلغًا ماليًّا مجزيًا بمعايير زمنه مقداره تسعة ملايين دولار، لإنشاء ذلك الصندوق الذي خصّص جزءًا من أرباحه على شكل جوائز سنوية، قيمتها تزيد على المليون دولار، تُقدّم لكلّ مخترع أو عالم يبتكر ما من شأنه المساهمة في خدمة البشرية إجمالًا، في الطب والفيزياء والكيمياء والآداب والاقتصاد، وأخرى مخصّصة للمساهمين في السلم العالمي.

وقد منحت جائزة نوبل للطب هذه السنة، مناصفة لعلماء ثلاثة، لقاء توصلهم لاكتشاف نظام تحديد المواقع في الدماغ البشري. وجوهر الكشف العلمي هذا، هو الوقوف على الطريقة التي يستطيع الدماغ البشري من خلالها معرفة وتحديد المكان الذي يتواجد فيه الإنسان، بخلاف ما يجري مع مريض الزهايمر مثلًا، الذي يفتقد هذه القدرة، وكذلك الحال مع الطفل الصغير أيضًا. فهناك خلايا معينة في المخ هي المسؤولة عن تحديد الموقع الجغرافي للإنسان، شبيه بنظام تحديد المواقع العالمي (GPS)، ومن شأن النتائج التي توصل لها العلماء، أن تساعد في تحديد السبب وراء عدم مقدرة المصابين بمرض الزهايمر، على التعرف على الأماكن المحيطة بهم.

ويتوقع أن يكون هذا الاكتشاف بمنزلة فتح علمي يخدم البشرية. وقد نال الجائزة لقاء هذا الكشف المتميز العالم الأمريكي المقيم في بريطانيا جون أو كيف، مناصفة مع العالمين النرويجيين ادفارد موزر، وزوجته مايبريت موزر.

ماذا يعيقنا عن الإنجاز؟

في مقابل ذلك، لا تزال مجتمعاتنا أبعد ما تكون عن حقل الإنتاج العلمي. وليس السبب أن عقول أبناء شعوبنا وقدراتهم الفكرية تقل عن الآخرين، بل يكمن السبب الأساس في ضعف التوجه، فما أحوجنا لتشجيع أبنائنا على التعمق في طلب العلم، وأن يواصلوا مسيرة دراساتهم العليا، حتى يصبحوا علماء يقدمون للبشرية الجديد في مجال العلوم المعاصرة.

إنّ حكومات البلاد الإسلامية مطالبة بتأسيس بنية علمية راسخة، من خلال إنشاء الجامعات، ومراكز الأبحاث والدراسات، التي تخرّج العلماء، عوضًا عن الاكتفاء بتخريج الموظفين.

ينبغي أن تدفع جميع الفاعليات الاجتماعية والدينية والإعلامية شباب الأمة باتجاه التخصص العلمي. ولو أخذنا الخطاب الديني السائد مثالًا، فإننا نجد كم يدفع هذا الخطاب باتجاه الالتزام الديني، وأداء العبادات، وهذا أمر مطلوب في حدّ ذاته، غير أننا ينبغي أن نلحظ في الوقت عينه، أن القرآن الكريم الذي يحضّ على إقامة الصلاة، هو نفسه يأمرنا بالنظر في آفاق الكون، وهذا الكتاب الذي يأمر بالصيام وأداء الحج، هو نفسه الذي يأمر بالتأمل في نظام الخلقة والوجود، لذلك يأتي السؤال هنا؛ لماذا لا نأخذ بأوامر القرآن الكرام في هذه المجالات أيضًا؟

إنّ جزءًا كبيرًا من الثقافة الشائعة في بلادنا الإسلامية ثقافة حشو ولغو. وانشغال كبير بقضايا التاريخ، وانخراط مبالغ في القضايا النظرية، التي لا تمت للحياة المعاصرة بصلة، ويذكرنا ذلك بالرجل الذي سأل الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﵇: الكفر أقدم

أم الشرك؟، فردّ عليه الإمام عليه السلام بقوله: «ما لك ولهذا»[(١)]، وكأنما أراد الإمام عليه السلام أن يقول له؛ وما شأنك بهذا الموضوع وماذا سيفيدك؟ أوليس الأولى أن يتأمل الإنسان في البحث عن نظم الحياة، وأسرار الكون، ومفاتيح العيش الرغيد له ولمجتمعه؟

إنّ شعوبنا بحاجة ماسّة إلى ثقافة جديدة. وألّا ننشغل بهذه الأمور الجانبية، على حساب معرفة نظام الحياة. ولو تأمل الإنسان في آيات القرآن الكريم، وأجرى مقارنة بين الآيات التي تدعو إلى التأمل في الطبيعة، والنظر والتعلم والتعرف، وبين الآيات التي تتناول الأحكام الفقهية، لخلص إلى أنْ لا مقارنة من حيث الكمّ، فالفقهاء يقولون، إن آيات الأحكام في القرآن الكريم لا تتجاوز ٥٠٠ آية، في حين يتضمن القرآن الكريم آلاف الآيات التي تتناول الكون والحياة والطبيعة، فما الذي يجعلنا نقصر انشغالنا بمجموعة آيات من القرآن الكريم ـ على أهميتها ـ، ونترك بقية الآيات؟

(١) تحف العقول، ص٣٠٤.

الخطبة الأولى

الرصيد الإيجابي للتداخل مع الناس

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1].

هناك قدر من التداخل بين الناس تفرضه طبيعة الحياة، إذ لا يستطيع إنسان أن يعيش في عزلة عن الناس. هناك مستويات متقدمة من التداخل، الذي يُقبل عليه الإنسان عن قصد وإرادة، ويتقاطع مع صميم اهتماماته. مع تفاوت مستوى الاهتمام بشبكة العلاقات الاجتماعية من شخص لآخر.

إثراء المشاعر الإنسانية

إنّ التداخل مع المحيط الاجتماعي أمر بالغ الأهمية؛ لأنه يعود على الإنسان بدرجة عالية من الفائدة. ونتاج كبير من الإيجابيات.

ولعلّ أولها: أن التداخل مع الناس يثري المشاعر الإنسانية في نفس الإنسان، مشاعر الحبّ والودّ والتعاون والإحسان، في مقابل ذلك، تبقى هذه المشاعر في أدنى مستوياتها متى ما اختار الإنسان الاعتزال عن الناس.

(١) كنز العمال، ج٩، ص٢٢، حديث ٢٤٧٣٨.

تطوير المهارات والقدرات

أما الميزة الإيجابية الثانية: فهي تقوية وتطوير المهارات الاجتماعية عند الإنسان، من قبيل القدرة على التشبيك وبناء العلاقات، والتأثير في نفوس الآخرين، ومواجهة المشاكل، وإدارة الأزمات، وحسن التصرف في مختلف الظروف. إن هذه المهارات لا تتأتى من خلال التلقي النظري غالبًا، بقدر ما تتأتى عن طريق الممارسة، فكلّما تداخل الإنسان مع الناس على نحو أكبر، تبلورت عنده هذه المهارات بالتوازي.

روافد للفكر والتجربة

والايجابية الثالثة: أنّ التداخل مع الناس يمثل رافدًا حيويًّا للأفكار والمعلومات والتجارب. وكما قيل «العلم كله في العالم كله»، وأعلم الناس من جمع علوم الناس إلى علمه، وعقولهم إلى عقله، وكلما ارتبط الإنسان بأيِّ طرف، انفتحت أمامه نافذة غنية بالتجارب.

قوة المجتمع

أمّا الإيجابية الرابعة: فهي أنّ تداخل الإنسان مع محيطه الاجتماعي يسهم في تمتين الرابطة والتماسك في المجتمع، حيث أنّ المجتمع الذي يهتم أبناؤه بالتواصل والتعاون فيما بينهم، تكون درجة التماسك، وحال التكافل، فيه أقوى وأفضل.

عرض الأفكار والآراء

والإيجابية الخامسة: أنّ التداخل الاجتماعي يشكّل فرصة ثمينة للإنسان، للتبشير بأفكاره ووجهات نظره. فإذا كان لدى أيّ شخص أو جماعة، آراء دينية، أو سياسية، أو ثقافية، وكانت هذه الجهة مهتمة بنشر هذه الأفكار والآراء في محيطها، فمن الطبيعي أن يمثل التداخل مع الناس قناة مهمة لبث تلك الأفكار، ويكون المحيط الاجتماعي

أكثر إلمامًا بها. وعلى النقيض من ذلك سيلفّ الغموض صورة وأفكار أيّ جهة إذا ما اتّسمت بالانكفاء على نفسها.

نيل مرضاة الله

وأخيرًا، فإنّ التداخل مع الناس يمثل سببًا لمرضاة الله، والتقرب منه سبحانه وتعالى، ونيل الأجر والثواب.

إنّ المتأمل في النصوص الدينية، يلمس على نحو جليٍّ، أنّ فضل وثواب خدمة الناس، وحسن العلاقة بهم، يفوق بمراحل فضل تأدية العبادات المستحبة. قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته الأخيرة للحسنين وهو يحثّهما على إصلاح ذات البين: «فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ»[1]، ولا يخفى أن صلاح ذات البين يدخل في صميم العمل الاجتماعي.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الخلق عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سرورًا»[2]، فالنبي صلى الله عليه وآله يشير هنا بوضوح تام، إلى أن أحبّ الناس إلى الله، هم أولئك الذين ينفعون الناس، ويدخلون السرور على قلوبهم، ولم يقل صلى الله عليه وآله أن أحبّ الناس هم أولئك الذين يؤدون الصلاة والصيام ـ بالرغم من علوّ شأن هاتين العبادتين وغيرهما ـ. وبذلك نخلص إلى أن الخدمة الاجتماعية، لها شأن وثواب عظيم عند الله سبحانه، وتعود بالفائدة على الإنسان نفسه في دنياه وآخرته.

مكاسب تشوبها سلبيات

وبقدر ما في العمل الاجتماعي، والتداخل مع الناس، من إيجابيات عظيمة، فإنه كذلك لا يخلو من السلبيات والمشاكل. ولعلّ هناك من يبرّر تنصله من الانخراط في

---

(١) نهج البلاغة رسالة ٤٧ ومن وصية له عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٦٤، حديث٦.

العمل الاجتماعي بوجود تلك السلبيات والمشاكلز

ومنها عدم تفهّم بعض الناس لطبيعة دور الناشط الاجتماعي، ووجود من يسيء ويتهم ويؤذي ويعرقل طريقه، كلّ ذلك صحيح ومتوقع، ذلك أن الناس يختلفون في مستوياتهم وأمزجتهم وأفكارهم، وهناك إمكانية لصدور الخطأ، غير أنّ الحلّ لا يكمن في الابتعاد عن الناس، وإنما في التزام اليقظة، والاستعداد لمواجهة مثل هذه السلبيات، والعمل على تجاوزها، والتغلب عليها. فإنّ من يشترط لانخراطه في العمل الاجتماعي بألّا يواجه مشكلة، وألّا يتكلم عليه ولا يؤذيه أحد، فمثل هذا يبحث عن مجتمع من الملائكة؛ لأنّ ما يطلبه خلاف الطبيعة البشرية.

تحمّل الأذى في العمل الاجتماعي

من هنا فالمطلوب أن يتحمّل الناشط الاجتماعي الأذى في سبيل الله. وضمن هذا السياق نفهم الحديث الوارد عن النبي ﷺ في قوله: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»، ذلك أن من يخالط الناس، فإن عليه أن يترقب بعض الأذى الذي يصيبه من جانبهم، وهذا أمر ملحوظ في كلّ عمل اجتماعي، سواء كان في جمعية خيرية، أو نادٍ رياضي، أو مهرجان تطوعي..، ولربما كان ذلك عائدًا إلى وجود مشاكل فعلية تعتري ذلك العمل نفسه، أو لاختلاف أمزجة الناس، وفي كلتا الحالتين على الناشط الاجتماعي أن يصبر ويتحمل. إنّ على الإنسان أن يضاعف من دوره الاجتماعي، في محيطه العام، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. وأن يهيئ المنخرطون في العمل الاجتماعي أنفسهم لمواجهة السلبيات، وألّا يجعل أحدٌ من تلك السلبيات مبرّرًا للانكفاء والانعزال.

وهنا لا بُدّ أن نعرب عن تفاؤلنا إزاء انتشار الأنشطة الاجتماعية المختلفة، في محيطنا الاجتماعي؛ لأنّ وجود الجمعيات والهيئات واللجان والمهرجانات ومختلف الأنشطة المنبثقة عنها، مؤشر إيجابي على حيوية المجتمع. ولا ضير في صدور بعض

الانتقادات تجاه هذه الجمعية الخيرية، أو ذلك المهرجان التطوعي، لدواعٍ مختلفة، إمّا لأخطاء تحصل، أو جرّاء مخالفات شرعية في نظر البعض، كلّ ذلك أمرٌ وارد، لكن المخرج لا يكمن في العزوف عن تلك الأنشطة، وإنما في المزيد من التفاعل، والتوجه جديًّا نحو تجاوز وتصحيح الأخطاء.

وينبغي أن نقول هنا، أنّه بالقدر الذي لا يجوز السكوت فيه على الأخطاء، فإنه لا يجوز أيضًا التشهير والتسقيط، وعرقلة العمل الاجتماعي، بحجة وجود بعض الأخطاء، وإنما الصحيح هو تشجيع الأنشطة الاجتماعية إجمالًا، والسعي في الوقت ذاته من أجل إصلاح الأخطاء، التي يمكن أن تعتريها. وهذا جانب من معنى الصبر على الأذى، بتجاوز الأذى ومعالجة الخطأ. على هذا النحو ينبغي للإنسان المؤمن أن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، بخدمة الناس والتداخل معهم.

الخطبة الثانية

في اليوم العالمي لمكافحة الفقر

وفي وصيته لابنه محمد بن الحنفية يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يَا بُنَيِّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ»[1].

تشير التقارير الدولية إلى أنّ حالة الفقر في العالم بلغت حدًّا مثيرًا للقلق. حيث تفيد الإحصاءات إلى أنّ ما يتجاوز المليار ومئتي مليون من البشر يعانون الفقر المدقع، وذلك ما يناهز خُمْسَ عدد سكان العالم.

أما على مستوى المنطقة العربية، فهناك نحو ١٠٠ مليون عربي يرزحون تحت وطأة الفقر، وهو ما يعادل نحو ٢٨ بالمئة من العرب، الذين يجدون صعوبة في الحصول على الغذاء بأسعار تناسب أوضاعهم الاقتصادية.

وتشير التقارير: إلى أن نحو ٨٧٠ مليون شخص يعانون في الوقت الحالي من نقص التغذية، وهذا ما يعني بلغة الأرقام أنّ واحدًا من كل ستة أشخاص في العالم، لا يحصل على ما يكفي من الغذاء للتمتع بصحة جيّدة.

كما أنّ هناك ٦٦ مليون طفل في الدول النامية، يحضرون إلى الفصول الدراسية وهم يتضوّرون من الجوع، ربعهم في قارة أفريقيا وحدها.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ٣١٩.

وأنّ عدد ضحايا الجوع، بات يتجاوز عدد ضحايا أمراض الإيدز والملاريا والسّل مجتمعة، فهناك نحو ٣٥ ألف طفل يموتون يوميًّا بسبب الجوع والمرض. وهذه في مجملها أرقام مثيرة للقلق الشديد.

إنّ حالات الفقر لم تعد تقتصر على الدول النامية، بل طالت شرائح سكانية في الدول الثرية أيضًا. فهناك العديد من الدول التي حباها الله بثروات طائلة، يمكن ببساطة ملاحظة انتشار مظاهر وحالات الفقر فيها. فلا يزال كثير من المواطنين في بلداننا العربية الثرية يعانون الفقر بدرجة أو أخرى، على مستوى افتقاد التعليم والسكن والعلاج المناسب، وعلى صعيد مواجهة البطالة وافتقاد مصادر الرزق. ولعلّ في سعة الإقبال على تلقي الدعم من الجمعيات الخيرية، دليلًا محسوسًا على مستوى انتشار الفقر في مجتمعاتنا.

يوم التضامن مع ضحايا الفقر

ينبغي الإشارة إلى أن هذا اليوم الجمعة ١٧ اكتوبر، يصادف اليوم العالمي لمكافحة الفقر. وهو مناسبة يحتفل بها العالم، بهدف تعزيز الوعي بشأن الحاجة إلى مكافحة الفقر، والفقر المدقع في كافة البلدان. وتعود فكرة تحديد يوم لمكافحة الفقر إلى العام ١٩٨٧ حين اجتمع أكثر من ١٠٠ ألف شخص في ساحة تروكاديرو في باريس، وهي ذات الساحة التي شهدت توقيع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اجتمعوا تضامنًا مع ضحايا الفقر والجوع عبر العالم، وقد انتقل هذا التقليد إلى بلدان أخرى، فصار الناس يجتمعون سنويًّا في الساحات العامة، بأعداد كبيرة، دعمًا لمسيرة القضاء على الفقر في العالم، ويمارسون الضغط على الحكومات، والمؤسسات الدولية، لاتخاذ إجراءات تحدّ من الفقر في المجتمعات البشرية.

هذه المبادرة التي بدأت أهلية، تحولت بعد مرور خمس سنوات، إلى مناسبة تبنتها الأمم المتحدة في عام ١٩٩٢، فحدّدت يوم ١٧ أكتوبر يومًا عالميًّا لمكافحة الفقر.

ودعت المنظمة كلّ دول العالم إلى الاحتفاء بهذا اليوم، لغرض الدفع باتجاه القضاء على الفقر في العالم.

إنّ من المفيد لمجتمعاتنا التفاعل مع مثل هذه المناسبات الدولية، عوضًا عن الاكتفاء بالاحتفاء بالمناسبات التاريخية، سيمّا وأن هذه المناسبة تلامس آلام وحاجات الناس واهتماماتهم، وتجعل مجتمعاتنا نعيش الهموم المشتركة مع بقية المجتمعات.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو عن السُّبل الكفيلة بالوقوف في وجه انتشار حالات الفقر، على مستوى العالم. ولماذا لا تزال رقعة الفقر والجوع كبيرة بالرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم؟

الفقر نتاج سياسات دولية

يمكن القول بأنّ هناك عاملًا دوليًّا يساهم في انتشار الفقر عبر العالم، يتمثل في سياسات الدول الكبرى. إن سياسات هذه الدول تُعَدّ عاملًا رئيسًا في إفقار الشعوب، وضعضعة الوضع الاقتصادي في الدول النامية، بغرض فرض الهيمنة عليها. ولعلّ أحد أبرز مظاهر الهيمنة هي سياسة التصنيع العسكري، على اعتبار أنّ تنشيط صناعة السلاح من أبرز عوامل إنعاش الاقتصاد في تلك الدول الكبرى، وكما هو معروف فإنّ مصانع السلاح لا ينتعش عملها إلّا من خلال افتعال الحروب؛ لأنّ الدول المتحاربة ستلجأ لشراء واستيراد السلاح من الدول الكبرى. وقد وجدنا كيف أن الولايات المتحدة ضخّت نحو ثلاثة مليارات دولار لمصانع السلاح، تحت شعار التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب، ومن المتوقع أن تضخ الدول الحليفة لمصانع الأسلحة الأمريكية أضعاف هذا المبلغ.

إنّ إثارة التوترات والحروب، لغرض تشغيل الصناعة العسكرية، يُعَدّ ركنًا أساسًا ضمن سياسات الدول الكبرى. وقد شهدت منطقتنا الخليجية عدة حروب في العقود الأخيرة، وكما هو معلوم فإنّ هذه الحروب لا تجلب وراءها سوى الفقر، وتعويق

التنمية، وتبديد ثروات الشعوب. إضافة إلى سياسات الدول الكبرى القائمة على فرض الحصار على الدول النامية، وفرض القيود على تصدير التكنولوجيا المتقدمة اليها.

السياسات الوطنية الفاشلة

كما يساهم ضعف السياسات المحلية للدول النامية، في استفحال الفقر في مفاصلها. إذ أنّ معظم السياسات التنموية التي تضعها كثير من الدول النامية، خطأ وغير جدّية، وليست مبنية على إستراتيجية صحيحة واضحة. وفي حال كانت بعض السياسات سليمة صحيحة، فإنه يفشلها سوء التطبيق من قبل أجهزة الدولة، نتيجة الفساد والإهمال، وهذا ما يفسر تبديد الميزانيات الهائلة التي ترصد للتعليم والصحة والخدمات في العديد من الدول النامية، ذلك أنّ النسبة الأكبر من تلك الميزانيات، تذهب إلى جيوب الفاسدين والمتسلطين في الأجهزة الحكومية. وقد تكشفت بعد ثورات الربيع العربي، في تونس ومصر مثلًا، خبايا استيلاء أركان السلطة على المساعدات الدولية الموجهة أساسًا لشعوبهم، ووضعها عوضًا عن ذلك في حساباتهم الخاصة، بالرغم من العوز والفاقة المنتشرة في بلدانهم.

كيف يتجاوزون حالة الفقر؟

ويتمثل ثالث العوامل المساهمة في انتشار الفقر، في ضعف التكافل الاجتماعي. إنّ التكافل الاجتماعي لا يعني فقط إعطاء المساعدة للفقراء والمحتاجين، كما قد يتبادر للأذهان، وإنما يكمن في مساعدة الفقراء على تجاوز حالة الفقر، وتأهيلهم بحيث يكونون أفرادًا منتجين، وهذه هي المنهجية السليمة التي يجب أن تعتمدها إدارات الجمعيات الخيرية الواعية، وقد أخبرني بعض المعنيين في إحدى الجمعيات الخيرية المحلية، أنّ بعض الأسر لا تزال تتلقى المساعدة من الجمعية منذ أربعين سنة من جيل الآباء إلى الأبناء!. إنّ الاكتفاء بتقديم المساعدة لا يشكل حلًّا جذريًّا لمشكلة

الفقر، وإنما العمل على تحويل هؤلاء الفقراء وأبنائهم إلى أفراد منتجين، عوضًا عن أن يتوارثوا الفقر، وذلك بتشجيع أبنائهم على الدراسة، وتحصيل التدريب المهني، والمساعدة في توفير فرص الوظيفة، أو إنشاء المشاريع الاستثمارية المناسبة.

الكسل والتقاعس

كما أن لتقاعس بعض الأفراد دورًا في خضوعهم للفقر والعوز. فهناك بعض الأشخاص ممن يعيشون الفقر نتيجة تقاعسهم وكسلهم، فمثل هؤلاء ربما يتشرّطون في نوع العمل والوظيفة التي يبحثون عنها، فلا يريدون أن يتعبوا أنفسهم، ولا يسعون جدّيًّا خلف رزقهم، على النقيض من قول الله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾، فالسعي مطلوب في كلّ الأحوال. وأن يعمل كلّ واحد بمقدار طاقته وقدرته وليس بمقدار حاجته.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا خير فمن لا يحبّ جمع المال من حلال»[١]، حتى لو لم تكن ثمة حاجة فعلية إليه. وفي رواية أخرى، عن محمد بن عذافر عن أبيه قال: أعطى أبو عبد الله عليه السلام أبي ألفًا وسبعمائة دينار، فقال له: اتّجر لي بها ثم قال: أما إنه ليس لي رغبة في ربحها، وإن كان الربح مرغوبًا فيه، ولكن أحببت أن يراني الله عزّ وجلّ متعرّضًا لفوائده، قال: فربحت فيها مائة دينار ثم لقيته، فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار، قال: ففرح أبو عبدالله عليه السلام بذلك فرحًا شديدًا، ثم قال: أثبتها لي في رأس مالي»[٢]، فالله سبحانه يحب أن يرى عبده ساعيًا من أجل الرزق الحلال. وهكذا ينبغي أن يطمح كلّ فردٍ إلى تحقيق الغنى وصناعة الثروة. إنّ الإنسان المؤمن لا ينبغي أن يكون فقيرًا، بل المطلوب أن يسعى لتحقيق الثراء.

وفي وصيته لابنه محمد بن الحنفية يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا بني، إنّي أخاف

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٧، ص٣٣.

(٢) تهذيب الأحكام، ج٦، ص٣٢٦.

عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فإنّ الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت»، لعلّ الإمام عليًّا ﷺ وجد عزوفًا عن العمل لدى ابن الحنفية، وإقبالًا عنده على العبادة عوضًا عن العمل، ولذلك حذّره من الفقر، ودعاه إلى الاستعاذة منه، يقول صاحب الديباج الوضيء: «وإنما قال له ذلك، لأن محمدًا كان فيه نسك وصلاح وتقوى، فيكاد من هذه حاله يكون شعاره الفقر؛ لأنه شعار الصالحين»[(١)].

وقد ورد في الآداب الإسلامية الأمر بالاستعاذة بالله من الكفر ومن الفقر على حدٍّ سواء، روى الطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أعوذ بوجهك الكريم وباسمك الكريم من الكفر والفقر»[(٢)].

وذلك لأنّ الفقر، في كثير من الأحيان، هو الذي يُهيئ الأرضية لعمل الشيطان، لهذا يقول الإمام ﷺ: «فإن الفقر منقصة للدين»؛ لأنّ الفقير قد يدفعه فقره للانتقاص من تديّنه، باللجوء إلى طرق ملتوية، وأساليب غير مناسبة، والتخلي عن واجباته الدينية، علاوة على ما يعتريه من الاضطراب الفكري الذي يُعبّر عنه الإمام ﷺ بوصف الفقر بأنه «.. مدهشة للعقل»، فلا يكون عندها الفرد فاعلًا ومنتجًا على النحو المطلوب. وفوق هذا وذاك كون الفقر «داعية للمقت» وفق توصيف الإمام ﷺ فالفقير، إذا كان الفقر من اختياره، فهو ممقوت عند مجتمعه وممقوت عند الله، بخلاف من كان مجبرًا على الفقر لعاهة أو أيّ سبب خارج عن إرادته.

وبمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الفقر، ينبغي أن نحثّ أنفسنا وأبناءنا على العمل أكثر، والاستثمار والتنمية على نحو أكبر، وأن يتعاون الناس فيما بينهم كي يكون المجتمع أكثر ثراءً وإنتاجًا.

---

(١) يحيى بن حمزة الحسيني، الديباج الوضيء في الكشف عن أسرار كلام الوصي، ج٦، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (صنعاء: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية)، ص٢٩٦١.

(٢) مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ١٤٣.



الخطبة الأولى

شرف خدمة الحسين

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن طالب عليه السلام أنه قال: «افْعَلُوا الْخَيْرَ وَ لَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ إِنَّ لِلْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ»(١).

تتّسم المجتمعات الحية بروح المبادرة. وذلك ما يتمظهر في ارتفاع منسوب الحافزية لدى الأفراد إزاء المصلحة العامة، وخدمة المجتمع، فحين تلمع فكرة إيجابية لعمل مفيد، في ذهن أيّ فرد من هذا المجتمع، فإنه سرعان ما يبادر للتصدي لتطبيق تلك الفكرة على أرض الواقع، إنّ المجتمع الحيَّ غالبًا ما يتنافس أفراده لعمل الخير، فكلّ واحد منهم يحاول أن يسبق الآخرين، حتى مع علمه بأن الآخرين يتحفزون للقيام بذات العمل، فهو لا يقبل أن يسبقه الآخرون لعمل الخير، وهذا عين ما تشير إليه الآية الكريمة في وصف المؤمنين: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، أي التنافس في أعمال الخير.

في مقابل ذلك تهيمن على المجتمع المتخلف نفسية التواكل. حيت يتكل كلّ واحد منهم على الآخر، ويكل الأمر إلى غيره، فتجد الأفراد ينتظر أحدهم قيام الآخرين بالأعمال المفيدة، فيما يتسمّر هو في مكانه. وحتى إذا ما لمعت في ذهن

(١) نهج البلاغة، حكمة ٤٢٢.

الواحد من هؤلاء فكرة إيجابية، فإن أول ما يخطر على باله أن يتنصّل من المسؤولية، ويلجأ «للإفتاء» بها للآخرين، فتراه يُردّد عبارة؛ أن المفروض بالناس أن يفعلوا هذا، ويجب على المجتمع أن يصنع ذاك!. ويبدو أنّ غياب المبادرة في قبال «توزيع المفروضات»، سلوك ملحوظ خلال الاجتماعات العامة، والجلسات الشللية، حتى مع اقتناعهم بجودة أفكارهم الذاتية.

إنّ السمة الأبرز في المجتمعات المتخلفة هي انتظار الأفراد أحدهم الآخر للقيام بالعمل، ولربما انسحب ذلك السلوك حتى على أبسط الأشياء، إذ لا يعدم المرء من رؤية جماعة جلوس في مكان وقد شعروا بالحر، فيتكاسل كلّهم عن تشغيل جهاز التكييف، متمنّيًا كلّ واحد منهم أن يقوم الآخر بفعل هذا الأمر!.

ينبغي للإنسان أن يكون مبادرًا لأعمال الخير، وكلّ ما يخدم المصلحة العامة. إنّ توجّهات الخير، كما توجّهات الشّر، ترتبط بالنزعة الذاتية عند الإنسان، فهناك نفوس ميّالة إلى القيام بأعمال الخير، وهناك نفوس نزّاعة لارتكاب أعمال الشّر، وذلك عين ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس، الآيتان:٧-٨]، وما دام الأمر على هذا النحو، فلماذا لا يكون المرء سبّاقًا إلى فعل الخيرات، ولماذا ينتظر قيام الآخرين بفعل الخير نيابة عنه، فيكونون هم المبادرين والسبّاقين، سيّما وأن القرآن الكريم يقول: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، في دعوة صريحة إلى التسابق في هذا الشأن، و يقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة الواقعة، الآيتان:١٠-١١].

عوائق المبادرة للخير:

هنالك جملة عوامل تمنع الإنسان من المبادرة إلى فعل الخيرات. ومنها: استصغار المرء بعض الأعمال باعتبارها أعمالًا جزئية، يرى نفسه أكبر من أن يقوم بها، والحقيقة أن أيّ عمل خير، يستحق المبادرة إليه، ولا ينبغي تحقيره بأيِّ حالٍ، وما يجري في

هذه الحال أنّ الشيطان يريد أن يحول بين المرء وبين عمل الخير، فيسوّل في نفسه، بأنه أرفع من أيّ يقوم بذلك العمل، أو أنّ ذلك العمل ليس على قدر من الأهمية، وعلى هذا النحو يمضي الشيطان في حرمان المرء عن القيام بأعمال الخير. من هنا نجد أمير المؤمنين عليّ بن طالب عليه السلام يقول: «افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئًا، فإنّ صغيره كبير، وقليله كثير، ولا يقولنّ أحدكم أنّ أحدًا أولى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك، فإنّ للخير والشّر أهلًا، فمهما تركتموهما كفاكموه أهله»، إذا وجد المرء عمل خير، فليبادر إلى فعله، وليتجاوز وساوس الشيطان الذي يحقّر ويصغّر في العين أعمال الخير، فيحول بين المرء والقيام بها، ويشدّد الإمام عليه السلام القول بأن أصغر أعمال الخير هو عمل كبير، وأنّ قليلها كثير. ويقول عليه السلام في كلمة أخرى: «لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ»[1]، وهذا أشبه بأن يجد المرء مبلغًا زهيدًا في جيبه، في قت تجمع فيه التبرعات لأعمال الخير، فيتردّد في دفعه حياءً أو استصغارًا، مع أنّ دفع هذا المبلغ الضئيل خير وأفضل من الامتناع عن التبرع تمامًا.

أما العامل الآخر الذي يمنع الإنسان من فعل الخيرات: فهو استصغاره لنفسه عن القيام ببعض أعمال الخير. فبخلاف العائق الأول الذي يستصغر فيه المرء العمل، إنه هنا بإزاء عائق من نوع آخر، وهو استصغار نفسه أمام العمل، فيستصعب القيام بعمل يراه كبيرًا، ويرى بأنّ غيره ومن هم أكبر منه أجدر أن يقوموا بذلك، وهذا أيضًا من إيحاء الشيطان. إنّ على المرء أن يبادر بنفسه إلى عمل الخير، وقد ورد في هذا الشأن: «المرء حيث وضع نفسه»[2]، فما دام المرء يجد في نفسه إمكانية القيام بعمل الخير، فلا ينبغي أن يسمح للشيطان أن يثبّط من عزيمته، فكم من أفراد بادروا للقيام بأعمال كبيرة، لم يكن المرء ليحسب للوهلة الأولى أنهم قادرون على القيام بها، فإذا بهم يفعلون وينجزون ما تقاعس عنه الكثيرون، وذلك ما هو ملحوظ في العديد من الأعمال والمشاريع الاجتماعية والدينية والثقافية، التي لم تكن لتأخذ طريقها للنور

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ٦٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٦١، حكمة ١٩٠٣.

لولا أن انبرى أمثال هؤلاء الأفراد للقيام بها، بعد أن نالوا التوفيق من ربّ العالمين. وهذا عين ما أشار إليه أمير المؤمنين ﵇ بقوله: «ولا يقولنّ أحدكم أنّ أحدًا أولى بفعل الخير منّي، فيكون والله كذلك»، ذلك أنّ انسحاب المرء من أداء عمل الخير، إنما يفسح المجال لغيره للقيام بذلك، فهو إقرار ضمني بأفضلية الآخر عليه.

عاشوراء فرصة لأعمال التطوع:

وفي هذا الصّدد، يمكن اعتبار موسم عاشوراء أحد أبرز المناسبات المؤاتية للعمل التطوعي واسع النطاق. فهذا الموسم يعتبر مناسبة لترسيخ القيم الأخلاقية، وتعزيز الولاء للدين والنبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﵈، وتمتين التلاحم الاجتماعي، حيث يبدو مجتمع المؤمنين متلاحمًا تحت راية واحدة، يُسهم أفراده في القيام بالجهود العظيمة المباركة، في إحياء ذكرى استشهاد أبي عبدالله الحسين ﵇. إنّ على كلّ فردٍ من المؤمنين أن يسأل نفسه، عوضًا عن الاكتفاء بدور المتفرج أو المستهلك، عمّا بمقدوره أن يقدم في هذه المناسبة الزاخرة بالأعمال الأهلية التطوعية، التي يشارك فيها الآلاف من الناس المدفوعين بالحبّ لسيّد الشهداء ﵇، والولاء لأهل البيت ﵈، بمعزل عن أيّ تصدٍّ رسمي لتنظيم المناسبة.

لا بُدّ وأن يقف كلّ فردٍ من أفراد المجتمع، موقف النشط المتفاعل حيال مناسبة عاشوراء. بأن ينخرط في أيّ مجال من مجالات العمل التطوعي، عن طريق المساهمة الفكرية، ورفد العاملين بالآراء والأفكار والبرامج المقترحة، سيمّا وأننا لا نزال نراقب كيف يساهم أبناؤنا بالمزيد من المبادرات الإبداعية عامًا بعد عام. إننا جميعًا مدعوون للمساهمة الفعالة على كلّ المستويات، في تطوير الفعاليات المصاحبة لمناسبة عاشوراء، على نحو أفضل. ولا ينبغي بأيِّ حالٍ أن يستصغر أحد أو يحتقر فكرة ما، كما لا يجوز أن يستصغر نفسه من أن يساهم ولو بفكرة.

كما يفترض أن يساهم الجميع ماليًّا في دعم مختلف المناشط المصاحبة لمناسبة عاشوراء. ولو باليسير، ولا ينبغي لمؤمن أن تمرّ عليه هذه المناسبة، ولا ينفق شيئًا من

ماله في هذا السبيل. إنّ من غير المناسب أن يتنصّل أحد عن دعم الفعاليات الحسينية؛ لأنّ الآخرين قد قاموا بواجبهم، ولماذا يرضى الواحد بأن يكون الآخرون خيرًا منه؟

فمن لديه القدرة على المساهمة المباشرة في خدمة المجالس الحسينية، فدونه ذلك، ومن يستطيع المساهمة بطباعة الكتاب الحسيني المخصص للتوزيع على روّاد المجالس الحسينية فليفعل، ومن يبتغي دعم الفضائيات التي تغطي المناسبة فالمجال مفتوح أمامه، وكذلك المساهمة في الإطعام، أو المشاركة في المواكب. المطلوب على كلّ حالٍ بذل الجهود لإحياء المناسبة على أفضل وجه، وألّا يفوّت أحدٌ على نفسه شرف خدمة أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

ملء الفراغات وسدّ الثغرات:

ومن المهم جدًّا المبادرة إلى سدّ الفراغ، في حال وجود شاغر، أو نقص، أو ثغرة لم يلتفت إليها أحد، ضمن مختلف الفعاليات العاشورائية. ذلك أنه لا تعدم بعض الفعاليات من النقص، إنْ على المستوى الاجتماعي أو الإعلامي أو الثقافي. فمثلاً مسألة الازدحام المروري، حيث تبدو الحاجة ماسّة حينها لمن ينبري لتنظيم حركة مرور المركبات، وتسهيل حركة الناس. والحال نفسه يجري مع مسألة النظافة، ذلك أنه من المهم إبراز مناسبة عاشوراء على أفضل وجه، فلا غضاضة ولا عيب، بل إنّه من الشرف أن يقوم جماعة على تنظيف الشوارع التي تسلكها مواكب العزاء، أو تلك التي تعجّ بالمضائف والحسينيات وحركة الناس، فهذا مما ينبغي التوجه إليه، ولا يقولنّ أحدٌ إنّه أكبر من أن يقوم بهذا العمل، أو يستصغر أيّ جانب من جوانب الخدمة في هذه المناسبة العظيمة.

كما أنّ من المهم أن يسهم الجميع في تعميم الأفكار المفيدة المتداولة ضمن مجالس عاشوراء. فأنْ يستمع أحدنا إلى جملة أفكار مفيدة تطرح عبر مختلف المجالس، فذلك ما ينبغي معه تعميم وترويج تلك الأفكار على نطاق واسع، وعبر مختلف وسائل النشر. وأن يلعب كلّ واحدٍ دورًا في دعوة الناس إلى مزيد من المشاركة في هذه المناسبة.

كيف نفهم موقف الآخر؟

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٤].

حين يؤمن الإنسان بفكرة أو توجه ما، وتمتلئ نفسه ثقة وقناعة بها، فإنّه غالبًا ما يقف متسائلًا عن مبررات الموقف المخالف لدى الآخرين، وعن سبب نأيهم عن الإيمان بذات الفكرة التي يؤمن بها، ويركن إلى صحتها، ويثق بأدلتها، ناهيك عمّا يعتقده فيها من وضوح وجلاء تام.

إنّ هناك منهجين في النظر إلى الموقف المخالف، والتعامل معه؛ أولهما منهج الحوار الندي، وثانيهما منهج التعالي على الآخرين.

منهجية الحوار

ويعتمد المنحى الأول في التعامل مع المختلفين في الرأي والفكر، على اتخاذ الحوار منهجًا وطريقة. وذلك ما يفترض الندية مع الآخر بداية، فأيّما طرف يبتغي الحوار، وهو ينظر لنفسه سلفًا باعتباره صاحب فكر وباحث عن الحقّ، فهو بالضرورة مدعو للنظر إلى الآخر على نفس المنوال. إنّ حالة الندية المتوخّاة بين المتحاورين، تتضمن بطبيعة الحال النأي عن الافتراض بأنّ أحد الطرفين أكثر أهمية، أو أعلى كعبًا من الآخر. ويمكن الوقوف على منهج القرآن الكريم في هذا الشأن، حين أمر الله

سبحانه نبيّه محمدًا ﷺ: بأن يخاطب كفار قريش، وفق المنطق الذي تتناوله الآية الكريمة ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّـهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورةسبأ، الآية:٢٤]. هكذا يجري منهج الحوار، فكلا الطرفين لديه رأي مختلف عن الآخر، والسبيل إلى فضّ الخلاف هو الحوار والنقاش في مورد الاختلاف، على افتراض إمكانية ورود الصواب والخطأ على كلا الطرفين، حتى مع الاستبعاد الكلي لورود الخطأ على النبي ﷺ، وإنما أراد تعالى أن يجعل هناك حالة من الندية بين الطرفين المتحاورين.

التعالي على الآخرين

أما المنحى الآخر: فهو التعالي على الآخرين. إنّ المتعالين على غيرهم يفترضون أنهم الوحيدون القادرون على التفكير، وأنهم الأكثر حرصًا على بلوغ الحقّ، فيما ينظرون للآخرين باعتبارهم قصّرًا، أو أنهم معاندون يعرفون الحقّ لكنهم يصرّون على مخالفته.

إنّ آيات القرآن الكريم تسلك في تربية الإنسان منحى آخر، وذلك بأن تفرض على المرء أن يتفهم حقيقة موقف المخالفين، فليس كلّ مخالف في الدين أو المذهب أو الراي، هو معاند ومصرّ على ركوب الخطأ، واتّباع الباطل، وإنما قد تكون لدى الآخر براهينه وأسبابه، التي لا يمكن الوقوف عليها وفهمها إلّا من خلال الحوار. وإذا شئنا أن نذهب بعيدًا، فلنفترض أن هذا الآخر واقع في الاشتباه، فقد أراد بلوغ الحقّ إلّا أنه ضل الطريق. وهذا عين ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخوارج: «فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ»[1]، فقد كان عليه السلام يرى أن الخوارج إنما قاموا بما قاموا به طلبًا للحقّ، إلّا أنهم أخطؤوه، فيما طلب قوم معاوية الباطل فأصابوه.

(١) نهج البلاغة. خطبة٦١.

وبخلاف الوقوع في الاشتباه، قد تكون ظروف البيئة لعبت تأثيرها في الطرف الآخر، فجعلته أكثر ميلًا نحو رأي بعينه، فلربما كان المحيط الذي يتواجد فيه حاجبًا له عن بلوغ الحقّ، وبذلك لا ينبغي افتراض العناد تلقائيًّا في كل المختلفين.

ليس كلّ مخالف معاندًا

لقد خطّ القرآن الكريم منهجًا واضحًا في التعامل مع المختلفين. ويتضح ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، ذلك أنه مع جلاء الحقّ الذي عليه النبي ﷺ، القائم على وحدانية الله والعبودية له تعالى اسمه، لكنه ﷺ مع ذلك يتوجه إلى الكفار طالبًا الحوار معهم، وداعيًا إيّاهم إلى تقديم البراهين على مزاعمهم. إنّ الآية الكريمة تقرر حقيقة لافتة في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية:٢٤]، ذلك أنّ أكثر أتباع الأديان والمذاهب، ومختلف العقائد والآراء، لا يعلمون الحقّ، إنما هناك قلة من هؤلاء ممن يعلمون الحقّ لكنهم معاندون، وحالة العناد هذه أكثر ما تصيب الزعامات، ومن لهم مصلحة مباشرة في الإصرار على آراء وأفكار معينة، وإنْ كانت بعيدة عن الحقّ، أما عامة الناس فهم في الغالب إمّا مضللون أو مقصرون، ومع أنّ هذا لا يعفيهم من البحث عن الحقّ، إلّا أنه لا يمكن وصفهم بالعناد، حيث لم يكن الحقّ يومًا واضحًا عندهم ليصرّوا على مخالفته.

تقبّل الاختلاف

إنّ هناك جملة من النصوص الدينية التي تدفع الإنسان إلى التعايش مع المختلفين معه فكرًا ورأيًا. ومردّ ذلك إلى أنه من المتعذّر على أيٍّ كان أن يفرض آراءه وأفكاره على الآخرين، مهما بلغت درجة اقتناعه بها. فقد جاء في الآية الكريمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وتشير الآية على نحو قاطع إلى عدم إمكانية فرض الرأي على الآخرين. فقد

يكون لدى الآخرين أدلتهم التي اقتنعوا بها، وليس من المتوقّع أن تتفق جميع الآراء حول فكرة معينة.

ولعلّ أقرب مثال على ذلك هو اختلاف الفقهاء في آرائهم وفتاواهم الدينية، حتى ضمن المذهب والمدرسة الواحدة، بل حتى لو كانوا متواجدين في المكان عينه، كما نرى ذلك جليًا في الحوزات العلمية، التي يتجاور فيها الفقهاء، حيث يتجه كلٌّ منهم لتقرير بحثه العلمي باستخدام أدلته ومبانيه التي يرجع إليها ويرى أرجحيتها، دون أن يطلب أن يتنازل أحد الفقهاء عن آرائه لصالح الآخر، ولا يمكن اتهامهما أو أحدهما بالمعاندة، سيما إذا بذل الفقيه ما في وسعه للتوصل للحق فهو معذور، وكما ورد في الحديث: «إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»[1].

إنّ المنهج القرآني في استيعاب حالة الاختلاف، ينبغي أن يمنحنا سعة الأفق، ورحابة الصدر في التعامل مع الاختلافات التي تنشأ على نحو طبيعي في كلّ مجتمع بشري. إنّ هناك صنفًا من الناس تتضخم عندهم الاختلافات الجانبية، حتى يبلغ عندهم حدّ الطعن في تديّن ونزاهة المختلفين معهم، تارة تحت مزاعم تمييع الدين، وأخرى تحت شعار مخالفة العقيدة، والخروج على الملة، وثالثة بدعوى العمالة والخيانة. إنّ التسرّع في طعن الناس في تدينهم ونزاهتهم يأتي بخلاف المنهج القرآني. ويأتي السؤال هنا عن سبب غياب الافتراض بأنّ للآخرين أدلتهم، أو حملهم على الاشتباه في الحدّ الأدنى. إنّ مردّ هذه النزعة المتسرّعة في النيل من الآخرين هو ضيق الأفق، المخالف تمامًا لمنهج القرآن الكريم.

اتّهام الناس في أديانهم

وقد بلغ ضيق الأفق بالبعض أن يُخرج الناس من دائرة الدين والمذهب، ويحرمهم

---

(١) محمد بن علي الشوكاني. الفتح الرباني، ج٦، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد)، ص ٣٠٩٠.

الجنة، ما لم يوافقوا رأيه في فكرة معينة، أو ممارسة طقس مختلف بشأنه.

ومما يذكر في هذا الشأن، أن المسيحيين الكاثوليك، كانوا يعتقدون في القرون الوسطى، أنّ الجنّة لا يدخلها إلّا من اغتسل في صغره غسل التعميد الكنسي، وتحديدًا على يد الكاهن، وفي داخل الكنسية، ليكون بذلك مسيحيًّا حقًّا، وبناءً على ذلك فإنّ كلّ من لا يجري عليه هذا الطقس فهو لا يدخل الجنة، بما في ذلك الأنبياء السابقون، كنبي الله إبراهيم وموسى، حتى مع احترامهم لهما واعترافهم بنبوتهما، غاية ما هناك أن يتوسّط لهما، نبيّ الله عيسى عليه السلام فيدخلهما معه الجنة، كلّ ذلك لأنّهما لم يغتسلا غسل التعميد الكنسي[١]!.

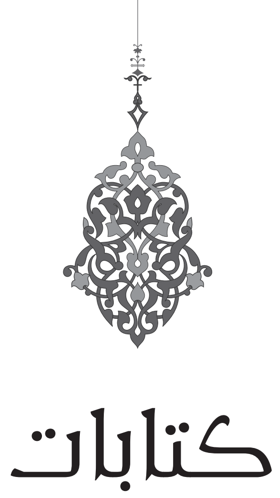
إنّ الانسان المؤمن ينبغي أن يكون واسع الأفق، وأبعد ما يكون عن اتّهام المختلفين معه، في دينهم ونزاهتهم. بل يلتمس للآخرين الأعذار والأسباب، التي دفعتهم لتبني قناعة يختلف معهم بشأنها.

إنّ أئمة أهل البيت كثيرًا ما كانوا يحثّون شيعتهم على احترام بعضهم بعضًا، حتى ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أنتم والبراءة، يبرأ بعضكم من بعض، بعض المؤمنين أكثر بصيرة من بعض، وبعضهم أكثر عبادة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وتلك هي الدرجات»[٢]. إنّ علينا أن نؤكّد أهميّة التحلّي بسعة الأفق، والتسامح مع المختلفين، وتفهّم موقف الآخرين، حتى لا نساعد على تشظّي مجتمعاتنا وزرع الخلاف بين المؤمنين.

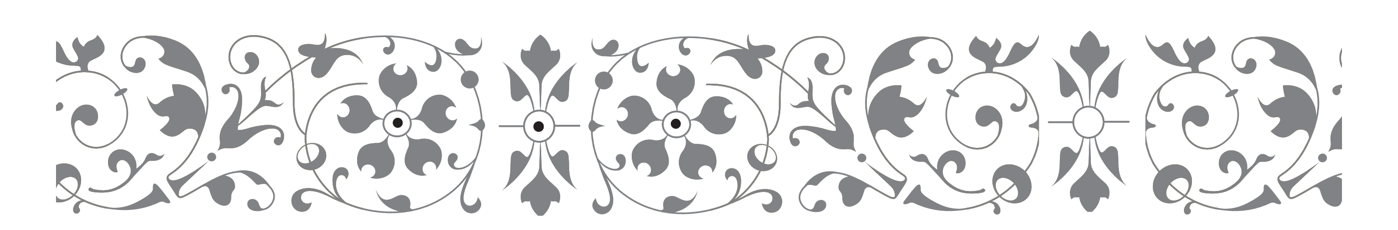
---

(١) حيدر حب الله، التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (بيروت: الغدير للدراسات والنشر)، ص١٤١.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦ص١٦٣، حديث ٢١٢٤٦.



كتابات







تقديم لكتاب

٧

عمرو الأطرف بن علي بن أبي طالب*

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

كان إنتاج المعرفة الدينية في مجتمعاتنا حكرًا على علماء الدين، كشريحة تحترف القيام بوظائف الإرشاد الديني وتتفرغ له، فهم يلقون الخطب، ويؤلفون الكتب، ويمارسون التعليم، ويبثون الأحكام الشرعية، وينشرون الثقافة والمعارف الدينية.

وذلك حين كانت الأميّة سائدة في هذه المجتمعات، وكان أفراد الناس مشغولين بتحصيل لقمة العيش عبر الفلاحة والأعمال الحرفية المختلفة، ولم تكن وسائل العلم والمعرفة متاحة للناس.

لكن مجتمعاتنا اليوم تعيش وضعًا مختلفًا، فقد انحسرت الأمّية والحمد لله، وانتشر التعليم، وارتقت مجاميع من أبناء المجتمع إلى مستويات التعليم العالي، كدرجة الماجستير والدكتوراه والبروفيسور، حيث كشفت إحصائية حديثة أن نسبة الأمية من

* عبدالله بن علي الرستم الأحسائي، عمرو الأطرف بن علي بن أبي طالب، سيرته ومروياته، الطبعة الأولى١٤٣٥هـ، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي).

إجمالي السكان السعوديين في حدود ٥ , ٥٪ وهي قريبة من معدلاتها في الدول المتقدمة التي تدور في فلك ٥٪ وطبقًا للإحصائية فإن عدد من يحملون درجات الماجستير والدكتوراه في المملكة يزيد على ربع مليون شخص (٢٥٤ , ٤٤٤) بنسبة تقدر بنحو ٢ , ١٪ من اجمالي السكان، بينما يبلغ إجمالي من يحملون شهادات من مختلف المراحل فضلًا عمّن يجيدون القراءة والكتابة ما نسبته ٣ , ٩٣٪ من إجمالي السكان.

كما توفرت وسائل تحصيل المعرفة وتدويرها بفضل التقدم التكنولوجي والتقني، حيث أفادت هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات في السعودية: أن عدد مستخدمي الإنترنت في المملكة بنهاية النصف الأول من العام ٢٠١٣م وصل إلى أكثر من ١٦ مليون مستخدم.

هذا التطور المعرفي الإيجابي، لا بُدّ أن ينعكس على واقع إنتاج المعرفة الدينية، بأن تتسع رقعة المؤثرين في ساحتها، فلا تكون حكرًا على علماء الدين.

وعلينا أن نشجع هذا التوجّه، لزيادة ومضاعفة الجهود في خدمة المعرفة الدينية، ونشر ثقافتها، وللاستفادة من الكفاءات والقدرات، وخاصة الأكاديمية في أوساط أبناء الأمة، لإثراء ساحة البحث والفكر الديني.

صحيح أن استنباط الحكم الشرعي، وإصدار الفتاوى الفقهية، يحتاج إلى تأهيل خاص، ببلوغ رتبة الاجتهاد، وتحصيل درجة الفقاهة، لكن ذلك لا يشمل سائر مجالات المعرفة الدينية، كالتاريخ والأخلاق والتربية والاجتماع والثقافة العامة.

بل إن بعض الباحثين والأكاديميين المتخصصين في هذه المجالات، قد يكونون أقدر على معالجتها، وتقديم الإنتاج المتميز فيها، من علماء الدين المقتصرين على التخصص الفقهي والأصولي.

ومن بشائر الخير في مجتمعنا بروز نخبة من الأدباء والمثقفين المهتمين بالمعارف الدينية، والمتصدّين للشأن الاجتماعي العام، وهم إلى جانب علماء الدين المخلصين

الواعين، يشكلون الطليعة التي تعقد عليها الآمال، لقيادة المجتمع نحو الرقي والتقدم.

والأخ الفاضل الأستاذ عبدالله بن علي الرستم الأحسائي، هو أنموذج مشرق من تلك النخبة المثقفة الواعية، فقد توفّر على مستوى معرفي رفيع، من خلال المطالعة والقراءة الجادّة، واكتسب خبرة البحث والتتبع في التراث والتاريخ، عبر ممارسة الكتابة والنشر، حيث نشر عددًا من المقالات والأبحاث في مختلف المجلات المتخصصة في التاريخ والتراث، كمجلة العرب، ومجلة الواحة، ومجلة الساحل، وغيرها من المجلات والصحف اليومية.

كما سبق له أن أصدر كتابًا قيمًّا عن تاريخ الإمام علي السياسي، ويسعدني أن أقدم للقراء كتابه الجديد، عن شخصية أحد أبناء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو (عمرو الأطرف) الذي نقلت عنه مصادر الحديث السنية والشيعية عشرات الأحاديث والروايات، واختلفت الآراء حول تقويم شخصيته، لكن ترجمته لم تحظَ باهتمام كافٍ من قبل الباحثين، لاستجلاء الغموض حول بعض جوانبها.

وقد بذل المؤلف الكريم جهدًا كبيرًا في تتبع سيرة هذه الشخصية، وجمع شتات أخبارها، من مختلف المصادر التي بلغت مئة مصدر ومصدر، كما جمع كلّ ما نقلته المصادر من مروياته، حيث بلغت مئة وعشرة أحاديث في مختلف أبواب المعرفة الدينية.

حيّا الله المؤلف الفاضل باحثًا وناشطًا في خدمة المعرفة والدين، وجزاه الله خير الجزاء على جهوده في إثراء حركة الثقافة والفكر، ووفقه للمزيد من الإنتاج والعطاء من أجل تقدّم المجتمع ورقيّه.

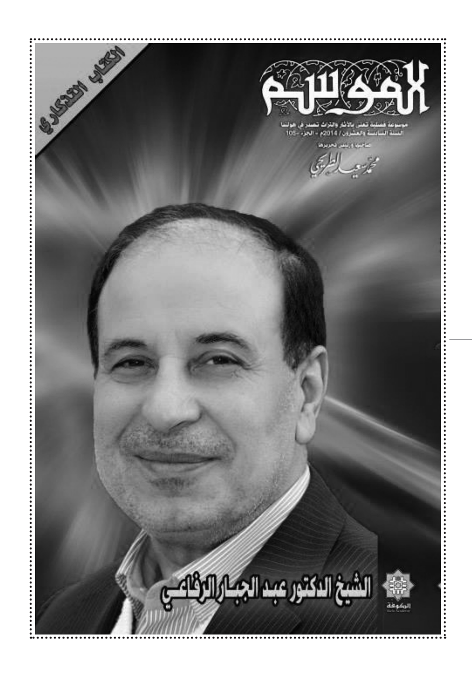
والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

٦ صفر ١٤٣٥هـ

١٠ ديسمبر ٢٠١٣م





٧

الدكتور الرفاعي دعوة التجديد ورسالة الانفتاح*

كما قسّم الله ثروات الكون على مختلف بقاع الأرض، لينال كلّ البشر نصيبهم من نعم الخالق وفضله، فإنه تعالى منحهم جميعًا قدرات التفكير والإدراك، لينعموا بامتياز العلم والمعرفة الذي خصّ به تعالى بني الإنسان.

إنها ميزة الإنسان كإنسان، مهما كان لونه وعرقه، ومن أيّ قبيلة انحدر، وفي أيّ بقعة حلّ، فهو كائن مفكّر، يمتلك قابلية المعرفة، وأدوات كسب العلم.

وإذا كان يمكن تقييد حركة جسمه، ومصادرة بعض حقوقه المادية، فإنّ عقله وفكره منطقة حرة لا يطالها القيد والمنع.

من هنا كانت قسمة العقل على بني البشر من أفضل ما قسمه تعالى على عباده، كما جاء في حديث عن رسول الله ﷺ: «ما قسّم الله للعباد شيئًا أفضل من العقل».

ومعنى ذلك أنه لا يحقّ لفئة من البشر أن تدّعي احتكار هذا الامتياز، وأنهم وحدهم المؤهلون للتفكير، وإدراك حقائق المعرفة والعلم، ومن ادّعى ذلك خالف الواقع،

---

* نشر في مجلة الموسم المجلد ١٠٥ من السنة (٢٦) الصادرة في هولندا صيف ٢٠١٤ بمناسبة الاحتفاء بالمفكر العراقي د. عبد الجبار الرفاعي.

وحرم نفسه من الاستفادة مما عند الآخرين.

وحيث تختلف البيئات التي يعيش فيها الناس، وتتعدّد اهتماماتهم، وتتفاوت زوايا نظراتهم للأمور، لذلك تتنوع ثقافاتهم، وتتمايز توجهاتهم الفكرية، ومنتوجاتهم المعرفية.

وفي تنوع الثقافات، وتمايز التوجهات، إثراء كبير للفكر الإنساني، تتقدم من خلاله مسيرة المعرفة، وتتلاقح الآراء والأفكار، وتتجلى الحقائق بشكل أفضل حين ترسم صور أبعادها، من اتجاهات متعددة، وزوايا مختلفة.

وتشكل كلّ ثقافة إضافة نوعية لرصيد المعرفة، مما يوجب احترام الثقافات، والاهتمام بنتاج مختلف التوجهات الفكرية والمعرفية.

سئل أمير المؤمنين عليّ ﷺ عن أعلم الناس؟ قال: من جمع علم الناس إلى علمه.

لكن كثيرًا من الأوساط المحسوبة على العلم والمعرفة في مجتمعاتنا، وخاصة من الدينيين، لا تزال تتلكأ في مجال الانفتاح على الثقافات والمعارف من خارج دائرتها، إمّا انطلاقًا من الشعور بالاكتفاء والاعتداد بتراثها الخاصّ، الذي يمثل في نظرها الحقيقة المطلقة، أو لاشتراطها التوافق الأيديولوجي مع أيّ مصدر معرفي ثقافي، لمشروعية الانفتاح عليه والأخذ منه.

مع أنّ النصوص الدينية الواردة تدعو للبحث عن المعرفة والحكمة من أيٍّ مصدر كان، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال».

وعنه ﷺ: كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها.

وورد عن عليّ ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند مشرك.

وقال في كلمة أخرى: الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق.

هذا الانغلاق والقطيعة التي اختارتها هذه الأوساط لنفسها، دفعها لأضيق زوايا العزلة والانكفاء، حيث بدأت بالقطيعة مع المغاير لها في الدين، ثم المخالف لها في

المذهب داخل الدين، وصولًا إلى المختلف معها في الرأي ضمن المذهب.

وانعكس هذا الانغلاق تزمّتًا تجاه تطورات الحياة، وتشدّدًا في التعامل مع الآخر، مما كرّس التخلف في واقع الأمة، وعزّز توجّهات الخصومة والنزاع.

إنّ من عوامل التوترات والنزاعات التي تعيشها ساحة الأمة، هو القطيعة المعرفية بين أطيافها وأطرافها، وانتشار تيارات التشدد والتطرف تجاه الآخر الحضاري والفكري.

مما يوجب بذل أقصى الجهود لنشر ثقافة الانفتاح والتسامح، ومواجهة فكر التشدد والانغلاق.

بَيْدَ أن عوائق وعقبات كثيرة تنتصب أمام المخلصين الساعين للقيام بهذا الواجب الخطير، فهناك توظيف سياسي لتيار التطرف والتشدد وسط مختلف الأطراف، لتبقى شعوب الأمة منشغلة بصراعاتها المذهبية والفكرية، بعيدة عن الاهتمام بقضاياها المصيرية، وبإنجاز مشاريع التنمية والتقدم في أوطانها.

وهناك سدنة المعبد ومراكز القوى الدينية التي تستمدّ شرعية نفوذها، وحماية مصالحها، من تأجيج مشاعر جمهورها ضدّ الآخر العدو المصطنع.

هذه التحالف القذر بين السياسي المصلحي، والديني الانتهازي، يجعل مهمة الواعين المصلحين صعبة شديد الكلفة، لا يستقيم في التصدي لها وتحمل أعبائها، إلا من امتحن الله قلبه بصدق الإيمان، وقوة الإرادة، ووضوح الرؤية.

حيث تُشنّ على دعاة الإصلاح الفكري، حملات التشويه والتشهير، بهدف إسقاط شخصياتهم، ومحاصرة أطروحاتهم، باتهامهم في دينهم، وأنهم ناقصو العقيدة، مصابون بلوثة الضلال والانحراف، متأثرون بالآخر من خارج الدين والمذهب.

وقد يضطر بعض المصلحين تحت وطأة الضغوط الشديدة إلى الانسحاب من ميدان المواجهة، أو تعويم موقفه، وتجميد نشاطه ودوره، في مجال الدعوة إلى الإصلاح، والتسامح والانفتاح.

ومن القامات الشامخة الصامدة في ميدان الإصلاح الفكري، والنضال الثقافي، الأستاذ المفكر العلامة الدكتور الشيخ عبد الجبار الرفاعي، حفظه الله تعالى، فقد توفّرت شخصيته على عناصر قوة مكّنته من مواصلة العطاء الفكري، والنزال العلمي، منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، واجه فيها ألوانًا من المشاكل والمصاعب، لكن عزيمته تزداد مضاءً، وفكره يتّقد توهّجًا، ونتاجه المعرفي يواكب العصر تطورًا.

إنّ أول عناصر القوة في شخصيته: رسوخ قدمه في العلوم الشرعية، فهو ربيب الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقم المقدسة، منذ عام ١٩٧٨م، ومن روّاد دروس الاجتهاد والاستنباط، التي يطلق عليها (البحث الخارج)، وهو مدرّس للسطوح العالية في الفقه والأصول. إضافة لدروس الفلسفة والمنطق، وحين يقول رأيًا في الدين، يقوله من موقع الباحث الخبير.

أما العنصر الثاني فهو: سعة أفقه المعرفي، بمتابعته لتطورات الفكر والثقافة العالمية، فقد قرأ مختلف مدارس الفكر الغربي الحديث، وتعرّف على أهم وأبرز نظريات عمالقته ومفكريه، وهو مواكب جادّ لكل نتاج فكري جديد يدخل في مجال اهتمامه المعرفي.

والعنصر الثالث: معايشته الواعية لتحولات وتجارب الساحة الإسلامية المعاصرة، فقد رافق مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، وعاش تجربة الثورة الإسلامية في إيران، وانفتح على مختلف ساحات العالم الإسلامي، حيث تربطه علاقات وثيقة، بعدد كبير من القيادات والقوى المؤثرة في مجتمعات الأمة.

العنصر الرابع: التزامه السلوكي بما يبشّر به من قيم أخلاقية حضارية، فاحترامه للرأي الآخر، وانفتاحه عليه وتواصله معه، وحواره له بأدبٍ وموضوعية، سمة يشهد بها كلّ متابع لكتابات الدكتور الرفاعي، وكلّ عارف بشبكة علاقاته.

ولا يحتكر الدكتور الرفاعي إنجازاته في مجال العلاقات والتواصل، بل يهتم بتعريف الناس على بعضهم بعضًا، ويسعى لإقامة جسور التعارف والتواصل بين ذوي

الرأي، والمهتمين بالفكر وبالشأن العام.

ومجلته (قضايا إسلامية معاصرة) التي أصدرها منذ حوالي عشرين عامًا، تجسّد هذا التوجه الفكري والسلوكي الذي تميّز به، فهي منتدى فكري رصين، تلتقي فيه آراء المفكرين والمثقفين المهمومين بقضايا النهضة والإصلاح، من مختلف أرجاء الأمة وبقاعها وتوجهاتها.

وإلى جانب هذه المجلة الرائدة، أصدر الدكتور الرفاعي أكثر من سلسلة كتب، يحرّر فيها آراء كبار المفكرين المعاصرين، حول أهم قضايا الفكر والأمة، ويحاورهم في خطوط التماسّ ونقاط الاختلاف، لبلورة الآراء وإنضاجها وتكاملها، كالسلسلة القيمة (آفاق التجديد).

ومن الجهود الرائعة المشكورة، التي قام بها الدكتور الرفاعي على هذا الصعيد، تجليته للمشهد الثقافي في إيران، باللغة العربية، ليتابع المفكرون والمثقفون في العالم العربي، ما يحدث من تطورات مهمة، في المعرفة والثقافة الدينية، لدى إخوانهم الإيرانيين، الذين يعيشون تجربة متقدمة مثيرة للاهتمام، منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩م، وسعيها لإقامة نظام سياسي اجتماعي، ينبثق من قيم الإسلام، ويتوافق مع روح العصر، وتطورات العلم والحياة.

ومع قرب هذه التجربة جغرافيًّا للعالم العربي، الذي تتعثر فيه محاولات النهوض، ومع وحدة الانتماء الحضاري للإسلام، إلّا أنّ التجربة الإيرانية، وخاصة في بعدها الفكري الثقافي، لا تحظى بالمتابعة اللازمة من مفكري ومثقفي العالم العربي، بسبب حاجز اللغة، والخلاف المذهبي، والصراع السياسي، وغياب مؤسسات الدراسات والأبحاث، التي تعنى بدور التواصل والتبادل الثقافي.

هنا تبدو أهمية الجهد المميّز الذي بذله الدكتور الرفاعي، من خلال ما ينشره في مجلته (قضايا إسلامية معاصرة) أو سلسلة (آفاق التجديد) من ترجمة مقالات أبز المفكرين الإيرانيين، كما أصدر سلسلة من الكتب التي تعنى برصد المشهد الثقافي

والفكري في إيران تناول من خلالها محاور مهمة مثل (علم الكلام الجديد وفلسفة التجديد) و (فلسفة الفقه ومقاصد الشريعة)، وتكشف هذه الكتب والأبحاث، عن عمق متابعة الدكتور الرفاعي لحراك وتحولات الساحة الفكرية في إيران ، بقراءته لمختلف النظريات في وسط الحوزة العلمية الدينية، وفي أوساط المفكرين الأكاديميين، واستيعابه لمعارك الجدل والصراع الفكري بين التوجهات المختلفة.

إنه دور مهمٌّ جدًّا، كان يجب أن تقوم به مؤسسات متخصصة في الأبحاث والترجمة، لكن الدكتور الرفاعي ينهض بهذه المهمة بجهده الذاتي، تحفّزه لذلك همته العالية، وإخلاصه العميق للفكر والمعرفة.

وهناك بُعْدٌ آخر تتميز به شخصية الدكتور الرفاعي، ويعزّز دوره في مجالات الإصلاح والتطوير، وهو رعايته لكلّ الجهود والطاقات، التي تصبّ في خدمة الدعوة والرسالة التي يحملها، وهذا ما لمسته شخصيًّا من خلال علاقتي وتواصلي معه، فهو يبحث عمّن يشاركونه هَمّ التجديد والإصلاح، ويبادر للانفتاح على أيِّ شخص له توجّه فكري إصلاحي، من أيّ مذهب أو طائفة أو اتجاه، ويقدم التشجيع والدعم لأيِّ جهدٍ ثقافي على هذا الصعيد، ويقف متضامنًا مساندًا لمن تحاصره المشاكل والضغوط الاجتماعية جرّاء طرحه لرأي نقديّ أو فكرة إصلاحية.

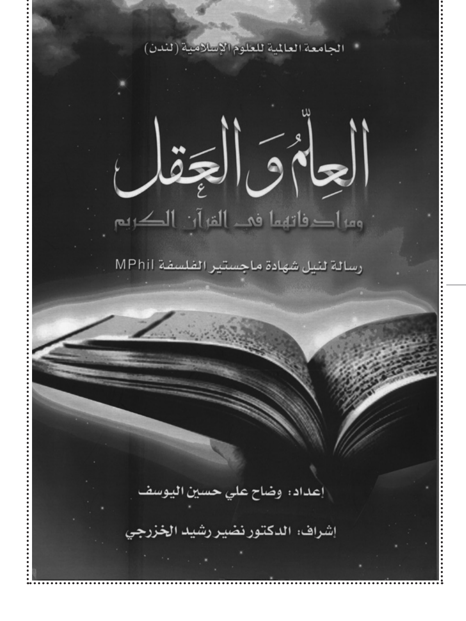
هكذا عرفت شخصية الدكتور الرفاعي وقرأت مشروعه الفكري، الذي نذر له عمره وحياته، إنه دعوة للإصلاح والتجديد ورسالة للتسامح والانفتاح.

حفظه الله ورعاه منارة إشعاع، وداعية خير وإصلاح.

حسن موسى الصفار

٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ

الموافق ٧ يناير ٢٠١٤م



تقديم لكتاب



العلم والعقل ومرادفاتهما في القرآن الكريم*

بالعقل ميّز الله تعالى الإنسان عن سائر مخلوقاته، وباستخدام العقل يتمايز الناس فيما بينهم، فمن اتّجه لعقله أكثر، واستفاد من طاقته العظيمة، كان قدره أرفع، وحياته أثرى.

ولأن الإنسان قد يغفل عن هذه الهبة الإلهية الكبرى، حيث تصرفه عنها بعض نزعات تكوينه العاطفي، وتأثيرات محيطه الاجتماعي، وقد لا يدرك المنهجية الفضلى للتفكير والاستفادة من نور العقل، لذلك بعث الله أنبياءه برسالاته، لتوجيه الإنسان إلى عقله، وتعزيز ثقته به، ولتحصين الإنسان من الخضوع للعوامل السلبية الصارفة له عن الاهتداء بعقله، أو المشوّشة على تفكيره.

وواضح من آيات القرآن الكريم التأكيد على محورية العقل ومرجعيته في حياة الإنسان، وأنّ رسالة الدين هدفها تحفيز العقل وإثارة الفكر، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة يوسف، الآية:٢]. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[سورة الروم، الآية: ٢٨]. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة النحل، الآية:٤٤].

* وضاح علي حسين اليوسف، العلم والعقل ومرافاتهما في القرآن الكريم رسالة لنيل شهادة ماجستير الفلسفة، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن، ٢٠١١م.

ويؤكّد النبي محمد ﷺ أنّ الإنسان لا يدرك خيرًا ولا يناله في هذه الحياة إلّا بنور العقل، يقول ﷺ فيما روي عنه: «إنما يدرك الخير كلّه بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له».

ويقرّر الإمام عليّ عليه السلام أن من الأهداف الرئيسة لبعث الرسل والأنبياء إثارة دفائن العقول، أي ما تختزنه العقول من طاقة وقدرة جبارة، لكنها محجوبة ومغطاة بركام الغفلة والجهل وضعف الثقة، وغلبة العواطف والأهواء، فيأتي الأنبياء ليوجهوا الناس لاستكشاف عقولهم، ولإنهاضها.

وهذا يقتضي أن يكون أتباع الشرائع الإلهية، هم أكثر الناس استنارة بعقولهم، واستفادة من طاقاتها الجبارة الهائلة.

لكنّ الواقع الخارجي يحكي حالة مباينة لهذا الافتراض، حيث ينشأ في أوساط المتدينين فهمٌ خطأ للدين، يشكل أرضية لتجاهل العقل، والتشكيك في قدرته على إدراك الحقائق، ومعرفة سنن الكون والحياة، وأن ذلك كله من الغيب الذي لا يدرك إلّا من خلال ما يقوله الدين، ومن ثم تُختلق مقولات دينية، أو تفسّر بعض نصوص الدين، بما يؤدي إلى تجميد دور العقل، وتعويق حركته في حياة الإنسان.

هذا ما حصل في أوساط اليهود والنصارى في القرون السابقة، الذين سادتهم الخرافات والأوهام، والتصورات الخطأ حول طبيعة الكون، وأنظمة الحياة، وأصبحت مسلمات مقدّسة يعاقب من ناقش فيها أو خالفها بأشدّ العقوبات وأسوأ ألوان التنكيل.

لكنهم تجاوزوا ذلك في العصر الحديث، حين تمرّد مفكّروهم على هذا التديّن المزعوم، وثاروا على تلك الأفكار البالية، فانطلقوا في رحاب العلم والمعرفة، واستفادوا من عقولهم في تطوير الحياة، وصناعة النهضة العلمية والتقدم التكنولوجي في مختلف المجالات.

ولم تكن أمتنا الإسلامية في مأمن من الوقوع في هذا المنزلق الخطير، بل أصابها ما أصاب أمم الشرائع الإلهية السابقة، وتعطّل في معظم أرجائها دور العقل، وتضخّم

دور النقل، ليغطي كلّ مساحات الحياة، بما يشوب هذا النقل من وضع وتحريف وتزوير وسوء فهم.

ومن يتأمل واقع الأمة الإسلامية اليوم يصاب بالدهشة والذهول، حيث تدار مختلف شؤون الأمة السياسية والاجتماعية، بواسطة الأعراف والتقاليد البالية، بعيدًا عن منطق العقل ومعطيات التجربة.

وأشدّ ما تحتاج إليه الأمة اليوم، هو ما أكدّه القرآن الكريم، من محورية العقل ومرجعيته، والعودة إليه لاكتشاف سنن الكون، واستخراج كنوزه وطاقاته، ولتنظيم الحياة وتطويرها في مختلف المجالات.

وبين يدي القارئ الكريم بحث علميّ قيّم، يُعنى بهذا الموضوع الخطير، بذل فيه مؤلفه الكريم الأستاذ وضاح علي حسين اليوسف جهدًا مشكورًا، لتسليط الضوء على مكانة العلم والعقل في كتاب الله المجيد. وهو رسالة لنيل درجة ماجستير الفلسفة من الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن.

وقد قرأت البحث بشغف وشوق، مستمتعًا بوضوح لغته، وحسن منهجيته، مقدّرًا للباحث اختياره الموفق لهذا الموضوع المهم، وحرصه على تحديد المصطلحات بدقة علمية، واستقراء جميع الآيات القرآنية الكريمة الواردة حول العلم والعقل ومرادفاتهما.

إنّ هذا البحث القيّم الجميل يكشف عن شخصية مؤلفه الواعدة، فهو مشروع باحث ومفكر جادّ، نتوقع له مستقبلًا مشرقًا بالرقي العلمي، والعطاء الثقافي. وفّقه الله للمزيد من الإنتاج والعطاء، خدمة للدين والمجتمع.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٢٤ ربيع الأول ١٤٣٥هـ

الموافق ٢٥ يناير ٢٠١٤م





تقديم لكتاب

رسالة سلام مذهبي*

أول أمر نزل به الوحي الإلهي على النبي ﷺ هو الأمر بالقراءة ﴿اقْرَأْ﴾.

وأن تكون القراءة من منطلق سليم صحيح، لذلك قيّدها الأمر الإلهي ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

توخّي القراءة السليمة لما حول الإنسان ومن حول الإنسان هو السبيل لحياة لائقة ناجحة.

لذلك توالت آيات القرآن الكريم تدعو الإنسان للتعرف على الطبيعة التي تحتضنه، وعلى أبناء جنسه الذين يعيشون معه، ويشاركونه المواطنة في هذه الحياة.

فقد شاءت حكمة الله تعالى أن يتنوع البشر في مناطقهم وأعراقهم وانتماءاتهم، مما ينتج اختلاف الثقافات والمصالح والتوجهات، وحتى لا يكون هذا الاختلاف مانعًا من التآلف والتعاون، أو دافعًا للخصومة والصراع، فإنّ عليهم أن يتعرفوا على بعضهم بعضًا، وأن يُحسنَ كلّ طرف قراءة الطرف الآخر، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[سورة الحجرات: الآية١٣].

* حيدر حب الله، رسالة سلام مذهبي، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، (بيروت: دار الانتشار العربي).

والتعارف الصحيح هو الذي ينطلق من قراءة موضوعية قيمية، بعيدًا عن نزعات التعصب للذات، ومشاعر التعالي على الآخر، ذلك ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

القراءة الموضوعية للآخر هي التي توفر أرضية التعايش والتعاون والتكامل معه، بينما تدفع حالة الجهل بالآخر، وسوء قراءته إلى التحفظ تجاهه، وربما الصراع معه.

وإذا كان الأمر الإلهي يوجّه للتعارف بين مختلف شعوب وقبائل البشر، فمن المؤكّد أولوية توجه هذا الأمر للشعوب والقبائل المنتمية لأمة الإسلام على اختلاف تنوعاتها العرقية والقومية والمذهبية؛ لأنّ التعارف بين مكونات الأمة هو الخطوة الأولى في طريق إنجاز وحدتها، وتحقيق الأخوة الإيمانية فيما بين أبنائها، والوحدة والأخوة مبدآن قررهما القرآن وأكّد عليهما. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[سورة الانبياء: الآية٩٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية١٠].

ولعلّ التنوع المذهبي هو أكثر ألوان التنوع حساسية داخل الأمة الإسلامية؛ لارتباطه بمحور الانتماء الأساس، وهو الدين. لذلك اكتنفت هذا التنوع كثير من التعقيدات والحساسيات، كانت مبرّرًا لحالات من القطيعة والجفاء والخصومة والصراع.

إن التنوع المذهبي واقع قائم في الأمة منذ عصورها الأولى، ولا يمكن إلغاؤه أو التنكر له، ويُفترض ألّا يعوّق ولا يمنع تحقيق التعايش والتآلف، وإنجاز الوحدة والتآخي.

كيف ونحن نجد أممًا أخرى تعيش مستوى من الاتحاد، وحالًا من الاستقرار السياسي والاجتماعي، مع تعدّد الأديان والمذاهب في شعوبها. فلماذا يتعايش الآخرون فيما بينهم، مع تناقض أديانهم ومعتقداتهم، ويعجز المسلمون عن تحقيق التعايش عندما تتعدد مذاهبهم داخل دينهم الواحد؟

ليس هناك سبب خفيّ، ولا أمر غيبيّ، ولسنا بحاجة لاجتراح معجزات، وابتكار حلول سحرية، فتجارب الآخرين ماثلة أمامنا، ويمكننا الاستفادة منها.

كانت الأمم الأوروبية تعيش ما نعانيه من نزاعات وخصومات واحتراب طائفي، لكنها عبرت تلك الحالة وتجاوزتها إلى شاطئ الاستقرار السياسي والاجتماعي، بعد انبثاق حركة التنوير في ربوعها، وبعد الجهود الكبيرة التي بذلها المفكرون المصلحون، في بثّ نهج العقلانية وثقافة التسامح، وتعزيز قيم الحرية والعدل والمساواة، وتمخّض عن تلك الجهود والتضحيات إقرار مبادئ حقوق الإنسان، وفي طليعتها احترام خيارات الإنسان في معتقداته وممارساته الدينية، وحقّه في التعبير عن ذاته رأيًا وسلوكًا، في إطار عدم التعدّي على حقّ الغير.

ومع إقرار التعددية، وحرية الرأي، استطاع الناس أن يعبّروا عن ذواتهم، وأن يتعرفوا على بعضهم بعضًا، فاكتشفوا مواقع اتفاقهم، وحدود اختلافهم، وتوافقوا على خدمة مصالحهم المشتركة، واحترام كلّ طرفٍ خصوصيات الآخر.

وما أحوج مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، وهي تواجه أعاصير الفتن الطائفية، وحالات التمزق والانقسام في أوطانها بمختلف العناوين، ما أحوجها إلى حركة تنوير إسلامية، تحيي قيم الدين الأصيلة، التي تؤكّد كرامة الإنسان وحريته، وتدعو إلى التعارف بين بني البشر، وإلى التعاون والوحدة والأخوة بين المؤمنين.

إنه لا يصحّ لعلماء الأمة ومفكّريها أن يتفرجوا على مشاريع الفتنة والانقسام، وهي تنشر الدمار والخراب في بلاد المسلمين، وتمزّق أوطانهم، وتذيق بعضهم بأس بعض تكفيرًا وقتلًا وتنكيلًا وتهجيرًا.

ربما يبرّر بعض العلماء والمفكرين عدم تصدّيهم لمواجهة هذه الفتن، بأنّ محركها هو العامل السياسي، وأنّ دور الفكر والثقافة ثانويّ هامشيّ، لا يُصغى إليه، ولا يؤثر في مسار معارك الفتنة والانقسام.

فالأنظمة الاستبدادية، والقوى السياسية الانتهازية، هي التي تحرّك أوتار الفتنة الطائفية، منعًا لتوحّد الشعوب ضدّ استبدادها، ولإشغال الناس عن فسادها بهذه

المعارك الزائفة، ولاستغلال المشاعر المذهبية في خدمة المصالح السياسية.

كما أنّ القوى الأجنبية الطامعة قد تصبّ الزيت على نار هذه الفتن، لتعزيز هيمنتها ونفوذها في بلاد المسلمين.

ولا نقاش في محورية العامل السياسي، ودوره الأساس في إثارة الفتن الطائفية، والنزاعات البينية في الأمة، لكن ذلك لا يسقط واجب الإنذار والتبيين والتوعية عن كاهل العلماء والمفكرين.

إنّ التقاعس والتقصير في نشر المفاهيم القرآنية الداعية إلى التعارف والتعاون والوحدة والأخوة، والمحذّرة من التفرق والتنازع والعدوان، هو مصداق للتخلي عن مسؤولية عظيمة تستوجب اللعن من الله ومن أجيال الأمة، التي تدفع ثمن هذا التقاعس والتقصير.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[سورة البقرة:الآية١٥٩].

من ناحية أخرى، فإنّ العامل السياسي لا يتحرك من فراغ، بل يستثمر حالة القطيعة المعرفية بين أتباع المذاهب، ويمارس التعبئة الطائفية والتضليل الإعلامي، ليغذّي الشكوك والاتهامات المتبادلة، وليثير قلق جمهور كلّ طرف تجاه الآخر.

وحين لا يكون هناك جهدٌ مقابل يُعنى بتشجيع التواصل المعرفي، وقراءة الأطراف لبعضها بموضوعية وإنصاف، ويكشف أساليب التضليل والتعبئة الطائفية، ويذكّر جماهير الأمة بمبادئ وقيم دينها الأساس، وبما يتهدد وجودها من أخطار، حين لا يكون ذلك، فإنّ الساحة ستكون خلوًا لنشاط العامل السياسي المضادّ، ليواصل مشروع الفرقة والانقسام والاحتراب.

من هنا يمكن الجزم والتأكيد بأنّ تصدّي العلماء والمفكرين لمواجهة تيارات الفتن، وقيامهم بواجب الدعوة إلى الوحدة والأخوة، ونشرهم لثقافة المحبة والتسامح

وقبول التعددية، واحترام الرأي الآخر.. هذا التصدي سيكون له دور مؤثّر في محاصرة العامل السياسي، والحدّ من فرص تمدده وتوغّله في ساحة جماهير الأمة.

إنه لخطر كبير على مستقبل الإسلام والأمة أن يتسرب اليأس والقنوط إلى قلوب علمائها ومفكّريها، فيشلّ حركتهم، ويقعد بهم عن القيام بواجب الدعوة والنصيحة والإصلاح.

فمهما اشتدت الخطوب، وتعقّدت الأمور، وساءت الأوضاع والأحوال، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ كما يبشرنا الربّ سبحانه وتعالى، وكما ينبئنا تاريخ هذه الأمة، وتجارب الأمم الأخرى.

صحيح أنّ ما تعيشه الأمة من واقع احتراب وتناحر طائفي، هو الأسوأ في تاريخها، وينذر بخطر ماحق.

لكني أعتقد بوجود ضوء في نهاية النفق، وأنّ هناك مؤشّرات تدلّ على أنّ الاشتداد الحاصل في الأزمة الطائفية، قد يدفع بها نحو الحلّ والانفراج، وأنّ المتوقع بدأ العدّ العكسي والتنازلي لهذه الأزمات.

أولًا: لأنّ التطرف والتشدد فيما بين المذاهب قد انتقل إلى داخلها أيضًا، فأصبح السنة والشيعة يعانون من المتشددين والمتطرفين في داخلهم، الذين يريدون فرض رؤيتهم الخاصة وممارسة وصايتهم على جميع المنتمين لمذهبهم، وهذا سينتج وعيًا ورفضًا لمنحى التشدّد والتطرف، ويدفع باتجاه ثقافة التعددية والتسامح.

ثانيًا: اتّساع رقعة الوعي وتنامي روح الانفتاح في ساحة الأمة، مما يشجع التوجه للمراجعة والنقد الذاتي داخل المذهب، لتظهير وإبراز مواقع الاشتراك والاتفاق، والعناصر المحفّزة على التقارب والاتحاد في تراث كلّ مذهب، إلى جانب معالجة نقاط التوتر والاشتباك المذهبي، بإعادتها إلى إطار الاختلاف العلمي، وتنوع الاجتهادات، وأنّ بعض تلك المسائل لا تعدو أن تكون رأيًا محدودًا داخل هذا المذهب أو ذاك، لا يعبّر عن مشهور المذهب والرأي العام في أوساطه علمائه.

ومع أنّ صخب التطرف والتعصب المذهبي لا يزال هو الصوت الأعلى بفعل العامل السياسي، إلّا أن صوت التعقل والاعتدال، واتجاه التسامح والتواصل آخذ في التجذّر والانتشار، في أعماق النخب العلمية والفكرية والأجيال الصاعدة في الأمة.

ثالثاً: تطورات الحياة، ومتغيرات الوضع العالمي والإقليمي، فرضت معادلة توازن بين القوى والأطراف، تستوجب الخروج من وَهْمِ التفكير في إبادة طرف الآخر أو إلغائه وتهميشه.

فنحن نعيش عصر انفجار الهويات، وارتفاع معنويات مختلف الأقوام والطوائف، وتوفر وسائل القوة بين يدي مختلف الأطراف، ووجود فرص التحالفات على المستوى العالمي.

ويعني ذلك أن لا أفق ولا نتيجة لأيّ نزاع طائفي، سوى إهدار الإمكانات والطاقات، وتمزيق الأوطان، وإيقاع المزيد من الخسائر والضحايا. دون أن يتمكن أيّ طرف من تحقيق مكسب أو انتصار حاسم، والمستفيد الوحيد هم أعداء الأمة.

هذه الحقيقة لا تخطؤها الآن أنظار الواعين والمهتمين بمتابعة تطورات الساحة، ويمكنها أن تشكل خلفية جيدة وأرضية مناسبة، لصالح توجهات التعايش والمشاركة والتوافق الوطني، وعلى مستوى الأمة.

رابعاً: انفتاح أبناء الأمة على تجارب الشعوب والأمم الأخـرى، التي تنعم بالاستقرار السياسي والاجتماعي، ويتعايش أبناؤها في إطار المواطنة، مع احترام الخصوصيات الدينية والثقافية لكل جماعة وطائفة.

هذه العوامل وأمثالها تفتح أمامنا آفاق الأمل بإمكانية تجاوز الأمة لهذه الفتن والمحن القائمة، إذا ما تحمّل العلماء والمفكرون والواعون المخلصون، مسؤوليتهم في التصدي لمهمة الإصلاح والإنقاذ، وبادروا لتكثيف الجهود في نشر ثقافة الوحدة والتآخي والوئام.

وبين يدي القارئ الكريم رسالة قيّمة تحمل هذا الهمّ الكبير.

إنها رسالة سلام بين أتباع المذاهب الإسلامية من السنة والشيعة.

سلام ينطلق من الوعي والقراءة الموضوعية للآخر، ويتعزّز بالحوار العلمي الهادئ الذي يفتح كل الملفات الساخنة بشفافية وصدق. ويضع نصب عينيه قيم الإسلام العليا، ومصالح الأمة وتطلعات شعوبها نحو الأمن والاستقرار والتقدم والازدهار.

هذه الرسالة التي تعبّر عن رأي وموقف قطاع واسع من المنتمين لمذهب أهل البيت من الشيعة الأمامية صاغها قلم فقيه أكاديمي هو العلامة الأستاذ الشيخ حيدر حبّ الله، وهو أستاذ الدراسات العليا في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الذي أثرى الساحة الفكرية بعطائه العلمي المميّز، حيث صدرت له مجموعة من المؤلفات العلمية التخصصية في الفقه والحديث وعلوم القرآن، وقضايا الفكر الإسلامي.

إنه أنموذج للفقيه الإسلامي الذي يتخطى حدود الاجتهاد المذهبي، ويتعاطى مع التراث الإسلامي لكلّ المذاهب بإيجابية ناقدة، ويواكب تطورات الفكر الإنساني في مختلف مدراسه وتوجّهاته.

وتمثل هذه الرسالة مستوى متقدّمًا من خطاب الوحدة والتقارب، يتجاوز منطق التبرير والدفاع عن الذات المذهبية إلى موقف الشفافية ونقد الذات، والتواصي بحقّ إنصاف الآخر، والصبر في ميدان محاسبة النفس.

أرجو أن يكون لهذه الرسالة الصادقة ما تستحقه من تجاوب واهتمام في ساحة الواعين من أبناء الأمة من السنة والشيعة.

وأن تبعث أملًا جديدًا في أوساط المهمومين بمستقبل الإسلام والأمة يدفع لتكثيف المساعي والجهود من أجل تحقيق الوئام والسّلام في كلّ الأوطان.

حسن موسى الصفار

٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ

٢٠ فبراير ٢٠١٤م



٧

بيان لرفض العنف وتحذير الشباب من الانجراف وراء التطرف

بسم الله الرحمن الرحيم



والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

لا شكّ أن أعظم مقصد للدين وأهم مطلب للمجتمع هو بسط الأمن والاستقرار في البلاد.

وقد بليت مجتمعات الأمة في هذا العصر بجماعات وتيارات متطرفة تمارس الإرهاب والعنف تحت عناوين دينية وسياسية والدين بريء من الإرهاب والعنف السياسي يدمّر الأوطان.

وما نعرفه من سيرة أئمة أهل البيت ومن توجيهاتهم الهادية أنهم يؤكّدون حفظ وحدة الأمة ورعاية المصلحة العامة، ورفض أيِّ احتراب داخلي؛ حماية للسلم والأمن في مجتمع المسلمين، وذلك هو نهج مراجعنا وفقهائنا الكرام.

لذا نُحذّر أبناءنا وشبابنا الأعزّاء من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف

فهو لا يحلّ مشكلة ولا يحقق مطلبًا، بل يزيد المشاكل تعقيدًا ويحقّق مآرب الأعداء الطامعين.

ونؤكّد أن أيّ استخدام للسلاح والعنف في وجه الدولة أو المجتمع مدانٌ ومرفوض من قبل علماء المذهب وعموم المجتمع ولا يحظى بأيِّ غطاء ديني أو سياسي.

حفظ الله بلادنا ومجتمعنا من الفتن والمكاره ومتّعنا بنعمة الأمن والاستقرار.

الموقّعون

الشيخ عبد الله الخنيزي، السيد علي الناصر، الشيخ عبد الكريم الحبيل، الشيخ حسن الصفار، الشيخ جعفر الربح، الشيخ يوسف المهدي، الشيخ حسين البيات، الشيخ حسين العايش، الشيخ عادل بو خمسين، السيد كامل الحسن.

١ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ



٧

تصريح الشيخ حسن الصفار لصحيفة الاقتصادية *

بسم الله الرحمن الرحيم

إدانة العنف الداخلي وتجريم الإرهاب هو موقف شرعي ثابت طالما أكّده العلماء الواعون وعرضناه في الكثير من الخطب والكتابات المطبوعة.

إنّ الحرص على استتباب الأمن والاستقرار في الوطن مقصد أساس من مقاصد الدين، ووجود السلاح بأيدٍ غير مسؤولة يهدّد أمن المجتمع، ويجعل الناس غير مطمئنين ولا آمنين.

لذا نُحذّر كلّ شبابنا وأبناءنا الأعـزّاء من الوقوع في فخّ الحماس الطائش والانفعالات غير المنضبطة.

إنّ مجتمعنا في المنطقة تسوده الروح الوطنية وثقافة التسامح والانفتاح، ولا نقبل بتسلل توجهات متطرفة إلى هذا المجتمع العريق في تاريخه الوطني والوحدوي.

٨ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ

---

* صحيفة الاقتصادية الصادرة يوم الاثنين ٠٩ جمادى الأول ١٤٣٥ هـ. الموافق ١٠ مارس ٢٠١٤، العدد ٧٤٥٥.



٧

تصريح الشيخ حسن الصفار لجريدة الحياة*

إنّ أسوأ طريق تسلكه أيّ جهة لمعالجة ما تعانيه من مشاكل في بلادها، هو طريق العنف والتطرف؛ لأنه يؤدي إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح، ونشر الرعب والخراب، ويقدّم لأعداء الوطن والأمة أفضل الفرص لخدمة أطماعها.

لذلك على علماء الأمة في كلّ الدول أن يجهروا برأيهم الشرعي في مواجهة الإرهاب والعنف والتطرف، وعلى الحكومات أن تشرع أبواب الخيارات الأخرى أمام مواطنيها لمعالجة المشكلات، لكيلا ينفذ المتطرفون من خلال حالة الإحباط واليأس.

ومن هذا المنطلق أصدر علماء الشيعة في الأحساء والقطيف بيانهم الأخير، الذي سبقته بيانات وخطابات وجهود تصبّ في نفس الاتجاه الرافض للعنف، والداعي إلى معالجة المشكلات بالحوار والوسائل السلمية المشروعة.

إنّ بلادنا كسائر البلدان لا تخلو من وجود نواقص ومشكلات، لكن فقدان الأمن والاستقرار، وإثارة أجواء التشنج الطائفي هو الخطر الأكبر والمشكلة الأسوأ.

٩ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ

الموافق ١٠ مارس ٢٠١٤م

---

* جريدة الحياة الصادرة يوم الثلاثاء، ١١ مارس/ آذار ٢٠١٤م الموافق ٩ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ.



٧
تصريح الشيخ حسن الصفار لصحيفة الشرق الأوسط*

هذا البيان لا يُعبّر عن موقف جديد في وسط علماء الشيعة في المملكة فقد سبق أن أعلنوا انحيازهم للوطن في جميع المنعطفات وتجاه كافة التحدّيات التي استهدفت الوطن.

ومنها البيان الذي أصدره علماء ومشايخ الطائفة في ٢٠ أغسطس (آب) من عام ٢٠١٢.

وقد تحدث عدد من علماء الشيعة السعوديين في خطبهم كثيرًا ضدّ العنف والتطرف والإرهاب في مختلف المناسبات، ولي شخصيًّا عدة محاضرات وكتابات بهذا الاتجاه.

لكن بعض الجهات تسعى لوضع المواطنين الشيعة دائمًا في قفص المطالبة والاتهام.

لقد عانى مجتمعنا في محافظة القطيف منذ سنوات من وجود عصابات إجرامية تقوم بالسرقة والنهب والخطف وطالب رجال المجتمع الدولة بوضع حدٍّ للانفلات

* جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم الاثنين ٠٨ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ الموافق١٠ مارس ٢٠١٤ العدد ١٢٨٨٦.

الأمني وشاركت شخصيًّا في لقاءات مع المسؤولين حول هذا الموضوع قبل خمس سنوات.

ولا يقبل علماء الشيعة أن يستخدم أحد من أبنائهم العنف ضدّ الدولة أو المجتمع تحت عنوان ديني أو سياسي؛ لأنّ العنف والتطرف يسيء لأيِّ قضية يرتبط بها وإن كانت عادلة، ولذلك أصدروا هذا البيان استمرارًا لنهجهم الوطني.

٩ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ

الموافق ١٠ مارس ٢٠١٤م

تصريح الشيخ الصفار لجريدة الشرق

بسم الله الرحمن الرحيم

مهما اختلفت الآراء داخل بيت الوطن فإنّ حفظ الأمن والاستقرار مصلحة وضرورة للجميع، وأيّ استخدام للسلاح خارج أجهزة الدولة ومؤسساتها الأمنية، يُهدّد أمن المجتمع ويسلبه الاطمئنان، ويكون منفذًا لمختلف الشّرور والمفاسد.

وإذا كانت هناك بعض القضايا والمشكلات فمخطئ من يظنّ أن العنف طريق للمعالجة والحلّ، والإنسان المسلم يهمه حفظ دينه والتزام أحكامه، والدين يعظّم حرمة الدماء، ويتشدّد في رعاية أمن الناس وصيانة أعراضهم وممتلكاتهم، وأيّ سفك للدم الحرام فهو جرم وإثم لا يغفر.

لذلك حرص علماء الدين في القطيف والأحساء على تحذير أبناء الوطن من الوقوع في مزالق العنف ومهاوي التطرف، ويأتي هذا البيان الأخير استمرارًا لجهود سابقة من البيانات والخطب، وأحدها نشر في هذه الجريدة (الشرق) بتاريخ ٢٠/ ٨/ ٢٠١٢م، فهذا البيان لا يُعبّر عن موقف جديد، وإنما يهدف إلى التأكيد والتذكير.

٩ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ

الموافق ١٠ مارس ٢٠١٤م



تقديم لكتاب

المرأة والأداء السياسي*

من أهمّ التحدّيات التي واجهتها الأمة الاسلامية في هذا العصر هو تحدّي التوفيق بين الأصالة والانفتاح، ذلك أن التخلف العميق الذي تعيشه الأمة في مختلف مجالات الحياة، يقابله تقدّم باهر أنجزته الحضارة الغربية، هذا التقابل أدّى إلى وجود تيارين في أوساط أبناء الأمة، تيار يتبنى الانفتاح بلا حدود على الحضارة الغربية، دون أيّ تحفّظٍ على ما تحمله من قيم وثقافات، وما تمارسه مجتمعاتها من تقاليد وسلوكيات، وإن كانت مخالفة لقيم الأمة، وعلى حساب هويتها الدينية، وقد يذهب البعض في هذا التيار إلى تحميل القيم الدينية مسؤولية تخلف الأمة، وأنّ التقدم لن يتحقق إلّا بالالتحاق بركب الحضارة المتقدمة قيمًا وثقافة وأخلاقًا.

أما التيّار الآخر فيدعو إلى الانغلاق على الذات، والقطيعة الكاملة مع الغرب، برفض كامل منتجاته دون تصنيف أو تمييز، للحفاظ على الهويّة الدينية للأمة، وحماية قيمها وتراثها من الغزو الأجنبي، الذي يستهدف تدميرها والقضاء عليها.

وقد عانت الأمة كثيرًا، من تداعيات وجود هذين التيارين، حيث قاد التيار الأول مسيرة الانبهار بالآخر، وإضعاف ثقة الأمة بذاتها وتاريخها وتراثها وقيمها الدينية السامية، وبثّ روح الهزيمة والاستسلام في أوساط الأمة، تجاه حضارة زاحفة، تريد الهيمنة على مصائر الشعوب ومقدّراتها.

* الشيخ محمد آل حفاظ الناصري ـ النجف الأشرف.

بينما عزّز التيار الآخر واقع التخلف والانحطاط بالتبرير له دينيًّا، ورفض أيّ تطور وتجديد، وعدم مواكبة مستجدات الحياة، مما ولّد نفورًا من الدين، في مساحة واسعة من أبناء الأمة الطامحين للإصلاح والتغيير، وأعطى الفرصة لتشويه صورة الإسلام، واتّهامه بالرجعية والتخلف.

كما أنّ الصراع بين هذين التيارين كلّف الأمة باهظ الأثمان والخسائر، وأضعف تماسك مجتمعاتها واستقرار أوطانها.

وكانت الأمة بحاجة ماسّة أمام هذا التحدّي الخطير، إلى نهج وسطي متوازن، يجمع بين الأصالة في الانطلاق من قيم الدين، ومبادئه الثابتة، وبين الانفتاح على تطورات العصر ومستجدات الحياة، ويستفيد من تجارب المجتمعات المتقدمة، بدراستها والانتقاء منها.

هذا النهج المطلوب لا يقوم بعملية جمع تبرعي متكلَّفة، على حدّ تعبير علماء الأصول، في معالجة موضوع الجمع بين مدلولات الأدلة المتعارضة.

بل ينطلق هذا النهج الوسطي من فهم موضوعي لقيم الدين ومبادئه، التي أقرّت شرعية الاجتهاد في استنباط مفاهيمه وتشريعاته، بما يستوعب تطورات الزمن والمجتمع، ودعت إلى النظر في سنن الطبيعة والحياة، واعتماد مرجعية العقل، والاستفادة من مختلف الآراء والتجارب والخبرات البشرية.

وبحمد الله تعالى لم تَخْلُ ساحة الأمة من هذا النهج الإصلاحي المنقذ، وإن كان محدود المساحة والتأثير، قياسًا للتيارين الرئيسين، لكن التوقعات تشير إلى تقّدم كبير لهذا النهج في المستقبل القريب، وقد بدأت إرهاصات صعود هذا النهج وتقدّمه في واقع الأمة.

ومن أهمّ هذه الإرهاصات، وجود فقهاء كبار، ومراجع دين بارزين، يتبنون هذا النهج الرائد، ومن هؤلاء الفقهاء العظام المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ

محمد إسحاق الفيّاض دام ظلّه.

وهو فقيه عصامي ولد سنة ١٩٣٠م لعائلة فقيرة تمتهن الفلاحة في إحدى قرى محافظة (غزني) وسط أفغانستان، جنوب العاصمة كابل.

بدأ رحلة العلم والمعرفة في منتصف العقد الأول من عمره، مستفيدًا من الفرصة المتاحة في قريته، حتى منتصف العقد الثاني من عمره، حيث غادر إلى مدينة مشهد في إيران، وانضمّ إلى مدارسها الدينية، مدة وجيزة، ثم عزم على الهجرة إلى النجف الأشرف، حيث وصلها بعد عناء شديد، واستقر فيها، وهو في الثامنة عشرة من عمره، وقطع مراحل الدراسة العلمية الحوزوية بجدٍّ وإتقان، حتى أصبح من أبرز الفقهاء المراجع في النجف الأشرف.

ومن يتابع بحوث الشيخ الفيّاض، ويقرأ كتبه العلمية، ويتأمّل فتاواه الفقهية، يجد فيها العمق العلمي، والأسلوب البليغ، والطرح المستوعب لأطراف كلّ مسألة.

يظهر ذلك جليًّا في تقاريره لبحث أستاذه الإمام الخوئي (محاضرات في أصول الفقه) في عشر مجلدات، وفي كتابه (المباحث الأصولية) الذي يقع في أربعة عشر مجلّدًا. وفي تعاليقه المبسوطة على العروة الوثقى التي طبعت في عشرة أجزاء. ومن كتبه المهمة كتاب (الأراضي) وكتاب (أحكام البنوك).

وما يهمنا التأكيد عليه في هذا المجال، أنّ فقه الشيخ الفيّاض يمثل أنموذجًا رائعًا للتوفيق بين الأصالة والانفتاح، فالممارسة الفقهية لدى الشيخ الفيّاض محكومة بالضوابط المقررة، وفي إطارها العلمي الدقيق، وبأدوات الصناعة المتداولة في البحث الأصولي والفقهي، لكنها ممارسة اجتهادية بامتياز، حيث يبذل الشيخ الفيّاض قصارى جهده للتعامل مع الأدلة، بانفتاح كامل، دون رهبة أو تقيّد بفهم السابقين، والى جانب تفحّص الدليل، يجتهد الشيخ الفيّاض في مقاربة موضوع البحث، للوصول إلى التشخيص الواقعي للموضوعات في واقعها المعاصر، وصورتها الحاضرة؛ لأنّ

المستجدات والمتغيرات في الموضوع تؤثر في تحديد الموقف منه، وتطبيق العنوان عليه.

وتأتي رؤية الشيخ الفيّاض، لموقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي، أنموذجًا مشرقًا لممارسته الاجتهادية المتميزة، حيث أجاب سماحته عن خمسة وعشرين سؤالًا تفصيليًّا حول الموضوع، بفتاوى فاجأت مختلف الأوساط، بما عكسته من انفتاح عصري على قضية شائكة، حيث تبالغ الأوساط الدينية التقليدية في التحفظ على دور المرأة السياسي والاجتماعي.

وتمثل هذه القضية مشهدًا بارزًا للاشتباك بين تياري الانغلاق والانفتاح في الأمة، حيث يصرّ التيار الأول على حصر دور المرأة في وظيفته الزوجية والأمومة بين جدران منزلها، وتحت الهيمنة المطلقة لزوجها، دون الاعتراف بأيِّ حقٍّ أو دور لها في شؤون الولايات العامة وإدارة المجتمع، ويتمسك هذا التيار بفهم معيَّن لبعض النصوص الدينية، متأثرًا بالعرف السائد، والتقاليد المتوارثة.

بينما يتجاوز التيار الآخر كل القيود والحدود الدينية، لمحاكاة التجربة الغربية، في المساواة التامة بين الرجل والمرأة، مع ما تحمله تلك التجربة من مساوئ ومفاسد، وخاصة على الصعيد الأخلاقي وتماسك الكيان الأسري.

وعاشت الأمة في هذه القضية بين إفراط التيار المحافظ، وتفريط تيار الانفتاح، وكانت أنظار الغيارى والواعين من أبناء الأمة، تتطلع إلى رؤية شرعية عصرية، تنطلق من فهم أصيل لتعاليم الدين، ومعرفة موضوعية بمستجدات العصر، وتطورات الحياة الاجتماعية.

فلم يَعُدْ مقبولًا في عصر تتفاخر فيه المجتمعات بمشاركة كل أفرادها في إدارة شؤون حياتهم العامة، ويكون فيه الشعب مصدرًا لكلّ السلطات، أن يُحرم نصف الشعب متمثلًا في المرأة من أيّ مشاركة سياسية واجتماعية.

وقد تأخّرت الاستجابة لهذا التحدّي من قبل فقهاء الاسلام طويلًا، ولا زال بعضهم متحفّظًا تجاه هذه القضية، ومتمسكًا بالآراء التقليدية، لكن عددًا من الفقهاء المعاصرين خاضوا غمار البحث في الأدلة الشرعية، بروح اجتهادية منفتحة، أوصلتهم إلى تقديم رؤية شرعية، تفسح المجال لمشاركة المرأة في الشأن العام السياسي والاجتماعي، لتقوم بدورها إلى جانب شقيقها الرجل في إدارة الحياة، ومسار التنمية، وحركة المعرفة والعلم.

ولا شكّ أن صدور هذه الرؤية، بما تضمنته من فتاوى تفصيلية، من قبل فقيه في مقام آية العظمى الشيخ الفيّاض، يشكّل انتصارًا كبيرًا لخطّ الأصالة والانفتاح، ويمثل دعمًا قويًّا لحقوق المرأة، ولمشاركتها الفاعلة في بناء الأوطان والمجتمعات.

فالشيخ الفيّاض ليس مجرّد باحث أو مفكّر أو صاحب فضيلة علمية، بل هو مرجع ديني بارز في الساحة الدينية، وأستاذ ضليع في الفقه والأصول، يحتشد في مجلس درسه مئات الفضلاء، ويمتلك أعلى مقومات المرجعية والفقاهة والإفتاء، كما يحظى بثقة وتقدير مختلف الأوساط العلمية والدينية.

وقد بذل أخونا الكريم الفاضل سماحة الشيخ محمد آل حفاظ الناصري جهده في هذه الصفحات التي بين يدي القارئ العزيز لتسليط الأضواء على هذه الآراء والفتاوى لهذا المرجع الكبير حول موقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي.

أرجو له من الله التوفيق، وأن ينفع بكتابه الراغبين في العلم والمعرفة، وفي إصلاح المجتمع وتقدّمه.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٤ رجب ١٤٣٥هـ

الموافق ٣ مايو ٢٠١٤م



كلمة لمهرجان الطرف للزواج الجماعي

لكي تنجح مؤسساتنا الأهلية والاجتماعية في القيام بدورها المطلوب، لا بُدّ من رفدها بالطاقات والكفاءات البشرية، التي تمتلك قدرة التخطيط والإدارة، وروحية البذل والعطاء، كما تحتاج هذه المؤسسات إلى توفير الموارد المالية الكافية، التي تمكنها من تنفيذ البرامج وإقامة المشاريع.

ومهرجان الطرف للزواج الجماعي من المؤسسات الاجتماعية الرائدة في المنطقة، تشهد له عشرون عامًا من النشاط والخدمة الفاعلة، على صعيد تكوين الأسرة الصالحة، وتيسير شؤون الزواج لأبناء المجتمع.

ومن أجل أن يستمر هذا المشروع في مسار تطور أدائه، يجب أن تتوفر له موارد دخل مالي، تمكنه من القيام بوظائفه ومهامه الكبيرة، لذا نهيب بذوي الخير في المجتمع، أن يمدّوا له يد البذل والعطاء، لإنجاز مشروع استثماري يؤمّن قسطًا من ميزانية عمل هذا الصرح الخيري الاجتماعي الرائد.

إنّ تأسيس المشاريع الاستثمارية لدعم المؤسسات الخيرية، أصبح أمرًا ضروريًّا

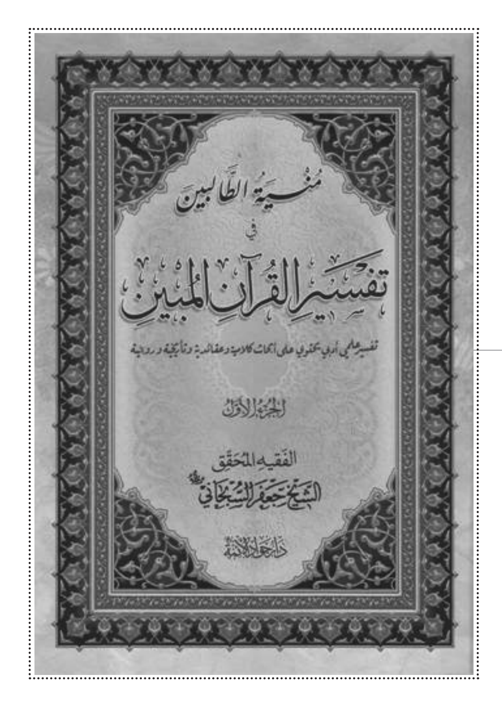
تدرك أهميته وتقوم به كلّ المجتمعات المتحضرة. وهذا ما نأمله من مجتمعنا الكريم وفّق الله الجميع للخير، واغتنام فرص الإنفاق، ابتغاءً لوجه الله تعالى وطلبًا لمرضاته.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

الاثنين ٥ رجب ١٤٣٥هـ

الموافق ٥ مايو ٢٠١٤م



٧

منية الطالبين في تفسير القرآن المبين عصارة خبرة علمية وثمرة مسيرة حافلة*

حين تتواصل مسيرة الإنسان العلمية، وتتراكم تجربته وخبرته المعرفية، يصبح رأيه أكثر نضجًا، وفهمه أعمق إدراكًا، ويكون إنتاجه العلمي حينئذٍ عصارة لخبرته، وخلاصة لتجربته.

من هنا تلقّفت بلهفة وشوق، الأجزاء الأربعة التي صدرت من تفسير القرآن الكريم لسماحة الفقيه المحقق المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني «دام ظلّه»، تحت عنوان: «منية الطالبين في تفسير القرآن المبين».

فالفقيه السبحاني ولد ونشأ في أحضان العلم والمعرفة، ولم يصرف شيئًا من وقته واهتمامه، طوال حياته الشريفة، التي تربو على ثمانية عقود من الزمن ـ أطال الله عمره ـ خارج إطار الدرس والتدريس، والبحث والتحقيق، وما يتعلق بذلك من وظائف ومهام، متّصفًا بالجدّية والنشاط، والتنظيم الدقيق لوقته، حتى لا يضيع شيء منه فيما لا يخدم هدفه ومبتغاه، كما يعرف ذلك عنه كلّ من عايشه أو اقترب منه.

* مجلة المصباح (تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية تصدر عن الأمانة لعامة للعتبة الحسينية المقدسة ـ كربلاء ـ العراق). العدد العشرون ـ السنة الخامسة ـ شتاء (٢٠١٥م ـ ١٤٣٦هـ)، ص٤٣٣.

وقد تنوعت حقول اهتماماته العلمية، فلم يصرفه تركيزه على الفقه والأصول، كما تقتضي الأجواء الحوزوية، عن الاهتمام بالمعارف الأخرى، دون أن يؤثر ذلك على تضلّعه في الفقه والأصول، حتى أصبح درسه فيهما من أبرز دروس البحث الخارج في الحوزة العلمية في قم المقدسة. كما تشهد مؤلفاته وتقارير بحثه المطبوعة، برسوخ قدمه، وعلوّ كعبه، في علمي الفقه والأصول.

لكنه إلى جانب ذلك درس الفلسفة، وقرّر أهمّ آراء أستاذه الفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، في كتابه المطبوع «أصول الفلسفة»، دون أن يمنعه التحفّظ السائد آنذاك على دراسة الفلسفة في الحوزة العلمية.

وأولى المحقق السبحاني اهتمامًا كبيرًا بعلم الكلام والأبحاث العقدية، في وقت تشكو فيه الساحة الإسلامية من فراغ خطير على هذا الصعيد، حيث ينصبّ اهتمام معظم الفقهاء والمجتهدين على الفقه الأصغر، المتمثل في مسائل العبادات والمعاملات، ولا يولون الفقه الأكبر الذي يعنى بقضايا العقيدة وأصول الدين، ما يستحق من العناية والاهتمام، مع كلّ ما يعصف بالفكر الديني من تحدّيات خطيرة، بسبب التيارات المادية العاصفة، والاختلافات المذهبية المتأججة.

كان الفقيه السبحاني في طليعة من استجاب لهذا التحدّي الفكري الخطير، فقد تصدّى بمؤازرة جمع من الفضلاء، لتأسيس مجلة «دروس من مكتب الإسلام» سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، وهي مجلة شهرية منتظمة تعنى بشؤون الفكر والثقافة الإسلامية، وتجيب عن مختلف التساؤلات التي تدور في أوساط الشباب والمثقفين، صدر منها لحدّ الآن (٥٧٩) عددًا.

وقد صدرت لسماحة الشيخ السبحاني مجموعة قيمة من المؤلفات والأبحاث الكلامية العقدية، أصبحت مرجعًا للباحثين، ومنهجًا دراسيًّا في الأوساط العلمية، ومن أبرزها «محاضرات في الإلهيات» في أربعة أجزاء. و «بحوث في الملل والنحل»

في ثمانية أجزاء. و «رسائل ومقالات» في ستة أجزاء. و«الاعتصام بالكتاب والسنة»، و «الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف» في ثلاثة أجزاء.

حتى لا تكاد تجد مسألة عقدية لم يفرد لها الشيخ السبحاني كتابًا أو بحثًا مستوعبًا.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أنشأ «مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام» التعليمية التحقيقية، للبحوث والدراسات الكلامية، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ وتقوم هذه المؤسسة الفريدة من نوعها في الحوزة العلمية، بإعداد الكوادر والكفاءات المتخصصة في علم الكلام، من أوساط طلاب العلوم الدينية، حيث تستقبل كلّ عام حوالي ٢٠٠ طالب، لتُسند إليهم بعد تخرّجهم مهمة التدريس في الحوزة العلمية والجامعات، ومهام التبليغ الديني.

كما تقوم المؤسسة بإحياء التراث الإسلامي عبر تحقيق ونشر مهمّات الكتب العلمية الدينية، وإصدار الكتب التي تعالج مختلف القضايا والتحدّيات الفكرية، كما تُعِدُّ الإجابات العلمية عن مختلف التساؤلات والاستفسارات، التي تصل من شتّى البقاع، حول مسائل العقيدة والفكر والتشريع الإسلامي.

وكان التطور الأبرز في نشاط الشيخ السبحاني في مجال علم الكلام، تأسيس «معهد الكلام الإسلامي» سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م وإصدار مجلة «الكلام الإسلامي» سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

وفي ميدان التاريخ ومعرفة أعلام رجال الحديث والفكر والفقه، لسماحة الشيخ السبحاني صولات وجولات، فله دراسة علمية معمّقة للسيرة النبوية الشريفة، تعتبر من أفضل المصادر والمراجع المعاصرة، وقد طبعت في مجلّدين كبيرين تحت عنوان «سيرة سيّد المرسلين» وله أبحاث وكتابات عديدة، عن سير وحياة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد أشرف على إصدار عدد من موسوعات التراجم، ضمن مؤسسته العلمية، منها: «الموسوعة الرجالية الميسّرة»، و«موسوعة طبقات الفقهاء» في ١٦ جزءًا،

و«معجم طبقات المتكلمين» في خمسة أجزاء.

وللشيخ السبحاني أبحاث ودراسات في علم الحديث والدراية والرواية، بعضها أصبح مقرّرًا دراسيًّا في الحوزات العلمية.

ولم تشغله هذه الاهتمامات العلمية الجادّة عن تذوّق الشعر والأدب، باللغتين العربية والفارسية، فهو يطرب للشعر البديع، والنثر الرشيق، وفي ذاكرته مخزون ثريٌّ من الشواهد والمقاطع المختارة من روائع إنتاج كبار الأدباء والشعراء، وقد قرأ لروّاد الأدب العربي المعاصر كطه حسين وعباس محمود العقاد وجبران خليل جبران وجورج جرداق، وقد انعكس ذوقه الأدبي على كتابته ومحادثاته، فغالبًا ما يستقبل زائريه الأثيرين عنده، أو يبدأ مكالمته الهاتفية معهم، بأبيات من الشعر للترحيب والثناء، وإبداء الشوق والعتاب.

ولم يكن العلامة الكبير الشيخ محمد تقي التستري مبالغًا، حينما خاطب الشيخ السبحاني في تقريضه لأحد كتبه قائلًا: «والعجب أنكم رغم نشأتكم في إيران أخذتم بناصية اللغة العربية كأديب مصري أو بغدادي، فأتيتم بتعابير عصرية رائجة».

ورغم أنّ العلامة السبحاني لم يخض غمار العمل السياسي المباشر، إلّا أنّه لم يكن بعيدًا عن تطلّعات شعبه في ثورته ضدّ النظام الشاهنشاهي البائد، بل هو من طبقة فضلاء الحوزة الداعمين لخط الثورة، ومن أبرز تلامذة قائد الثورة الإمام الخميني الراحل، حيث حضر درسه الأصولي سبع سنوات، وقرّر أبحاثه الأصولية التي طبعت تحت عنوان «تهذيب الأصول» في ثلاثة أجزاء، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية شارك سماحته في انتخابات «مجلس الخبراء لتدوين الدستور» ممثلًا لأهالي محافظة أذربيجان الشرقية، وقد أحرز المرتبة الأولى في محافظته، والثانية على مستوى إيران، بعد آية الله الطالقاني، وكانت مشاركته في الانتخابات نابعة من إحساسه بالمسؤولية، وانطلاقًا من وعيه السياسي، واستجابة

لأمر الإمام الخميني له شخصيًّا بأداء وظيفته الشرعية، وتشهد محاضر تدوين القانون الأساسي بمشاركته الفاعلة، ودوره المؤثر في توجهات النقاش ضمن جلسات مجلس الخبراء، كما ظهر ذلك من إشادة رئيس المجلس السيد البهشتي.

ويكشف كتابه القيّم «معالم الحكومة الإسلامية» عن اهتمامه بالفكر والمسألة السياسية على مستوى التأصيل والتنظير.

هذه الجولة الخاطفة في آفاق المسيرة العلمية، والخبرة المعرفية، لسماحة آية الله السبحاني، أردت منها الكشف والتدليل على مبعث الأمل، ودافع التطلع، إلى المشروع الجديد، الذي يتوّج به الشيخ السبحاني مسيرته العلمية الرائدة، وحركته المعرفية المتواصلة، في خدمة الدين والعلم، هذا المشروع الجديد هو «منية الطالبين في تفسير القرآن المبين».

وعلاقة الشيخ السبحاني بهذا الحقل العلمي «تفسير القرآن»، ليست جديدة ولا طارئة، بل هي امتداد لصلة عميقة، لم تنقطع يومًا في حياته العلمية الدينية، بالتتلمذ على القرآن، واستنباط معارفه وأحكامه، ونشر مبادئه وقيمه السّامية.

وكما كتب سماحته «دام ظلّه» في مقدمة تفسيره للجزء ٢٨ من القرآن الكريم ما نصّه: «ثم من فضل الله ومنته على عبده الفقير هو أني عشت مع القرآن الكريم قراءة وتفسيرًا، مدة مديدة من عمري، منذ شبابي إلى هرمي، وقد ألّفت في تفسير القرآن موسوعتين باللغة العربية والفارسية، كما فسّرت عددًا كبيرًا من سور القرآن الكريم، وأمّا الآن فإنّي عازم ـ بما يسنح به العمر ـ على تفسير أجزاء القرآن الكريم».

لقد كان الشيخ السبحاني رائدًا في تقديم أنموذج علميّ للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حيث أصدر عدة مجلدات من هذا التفسير تحت عنوان «مفاهيم القرآن» تناولت عددًا من المواضيع والقضايا العقدية الأساسية في القرآن الكريم كالتوحيد والصفات الإلهية والنبوة والإمامة والمعاد والحكومة الإسلامية وغيرها.

وقد أشاد عدد من كبار العلماء والمفكرين بهذه التجربة الرائدة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وممن أشاد بها الفقيه المفكّر السيد محمد باقر الصدر، والعلامة الفقيه الشيخ محمد جواد مغنية، والعلامة المحقق السيد مرتضى العسكري، والعلامة الفيلسوف الشيخ حسن الآملي، والمرجع الديني الشيخ مرتضى آل ياسين، والمرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وآخرون من المراجع والعلماء والمفكّرين.

وتشتمل قائمة مؤلفات الشيخ السبحاني التي تنوف على (٢٥٠) كتابًا على عشرات الكتب العلمية حول القرآن الكريم ومعالجة موضوعاته.

وحين توظف هذه الخبرة العميقة، وتتوج هذه المسيرة الحافلة، بالعزم على كتابة تفسير كامل للقرآن الكريم، ألا يحقّ لنا أن نعقد الآمال والتطلعات على هذه العزيمة المباركة؟

إنّ الأجزاء الأربعة التي رشحت من قلم شيخنا السبحاني «دام ظلّه» من هذا التفسير الرائع، تؤكد صوابية هذه الآمال، وتبشّر بتحقق هذه التطلعات، وأنّ الساحة الفكرية الإسلامية تستقبل الآن مشروعًا قرآنيًّا واعدًا، يوفر فرصة رائعة لأبناء هذا الجيل من الأمة، في التعرف على معاني آيات القرآن الكريم، واستشفاف مضامينها، بما يواكب تطورات الحياة المعاصرة، ويستجيب للتحديات الفكرية القائمة، بلغة واضحة، وأسلوب جذّاب، بعيدًا عن الإسهاب الممل، والاختصار المخلّ.

وسيجد من يطّلع على الأجزاء الصادرة من هذا التفسير المميّز، كيف يوظّف الشيخ السبحاني خبرته وتجربته العلمية في مختلف حقول المعرفة، للغوص في أعماق معاني الآيات الكريمة، من أجل تقديم لآلئ مضامينها ناصعة مشرقة بين يدي القارئ الكريم.

فحينما تستبطن الآية معنى عقديًّا، يبرزه ويجلّيه بدقة ووضوح.



وحين تشير الآية إلى حدث تاريخي، يسلط عليه الأضواء بما يخدم هدف الآية من أخذ العبرة والدروس.

وإذا تضمنت الآية حكمًا تشريعيًّا، ناقش اختلاف المذاهب والفقهاء في تشخيص ذلك الحكم.

وعندما تعالج الآية بعدًا تربويًّا أخلاقيًّا، يتناول مقاصدها في تزكية النفس وتقويم السلوك.

وهكذا يجد القارئ الكريم نفسه أمام بحوث علمية مركّزة، وطرح معرفي مكثّف، بلغة عصرية واضحة مشرقة.

جزى الله شيخنا السبحاني خير الجزاء، وأطال عمره، ومتعه بالصحة والعافية، ليكمل هذا المشروع العظيم، ويواصل عطاءه في خدمة العلم والدين. والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

القطيف ١٠ شوال ١٤٣٥هـ



٧

تصريح الشيخ حسن الصفار حول مواجهة الإرهاب*

لقد فضح الإرهاب نفسه، وسقطت كلّ الأقنعة الدينية والمذهبية التي تدثّر بها، وبان للجميع أنه يخدم أجندة سياسية لأعداء الدين والأمة. فممارساته شوهت سمعة الإسلام وأظهرته للعالم بأفظع وأبشع الصور من خلال مشاهد الذبح وسفك الدماء وسبي النساء وإثارة الرعب بين الأبرياء. كما حقق هذا الإرهاب مخططات نشر الفوضى والاضطراب في بلاد المسلمين عبر التخريب وتدمير المنجزات التنموية.

وأشاع حالة الاقتتال والاحتراب بين أبناء الأمة التي ستعاني من ويلاتها وتبعاتها طويلًا.

إنّ تنامي قوة التنظيمات الإرهابية وفرضها لوجودها في أكثر من بقعة ومكان، وحيازتها لإمكانات ضخمة، واستمرار قدرتها على الاستقطاب وتغرير المزيد من أبناء الأمة وشبابها، يشكّل أكبر تحدٍّ وأعظم خطر يواجه الدين والأمة في هذا العصر.

ولا يمكن مواجهة هذا الخطر الداهم إلّا بإعلان حالة طوارئ قصوى على مختلف الصُّعد وكافة الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية. وبتضافر جهود الحكومات

* جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الأربعاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٥هـ الموافق١٠ سبتمبر ٢٠١٤م ، العدد ١٦٨٧٩.

والقيادات الدينية على تنوع مذاهبها ورجال المعرفة والفكر؛ لأنّ الإرهاب خطر على وجود الأمة وتهديد لمستقبل الأوطان والسلم العالمي.

من هنا تأتي أهمية نداء خادم الحرمين الشريفين للأمة ولكلّ العالم للوقوف أمام هذا الخطر الزاحف. ولا بُدّ من ترجمة هذا النداء بخطط وبرامج فورية عملية من قبل الحكومات والمؤسسات الدولية والفعاليات الاجتماعية، وأن يتحمل الجميع مسؤولياتهم، ويتجاوزوا كلّ خلافاتهم لمواجهة هذا الخطر الذي يتهدد الجميع.

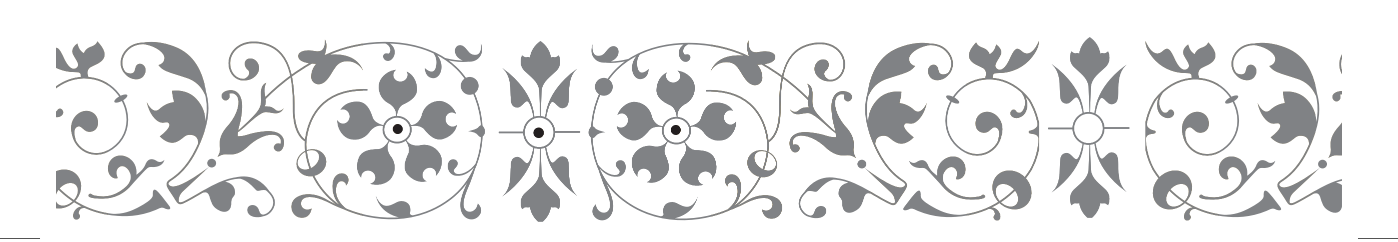
حسن موسى الصفار

٦ ذو القعدة ١٤٣٥هـ

١ سبتمبر ٢٠١٤م



متابعات







الشيخ الصفار يدعو إلى مبادرة «جديّة» تعزز الوحدة الوطنية*

قال الشيخ الصفار إنّ الأمة تعاني من احتقان سياسي خلقته الأنظمة الاستبدادية على مدى عقود معتبرًا «الطائفية» إحدى مظاهر هذا الاحتقان السياسي.

وشدّد القول «من الخطأ الاعتقاد بأن عمليات القتل والتفجير والإرهاب، هي فقط بسبب العوامل الطائفية» مستدلًا بالصراعات القائمة في الصومال وليبيا وأفغانستان وقبلها الجزائر.

وخلال اللقاء الذي استمر نحو ساعة ونصف الساعة على قناة الكوت الكويتية مساء يوم السبت ٢٧ محرم١٤٣٥هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠١٣م اتّهم الشيخ الصفار الأنظمة السياسية باستخدام التيارات التكفيرية الإرهابية في صراعاتها مع بعضها.

وأضاف سماحته «إذا لم تتجاوز الأمة حالة الاستبداد السياسي وتحقق الشعوب توافقًا وطنيًّا.. فإننا سنبقى نعيش هذه الحالة».

وانتقد الشيخ الصفار ما وصفه بتيار البذاءة والإساءة في الوسط الشيعي، متهمًا هذا التيار بأنه أعطى تبريرًا ومنفذًا لتيار التكفير والعنف والإرهاب، بدلاً من أن تتوجه كل الأمة لإدانتة ومحاربته.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠١٣م.

وتابع بأن تيار البذاءة والإساءة يخالف ويتنافى مع منهج وتعاليم أهل البيت عليهم السلام وتوصيات المرجعيات الدينية العليا.

واستطرد سماحته بالقول «لا يصح لنا أن نسكت عن ممارسات تخالف تعاليم أئمة أهل البيت وتخالف أوامر ومواقف المرجعية الشيعية، لكي لا تحسب على كل الشيعة والمذهب والطائفة».

ورفض تبرير تصرفات أتباع هذا التيار بأنها تأتي رد فعل على جرائم الإرهاب. وقال «حتى لو كانت عبارة عن ردة فعل، فهي ردة فعل خاطئة لا يقبلها المنهج الإسلامي وليس هذا ما ربّى عليه الأئمة شيعتهم».

ورأى الشيخ الصفار أن الحوار والتقارب بين مختلف الطوائف الإسلامية هو مكسب للوطن وللوحدة الإسلامية، رافضًا القول بإخفاق مشاريع التقريب على مستوى العالم الإسلامي.

وأضاف القول: إن الحوار والتقارب بين مختلف الطوائف الإسلامية «هو ليس مشروعي بل مشروع المصلحين في الأمة على مدى عقود مضت».

ومضى يقول: إن مشاريع التقريب على مستوى العالم الإسلامي لم تخفق ولكنها تتعرض لنكسات، ولا بدّ لها من الاستمرار رغم العواصف التي تتعرض لها.

واعتبر سماحته اللقاءات الأهلية والزيارات المتبادلة بين الشيعة والسنة على مستوى النخب والعلماء والمثقفين في المملكة «هي مكسب للوطن، وللوحدة الإسلامية أيضًا».

ودعا سماحة الشيخ حسن الصفار الجهات المعنية إلى إطلاق مبادرة «جدّية» تعزز الوحدة الوطنية في المملكة وتقطع الطريق على إمكانية استغلال الأطراف الخارجية لأيّ مكوّن وطني.

وقال سماحته في اللقاء الذي قدمه الإعلامي عمار تقي «إن الفكر العام لدى

الشيعة وعلمائهم في جميع العصور والأوطان ليس مع الانفصال والتقسيم».

ومضى يقول: «كل ما يطمح إليه المواطن الشيعي السعودي هو أن يعيش في وطنه بشكل متساوٍ مع بقية المواطنين».

وأبدى الشيخ الصفار رفضه القاطع للاتهامات بارتباط أحداث القطيف بأطراف خارجية، قائلًا بأن تلك الاتهامات تأتي «ضمن التهريج والتحريض الطائفي».

وكانت القطيف شهدت منذ العام ٢٠١١ احتجاجات متكررة تطالب بإطلاق السجناء السياسيين.

وأضاف سماحته «الأصل في هذا الحراك هو أنه ذاتي نابع من الداخل، فهناك مشكلة يجب أن تعالج بدلاً من إلقاء اللوم على الخارج».

وعلل بأن هذه الأحداث أظهرت مخزوناً من الغضب والسخط لدى جمع من هؤلاء الناس، وأن الأمد قد طال عليهم وهم ينتظرون المعالجة والحلول على حدّ تعبيره.

وكرر الشيخ الصفار دعوته السلطات السياسية إلى إطلاق مبادرة «أكثر جدية لمعالجة الأسباب من جذورها حتى لا تكرر مثل هذه الحالات والأحداث».

ورأى بأن أحداث القطيف ينبغي أن تعطي «دافعاً أكبر وأكثر جدية» للتواصل بين السلطة ورجالات المجتمع الشيعي.





الشيخ الصفار: الشيعة ضد تقسيم الأوطان*

نداء آل سيف

نفى الشيخ حسن الصفار وجود أيّ رغبات للشيعة في المملكة العربية السعودية للانفصال وخلق دولة مستقلة، وقال: «إن الفكر العام لدى الشيعة وعلمائهم في جميع العصور والأوطان ليس مع الانفصال والتقسيم».

وخلال اللقاء الذي استمر نحو ساعة ونصف الساعة على قناة الكوت الكويتية مساء يوم السبت ٢٧ محرم١٤٣٥هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠١٣م شدّد الشيخ الصفار على أن المجتمع الشيعي يتطلع إلى المواطنة دون التمييز الطائفي رغم تشجيع بعض الدوائر الأجنبية للانقسامات وإشاعة الفتن.

وفي اللقاء الذي اتّسم بالصراحة في مناقشة الكثير من القضايا الساخنة أكد الشيخ الصفار أن معظم النخب الشيعية تحمل توجّهاً للانفتاح والوحدة الوطنية، مشيرًا إلى أنه أحد الأشخاص الذين بذلوا جهودًا في هذا الصعيد الذي يشاركه فيه الكثيرون.

وشجع الشيخ الصفار على التواصل والانفتاح على الآخر ولو كان من المتشددين أو المسيئين للمذهب الشيعي من أجل إيضاح الفكرة له وتغيير لغته، واصفاً الانفتاح بأنه «مكسب عام للوطن وللطائفة بشكل خاص». وطالب الصفار بالجدية والاستمرار

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠١٣م.

في الحوار والتواصل والتقريب وعدم استعجال النتائج.

من جهة أخرى، فنّد الشخ الصفار الآراء القائلة بأن «مشاريع التقارب قد أخفقت، فرغم كل العراقيل استطعنا كسر الحواجز والاقتراب من الآخر والحديث بشفافية ملموسة».

ونفى أن يكون الإصرار والإلحاح في التقارب «عيبًا» أو شيئًا سلبياً، مؤكدًا على إيجابيته، فهو مبدأ ديني ويحمل مصلحة وطنية واجتماعية، وأنّ مسار التقارب هو مسار استراتيجي لا يمكن التراجع عنه تحت ضغوط التشكيك والاتهامات من الآخرين.

وعن وجود الآراء المناقضة لهذا التقارب أكد الصفار أن هذا يرجع إلى التنوع والتعدد في التوجهات، منبهاً إلى أن هذا الأمر الطبيعي والمقبول نلمسه في كل المجتمعات.

وأشار الشيخ الصفار إلى وجود البعض ممن لا يجدون جدوى من التعاطي مع السلطة، مستدركاً أن الأغلبية يؤيدون ويتبنون فكرة التعاطي ويعتبرونه تواصلًا وحلًّا لقضياهم.

وأبدى الشيخ الصفار رفضه القاطع للاتهامات بارتباط أحداث القطيف بأطراف خارجية، قائلًا بأن تلك الاتهامات تأتي «ضمن التهريج والتحريض الطائفي».

وكانت القطيف شهدت منذ العام ٢٠١١ احتجاجات متكررة تطالب بإطلاق السجناء السياسيين.

وأضاف سماحته «الأصل في هذا الحراك هو أنه ذاتي نابع من الداخل، فهناك مشكلة يجب أن تعالج بدلاً من إلقاء اللوم على الخارج».

وعلل بأن هذه الأحداث أظهرت مخزوناً من الغضب والسخط لدى جمع من هؤلاء الناس، وأنّ الأمد قد طال عليهم وهم ينتظرون المعالجة والحلول على حدّ تعبيره.

وكرر الشيخ الصفار دعوته السلطات السياسية إلى إطلاق مبادرة «أكثر جدية

لمعالجة الأسباب من جذورها حتى لا تكرر مثل هذه الحالات والأحداث».

ورأى بأن أحداث القطيف ينبغي أن تعطي «دافعاً أكبر وأكثر جدية» للتواصل بين السلطة ورجالات المجتمع الشيعي.

وانتقد الشيخ الصفار ما وصفه بتيار البذاءة والإساءة في الوسط الشيعي، متهمًا هذا التيار بأنه أعطى تبريرًا ومنفذًا لتيار التكفير والعنف والإرهاب، بدلاً من أن تتوجه كل الأمة لإدانته ومحاربته.

وتابع بأن تيار البذاءة والإساءة يخالف ويتنافى مع منهج وتعاليم أهل البيت وتوصيات المرجعيات الدينية العليا.

واستطرد سماحته بالقول: «لا يصح لنا أن نسكت عن ممارسات تخالف تعاليم أئمة أهل البيت وتخالف أوامر ومواقف المرجعية الشيعية، لكي لا تحسب على كل الشيعة والمذهب والطائفة».

ورفض تبرير تصرفات أتباع هذا التيار بأنها تأتي ردّ فعل على جرائم الإرهاب. وقال: «حتى لو كانت عبارة عن ردة فعل، فهي ردة فعل خاطئة لا يقبلها المنهج الإسلامي وليس هذا ما ربّى عليه الأئمة شيعتهم».

ورأى الشيخ الصفار أنّ الحوار والتقارب بين مختلف الطوائف الإسلامية هو مكسب للوطن وللوحدة الإسلامية، رافضًا القول بإخفاق مشاريع التقريب على مستوى العالم الإسلامي.

وأضاف القول إن الحوار والتقارب بين مختلف الطوائف الإسلامية «هو ليس مشروعي بل مشروع المصلحين في الأمة على مدى عقود مضت».

ومضى يقول: إن مشاريع التقريب على مستوى العالم الإسلامي لم تخفق ولكنها تتعرض لنكسات، ولا بدّ لها من الاستمرار رغم العواصف التي تتعرض لها.

واعتبر سماحته اللقاءات الأهلية والزيارات المتبادلة بين الشيعة والسنة على

مستوى النخب والعلماء والمثقفين في المملكة «هي مكسب للوطن، وللوحدة الإسلامية أيضًا».

ودعا الشيخ حسن الصفار الجهات المعنية إلى إطلاق مبادرة «جدّية» تعزز الوحدة الوطنية في المملكة وتقطع الطريق على إمكانية استغلال الأطراف الخارجية لأيّ مكوّن وطني.

الشيخ الصفار: لا توجد عوائق دينية تمنع الفتاة من الإبداع*

نداء آل سيف

أكّد الشيخ حسن الصفار عدم وجود عوائق دينية من شأنها منع الفتاة من تفجير طاقاتها وأن تكون سفيرة لإبداعاتها، مشدّدًا على إمكانية وقدرة المرأة على النهوض بقدراتها للوصول لأعلى المراتب.

وطالب الشيخ الصفار فتيات نادي «خطوات واعدة» خلال زيارتهن لمكتبه يوم السبت ٢٩ / ١١ / ٢٠١٣م بعدم الخنوع وألّا تكون الفتاة هي العنصر الأضعف في المجتمع، واصفاً المجتمع بـ «الذكوري» الذي يتيح الفرصة للذكر دون الأنثى.

وأوضح للفتيات اللواتي بلغ عددهن ٣٩ فتاة بعضًا من القيود التي تواجه الفتاة من الانطلاق للعمل التطوعي.

وأشار إلى أن أبرزها أن الدولة لم تقر قانوناً رسمياً لمنظمات المجتمع المدني، وهذا يؤثر على المؤسسات التطوعية من ناحية الإعلان ومجال الدعاية والدعم لممارسة الأنشطة.

ولفت الشيخ الصفار في اللقاء الذي كان بعنوان «أثيروا دفائن العقول» إلى ندرة المؤسسات في المجتمع منوهًا إلى أن البنية التحتية الأساسية لا تتوفر

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠١٣م.

بالمستوى المطلوب.

وانتقد الثقافة السائدة في المجتمع التي هي أحد القيود للفتاة فهي لا تشجع على العمل التطوعي بل على النقيض تماماً تكرس الأنانية وتشجع المرء على الاهتمام بالقضايا الشخصية دون المجتمعية.

وشدد الشيخ الصفار على أن إرادة الإنسان الثقافية والتربوية من شأنها أن تساعده على تجاوز العوائق.

وتحدث حول الأبعاد الثلاثة لشخصية الإنسان والمتمثلة في البعد الجسمي والعقلي والنفسي، مؤكداً الدور الكبير الذي يلعبه البعد النفسي الذي يؤثر على الأبعاد الأخرى.

من جهتها، أكدت مديرة النادي المدربة افتخار آل دهنيم أنّ الهدف من الزيارة هو إنماء شخصية الفتاة من خلال التعرف على شخصيات قيادية ومُفكرة، ولها دورها الفعّال على مستوى المجتمع والوطن.

وتحدثت آل دهنيم عن أهداف النادي والجهود التي يبذلها للارتقاء بفكر الفتيات وتنمية ذواتهن واحتضان طاقاتهن، في الوقت الذي قدم فيه الشيخ بعضًا من الاقتراحات التي تساهم في تطوير النادي.

وأشادت الفتيات بالزيارة التي كانت بحدّ تعبيرهن فرصة جميلة للاستفادة من شخصية مؤثرة في المجتمع مثل الشيخ الصفار، مشيرات إلى أن الحوار مع شخصيات مطلعة والاستفادة من تجاربهم تعطي فرصة للانتباه بحكمة للعثرات ومن ثم اختيار الطريق المناسب للشخصية.

واختتم اللقاء بجولة في مكتبة الشيخ للاطلاع على أهدافها وكيفية الاستفادة من كتبها لمساندة الأبحاث وإثراء العقول وتزويد فتيات النادي بأحد كتبه والتي تناقش «شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين».



القطيف: إدارة نادي الابتسام يزورون الشيخ الصفار*

قام عدد من أعضاء مجلس إدارة نادي الابتسام برئاسة فيصل الحميدي ومجلس هيئة أعضاء الشرف برئاسة عبد الله شهاب بزيارة الشيخ حسن الصفار وذلك مساء الاثنين ٥ صفر ١٤٣٥هـ الموافق ٩ ديسمبر ٢٠١٣م في مجلسه بالقطيف.

واستهل الشيخ الصفار اللقاء بكلمة أبوية تربوية شاملة، ركز من خلالها على دور النادي في تنمية وتطوير ورقي المجتمع بشكل عام، باعتباره مؤسسة اجتماعية هامة ورئيسة تهتم بالشباب على نحو الخصوص، لتنمية قدراتهم ومهاراتهم، وتصريف طاقاتهم فيما يخدم مجتمعهم ووطنهم، ويجنبهم الانزلاق في براكين الجريمة.

وشارك كل من عبد الله العوامي ومحمد مهدي العبد رب النبي بمداخلات وإضافات تربوية، موضحين في الوقت ذاته بعض الجهود التي بذلها ولا زال رجال البلد لتعزيز وتقوية وتطوير النادي.

وألقى رئيس النادي فيصل الحميدي كلمة شاملة تحدث فيها عن تأسيس المجلس الشرفي ومن ثم عن الخطط التي وضعت لتطوير النادي بالتعاون مع أعضاء الشرف ووجهاء ومشايخ البلد ورجال الأعمال وكل الفاعلين والخيريين منذ تسلمهم الإدارة

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ١٠/ ١٢/ ٢٠١٣م.

في شهر رمضان المنصرم.

وتطرق الحميدي إلى تركيز الإدارة على إبراز وتنمية الدور الثقافي والاجتماعي للنادي بالتوازي مع الدور الرياضي.

ودار نقاش وحوار عام مع الشيخ شارك فيه جميع الأخوة، وتركز الحوار على أهمية التعاون وتضافر كل الجهود والطاقات لتطوير هذه المؤسسة الاجتماعية العريقة والرائدة، والبحث عن أساليب ووسائل لاستقطاب الشباب، وحثّ رجال الأعمال والميسورين من داخل المنطقة وخارجها للمساهمة والمشاركة الفاعلة فيها.



الشيخ الصفار يشارك في مهرجان العقيق الشعري*

شـارك سماحة الشيخ حسن الصفار مساء السبت ٢٤صفر١٤٣٥هـ في ملتقى دماء العقيـق السـنوي في بلـدة الخويلدية الذي كرّم رجل الأعمال الأسـتاذ سـعيد الخباز، وذلك خلال الأمسـية الشـعرية الحسـينية، التي شـارك فيها سـتة من الشـعراء، وسـط حضور عدد من الشخصيات الدينية والاجتماعية والشعرية وحشد من المهتمين.

حيـث ألقى الشـيخ الصفار كلمة في الحفل أشـاد فيهـا بملتقى دمـاء العقيق ببلدة الخويلدية، وما قدمه الشعراء فيه، مشيرًا إلى أن أهم شيء في قضية الإمام الحسين هو أن نقتدي به وأن نسير في طريقه، إن الميزة الكبرى في قضية الإمام الحسين هي تحمّله للمسؤولية تجاه دينه وتجاه مجتمعه.

وأكد الشـيخ الصفار أن جوهر القضية الحسـينية هو في تحمل الإنسـان لمسؤوليته تجاه أمته ومجتمعه ودينه، أما كيف يترجم هذا التحمل وهذه المسؤولية فذلك يختلف باختلاف العصور والأداوت. مضيفًا أننا نعيش في وضع يبدو فيه لنا أن تحمل المسؤولية يتجسّد في أجلى صوره في تحملنا لمسؤولية التنمية للمجتمع الذي نعيش فيه.

وبيّن الصفار أن التنمية الاجتماعية تتجلى في ثلاثة أمور: تنمية الكفاءات والأفراد، فمجتمعنـا ولـله الحمـد يزخر بأبنـاء يمتلكـون القـدرات العالية، لكنهـم بحاجة لمن

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ٢٠١٣م.

يشجعهم ويفتح الطريق أمامهم، وهذا ما وجدناه في الشعراء والأدباء الذين استمعنا لإبداعاتهم في هذا الملتقى العاطر المبارك.

وأشار الشيخ الصفار إلى أننا بحاجة إلى إنشاء المؤسسات التي تحتضن هذه الكفاءات، ومؤسسات تقوم بدورها في تنمية المجتمع وحماية الواقع الاجتماعي. وثالثًا بثّ ثقافة التآلف والعطاء في المجتمع، فنحن مجتمع بشري. يقول الشيخ الصفار: ونحن بحاجة إلى بثّ المحبة والتآلف التي تجعلنا نشعر أننا كأعضاء الجسد الواحد.

وأشاد الشيخ الصفار برجل الأعمال الأستاذ سعيد الخباز الذي قدم الكثير لمجتمعه، ومن أبرز ما قدمه هو تأسيسه لمشروع جائزة القطيف للإنجاز، التي أصبحنا نفخر بها على المستوى الوطني، كذلك ما قدمه هذا العام من تبرع سخي بمشروع مستشفى كان قد صرف عليه الكثير من الجهد والعمل حيث قدمه كي تديره جمعية البر الخيرية بسنابس، فجزاه الله خير الجزاء.

كذلك أشاد الشيخ الصفار بالشعراء والخطباء من هذه البلدة الطيبة من أسرة آل نتيف، الذين خدموا الدين وخدموا المنبر الحسيني، وأيضًا السيد حيدر السادة الذي طالما كان صوته يجلجل في أجواء هذه القرية الطيبة، مجددًا نغمات الولاء للحسين ولأهل البيت.

وقدم الشيخ الصفار شكره لمتلقى دماء العقيق الذي يقدم أفكارًا وأعمالًا متميزة دائمًا.



الشيخ الصفار يطالب بتنمية الكفاءات ودعم أبناء المجتمع*

نداء آل سيف

طالب الشيخ حسن الصفار بتنمية الكفاءات والقدرات في أبناء المجتمع وتقديم الدعم والتشجيع لهم وتهيئة الأجواء التي تساهم في تعزيز إبداعهم على مختلف الصّعد والمجالات.

وشدد الشيخ الصفار خلال كلمته التي ألقاها في مهرجان «دماء العقيق» بالخويلدية بتاريخ الجمعة ٢٣ صفر ١٤٣٥هـ على أن التنمية الاجتماعية تجسد مفهوم تحمل المسؤولية التي هي جوهر القضية الحسينية، واصفًا التنمية بأنها «الجهاد الأكبر» عطفًا على ظروف وأوضاع المجتمع الذي نعيشه اليوم.

وأكد الصفار في كلمته التي خاطب بها الجموع مناديًا «يا عشاق الحسين» على ضرورة إنشاء المؤسسات التي من شأنها احتضان ورعاية الكفاءات التي يزخر مجتمعنا بها، منوهاً بأن وجودها هو ما يساهم في تنمية المجتمع.

وأشاد في المهرجان الذي شهد تكريم رجل الأعمال سعيد الخباز بفكرة جائزة القطيف التي أضحت اليوم مؤسسة تستوجب منا الفخر على مستوى الوطن.

---

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٣م.

ودعا الشـيخ في المهرجان الذي وصفه بـ «العاطر» إلى بثّ ثقافة المحبة والتآلف والعطاء والاحترام المتبادل.

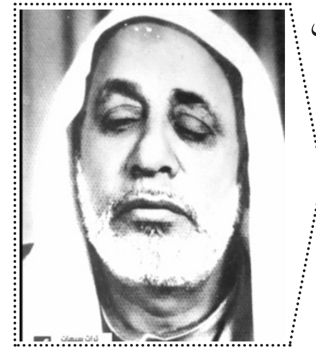
وأوضح أن هذه الثقافة كفيلة بتطهير المجتمع من الآفات التي تتسـلل إليه، وتكدر صفـو الحياة فيـه، مبيناً مدى الحاجة للتعايش المنطلق من الحديث النبوي بأننا أعضاء في جسد واحد.

وأشار إلى أن تحمل المسؤولية تجاه المجتمع والدين رغم ظروف الفساد والجور، هي أحد الدروس المستلهمة من قصص الأئمة الذين كانوا توثيقًا لهذه المهمة حسبما تقتضيه أوضاع الحياة وظروفها.



الشيخ الصفار يؤبن الخطيب السيد مرتضى شبّر*

أدّى سماحة الشيخ حسن الصفار الصلاة على جنازة الخطيب الحسيني السيد مرتضى شبر السيهاتي الذي انتقل إلى جوار ربه يوم أول أمس الخميس ٣٠ من شهر صفر ١٤٣٥هـ الموافق ٢ يناير ٢٠١٤م في مدينة سيهات عن عمر ناهز ٩٠ عاماً، وسط حضور جمع من العلماء والخطباء وحشد كبير من المواطنين.



وفي كلمته التأبينية قبل الصلاة على الفقيد قال الشيخ حسن الصفار: لقد قضيت عمرك في خدمة أبي عبد الله الحسين، وأفنيت حياتك في الخير والصلاح، وطالما صدح صوتك على المنابر، وأنت تعزز في الناس مشاعر الولاء لأهل البيت، وتذكرهم بمصاب سيد الشهداء.

وأضاف سماحته: «طالما رأيناك في مجالس العلماء وأنت تصغي وتسأل، وتضفي أجواء من البهجة والسرور على الحاضرين في تلك المجالس. وأنت الآن تغادرنا وتغادر هذه الحياة الفانية، ويستقبلك من أفنيت عمرك في خدمته، لقد كنت حسن السيرة، عفيف اللسان، طاهر الأخلاق، ما رأى الناس منك إلا خيراً».

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤/ ١/ ٢٠١٤.

وختم الشيخ الصفار كلمته بالقول: يستقبلك أبو عبد الله الحسين، ويستقبلك الأئمة الطاهرون هناك، والعلماء والأولياء الذين قضيت معهم حياتك، فرحمك الله، وهنيئاً لك مرافقة الأئمة والأولياء والشهداء، ونسأل الله تعالى الذي ثبتك على ولاية أهل البيت أن يثبتنا من بعدك على ولايتهم، وأن يجعلنا من السائرين في طريقهم، ويحشرنا يوم القيامة في زمرتهم.



الشيخ الصفار يتحدث عن نمط العلاقة بين القيادة والجمهور*

أرجع سماحة الشيخ حسن الصفار سبب الاضطرابات التي تعيشها شعوب الأمة اليوم إلى عدم وجود حالة «من الرضا والاستقرار بين القيادات التي تقود هذه المجتمعات وبين الشعوب».

وعرض سماحته العلاقات المتوترة بين الجانبين، فالوضع على الصعيد السياسي متفجر في أكثر من بلد، وكذا على الصعيد الديني هناك اعتراض وتذمر، مؤكّدًا أن الحديث عن عموم المجتمعات في الأمة.

وأضاف: على الصعيد الديني ليست العلاقة بين القيادات الدينية والجمهور «على ما يرام، وكما ينبغي، وأنا أعتقد أنها مرحلة مؤجلة، فالشعوب الآن مشغولة بالشأن السياسي، ومتى ما استقرت الأمور على الصعيد السياسي، سنجد أن هناك حراكاً ونضالاً من أجل أن تكون العلاقة بين المجتمعات والقيادات الدينية أفضل مما هي عليه».

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحة الشيخ الصفار في مسجد الشيخ علي بن حسان بتاروت بعنوان: «القيادة والجمهور في السيرة النبوية» ضمن برنامج أقامه «مضيف خادم أهل البيت الشيخ عبد الرسول البصارى»، تزامنًا مع ذكرى وفاة النبي

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤ / ١ / ٢٠١٤م.

محمد بتاريخ ١/ ٣/ ١٤٣٥هـ الموافق ٢/ ١/ ٢٠١٤م.

وتحدث سماحته عن الحالة التي كان عليها الناس قبل مبعث النبي إذ كانت المجتمعات تعيش نمطًا معينًا من القيادة، كانت القيادة تسلطية تقود الناس بالقهر، وكان عامة الناس لا يجدون خيارًا إلّا الخضوع لتلك القيادة.

وأضاف: لم يكن الحال الديني أفضل من المجال السياسي، والقرآن تحدث عن هذه القيادات التي كانت تستعبد الناس والناس يخضعون لها كعبيد: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ﴾، كانت تفرض على الناس التعامل معها وكأنها هي الربّ لهم.

وأوضح الشيخ الصفار أن رسول الله ﷺ جاء بنمط جديد من العلاقة بين الناس وبين من يقودهم ، إذ لم تكن قيادته لجمهور الأمة قيادة تسلطية مفروضة، مثل ما كان كسرى في الفرس، أو هرقل في الروم، أو الزعامات في القبائل العربية، تارة بالقوة، وتارة بالأعراف والتقاليد، التي تشكل قوة لا يجد الإنسان مجالاً للخروج منها.

وأضاف: كان رسول الله ﷺ قيادة أذعن لها الجمهور باقتناع واختيار، لذلك أصبح قائدًا للأمة باختيار الأمة واقتناعها، وإيمانها به، وليس لسبب آخر.

وأبان أن النبي ﷺ كان قيادة مشروع، وليس قيادة قبيلة، داعيًا للتفريق بين الأمرين، في بعض الأحيان يكون قائد للمجتمع كجزء من الديكور الاجتماعي، ولكن يوجد هنالك قائد لمشروع ولبرنامج يتبعه الأتباع لتطبيق هذا المشروع والبرنامج.

ووصف رسول الله ﷺ بأنه جاء بمشروع إلهي، وهي الرسالة الإسلامية، وطلب من الناس أن يؤمنوا به على أساس هذا المشروع.

ورسم سماحة الشيخ الصفار بناءً على الأمرين السابقين السّمات الواضحة في علاقة الرسول بجمهور الأمة، التي كانت مع عموم الجمهور وليست مع النخبة فقط، وكانت تعتمد منهجية الشورى، والاحترام لكل أفراد الأمة، صغيراً وكبيراً رجلاً وامرأة.

وأهاب بالأمة أن تدرس نمط العلاقة بين رسول الله ﷺ كقائد، وبين جمهور الأمة كأتباع له، وأن تطالب القادة أن يتعاملوا مع أفراد الأمة كما كان رسول الله ﷺ يتعامل معها، وأن يتركوا التعالي، والتسلط على الناس، والاستئثار والتفرد بالقرارات التي تتعلق بأمور الناس وقضاياهم.







٧

الشيخ الصفار لـ شفقنا: هناك تيار يريد أن يجيب على التطرف بالممارسات التحريضية*

يعرب رجل الدين الشيعي السعودي الشهير عن عظمة الخطاب الشيعي الرئيس في احترامه القيم الإنسانية السامية كـ الحرية والعدالة، وينتقد التيارات التي تواجه المذاهب الأخرى بلغة التفرقة والتحريض.

وأشار حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن موسى الصفار في حوار خاص بـ «شفقنا» إلى الوضع الحالي للشيعة في العالم، وقال: إن الأوضاع الجديدة التي طرأت في العالم، منحت الفرصة لمختلف المجموعات في المجتمعات أن تبين نفسها أكثر من ذي قبل. بحيث أفل نجم القوى المستبدة، وانتشرت المفاهيم الخاصة بالحرية وحقوق الإنسان، وازداد عدد الوسائل التي يتم التعبير عن الآراء من خلالها، كما تمت زيادة الإمكانات التي يعبر الفرد من خلالها آرائه إلى حدٍّ كبير.

وأضاف: إن المجتمعات الشيعية باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من المجتمع الإنساني المعاصر، استفادت من عملية التنمية والتطور في العالم، وتحظى بأوضاع أفضل من السابق. فبعض من الشيعة تسلموا مقاليد الحكم السياسي في بلدانهم، ويلعبون دورًا كبيرًا في قيادة بلادهم، ولهم منظمات سياسية ومؤسسات مستقلة إعلاميًّا، ويلعبون دورًا مؤثرًا على الصعيد الإقليمي والعالمي.

---

* نشر على موقع شفقنا بتاريخ ٠٣ يونيو ٢٠١٣م الموافق ٢٤ رجب ١٤٣٤هـ

وأشار الشيخ الصفار إلى التحديات التي تواجهها الشيعة في يومنا هذا بالقول إن أكبر تلك التحديات هي إقامة علاقات مع المحيط الإسلامية ؛ ذلك لأن القوى السياسية التي تسيطر على الحكم والسلطة، لا تريد إشراك القوى الأخرى كالشيعة التي تعتبر مهمشة، فضلًا عن الاتجاهات الدينية المتطرفة التي نشرت رؤى تثير الريبة تجاه أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وتتهمهم بأنهم كفرة وأصحاب بدعة وضالين.

وأضاف إلى جانب هذه القضايا لا بدّ أن لا نتجاهل دور القوى الاستكبارية والكيان الصهيوني، حيث إنها تستفيد من الصراع والتوتر الشيعي السني.

وأضاف الشيخ حسن الصفار: بكل أسف هناك تيار له حضور بين الشيعة يسير في اتجاه هذه المحاولات المعارضة لتحقيق الوحدة الإسلامية، ويقوم بنشر رؤى وأفكار محرضة، كردة فعل في مواجهة التطرف الذي يحمله الطرف الثاني، وهذا ما أدى إلى بروز صراعات طائفية ويزيد من المخاطر الناتجة عنها في مجال الخلافات السياسية، كما نشاهد هذا الأمر في العراق ولبنان.

وفي نفس السياق قال الشيخ حسن الصفار: من واجب كافة القادة والمفكرين في الأمة الإسلامية من الشيعة والسنة، بأن يقوموا بإصلاح هذه القضية الخطيرة جدًّا، التي جاءت نتيجة الصراعات الطائفية. وبالتحديد ينبغي للشيعة أن يقتدوا بمنهاج الأئمة فيما يتعلق بالصبر ويقدموا مصالح الأمة الإسلامية السامية، ويضحوا من أجل دعم الوحدة الإسلامية.

كما تطرق إلى التحديات الأخرى التي تواجهها الشيعة في العالم بالقول: إن الحصول على إرادة التحديث في الثقافة الدينية هي من التحديات الأخرى التي تواجهها الشيعة، فالثقافة السائدة لديهم ظهرت في الأزمنة الماضية، ونتيجة البيئة التي كانت تمارس ضدهم الظلم والضغوط. أما الشيعة في يومنا هذا يعيشون عصرًا جديدًا، وتحولوا إلى قوة مؤثرة في بلدانهم، وتغير واقعهم نحو تحقيق الأحسن، وتغير

العالم من حولهم، لكن يصر التيار الأوسع من الشيعة على الثقافة السابقة، التي تحمل سمات الظلم والجور والحزن، وتبدي أغلبية أوساطهم الدينية مقاومة في وجه التنمية والتحديث في المجال الثقافي، وتعبر عن تحفظاتها في هذا المجال.

واستطرد قائلًا: إن الإصلاحيين الشيعة الحداثيين يعانون ضغوطًا كبيرة كي يتراجعوا عن أفكارهم النقدية الحديثة.

وأعرب الشيخ الصفار عن عدم رضاه من عمل الإعلام الشيعي الحالي، وقال: لو قمنا بمقارنة الإعلام الشيعي وآراء الإسلام السامية، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، والإعلام المتطور والمؤثر الغربي، لوجدنا أن الإعلام الشيعي ليس في المستوى المأمول، فإن أغلبية الإعلام الشيعي يكرر أفكارًا قديمة وليس فيها إبداع.

وأضاف: إنني أرى بأن الإعلام الشيعي حقق نجاحات ضئيلة على مستوى الكم والمضمون في مجال بث رسالة أهل البيت عليهم السلام، والسبب يعود إلى قلة وسائل الإعلام تلك وبالتحديد في مجال اللغات الحية الأخرى وبسبب الأفكار السطحية.

كما قدم الشيخ حسن الصفار اقتراحاته لتحسين أوضاع الشيعة في العالم، وقال: إن الشيعة هم جزء من العالم وتتأثر بالجوانب السلبية والإيجابية، وإنهم جزءٌ من الوطن الذي يعيشون فيه، ولا يمكن النظر إلى الشيعة كـ عالم مستقل ومؤسسة مستقلة، فلا بدّ، وبغية تحسين أوضاع الشيعة، أن تبتعد عن الانزواء والاستقلال عن مجتمعها والبيئة المحيطة بها.

وأضاف: هناك قضايا ضرورية بغية تحسين تعامل الشيعة مع التطورات اليومية، أولها بناء واقع أفضل كي يكون نموذجًا بارزًا من الانتماء إلى مذهبهم وثقافتهم. فإذا كانت الحكومة بيدهم عليهم تقديم تجارب ناجحة من التنمية والتطور العلمي والصناعي، وعلى المستوى العالمي لا بدّ أن يقيموا علاقات جيدة، وإذا كونوا حزبًا أو حركةً فلا بدّ من إثبات شعاراتهم الصحيحة، ومنافسة الأحزاب والتيارات الأخرى

عبر النشاط وتقديم العمل الوطني.

وأضاف الصفار: إن الأوضاع نفسها تصدق على مستوى الحوزات العلمية، والمؤسسات الفكرية، ومؤسسات المجتمع المدني، والأجواء الاجتماعية، وعليهم أن يتنافسوا لكي يكونوا نموذجًا ساميًا ومتقدمًا.

وفي نفس الإطار أضاف: كما ينبغي للشيعة، وبغية تحسين أوضاعهم، العمل على تنمية المؤسسات الدينية لديهم، وبناء إطارات جديدة للمرجعية، وتحديث أساليب التدريس في الحوزات العلمية، وتحديث خطاب المنابر الحسينية، وفي نهاية المطاف تبني مشاريع تقدمية على مستوى العالم الإسلامي والقضايا التي تهم المجتمعات الإنسانية.

وتحدث الشيخ الصفار عن الخطاب الشيعي المعاصر بأن هناك جزءًا من الخطاب الشيعي يتبنى التأكيد على القيم الإسلامية السامية، كالحرية والعدالة والاستقلال من هيمنة الأجانب، وبذلك يثير الفخر والاعتزاز؛ لأنه يبين الوجه الناصع لسيرة أهل البيت، والمفاهيم الإسلامية الأصيلة، ويتحدث عن هموم الأمة الإسلامية وضرورة الوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية المختلفة.

وأضاف لكن هناك جزءًا من الخطاب الشيعي يثير الأسف والحزن ويقدم صورة سيئة عن مذهب أهل البيت؛ لأنه يتحدث بلغة تحريضية تجاه الآخرين، ويؤكد أمورًا هامشية ويضر بمضامين وأهداف مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

كما قدم الشيخ حسن الصفار مقترحاته لتنمية علاقات الشيعة باتباع الأديان الأخرى، وقال: في البداية علينا أن نهتم بمقارنة الأديان والعمل بما ورد في القرآن «لتعارفوا» وهو شكل من أشكال التعارف الثنائي، وفي هذا المجال يبرز عمل الحوزة العلمية في قم نفسه بشكل لافت في إنشائها جامعة الأديان والمذاهب. أما الاقتراح الثاني فإنه تقوية ثقافة التسامح، والترحيب بالآخرين، لتقديم صورة ناصعة عن رسالة الإسلام إلى المجتمعات الأخرى، وأما الاقتراح الثالث فهو الجدية في التعامل مع

الآخرين من أتباع الأديان الأخرى، حيث ينفع البشرية جمعاء، ويرقى بالقيم السامية التي يؤمن كافة أتباع الديانات الأخرى بها.

وفي نهاية الحوار تحدث عن تجاهل حقوق الشيعة في بعض الدول بالقول: إذا ركزت الدول مفهوم المواطنة فإنها لا تتجاهل حقوق المواطنين من أتباع الأديان والمذاهب والقوميات والطوائف فالمشكلة هي أن بعض الدول لا تعير اهتمامًا لمفهوم المواطنة فتمارس الظلم بحق المواطنين الشيعة.





الدكتور الأنصاري: مؤلفات الشيخ الصفار أبرزت الجانب الإنساني في الإسلام*

قال الدكتور عبدالحميد الأنصاري إن مؤلفات ومقالات الشيخ حسن الصفار «أبرزت الجانب الإنساني في الإسلام».

وخصّ كتاب الشيخ الصفار «الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان» واصفاً إياه بالكتاب «القيم».

وأوضح أن «أنسنة الفكر الإسلامي وخطابه بتضمينه القيم الإنسانية، اتجاه برز وتطور مؤخراً على أيدي نخبة فكرية مستنيرة، منها: الشيخ حسن الصفار في سلسلة مؤلفاته ومقالاته».

جاء ذلك في مقال نشره العميد السابق لكلية القانون والشريعة في جامعة قطر الدكتور عبدالحميد الأنصاري يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠١٤م في جريدة (الجريدة) الكويتية.

وطالب الدكتور الأنصاري بالتأمل في شرح الشيخ الصفار لقوله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم» ناقلًا عنه: «عندما خلق الله تعالى الإنسان أقام له مهرجاناً كونياً للاحتفاء به، وأمر الملائكة بأداء مراسيم التحية والإكرام له بالسجود، لقد ربط القرآن الكريم، التكريم ببني آدم، أي إن التكريم للإنسان لكونه إنساناً، فالإنسانية وحدها علة التكريم

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨ / ١ / ٢٠١٤م.

وليس الدين أو المذهب أو الجنس أو الجنسية أو اللغة أو اللون، وهو بهذه الصفة له حقوق كاملة، لا يجوز لأحدٍ أن ينتهكها أو يمسها».

ويشيد بانتقاد «الشيخ الصفار للخطاب الإسلامي، وضعف اهتمامه بحقوق الإنسان مقارنة باهتمامه بالقضايا العقدية والعبادية والسياسية، رغم أن القرآن الكريم أكد هذه الحقوق قبل مواثيق حقوق الإنسان بعشرة قرون، واعتبر الاعتداء على فرد عدواناً على البشرية جمعاء».

هذا وقد صدر كتاب «الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان» لسماحة الشيخ حسن الصفار في طبعته الثانية عن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، عام ٢٠٠٧م.



الشيخ الصفار يحضر مهرجان العتبة العلوية بمناسبة المولد النبوي*

لبّى سماحة الشيخ حسن الصفار، دعوة العتبة العلوية في النجف الأشرف، لحضور المهرجان الشعري، بمناسبة المولد النبوي الشريف، الذي أقيم مساء يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠١٤م في إحدى قاعات الصحن الحيدري الشريف، بمشاركة عدد من الشعراء من العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين والسعودية، وحضره جمع من العلماء والأدباء.

والتقى سماحة الشيخ خلال زيارته للنجف وكربلاء التي استغرقت أسبوعاً عددًا من المراجع والعلماء، من أبرزهم: المرجع الأعلى السيد علي السيستاني، والمرجع الديني الشيخ إسحاق الفياض، والمرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، والمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، وسماحة السيد مقتدى الصدر، والدكتور السيد محمد بحر العلوم، وأصحاب السماحة السيد مرتضى القزويني، السيد مرتضى الشيرازي، الشيخ عباس كاشف الغطاء، الشيخ حسن الجواهري، السيد علي السبزواري، الشيخ صادق الناصري، السيد جعفر الحكيم، السيد حسن بحر العلوم، الشيخ إبراهيم النصيراوي، الشيخ محمد الناصري، الدكتور السيد محسن القزويني، مؤسس جامعة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠١٤م.

أهل البيت بكربلاء، الشيخ حسين الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي، الشيخ شريف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

كما شارك بإلقاء كلمة في افتتاح قسم الحديث في كلية الفقه بالنجف الأشرف.


في كلية الفقه بالنجف الأشرف





الشيخ الصفار يستقبل الموكب الزينبي بتاروت*

زار شباب من الموكب الزينبي بتاروت سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٥هـ الموافق ٢٩ يناير ٢٠١٤م.

وقد شكر سماحته الزائرين لما يقومون به في خدمة الإمام الحسين وأهل البيت من خلال الموكب.

وقال الشيخ الصفار: إنني لا أحتاج للحديث عن الثواب الذي تنالونه من خلال خدمتكم في الموكب، فأنا متأكد أن دافعكم لهذا العمل هو معرفتكم بالثواب الجزيل لخدمة الإمام الحسين ، وحرصكم على الحصول على رضا الله والرسول وأهل بيته .

وأكد أن الأمة تحتاج بالإضافة لما يمارسه الشباب في الموكب، إلى وجود حالة من التطلع للرقي في الأخلاق والعمل، وهذا مطلب ديني في الأساس.

وأضاف: يجب ألا يكتفي الشباب بالحدّ الذي وصلوا له، بل عليهم أن يعملوا ضمن برامج لتطوير مستوى وعيهم وثقافتهم ومعارفهم، مصحوبا ذلك ببذل الجهد.

وعن كيفية تطوير المستوى المعرفي قال سماحته: يستطيع الإنسان أن يطور معارفه بالانتماء إلى دروس تطويرية، أو قراءة الكتب التأسيسية للمعارف والثقافة الإسلامية.

وحذّر سماحته من الاكتفاء بالاستماع، وقضاء الأوقات في الأحاديث الجانبية،

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣٠/ ١/ ٢٠١٤م.

التي تنتج شبابًا سطحيين في فهمهم، ضحلين في ثقافتهم.

وطالب الشيخ الصفار ضيوفه بأن يكون للموكب برنامج ثقافي، وأن يستعدوا لكلّ مناسبة ببث الحماس لقراءة كتاب عن صاحب المناسبة.

وعن المشاركة في الخدمة الاجتماعية قال الشيخ الصفار: إنني أطالبكم بأن يكون للموكب حضور وتواصل اجتماعي، بعمل برامج تصقل الشباب، وتؤهلهم لخدمة مجتمعهم، وبالانفتاح على العلماء وزيارتهم، وكذلك بزيارة المؤسسات الاجتماعية، وخدمة الفقراء، وعمل وفود لزيارة المرضى باسم الموكب، وما شابه.

في افتتاح المؤتمر التاسع لمنتدى الزهراء الثقافي

الشيخ الصفار: الاهتمام الأخلاقي في مجتمعنا ضعيف*



قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن التدين التقليدي الموروث في مجتمعاتنا يركّز على جانبين من الدين، جانب المعتقدات، وجانب العبادات والشعائر الدينية، في مقابل ضعف الاهتمام في جانب الأخلاق والسلوك الاجتماعي.

مضيفاً أن بعض المتدينين يفخر بإيمانه العقدي، ويعتز بانتمائه لهذا الدين وهذا المذهب، ولا يقبل الانتقاص من شيء من متبنياته الدينية، كما يحرص على أداء عباداته من صلاة وصوم وحج، بدقة قد تصل إلى حدّ الهوس والوسواس، ويهتم بالمشاركة في الشعائر والطقوس المذهبية متحدياً الضغوط والعقبات.

لكن هذا المتديّن نفسه قد لا تراه حريصاً على تنمية ذاته وتطوير مهاراته وكفاءاته، ولا يبدي الجدية في تحمل مسؤولياته، ولا يهتم بالإتقان في عمله ووظيفته.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الكلمة التي ألقاها مساء يوم الجمعة الماضي ٣٠ ربيع الأول ١٤٣٥هـ في افتتاح أعمال المؤتمر التاسع الذي عقده منتدى الزهراء الثقافي النسائي في مدينة سيهات تحت عنوان «أخلاق الله..الميثاق المفقود».

وبيّن سماحته في كلمته التي جاءت تحت عنوان «الأخلاق من خلال فهم

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢ / ٢ / ٢٠١٤م.

الدين» أن الدين هو عبارة عن رؤية للحياة وقيم وشـرائع أنزلها الله تعالى لهداية عباده وإصلاحهم وإسعادهم. مشيراً إلى أن التدين هو التزام الدين عبر الإيمان برؤيته، وتبنّي قيمه، وتطبيق شرائعه. لافتاً إلى أن فهم الدين وتنفيذ تعاليمه قد تلحقه بعض الشوائب والانحرافـات في مختلـف الأجيال والمجتمعات، فتكون هناك صورة سـائدة للدين، وشكل متداول لممارسته، من وحي الظروف والبيئة الاجتماعية للمنتمين إلى الدين.

مضيفـاً أن هـذا يوجب علـى أبناء كل جيـل أن يعيدوا فحص وقراءة مـا تلقوه من أسـلافهم مـن الدين، عبر الانفتاح المباشـر علـى المنابع والمصـادر الدينية الأصيلة، ودراسة مستجدات حياتهم وتطورات عصرهم الذي يعيشون فيه.

وأشـار سـماحته إلى أن الاسترسـال مع الموروث الديني فهماً وممارسة لا يصح اعتمـاداً علـى الثقة بالأسـلاف؛ لعدم إحراز عصمتهـم من الخطـأ، ولأن تقدم الزمن، وتطـور الحيـاة، واختلاف الظروف، قد يفرض تغييراً في الفكر، أو اختلافاً في البرامج وأنماط السلوك. ومضى يقول: «لهذا كانت ممارسة الاجتهاد في فهم الدين واستنباط أحكامـه، فريضـة قائمة على أبناء كل عصر ومجتمع، يجـب أن يتصدّى لها من تتحقق بهم الكفاية اللازمة، ويكونون بمستوى الحاجة والمطلوب».

ولفت الشـيخ الصفار إلى أن المعتقدات بجانب العبادات الدينية تسـتهدف تعزيز القيم الأخلاقية في نفس الإنسـان، لتنعكس على سـلوكه وممارسـاته، ولهذا ينبغي لنا أن نسـرّ ونفخر بالإقبال على هذه البرامج العبادية والشـعائرية؛ لأنها جزء لا يتجزأ من الدين، والإقبال عليها مكسب للحالة الدينية.

مضيفاً أن الإشـكال يكمن في تجاهـل الثقافة التقليدية لأهميـة القضايا الأخلاقية والسـلوكية، وضعـف التركيز علـى دورها في بناء شـخصية الإنسـان المتديّن، وعدم تداول ما ورد من النصوص في فضلها وثواب وأجر التحلي بها.

وختم الشيخ الصفار كلمته بالقول: إننا نجد كثيراً من النصوص الدينية التي ترجّح بعض السـلوكيات الأخلاقية على كثير من الممارسـات العبادية، وتتحدث عن ثواب وأجر كبير عند الله سبحانه وتعالى لذوي الأخلاق الفاضلة والمواقف النبيلة.



الشيخ الصفار يستقبل أعضاء حملة 1000× 1000 *

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء الخميس ليلة الجمعة ٢٩/ ٣/ ١٤٣٥هـ الموافق ٣٠/ ١/ ٢٠١٤م أعضاء لجنة حملة التبرعات ١٠٠٠×١٠٠٠ لمساندة جمعية البر الخيرية بسنابس لتطوير مستوصف طب الهادي.

وقد رحّب سماحة الشيخ الصفار في البدء بالمبادرة الطيبة، وبالشباب الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية هذه الحملة، مشيدًا بتبرع الأستاذ سعيد الخباز لامتياز المستوصف وأجهزته وكوادره للجمعية.

ثم تحدث سماحته عن جمعية البر الخيرية بسنابس وما لها من مبادرات جيدة على مستوى مساعدة الفقراء والأيتام.

وقال: الخير كثير في مجتمعنا، والخيرون كثيرون، لكن حاجات المجتمع أكثر.

وأضاف: كلّ مجتمع يعيش النهوض يحتاج إلى مبادرات وإلى مشاريع ومؤسسات تلبي حاجاته، وتعينه على النهوض، والاستمرار. وأبان: إن هذه الحاجات الكثيرة لا تحلّ بالتمني، ولا بالحديث عنها، بل بالمبادرات، وبذل الجهد في تجسيدها على أرض الواقع.

وعن مشروع المستوصف الخيري قال سماحته: لدينا مشاريع كثيرة أنشئت خلال

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣/ ٢/ ٢٠١٤م.

السنوات الأخيرة، لدينا مساجد، وحسينيات، وحوزات، وقد أنتجت القطيف خلال العام الفائت أكثر من ٢٠٠ كتاب.

وأضاف: نحتاج إلى اهتمام أكبر بالجانب الصحي، مستدركًا: صحيح أن الدولة تتحمل المسؤولية الكبرى، لكننا نحتاج إلى العمل الأهلي لنرفع من مستوى الحالة الصحية لأفراد مجتمعنا. ودعا سماحة الشيخ الصفار جميع أفراد المجتمع لدعم هذا المشروع، وهذا الصرح الطبي، لإنجاحه كمشروع وكتجربة.

من جهته تحدث الأستاذ عبدالمنعم آل صفوان مدير الحملة، مشيدًا بمبادرة سماحة الشيخ الصفار وإتاحته لهم الفرصة للحديث عن الحملة في مجلسه.

وقال: جئنا في هذا المجلس المبارك، - مجلس سماحة الشيخ الصفار- لهذا الحضور المجتمعي المتنوع، لنحدثكم ونتشارك معكم في عمل تطوعي، أهلي، شبابي، بمزاج مختلف، بخلاف المشاريع الاجتماعية التي يشهدها هذا المجتمع المتكاتف والمتحرك طوال تاريخه.

وأضاف: بتاريخ ١/ ١٢/ ٢٠١٣م قام الأستاذ سعيد الخباز بالتبرع بمنشأة صحية يملكها وهي مستوصف طب الهادي، تبرع به لصالح جمعية البر الخيرية بسنابس، أوقفه للمجتمع. وأبان أن الحدث أصابهم بصدمة، فهذا التبرع غير مسبوق، فقرروا كمجموعة شبابية أن يقدموا عطاءً يتناسب مع هذا العطاء، لكن بواقعية.

وأوضح أنهم أنشأوا هذه الحملة بعنوان (حملة التبرعات ١٠٠٠×١٠٠٠) لمساندة جمعية البر الخيرية بسنابس لتطوير مستوصف طب الهادي).

وختم بشكره لكل من ساهم ماديًّا أو معنويًّا في دعم الحملة.



الشيخ الصفار يستقبل الشيخ المظفر ويشيد بالنجف ومرجعيتها*

استقبل الشيخ الصفار في مجلسه بالقطيف الدكتور العلامة الشيخ محمود المظفر مساء يوم الأربعاء ٥ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ الموافق ٥ فبراير ٢٠١٤م الذي حضر لزيارة الشيخ الصفار بصحبة عدد من مرافقيه. وقد تحدث الدكتور المظفر عن تقديره لدور سماحة الشيخ الصفار، بما يطرح من خطاب توعوي ناضج، ودور اجتماعي مؤثر، وقال إن لخطاب الشيخ الصفار صدى واستقبالاً حسناً في مختلف أوساط المجتمع العراقي.

وتحدث الشيخ الصفار عن الدور العلمي والإصلاحي لأسرة المظفر، وخاصة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله، الذي أسس كلية الفقه ومنتدى النشر، وجدد بعض مناهج التعليم في الحوزة العلمية، كما أشار الشيخ الصفار إلى تفاؤله بما رأى من تقدم في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، خلال زيارته الأخيرة، وقال إن النجف في طريق الاستعادة لدورها الريادي في الساحة الإسلامية، بعد أن عانت من التهميش والقمع في ظلّ النظام البائد.

وقال إن الجميع يتطلع إلى دور النجف الأشرف بما تمثل من تاريخ علمي حضاري، وبما تحتضن من مرجعية حكيمة يعترف العدوّ والصديق بدورها الكبير في حماية وحدة الأمة ومواجهة العنف والتطرف المذهبي. مشيداً بمواقف المرجع

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٦ / ٢ / ٢٠١٤م.

الأعلى السيد السيستاني وبقية المراجع الكرام.

وقال إنه حضر احتفال العتبة العلوية بذكرى المولد النبوي الشريف، الذي شارك فيه شخصيات مسيحية ودرزية ويزيدية، إلى جانب الشخصيات الشيعية والسنة والزيدية. مما يعكس أفق الانفتاح وثقافة التسامح وعمق الروح الإنسانية التي غرسها الإسلام.

داعياً إلى تكاتف الجهود وبذل الإمكانات من قبل كافة المجتمعات المؤمنة، لدعم الحوزة العلمية والمرجعية، لتؤدي دورها على خير وجه، لمصلحة المؤمنين والمسلمين في كل العالم.

وحضر المجلس جمع من شخصيات الأحساء والدمام.





الشيخ الصفار يستعرض دور الأئمة في تعزيز القيم الأخلاقية*

تعزيـز قيـم الأخـلاق في الأمـة كان مهمة رئيسـة فـي حياة أئمـة أهـل البيت؛ لأن الأخـلاق هي جوهر الدين، فرسـول الله حصر بها وظيفة رسـالته بقولـه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

جاء ذلك في محاضرة ألقاها سـماحة الشـيخ حسـن الصفار في مسـجد الرسـول الأعظـم بالفضول في محافظة الأحسـاء، مسـاء يـوم الجمعة ٧ ربيـع الآخر ١٤٣٥هـ الموافق ٧ فبراير ٢٠١٤م بعد أن أمّ المصلين في صلاتي المغرب والعشاء.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته وسط جمع كبير من المصلين، وعدد من علماء البلدة وشـخصياتها: إن حالة الأخلاق والقيم في واقع الأمة تعرضت لانتكاسة بسبب هيمنـة الاسـتبداد على الأمة بدءاً من الحكمين الأموي والعباسـي، والاسـتبداد يعمل علـى إفسـاد الأخـلاق وتدمير القيـم، بسياسـاته الجائرة التـي تطال مختلـف جوانب الحياة، كما شرح ذلك الشيخ عبدالرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد).

وأضـاف الشـيخ الصفار: إن قسـماً من علمـاء الأمة التحقـوا بركب المسـتبدين، فأصبحوا يبررون الفسـاد والانحراف الأخلاقي باسم الدين، حيث كانوا يدافعون عن

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ٢ / ٢٠١٤م.

القـوة، ويروّضون نفوس الناس للخنوع لها، ويؤكّدون خضوع الرعية للظلم، وسـلطة الرجل المطلقة المجحفة على زوجته وأسـرته، وهيمنة الأسـياد على الأرقّاء والخدم، ويمالئون الأغنياء على حساب الفقراء.

وأشـار الشـيخ الصفـار إلـى جانب آخر من خـذلان هـؤلاء العلماء والدعـاة لقيم الأخـلاق والفضيلـة بأنهـم كانـوا يركزون فـي خطابهم الدينـي على قضايـا العبادات والشـعائر الدينيـة، ويتجاهلـون الحديـث عـن رعاية الحقـوق، وأهمية خدمـة الناس وحماية مصالحهم.

ثم اسـتعرض الشـيخ الصفار دور أئمة أهل البيت في بث مكارم الأخلاق وتعزيز القيم النبيلة في حياة الأمة، وذلك عبر الوسائل التالية:

١. تجسيد القيم والأخلاق في سيرتهم العطرة.
٢. بث التعاليم والثقافة الأخلاقية والتأكيد عليها في أحاديثهم ووصاياهم.
٣. تكوين مجتمع إيماني نموذجي من خلال أتباعهم وشيعتهم، حيث يؤكد الأئمة أهمية تقيّد الإنسان الشيعي والمجتمع الموالي لأهل البيت بالقيم الأخلاقية، داخل المجتمع ومع الآخرين.

وركّـز الشـيخ الصفـار على توجيهـات الأئمة لشـيعتهم بأن يحفظـوا بينهم حقوق الأخوة الإيمانية، ويتعاملوا بالاحترام المتبادل، حتى وإن اختلفوا في الآراء والأفكار، فاختـلاف الـرأي أمر طبيعي في كل مجتمع بشـري، وفتح باب الاجتهاد يعني شـرعية الاختلاف وتعدد الآراء.

ولا ينبغـي أن يـؤدي ذلـك إلـى الخصومة والنـزاع، واتهـام كل طـرف للآخر في دينـه وعقيدته، فتلك هـي أرضية الاتجاه التكفيري، وروح التعصـب التي ننتقدها عند الآخرين. فلا يصح أن نقبل بتسربها إلى أجواء مدرسة أهل البيت القائمة على التسامح والانفتاح، واحترام كرامة الإنسان وحرية الرأي وشرعية الاجتهاد.

ضيافة آل مطر:

وكان الشيخ الصفار قد حلّ ضيفاً على أسرة آل مطر الكريمة في الفضول تلبية لدعوتهم، حيث أقاموا مأدبة عشاء على شرفه في مزرعة الحاج جواد آل مطر، حضرها جمع من العلماء والشخصيات، ودار خلالها حديث عن تشجيع وتطوير الخدمة الاجتماعية والعمل التطوعي في البلاد، ومن أبرز الحاضرين: البروفيسور السيد هاشم الصالح، المهندس أحمد عباس المطر، الشيخ علي النظام، الشيخ محمد باقر المطر، الشيخ حسين الشريط، الشيخ سعيد الكاظم، الشيخ أحمد المطر، الشيخ أحمد المهيني، الشيخ عيسى الحباري، الشيخ أحمد عباس البرية، الشيخ عبدالعزيز أحمد الغانم، الشيخ حبيب السماعيل، السيد أمين الشخص.

زيارة الجمعية:

كما قام الشيخ الصفار بزيارة جمعية الفضول الخيرية حيث كان في استقباله أعضاء مجلس الإدارة، الذين رحبوا بزيارته، وقدموا عرضًا وثائقياً عن نشاطات الجمعية وإنجازاتها، وتحدث الشيخ الصفار مشيداً بتميّز برامج الجمعية وياديتها رغم حداثة تأسيسها سنة ١٤٢٨هـ.

زيارة دار المصطفى:

وقام الشيخ الصفار بزيارة دار المصطفى للتثقيف الديني التي تأسست عام ١٤٣٣هـ واستقبله أعضاء الإدارة مرحبين بقدومه، وعرضوا برنامجاً وثائقياً عن أنشطة الدار وأعمالها. حيث شكرهم الشيخ الصفار على اهتمامهم بتثقيف الناشئة والشباب، وتوجههم لمأسسة العمل، وتطوير أساليب الدعوة والتوجيه.

مشيداً بالدور الريادي للدكتور باسم المطر المشرف على المؤسسة، بما يمتلك من ثقافة ووعي وخبرة وتجربة، إضافة إلى إخلاصه الديني والاجتماعي، مشيراً إلى

ما لمسه من مكانة للدكتور باسم المطر في أوساط المؤمنين في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يقيم في مدينة (هيوستن) ويتصدى للنشاط الديني والاجتماعي فيها، من خلال الديوانية التي أسسها هناك.

زيارة أبو خمسين والخرس:

وختم الشيخ الصفار جولته في الأحساء بعيادة سماحة الشيخ موسى أبو خمسين الذي أجرى عملية في فقرات الظهر، وعيادة الشيخ عادل أبو خمسين الذي ألمت به وعكة صحية، داعياً لهما بالصحة والشفاء العاجل.

كما زار الشيخ الصفار الحاج محمد الخرس (أبو هاني) في منزله بمنطقة الخرس.







الشيخ الصفار يستقبل إدارة جمعية تاروت الخيرية*

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء السبت ٨/ ٤/ ١٤٣٥هـ الموافق ٨/ ٢/ ٢٠١٤م أعضاء مجلس إدارة جمعية تاروت الخيرية.

وقد شكرهم سماحته على ما يبذلونه في خدمة المجتمع. وقال: المأمول منكم تطوير العمل الخيري ومواصلة العطاء، طالبًا منهم التعاون والعمل بفاعلية من أجل نمو العمل التطوعي، والخدمة الاجتماعية.

وأضاف: تعتبر منطقتنا من المناطق الرائدة في العمل الخيري والتطوعي، والمفترض من الجمعيات أن تقوي هذه الحالة، ووجود أمثالكم من الرواد يطمئن لذلك.

وأبان الشيخ الصفار أن على العاملين في الجمعيات الخيرية العمل على جلب المزيد من العناصر والإمكانات لدعم الجمعية، ففي المجتمع كفاءات كثيرة لا بدّ من استيعابها.

وعن كيفية استقطاب هذه الكفاءات قال سماحته: هناك طريقتان لاستقطاب هذه الكفاءات، فإما بإدخالهم رسميًّا ضمن العاملين في الجمعية، وإما بإفساح الطريق لهم للعمل تحت مظلة الجمعية، وهذا هو الأجدى.

ثم تحدث رئيس الجمعية الحاج حسين المشوّر عن مشاريع الجمعية، وقال: إن

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠/ ٢/ ٢٠١٤م.

الجمعية في العام القادم تبلغ ٥٠ عامًا منذ إنشائها، وهذا يحملنا مسؤولية أكبر للعطاء والمساهمة في خدمة المجتمع.

وقال إننا عازمون على العمل بكل طاقاتنا من أجل مواصلة المشوار وإكمال الإنجازات والمشاريع التي بدأها المجلس السابق.

ثم استعرض المشور أعمال الجمعية، ونشاطاتها، وما يطمحون له شاكرًا سماحة الشيخ الصفار لإتاحته الفرصة لهم لعرض آمالهم وطموحاتهم.

كما تحدث مسؤول مركز زهور المستقبل لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة بجمعية تاروت الخيرية الملا شفيق آل سيف حول المركز موضحًا أنه يضم ٤٨ طالبًا من أنحاء المحافظة، تتفاوت أعمارهم بين ٣ و٤٠ سنة. وأضاف: يستقبل المركز الذي تأسس عام ١٤٢٩هـ كلّ الإعاقات القابلة للتعلم، ويهيئ لهم برنامجًا أكاديميًّا وعلاجيًّا، ويهيئ لمدارس الدمج الحكومية ما لا يقل عن ٣ أشخاص.

وقدم بعض الحاضرين في اللقاء مداخلات حول أهمية هذه المنشأة التي تعنى بشريحة ذوي الاحتياجات الخاصة، والتي يجب أن تكون محلّ رعاية وتقدير من المجتمع.

يشار إلى أن الزيارة جاءت على أثر انتخاب مجلس الإدارة الجديد للجمعية، وتكون الوفد الزائر من: رئيس مجلس الإدارة حسين عبدالله المشوّر، ونائب رئيس مجلس الإدارة يوسف موسى الوحيد، وهلال حبيب آل فردان، وحكيم حسن آل درويش، وشفيق عبدالعلي آل سيف، ورضا علي الفارس، وعبدالرسول عبدالله آل درويش، وأكرم جميل الحجاج، وعبدالله حسن آل عوجان.

٧

الشيخ الصفار: المناهج التعليمية والفتاوى والخطب والإعلام صنعت الاتجاه الإرهابي للشباب السعودي*

أكد عالم الدين السعودي الشيخ حسن الصفار أن سبب ممارسة آلاف الشباب السعودي العنف والإرهاب حول العالم، هو التيارات التكفيرية المتطرفة واستغلال الأطراف السياسية والاستخبارية الإقليمية والدولية.

ونقلت مواقع إخبارية عن الشيخ الصفار قوله: إن أول المحرضين للشباب على التورط في النزاعات وممارسة الإرهاب هم أولئك المتعصبون من أتباع التيارات التكفيرية».

وشدّد على القول «إن هذه التيارات المتطرفة هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن هذا التوجه الإرهابي العنيف الذي يقود شباب الأمة نحو الدمار والخسران في الدنيا والآخرة».

ووصف الشيخ الصفار المنخرطين في طريق العنف والإرهاب ويستهدفون الأبرياء بأنهم «ضحايا مغرر بهم ومضللون»، وقال: «آن الأوان بأن نضع النقاط على الحروف حول المسؤولين عن الزجّ بالشباب السعودي في النزاعات الدولية».

وأرجع الشيخ الصفار جانبًا من المسؤولية إلى حملات التعبئة الخطيرة في الوسط السعودي بما في ذلك التحريض على الآخرين المخالفين دينيًّا وفكريًّا، وتابع: «إن

---

* نشرت في جريدة المراقب العراقي العراقية العدد ٩٢٣ بتاريخ الاثنين ١٠/ ٢/ ٢٠١٤م الصفحة السابعة.

الأسلوب التعبوي التكفيري الذي يبرز بوضوح في بعض مناهج التعليم والفتاوى والخطب الدينية ووسائل الإعلام، هو الذي صنع الأرضية لهذا الاتجاه العنفي الإرهابي في الشباب السعودي».

كما ألقى الشيخ الصفار بالمسؤولية كذلك على الأطراف الدينية الضالعة في التشريع للعنف تحت اسم الجهاد، وأوضح أنه «لا يصح لأيِّ أحدٍ أن يمارس العنف اتجاه آخر يختلف معه دينيًّا أو سياسيًّا باسم الجهاد .. هذا إرهاب وضلال وخسران».

وحمل مسؤولية تنامي موجة الإرهاب وسط الشباب على الأطراف السياسية والاستخبارية الإقليمية والدولية مشيرًا إلى أن هذه الجهات الاستخبارية «توظف الشباب كوقود لصراعاتها وألاعيبها السياسية .. حتى إذا ما انتهت اللعبة انقلبت عليهم.

وأوضح الشيخ الصفار أن الأطراف الممولة للتيارات المتطرفة ضالعة هي الأخرى على نحو مباشر في تغذية العنف والإرهاب ، مشيرًا إلى أن انسداد الأفق السياسي أمام الشباب والتعتيم على الخيارات الأخرى أمامهم، هو ما يزرع اليأس في نفوسهم ويقودهم إلى التورط في ممارسة العنف والإرهاب.



الشيخ الصفار يستقبل إدارة نادي مضر بالقديح*

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء السبت ٢٢/ ٤/ ١٤٣٥هـ الموافق ٢٢/ ٢/ ٢٠١٤م إدارة نادي مضر بالقديح.

وقد استعرض رئيس النادي الأستاذ/ سامي آل يتيم شرحاً عن وضع النادي، وما يعتزم مجلس الإدارة القيام به في الفترة القادمة، وعن إنجازات النادي خلال العام، ومشاركاته القادمة، مشيدًا بسماحة الشيخ الصفار ووقوفه مع النادي، وتفاعله مع إنجازاته.

وركز الأستاذ سامي آل يتيم على التحدّي الأساس للنادي، وهو امتلاك منشأة رياضية أقرتها رعاية الشباب، لكنه لا تتوفر أرض مناسبة لحدِّ الآن.

ثم تحدث سماحة الشيخ الصفار مهنئًا للإدارة لنجاحها في تحقيق اسم يليق بالمنطقة وتاريخها الحضاري، وقال إنه يتابع أخبار وإنجازات النادي ويفرح بها.

وأضاف: إن أي إنجاز يحققه نادي مضر أو أي مؤسسة في المحافظة فهو انجاز للمجتمع، وعلامة على تطور وتقدم أفراده.

ودعا سماحته لوضع خطة لرفع الكفاءات والمهارات لأفراد النادي، للنجاح في

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٣/ ٢/ ٢٠١٤م.

حياتهم، بعقد الدورات واللقاءات لتفجير طاقاتهم، وتشجيعهم أن يكون لهم دور فاعل في مجتمعهم.

وأضاف: نحن نواجه تحدّيات كثيرة وكبيرة، فالتحدي السلوكي اليوم هو الأخطر، والعنف والمخدِّرات شبح يهدد مجتمعاتنا.

وعن قدرة شباب الأندية على حمل رسالة الإصلاح قال الشيخ الصفار: الشباب الرياضي الملتزم هم رسل للسلوك السليم، وقدرتهم على التواصل تساعدهم في حمل هذه الرسالة.

وأبان أن الشباب قادرون على التأثير في الشرائح الشبابية، للمساعدة في القضاء على هذه السلوكيات التي تشوه وجه المجتمع.

وعبر عن خشيته على المجتمع من سلوكيات العنف والمخدرات، فهما شرّان خطران يجرّان المشاكل للمجتمع، موضحًا أن المنبر وحده لا يستطيع الوقوف في وجهيهما؛ لأنه لا يصل إلى كل شرائح المجتمع.

وأوضح أن شباب الأندية بسلوكهم السوي يستطيعون العمل على تقليل هذه الظاهرة، فهم ـ أي اللاعبين ـ عناصر استقطاب وجذب.

ودعا سماحته لعمل حملات توعوية يشارك فيها منسوبو النادي، وتستغل فيه منشآته لتقديم دور اجتماعي وثقافي يساعد في إصلاح المجتمع.

وعن الدعم المالي قال سماحته: إن الدعم المالي شكوى كلّ المؤسسات في المجتمع، ولمساعدتها لتجاوز هذه المشكلة اقترح سماحته بث ثقافة العطاء لتوجيه الموارد للعمل الاجتماعي.

وقال: إن توجيهات العطاء لدينا لم تدخل بعدُ في كلّ مجالات العمل الاجتماعي، بسبب النسق الثقافي الذي يحصر العطاء في بعض المجالات.

ووجه سماحته لأن تكون العلاقة بين المؤسسات والمجتمع ضمن برامج دائمة

لطرح المشاريع والتواصل وطلب الدعم.

وأضاف: يكون ذلك بتكثيف اللقاءات للتعريف بالمشاريع وتحديد احتياجات المؤسسة.

وقال الشيخ الصفار إن الأندية يجب أن تضع خطة مفصلة لأنشطتها خلال العام ومن خلالها يكون العمل على توفير ميزانية تدعم تنفيذ الخطة.

وختم قائلًا: الناس هنا فخورون بإنجازاتكم، فأنتم ولله الحمد كلّ واحد منكم يستطيع إدارة مشروع، فكيف إذا اجتمعتم؟

مداخلات:

وكان للمهندس نبيه البراهيم مداخلة دعا من خلالها إدارة النادي للعمل على تمويل المشاريع والبرامج بتعدد المصادر، مقترحًا عليهم تكوين ما يعرف بأصدقاء النادي.

كما اقترح رجل الأعمال عبد ربّ الرسول شهاب عمل رسوم اشتراك شهرية ليتمكن المجتمع من المشاركة في تمويل النادي وبرامجه.

مثّل إدارة نادي مضر كل من رئيس النادي الأستاذ سامي آل يتيم ورئيس النادي السابق والمشرف العام على لعبة كرة القدم الأستاذ علي عبدالرزاق ونائب الرئيس الأستاذ عبد الله العبيدي وأمين عام النادي الأستاذ علي الخاطر وأمين الصندوق الأستاذ جعفر الخاطر وعضو المركز الإعلامي الأستاذ أحمد المطرود .





خلال استعراض التقرير السنوي لنشاط مكتبه

الشيخ الصفار: هدفنا تنمية المجتمع وتعزيز موقعيته الوطنية*

أقام مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار مساء يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠١٤ لقاء لعرض تقريره السنوي التاسع للعام الماضي ١٤٣٤هـ وذلك بحضور العديد من شخصيات وفعاليات المنطقة.

بدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، ثم عرض تقرير مصور يستعرض من خلاله أبرز نشاطات ومشاركات الشيخ الصفار ولقاءاته وأبرز الزيارات والاستضافات والمشاركات السياسية والثقافية والدينية، على المستويين المحلي والخارجي.

وأوضح التقرير كذلك قيام العديد من رؤساء الهيئات والفعاليات الرسمية والوطنية وأصحاب الفكر والثقافة بزيارة مكتب الشيخ الصفار.

كما أشار إلى الحضور الإعلامي للشيخ الصفار عبر المقالات في الجرائد والمجلات المختلفة وكذلك لقاءاته وحواراته وخطب الجمعة في القنوات الفضائية.

كذلك استعرض التقرير السنوي مجمل الواردات المالية المتمثلة في الحقوق الشرعية، التبرعات، الصدقات، الكفّارات وقضاء العبادات. إلى جانب المصروفات التي تمثلت في المساعدات العامة، كمساعدة طلبة العلوم الدينية، الفقراء، الجمعيات

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣/ ٣/ ٢٠١٤م.

والهيئات الخيرية والثقافية في المنطقة.

بعـد ذلك ألقى الشـيخ الصفار كلمة شـاكراً الحضور تلبيتهم للدعـوة، ولافتاً إلى أن تفاعـل الحالة الدينية مع قضايا المجتمـع يختلف، فهناك حالة دينية ترى من صلب نشاطها الاهتمام بالأمور العبادية فقط، وهناك من يرى أهمية التصدي للشأن العام من قضايا المجتمع.

وأشـار الشيخ الصفار إلى أن التطور الزمني يفرض أهمية العمل المؤسسي، وهذا النشـاط هو محاولة في سبيل الوصول لذلك الهدف. مضيفاً بأن رجل الدين يجب أن يحمل برنامجاً لرسالته وأهدافه تتناسب مع المعطيات الزمنية والاجتماعية، وأن تكون عينه على التطوير وتنمية المجتمع.

وقـال سـماحته إن منطقتنـا بحمد الله توجد بهـا العديد من المؤسسـات الثقافية، والحـوزات العلميـة، والمراكز واللجـان الاجتماعية، وكلها تصبّ فـي صالح العمل الأهلي المؤسسـاتي. مبيناً أنهم في المكتب يحاولون التمثل بالنهج المؤسسي بالقدر المسـتطاع، وذلـك من خلال تقسـيم العمل داخل المكتب سـواء في قسـم العلاقات والإعلام، أو القسم الثقافي، والقسم المالي، وأيضاً القسم النسائي.

ولفت الشيخ الصفار إلى أن المكتب لديه رؤية ورسالة واضحة، من أجل تقديمها للمجتمع، ومنها أهمية توجيه طاقات المجتمع، وتوعية الناس لتحمل مسؤولياتهم في كافة المجالات الدينية والحياتية، بالإضافة للانفتاح على المحيط الذي نعيش فيه وأن نقدم أنفسنا بالطريقة المثلى وفق نهج أهل البيت عليهم السلام.

ومضـى يقـول: نحـن في المكتـب لا نريد أن نحصر نشـاطنا داخله، بـل نعتبر أي نشاط في المجتمع كالمنتديات الثقافية الأسبوعية والشهرية، وأيضاً المهرجانات التي تحصل، والفعاليات المختلفة هي مكملة لبعضها بعضًا في خدمة المجتمع.

وختـم الشـيخ الصفار حديثه بالقول: إننا نعتبر آراءنا جـزءًا من هذا المجتمع، ولو

كانت هناك آراء ووجهات نظر أخرى فإن هذا أمر طبيعي، ويحدث في كل المجتمعات، وعلينا أن نتفهم وتتقبل آراء بعضنا بعضًا.

وبعد كلمة الشيخ الصفار وجه بعض الحضور أسئلة ومقترحات تضمنت الإشادة بمبادرة مكتب الشيخ الصفار، في عمل مثل هذا التقرير سنويًا، وأهمية انتشار مثل هذه الفكرة على نطاق أكبر داخل المجتمع.









انعقاد فعاليات مؤتمر السيد زينب في الكويت تحت شعار «والله لن تمحو ذكرنا»*

افتتح في حسينية الإمام الحسين عليه السلام يوم الثلاثاء ٣/ ٥/ ١٤٣٥هـ الموافق ٤/ ٣/ ٢٠١٤م فعاليات المؤتمر الرابع للسيدة زينب عليها السلام الذي جاء هذا العام تحت شعار «والله لن تمحو ذكرنا».

افتتح المؤتمر بآيات من الذكر الحكيم تلاها المقرئ علي شاه، ومن ثم افتتح خطيب جامع الحسين عليه السلام الشيخ صالح جوهر فعاليات اليوم الأول للمؤتمر، حيث تطرق إلى إطلاق شعار «والله لن تمحو ذكرنا» على المؤتمر الرابع للسيدة زينب عليها السلام، لافتًا إلى أن أول ما يرد إلى خلدنا عندما نقرأ أو نسمع بشعار المؤتمر هو من قائل هذه المقولة وفي أيّ مناسبة قالها.

من جانبه افتتح الشيخ حسن الصفار بكلمته كلمات المتحدثين في المؤتمر، حيث بدأها بالشكر والثناء على دعوته للمشاركة في مؤتمر السيدة زينب عليها السلام الرابع، ومن ثم تطرق إلى أنه ينبغي لنا كمسلمين الاستفادة من هذا الاحتفاء، وتجديد ولائنا لقادة الإسلام، من خلال إبراز مواقفهم وآرائهم وأفعالهم على الساحة.

---

* نشر في جريدة النهار الكويتية الصادرة بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤م.

وقال الصفار في كلمته التي حملت عنوان «الإسلام دين السلام»: «إننا نستلهم ما ينفعنا ويفيدنا في واقع حياتنا المعاصرة، وموضوع الإرهاب والفتن التي تعصف بأمتنا الإسلامية هذه الأيام، هي القضية البارزة على الساحة الآن، وأبرز تحدٍّ يواجه العصر، ومن خلال سيرة السيدة زينب ؟ نسلط الضوء على ممارسة السلطة الأموية، من عنف وقمع وبطش استهدف أهل البيت ؟ وأتباعهم».

وأضاف أن أهل البيت ؟ تعرضوا لأبشع أنواع البطش والإجرام في كربلاء، فقتل سبط الرسول ؟ وجمع من أهل بيته بأبشع صورة، واعتدي على الأطفال، وضربت وسبيت النساء، مشيرًا أن عائلة الحسين وهي عائلة الرسول ؟ تعرضت للسبي والمهانة، وفي طليعتهم السيدة زينب ؟، وهذا يؤدي بنا إلى تسليط الضوء على إرهاب السلطة عندما تكون قمعية، وإلى تسليط الضوء أيضًا إلى موقف المعارضة، وهل يجوز أن تقابل هذا الإرهاب من السلطة بإرهاب مماثل.

ولفت الصفار إلى أن المعارضة يجب أن تكون معارضة بناءة هادفة، تنمي الأجيال على نبذ الإرهاب والعنف والبطش، ومواجهة إرهاب الدولة بالعمل البناء الهادف، الذي يخدم المجتمع بمختلف أطيافه، مشيرًا إلى أننا اليوم نرى نتائج هذه المعارضة في بقاء ذكر أهل البيت ؟، الذين كانوا الأحقّ بالخلافة بعد رسول الله ؟ لكنهم تعرضوا للظلم والإرهاب ومع كل ذلك فإنهم لم يواجهوا هذا الإرهاب بالإرهاب، بل عملوا على البناء والعلم، وإفادة المجتمع، ومن هنا نشهد منهجهم باقيًا إلى اليوم، وخير دليل كلمة السيدة زينب ؟ في خطبتها بمجلس الطاغية يزيد «والله لن تمحو ذكرنا» فأهل البيت أصبح ذكرهم على مرّ العصور، أما بنو أمية فأصبحوا لعنة للأجيال.

وأضاف إننا نقرأ في تعاليم الإسلام، وسيرة الرسول ؟، وأهل البيت ؟، بأن العلاقة بين القائد والجمهور، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الدولة والمواطن، يجب أن تكون علاقة مبنية على الرحمة والمودة والحبّ والتعاون، ولا يصح أن تكون علاقة بطش وقمع وإرهاب، مضيفًا بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؟ كان يوصي

ولاته أن يستوعبوا الجميع، وألا يعاملوا المعارضة إلا المعاملة الحسنة، وأن يعطوهم ما يعطوا لجميع المسلمين، وأن يحتووهم ويعاملوهم بالعدل والمساواة.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن سيرة الرسول ﷺ تقدم لنا أروع المواقف والصفات، في كيفية التعامل مع أنصاره وأصحابه، مضيفًا: أن الرسول ﷺ كان نبيهم وقائدهم ولكنه لم يمارس البطش أو الاستعلاء عليهم، بل كان ﷺ رحيمًا عطوفًا معهم، وكما جاء بالذكر الحكيم: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، لافتًا إلى أن الرسول ﷺ واجه معارضيه في داخل المجتمع الإسلامي، الذين كانوا من المنافقين، يمثلون الطابور الخامس، الذي يتعامل مع المشركين واليهود، فتعامل معهم المعاملة الحسنة الطيبة، رغم أن الله سبحانه وتعالى أذن له باستعمال الشدة معهم، ولكنه ﷺ ظل يعاملهم المعاملة الطيبة الحسنة حيث كانوا يأخذون من بيت مال المسلمين، ويشاركون في الغنائم، ويجلسون مجالس الرسول، واستوعبهم بتلك المعاملة الطيبة الحسنة. وبين أن التاريخ لم يكتب أن الرسول ﷺ أمر يومًا بقتل أحد المنافقين، أو سجنه، أو بطش بأحد، أو أمر بقمعهم، بل ظلوا يشاركون المسلمين في جميع حقوقهم، مؤكدًا أن هذا خير دليل على أن الإرهاب ليس من تعاليم ديننا ولا من أخلاق نبينا المصطفى محمد ﷺ.

وأشار الشيخ الصفار إلى وجود المعارضة في المجتمعات في وقتنا هذا، مؤكداً أن وجودها في أيّ مجتمع أو دولة هو أمر مفيد؛ لأن الشأن العام يهم كل مواطن، ومن حق كل مواطن أن يشارك ويبدي رأيه بالأمور التي تخص المجتمع، وكما قال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، مشيرًا إلى أنه من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في وجهات النظر والآراء، لكنها يجب أن تصب كلها في مصلحة الوطن والمجتمع، فالمعارضة يجب أن تكون معارضة بناءة، لا تنجرف إلى الانحرافات والطرق غير السلمية، وألا تعامل الإرهاب بالإرهاب، بل أن تتخذ من سيرة الرسول وأهل بيته ﷺ منهاجًا لها، من خلال العمل والبناء من أجل المجتمع.

يذكر أن المؤتمر شـهد مداخلات وتعقيبات على كلمات المشـاركين في المؤتمر فكان من المداخلين الدكتور خالد الفضلي الذي بدوره عقّب على كلمة الشـيخ حسن الصفار، كما عقب الأسـتاذ إبراهيم عبدالسـلام على كلمة السيد مصطفى الزلزلة إمام وخطيب جامع الوزان، كما شـهد أيضًا مشـاركة من الناشطة الدكتورة فاطمة العبدلي، واختتـم اليـوم الأول مـن المؤتمـر بقيـام لجنة العلاقـات العامـة في المؤتمـر بتكريم المشاركين بتقديم الدروع التذكارية لهم.





في مؤتمر السيدة زينب الرابع بالكويت

الشيخ الصفار: أهل البيت لم يقبلوا العنف والاحتراب داخل الأمة*



تحدث الشيخ حسن الصفار في افتتاح فعاليات المؤتمر الرابع للسيدة زينب بالكويت عن معاناة أهل البيت من السلطة الأموية القمعية مشيراً إلى أنهم لم يعتمدوا في مواجهتها منحى العنف وإشهار السلاح، بل نشروا الوعي ومعارف الدين، وربوا أجيال الأمة على التمسك بالقيم والمبادئ، وكانوا خير قدوة وأسوة بأخلاقهم الرسالية العظيمة.

وكانت ورقة الشيخ الصفار في المؤتمر الذي افتتح مساء الثلاثاء ٣/ ٥/ ١٤٣٥هـ الموافق ٤/ ٣/ ٢٠١٤م في حسينية الإمام الحسين تحت عنوان (الإسلام دين السلام) قال فيها:

إن السلام في الإسلام ليس مجرد شعار يرفع، أو فكرة نظرية تتداول، بل هو استراتيجية متكاملة الأبعاد، تنطلق من إيمان عقدي ورؤية كونية، وترتكز على منظومة قيم ومفاهيم، وتمتلك برنامجاً تشريعياً يستوعب كل مجالات الحياة.

سلمية الدعوة:

وردًّا على ما يثار من شبهة انتشار الإسلام بالسيف والقوة أوضح الشيخ الصفار

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤م.

إقـرار القرآن الكريم لحرية العقيدة بقوله تعالى: ﴿لا إِكْـرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، وأن النبي بقي في مكة يتحمل الأذى وأصحابه ثلاثة عشر عاماً، ولم يسمح لهم بالرد بالعنف على المشركين، وإنما جاء الإذن بالجهاد فـي المدينة ضـد العدوان، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ الَّذِيـنَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

سلمية الدولة:

ومن تجليات السلم والسلام في الإسلام حسب ورقة الشيخ الصفار تأكيده أن يكون تعامل القيادة مع الأمة على أساس اللطف، والرحمة، واللين، والمشاركة، كما هي سيرة رسـول الله ﷺ حسـب وصف القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْـتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

ونقـل الشـيخ الصفار مـن السـيرة النبويـة والخلافة الراشـدة، صوراً مـن منهجية اسـتيعاب الدولـة لمواطنيهـا وعدم اسـتخدام لغـة القمـع والبطش تجـاه المعارضين والمخالفين.

سلمية المعارضة:

وتحدث الشـيخ الصفار عـن أهمية وجود معارضة بناءة في المجتمع الإسـلامي، تكتشـف الثغـرات ونقـاط الضعف، وتدعـو إلى التطـور والإصلاح، وتقـدم الحلول والبدائـل، لكن لا يصح أن تتجـه المعارضة للعنف والإرهاب وإثارة الاحتراب داخل الأمـة. وهـو المنحـى الخطير الـذي واجهه أميـر المؤمنيـن علي في حـروب الجمل وصفيـن والنهروان، والذي فتح على الأمة شـرور الفتن ولا تزال الأمة تعاني من ذلك إلى عصرنا الحاضر.

وأدان سـماحته حـركات التطـرف والإرهاب التـي تعتمد نهج التكفير وممارسـة العنف، مما شوه صورة الإسلام في العالم، وأحال الحياة في الكثير من بلاد المسلمين

إلى جحيم لا يطاق.

واستشهد بسيرة أئمة أهل البيت، الذين لم ينزلقوا لممارسة العنف وإشهار السلاح، رغم ما أصابهم من تهميش وسلب لحقوقهم وقمع لهم ولشيعتهم، أما ثورة الإمام الحسين فهي حالة استثنائية فرضتها ظروف معينة، ولم يكن الحسين راغباً في الحرب والقتال، حيث رفض أن يبدأ القتال، وطلب السماح له بالعودة من حيث أتى، لكنهم أرادوا إجباره على البيعة ليزيد.

وقال: «الإمام زين العابدين مع كل ما عاناه في كربلاء من قتل أبيه وأهل بيته وأصحابه، وسبي نساء آل البيت بتلك الصورة البشعة المهينة، إلا أنه لم يشارك في ثورة أهل المدينة سنة ٦٣ هـ التي عرفت بواقعة الحرة».

وأضاف: «وهكذا لم يقبل الإمام جعفر الصادق المشاركة في ثورة العباسيين، رغم الإلحاح عليه من أبي مسلم الخراساني وأمثاله».

وتمنى الشيخ الصفار في ختام حديثه أن تتجاوز الأمة هذه المرحلة الخطيرة، بانفتاح الحكومات على شعوبها، واستجابتها لتطلعاتهم، وبمحاصرة قوى التطرف والإرهاب.

وقد حضرت فعاليات المؤتمر شخصيات علمية وأكاديمية وحشود من المواطنين الكويتيين من الرجال والنساء.

كما غطت وسائل الإعلام برنامج المؤتمر.





الشيخ الصفار يزور مهرجان «قطيفنا خضراء 3»*

قام سماحة الشيخ حسن الصفار مساء السبت ٣٠/ ٤/ ١٤٣٥هـ الموافق ١/ ٣/ ٢٠١٤م بزيارة تفقدية لمهرجان قطيفنا خضراء٣ وتجول بين جنبات المهرجان، واطّلع عن قرب على الفعاليات المختلفة. وقد توقف سماحته عند كل ركن من الأركان المشاركة، واستمع لشرح المسؤولين فيه، وشكرهم لما يبذلونه في سبيل تثقيف المجتمع.

كما تعرف على تجربة نور علي الدبيسي أصغر غواصة، التي حصلت على رخصة محلية ودولية تسمح لها بالغوص، وقد غاصت في البحر الأحمر والخليج العربي.

وعبّر الشيخ الصفار عن ثقته بشباب وطاقات المجتمع. وأنه يرى من خلال تفانيهم وإخلاصهم في رسم صورة مشرقة ومشرفة عن مجتمعهم وحضارتهم وتراثهم، الأمل الكبير في مستقبل المنطقة. كما طالب جمعية العطاء بأن تعمل وتتواصل مع المسؤولين من أجل استصدار قوانين تحمي البيئة، ولا يكتفون بالتثقيف الوقتي لمخاطر تلويث البيئة.

وشكر الشيخ الصفار القائمين على إدارة المهرجان، لما يبذلونه من جهد كبير، وحرص بالغ على النجاح والتقدم. يشار إلى أن جمعية العطاء النسائية الخيرية بمحافظة القطيف تقيم هذا المهرجان البيئي للسنة الثالثة.

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤م.





القراءة الموضوعية للمذاهب تعزز نهج التقارب والتعايش

أكد الشيخ حسن الصفار أن لا خيار للشعوب الإسلامية إلا التعايش فيما بين مكوناتها المذهبية، وأن البديل هو نفق الفتنة والاحتراب، الذي يهدر طاقات الشعوب، وينافي مقاصد الدين وأهدافه السامية، ويعطي الفرصة لنفوذ وهيمنة الأجانب الطامعين.

وقال الشيخ الصفار في مشاركته في الملتقى الثقافي للتعريف بدائرة المعارف الحسينية الذي انعقد في دولة الكويت برعاية رسمية، مساء الأربعاء ٤ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ الموافق ٥ مارس ٢٠١٤م: (إن من أسباب القطيعة والتنافر بين أتباع المذاهب الإسلامية، من السنة والشيعة، النظرة المشوّهة لدى كل طرف عن الآخر، بسبب اعتماد مصادر غير مباشرة ولا موضوعية، تروج للآراء الشاذة بين المذاهب، وتنقل عن التراث المذهبي أسوأ ما فيه فتؤجج النفوس وتخلق أرضية الفتن الطائفية).

وأشاد بالمجلدات التي خصصها المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي في دائرة المعارف الحسينية عن التشريع الإسلامي، وعرض فيها للمذاهب الإسلامية السبعة (الإمامي ـ الزيدي ـ الأباضي ـ المالكي ـ الشافعي ـ الحنفي ـ الحنبلي)، بموضوعية تاريخية وعلمية، كما عرض لتاريخ ودور كل الحواضر العلمية الدينية السنية والشيعية.

وعند تناوله لما ورد عن الإمام الحسين من نصوص فقهية، قام الشيخ الكرباسي

ببحث فقهي مقارن لكل مسألة على رأي جميع المذاهب السبعة، إضافة إلى بحثه الموسع عن مصادر التشريع الإسلامي حسب المدارس الفقهية الإسلامية، وتظهر دراسة الشيخ الكرباسي مدى التقارب في الأصول والمنابع الإسلامية التي تستقي جميعها من كتاب الله وسنة رسوله ، لكنها تختلف في بعض المباني الأصولية ومناهج الاجتهاد والبحث. كما تظهر الدراسة تعدد الآراء الفقهية داخل كل مذهب.

وأشاد الشيخ الصفار بالجهد الموسوعي الكبير الذي يقوم به الشيخ الكرباسي في (دائرة المعارف الحسينية) قائلاً: « كلما اطلعت على باب جديد من أبواب هذه الموسوعة المعرفية الفريدة من نوعها (دائرة المعارف الحسينية) أزداد دهشة وإكباراً للجهد العلمي المميز الذي يقوم به مؤلفها سماحة العلامة المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي، فهو جهد عظيم، لا يمكن أن ينتج إلا عن مؤسسة ضخمة هائلة الإمكانات، وفريق عمل كبير يضم مختلف التخصصات العلمية والفنية.

لكن الله تعالى قد حبى الشيخ الكرباسي همة عالية، وإرادة قوية، وطاقة جبارة، وأفاض عليه من لطفه وفضله ذكاءً وقاداً، وذهنية منفتحة، ومستوى علمياً راسخاً، فقام بأعباء هذا الطموح الكبير، وأنجز هذا المشروع الريادي المبارك، بمساعدة عدد محدود من الباحثين المخلصين.

وأعتقد أن هذا المشروع الحضاري مظهر من مظاهر العناية الإلهية بشخصية الإمام الحسين، إلى جانب خصائصه الشريفة الأخرى.

يستحق هذا المشروع المعرفي الحضاري اهتماماً وحفاوة أكبر في ساحة الأمة والعلم، فهو استعراض رائع، وتنظيم دقيق لأهم أبحاث الفكر الإسلامي في أبعاد متعددة، وهو سجل توثيقي أمين، لحراك وعطاءات نخب الأمة وجماهيرها، فيما يرتبط بالنهضة الحسينية الخالدة.

إن مساحة الحبّ والعشق لأبي عبدالله الحسين مساحة شاسعة مترامية الأطراف في الزمان والمكان، تزخر بألوان العطاء والفاعلية والبذل في سبيل إحياء ذكر أبي

عبدالله الحسين، وتعظيم مجد تضحيته من أجل حماية الدين والرسالة.

وحري بهذه الساحة التي تفيض بالولاء للحسين أن تهتم وتحتفي أكثر بهذا المشروع الحسيني الرسالي، إلى جانب اهتمامها بسائر الشعائر الحسينية، كالمآتم والمواكب والزيارات.

وكم للإمام الحسين من أوقاف ضخمة لا تخلو منها بقعة من بقاع الإسلام! وكم ينفق الموالون للحسين من جهود وثروات هائلة لإحياء ذكراه! وهو قليل في حقّ سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة، فلتوجّه بعض تلك الجهود والعطاء لدعم مثل هذا المشروع الحسيني الرائد.

إن أحد أبواب دائرة المعارف الحسينية يتمحور حول تراث الامام الحسين وعطائه في مجال التشريع الإسلامي، ويقع هذا الباب في عشرة أجزاء، صدر منها أربعة أجزاء في أكثر من ألفي صفحة.

وكنت مهتماً بالاطلاع على أجزاء هذا الباب، لأن خوض غمار هذا البحث يشكل تحدّياً تخصصياً كبيراً، فهو يحتاج إلى قدرة على استخدام أدوات الاستدلال واستنباط المسائل الفقهية، وهي ممارسة يقوم بها الفقهاء المجتهدون المتفرغون في الحوزات العلمية فهل سينجح الشيخ الكرباسي في هذا التحدّي، كما نجح في تناوله لأبحاث ترتبط بالسيرة والتاريخ والأدب والتراجم والثقافة والفكر وسائر ما تناول من أبحاث؟

لكني بعدما اطّلعت على المجلدات الأربعة المطبوعة، أهنيء الشيخ الكرباسي على توفيق الله بالنجاح في خوض غمار هذا البحث الفقهي الاستدلالي.

وقد أقيم الملتقى تحت رعاية وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي، الشيخ محمد العبدالله، ومن قبل إدارة الوقف الجعفري في الأمانة العامة للأوقاف في الكويت، وجمعية المستقبل الثقافية الاجتماعية، وافتتح الملتقى بالسلام الوطني لدولة الكويت، وحضره مسؤولون ونواب وسفراء ودبلوماسيون ورجال أعمال

وعلمـاء ديـن وأكاديميـون وأدباء، مـن مختلف دول مجلـس التعـاون الخليجي ومن اليمن والمملكة المتحدة البريطانية.

وإلى جانب الشيـخ الصفار شـارك من المملكة العربية السـعودية الدكتور الشـيخ عبدالرحمن المحرج الذي ألقى كلمة جميلة مؤثرة أكدّ فيها: أن محبة الإمام الحسـين ديـن يديـن اللـه به كل مسـلم، وأن الحسـين مائز بيـن الحـق والباطل، مشـيداً بدائرة المعارف الحسينية، مشدداً على حاجة الأمة للوحدة والتقارب والتعايش.

كما ألقى شاعر المملكة الموهوب الأستاذ جاسم الصحيح قصيدة رائعة بالمناسبة.

وتضمـن الملتقـى افتتـاح معرض لدائـرة المعارف الحسـينية التي صـدر منها ٨٦ مجلداً من مجموع ٩٠٠ مجلد يتوقع إنجازها.



٧

الصفار للشرق الأوسط: مشايخ الشيعة لا يقبلون استخدام أحد أبنائهم العنف ضد الدولة والمجتمع*

أصـدرت مجموعـة من علماء الطائفة الشـيعية فـي محافظتي القطيف والأحسـاء (شـرق السـعودية) أمـس بيانًا أدانوا فيه اسـتخدام السـلاح ضـد الدولـة أو المجتمع، محذّرين الشباب من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف في البلاد.

وأشار الموقعون على البيان وعددهم عشرة من علماء المحافظتين إلى أن التطرف لا يحل مشـكلة ولا يحقق مطلبًا، «بل يزيد المشـكلات تعقيدًا ويحقق مآرب الأعداء الطامعين».

وجـاء في بيان علماء الطائفة الشـيعية: «لقد بليت مجتمعـات الأمة في هذا العصر بجماعـات وتيـارات متطرفة تمارس الإرهـاب والعنف تحت عناوين دينية وسياسـية والدين بريء من الإرهاب والعنف السياسي يدمر الأوطان».

وقال الشيخ جعفر آل ربح، وهو أحد الموقعين على البيان، لـ«الشرق الأوسط»، إن المشايخ والعلماء الذين وقعوا على البيان لم يدفعهم قانون (نظام) مكافحة الإرهاب أو بيـان وزارة الداخليـة الأخير، وإنما طرحت الفكرة قبل نحو عامين، ولكن بعد الحادث الأخير الذي وقع في بلدة العوامية جرى تجديد المبادرة وكان لها قبول اجتماعي.

---

* جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم الاثنيـن ٩ جمـادى الأولـى ١٤٣٥ هـ الموافق ١٠ مارس ٢٠١٤م، العدد ١٢٨٨٦.

يشـار إلى أن بلدة العوامية شـهدت يوم ٢٠ فبراير (شباط) الماضي مقتل اثنين من رجال الأمن واثنين من المطلوبين أمنيًا.

وأكد الشيخ آل ربح أن الفكرة والمبادرة نابعة من قناعة أبناء الطائفة الشيعية، ووعي علماء الطائفة بأن هذه الفترة في حياة الأمة فترة حرجة وأن الوطن مستهدف. وأضاف: «لهـذا كان لا بـدّ من أن نتدارك الوضع ونحن جزء من هذا الوطن الكبير، نفخر بقيادته ونعتز بالولاء له، ونقف مع أبناء وطننا في خندق واحد للدفاع عنه وعن أمنه».

بدوره، أكد الشيخ حسن الصفار، وهو أحد الموقعين، أن البيان لا يعبر عن موقف جديد في وسـط علماء الشـيعة في السـعودية، إذ سـبق أن أعلنوا انحيازهم للوطن في جميـع المنعطفـات وتجاه كل التحدّيـات التي اسـتهدفت الوطن، ومنهـا البيان الذي أصدره علماء ومشايخ الطائفة في ٢٠ أغسطس (آب) من عام ٢٠١٢. وقال: «تحدث عدد من علماء الشيعة السعوديين في خطبهم كثيرًا ضد العنف والتطرف والإرهاب في مختلف المناسـبات، ولي شـخصيًّا عدة محاضرات وكتابات بهذا الاتجاه». وأضاف: «إن المجتمع في محافظة القطيف عانى منذ سنوات من وجود عصابات إجرامية تسرق وتنهـب وتخطف، وطالب رجال المجتمع الدولة بوضع حـدٍّ لها، وكان هناك لقاءات مع المسؤولين حول هذا الموضوع قبل نحو خمس سنوات».

ولفت الصفار إلى أن علماء الشـيعة لا يقبلون بأن يسـتخدم أحدٌ من أبنائهم العنف ضـد الدولة أو المجتمع، تحت عنوان ديني أو سياسـي؛ لأن العنف والتطرف «يسـيء لأيّ قضيـة يرتبط بها وإن كانـت عادلة، ولذلك أصدروا هذا البيان اسـتمرارًا لنهجهم الوطني».

٧

الصفار لـ «الاقتصادية» : أمن واستقرار الوطن مقصد أساسي*

عبد العزيز الفكي

حـذّر علماء القطيف والأحسـاء، الشـباب مـن الانجراف خلـف توجهات العنف والتطرف، وأدانوا اسـتخدام السـلاح ضد الدولـة أو المجتمع، مؤكديـن في بيان لهم أمس أن التطرف لا يحلّ مشـكلة ولا يحقق مطلبًا، بل يزيد المشـكلات تعقيدًا ويحقق مآرب الأعداء الطامعين؛ داعين الله أن يحفظ المملكة والمجتمع السعودي من الفتن والمكاره وينعم عليها بالأمن والاستقرار.

وقال لـ «الاقتصادية» الشيخ حسن موسى الصفار: إن إدانة العنف الداخلي وتجريم الإرهاب هو موقف شرعي ثابت، طالما أكده العلماء الواعون وعرضوه في الكثير من الخطب والكتابات المطبوعة.

وتابع: «إن الحرص على اسـتتباب الأمن والاسـتقرار في الوطن مقصد أساس من مقاصـد الديـن، وإن وجود السـلاح في أيد غير مسـؤولة يهدد أمـن المجتمع ويجعل النـاس غير مطمئنين ولا آمنين، لذا نحذر كل شـبابنا وأبنائنا الأعزاء من الوقوع في فخ الحماس الطائش والانفعالات غير المنضبطة»، مضيفًا أن المجتمع السـعودي تسوده الـروح الوطنية وثقافة التسـامح والانفتاح ولا يقبل بتسـلل توجهـات متطرفة إليه فهو

* جريدة الاقتصادية الصادرة يوم الاثنين ٩ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ. الموافق ١٠ مارس ٢٠١٤م، العدد ٧٤٥٥.

مجتمع عريق في تاريخه الوطني والوحدوي.

وبالعـودة إلـى بيـان علمـاء القطيـف والأحسـاء الـذي حـذروا فيـه الشـباب من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف، وأدانوا فيه اسـتخدام السـلاح ضد الدولة أو المجتمع، وجاء نص البيان: «لا شك أن أعظم مقصد للدين وأهمّ مطلب للمجتمع هـو بسـط الأمن والاسـتقرار في البـلاد. وقـد بليت مجتمعـات الأمة في هـذا العصر بجماعـات وتيـارات متطرفة تمارس الإرهـاب والعنف تحت عناوين دينية وسياسـية والدين بريء من الإرهاب، والعنف السياسـي يدمّر الأوطان، وما نعرفه من سيرة أئمة أهـل البيت ومن توجيهاتهم الهادية أنهـم يؤكدون حفظ وحدة الأمة ورعاية المصلحة العامة، ورفض أيّ احتراب داخلي حماية للسـلم والأمن في مجتمع المسلمين وذلك هو نهج مراجعنا وفقهائنا الكرام؛ لذا نحذّر أبناءنا وشبابنا الأعزاء من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف فهو لا يحلّ مشـكلة ولا يحقق مطلبًا، بل يزيد المشـكلات تعقيدًا ويحقق مآرب الأعداء الطامعين، ونؤكد أن أيّ اسـتخدام للسـلاح والعنف في وجه الدولة أو المجتمع مدان ومرفوض من قبل علماء المذهب وعموم المجتمع ولا يحظى بأيّ غطاء ديني أو سياسي».

وختـم البيان بالدعـاء، أن يحفظ اللـه بلاد الحرمين مـن الفتن والمـكاره ويمتعها بنعمتي الأمن والاستقرار.

ووقع على البيان كل من المشايخ: عبد الله الخنيزي، وعلي الناصر، وعبد الكريم الحبيل، وحسـن الصفار، وجعفر الربح، ويوسـف المهدي، وحسين البيات، وحسين العايش، وعادل بو خمسين، وكامل الحسن.

في تصريح لجريدة الحياة الشيخ حسن الصفار:

العنف أسوأ طريق لمعالجة المشكلات*

ردًّا على اتصال من جريدة الحياة صرح الشيخ الصفار بما يلي:

إن أسوأ طريق تسلكه أيّ جهة لمعالجة ما تعانيه من مشاكل في بلادها، هو طريق العنف والتطرف؛ لأنه يؤدي إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح، ونشر الرعب والخراب، ويقدم لأعداء الوطن والأمة أفضل الفرص لخدمة أطماعها.

لذلك على علماء الأمة في كل الدول أن يجهروا برأيهم الشرعي في مواجهة الإرهاب والعنف والتطرف، وعلى الحكومات أن تشرع أبواب الخيارات الأخرى أمام مواطنيها لمعالجة المشكلات، لكي لا ينفذ المتطرفون من خلال حالة الإحباط واليأس.

ومن هذا المنطلق أصدر علماء الشيعة في الأحساء والقطيف بيانهم الأخير، الذي سبقته بيانات وخطابات وجهود تصب في نفس الاتجاه الرافض للعنف، والداعي إلى معالجة المشكلات بالحوار والوسائل السلمية المشروعة.

إن بلادنا كسائر البلدان لا تخلو من وجود نواقص ومشكلات، لكن فقدان الأمن والاستقرار، وإثارة أجواء التشنج الطائفي هو الخطر الأكبر والمشكلة الأسوأ.

وقد نشرت الجريدة مقاطع من التصريح المذكور في عدد اليوم الثلاثاء، ١١ مارس/ آذار ٢٠١٤م، ٩ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ.

---

* جريدة الحياة الصادرة يوم الثلاثاء، ١١ مارس٢٠١٤م الموافق ٩ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ، العدد ١٨٦٠٣.





على دعاة الإصلاح الديني أن يكونوا أكثر تأصيلاً وجرأة

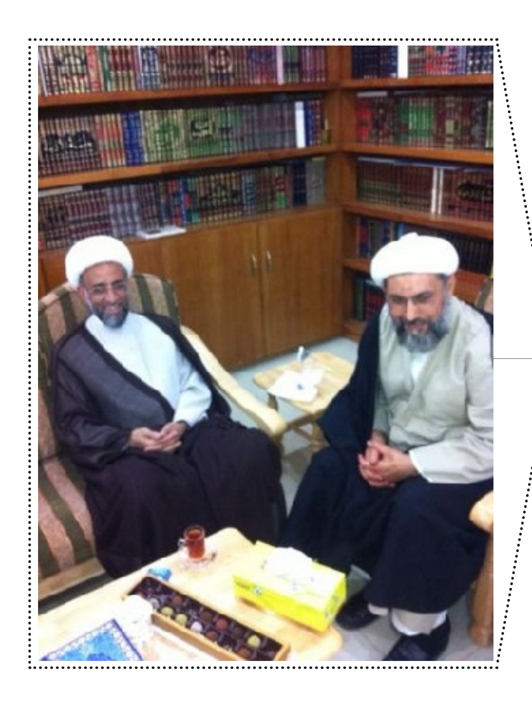
قال الشيخ حسن الصفار: إن خط الإصلاح والتطوير في الفكر الديني خط عريق في تاريخ الأمة، يتجدد في كل عصر وزمان، وخاصة أمام التحدّيات التي تواجه الدين والأمة؛ لأن التحديات وتغيّر ظروف الحياة، وتقدم المعرفة، تطرح تساؤلات جديدة، وتتطلب إجابات وحلولاً مناسبة للتطور الاجتماعي، وهنا تأتي قيمة وأهمية فتح باب الاجتهاد في الإسلام.

جاء ذلك في حديث للشيخ الصفار في ضيافة ديوان الميثاق في الكويت مساء يوم الاثنين ٢/ ٥/ ١٤٣٥هـ الموافق ٣/ ٣/ ٢٠١٤م، حضره حشد من الأكاديميين والمثقفين الكويتيين، حيث أبدى الشيخ الصفار تفاؤله باتساع رقعة النقد، ومراجعة التراث في الوسط السني والشيعي، مشيراً إلى بعض الأصوات والأقلام الناقدة في المدرسة السلفية بالمملكة العربية السعودية، التي أصبحت تناقش أموراً كانت حتى بالأمس القريب من المسلمات في المدرسة السلفية، كما استعرض مكاسب وإنجازات حركة الإصلاح الثقافي في المجتمع الشيعي، مستشهداً بالشيخ النائيني، والسيد محسن الأمين، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ المظفر، والشهيد الصدر، والشهيد مطهري، والسيد فضل الله، والشيخ شمس الدين، وعشرات الأسماء من العلماء والمفكرين الشيعة المعاصرين.

وقـد طرح عدد مـن الحاضرين في اللقاء تسـاؤلات وانتقادات، لما سـمّوها حالة من النكوص والتراجع في الثقافة الشـيعية السـائدة، وخاصة مـن خلال خطاب بعض الفضائيات؟

ودعا الشيخ الصفار المتسائلين إلى النظر للنصف المليء من الكوب، حيث تتسع رقعة دعاة الإصلاح والتجديد في السـاحة الشـيعية، لكن طبيعة التغيير الثقافي تتطلب وقتاً، وتسـتلزم كلفة وأثماناً على الإصلاحييـن أن يتحملوا دفعها. فهناك أجواء طائفية ملتهبـة، وخـوف وقلق علـى الهوية، وخشـية من تمييـع المذهب، وتقديـم التنازلات للآخـر المخالـف، مما يوجب على دعـاة الإصلاح أن يدعمـوا طروحاتهم بالتأصيل العلمـي، وليس مجرد طرح الشـعار أو النقد الإنشـائي، كما أن عليهـم أن يكونوا أكثر جـرأة في طـرح آرائهم، وأن يتحلوا بالصبر على الضغـوط، وما يواجههم من حملات تشكيك وتشويه، فذلك من طبيعة المعارك الفكرية والصراعات الدينية الداخلية.





الشيخ الصفار: التواصل المذهبي بين الشيعة والسنة في المملكة تجارب ثرية وإيجابية*

قال الشيخ حسن الصفار في حديث له في مجلس سماحة الشيخ عبدالله دشتي في الكويت: إن تجربتنا في المملكة العربية السعودية في التواصل بين النخب الدينية والثقافية من السنة والشيعة، تجربة ثرية وإيجابية ومشجعة.

وكان الشيخ عبدالله دشتي أحد أبرز علماء الشيعة في الكويت، وإمام مسجد الإمام المهدي في منطقة الرقعي، قد استضاف الشيخ الصفار في مجلسه مساء يوم الخميس ٥/ ٥/ ١٤٣٥ الموافق ٦/ ٣/ ٢٠١٤م بحضور نخبة من الأكاديميين والمثقفين، طلبوا من سماحته تسليط الأضواء على تجربة التواصل مع علماء السنة، وخاصة السلفيين في المملكة، فتحدث الشيخ الصفار منطلقاً من ثلاث نقاط:

الأولى: أن التواصل والتقارب بين أبناء الأمة على اختلاف مذاهبها يجب أن يكون مبدءاً واستراتيجية يعمل من أجلها كل الواعين والمخلصين، استجابة لأمر الله تعالى، وأمر رسوله، وتوجيهات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الثانية: أن العقل يرشد إلى أن التعايش بين الطوائف والمذاهب هو الخيار الصحيح، وهو ما يحقق المصلحة الوطنية المشتركة؛ لأن البديل هو التنازع والتنافر

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٢/ ٣/ ٢٠١٤م.

وتفتت المجتمع. وأن حالات الصراع المأساوية في البلدان الأخرى، يجب أن تدفعنا إلى حماية أوطاننا من التمزق والتفرقة.

الثالثة: أن وجود أصوات متطرفة وتكفيرية لا يبرر العزوف عن السعي للتواصل والتقارب، فالتطرف وإن كان هو الصوت الأعلى في ظروف التخندق الطائفي، لكنه لا يمثل الجميع، ففي كل الطوائف أصوات متطرفة في السنة والشيعة، وإن تفاوتت نسبة التطرف ومساحته، كما يوجد معتدلون ووسطيون هم الأكثرية في السنة والشيعة.

واستعرض سماحته تجارب العلاقة في المملكة منذ انطلاق الحوار الوطني، الذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين، وتحدث عن الدعوات واللقاءات التي شارك فيها في الرياض وجدة والطائف والمدينة وأنحاء من المنطقة الشرقية، ووجد فيها ترحيباً من مضيفيه ومن جمهور المستمعين، ومعظم تلك اللقاءات غطيت إعلامياً، ووثقت في كتب مطبوعة.

كما استعرض زيارات علماء ومثقفين وأكاديميين من أهل السنة، ومنهم شخصيات سلفية لمجالس ومنتديات شيعية في القطيف والأحساء، وقال إنه: لا يكاد يمر شهر دون أن تتخلله زيارة أو لقاء لأحد الشخصيات السنية في منتديات شيعية، أو أحد الشخصيات الشيعية في منتديات سنية.

وفي إجابة للشيخ الصفار عن سؤال أحد الحاضرين بوجود اعتراضات داخل الشيعة على هذه العلاقة مع السلفيين، كما تظهره بعض الكتابات والمواقف المعترضة، قال الشيخ الصفار: من الطبيعي أن تتعدد المواقف حول العلاقات المذهبية داخل المجتمع الشيعي، وكذلك داخل المجتمع السني، فكما يتعرض الساعون للتقارب من الشيعة لحملات من التشكيك والاتهامات داخل مجتمعهم، كذلك يتعرض الساعون للتقارب من السنة لحملات مماثلة في أوساطهم، بتأثير الأحداث السياسية التي تعصف بالمنطقة بصبغة طائفية، وبفعل الشحن الإعلامي، واختلاف وجهات النظر، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يزيد الواعين المخلصين إلا إصراراً على الانفتاح، واستمرار مساعي التواصل والتقريب، للحدّ من أضرار وأخطار الفتن الطائفية على الأوطان والأمة.



إدانة استخدام السلاح*

زياد محمد الغامدي

المبادرة بالحق شيمة أصيلة من ذوي الخلق الرفيع والحكمة والصدق. قول الحق شيمة من صلب ديننا الحنيف، تستحق المدح من المتلقي، والفخر من كل من تصدر منه كلمة الحق. الصدق في القول والوضوح فيه يبعث على الطمأنينة والسكينة والأمان. قول الحق ليس خيارًا للمرء بل اختبارًا له في المواقف الحازمة، التي تتطلب قوة في إظهار الصواب مهما كانت النتائج وردات الفعل، والحقيقة الأكيدة أن قول الحق لا يأتي إلا بخير. ولا يعاند الصواب ويقاومه سوى أصحاب النفوس السقيمة، الذين لا يسعدون سوى للزيف والباطل.

وحين يأتي الأمر للتصدي للإرهاب وسوء فعله ونتائجه، يصبح الأمر قضية مصير، ويصبح التصدي له ومحاربته أمرًا لا حياد عن الوضوح فيه، ولا خيار في تجريم فعله وفضح نتائجه. ومن هنا تأتي أهمية البيان الذي صدر عن علماء القطيف والأحساء، والذي حذروا فيه الشباب من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف، والذي أدانوا فيه استخدام السلاح ضد الدولة أو المجتمع.

البيان أثلج صدر كل من قرأه وسمع عنه. كيف لا والمنطقة برمتها تمر بمنعطف خطير، يسعى أصحاب الأجندة السيئة إلى جرّ بلادنا في تقلباته وتعرجاته الخطيرة.

---

* نشر بصحيفة الاقتصادية الصادرة يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ. الموافق ١٣ مارس ٢٠١٤م، العدد ٧٤٥٨.

نـصّ البيـان الذي أكد أن الأمـة «بليت بجماعـات وتيارات متطرفة تمـارس الإرهاب والعنف، تحت عناوين دينية وسياسـية، والدين بريء من الإرهاب، والعنف السياسي يدمر الأوطان، وما نعرفه من سيرة أئمة أهل البيت ومن توجيهاتهم الهادية أنهم يؤكدون علـى حفظ وحدة الأمـة، ورعاية المصلحة العامة، ورفـض أي احتراب داخلي حماية للسـلم والأمن في مجتمع المسـلمين، وذلـك هو نهج مراجعنا وفقهائنـا الكرام» يعبر عن لسـان حـال وفكر كل وطني صادق غيور مخلص لوطنه، كمـا يأتي كتأكيد لجميع الأطـراف الخارجيـة المراهنـة على إحداث فتنـة مذهبية في بلادنا، علـى أن المذهب الشيعي لا يقبل أيّ شكل من أشكال العنف تحت أيِّ مسوغ كان.

كمـا نـص البيـان الحكيم علـى التحذير «مـن الانجـراف خلف توجهـات العنف والتطرف، فهو لا يحلّ مشـكلة، ولا يحقق مطلبًا، بل يزيد المشكلات تعقيدًا، ويحقق مآرب الأعداء الطامعين، ونؤكد أن أيّ اسـتخدام للسـلاح والعنف في وجه الدولة أو المجتمع مدان ومرفوض، من قبل علماء المذهب، وعموم المجتمع، ولا يحظى بأي غطـاء دينـي أو سياسـي». وهذا التحذير يؤكد لـكل مغرّر به أن الأصوات النشـاز التي ينطق بها ذوو الأطماع والأحلام بإحداث شـرخ في بلادنا، ما هي سـوى أصوات شرّ، صـادرة مـن نفوس شـريرة لتحقيق أهداف وأجنـدات قذرة، ولا ينبغي الاسـتماع لها، بل على العكس ينبغي التصدي لها وبكل قوة ممكنة، فبلادنا ليسـت مسـرحًا لتجارب المخربين والمندسين وأصحاب الأهواء.

تأكيد الشـيخ حسـن الصفار على أن «المجتمع السـعودي تسـوده الروح الوطنية، وثقافة التسـامح والانفتاح، ولا يقبل بتسـلل توجهات متطرفة إليـه، فهو مجتمع عريق في تاريخه الوطني والوحدوي» يستحق الإشادة هو الآخر.

فكلمات الشـيخ حسن الصفار عن الوطن السعودي العظيم حقيقة نعيشها جميعًا، ونفتخـر بهـا أمام الأمم. العالـم كلّه يقر بأن وحدتنـا الوطنية نـادرة، فبلادنا رغم تعدد مذاهبهـا وقبائلها ومجتمعاتها وثقافاتها ومشـاربها، تظلّ الأقـوى في لحمتها الوطنية،

وصلابـة جبهتهـا الداخليـة. ويثبـت التاريخ أن المؤامـرات كافة تتحطم أمـام صلابتنا وقوتنا ويقظتنا.

كما يأتي تأكيد الشـيخ حسـن الصفـار لـ «الاقتصاديـة» أن «إدانة العنـف الداخلي وتجريـم الإرهـاب موقف شـرعي ثابت، طالما أكـده العلماء الواعـون، وعرضوه في الكثير من الخطب والكتابات المطبوعة»، كصفعة في وجه جميع الأصوات المسـوقة للعنـف تحـت غطاء مذهبي. أصوات باطلة لا ينبغي لنا سـوى التصـدي لها وفضحها والتحذير من التعاطف معها.

يومًـا بعـد يـوم، وبلادنا الشـامخة تثبـت أنها أقـوى وأمتن وأصلب مـن أن تنخدع وتنجرف خلف الأعـداء المتآمرين. بلادنا ثبت للعالـم أن تعدد مذاهبها وتنوع ثقافاتها يزيدها قوة وصلابة وعمقًا وغنى. إن أمتنا السـعودية الأبية غنية بذوي الحكمة والعقل والرشـد، ولن يجـد أعداؤنا مدخلًا يمررون من خلاله أجندتهم الشـيطانية والملتوية، وما بيان علماء الأحسـاء والقطيف سـوى دليـل على صلابة جبهتنـا الداخلية، صلابة يسـتحيل معها اختراقنا تحت أي مسوغ أو مبرر. بلادنا مفخرة للإنسانية وشعلة سلام، في زمن أصبح فيه العنف والتطرف سيد الموقف للأسف الشديد. إن ما عبر عنه علماء الأحساء والقطيف من خلال بيانهم الوطني الرائع، يستحق الإشادة والمدح، كما يأتي البيان صفعة في وجه كل من راهن على إحداث شـرخ في بلادنا، والحقيقة أن الشـرخ لا وجود له سوى في عقولهم الشريرة القذرة.





وعلماء الشيعة من يشايعهم؟*

عبدالرحمن الوابلي

نحن ولله الحمد، نجتمع سنة وشيعة، شعبًا ومسؤولين، علماء ومراجع، نتراص ونتكاتف لحماية مملكتنا من كل إرهاب أو تطرف، لنجعلها مزارًا آمنًا لحجاج بيت الله، ومستقرًا آمنًا مطمئنًا لمواطنيها والوافدين إليها من كل بقاع الأرض

علماؤنا الشيعة الأفاضل في الأحساء والقطيف والعوامية، وباقي بلداتنا التي يقطنها أهلنا الشيعة في المملكة، مدوا أياديهم الوطنية البيضاء للإسهام في مكافحة العنف والإرهاب، الذي يحيك لنا ولبلادنا الشرور والفجور. وهذا منهم ليس بمستغرب، فهم يتحركون ضمن سياق تاريخي وطني شريف، نعمت به مملكتنا الحبيبة منذ تأسيسها، لا ينكره إلا مكابر أو جاهل بتاريخ مملكتنا.

فعلماؤنا الشيعة في القطيف هم من أفتى بعدم جواز سيطرة بريطانيا على منطقة القطيف والأحساء، عندما طلب منهم المندوب البريطاني «السامي» في المنطقة «طلب الحماية من بريطانيا»، كبقية المحميات البريطانية في الخليج. وآثروا على ذلك طلب الحماية من المغفور له المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وذلك انطلاقًا من القاعدة الشرعية «لا ولاية لكافر على مسلم» وبريطانيا كافرة وعبدالعزيز مسلم.

---

* نشر في جريدة الوطن السعودية الصادرة يوم السبت ١٥ مارس ٢٠١٤م، ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ العدد٤٩١٤.

إذًا، فطلب أهالي القطيف الحماية من الملك عبدالعزيز بن سعود، أتى نتاج فكر إسلامي قويم مدعوم بعواطف وطنية أصيلة، ومستند إلى تجربة تاريخية خلاقة «الدولتان السعوديتان الأولى والثانية».

ولذلك فليس بالمستغرب أن يدخل الملك عبدالعزيز منطقة القطيف وتوابعها مصحوبًا بأهازيج الفرح والترحيب، وليس بأزيز الرصاص ودوي المدافع والنحيب. وعلى هذا الأساس فدعوة علماء الشيعة الأفاضل شباب المملكة بشكل عام، وشباب المنطقة بشكل خاص، بالوقوف صفًّا واحدًا متماسكًا ومتراصًا، خلف قيادته الحكيمة الراشدة، ونبذ كل عنف، ورفض حمل السلاح في وجه الدولة رفضًا تامًا وقاطعًا، واعتباره جرمًا لا يغتفر بحق الذات والأهل والوطن، في ظلّ ما نشاهده حولنا من فوضى ومجازر واحتراب، أفزع وروّع العيون قبل العقول، وفتح البلاد المصابة بهوس الطائفية والاحتراب على مصراعيها لكل عدو طامع، وخصم شامت، وصديق عاجز، وحليف صامت.

ليس بالمستغرب أن تجسد النظرة الشرعية كمطلب على أرض الحياة كواقع معيش، من قبل علماء الشرع الأفاضل، لكونهم أهل تخصص وبيان في هذا الشأن، إذ أوردوا في بيانهم «أن أعظم مقصد للدين، وأهم مطلب للمجتمع هو بسط الأمن والاستقرار في البلاد»، وأشاروا إلى «أن مجتمعات الأمة بليت في هذا العصر بجماعات وتيارات متطرفة تمارس الإرهاب والعنف تحت عناوين دينية وسياسية والدين بريء من الإرهاب والعنف السياسي، إذ إن كل ذلك يدمر الأوطان». وحذّروا من العنف بجميع أشكاله «نحذر أبناءنا وشبابنا الأعزاء من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف، فهو لا يحلّ مشكلة، ولا يحقق مطلبًا، بل يزيد المشاكل تعقيدًا، ويحقق مآرب الأعداء الطامعين». وأصّلوا دعوتهم بذكرهم بأن: «وما نعرفه من سيرة أئمة أهل البيت ومن توجيهاتهم الهادية، أنهم يؤكدون حفظ وحدة الأمة ورعاية المصلحة العامة، ورفض أي احتراب داخلي حماية للسلم والأمن في مجتمع المسلمين، وذلك هو نهج مراجعنا وفقهائنا الكرام».

وليس بمستغرب على علماء الشيعة الأفاضل، محاربة الفكر المتطرف والخارجي، وشيعة الإمام والخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هم من أول من اكتوى بنار التطرف والإرهاب على يد غلاة الخوارج ومجرميهم.

ومن هذا المنطلق، أتى تأييد سماحة المرجع العلامة آية الله علي السيستاني، وعدد من علماء النجف، لبيان علماء القطيف والأحساء، حرصًا ودعمًا لاستقرار وأمن بلاد الحرمين الشريفين، التي لا ينبع منها، في ظل قيادتها الرشيدة، إلا كل عطاء خير ومحبة وسلام، للعالمين العربي والإسلامي والعالم أجمع.

ها نحن، ولله الحمد والمنة، نجتمع سنة وشيعة، شعبًا ومسؤولين، وعلماء ومراجع، نتراص ونتكاتف ونتعاضد لحماية مملكتنا الغالية، من كل عنف أو إرهاب وتطرف، لنجعلها مزارًا آمنًا لحجاج بيت الله، ومستقرًا آمنًا مطمئنًا لمواطنيها والوافدين إليها من كل بقاع الأرض. وهذه من بركات دعوة سيدنا أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، عندما دعا ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

علماؤنا الأفاضل من القطيف والأحساء، عندما سطرت أناملهم الوطنية الشريفة بيانهم، لم ينطلقوا من فراغ، إذ تجاوزا كل التفاصيل الصغيرة التي من الممكن عدم الوقوف عندها، وأكدوا على الخطوط العريضة التي على رأسها الخط الأحمر «أمن الوطن»، وذلك حرصًا منهم وخشية على أمن واستقرار الوطن وسلامة مواطنيه من أن تندس الأيادي الخارجية والداخلية القذرة، التي تتربص وتنتظر الانقضاض عليه، من خلال أي انفلات أمني يحدث هنا أو هناك، لا سامح الله.

وما سطّروه من بيان يحذر وينذر ويدين ويشجب العنف والتطرف والإرهاب من أي كائن كان، هو امتداد طبيعي لما سطرته بيانات وحناجر إخوانهم علماء السنة في المملكة. فهكذا يكون الاتحاد والحرص الوطني على أمن الوطن وسلامة مواطنيه، من قبل علماء الدين سنة وشيعة، مطلبًا دينيًا وإنسانيًا ووطنيًا ملزمًا في ظل الفوضى والاحترابات التي تضرب منطقتنا العربية يمينًا ويسارًا للأسف الشديد.

الطائفيـة هـي أم المهالك والشـرور، وأسـاس النزاعات والفتن فـي المجتمعات، والقضـاء عليها هـو في المقام الأول، يقع على عاتق علمـاء الدين، وذلك بعدم الكلل أو الملـل من إصدار البيانـات تلو البيانات، تدين وتجرم الطائفيـة، وتصنفها كنوع من التطـرف والإرهـاب، لما فيها من ضـرب للحمة الوطنية في الصميـم، وتمزيق لها، إذ ليس بصحيح أن كل من يثير الطائفية هو بالضرورة متدين أو محب لمذهبه، فقد يكون ساعيًا لشق الصف، وتدمير اللحمة الوطنية، وإشاعة عدم الاستقرار، لمآرب شتى منها العمالة للأجنبي، أو نية القفز على السلطة.

فـي بداية التسـعينيات من القـرن الماضي، وبالتحديـد بعد حرب الخليـج الثانية، قال لي شـاب قريب لي، إن شـابًا طلب منه جمع السـلاح وبيعه عليه، والبحث له عن مصادر أخرى لها. سألته: وماذا يريد الشاب بالسلاح؟ فقال لي: إنه يقول إن الشيعة في المنطقة الشرقية سيثورون على السنة هناك، وإن الإمارة هناك لن تتدخل، ولذلك فهم يسـتعدون بجمع السـلاح للتصدي لهم، طبعًا عددت القصة تافهة لا تستحق الالتفات إليها. ولكن بعد عدة سـنوات اكتشـفت أن الشـاب الذي سعى لشـراء وجمع السلاح هو أحد مؤسسـي القاعدة في المملكة، وأن مخازن الأسـلحة التي وجدت مدفونة هنا وهنـاك، هـي نتيجـة التحريض الطائفي. بالرغم أن من ضرب بالسـلاح هذا هم السـنة وليس الشيعة، أي عن طريق التحريض الطائفي توصلت القاعدة في بناء قاعدتها لدينا.

ولذلـك وتجاوبًا مع بيان علماء القطيف والأحسـاء الأفاضـل، ألا يجدر بأن تضم لائحـة الجرائم والتنظيمات المجرمـة التي أصدرتها وزارة الداخليـة الأخيرة، تجريم كل من يحرض على العنف الطائفي، أو يؤجج الطائفية أو المناطقية والقبلية والعرقية، أو يشـكك في ولاء أو دين أو وطنية أي فئة اجتماعية؛ حماية لجسـدنا الوطني ودفاعًا عن وطننا من أعداء الداخل والخارج.

أخيرًا، شـكرًا لعلمائنا الأفاضل الوطنيين، شـيعة وسـنة، وشـكرًا لـوزارة الداخلية وجنودها الأشـاوس. وفي الأول والأخير، شـكرًا لحامي الوطن الأول خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، أطال الله في عمره ورعاه.

٧

الصفار: الدافع للوصاية على الغالب.. مصلحي!*

أوضح الدكتور حسن الصفار أن الإنسان عانى ولا يزال يعاني من نوعين من محاولات الاستعباد والتسلط. استعباد لجسمه يقيّد حركته ونشاطه، وتسلط على فكره يصادر حرية رأيه، وحقه في التعبير عنه، وإذا كانت مظاهر الاستعباد المادي تقلصت، فإن ممارسات الوصاية الفكرية لا تزال واسعة النطاق، بخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية».

واعتبر الصفار ـ وفقاً لموقعه في الإنترنت ـ أن الوصاية الفكرية هي أن جهة ما تعطي لنفسها الحق في تحديد ساحة التفكير أمام الناس، وتسعى لإلزامهم بآرائها وأفكارها عن طريق الفرض والهيمنة، وأشار إلى أن أبرز مظاهر الوصاية الفكرية هي فرض الرأي على الآخرين بالقوة، ومصادرة حريتهم في الاختيار، والنيل من الحقوق المادية والمعنوية للآخرين بسبب اختياراتهم الفكرية، والاحتقار وسوء التعامل مع ذوي الرأي الآخر.

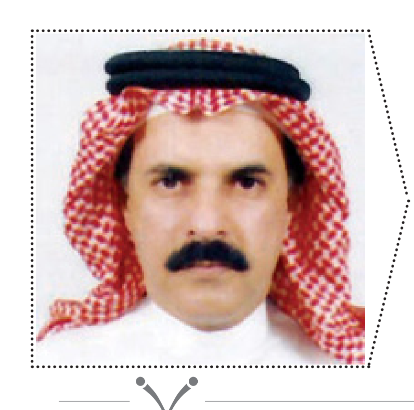
وقال: «إذا كان الله تعالى منح الإنسان عقلاً ليفكر به، وإرادة ليقرر ويختار، وليتحمل مسؤولية قراره واختياره، فلماذا يحاول البعض حرمان الآخرين من استخدام هذه المنحة الإلهية واستثمارها، فيمارسون الوصاية على عقول الآخرين وإراداتهم، فهم يفكرون نيابة عن الناس، وعلى الناس أن يقبلوا آراءهم. ومن تجرأ على المخالفة

---

* نشر بجريدة الحياة الصادرة يوم الجمعة، ١٤ مارس ٢٠١٤، الموافق ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٥، العدد ١٨٦٠٦.

ومـارس حريـة التفكيـر وحق الاختيار لما اقتنـع به من رأي، فله منهـم الويل والأذى! إذ يسـتخدمون ضـد المتمرديـن على هيمنتهم الفكرية، كل وسـائل الضغـط والتنكيل المادية والمعنوية».

وأكد أن الدافع الحقيقي لهؤلاء في ممارسـة الوصاية الفكرية، هو في الغالب دافع مصلحـي، بهدف تحقيق الهيمنة على الآخرين، واسـتتباعهم للذات، لكنهم يتحدثون عن دافع آخر يبررون به ممارستهم للوصاية الفكرية، وهو دافع الإخلاص للحق الذي يعتقدونه في رأيهم، والرغبة في نشر الحق وهداية الآخرين إليه.



لكيلا نخسر المزيد .. بالمهاترات*

د. سعيد بن على العضاضي

استعرض الشيخ حسن الصفار تجربة المملكة في التواصل بين النخب الدينية، والثقافية من السنة والشيعة، مشيرًا إلى أنها تجربة ثرية، وإيجابية ومشجعة، وذلك بحضور نخبة من الأكاديميين، والمثقفين في مجلس الشيخ «عبد الله دشتي» في دولة الكويت، حسبما ذكرته صحيفة اليوم السعودية الأسبوع الماضي. وسلط «الصفار» الأضواء على تجربة التواصل مع علماء السنة في المملكة، مبيناً أن التواصل والتقارب بين أبناء الأمة على اختلاف مذاهبها يجب أن يكون مبدأ واستراتيجية يعمل من أجلها كل الواعين والمخلصين.

ورغم اختلافي ليس فقط المذهبي مع الشيخ الصفار إلا أن الحق ما قال، وأراه صدق فيما ذهب إليه، وأنا أتفق معه جملة وتفصيلًا، خصوصًا في رغبته في قبول بعضنا باختلافاتنا، فهذا هو المعنى الحقيقي للحضارة الإنسانية والعلاقة بين الناس، حيث قد يختلف الناس ولكن يظل كل فرد وكل فئة تحترم غيرها وتقبله بعلاته، ويظل الاختلاف قائمًا إلا في وحدة الوطن والقضايا الجوهرية للأمة، فهذه خطوط حمراء لا نقبل بها.

كلام كهذا وحديث كالذي نسمعه من الشيخ الصفار يجب الوقوف عنده والإفادة

* نشر بصحيفة الاقتصادية الصادرة يوم الخميس ١٩ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ. الموافق ٢٠ مارس ٢٠١٤، العدد ٧٤٦٥.

منه. فالسني قد تربى بمبادئه وقيمه، ولا يمكن أن يتشيع، وكذلك الشيعي له طقوسه وعبادته ومعتقداته التي تشابه وتختلف مع أخيه السني، ولا أظنه سيتبع المذهب السني طوعًا أو كرهًا إلا ما شاء الله، خصوصًا في ظل الحملة الشرسة لتوسيع الفجوة بين المذهبين، الذي سعى إليه الكثيرون من الطرفين السنة والشيعة خلال العقود الماضية. فرغم محاولة الدولة في رأب الصدع، إلا أن بعضنا يريد أن يرغم الطرف الآخر على تغيير مذهبه بالقوة، وهذا هو السخف بعينه، فالعقيدة صعب تغييرها ولو بالقوة، فما علينا سوى قبول بعضنا باختلافاتنا، ولننظر إلى نقاط التلاقي، وما أكثرها، ولنغضّ الطرف عن الاختلافات، وما أقلّها! ولا نسمح لأحد من الجانبين أن ينتقص من الآخر سرًّا كان ذلك أم علانية، ولنطهر منابرنا ووسائل إعلامنا من كل ما يسيء إلى أي طرف، فالدين كله لله، والوطن لنا جميعًا، يحتضننا بسنتنا وشيعتنا.

لقد خسرنا كثيرًا من هذا التناحر فأشغلنا أنفسنا بمهاترات وقضايا في زمن لم نعشه، طهر الله منها سيوفنا، أفلا نطهر ألسنتنا، كما بيّن ذلك الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز. علينا أن ننظر إلى التجارب الحضارية العملاقة عن أيماننا وعن شمائلنا، بدأت تنميتها بعدنا بعقود، إلا أنها تعدتنا وتركتنا وراءها نجتر إخفاقاتنا، ونتذوق مرارة فشلنا، ويذيق بعضنا بأس بعض، فهذا سني، وهذا شيعي، وهذا أصولي، وهذا ليبرالي.

لننظر إلى تلك الحضارات التي وقعت على معضلة نهضة الأمم مبكرًا، فعالجتها قبل أن تبدأ خطط تنميتها، فسدت الثغرات بين فئات المجتمع، وبنت الاحترام بين الطوائف والديانات المتباينة والمتناحرة، وأخرست كل صوت يثير الفتنة، حتى خمدت في مهدها، وألجمت كل من ينادي بالنيل من الآخر. ومن تلك الأمثلة ماليزيا درة الشرق وبريقه وقبلة العالم في الصناعة والسياحة والتجارب الناجحة. انظر إلى تلك العبقرية التي ألفت بين السكان باختلاف أديانهم وعقائدهم وأعراقهم وجنسياتهم، فلا يجرؤ الماليزي أن يعيِّر مواطنه بدينه أو عرقه أو مكان هجرته، بينما بعضنا يصعد منبر الجمعة ويقدح ويشتم فيسعّر للحروب ويؤلب للفتن النائمة.

لقد تـرك الماليزيون اختلافاتهم جانبًا وبنوا وطنهم فـي عقدين من الزمن، وجلبوا العالـم إلـى حضارتهم حتى لم يجـد الماليزي الملاي «أهل البـلاد الأصليين» الوقت ليتصيـد مثالـب الماليـزي الهنـدي أو الصيني، لأنه اسـتفاد من هذا التآلـف، وعلم أن التناحر سيعيده إلى أيام الجاهلية والفقر، ويفقده البريق الذي يراه حتى أصبحت بلاده كعبة العالم في التنمية. كما أن المواطن الماليزي الهندي يجد في نفسه غضاضة عندما تذكـره بموطنـه الأصلـي ولا يقبل إلا أن يكـون ماليزيا، فقد أسـهم فـي صناعة وتألق ماليزيا الحديثة ولا يربطه بموطنه الأصلي، إلّا بشرته السمراء، ولو استطاع أن يتخلص منها لفعل.

هل تتوقع أن يقدم المواطن الماليزي المسـلم على تتبع مواطنه البوذي ويتهمه في دينه أو يحتقر طقوسـه رغم سذاجتها؟ يرى الماليزي المسلم مواطنه الماليزي البوذي يسكب اللبن الطازج والحليب العذب على صنم فيغسله ويطهره كل يوم ست مرات، فـلا يتحرك ،لأن حريـة الدين قد كفلها القانـون. كلٌّ يمارس دينـه بطريقته ويدعو إلى معتقـده بكل وسـائله، إلا أنه لا يتجـرأ ويرغم غيره على قبول معتقـده. لقد وعت مثل هـذه الأمم المتحضرة مخاطـر الاختلافات، وضرر التناحـرات والانتقاص من الغير، ولـم تسمح لمواطنيها أن يُزجّ بهم في وحل الطائفية المقيتة التي سيخسر منها الجميع، فألفت بين مواطنيها رغم تعقيد التركيبة السكانية والثقافية لبعضها.

بينما بعض شعوبنا في الطرف الآخر أشغلت نفسها بالطائفية، وأشعلت الاختلافات المذهبية، وتركت تنمية بلادها جانبًا، حتى رأت نفسها في مؤخرة الركب.

الاختـلاف بيـن أبناء الوطـن الواحد يجعل العقـل يبحث ويعمل فـي الفرضيات، فيفتـرض أن الطائفـة الأخـرى تخطـط لـه، وأن الديانـة الفلانيـة تتصيـد عثراتـه، وأن المذهـب الفلانـي لا همّ له إلا تحيّن الفرصـة للانقضاض عليه. لقد خسـرنا كثيرًا من هـذه الاختلافات، حتـى دخل بيئتنا تيـارات وجدت التربـة صالحة فاسـتوطنت بيئتنا واستثمرت تفرقنا.

دعونا من المبالغة في تصور خطر الآخر، فلا نريد أن نحتضن الاختلافات، ونسعّر لها فهذا نهج أخرق لا يبني حضارة، ولا يؤسس دولة، ولا يحمي مجتمعًا، فننشغل باختلافاتنا وننسى تنمية بلادنا. ولنتصور لو أن كل الشعب أصبحوا سنة، أو كل الشعب أصبحوا شيعة، هل ستنتهي مشكلاتنا ونوجه طاقتنا إلى تنمية بلادنا وبناء حضارتنا؟ أبدًا.. لا أظن ذلك.. فسنسعى نصنع قضية أخرى واختلافًا آخر نضعه أمامنا، ونبدأ نلوك به الألسنة، ونقدح ونهمش، ونقسم الناس إلى فئتين متناحرتين، وسنقضي حياتنا ونعيش ساعاتنا من اختلاف إلى اختلاف، ومن صراع إلى آخر. هذه معضلتنا، وتلك هي أزمتنا، فإن تغلّبنا عليها فقد بدأنا أول الخطوات الحقيقية نحو التنمية الحقيقية.



الاقتصادية

تابع aleqtisadiah@

الأولى | آخر الأخبار | المشراق | أسواق وأرقام | أخبار | FINANCIAL TIMES | الرأي | الرياضة | اتصالات وتقنية | الثقافية | السياسية
الناس | الأخيرة | صوت القانون

اختر يوم العدد | الخميس 19 جمادى الأول 1435 هـ. الموافق 20 مارس 2014 العدد 7465 | ابحث في الموقع | ابحث

آخر الأخبار الأمير تركي بن عبدالله يقلد مدير مرور منطقة الرياض ومساعده رتبهم الجديدة

انت الآن تتصفح عدد من الارشيف، نشر قبل 872 يوم . عودة لعدد اليوم

الرأي

لكيلا تخسر المزيد .. بالمهاترات

د. سعيد بن علي العضاضي

استعرض الشيخ حسن الصفار تجربة المملكة في التواصل بين النخب الدينية، والثقافية من السنة والشيعة، مشيرًا إلى أنها تجربة ثرية، وإيجابية ومشجعة، وذلك بحضور نخبة من الأكاديميين، والمثقفين في مجلس الشيخ «عبد الله دشتي» في دولة الكويت حسبما ذكرته صحيفة اليوم السعودية الأسبوع الماضي. وسلط "الصفار" الأضواء على تجربة التواصل مع علماء السنة في المملكة، مبيناً أن التواصل والتقارب بين أبناء الأمة على اختلاف مذاهبها يجب أن يكون مبدأ واستراتيجية يعمل من أجلها كل الواعين والمخلصين.

ورغم اختلافي ليس فقط المذهبي مع الشيخ الصفار إلا أن الحق ما قال وأراه صدق فيما ذهب إليه وأنا أتفق معه جملة وتفصيلا خصوصا في رغبته في قبول بعضنا باختلافاتنا فهذا هو المعنى الحقيقي للحضارة الإنسانية والعلاقة بين الناس، حيث قد يختلف الناس ولكن يظل كل فرد وكل فئة تحترم غيرها وتقبله بعلاته ويظل الاختلاف قائما إلا في وحدة الوطن والقضايا الجوهرية للأمة، فهذه خطوط حمراء لا نقبل بها.

د. سعيد بن علي العضاضي

السيرة الذاتية
أستاذ إدارة الأعمال المشارك - جامعة الملك خالد
saaladhadi@kku.edu.sa
خلاصات الـ RSS
أرشيف المقالات

ابحث في مقالات د. سعيد بن علي العضاضي
بحث



الشراكة الوطنية.. تعايش أم تصادم!*

محمد الحمزة

نحـن لا نمتلك حلولاً سـحرية لمشـكلاتنا وتحدّياتنـا التي تعصـف بواقعنا، فهي متداخلـة ومركبـة ومعقدة في آنٍ واحد، ومـن الطبيعي ألّا يوجد من لديـه القدرة على معالجتها دفعة واحدة، بل هي بحاجة إلى خطة ومشـروع متكاملين. وهذا ليس هروباً من الحلّ؛ بل هو إدراك واقعي للحال حتى نستخدم له الوسائل المناسبة والموضوعية والمنطقية.

و(مشـروع الشـراكة الوطنية) لا يختلف عن هـذا النطاق والسـياق، فهو الإمكانية الوحيدة التي تمكننا من ضبط اختلافاتنا وتبايناتنا الداخلية.

إن اسـتمرار تفجيـر الاختلافات والصراعـات يهدد النسـيج الاجتماعي، ويدخل الوطـن في حـروب وفتن تحـرق الجميـع، ولا يمكن بأي حـال ضبط هـذه التباينات إلّا بسـيادة مفهوم (الشـراكة الوطنية) المبنـي على ثقافة التسـامح وضروريات العيش المشـترك؛ وهي العدالة والاحترام المتبادل وصيانة حقوق الإنسـان، وبهذا نتمكن من محاصرة وإزالة الاحتقان الذي يغذّي مظاهر التوتر والعنف في المجتمع.

علّمتنـا التجارب أن التهجير والتصفيـة الطائفية والقومية تعمق التناقضات، وتهدم

* نشر بصحيفة مكة المكرمة الصادرة بتاريخ الأربعاء ١٦ جمادى الآخرة ١٤٣٥ الموافق ١٦ أبريل ٢٠١٤م.

جسور التواصل والثقة، ولا توصل إلى الأمن والاستقرار، لذا فإننا أحوج ما نكون في هـذه الحقبـة التاريخية إلى نبذ ثقافة التطـرف بكل اتجاهاتها، وتعميق ثقافة (الشـراكة الوطنيـة) المبنيـة على التعايـش والتقبُّل والتسـامح واحترام الآخر، مهمـا كان الآخر، وبلا مبالغة فهذه الثقافة هي أمضى الأسـلحة وأقواها للحفاظ على الأمن والاستقرار، والعمـل المشـترك علـى النهضـة والتنميـة الوطنية. تلـك الأفـكار هي ما تـدور عليه أطروحـات الأسـتاذ محمد محفـوظ في إصداراتـه ولقاءاته، وهو مـن مثقفي محافظة القطيف.

كذلك الشيخ حسن الصفار يؤكد باستمرار أهمية (الشراكة الوطنية) بين أبناء الوطن الواحـد وتكرر مـراراً دعوته لمبـادرات لتعزيز الوحدة الوطنية، ويولي مسـألة الوحدة اهتمامًا كبيرًا في خطابه، ويعدّ الشيخ من دعاة تعزيز الوحدة الوطنية على قاعدة الولاء لمطلقـات الإسـلام وقواعده العامـة، مناديًا بتجاوز الاختلافـات الجزئية، ويعي جيدًا مـدى أضرار النزاعـات والخلافات على أمن الوطن ومصلحـة المواطنين، لذلك فإنه ينطلـق فـي العمل على هـذا الصعيد من تركيـز جهده على محورين أساسـين، الأول: تأكيـد ثقافة الوحـدة وضرورتهـا وتأصيـل أخلاقياتها. الثانـي: التواصـل الاجتماعي بالمبادرة إلى زيارة العلماء وذوي الرأي والتأثير.

وبمثل تلك النظرة يتحدث الشيخ عبدالله اليوسف عن الانفتاح على الفكر الآخر، والتسـامح تجاه الأفكار الأخرى، وهو الذي سيقضي على حالات التشنج والانفعال، ويقلل من وجود أرضية لنمو فكر الإرهاب والكراهية والحقد في المجتمع.

تلـك عدد من الـرؤى والأطروحات حـول مفهوم (الشـراكة الوطنيـة) من منظور علماء ومثقفي الشيعة في المملكة، التي لا تختلف بحالٍ من الأحوال مع ما يراه علماء ومثقفي السنة، الذين يتشاركون مع بعضهم الدين الواحد والوطن الواحد.



الصفار: تبادل المحبة والاحترام ينشر السعادة في المجتمع*

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار أبناء المجتمع إلى الاهتمام بإبداء مشاعر المحبة والتقدير تجاه بعضهم بعضًا.

وقال: إن كل إنسان معرض لمختلف التحدّيات والمشاكل في حياته الشخصية والعائلية، وتدبير شؤون معيشته، وأن احتضان المجتمع أبناءه بإحاطتهم بأجواء التعاطف والاحترام، يكون منبع إلهام، وسببًا لرفع المعنويات، وتحقيق النجاح في مشكلات الحياة.

جاء ذلك في كلمة ألقاها سماحته بعد أن أمّ المصلين مساء يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء الموافق ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٢ أبريل ٢٠١٤م في المسجد الجامع بقرية الطرف بدعوة من إمام المسجد فضيلة الشيخ محمد بن صالح الشريدة.

وقال الشيخ الصفار: إنّ على المسلم حين يلقى أحد أبناء مجتمعه أن يفكر فيما يقدمه له من دعم نفسي ومعنوي، وذلك بحسن المقابلة وإبداء الاحترام، وإظهار المحبة والتقدير، ومساعدته بالرأي والمشورة، والسعي للمعونة بقضاء الحاجات وتقديم الخدمات.

مؤكداً أهمية نشر ثقافة الأمل وروح التفاؤل، واجتناب الأفكار السلبية التي تثبّط

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٤/ ٤/ ٢٠١٤م.

العزائم وتزرع اليأس في النفوس.

واستعرض الشيخ الصفار عددًا من الآيات القرآنية والأحاديث والروايات، التي تؤكد أخلاقيات التعامل الإيجابي بين أبناء المجتمع، مشيراً إلى أن أولوية التزام الأخلاق الفاضلة تبدأ من محيط العائلة، بحسن التعامل بين الزوجين، وتبادل المحبة والاحترام والتقدير بينهما، وكذلك في التعاطي مع الوالدين والأولاد.

وكان الشيخ الصفار قد شارك بالحضور في حفل تكريم رجل الأعمال الشيخ باسم بن ياسين الغدير، الذي أقامته لجنة التكريم الأهلية بالأحساء، كباكورة لنشاطها الاجتماعي، وحضر الحفل حشد من الشخصيات العلمية والأدبية ورجال الأعمال من الأحساء، وضيوف من خارجها من الرياض والدمام والقطيف ومن الكويت وسلطنة عمان، حيث ألقيت عدد من الكلمات والقصائد المشيدة بالمحتفى به، وذلك في قاعة الأحساء للاحتفالات مساء يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ.

كما لبّى الشيخ الصفار دعوة لتناول طعام الغذاء ظهر يوم الثلاثاء في منزل سماحة آية الله السيد طاهر السلمان، الذي استقبل الشيخ الصفار بحفاوة وتقدير، وكذلك أنجاله الكرام أصحاب السماحة السيد محمد رضا والسيد علي والسيد محمد باقر، وبحضور جمع من المؤمنين، وكان اللقاء مناسبة لتداول الحديث حول ما تتعرض له الحالة الدينية من تحدّيات التيارات المناوئة والسلوكيات المنحرفة.





سيهات: الشيخ الصفار يتحدث عن صنع البيئة الأخلاقية*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن إنسان هذا العصر ابتلي بأخطر الأمراض الأخلاقية بسبب تصاعد النزعة الذاتية، وتعمق التوجهات المادية المصلحية، وتغوّل الجهات المناوئة لأخلاق الفضيلة.

ورأى في مواجهة ذلك ضرورة التشديد على «الالتزام بالقيم، وإنشاء مؤسسات تهتم بتعزيز الحالة الأخلاقية ورعايتها، وصناعة رأي عام ضاغط ضدّ المخالفات الأخلاقية».

جاء ذلك خلال استضافة لجنة أنوار القرآن بسيهات لسماحته في محاضرة أقيمت في مسجد الإمام زين العابدين بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٤٣٥هـ الموافق ٢٥/ ٤/ ٢٠١٤م، بعنوان: «الأخلاق في القرآن الكريم»، حضرها جمع من المهتمين من الرجال والنساء.

وأبان أن الحديث عن الأخلاق في القرآن باب واسع، فرسالة الإسلام الذي يمثل القرآن دستورها إتمام مكارم الأخلاق.

وأوضح سماحته أن في القرآن برنامجًا متكاملًا، لإصلاح وتقويم تعامل الإنسان مع ربه ونفسه ومجتمعه والبيئة المحيطة به.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣٠/ ٤/ ٢٠١٤م.

وأضاف: في القرآن حديث مفصل حول جوانب الأخلاق، بالحديث للفرد ومطالبته الالتزام بمكارم الأخلاق، وبالاهتمام بصنع البيئة الأخلاقية، فالفرد جزء من المجتمع، ونتاج لبيئته.

وعن حاجة البشرية لبرنامج أخلاقي قال سماحته: إذا كانت الأخلاق مهمة في كلّ عصر ولكل مجتمع لأنها تجلٍّ لإنسانية الإنسان ومظهر لتطلعه للكمال وارتقاء بعلاقاته الاجتماعية، فإنها في هذا العصر أشد أهمية وإلحاحًا.

وعن سبب أهميتها أوضح الشيخ الصفار بأن تحدّيات الالتزام الأخلاقي اتسعت وتضخمت، فهناك قوة النزعة الذاتية عند الإنسان، وعمق التوجهات المادية المصلحية.

وأضاف: نحن نلاحظ تغوّل الجهات المناوئة لأخلاق الفضيلة، فقد بلغت عدد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت ٢ , ٤ مليون موقع بما يعادل ١٢٪ من عدد المواقع، يزورها ٧٢ مليون زائر شهريًا.

وقال الشيخ الصفار: إن ظواهر انحسار الالتزام الأخلاقي أصبحت واضحة، فهناك الفساد واستشراؤه في إدارة الشأن العام، وضعف القيم العائلية وتفكك الأسرة، بالإضافة إلى تراجع التلاحم والتراحم الاجتماعي، وتفشي التحلل الأخلاقي، وانتشار الرذائل وخاصة في جيل الشباب.

وأوضح سماحته أن في القرآن الكريم خطابًا عامًّا يدعو للالتزام بقيم الأخلاق الفاضلة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، وهناك اهتمام بصنع البيئة المعززة للاخلاق.

وعن الاهتمام بصنع البيئة المعززة للأخلاق أوضح الشيخ الصفار أن ذلك بالتأكيد على دور العائلة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وقال سماحته إننا مطالبون بتنشئة الأبناء على الأخلاق السامية، وإشراكهم في

أعمال الخير، والصبر على تربيتهم ضمن برامج أخلاقية واعية.

واستشهد الشيخ الصفار بما ورد في قصة لقمان الحكيم التي ذكرها القرآن الكريم، فلقمان يتحدث مع ابنه بالأسلوب المؤثر في التوجيه والإرشاد.

وحث على وجود مؤسسات تهتم بتدريب الآباء والأمهات للتأهيل التربوي.

واعتبر وجود الفئات الداعية إلى الالتزام الأخلاقي سبيلًا من سبل صنع هذه البيئة، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وأضاف: القيم الأخلاقية تتسع لتحيط بكل جوانب الحياة، وهذا يحتاج إلى مؤسسات تدعوا وتبشر بالقيم، وفئات تنتج أفكارًا وبرامج للالتزام بالقيم الأخلاقية في مختلف أبعادها وتفاصيلها. وقال سماحته: الناس تعرف هذه القيم، وتحسّ بالحاجة لها، لكن هناك غفلة تحتاج إلى تذكير.

وطالب الدعاة بأن يكونوا واقعيين فلا يسأمون في مواصلة الدعوة، ففي عمل الأنبياء مع أممهم رسالة للواعين بالصبر ومواصلة العمل.

وشدّد على أهمية وجود رأي عام ضاغط، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، و﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وأضاف: ينبغي أن نصنع رأيًا عامًّا باتجاه الالتزام القيم، فهو إلى جانب تحمل العائلة دورها في التربية، ووجود فئات ومؤسّسات تعمل على نشر القيم الأخلاقية، سينتج مجتمعاً قرآنياً في أخلاقه وسلوكياته.









في افتتاح جامع الإمام الباقر بصفوى

الشيخ الصفار: المساجد فوق التصنيف الفئوي*

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار ضرورة تعزيز خطاب المسجد لروح المحبة والاحترام المتبادل بين الناس، وأن المسجد لكل عباد الله لا تحتكره فئة أو اتجاه معيّن.

وقال الشيخ الصفار: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أن احترامها وتعظيمها هو تعظيم لله، وأنها مفتوحة لكل عباده، وأن تسودها الأجواء الإلهية، فلا تلوث أجواء المساجد الأهواء والعصبيات.

جاء ذلك في كلمة للشيخ الصفار مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس، غرة شهر رجب المبارك ١٤٣٥هـ في افتتاح جامع الإمام الباقر في صفوى بعد تجديد بنائه.

وحثّ الشيخ الصفار المؤمنين على حضور المساجد بكثافة، لتكون عامرة بالعبادة والهدى، شاكراً الجهود التي بذلت في تجديد بناء المسجد، ودعا للالتفاف حول إمام الجامع سماحة السيد كامل الحسن، مشيداً بشخصيته الكريمة.

ونوّه الشيخ الصفار بروح البذل والعطاء لدى أهالي صفوى الكرام، حيث أشادوا ما يقارب عشرة مساجد في بضع سنوات، إضافة إلى تفاعلهم مع المشاريع الدينية والاجتماعية المختلفة.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠١٤م.

وقال الشيخ الصفار: حين يسمى المسجد بالجامع؛ لأنه يجمع الناس لا بأجسامهم فقط، وإنما يجمع القلوب والنفوس، فالمسجد فوق الانتماءات القبلية والطبقية والفئوية، ولا يصح أبداً أن تصنّف المساجد حسب الانتماءات، فهي لله وحده، لا يملكها أحد ولا يحتكرها أحد.

وقد حضر الحفل عدد من علماء المنطقة وحشد من الأهالي، وتضمن برنامج الحفل كلمة للخطيب السيد عمران السادة ونشيداً لفرقة المجتبى وقصيدة بالمناسبة، إضافة إلى كلمة اللجنة المشرفة على المسجد.







الشيخ الصفار: الإمام عليٌ قَبِلَ الآخرِ وتحاورَ معه*

قال سـماحة الشيخ حسـن الصفار: إن الإمام عليًّا أسس منهجًا متقدمًا في التعامل مع المختلف، واحترام الرأي الآخر، والتزم به في سيرته العطرة.

وأضـاف: إن الإمـام لم يقمع المختلف معه فكريًّا وسياسـيًّا، بل تحاور معه، وسـلّط الضوء على فكرته، ومكامن الخطأ فيها.

وأبان الشيخ الصفار: إن المجتمعات تقع بين قمعين، «قمع السلطة السياسية التي تريد أن تسـيطر وتتحكم في الأفكار كما تتحكم في الأجسـام ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾، وسلطة التخلف الاجتماعي.

وأضاف: بعض المجتمعات تمارس القمع على أبنائها باسم الدين تارة، وأخرى باسم الأعـراف والتقاليـد، كلّ ذلك من أجـل تكريس التخلف، وخوفًا مـن التجديد. جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سـماحته بمناسـبة ذكرى ميلاد الإمام علي في حسينية الناصر بسيهات مساء يوم الاثنين ١٢/ ٧/ ١٤٣٥هـ الموافق ١١/ ٥/ ٢٠١٤م.

وقـال سـماحته: ونحـن نحتفـي بذكـرى ميـلاد أمير المؤمنيـن عليه السلام حق لنـا أن نفرح، فولادتـه نعمة كبرى على جميع البشـرية، وحق لنا أن نتغنـى بفضائله ومناقبه؛ لأنها تمثل أجمل اللوحات في تجسـيد القيم. واسـتدرك قائلًا: لكن السرور والبهجة لا تكفي، وذكر

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤/ ٥/ ٢٠١٤م.

المناقب والفضائل لا تغني، فنحن بحاجة إلى استحضار نهج علي وسيرته في مفاصل حياتنا اليومية.

وعن حاجتنا لعلي في هذا العصر قال سماحته: نحن محتاجون لما مثله عليّ من قيم، حتى نستلهم منها الدروس والمعاني والرؤى العظيمة، لإصلاح واقعنا والتخطيط لمستقبل أفضل. وأبان: أن الإمام عليًّا قدّم للبشرية أروع مدرسة في ضمان حرية التعبير عن الرأي، وتحدث عن حقوق المعارضة، وضمن للمختلفين معه أمنهم واقتصادهم وحرية تواجدهم الاجتماعي.

وأوضح أن حرية الرأي والفكر في سيرة علي ﵇ ونهجه، من المواضيع المهمة التي لم تأخذ حقها من الدراسة والبحث، ففي هذه الزاوية تتجلى قيمة الإنسان.

وعن تباين الآراء في هذا العصر، قال سماحته: إن الانسان كائن عاقل مفكّر، يتبنى أفكارًا في مختلف أبعاد الحياة، وإنسان هذا العصر أكثر معرفة وعلمًا، وتبنيه للآراء وتكوينه للأفكار نابع من هذه الحالة المتقدمة.

وقال الشيخ الصفار: إن قيمة الإنسان تتجلى بالفكر، الذي يحتاج إلى فضاء واسع للتعبير عنه، وأن الإرهاب الفكري، وإلغاء الآخر، وقمع الأفكار، ومصادرة الآراء، هي أكبر مشكلة نواجهها اليوم. وختم بالتذكير بأن الإعجاب بسيرة علي لا يكفي، فنحن مطالبون بأن نأخذ منها دروسًا للتسامح والتعايش مع الرأي الآخر، فإننا اليوم «نعيش ضيقًا وتشدّدًا حتى في بعض التفاصيل، يقاطع على إثرها بعضنا بعضًا».

وتساءل: كيف نريد من الآخرين أن يعترفوا بنا؟ وبحقنا في التعبير عن آرائنا ومعتقداتنا؟ ونطالبهم برفع التمييز عنا؟ ونحن لا نعطي الآخر في داخلنا هذا الحق؟

وتابع: يجب أن تكون صدورنا متسعة، وأفكارنا رحبة، لا نضيق بالرأي الآخر، نقوي وحدتنا بالتسامح، وذلك ما يريده منا علي وأهل البيت ﵈.



في ليلة تكريمهم

الشيخ الصفار يهيب بالجمعيات الخيرية استقطاب الكفاءات

قال سـماحة الشيخ حسـن الصفار: إن في مجتمعنا كثيرًا من الكفاءات والقدرات، لكننا ننتظر منهم المبادرة، ونهيب بالمؤسسات الاجتماعية التعرف عليهم، والاستفادة من طاقاتهم.

وأضـاف: إنمـا تتقـدم المؤسسـات الخيريـة إذا رفدهـا المجتمـع بأفضـل طاقاته وكفاءاتـه، إن الجمعيـات بحاجة إلـى القدرات القياديـة، والكفـاءات الإدارية وذوي المهارات والطاقات والمواهب.

جاء ذلك خلال تكريم سـماحة الشيخ حسـن الصفار لعدد من الجمعيات الخيرية بالقطيف في مكتبه مساء أمس الجمعة ١٧/ ٧/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٦/ ٥/ ٢٠١٤م.

وأبان الشـيخ الصفار أن تحوّل العمل الخيري والتطوعي في هذا العصر إلى عمل مؤسسـي، يضمـن له الاسـتمرارية والنمـو، وتراكم الخبـرة والتجربة، كمـا يقوم على الاستفادة من أساليب التخطيط والتنظيم، والبرامج الإدارية المتقدمة.

وأشـار إلـى أن المؤسسـات الخيريـة هي مظهـر التكاتـف والتضامـن، وانعكاس للوعـي المجتمعي، وهي مرآة لقوة المجتمع، ورقيه الحضاري، وكان مجتمعنا سـبّاقًا على المستوى الوطني، كما يتبين من تاريخ تأسيس الجمعيات.

وقـال سـماحته: إن العمل فـي هذه المؤسسـات يمثل مسـتوى متقدمًا مـن البذل

والعطاء والإنفاق استجابة لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ببذل الجهد والوقت والجاه. ويجب أن نشكر جميع العاملين في الجمعيات لما يبذلون ويتحملون.

وأضاف: من يريد خدمة مجتمعه ويسعى لقوته، عليه أن يصرف جزءًا من قدراته وطاقاته ضمن هذه المؤسسات.

وعن حاجة الجمعيات للاهتمام بالعلاقات العامة داخل المجتمع وخارجه، قال سماحته: إن الجمعيات بحاجة إلى تشكيل لجنة أو لجان فاعلة لهذه المهمة، تضع على رأس مهامها الانفتاح على الجمعيات والمؤسسات الخيرية والأهلية في مختلف مناطق المملكة، والتنسيق والتعاون معها، والاستفادة من خبراتها وتجاربها، والتواصل مع الشركات والمؤسسات الداعمة داخل المملكة.

ومثّل لهذه المؤسسات الداعمة بمؤسسة الوليد بن طلال الخيرية، ولديها برنامج لدعم الإسكان، والمعهد العربي لإنماء المدن، ولديه برامج تنموية مختلفة، وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (أجفند)، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في الرياض، ومؤسسة الملك خالد بن عبد العزيز الخيرية. فجميعها ترعى برامج اجتماعية متعددة في مختلف مناطق المملكة.

وطالب سماحته الجمعيات بالتنسيق مع الإدارات الحكومية، وخاصة البلديات وأملاك الدولة، لوضع برامج عمل مشتركة، والاستفادة من المواقع المتاحة لديها، إما استئجارًا أو تملكًا أو استثمارًا، والحضور والتفاعل مع الملتقيات والمؤتمرات الاجتماعية والتطوعية والخيرية التي تقام في داخل المملكة وخارجها بصورة مستمرة.

ودعا للاهتمام بتوفير الموارد عن طريق الاستثمار، وخاصة في المجالات التنموية، كالصحة والتعليم والتأهيل، ورفع مستوى التنسيق والتواصل مع العلماء والخطباء.

المداخلات

ثم داخل عدد من رؤساء وأعضاء الجمعيات، وبعض علماء الدين، مقدمين شكرهم لسماحة الشيخ الصفار على هذه اللفتة الجميلة، وأبدوا رغبتهم في تكرار هذه

اللقـاءات، مناشـدين المجتمع وعلماء الديـن بالتكاتف معهم لحمل هذه المسـؤولية التي يقومون بها.

تكريم الجمعيات

ثم تم تكريم الجمعيات الحاضرة بتقديم الدروع لهم. حضر اللقاء كلٌّ من رؤسـاء الجمعيات وأعضاء مجالس إدارة:

جمعية سـيهات، جمعيـة القطيف، جمعية تـاروت، جمعية الصفـا، جمعية مضر، جمعيـة العواميـة، جمعيـة أم الحمـام، جمعيـة الجاروديـة، جمعية الأوجـام، جمعية الجش، جمعية سيهات فرع الدمام، جمعية البر بسنابس.

ومـن العلمـاء: الشـيخ محمـد علـي آل الشـيخ جعفر، والشـيخ فوزي آل سـيف، والشـيخ جعفر آل ربح، والشيخ حسن الخويلدي، والشـيخ محمد الخميس، والشيخ سـعيد الحرز، والشـيخ صالح الإبراهيم، والشـيخ محمد الصفار، والشـيخ حسين آل صويلح، والشيخ محمد أبو زيد.











الشيخ الصفار في احتفائه بزيارة الدكتور الخليل

دعا النخبة الوطنية إلى تفعيل دورها في دعم الوحدة وتوجهات الإصلاح

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار سعادة الدكتور خليل الخليل العضو السابق لمجلس الشورى خلال زيارته للدمام والقطيف مساء يوم الثلاثاء ٢٨ رجب١٤٣٥هـ الموافق ٢٧ مايو٢٠١٤م.

واحتفى الشيخ الصفار بضيفه الكريم، مشيداً بتوجهاته وأفكاره التنويرية الداعية إلى الإصلاح والانفتاح من خلال مسيرته وتحمله لعدد من الوظائف والمهام، كدوره في إدارة الشؤون الإسلامية في الملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، وأثناء قيامه بالتدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود، وفي الدورة التي قضاها عضواً في مجلس الشورى، إضافة إلى ما يطرح في إطلالاته الإعلامية والثقافية.

وتحدث الشيخ الصفار عن الحاجة إلى تفعيل دور النخبة المثقفة، خاصة من ذوي التجارب والخبرات، على المستوى الوطني، وألّا يأخذوا دور المتفرجين على ما قد يحدث في ساحة الوطن، فالظروف التي تمر بالعالم العربي والإسلامي حسّاسة وخطيرة، تنعكس على كل أوطاننا وبلداننا، وتهددها بانفلات الأوضاع، وانتشار أفكار التطرف والعنف، وغلبة النزعات الطائفية، مما يحمّل النخبة مسؤولية التواصل مع الجمهور، وخاصة الشرائح الشبابية، وتفهم همومهم وتطلعاتهم ومعاناتهم، ودعم توجهات القيادة السياسية للإصلاح والتطوير، مما يفوت الفرصة على الأعداء، ويسدّ

الثغرات في البناء الوطني.

بدوره شكر سعادة الدكتور خليل الخليل للشيخ الصفار دعوته واحتفاءه، وأبدى سروره لزيارة القطيف الجزء العزيز من الوطن، ولقائه بالحاضرين الكرام.

وتحدث الدكتور الخليل عن أهمية الدور الأهلي والعمل التطوعي، الذي أصبح مكملاً لدور الحكومات على المستوى العالمي، وأشار إلى اللائحة التي ناقشها مجلس الشورى لتنظيم عمل المؤسسات والجمعيات الأهلية، مما يشق الطريق لقيام مؤسسات المجتمع المدني الفاعلة، التي تتيح الفرصة لاستفادة الوطن من طاقات أبنائه ونزعاتهم الإنسانية الخيرية التي يشجعها الدين.

وقال سعادته: إنهم استفادوا في إعداد هذا المشروع من مختلف الأنظمة والقوانين في البلدان المتحضرة، وقدموا مشروعاً يعتقد أنه رائع ومناسب جداً، لكنه لا يزال ينتظر إجراءات إقراره على الصعيد الرسمي.

كما تحدث الدكتور الخليل عن الإشكاليات التي واكبت انطلاق ما عرف بالصحوة الإسلامية، وما عانته البلاد والأمة من توجهات التشدد والتطرف، مستذكراً لقاءه بالشيخ عبد الأعلى المودودي في باكستان، والشيخ أبي الحسن الندوي في الهند، وزعامات دينية أخرى. وأكدّ الدكتور الخليل أهمية التواصل بين الواعين والمخلصين من أبناء الوطن والأمة، لمحاصرة التوجهات الطائفية المقيتة.

وشارك بعض الحاضرين بمداخلاتهم لإثراء الأفكار المطروحة، ومن المداخلين: الأستاذ خليل الفزيع، والأستاذ فاضل العماني، والمهندس جعفر الشايب، والدكتور محمد الهويدي، والأستاذ علي البحراني، والمهندس نادر السويكت، والمهندس نبيه البراهيم وآخرون. وحضر اللقاء عدد من المثقفين والأدباء.



في احتفال ذكرى ميلاد أبطال كربلاء

الشيخ الصفار: البيئة الصالحة تصنع الأبطال*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إننا بحاجة إلى صناعة بيئة مناسبة لنمو طاقات أبنائنا وانطلاقهم في ميادين العلم والمعرفة، وليكونوا أبطالًا في ميدان القيم والسلوك.

وأبان أن أبطال كربلاء الذين نحتفي بذكراهم هم أنموذج لبذرة صالحة وجدت لها بيئة طيبة، فآتت أكلها أبطالًا يقف الزمان احترامًا وإجلالًا لمواقفهم المشرفة. وأضاف: إننا إذ نجتمع اليوم لا لنحيي أسماء، وإنما لنحيي قيمًا للعلم والشجاعة والتقوى، التي كان أهل البيت أبطالًا في ميادينها.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحته في مسجد الشهداء بالقديح مساء يوم الأحد ٢/ ٨/ ١٤٣٥هـ الموافق ١/ ٦/ ٢٠١٤م بمناسبة ذكرى ميلاد أقمار كربلاء الحسين والعباس وعلي بن الحسين، وبدعوة من إمام المسجد سماحة الشيخ محمد العبيدان .

وقال سماحته: إننا نتطلع إلى صلاح أبنائنا وتنمية كفاءاتهم، ولا يكون ذلك إلا بخلق البيئة الصالحة، والأجواء المناسبة، ليظهر صاحب الكفاءة كفاءته وطاقته.

وأبان: إن أفضل استثمار لنا هو تربية أبنائنا، فبذلك نربح أبناءً صالحين يفيدوننا في الدنيا والآخرة، وكفاءات تخدم مجتمعها وتعينه على التقدم والازدهار.

وعن صناعة الأبطال قال سماحته: إن ذلك لا يكون بالتمني والأحلام والدعاء

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤م.

فقط، فالبطل لا يصبح بطلًا بشكل عفوي، بل لا بدّ من صناعة بيئة تنتج أبطالًا، ولا بدّ من بذل الجهد والعمل، وفتح الأبواب أمام الأجيال، من أجل اكتشافهم لمواهبهم، وإعانتهم على تفجير طاقاتهم.

وحث الشيخ الصفار على الاستفادة من العطلة الصيفية بتطوير كفاءات وقدرات الأبناء، والوقوف معهم بإنشاء البرامج النافعة، مشيدًا بمشروع الحوزوي الصغير الذي يشرف عليه سماحة الشيخ محمد العبيدان، وبنشاط جماعة الهدى وسائر اللجان المهتمة برعاية الشباب الناشئين.

وشدّد على أن المجتمع مدعوٌّ للمحافظة على أبنائه وعدم تركهم عرضة للتيارات المنحرفة، فما يواجهه هذا الشاب وهذه الشابة من عواصف الانحراف شديدة، وهناك من يعمل على إفسادهم بالمخدرات وبث أفكار الانحلال بينهم. وأوضح أن بعض المجتمعات ابتليت بترك الكفاءة دون رعاية أو بتثبيط صاحب الكفاءة، وهذا يعني أننا نقتل هذه الكفاءات، وندفن الطاقات، وبالتالي نخسر من رصيد حضارتنا.

وقال إننا يجب أن نواجه التمييز بالتميز، فنحن ننتمي إلى مدرسة أهل البيت، هذه المدرسة المعروفة بتميّز أئمتها وتقدمهم في مجالات العلم والمعرفة والتقوى والورع.

وإننا إذ نفخر بما يمتلكه أبناء مجتمعنا من إمكانات عالية، تشهد به الجامعات في داخل البلاد وخارجها، وما تشهد به الحوزات لأبنائنا من فطنة وذكاء، فإننا مطالبون ببذل المزيد من الجهود على الصعيدين العائلي والاجتماعي، لتشجيع نمو هذه القدرات وإزالة العوائق من طريق تقدمها وارتقائها.



التعددية والحرية في الإسلام*

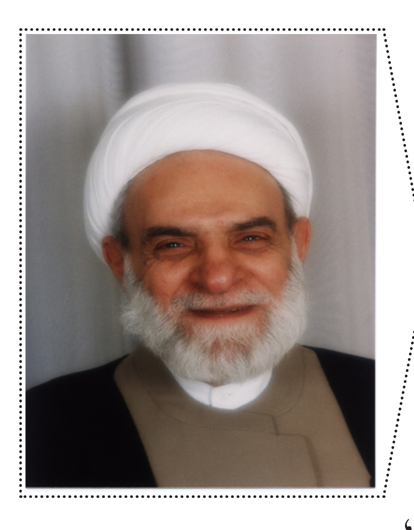
زينب الطحّان

هذا الكتاب «التعددية والحرية في الإسلام ـ بحث في حرية المعتقد وتعدد المذاهب»، للشيخ حسن الصفار، صادر عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي في بيروت. ويندرج الكتاب ضمن سلسلة الدراسات الحضارية، فيعالج مسألة الحرية والتعددية في الإسلام، ويحاول الإجابة عن سؤال، هو: من منظور إسلامي، هل ينظر الإسلام إلى التنوع في المجتمع البشري، وإلى التنوع في داخل عالمه الخاص، الذي قد يتعارض معه على مستوى الفكر، وعلى مستوى العقيدة، هل ينظر إليه على أنه أمر مشروع أم لا؟



* مجلة بقية الله ـ السنة الثالثة والعشرون، رجب ١٤٣٥هـ، العدد ٢٧٢.

نقد بنّاء



يقول الشـيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه اللـه ـ كما في المقدمة ـ «قـرأت الكتاب، وأهنىء فضيلـة الشـيخ الجليـل علـى توفيـق اللـه له في إنجاز هـذا العمل، الذي يشـق طريقـاً في مجال غيـر مطـروق فـي الأبحـاث الفقهيـة والفكريـة الإسـلامية». ويتابع الشـيخ: «الكتـاب فيما أعتقد يلبي حاجة ماسّـة ومتنامية في مجتمعاتنا الإسلامية التـي تعصـف بهـا خلافـات مذهبيـة وطائفيـة، وخلافات بين المسلمين الملتزمين وبين المسلمين الذي يعملون في الحقل السياسي علـى خلفيات من داخـل أُطُر تنظيميّة، غير إسـلامية، ذات طابع قومـي أو غير قومي، وكذلك بعض المجتمعات التي تعصف بها الخلافات الدينيّة بين المسلمين وغيرهم. إنّ هذا الكتاب وأمثاله، من الأبحاث التي تشرح وجهة نظر الإسلام الرحبة والمنفتحة للتعايش مع الأغيار، يلبي حاجة ماسة».

أعتقـد أنـه مـن الصعب إضافة نقد بنّـاء لهذا الكتاب، بعد ما أدلى به الشـيخ شـمس الدين. إذ يعدّ مفهوم التعددية والحرية السياسيّة، من الموضوعات الحساسة التي أخذت أبعاداً مختلفة في الأدبيات الإسلامية منذ نحو قرن على يد شخصيّات دينيّة وسياسيّة.

والذي أثار هذا الموضوع هو لغط جرى حول مفهوم «التعددية السياسيّة ومدارات الحريـة» داخل الثقافة الإسـلامية التي لا يمكن فصلها عن مراجعهـا ومراكزها الدينيّة والتقليديّة. وهو لغط أثاره العلمانيون بدعوتهم المسـتميتة لفصل الدين عن السياسـة، وإبعاد الدين عن مناحي الحياة الأخرى من اجتماعية واقتصادية وسياسية.

الحرية الدينية من أسس الإسلام

الكتـاب، الـذي يقع في أربعة فصـول، يتعرض في بحث شـامل لمختلف جوانب هذه القضية. طرح الفصل الأول قضايا أساسية كانت كمقدمة للبحث، مثل: «الإنسان والدين»؛ «لا إكراه في الدين»؛ «كيف انتشـر الإسـلام؟»؛ «الإسـلام والحرية الدينية»؛ «الحوار لغة التعامل»، أكد فيها أن الإسلام يبني مجتمعه ونظامه السياسي على أساس الحريـة الدينيـة، فهو يعرض مبادئه ويبيّن أحكامه، والناس بعد ذلك أحرار في قبوله أو رفضه، ﴿فَمَن شَـاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[سـورة الكهف، الآية: ٢٩]. ويثبت الكاتب عبر عـرض تاريخي كيف أنّ الإسـلام نظّم تشـريعات ووضع قوانين لحمايـة أتباع الأديان الأخرى، سواء الوضعيّة أو السماويّة، وللتعامل معهم في إطار الدولة الإسلامية.

الكنيسة في العصور الوسطى

الفصـل الثانـي يدخـل فـي تفاصيـل عنـوان الكتـاب، إذ يدخـل إلـى موضوعات «التعدديـة في حياة البشـر»؛ «حديث عـن الوحدة»؛ «لا للإرهـاب الفكري». والقضية الأهـم هي الإرهـاب الفكري، التي لهـا مصاديق هذه الأيـام في منطقتنـا العربية. كان جميـلاً مـن الكاتب عرضه، فـي بداية الأمر، كيف كانت الكنيسـة فـي أوروبا تضطهد الفكر المتطوّر، والمفكّرين، والعلماء، وحتى الرهبان الذين كانوا يكشفون عن حقيقة جمـود الكنيسـة، ليأتـي حديثه أنه فـي هذه الأثناء كان الإسـلام يبني دولتـه وحضارته المجيدة على أسـاس الحريّة والتسامح والعلم. وكان يركّز على أهمية العقل والتفكّر، إذ يقول رسول الله ﷺ: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»[١].

رسول الإسلام حذّر من التكفير

حارب الإسلام كل ما ينتمي للتكفير بصلة. إذ يدّعي بعضهم لنفسه أن الإسلام ينحصر فيمـا يـراه ويفهمه هو، وأن من يخالفه في ذلك الفهـم أو المذهب هو كافر. إنه من الروعة

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج١، ص٩٤.

أن تعلم أن رسول الرحمة ﷺ حذّر من أن يشهر المسلم على أخيه المسلم سلاح التكفير، ففي الحديث الصحيح: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[٢] . وعن الإمام الصادق ﵇: «ملعون ملعون من رمى مؤمناً بكفر، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله»[٣].

أسباب تعدّد المذاهب والأديان

يعالج الفصل الثالث جملة قضايا متعلقة بتعدد الأديان والمذاهب، العوامل والأسباب. ويذهب الكاتب للقول: إن العامل الفكري يشكل السبب الرئيس في تعدد المذاهب في الدين الواحد، وحتى تعدد الفرق في المذهب الواحد.

وإنّ الانشقاق يحصل غالباً بعد وفاة النبي أو المؤسّس، وعلى أساس ذلك الاختلاف الفكري يقع التعارض في المواقف السياسية.

الإسلام في مواجهة التكفير

«لا للتكفير»، هو المحور الأول في الفصل الرابع من الكتاب وعنوانه «المذاهب الإسلامية: أصول مشتركة»، ويكاد يكون أهم المحاور، بعد «المتعصّبون يشهرون سلاح التكفير». والأصول المشتركة بين المذاهب واسعة القاعدة والفروع، ويؤكّد الكاتب أن هذه الأصول لو عُمِلَ بها، مِنْ شأنها أن تكون ضمانة كبيرة لحفظ وحدة الأمة الإسلامية. ويعدّد هذه الأصول وفي مقدمتها أصول العقيدة، والقرآن الكريم.

كما عرّج الكاتب على بعض المسائل الخلافية، التي تم اختلاقها بعد النبي ﷺ، وصولاً إلى مسألة التكفير، التي ابتدعها الخوارج في عهد الإمام علي ﵇. وكانت هذه أكبر فتنة وقعت في الإسلام وما تزال آثارها إلى اليوم. في «التعصب والإرهاب الطائفي»، يسرد الكاتب مدرسة أهل البيت ﵈ في هذا الجانب مركّزاً على عهد الإمام الصادق ﵇، فيؤكد في سيرته كيف كان الإمام يعلّم طلّابه أهمية احترام الرأي الآخر من

---

(٢) بحار الأنوار، م.س، ج٧١، ص٢٤٥.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٦، ص٢٨٠.

المذاهب، وأن يفتوا للناس كلاً على مذهبه، وألا يفرضوا عليهم مذهب أهل البيت عليهم السلام بقوله: «انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك»[1].

التعددية بدعة بنظر المتعصّب

ويقع بعض المسلمين في اجتناب فكر الآخر والتقوقع على نفسه. ويعتقد أن مساوئ التعددية السياسية أكثر من منافعها، فلا تستسيغه، إضافة إلى وجود عقليات إسلامية مختلفة المستويات الثقافية والعلمية تعتقد أن التعددية السياسية من الأمور المستحدثة الطارئة على الدين، وهي من الشبهات، أو البدع. يؤكد الكتاب أن التعدديّة والحريّة في الإسلام مكفولتان بدلالة:

١. النصوص الشرعية الواقفة على جعليّة التنوّع والاختلاف في حياة البشر. وإقرار الرسالة الإسلامية بهذا التنوّع والاختلاف في مصاديقه المختلفة، من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[سورة الإسراء، الآية:٨٤].
٢. فطريّة التعدّد والجعل التكويني للتنوع في كل زاوية من زوايا الكون والحياة، فالفطرة تحكم بالتعدد والتنوع، والعقل يقرّ أن التنوع أمر قائم.
٣. إن العقل السليم يدلّنا على أصالة الحرية، ولكن لا الحرية المطلقة؛ لأن إطلاق الحرية مدعاة إلى عدد من المفاسد التي تأتي على حرية الآخرين، وهذه مفسدة أكبر.

خلاصة الأمر

إن القول بجعلية التعدد والتنوع في الكون والإنسان ومجمل الحياة البشرية يقود إلى القول بحتمية الحرية فضلاً عن أصالتها، والتعددية السياسية، وهي من صور التعددية تنفتح على حرية سياسية، إذ لا تعددية سياسية من غير حرية سياسية، ولا حرية سياسية من غير تعددية سياسية.

---

(١) م.ن، ص٢٣٣.

«نواقص» الكتاب

رغـم أن هـذا الكتـاب يعدّ مـن الدراسـات القليلة في بـاب التعددية السياسـية في الإسـلام، إلّا أنّ أهمّ ما يعـاب عليه هو عدم خوضه في التجـارب الحديثة المعاصرة، واقتصر بحثه على عهود صدر الإسلام وحقب بني أمية وآل العباس. وفي باب «خطورة التكفير» يكتفي بسرد حوادث حول كيفية تعامل الإمام علي عليه السلام مع الخوارج أصحاب هـذه الظاهـرة دون الولوج إلى الشـرخ الذي أحدثـوه في الأمة. كما أنـه لا يعرّج على العديد من القضايا التي يُتّهم بها الإسلام: بأنه آحادي الثقافة، يمايز الآخرين ويسميهم «أهـل الذمـة» ويفرض عليهم «دفع الجزيـة»، وغيرها من القضايا التي يسـتغلها أعداء الإسلام للنيل منه.

الشيخ الصفار: المجتمع مسؤول عن حماية أبنائه من التيارات المنحرفة*

القطيف ـ منير النمر

أكد الشيخ حسن الصفار أهمية صنع بيئة اجتماعية جاذبة للجيل الشاب ليساهموا في صنع مجتمعهم ووطنهم في المجالات كافة، مشدّدًا في ندوة أقيمت في القطيف على ضرورة تسلح الشباب بالعلم والعمل والمعرفة.

وقال: إن انطلاق أبنائنا في ميادين العلم والمعرفة، يجعلهم أبطالًا في ميادين القيم والسلوك، مضيفًا أننا نتطلع إلى صلاح أبنائنا وتنمية كفاءاتهم، ولا يكون ذلك إلا بخلق البيئة الصالحة، والأجواء المناسبة، ليظهر صاحب الكفاءة كفاءته وطاقته.

وشدّد على أن خيارات الاستثمار الحقيقية تكمن في تربية الأبناء، وبذلك نربح أبناء صالحين يفيدوننا في الدنيا والآخرة، وكفاءات تخدم مجتمعها وتعينه على التقدم والازدهار، مضيفًا أن صناعة الأبطال لا تكون بالتمني والأحلام والدعاء فقط، فالبطل لا يصبح بطلًا بشكل عفوي، بل لا بدّ من صناعة بيئة تنتج أبطالًا، ولا بدّ من بذل الجهد والعمل وفتح الأبواب أمام الأجيال من أجل اكتشاف مواهبهم، وتفريغ طاقاتهم.

وعن الإجازة الصيفية قال: ينبغي الاستفادة منها بتطوير كفاءات وقدرات الأبناء والوقوف معهم بإنشاء البرامج النافعة، مشيرًا إلى أهمية دور اللجان المهتمة برعاية

---

* جريدة الرياض الصادرة يوم الثلاثاء ١٢ شعبان ١٤٣٥ هـ، ١٠ يونيو ٢٠١٤م، العدد ١٦٧٨٧.

الشباب الناشئين، وتابع أن المجتمع مدعو للمحافظة على أبنائه، وعدم تركهم عرضة للتيارات المنحرفة، فما يواجهه هذا الشاب وهذه الشابة من عواصف الانحراف شديدة، وهناك من يعمل على إفسادهم بالمخدرات وبثّ أفكار الانحلال بينهم، مضيفاً أن بعض المجتمعات ابتليت بترك الكفاءة دون رعاية أو بتثبيط صاحب الكفاءة وهذا معناه أننا نقتل هذه الكفاءات، وندفن الطاقات وبالتالي نخسر من رصيد حضارتنا.

أشبال دورة «الحياة مدرسة» يزورون الشيخ الصفار*



قـام ٤٠ طالبًـا من طـلاب دورة «الحياة مدرسـة» بمسـجد الرفعة بتـاروت بزيارة لمكتب الشـيخ حسن الصفار مسـاء يوم الأربعاء الماضي وذلك ضمن برنامج الدورة التي تقام بمسجد الرفعة بجزيرة تاروت صيف كل عام.

وفي بداية زيارتهم تجول الطلاب في مكتبة الشـيخ الصفار التي تضم أكثر من ١٥ ألف كتاب وعنوان مختلف، حيث اسـتمعوا لشـرح عن بداية تأسـيس الشـيخ الصفار للمكتبة والتي تعتبر المكتبة الخامسة التي يؤسسها الشيخ في حياته.

بعد ذلك اسـتمع الطلاب لكلمة من الشـيخ الصفار عن بدايات اهتماماته الثقافية، وتجربتـه الخطابيـة، ومسـيرته فـي مجـال الكتابـة والتأليـف، بسـرد بعـض القصص والتجارب، لتشـجيع الطلاب على الطمـوح، والإقبال على المعرفـة والثقافة، وتنمية القدرات.

وتخلل الجلسة أسئلة من قبل الطلاب للشيخ الصفار عن القراءة وعن أهم الكتب التي ينصح بها للقراءة، كما تخلل الحديث أسـئلة عن دراسـة الشيخ في الحوزة، وعن الخطباء الذين تأثر بهم في صغره.

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٢٢ / ٦ / ٢٠١٤م.

وأوضـح إداري الدورة علـي الخباز أن الهدف من الزيارة تأتي ضمن منهج القدوة الحسـنة، وهـو أحد مناهـج دورة الحياة مدرسـة، حيث يتعرف الطـلاب على الإنجاز الذي وصلت إليه بعض الشـخصيات الناجحة والمعروفة في المجتمع، وعلى الطريق الذي سلكوه للوصول لما وصلوا إليه.

وأضـاف أن الطـلاب انبهروا خلال زيارتهم لمكتبة الشـيخ الصفـار بكمية الكتب المتوفرة في المكتبة، وتعرفوا على أقسامها وما توفره المكتبة لروادها، وأوقات دوامها اليومية.

وقدم الخباز شـكره لسـماحة الشـيخ حسـن الصفار علـى رحابة صـدره، وتعامله الجميل مع الأولاد، كما قدم شكره لإدارة مكتب سماحته التي نظمت الزيارة.

ووجه رسالة للمجتمع والمربين بأن يكثروا من عرض القدوات على أبنائهم، لكي يروا النجاح نصب أعينهم، ويسعوا إلى تحقيق نجاحات أفضل منها في المستقبل.



توفير أجواء الاختيار السليم للتخصص الجامعي

قـال الشـيخ حسـن الصفـار إن اختيار التخصـص الجامعـي مرحلة مهمـة في حياة كل طالـب، ولا بدّ للشـاب أن يختـار التخصص بدقة بعيداً عـن العواطف والبحث عن الأسـهل. وأبان: إن توفيـر الأجـواء المناسـبة لتجاوز فتـرة اختيار التخصص مسـؤولية اجتماعية ووطنية.

جاء ذلك في الكلمة التي كتبها سماحته في دفتر الزيارات لفعاليات برنامج مستقبلي يوم الجمعة ٢٢/ ٨/ ١٤٣٥هـ في مقر الكلية التقنية بالقطيف.

وأبان الشـيخ الصفار أنه يحمد الله أن وفقه لزيارة معرض برنامج مسـتقبلي، حيث «رأيت فيه من الحيوية والتفاعل أكثر مما توقعت» حسب تعبيره.

هذا وقدم سماحته الشكر والتقدير لإدارة هذا البرنامج ولجميع العاملين فيه، «الذين تحكـي ملامحهـم وكلماتهم مدى الإخـلاص العميق في قلوبهـم والاجتهاد في خدمة العلم والوطن».

وقـال الشـيخ الصفار: مـا رأيته وشـاهدته يملأ القلب سـروراً وبهجـة ويزيدنا أملاً وتفاؤلاً بمستقبل أفضل إن شاء الله لأبنائنا ومجتمعنا.

يشـار إلى أن برنامج مسـتقبلي هو برنامج يعرّف المتخرجين مـن المرحلة الثانوية على الفرص المتاحة أمامهم في الجامعات والتخصصات المطلوبة.


برنامج
مستقبلي
للتعريف بالتخصصات الأكاديمية


برنامج
مستقبلي
للتعريف بالتخصصات الأكاديمية


برنامج
مستقبلي
للتعريف بالتخصصات الأكاديمية

٧

القطيف: 36 سيدة تتعلم طرق إعداد البحث*

أنهى القسم النسائي بمكتب الشيخ حسن الصفار دورة تعريفية بطرق إعداد البحث قدمتها المدربة زهور العيد.

وقدمت العيد على مدى يومين عرضًا لكيفية كتابة خطة البحث، ثم انتقلت لطريقة كتابة المقدمة والخاتمة، مرورًا بتوثيق المعلومات المقتبسة.

وقالت العيد «لجهينة الإخبارية»: تفاجأت أولًا بالعدد، إذ لم يسبق لي أن حضرت دورة فيها ٣٦ متدربة، مضيفة لم يكن الحضور تشريفيًّا بل كانت الحاضرات يناقشن ويسألن مما يعني أنهن حضرن للفائدة والاستفادة.

وأبانت العيد أنه جرى الحديث عن خطوات كتابة البحث، بداية باختيار الموضوع، ثم البحث عن المصادر والمراجع كالموسوعات العامة، والموسوعات المتخصصة، والكتب والدوريات والصحف، ثم كتابة المقدمة والخاتمة وحصر المصادر والمراجع، وطريقة توثيق ما يقتبس منها.

وفي نهاية الدورة قدمت الحاضرات الشكر والتقدير للمدربة العيد كما خصصن بالشكر مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار الذي أتاح لهن هذه الفرصة.

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٢٥ / ٦ / ٢٠١٤م.



في لقائه بوفد من جمعية الذكر الحكيم في سنابس البحرين

الشيخ الصفار: لا بدّ أن تكون ثقافتنا قرآنية



قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن على قارئ القرآن وحافظه أن يطبق توجيهات القرآن في جميع جوانب حياته.

وأضاف: لا بدّ أن يكون فكرنا وسلوكنا قرآنياً، وأخلاقنا قرآنية، كما كان رسول الله «خلقه القرآن». وأبان: إن قراءة القرآن وحفظه أمر مطلوب ولكن لا يكتمل ذلك إلا بحسن السلوك مع الأهل والمجتمع.

جاء ذلك خلال لقاء سماحته وفدًا من أعضاء جمعية الذكر الحكيم في سنابس البحرين يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٥هـ.

وقال الشيخ الصفار: إننا مطالبون بتحويل القرآن إلى سلوك وخلق، حرصًا على تطبيق آياته، لكي لا نكون ممن يقرؤون القرآن فلا يتجاوز حناجرهم.

وأبان سماحته أن قارئ القرآن يجب أن يكون تعامله مع أسرته ومع الناس بما يمليه عليه القرآن، فالعائلة التي تشاهد سلوك ابنها القرآني يزداد تعلقها بالقرآن.

وأوضح أننا مطالبون بنشر فكر القرآن، وذلك بتدبر آياته وإظهار رؤاه، فالقراءة والحفظ وسيلة والهدف التزام هدي القرآن.

وأضاف: إن ما نشعر به من مشاكل وهموم تعيشها مجتمعاتنا يجب أن ننظر لها

بهدى القرآن، فالقرآن منهج وطريق يفتح أمامنا الآفاق، ويعمر نفوسنا بما نتمكن به من تجاوز هذه الآلام. وأشـار سماحته إلى أن القرآن يدعو للتفاؤل والأمل، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وعن اللجان القرآنية وما تقوم به قال سماحته: ما أسمعه من أخبار عن اللجان القرآنية، يدعوني للتفاؤل بتقدم مستوى تفاعل المجتمعات، وتجاوبها مع الهدي القرآني.





ضمن فعاليات دورة الإمام المنتظر الدينية بالتوبي

الشيخ الصفار: إذا فشلنا في احتواء أبنائنا اختطفهم الآخرون



قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن التذمر في المجالس لا يحمي الأبناء من التيارات المنحرفة، فالتربية تحتاج إلى عمل وتضافر جهود الأسرة والمجتمع.

وأضاف: عندما اشتكى بعض أصحاب الإمام الصادق ما تقوم به المرجئة وهي تيار فكري منحرف، قال لهم: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة».

وأبان أن الإمام الصادق عليه السلام حمل المجتمع مسؤولية ما يحدث لأفراده، فالانزعاج مما يجري من مشاكل وسلوكيات خادشة لا يكون إلا باستقطاب الأبناء.

وأوضح سماحته: أن السبب في تبني بعض أبناء المجتمع لسلوكيات مشينة إنما هو بسبب تقصيرنا في احتوائهم، وهناك من يعمل على استقطابهم، واضعاً خططاً لتغيير سلوكهم وأخلاقهم.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحته بمناسبة إقامة دورة الإمام المنتظر الدينية بالتوبي فعاليات حفلها الختامي لصيف ١٤٣٥هـ وتكريم الداعمين للدورة والإداريين والطلاب المشاركين، وذلك مساء يوم الجمعة ٢٩ / ٨/ ١٤٣٥هـ الموافق ٢٧/ ٦/ ٢٠١٤م.

وقال الشيخ الصفار: لقد تسللت إلى سلوكيات أبنائنا بعض التصرفات الطائشة، والتوجهات المنحرفة، فتكونت عصابات لشباب في مقتبل العمر يهاجمون الآمنين،

أو يقومون بسلوكيات مخلة بالأمن الاجتماعي. وطالب سماحته المجتمع أن يبادر في احتضان أبنائه، فالأسرة وحدها لم تعد قادرة على التربية، والتأثيرات الخارجية أقوى وأكثر تأثيراً منها.

واقترح الشيخ الصفار لعلاج هذه المشكلة تأسيس مؤسسات اجتماعية وثقافية، مهمتها احتضان الأبناء، واستيعاب الناشئة. وأضاف: على المجتمع أن يوفر لهذه المؤسّسات الدعم والإمكانات، ضمن برامج مفصلة وميزانيات تناسب الجهد المبذول.

وأبان: أن على المجتمع أن يرحب بهذه المؤسسات، وأن يشكر القائمين عليها، لاحتضانهم أبنائنا، مضحّين بوقتهم وجهدهم في سبيل تنشئتهم في بيئة صالحة.

وقال سماحته: إن مثل هذه البرامج الذي نحتفي بتخريج دفعة من أبنائه، والذي يشتغل على تنشئة أبنائنا على القيم والأخلاق، لهو محلّ تقدير وامتنان.

وأضاف أنه يزرع في نفوس الأبناء حبّ الإيمان، وحبّ المجتمع والوطن، وينشئهم على أسس الأخلاق الفاضلة، والالتزام بالواجبات والقيم الدينية. وطالب المجتمع بأن يتبنى هذه المؤسّسات كأفراد ورجال أعمال وعلماء دين، وأن يوفروا لهم كل ما يحتاجونه من دعم، تقديراً لما يبذلونه، مساهمة في الحفاظ على المجتمع الإيماني.

وتلت كلمة سماحة الشيخ الصفار كلمة الإدارة، ألقاها رئيس مجلس الإدارة محمد سعيد العبد الرسول، تقدم فيها بالشكر الجزيل لكل العاملين في البرنامج الصيفي، من المشرفين والمدرسين، على ما بذلوه من جهد في خدمة أبناء البلدة طيلة العام، من إعداد وتحضير للبرنامج.

وفي الختام كرّم سماحة الشيخ حسن الصفار الداعمين والعاملين بالبرنامج والطلاب وتم التقاط صور تذكارية . هذا وقد حضر الحفل سماحة السيد حيدر العوامي، وأولياء أمور الطلاب، وبعض الشخصيات البارزة ببلدة التوبي.

يشار إلى أن تاريخ تأسيس الدورة يعود إلى عام ١٤١٣ هجري، وتعقد في صيف كل عام، ويتم الإعداد لها طول العام، من دورات وندوات للعاملين بها وللأهالي.

مشاركًا في ندوة مسجد الوزان في الكويت

الشيخ الصفار: الإسلام مشروع حضاري لكل البشرية



قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن الإسلام الذي بشر به أهل البيت جاء بمشروع حضاري للبشرية جمعاء، لإسعاد الحياة على وجه الأرض، ولتقديم أنموذج للحياة الطيبة السعيدة.

وأضاف: إن الآيات والروايات تبين أن الإسلام لم يأتِ لإسعاد معتنقيه فقط بل جاء رحمة للعالمين، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور.

جاء ذلك خلال مشاركة سماحة الشيخ الصفار في ندوة (المشروع الحضاري لأهل البيت ودور المرأة في هذا المشروع) التي انعقدت في ديوان مسجد الوزان ـ مشرف، الكويت، بتاريخ ١٣/ ٨/ ١٤٣٥هـ الموافق ١١/ ٦/ ٢٠١٤م.

وأبان سماحته: أن مشروع الإسلام الحضاري يتكئ على المنطلق الإيماني، ومحورية العقل، وقيمة المعرفة، والفاعلية والتنمية، والالتزام بالقيم السامية.

وشجب الشيخ الصفار ما يقدمه البعض من صور عن حياة أهل البيت، وكأنهم كانوا منشغلين عن مجتمعاتهم، لا يهتمون بشؤونهم وشجونهم، منكفئين على أنفسهم.

وقال: عاش أهل البيت هموم أمتهم، وانفعلوا بالواقع الاجتماعي، فأسّسوا مشروعًا حضاريًّا يمثل جوهر الإسلام وروحه.

وعــن محور المنطلق الإيماني في المشــروع الحضاري قال ســماحته: أهل البيت يريدون من الإنســان أن ينطلق في حياته من الإيمان بالله، والانفتاح عليه؛ لأن الإيمان بالله يعطي للإنسان الشعور بقيمته، ودوره في هذه الحياة.

وأضــاف: لم يكــن خلق الإنســان عبثيًــا اعتباطيًا، وإنمــا جاء لغاية وهــدف، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾، بل هو صاحب رسالة.

وأبان ســماحته: أن المنطلق الإيماني في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو ذلك «الانفتاح القلبــي الوجدانــي على الله ســبحانه وتعالى، والارتبــاط به عبر الشــعور بالحاجة إليه وتفويــض الأمــور اليــه، واســتلهام الصبــر والثبات والاســتقامة فــي مواجهة الشــدائد وتحدّيات الحياة منه، والتطلع إلى رحمته وكرامته كمنبع أمل في هذه الحياة».

وعــن محورية العقل وقيمة المعرفة قال ســماحته: ركز أهــل البيت عليهم السلام على أهمية العقل، وعلى دوره في فهم الدين، حيث هو الأساس لفهم الدين.

وأضــاف: المشــروع الحضاري لأهل البيــت هو باتجاه دفع الإنســان للرجوع إلى عقله، وإلى محورية عقله.

واستنكر الشيخ الصفار ما تقوم به بعض الاتجاهات الدينية من تقليل لقيمة العقل، ودفع الإنسان باتجاه الأمور الغيبية الميتافيزيقية وكأن العقل لا دور له.

وعــن الفاعليــة والتنميــة كمعلــم ثالــث للمشــروع الحضــاري قال ســماحته: لأن الإنســان جاء إلى هذه الحياة من أجل إعمار الأرض كما قول تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ فإن الله ســبحانه وتعالى يريد منه أن يســتفيد من الخيرات ومــن الثــروات التي أودعها في أعماق هــذا الكون، يقول تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

وأضــاف: لا بــدّ أن يعيــش الإنســان حالــة مــن الحركــة والفاعلية، وكــم كان أهل البيــت عليهم السلام يحثّون أتباعهم وتلامذتهــم على الحركة والعطاء والعمل، بل كانوا هم عليهم السلام

نماذج على هذا الصعيد، كانوا يعملون في التجارة والزراعة والعمل الاجتماعي العام.

وختم الشيخ الصفار كلمته بالحديث عن المعلم الرابع للمشروع الحضاري وهو الالتزام بالقيم الإنسانية السامية.

وقال سماحته: إن الالتزام بقيمة العدل، وقيمة احترام الإنسان، وقيمة التسامح، وقيمة الحرية التي بها تتحقق إنسانية الإنسان هو بعد أساس في مشروع أهل البيت الحضاري.

وتساءل: عندما نتطلع لقدوم الإمام المهدي، فما هو المشروع الذي يحمله لنا؟

وأوضح أن المشروع الأساس للإمام المهدي (أن يملأ الأرض قسطًا وعدلًا)

وقال: إذا كنا نتوقع إمامًا من أجل أن يطبق قيم العدل والقسط فهذا يعني أن نتجه لتجلية هذه القيم، ولنشر ثقافتها، وللعمل من أجلها، والالتزام بها في حياتنا الخاصة والعامة.

هذا وقد شارك إلى جانب سماحته في الندوة الدكتورة خديجة المحيميد، متحدثة عن دور المرأة في المشروع الحضاري لأهل البيت، كما بثت قناة العدالة تسجيلًا للندوة.



٧

الشيخ الصفار يدعو لتطوير البرامج الثقافية

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن البرامج الثقافية والاجتماعية الموجودة لدينا اليوم جيدة، لكننا نحتاج الى تطويرها ورفع مستوى عطائها.

وأضاف: لا بدّ من تطوير لغة الخطاب مع الشباب، والبحث عن أسباب مشاكلهم، وإيجاد حلول لها، لتقوم هذه المؤسسات بعلاجها.

وطالب سماحته رجال الدين ورجال الأعمال والأهالي بتبني هذه المؤسسات، ودعمها مادياً ومعنوياً، فهي تسدّ ثغرة مهمة في جانب بناء سلوك وأخلاق الأبناء.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحته في حسينية باب الحوائج بالقديح مساء يوم الجمعة ٦ / ٩/ ١٤٣٥هـ الموافق ٤/ ٧/ ٢٠١٤م.

ودعا سماحة الشيخ الصفار المؤسسات إلى السعي للتكامل والتعاون والتنسيق في البرامج والمناهج، لاختصار الوقت، وللاستفادة من الخبرات الثنائية، متسائلاً: لماذا تتعثر أي فكرة تعاون في مجتمعاتنا؟

وأبان: أن هذه المؤسسات تحتاج إلى رفع مستوى الإمكانات لديها، فالمجتمع الذي ينفق ميزانيات ضخمة لمختلف برامجه، لماذا تعاني مؤسساته الثقافية من العجز، وهي الجهة التي يجب أن ننفق عليها بسخاء؟

وطالب سماحته العلماء ورجال الأعمال والتجار بالوقوف مع المؤسسات واللجان والهيئات الشبابية، لمواجهة التحديات، وبناء جيل متمسك بالقيم والأخلاق

الدينية الصالحة.

وعن الحاجة إلى مراكز للتخطيط الاستراتيجي قال سماحته: إننا نحتاج إلى باحثين متفرغين ضمن لجان ومراكز للبحث، يرصدون ما يجري في المجتمع، ويضعون خططاً للمعالجة.

وأضاف: إن مراكز الأبحاث المستعينة بالكفاءات والخبرات تعطي آراءً وحلولًا ودراسات للمشاكل الاجتماعية، فتختصر طريق العلاج، وتسهّل الحلّ.

وأبان الشيخ الصفار أن التطور المتسارع في الحياة اليوم يحتاج إلى تطور مشابه في لغة الخطاب والبرامج والمناهج، ليواكب هذا التطور ويتعامل معه.



الشيخ الصفار: الرأي يواجه بالرأي وليس بالتكفيروالتضليل *

قال سـماحة الشيخ حسـن الصفار: إنّ تطور المجتمع العلمي والثقافي فتح عقول أبنائـه على قراءة التـراث بطريقة مختلفة، أدت إلى ظهور عدة قراءات، واتخاذ مواقف مختلفة من القضايا التاريخية.

وأضـاف: فـي مقابل ذلك لا بدّ لنـا من قبول الـرأي الآخر، فالـرأي يواجه بالرأي وليس بالتكفير والتضليل، بعيداً عن صوابية الرأي أو خطئه.

وقال الشـيخ الصفار في مكتبه مسـاء الاثنين ٩ رمضـان ١٤٣٥هـ لبعض من حضر للسـلام على سـماحته وتهنئته بقدوم شـهر رمضان المبارك «ليـس بالضرورة صواب الرأي الجديد، لكن من حق صاحب الرأي أن يعبر عن رأيه».

وأبان سماحته أن أبواب مناقشة وتنقيح التراث مغلقة، والاقتراب من هذه المنطقة خطر، والذين دخلوا في دائرة نقد التراث تعرضوا لمحاولات إسقاط شخصياتهم.

وأوضح أن إعادة ترتيب أوراق التراث لا بدّ منه، وهذا ليس بالضرورة يعني صواب الرأي الجديد، ولكن لا بدّ أن نتعايش ونقبل الرأي الآخر.

وقـال سـماحته: إن لكل باحـث الحق في إبـداء رأيه، ومن حق الآخـر أن يقبله أو

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨/ ٧/ ٢٠١٤م.

يرده، لكن بعيداً عن التكفير والتضليل.

وعن حاجة التراث لغربلة وتطوير قال سماحة الشيخ الصفار: أعتقد أن الطرفين من علمائنا والباحثين ينظرون إلى مسألة نقد التراث بقصد سليم ونية حسنة.

وعن سبب خوف البعض من نقد التراث قال سماحته: هناك من يخاف فتح هذا الباب؛ لأنه يفتح باب الجرأة على التراث، فنقد الخطأ اليوم يجرّئ لنقد الصحيح.

وأضاف: هناك أيضاً من ينطلق من منطلق الحرص على الهوية، فيرى أن نقد التراث يظهر ضعفنا أمام الآخرين.

وأبان سماحته أن ثقتنا بالصحيح من تراثنا يجعلنا نقف أمام الخطأ لكي لا يتمدد، ونقدنا لتراثنا يجعلنا أمام أنفسنا والآخرين أكثر احتراماً.

وأشاد بعلماء وفقهاء تصدوا لهذا الدور، وتحمّلوا الأذى والاتهامات التسقيطية، كالسيد محسن الأمين العاملي، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشهيد الشيخ مرتضى مطهري، والشيخ محمد جواد مغنية، والسيد فضل الله وغيرهم.

كما أشاد سماحته بموسوعة الإمام الحسين عليه السلام التي أصدرتها دار الحديث في قم بإشراف الشيخ محمد الريشهري، وبالجهود التي صرفت على جمع وتنقيح ما ورد من أمور تتعلق بالإمام الحسين عليه السلام وبقضية كربلاء.



الصفار يطالب المؤسسات الإعلامية تجسير العلاقة بين أبناء الوطن*

نداء آل سيف، إيمان الشايب

- ويطالب الإعلامين بالتثقيف الذاتي والقراءة.
- ويدعو لإبراز طاقات المنطقة ومساعدتها ودعمها.
- ويشدّد على أهمية العمل الجمعي في تجذير المؤسسات.

أكد الشيخ حسن الصفار ضرورة عمل المؤسسات الإعلامية على تجسير العلاقة بين المكونات الوطنية، داعيًا العاملين في المجال الإعلامي إلى مواصلة التثقيف الذاتي، والاجتهاد في معرفة تاريخ المنطقة وتراثها وظروفها وأبرز شخصياتها. جاء ذلك خلال الزيارة التي نظمتها إدارة صحيفة جهينة الإخبارية لمكتبه بمدينة القطيف بحضور مجموعة من محرري الصحيفة يوم السبت ٨/ ٩/ ١٤٣٥هـ الموافق ٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

وهدفت الزيارة إلى التعريف بصحيفة جهينة الإخبارية، وأنشطتها، والعقبات التي واجهتها، فضلًا عن الإنجازات التي حققتها.

وشدد الشيخ الصفار على أن إضفاء خلفية تاريخية على الأخبار من شأنه إبراز ملامح المنطقة، لافتاً إلى غناء منطقة القطيف بتاريخها وجذورها. واستدرك بنبرة

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ١١/ ٧/ ٢٠١٤م.

الأسف بافتقار عدد من المنخرطين في الجانب الإعلامي للمعلومات التاريخية عن منطقة القطيف وتراثها.

وأكد الشيخ الصفار في اللقاء على ضرورة التثقيف الذاتي عبر القراءة والمتابعة الثقافية الحثيثة، من أجل خلق جيل رائد يساهم في تشكيل مدرسة إعلامية متميزة. وشدّد على أهمية العمل الجمعي من أجل تجذير «مؤسسة جهينة»، لافتاً إلى أن وجود المؤسسات يعدّ قوة للمجتمع.

واستشهد بتجربة مؤسسة الأهرام التي تعدّ رائدة على مستوى العالم العربي في المجال الإعلامي، منوهاً إلى أن الطريق الأمثل هو تبني الروح الجمعية، واستشعار النجاح الجمعي، كأولى خطوات النجاح الذاتي والشخصي.

وأوضح في اللقاء أن الروح التنافسية تسري في جميع أبناء البشر، مشدّدًا أن الإنسان الواعي هو من يجتهد في إنجاح العمل الجماعي ويتسامى عن الأمور السلبية.

ودعا الشيخ الصفار إلى تفعيل حالة التنمية في المجتمع، التي من شأن العمل الجمعي المؤسساتي أن يبرزها، ويعكس الحراك فيها.

وقال سماحته: «على الرغم من كون مؤسسة «جهينة» مؤسسة إخبارية، إلا أنّ من واجبها العمل على إبراز كل الطاقات ودعمها ومساندتها»، مطالباً بالنظر إلى أن كل طاقة يضمّها المجتمع على أنها مصدر قوة وكسب.

وانتقد حالة الضيق التي تنتاب البعض بمجرد بروز الآخر ونجاحه، موضحًا أن تفشي هذه الحالة في جميع الصعد يسبب «تعثر» العمل التعاوني.

ونوّه إلى أهمية تجسير العلاقة بين أبناء المجتمع بشكل خاص، وأبناء الوطن بشكل عام، والعمل على صنع أجواء المحبة والاعتدال بين مختلف الأطراف.

٧

الشيخ الصفار: يحذّر من الأفكار القاتلة والمتخلفة*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن الله خلق الإنسان من جسم وعقل، وجعل قيمته وتميزه بما يحمله من علم ومعرفة.

وأضاف: بالعلم والمعرفة تتحقق إنسانية الإنسان، وقيمته تتمثل فيما يمتلكه من معرفة.

جاء ذلك في كلمة ألقاها سماحته في مسجد الرسول الأعظم بصفوى، خلال الحفل الذي أقيم بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسن المجتبى، مساء السبت ١٤ / ٩/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٣ / ٧/ ٢٠١٤م.

وتعليقًا على قول الإمام الحسن ﮹: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ فِى مَأْكُولِهِ كَيْفَ لا يَتَفَكَّرُ فِى مَعْقُولِهِ، فَيُجَنِّبُ بَطْنَهُ ما يُؤْذيهِ، ويُودِعُ صَدْرَهُ ما يُرْدِيهِ» قال: حقًّا، إنها كلمة رائعة وهدى عظيم، وتوجيه من الإمام لنظر الإنسان للمقارنة بين المأكول والمعقول.

وأبان سماحته: أن على الإنسان أن يهتم بغذاء جسمه، لكن ليس على حساب الغذاء الروحي والمعرفي، فكما يحتاج الجسم إلى الغذاء كذلك العقل يحتاج إلى تغذية.

وأوضح أن قيمة كل إنسان بعلمه لقول رسول الله ﷺ: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً وأقل الناس قيمة أقلهم علماً»[1]، فبالعلم والمعرفة يصنع الإنسان رقيه وحضارته.

وتابع: كثيرون يهتمون بالمأكول، ولا يهتمون بالمعقول، والنصوص تشير إلى أن

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠١٤م.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٩٥، حديث ٥٨٤٠.

قيمة الإنسـان في ارتقائه الروحي والمعرفي والعلمـي، وعلي عليه السلام يقول: «من كان همه بطنه فقيمته ما يخرج منه»[(١)].

وأبان أن من ينشغل عن غذاء الروح والعقل بغذاء الجسد فقط يكون بعيدًا عن الله، فعلي عليه السلام يقول: «أمقت العباد إلى الله سبحانه من كان همته بطنه وفرجه»[(٢)].

وقـال الشـيخ الصفـار: إن الإنسـان بحاجة إلى تـوازن بين ما يصرفه لغذاء الجسـم وغذاء العقل، فإن اختلّ التوازن فإنه يظلم نفسه في الدنيا والآخرة.

وطالب سـماحته المجتمـع أن يهتم بالثقافة الصحيحة، فإن الإنسـان لكي يحرص علـى صحة جسـمه لا يتنـاول طعامًـا ملوثًا، كذلك عليـه أن يحرص علـى صحة فكره وسلوكه.

وحذّر سـماحته مما وصفهـا بالثقافة المريضة التي توجه الإنسـان لبغض الآخرين وكراهيتهم.

واستنكر وجود ثقافات قاتلة في الأمة، تدفع شبابها للتطرف والإرهاب، وتشجعهم على قتل الأبرياء.

وأعرب عن أسـفه لوجود ثقافـة التبرير للتخلف، ورفض التطـور والإصلاح، هذه الثقافة التي عانت منها الأمة طويلًا، ووقفت أمام تطورها.

وطالـب بتبني الأفكار السـليمة التـي تحثّ الإنسـان على حب الآخريـن، وتدفعه للانفتاح والتسامح.

وقـال: إننـا مطالبـون بحـب النـاس، وجـذب محبتهم لنـا، ولديننـا، لقـول الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس ولا يبغّضنا إليهم»[(٣)].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٥٨، حكمة١٢٢٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١١٨، حكمة٥٠٤.

(٣) الكافي، ج٨، ص٢٢٩، حديث ٢٩٣.

الشيخ الصفار يشيد بـ «واحتنا فرحانة» *



زار رئيس ونواب مجلس إدارة مهرجان القطيف «واحتنا فرحانة ٥» الشيخ حسن الصفار بمكتبة مساء الأحد بهدف دعوة سماحته في حفل افتتاح المهرجان الذي سيقام ثالث أيام عيد الفطر المبارك، ولإطلاعه على تطور المهرجان.

وبدأ اللقاء بكلمة لرئيس المهرجان عبدرب الرسول الخميس، شكر فيها الشيخ ودعمه الدائم للفعاليات الاجتماعية عامة، وللمهرجان وأفراده خاصة، خلال السنوات الماضية.

وأشاد سماحة الشيخ بمهرجان القطيف، وأثنى على الكوادر المشاركة فيه، وقال بأن المهرجان فرصة كبيرة للمجتمع لإبراز التراث القطيفي، والعمل التطوعي والخيري لدى أبناء المنطقة.

ووجه سماحته في كلمته محفزاً المتطوعين والمتطوعات من أبناء وبنات المجتمع، داعماً الروح الجمعية لخدمة وطنهم بقوله: «على الفرد المتطوع أن يدرك أولاً الثواب والرضا من الله عزّ وجلّ، حيث إن تعزيز الروح الجمعية في المجتمع ثوابها كبير، وثانياً يجب إشعار المتطوع أن قوة المجتمع هي قوة للفرد، وكلما صنعنا قوه للمجتمع كان الفرد قويًّا».

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ١٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

وركز سماحته على دعم المهرجان والمشاركة فيه، وقال يجب ألّا يقتصر الدعم على التواجد فيه بل على دعمه معنوياً، مضيفًا بأن التواصل مع أهالي المنطقة أمر مهم.

وبنهاية اللقاء قدم رئيس المهرجان عبدالرسول الخميس شكره وتقديره مجدداً للشيخ حسن الصفار على تحفيزه الدائم لمهرجان القطيف، آملاً يكون المهرجان مرآة تستثمر طاقات أبناء وبنات المجتمع.

يشار أن الوفد الذي ترأسه رئيس المهرجان عبدرب الرسول الخميس ضم كلًّا من نائب الرئيس حسين آل سيف، وأمين سرّ المهرجان باسم الضامن، ورئيس وحدة العلاقات العامة والاتصال بشير التاروتي، ورئيس وحدة التطوير بالمهرجان رائد أبو عزيز، ورئيس وحدة الإعلام أمين الزهيري، ونائب رئيس وحدة العلاقات العامة المهندس سامر الجشي، ومستشارة وحدة العلاقات العامة فوزية المبارك، وعضو العلاقات العامة روان غازي آل حماد، مشرفة الحفل.



الصفار يشيد بـ «نسائية الذكر الحكيم» ويشدد على عمل المرأة التطوعي*

أشـاد الشـيخ حسـن الصفار بعمل المرأة التطوعي، مشـيرًا إلى أن ثواب المرأة في العمـل التطوعـي يعـد مضاعفًـا على ثواب الرجـال، لما تقـوم به من مهـام كثيرة على مستوى العائلة والتربية، ولما تتحمله من دورٍ وأعباءٍ من العمل الاجتماعي والتطوعي على حساب راحتها.

وأكـد خلال إلقائـه كلمة في اجتماع الذكـر الحكيم الأول «لننهـض بقرآننا» الذي أقامتـه لجنة الذكر الحكيم بتاروت مسـاء الأحد ١٥ رمضـان١٤٣٥هـ في قبو أبو علي أبو زيد بالربيعية، بحضور أكثر من ٥٠ سيدة، على أهمية أن تنافس المرأة في كل عصر وجيل الرجل في الاهتمام بالشـأن القرآني، لاسيما بأن أول من سمع القرآن بعد نزوله على الرسول هي المرأة متمثلة بالسيدة خديجة .

وأضاف بأن أول ما يمكن اعتباره في الروايات تفسيرًا للقرآن الكريم كان على يد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام فيما عرف بمصحف فاطمة. وعبرّ عن أسفه بندرة تواجد حضور المرأة في تفسير القرآن الكريم متسائلًا عما ينقص المرأة لتكون مفسرة للقرآن.

ونـوه إلـى أن بإمكانهـا أن تقـوم بذلـك فـي حـال توجههـا واهتمامهـا، وبذلها من وقتهـا وجهدها على هـذا الصعيد. وأبدى أمنيته في رؤية الأبحـاث حول معاني القرآن

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠١٤م.

ومفاهيمه وبث هديه في أوساط المجتمع، ليكُنَّ نماذج قرآنية متحركة أمام الناس ورائدات وفائزات بهذا الحظ والشرف العظيم، من خدمة كتاب الله، ونشر الاهتمام به.

وأشار إلى أن من المهم أن تهتم اللجان القرآنية بثلاثة أمور، وهي: نشر ثقافة الاهتمام بالقرآن الكريم في مجتمعنا، التي لا تزال محدودة الانتشار، وكذلك نشر هدي القرآن الكريم في مختلف المجالات؛ لأن المسألة الأهم تطبيقه وممارسته، وتحويله لبرنامج عملي سلوكي، وليس الاقتصار بتلاوته وحفظه.

وأضاف بأن الأمر الثالث يتمثل في تقديم النماذج القرآنية وصنع شخصيات يتمثل في سلوكها القرآن الكريم. وشدّد على أنه ينبغي أن نصنع شخصيات قرآنية تجسد القرآن في سلوكها وعملها، لاسيما بمن هم في هذه اللجان، ليكونوا النموذج والشخصية القرآنية، وليشكلوا دعوة للقرآن بعملهم وسلوكهم وأخلاقهم. وقال بأن وجود مثل هذه اللجان القرآنية كلجنة الذكر الحكيم يعدّ «مؤشرًا رائعًا» على التوجه القرآني، ويعطي أملًا كبيرًا بالاستفادة من هدي الكنز الإلهي العظيم.

وأردف قولًا بأن المجتمع بحاجة لتربية جيل على أساس الهدي القرآني، موضحًا بأن من المهم لمن يتعامل بالقرآن أن ينعكس ذلك على سلوكه وتعامله، سواء في الدائرة القريبة في التعامل العائلي، أو الدائرة الأوسع في التعامل الاجتماعي، أو على الصعيد الإنساني. ومن جانبها ذكرت رئيسة لجنة الذكر الحكيم انتصار الصفار التي أدارت الاجتماع: بأن الهدف منه هو وضع خطة إستراتيجية يسعون من خلالها لتطوير اللجنة نحو أداء مستوى أفضل.

وتم خلال الاجتماع عرض موجز عن لجنة الذكر الحكيم تضمن الرؤية والرسالة والأهداف، كما تم عرض بعض أنشطة وبرامج اللجنة في السنوات السابقة والسنة الحالية.

وقدمت الصفار جزيل شكرها لكل من حضر وأثنت على تلبيتهم الدعوة، وللحاج حسن أيوب أبو زيد، أبو علي لاستضافة اللجنة، وكذلك أثنت على حضور الشيخ وعلى جهوده المبذولة لخدمة المجتمع.



الشيخ الصفار: تحدّيات العصر تستدعي التغيير في الفهم الديني*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إننا نحتاج إلى عرض الدين بوضوح وعلمية مواكبة للتطور الاجتماعي، مبتعدين عن الاستغراق في الغيبيات.

وأوضح أن مما يستدعي التغيير في الفهم الديني؛ تطور قوانين وأساليب العيش الناشئ من تطور حياة الإنسان، وكذلك ما تواجهه الأمة من تحدّي الالتحاق بركب الحضارة والتقدم. ودعا لمواجهة التصحر الروحي والمعنوي، والتجاوب مع التطلعات الإنسانية لتحقيق قيم العدالة والحرية ومنظومة حقوق الإنسان.

وذكر أن من المشاكل التي تواجه مشاريع تطوير فهم الدين، التجديد غير المنضبط، المؤدي للاستلاب وتضييع الهوية، وفي المقابل فإن وقوف القلق على الهوية كعائق عن التجديد والتطوير يمثل أيضًا مشكلة كبرى.

جاء ذلك ضمن كلمة ألقاها سماحته بعنوان «العرض العصري للدين»، في مؤسسة أنصار الحجة ﷺ بالخويلدية في أولى ندوات منتدى «وَتَعِيَهَا» الثقافي الشهري بتاريخ ١٧/ ٩/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٤م حيث تكلم الشيخ عن الاجتهاد، وأوضح كيف أنه يوفّق بين استمرارية وعالمية الدين وبين متطلبات العصر.

وقال سماحته: إن مشروعية الاجتهاد تعني شرعية التجديد والتغيير، مطالبًا بتجاوز

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠١٤م.

تقديس التراث والشعور بالندية تجاهه فهو «إنتاج بشري يحتمل النقص والخلل، وواقع التاريخ السيئ للأمة ترك أثرًا على ثقافتها». وأضاف: إنّ فكرة الخلود والعالمية تستدعي ملاحظة ومواكبة التغييرات في الأوضاع والشعوب والمناخات، فالدين «لم يقدم صيغًا نهائية لأنماط العيش وأشكال ممارسة الحياة».

وبيّن الشيخ الصفار سعة مجال الاجتهاد والتجديد في الفكر والقوانين الدينية الناظمة لحياة الإنسان، والثابت العقيدي هو أصول العقيدة أما تفاصيلها وبراهينها فهي محلّ بحث ونقاش، تقبل التغيير والتجديد، كما لا مجال ولا مبرر للتجديد في قضايا العبادة.

وعن التجديد، أيكون في فهم الدين؟ قال سماحته: العصرنة والتجديد في مجال الفهم الديني وليس في الدين نفسه، فالعصرنة في القراءة والتجديد تحت مظلة النص وليس فوقه. وقال سماحته: إن الإسلام يحثّ على أخذ الحكمة ولو من أفواه المخالفين في الدين، وأن كون الفكرة نتاجاً غربياً أو شرقياً فذاك لا يعيبها، إن كانت صحيحة مفيدة.

وأوضح أن سبب وجود التعصب لدى بعض المثقفين أن المجتمعات العربية نشأت في واقع استبدادي، لا يُسمح فيه بطرح الرأي والرأي الآخر، من النواحي السياسية والدينية، فما يوجد من تطرف هو حالة طبيعية لكوننا جدًا على طبيعة منفتحة حرة».

وقال إن عدم قبول المجتمع لكفاءاته راجع لضعف ثقته بنفسه وبنتاجه، وأن هذا الضعف يزول تدريجياً كما تدل على ذلك مؤشّرات إيجابية كثيرة. وعن دور الأفراد في عملية الاجتهاد قال سماحته: إن إبداء الرأي والملاحظات لا إشكال فيه، حيث يُلاحظ أن الملاحظات والآراء التي تطرح من قبل غير المتخصّصين في مجالات معينة تثري هذا المجال. ونبّه على أن هذا لا يعني إقرار العمل برأي غير المتخصص، فقبْل العمل بأيّ رأي يجب بحثه وتنقيحه من قبل أهل الاختصاص في ذلك لعلم، «وهذه طبيعة مسألة التخصّص».



الشيخ الصفار: المهم من قبول التعددية الدينية هو التعايش والاحترام المتبادل*

دعا الشيخ حسن الصفار إلى تفعيل مبدأ التعددية الدينية، في جانب تعزيز التعايش بين المجتمعات الإنسانية، وإقرار الاحترام المتبادل.

واستعرض الشيخ الصفار سائر طروحات التعددية الدينية في الندوة التي انعقدت تحت هذا العنوان، بمجلس الحاج حسن العبدالله بو حليقة، بحيّ الزهور في سيهات ليلة الجمعة ١٣ رمضان ١٤٣٥هـ الموافق ١١/ ٧/ ٢٠١٤م.

وقال الشيخ الصفار: إن تعدّد الأديان والمذاهب حقيقة واقعة في المجتمع البشري عبر التاريخ، مستعرضاً التفسيرات المختلفة لظاهرة التعددية الدينية، من تفسيرات سلبية كوجود مؤامرات لقوى الشر تنحرف بالناس عن الدين والمذهب الصحيح، أو لخلل في طبيعة البشر يدفعهم إلى العناد والتعنت أمام الحق، ويخلق لديهم انحراف الفهم وسوء التفكير في الحقائق، ويجعلهم خاضعين للعواطف والانفعالات أكثر من الانقياد للأدلة والبراهين العلمية.

وأشار الشيخ الصفار إلى أسباب واقعية أخرى تتمثل في تفاوت مستوى الإدراك

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢١/ ٧/ ٢٠١٤م.

والمعرفة عند بني البشر، واختلاف بيئات معيشتهم، وتأثيرات النشأة والتربية العائلية.

وعن المقصود بالتعددية الدينية قال الشيخ الصفار: إنه يمكن إجمال أبرز طروحاتها في ثلاثة تصورات:

الأول: احتمال الحقانية والصواب ولو نسبياً في كل الديانات والمذاهب. كما طرح أحد المفكرين أن الصراط المستقيم ليس واحداً وأن الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق. وهذا طرح يرفضه معظم أتباع الديانات والمذاهب، حيث يعتقد كل طرف بأحقية دينه ومذهبه، وخطأ وبطلات التوجهات الأخرى.

والتصور الثاني: هو معذورية أتباع مختلف الديانات والمذاهب أمام الله، وإمكانية نجاتهم وخلاصهم يوم القيامة؛ لأن كلاً منهم حصلت له القناعة والاطمئنان بدينه لسبب أو لآخر، والمعاند منهم الذي يظهر له بطلان دينه فيصرّ عليه لا يمثّل إلا نسبة محدودة.

أما التصور الثالث للتعددية: فهو الاهتمام بالبعد الاجتماعي العملي منها، أي قبول التعايش والاحترام المتبادل، بإقرار الحرية الدينية، حيث يمارس كل قوم معتقداتهم وشعائرهم، في ظلّ نظام يحفظ لهم المساواة والحرية والعدل.

وركز الشيخ الصفار على هذا الجانب المهم من قبول التعددية الدينية، على أساس شراكة الناس في هذه الحياة التي سخر الله إمكاناتها لكل البشر، بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم. لأن ذلك هو ما يحفظ مصالح الجميع ويؤمن استقرارهم.

وفي ختام الندوة أتيح المجال للمداخلات والتساؤلات، قام بإدارة الندوة الأستاذ أحمد العبدالله.



مسؤولية الأندية الرياضية استيعاب الشباب وبناء كفاءاتهم*

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى تفعيل الجانب الثقافي والاجتماعي في أنشطة الأندية الرياضية، مؤكداً ضرورة الانفتاح على هذه المؤسسة الشبابية، وتشجيعها على استيعاب أبناء المجتمع، لحمايتهم من التوجهات المنحرفة، ولتنمية كفاءاتهم وطاقاتهم في مختلف المجالات.

جاء ذلك خلال حفل إدارة نادي الخليج مساء السبت ٢٨ رمضان ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ يوليو ٢٠١٤م بفرق النادي المتفوقة، وذلك في مقر النادي بسيهات.

وأبان سماحته أن الأندية الرياضية في مجتمعنا هي الإطار المناسب لملء الفراغ في أوساط الشباب، حيث يصبح النادي كيانًا ينتمون إليه، وإطاراً يجتمعون ويتلاقون في فنائه، ومن خلاله يمكن لطاقاتهم ومواهبهم أن تظهر وتتجلى، وأن تتوفر لهم مختلف البرامج الترفيهية والتدريبية، للتأهيل والإعداد الاجتماعي.

وتابع: لم يعد النادي مجرد ساحة للرياضة، وحفظ اللياقة الجسمية، وتقوية العضلات فقط، بل أصبح مؤسسة شبابية اجتماعية متعددة الأبعاد، يمكن أن تسهم في إعداد جيل المستقبل، وتأهيلهم للنجاح والتقدم. حيث تتسع مهامه ووظائفه للنواحي

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨/ ٧/ ٢٠١٤م.

العلمية والتربوية والدينية والاجتماعية.

جدير بالذكر أن سماحة الشيخ الصفار وانطلاقًا من دعمه للحركة الرياضية ألّف ونشر كتاباً تحت عنوان (النادي الرياضي والمجتمع) طبع عام ١٤٢٥هـ، وقد تحدث فيه عن أهمية الرياضة وأهدافها، والنظرة الدينية والاجتماعية لها، وأشار فيه إلى دور المجتمع تجاه الأندية الرياضية، وكذلك إلى الدور المطلوب من إدارة النادي.

كما أن للشيخ الصفار تواصلًا مستمراً مع إدارات الأندية الرياضية ويستقبل أعضاءها في مختلف المناسبات.







زار معرض التصوير الضوئي الثامن عشر

الشيخ الصفار يدعو لاحتضان الكفاءات وتشجيع المواهب

دعا سـماحة الشيخ حسن الصفار مساء الاثنين ٢٠/ ١١/ ١٤٣٥هـ إلى «احتضان الكفاءات وتشجيع المواهب وإبرازها».

وكتب سماحته في دفتر الزائرين لمعرض التصوير الضوئي الثامن عشر الذي تقيمه جماعة التصوير في القطيف: «أسـعدني جدًّا ما رأيته من صور جميلة تنقل مشـاهد من حياة شعوب مختلفة».

وتابع: «استمتعت جدًّا بهذه الجولة في هذا المعرض الجميل الرائع الذي يكشف عن كفاءات ومهارات إخوتنا وأخواتنا الفنانين والفنانات في مجال التصوير الضوئي».

وشكر القائمين على تنظيم المعرض راجيًا لهم المزيد من التوفيق والتقدم.

هـذا وكان فـي اسـتقبال سـماحته لدى زيارتـه للمعـرض رئيس جماعـة التصوير الضوئـي بالقطيف الفنان ياسـر العمـران، والفنان بدر المحروس، مسـؤول العلاقات العامة في الجماعة.

يشـار إلى أن جماعة التصويـر الضوئي في القطيف افتتحـت في ١٢/ ٩/ ٢٠١٤م معرضها الفني الثامن عشـر ثيمة «حياة» بمشـاركة ٥٤ فنانًا وفنانة بمجموع ١٠٥ عمل على صالة نادي الفنون بمركز التنمية الاجتماعية بالقطيف.









ناعياً العلامة فحص: كان مهموماً بتجسير العلاقة بين مكونات الأمة*

نعى سماحة الشيخ حسن الصفار رحيل العلامة السيد هاني فحص «رحمه الله» متحدثاً عن سيرته النضالية والمعرفية، مشيراً إلى الدور الكبير الذي كان يقوم به في تجسير العلاقة بين مكونات الأمة حيث كان يحمل هذا الهمّ بحرص شديد.

وأبان الشيخ الصفار في لقائه الذي خصصه لنعي الفقيد الراحل، والحديث عن شخصيته، في مجلسه بالقطيف مساء الخميس ٢٣/ ١١/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٨/ ٩/ ٢٠١٤م أنه تعرّف على السيد فحص قبل خمسة وثلاثين عاماً.

وقال: «ما التقيته مرة على كثرة لقاءاتي به إلا وجدته مهموماً بقضية من قضايا الأمة، يتحدث حولها، ويبحث عن سبيلٍ لخدمتها، ويحفّز على الاهتمام بها، إما عن فلسطين أو لبنان أو إيران أو العراق أو البحرين أو مصر أو أي قطر من العالم العربي والإسلامي».

وأضاف سماحته: إن السيد هاني فحص أنموذج للعالِم المثقف المنفتح، الذي يتعاطى مع الناس من خلال إنسانيتهم، متجاوزاً انتماءاتهم الدينية والقومية والمذهبية.

وتابع: لذلك كان يبادر لإدانة أي ظلامة تقع على مسيحيين أو مسلمين سنة أو

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٩/ ٩/ ٢٠١٤م.

شيعة، أو من أي دين ومذهب وقومية.

وأوضح أن السيد فحص بذل جهوداً متواصلة في مسألة الحوار المسيحي الإسلامي، والسني الشيعي، والقومي والديني، عبر كتاباته وخطاباته ومشاركاته في المؤتمرات، والمؤسسات الحوارية التي أنشأها أو ساهم في تكوينها.

وقال الشيخ الصفار: كان السيد فحص يدعو للمّ الشمل، ومعالجة المشاكل الدينية في مختلف دول العالم العربي والإسلامي، فيقوم بما يمكنه من جهود للمصالحة والتقريب بين الحكومات وجهات المعارضة، وبين الأحزاب والتيارات المختلفة فيما بينها. وتابع «جهوده في الوساطة والمصالحة معروفة في أكثر من بلد».

وعن القضية الفلسطينية قال الشيخ الصفار: إنها كانت الهمّ الذي لم يفارق السيد الراحل في مختلف أدواره وأطواره، وكانت له علاقة وثيقة مميزة بالزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، وقيادات النضال الفلسطيني.

كما أشار الشيخ الصفار إلى مؤلفات وكتابات السيد فحص الثقافية والسياسية واصفاً إياها بـ «المتميزة برشاقة التعبير وروعة الأسلوب».

وأوضح سماحته أن مشكلة السيد هاني فحص كانت تكمن في صراحته ووضوح مواقفه التي قد يخالف فيها وسطه ومحيطه الديني والاجتماعي.

وختم الشيخ الصفار حديثه بالدعاء للفقيد بالمغفرة والرحمة وأن يلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

في استقباله للدكتور الغيث

الشيخ الصفار: الإصرار على التواصل الوطني*



استقبل الشيخ حسن الصفار في مجلسه بالقطيف فضيلة الدكتور الشيخ عيسى الغيث عضو مجلس الشورى والمستشار السابق في وزارة العدل، الذي زار القطيف للمشاركة في منتدى الثلاثاء الثقافي بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٤٣٥هـ الموافق ٩/ ٩/ ٢٠١٤م.

وقد رحب الشيخ الصفار بضيف القطيف العزيز شاكراً له زيارته وتلبية دعوة المنتدى.

وقال الشيخ الصفار هناك من يزعجه التواصل والتقارب بين أبناء الوطن الواحد انطلاقاً من توجهات طائفية وتعصبية، ويشنّعون على من يسعى للتلاقي مع إخوانه المواطنين في مختلف المناطق ومن مختلف المذاهب، وأفضل ردّ على شغب هؤلاء المناوئين، هو الإصرار على نهج الانفتاح، والاستمرار في برامج التلاقي والتواصل.

من جهته عبّر الدكتور الغيث عن إيمانه بضرورة التواصل والانفتاح بين أبناء الأمة والوطن، وأن ذلك خير سبيل للوقاية من مآسي التفرقة والنزاع، ولحماية الوحدة الوطنية، وتفويت الفرصة على المغرضين.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢١/ ٩/ ٢٠١٤م.

كما تحدث فضيلته عن ضرورة تجديد الخطاب الديني بما يناسب العصر، وينسجم مع الأصول والثوابت الدينية، وأن ذلك عنصر مهم في مواجهة أفكار التطرف وتوجهات الإرهاب، ولتعزيز ثقة أبناء الأمة بدينهم في مقابل تيارات التشكيك والانحراف.







الشيخ الصفار يطالب رجال الاعمال بالتواصل والاندماج الاجتماعي*

طالب الشيخ حسن الصفار عدداً من رجال الأعمال، والمهتمين بالشأن الاجتماعي، في محافظة القطيف، الاهتمام بالتواصل والاندماج الاجتماعي مع كل الجهات الحكومية والأهلية والاجتماعية في المملكة.

وأشاد الشيخ الصفار خلال استقباله ٢٧ شخصية متنوعة من مختلف مدن وقرى المحافظة، ضمن رواد مكتب الوطيد العقاري، بمبادرتهم في تنظيم مثل هذه الزيارات الميدانية لمختلف الجهات الأهلية والحكومية، وسائر المشاريع والمناشط الاجتماعية التي تزخر بها المنطقة.

واستعرض الشيخ الصفار الأوضاع والأحداث التي تشهدها الساحة العربية والإسلامية، شارحًا أبرز المحاور الرئيسة التي يقوم عليها المشروع الذي يتبناه بكل أبعاده وتفاصيله وأهدافه.

وركز على الشأن المحلي فيما يتصل بالمشاريع الاجتماعية والثقافية والفنية التي تزخر بها المحافظة، مؤكدًا أهمية تقوية الجانبين التجاري والاقتصادي، وبروز رجال أعمال، وأصحاب مهن حرة من جيل الشباب.

---

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٢١/ ٩/ ٢٠١٤م.

وعبر رجل الأعمال عبدالله حسن شهاب عن شكره وتقديره للشيخ الصفار على استقباله، مقدمًا شكره كذلك لجميع الإخوة المشاركين في هذه الزيارة. وأكد شهاب أن الغرض منها هو لقاء الشيخ الصفار بعد عودته من السفر، ورحلته العلاجية الأخيرة، وأيضًا التعرف على مسيرته العملية وتجاربه وخبراته الطويلة.

وقال إن الزيارة ضمن زياراتهم المتنوعة لمختلف الأنشطة والبرامج والمشاريع الحكومية والأهلية. وتضم ناشطين اجتماعيين ورجال أعمال، وأصحاب مهن حرة، ومتقاعدين وموظفين، من مختلف مناطق وقرى المحافظة.

ألقى عبدالحميد العبكري كلمة نيابة عن الوفد، شكر خلالها الشيخ الصفار على حسن الاستقبال، وطيب اللقاء، فيما بادلهم الشيخ الصفار مكررًا الشكر للجميع فردًا فردًا على زيارتهم، آملًا أن تتواصل مثل هذه اللقاءات والزيارات مستقبلًا.

وقدم كل من إبراهيم قوأحمد وعبدالله شهاب أصحاب مكتب الوطيد العقاري للشيخ الصفار درعًا تكريميًا، تقديرًا لدوره الريادي البارز في خدمة دينه ومجتمعه ووطنه، قبل أن يصطحب الشيخ الصفار الوفد في جولة على أقسام مكتبه شارحًا لهم اختصاصات ومهام كل قسم.





في استقباله للدكتور الشبيلي

الصفار: مطالبون جميعاً بتعزيز الوحدة الوطنية*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: «إننا جميعاً مطالبون بتعزيز الوحدة الوطنية، ورفض التمييز، والتحريض على الكراهية» وذلك «ليشعر جميع المواطنين بانتمائهم لوطن واحد، متساوين في الحقوق والواجبات».

جاء ذلك خلال استقبال سماحته للدكتور عبدالرحمن الشبيلي عضو مجلس الشورى السابق وضيوف منتدى الثلاثاء الثقافي في مكتبه بالقطيف مساء الثلاثاء ٢٨/ ١١/ ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣/ ٩/ ٢٠١٤م.

ودعا الشيخ الصفار لمحاسبة من يبث الفرقة في أوساط المواطنين، ومن يمارس التمييز بينهم على أساس مناطقي، أو قبلي، أو مذهبي.

وقال: ينبغي أن يشعر الجميع أنهم سواسية في الحقوق والواجبات، وهذا يحمّلنا جميعًا، وخاصة النخبة الواعية مسؤولية توجيه الرأي العام برفض التمييز، والتواصل مع مصادر القرار لتعزيز هذه الحالة.

وأضاف: علينا أن نعمل جميعًا من أجل سيادة القانون، وسيادة النظام حتى يشعر الجميع أنهم يعيشون في ظل قانون واحد، يحفظ للجميع حقوقهم، ويلزمهم بواجباتهم.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨/ ٩/ ٢٠١٤م.

وفيما يلي نص كلمة الشيخ الصفار:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

أرحب باسمي شخصيًّا، وباسم أهالي القطيف بالإخوة الأعزاء.

أرحب بكم وأشكركم جميعًا على تجشّمكم العناء، وتلبيتكم دعوة منتدى الثلاثاء بالقطيف، وزيارتكم محافظة القطيف، فأهلًا وسهلًا بكم جميعًا.

الحمد لله أنّ تشريفكم صادف هذه المناسبة العزيزة والغالية على قلوب الجميع اليوم الوطني، هذه المناسبة التي تذكّرنا بوحدتنا وبقيمة محبة الوطن، وانتمائنا لهذا الوطن الواحد.

وإذا كان لقيمة المواطنة حضورها وأهميتها في نفس كلّ واعٍ في كلّ وقت، فإنها تصبح أكثر حضورًا، وأكثر تجلّيًّا في هذا الزمن، ونحن نرى التحدّيات التي تحيط بأوطاننا، وأمتنا الإسلامية.

أوطاننا تتعرض لأعاصير، وهزّات، واضطرابات، مما يوجب علينا أن نكون أكثر وعيًا، وأكثر يقظة للحفاظ على وحدتنا، وعلى هذه المكاسب العظيمة التي أنعم الله بها علينا.

أيها الإخوة: هذا الوطن بفضل الله، ثم بفضل جهود الملك المؤسس، تكوّن والتأمت أجزاؤه التي كانت متفرقة لا تجمعها سلطة حكيمة رشيدة، أما الآن فبحمد الله، نحن نعيش في هذا الوطن الرحيب، ونحيا في ظل هذه المكاسب الكبيرة، مما يوجب علينا أن نشكر هذه النعمة، وشكر النعمة كما علّمنا الدين لا يكون بالألفاظ فقط، ولا بالكلام وبتعبير اللسان فحسب، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، فالشكر يكون بالعمل وبالسلوك.

إننـا مطالبون جميعًا بأن نعزّز هذه الوحدة الوطنية، وأن نعزّز التماسـك الوطني، وأن نعمل جميعًا من أجل أن يشعر جميع المواطنين أنهم ينتمون إلى وطن واحد، وعلى قلب رجـل واحد، يعيشـون متسـاوين في الحقـوق والواجبات، لا مجال لمن يبـث الفرقة في أوساطهم، ولا مجال لمن يمارس التمييز بينهم على أساس مناطقي، أو قبلي، أو مذهبي.

ينبغـي أن يشـعر الجميـع أنهـم سواسـية في الحقـوق والواجبـات، وهـذا يحمّلنا جميعًا، وخاصة النخبة الواعية التي بيدها توجيه الرأي العام، وتصل إلى مصادر القرار بإمكانهـا أن تعـزّز هذه الحالة، علينا أن نعمل جميعًا من أجل سـيادة القانون، وسـيادة النظـام الذي يشـعر الجميع أنهم يعيشـون في ظـلّ قانون واحد، ونظـام واحد، يحفظ للجميع حقوقهم، ويلزمهم بواجباتهم.

لقد عانت مجتمعاتنا وشـعوبنا من ألوان مـن ثقافات التحريض التي تبث الكراهية والعنصريـة بين الناس، بعنوان ديني، أو قبلي، أو قومي، وذلك بخلاف ما أراده الله لنا كمسلمين، نبشر بالتسامح والسلم والانفتاح، إن شعار المسلم أينما ذهب هو السلام، حينمـا يلتقـي أحـدًا يبدأه «السـلام عليكم»، وشـعار المسـلم هـو الدعوة إلـى الأمور المشتركة حتى مع مخالفيه في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

الذيـن يفرقون بين الناس، ويميـزون بينهم، ويبثون ثقافـة الكراهية، هؤلاء يهيئون الأرضيـة لتجزئة الأوطان، وللاضطرابـات، ونحن نرى ما حدث في البلدان الأخرى، فهـذه الاضطرابـات لم تحدث فيها فجأة بين عشـية وضحاها، إنما كانت ثمرة ونتيجة لمثل هذه الألوان من الثقافات، وبحمد الله تعالى قيادة الوطن السياسية تؤكّد الوحدة، وتدعـو إلـى الحوار، وتؤكّـد الانفتاح، فعلى النخبة الواعية أن تسـير فـي هذا الاتجاه، وهذه المناسبة العزيز يجب أن نستفيد منها لتأكيد هذه القيم.

مـا أروع هذا اللقـاء، وما أجمل هذه الزيـارة في مثل هذا الزمـن المبارك الجميل، خاصة والندوة ـ التي سـنحظى الليلة بحضورها ـ تتحدث عن شخصية ونموذج جسَّدَ

حالـة التعايش، حيث عاش الأديب الشـاعر خالد الفرج في أكثـر من بلد، وتعايش مع الناس، وقبل التعايش والتنوع الثقافي.

جـاء الراحل الفرج إلى القطيـف وتعايش مع أهلها حتى أصبح كأحدهم، كما نقرأ في سـيرته، وكما تحدث عنه مقال الدكتور عبد الرحمن الشـبيلي في الشـرق الأوسط قبل يومين، وكان مقالًا جميلًا ثريًّا بالمعلومات، هذا النموذج ينبغي أن يُبرز أمام أبنائنا وشـبابنا حتى يكون قدوة لنا جميعًا في التسـامح والتعايش، وفي تعزيز القيم الإنسانية النبيلة.

أكـرّر الترحيب بكـم جميعًا، وكلّ واحد منكم له قيمتـه الوطنية والعلمية والأدبية، وجديـر أن يحتفـى به في مناسـبة خاصة، وتشـريفكم لنـا الليلة هو فضـل منكم وبركة وخير في هذا المسـاء الجميل. شـكرًا للأخ الدكتور عبد الرحمن الشبيلي الذي أتحفنا باصطحاب هذه النخبة والكوكبة الواعية من الشخصيات الأدبية وفيهم من دارة الملك عبد العزيز هذا الصرح المعرفي الذي يفخر به كلّ مواطن وكل عاشق للمعرفة والأدب.

كذلـك أرحب بالأسـتاذ معن الجاسـر ومن معه مـن رجال مؤسسـة العلامة حمد الجاسـر صاحب الفضل الكبير على كلّ بقاع هذا الوطن ومكوناته بما حفظ من تاريخ وثقافة هذه البلاد وأعطى وأثرى ببحوثه التاريخية والأدبية في مجلته الرائدة (العرب) وسائر مؤلفاته القيمة.

كما يسـعدنا حضور بعض أسـاتذة جامعة الملك سعود، هذا الصرح العلمي الذي تخرّج من أروقته عدد كبير من أكاديميي هذه المحافظة.

فأهلًا ومرحبًا بالجميع، شرّفتمونا وأسعدتمونا بزيارتكم هذه الليلة.

كلمة الدكتور الشبيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

لست بأقرئكم ولا بأعلمكم ولا بأفضلكم ولا بأكبركم ولكنني جغرافيًّا في هذا المجلس أقربكم إلى فضيلة الشيخ حسن الصفار، وفي الواقع ليس بمقدوري أن أدخل في منافسة مع ما تفضّل به بلاغة ومعنى، وإنّ الحديث يطول عندما يكون عن اليوم الوطني، ويطول أيضًا عندما يكون عن القطيف، ويطول أيضًا عندما نتحدث عن المناسبة التي جمعتنا هذه الليلة، بالنسبة لليوم الوطني تفضل فضيلته وعبّر عن معانيه أبلغ تعبير، وبالنسبة للقطيف نحن الشهداء الذين ينبغي أن نتحدث، لم يكن ما شاهدناه في هذه الليلة مفاجأة لنا؛ لأننا نعلم أن القطيف ساحل الذهب الأبيض خلافًا لما أطلقه الراحل محمد سعيد المسلم عندما سمّاها ساحل الذهب الأسود، الواقع أنّ القطيف بثرائها المعرفي، وثراها الفكري، وثرائها الثقافي، تُعَدّ فعلًا ساحل الذهب الأبيض.

تفضّل الشيخ حسن الصفار بالإشارة إلى الشخصية الراحلة التي اجتمعنا للحديث عنها الليلة، والواقع أنّ اختيار الحديث عن خالد الفرج جاء في محلّه؛ لأنّ خالد الفرج يُعَدّ شخصية الخليج وشاعر الخليج، فهو جمع أطراف الخليج كلّها، لا أريد أن أحرق الكلمات في هذا اللقاء لكنه جاء من وادي الدواسر، وولد في الكويت، وعاش في البحرين، ومرّت أسرته على عمان، ثم بعد ذلك جاء واستقرّ في القطيف، هذه الرقعة العزيزة من الوطن الغالي من ساحل الخليج، فهو فعلًا يمثل شاعر الخليج، وله من التراث الأدبي والفكري ما عبّر به في زمنه عن هموم هذه الأمة، فهو قد عاش معظم التحولات التي شهدها العالم العربي، مما يطول التفصيل فيه، في هذه اللحظات، مرة أخرى لا يمكن أن نزيد عمّا تفضل به فضيلته عن اللحمة الوطنية، وكيف أنّ خالد الفرج يُعَدّ رمزًا من رموز الوحدة الوطنية؛ لأنه اتخذ من القطيف موطنًا أخيرًا له، إذ اختار أن يقيم فيه نصف عمره، وسيدور الحديث عنه هذه الليلة.

فضيلة الشيخ، أيّها الإخوة الأعزاء من هذه المنطقة العزيزة، وباسم هؤلاء الإخوة الذين جاؤوا مسرورين ومتسابقين لكي يشهدوا هذه المناسبة الليلة، وليزوروا هذه البقعة العزيزة من وطننا الغالي، في هذا اليوم المجيد، أودّ باسمهم جميعًا أن أشكركم

على حفاوة الاستقبال، وباسم كلِّ فردٍ من زملائي أتقدّم لكم بالامتنان والتقدير.

كما ألقى الشاعر إبراهيم التركي قصيدة استحث فيها الأمة للنهوض بعد السبات، ولتواكب الأمم المتقدمة، وتقتفي أثر الحضارات، وتعيد بناء مجدها الضائع.

يشار إلى أن الضيوف الأعزاء قدموا من الرياض للمشاركة في الندوة التي أقامها منتدى الثلاثاء الثقافي، بالتعاون مع دارة الملك عبد العزيز، تحت عنوان: «خالد الفرج: الشاعر والوطن»، وذلك في قصر الغانم للمناسبات بمدينة القطيف، وحاضر فيها كل من الدكتور عبد الرحمن الشبيلي والأديب السيد عدنان العوامي.

وتضم المجموعة كلاً من:

الأديب إبرهيم عبدالله التركي، الأستاذ عبدالله أبو ملحة ـ عضو مجلس الشورى، الأستاذ أحمد اليحيى ـ سفير سابق ومستشار، د. حمد الدخيّل ـ أستاذ الأدب في جامعة الإمام محمد بن سعود، د. عايض الردّادي ـ عضو مجلس الشورى، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الخريف، الأستاذ عبدالله الحقيل ـ أمين سابق لدارة الملك عبدالعزيز، الأستاذ حمد الصغيّر ـ رئيس بلدية الأحساء سابقاً، الأستاذ عبدالله الحمّاد ـ رجل أعمال، د. إبراهيم العيسى ـ عضو شورى سابق، د. أسعد عبده ـ عضو مجلس الشورى، أستاذ في جامعة الملك سعود، د. محمد الهدلق ـ بروفيسور الأدب العربي في جامعة الملك سعود، د. عبدالعزيز المانع ـ بروفيسور الأدب جامعة الملك سعود، د. عبداللطيف الحميدان ـ أستاذ التاريخ جامعة الملك سعود، الأستاذ معن حمد الجاسر ـ رئيس مؤسسة حمد الجاسر الخيرية، د. عبدالعزيز الهلابي ـ بروفيسور التاريخ جامعة الملك سعود، د. عبدالرحمن الشبيلي، الأستاذ إبراهيم المهنّا ـ دارة الملك عبدالعزيز، الباحث والمؤرخ الأستاذ فايز بن موسى البدراني الحربي .



الصفار الرجل الملهم بكل ما تعنيه الكلمة من معنى*

حسين أحمد بزبوز

الشيخ الصفار رجل ملهم بكل ما تعنيه الكلمة من معنىً، يقرأ الحدث بعمق، وتسكنه أولويات الزمان والمكان، يقرأ ماضيه وماضي أمته في مفاصله الحساسة، ليفرز للحاضر قراءة تأصيلية واعدة، تهب شرايين المجد دماءً جديدة، وتجفف مستنقعات الركود والركون الفكري للمألوفات والموروثات التي تتناقل ضمن نطاقات الجهل وقلة الوعي دون تمعن ودون نقد ودون وعي في اجتزاءات واستدلالاتٍ مشوهة لعقل وواقع الأمة.

تراه موسوعة في كل حادثة نازلة، يعيشها في أدق تفاصيلها، ما يدل على أنه قد وهب نفسه مع كل خفقات عقارب الساعة للحظة الحاضرة في منعطفاتنا الحاسمة، يعيش كل التفاصيل المهمة، وكأن الله قد سخر له طي الزمان والمكان في قبضة عقله الفذ منذ نعومة أظفاره ليستوعب كل ما يجري في لحظات الزمن المزدحمة بكل صخب الحياة وتعقيداتها وتشعباتها بسرعة مذهلة، ما يكشف لك عن حجم الانشغال والتفرغ التام لقضايانا المعاصرة المهمة والحاسمة.

متطلعٌ هو دائماً رغم العُقد والمنغصات والمعوقات التي لا تكسر هم الرجل

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨/ ٩/ ٢٠١٤م.

الأشـم لمسـتقبل الأمة الذي ستعيشـه أجيـالٌ أخرى ويجـب أن نصنعـه جميعاً بحبٍ وإخـلاصٍ لكل بني الإنسـان دون ارتهانٍ لأطماع شـخصية زائلة ولا لهوياتٍ سـرابية ممزقة ومدمرة.

هو سحرٌ وجمالٌ ستبصره بالوعي والرؤية المنصفة المتوازنة مهما اختلفت معه.

سـتراه في مجلسه ساعة البوح وإفراغ كنوزه التي تموج بها بحاره المتلاطمة، أكثر مما تراه في أي مشهدٍ آخر يُختصر فيه ويُختزل أو يُموه أو يُشوه من هو الصفار.

الصفـار مجموعـة رجـالٍ فـي رجـلٍ واحـد، ومجموعـة عقولٍ فـي عقـلٍ واحد، ومجموعة إراداتٍ في إرادةٍ واحدة ... إلخ.

هو التنوع والموسوعية والتسامح بكل ما تعنيه الكلمة من معنىً، حتى يعجز الفعل والقلم.



الصفار يزور مهرجان «النخلة» *

جمال الناصر

أشاد الشيخ حسن الصفّار بالفعاليات المصاحبة لمهرجان «النخلة» الثاني، المقام في مزرعة الشاعر ببلدة القديح، مشيراً إلى ما تحويه القطيف من تراث عريق جسّده القائمون على المهرجان، وما تميّز به من إمكانيات.

وعبّر الشيخ الصفار أثناء زيارته للمهرجان، أمس الجمعة ٢ ذو الحجة١٤٣٥هـ، عن سعادته واعتزازه بما رأى في «هذا المهرجان من طاقات عظيمة بذلت لكي تصنع هذا النجاح لهذا المهرجان الرائع».

وقال: إن مهرجان النخلة يبيّن لنا أن في مجتمعنا طاقات إبداعية كامنة، ينبغي أن تفسح لها الفرص لكي تعبر عن نفسها، وفي بلادنا يوجد الكثير من الثروات والخيرات ينبغي الاهتمام بها.

وذكر أن «من شكر النعمة تقديرها وإظهارها، موضحًا أن إبراز نعم الله بما يتناسب مع تطور العصر والزمان هو مصداق من مصاديق ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وقدم شكره «لكل الجهود المبذولة من قبل الأخوة الذين عملوا على إنجاز مهرجان النخلة، وصنعوا هذه المبادرة ورعوها، ونراها تتطور عاماً بعد عام، شكراً

---

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ٢٧/ ٩/ ٢٠١٤م.

لهم جميعاً، وشكراً لأبناء المجتمع على تجاوبهم مع هذه المبادرة والفكرة».

وأبارك لأبناء المجتمع تجاوبهم الجميل والرائع في احتضان «مهرجان النخلة» الثاني عبر تواجدهم، واندماجهم المجتمعي والفكري والروحي والعاطفي مع هذه المبادرة والفكرة الخلّاقة، داعياً بالتوفيق والسداد للقائمين على المهرجان.







الشيخ الصفار يستقبل الباحث الحربي

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه صباح الخميس غرة ذي الحجة لعام ١٤٣٥هـ الباحث والمؤرخ الأستاذ فايز بن موسى البدراني الحربي.

ورحب الشيخ الصفار بالضيف الكريم مبدياً ارتياحه للتواصل بين نخب المثقفين في المجتمع، والانفتاح على المعارف المختلفة.

وقد دار الحديث حول أهمية الاعتناء بالتراث والوثائق، مستعرضاً الأستاذ الحربي بعض مؤلفاته في هذا الشأن، ككتاب «بعض الأعيان وأعلام القبائل في وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلال العهد العثماني».

وأشار الباحث الحربي إلى حالة التواصل والتعايش السلمي بين الأهالي في المدينة المنورة ووادي الفرع، رغم اختلاف مذاهبهم وقبائلهم، وهذا ما توصل إليه من خلال أبحاثه ومن خلال الوثائق.

من جهته أشاد الشيخ الصفار بما قام به المؤرخ الحربي من استنطاق للوثائق في بعض مؤلفاته، داعياً لاستنساخ التجربة وتعميمها في كل المناطق، للاستفادة من هذه المادة التاريخية المهمة.

يشار إلى أن الباحث الحربي عمل مديراً تنفيذياً بمركز الأمير سلطان لأمراض وجراحة

القلب بالرياض. وبعد أن حصل على تقاعد مبكر أصبح مستشاراً في مركز الملك عبد العزيز التاريخي، ثم عين مديراً لمركز حمد الجاسر، ويعمل الآن كباحث متفرغ.

من مؤلفاته:

فصول من تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد (٣٠٠ـ ١٣٠٠هـ)، صدر عام ١٤١٧هـ.

بعض الأعيان وأعلام القبائل في وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلال العهد العثماني: (٩٦٠-١٣٠٠هـ) (١٥٥٣-١٨٨٣هـ)، صدر عام ١٤٢٣ هـ،٢٠٠٢م.

التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز قبل العهد السعودي دراسة موثقة عن التنظيمات القانونية والقضائية لقبيلة حرب، صدر عام ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م

من مصادر تاريخ المدينة المنورة: سجلات المحكمة الشرعية الكبرى في المدة من ٩٣٢ هـ إلى ١٣٤٤ هـ.





في خطبتي العيد

الصفار يتحدث عن تزكية النفس ويدعو للاهتمام بالمساجد

أمَّ سماحة الشيخ حسن الصفار المصلين لأداء صلاة عيد الأضحى المبارك، في مسجد الرسالة بالقطيف، وتحدث في خطبتي العيد عن تزكية النفس، ودعا للاهتمام بالمساجد لتكون مناراً يشع منها العلم والمعرفة.

وقال سماحته في الخطبة الأولى: إن الإنسان يحتاج إلى تزكية النفس، كما يحتاج إلى تعاهد جسمه بالنظافة، فالنفس تعلق بها الأوضار والميول السيئة، التي تنعكس انحرافاً على السلوك. وتابع: لا شيء أهم من تزكية النفس وتهذيبها، والتزكية هي التطهير، والتنمية الإيجابية.

وعن حاجة الإنسان لتزكية النفس قال سماحته: إن وجود الغرائز في أعماق النفس، وطبيعة الحياة تجتذب الإنسان نحو الشهوات، وهذا قد يدفعه إلى الفساد والانحراف والتعدي على الآخرين. ودعا الشيخ الصفار إلى مراقبة النفس، فالله تعالى منح الانسان عقلاً يميز به الخير من الشر ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، وعليه أن يجتهد ليسلك طريق الخير، مما يساعده على تزكية نفسه.

وطالب بوجود حالة من الوعي والمعرفة، فالإنسان الذي يمتلك وعياً ومعرفة أكثر، هو أقدر على تزكية نفسه وتهذيب سلوكه.

وأضاف: إن للنفس رغبات وشهوات وإذا عوّد الإنسان نفسه الاستجابة والانقياد للشهوات فإنها لا تقف به عند حدود، والطرق للسيطرة على هذه الشهوات هي مداومة مجاهدة النفس، وعدم الاستجابة لشهواتها.

وأبان سماحته أن الإنسان الذي يبرّر لنفسه ولا يقوم بنقدها والاعتراف بأخطائها وإساءاتها لا يزكي نفسه ولا يطورها ولا ينميها.

وأوضح أن الأجواء التي ينتمي لها تساعده على تزكية النفس، «فالأجواء الصالحة تساعد على الصلاح، والعكس صحيح»، حسب قوله.

وفي الخطبة الثانية تحدث سماحته عن دور المسجد في صناعة الوعي في المجتمع، لكونه منبعاً للأجواء الروحانية، ومركزاً للتلاقي والسمو الروحي والثقافي والاجتماعي.

وقال سماحته: إن المسجد ركن أساس في مجتمع المسلمين وفي إحيائهم، وله دور كبير في حياة المجتمع الإسلامي، فهو ذلك المنار الذي يشع على الناس هدى وروحانية.

وتابع: الناس يحتاجون إلى أجواء روحية تذكرهم بآفاق السمو الروحي، والمسجد هو ذلك المكان الذي يكون فيه عمران الأرواح، وصناعة قيم الخير في النفوس.

وأضاف سماحته: المسجد منبع المعرفة والعلم، كما كان في تاريخ المسلمين، ففيه يتعلم الناس معارف دينهم، ويناقشون أمور دنياهم ومصالحهم المشتركة.

وأبان أن للمسجد دوراً في تأكيد أواصر الصلة والعلاقة بين أبناء المجتمع، وتعزيز اللحمة بين الناس، الذين يرون بعضهم بعضاً يوميًّا في المسجد.

استقبل رئيس مؤسسة العوهلي في عنيزة

الصفار يطالب رجال الأعمال بدعم ثقافة التسامح



استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه صباح الخميس ١٥/ ١٢/ ١٤٣٥هـ الموافق ٩/ ١٠/ ٢٠١٤م الأستاذ/ فهد بن عبدالعزيز العوهلي، رئيس مؤسسة عبدالعزيز المحمد العوهلي الخيرية لتنمية المجتمع في عنيزة، ضمن برنامج نظمته لجنة التواصل الوطني في محافظة القطيف، خلال زيارتهم للمنطقة، يومي الأربعاء والخميس.

وقد رحب سماحة الشيخ الصفار بالضيوف الكرام، مشيدًا بمؤسسة العوهلي الخيرية، ومشاريعها في تنمية المجتمع.

وقال سماحته: اجتمعنا اليوم لكي نعزز قيمة التواصل بين أبناء المجتمع، ولكي نشيد بتجربة اجتماعية خيرية رائدة، فمؤسسة عبدالعزيز العوهلي نموذج حري بالاقتداء.

وتابع: ننتظر من رجال الأعمال الكثير لخدمة مجتمعاتهم، فهم الشريحة الأكثر إمكانية في المجتمع، وقد حباهم الله وأنعم عليهم، وعليهم شكر نعم الله بخدمة عباده.

وأوضح أن المجتمع يتطلع لدور أكبر من رجال الأعمال، بأن يكون موضوع التنمية همًّا أساساً في تفكيرهم، فالوطن يحتاج إلى عطاءاتهم وبذلهم. وأشاد سماحته

برسالة المؤسسة التي ركزت على (تنمية المجتمع).

وطالب الشيخ الصفار المؤسسات الأهلية ورجال الأعمال والمثقفين بترويج الأفكار الحضارية، والقيم الإيجابية، والوقوف في وجه الأفكار التي تعوق تطور المجتمع.

وشدّد على نشر قيمة التسامح وقبول الآخر، وتأكيد نهج التواصل والالتقاء، مقابل حالة القطيعة التي تدعوا لها الأطراف المتشددة.

وقال: إن ثقافة التواصل والتسامح هي من صميم ديننا وتراثنا، والشعوب اليوم تفخر بتنوعها ضمن وحدة وطنية تكاملية.

وتحدث الأستاذ/ فهد العوهلي مبديًا سعادته بهذه الزيارة، وقال: لا أستطيع وصف سعادتي منذ أن وطأت هذه الأرض الطيبة.

وأضاف: أتينا هنا لنؤدي واجب التواصل مع إخواننا في جزء من وطننا العزيز.

وتابع: العمل الخيري ليس من مسؤولية رجال الأعمال فقط، وإنما هو مسؤولية كل فرد، فليس بالمال فقط يقوم العمل، بل بوجود المتطوعين.

وأوضح أن ما رآه من عمل يقوم به المتطوعون في القطيف، سواء في الجمعيات الخيرية، أو في مهرجان الدوخلة، شيء يدلّ على نضج المجتمع ووعيه.

ثم تحدث المشرف على برنامج دمج العوق البصري الأديب الأستاذ صالح بن محمد الكريدا شاكرًا الله على منحه هذه الفرصة لزيارة المنطقة، وقال: موقفي الداعم تجاه التواصل بين الشيعة والسنة قديم، وكنت أطالب دائمًا بأن تكون الأواصر قوية بين الناس.

وذكر تجربة شخصية عن علاقة له قديمة مع بعض أبناء القطيف، وأنها كانت علاقة مشاعر جميلة، وتفاهم عميق واحترام متبادل.

وتابع: أنا أحب الإنسان عامة، ونحن أبناء بلد واحد، وأحق بالحبّ والتواصل.

ثم أبدى المهندس عبدالرحمن القرعاوي (مسؤول سابق في شركة سابك واستشاري في العديد من المؤسسات الخيرية في عنيزة) سعادته بالزيارة، وما شاهده في مهرجان الدوخلة ونشاط الجمعيات، وقال: نأمل أن يدوم التواصل بيننا ونقل الخبرات، ليستفيد الوطن من هذه المشاريع.

من جهته رحّب رجل الأعمال الشيخ عبدالله السيهاتي بالضيوف، وشكرهم لتجشم عناء الحضور وزيارة المنطقة، مشيدًا بما تقوم به مؤسسة العوهلي من خدمة للمجتمع وداعيًا للجميع بالتوفيق.

وقد شارك في اللقاء الدكتور صالح بن موسى الضبيبان (وكيل سابق في وزارة التربية والتعليم ـ عنيزة)، وعضو مجلس الشورى الدكتور محمد الخنيزي، ورئيس المجلس البلدي في القطيف السيد شرف السعيدي، والأستاذ مهدي ياسين الرمضان (عضو سابق في مجلس المنطقة الشرقية ـ الأحساء)، ورجل الأعمال الأستاذ محمد بن عبدالرحمن الفرج ـ الخبر، وراعي منتدى الثلاثاء الثقافي، عضو المجلس البلدي المهندس جعفر الشايب، ورئيس جميعة سيهات الخيرية الأستاذ عبدالرؤوف المطرود، ورجل الأعمال خالد العبدالكريم، ورجل الأعمال الأستاذ فؤاد بومرة، ولفيف من رجال الأعمال والمثقفين من محافظة القطيف، وتناول الجميع وجبة الغداء على شرف الضيوف الكرام.

الجدير بالذكر أن لجنة التواصل الوطني هي إحدى المبادرات الوطنية التي انطلقت من محافظة القطيف عام ٢٠٠٩م، بهدف تعزيز الفهم المشترك، وخلق فرص التعاون وتبادل الخبرات بين المؤسسات في المملكة، عبر تبنيها تنظيم زيارات لشخصيات من مختلف مناطق المملكة والتواصل معها.









في مجلس الشيخ الصفار*

يحيى العبداللطيف



التقيت البارحة شخصية من الشخصيات الرائعة في مجتمعنا لطالما رغبت في الحديث معه، وهو الباحث الإسلامي العلامة الصفار ، ولربما في هذا المنشور لن آتي بجديد، ولكن من باب تأكيد انطباع سابق.

الشيخ حسن شخصية أريحية احتوائية، يشعرك في جلستك الأولى معه أن ثمة معرفة مسبقة تجمع به، وليس بغريب، فالرجل يتابع كل ما يدور في الساحة، ويرصد ما يرشح من حراك في مواقع التواصل الاجتماعي ، وهذه نقطة تحسب له أنه يعيش في قلب الحدث بكل تفاصيله.

شاكسته بأسئلة مثيرة، أعرضُ فيها رؤى الشباب حول ما يدور في الساحة الاجتماعية والدينية، فوجدته أقرب لروح الشاب المثقف من تزمّت بعض رجال

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١/ ١٠/ ٢٠١٤م.

الدين، ومع ذلك فهو يعبّر عن رأيه بطريقة لا تثير أحدًا.

وأهمّ نقطة من خلال اطّلاعي على بعض نشاطات الشيخ، هو انفتاحه اللامحدود علـى كل التيـارات، بما في ذلك المثقفين التنويريـن ، فقد كان أحد الأصدقاء يحدثني أنـه كان في منزل الأديـب محمد العلي أحد رواد الحداثة فـي المملكة، يقول: فوجئنا بالشـيخ الصفار يطلّ على جلسـتنا ، قلت لصاحبي: هذا سرُّ تألق الصفار، انفتاحه على الجميع، يسمع من الجميع، ثم يعلن رأيه بذوق، لا يستعدي أحدًا وإن اختلف معه**!!**

سعدت كثيرًا بهذا التواصل.



الشيخ الصفار يزور المتحف الحسيني التراثي*

جمال الناصر

زار الشيخ حسن الصفار مساء السبت المتحف الحسيني التراثي بالقديح، مشيدًا بالمتحف، والجهود التي بذلها القائمون عليه.

وتحدث الصفار في أن وجود هذا المتحف سيكون له الأثر الإيجابي الكبير في إثراء الحالة الإيمانية والولائية، في أوساط هذا المجتمع، عبر الأعمال الفنية التراثية.

ونوّه إلى أن رجال الدين في القطيف هم الذين تربى على أيديهم هؤلاء الشباب، حتى أصبحوا يحملون هذا الهم، والتوجه الولائي، فأبصرناهم يبدعون بأناملهم وفكرهم هذه الإبداعات في محرم الحرام من كل عام.

وأشار إلى أن هناك بعض العلماء أخذوا على عاتقهم تشجيع هذه الأنشطة، وتقديم الدعم بنوعيه المادي والمعنوي.

وأجاب عن إمكانية بزوغ متحف حسيني دائم في القطيف، أن الإمكانية متاحة إذا كانت الرغبة موجودة، والإيمان بفاعلية هذه المتاحف الحسينية حاضرة، لافتًا بلغة الفخر والاعتزاز والأمل إلى أن هذه التجربة – المتحف الحسيني التراثي بالقديح – تعتبر خطوة أولى لها نوافذها المطلة في وجود متحف حسيني دائم.

---

* نشر على جهينة الإخبارية بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠١٤م.

وتابع أن هذا المتحف الدائم الذي يأمل بزوغه في الأفق، سوف يحتوي ما يمكن جمعه من الآثار من مختلف البقاع المقدسة، بدءاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة وسائر البقاع المقدسة في بلاد المسلمين، التي ينبغي أن يكون لهم الأثر الكبير في هذا المكان.

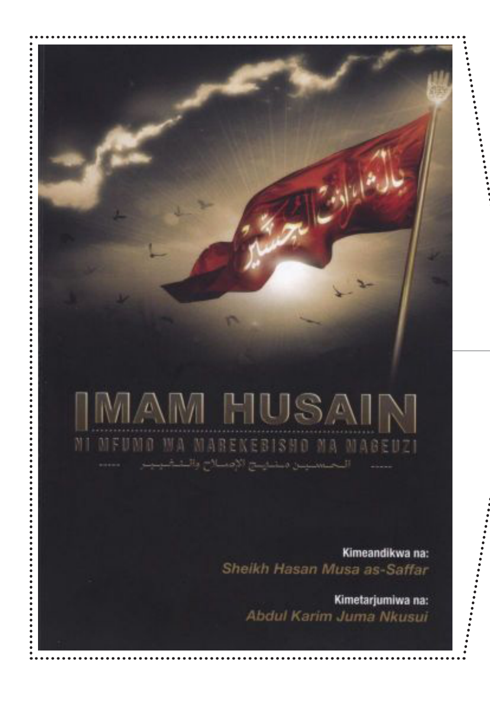
واختتم الصفار حديثه لـ «جهينة الإخبارية» بأننا بحاجة إلى مختلف المشاريع والأنشطة الثقافية والفنية والولائية والعلمية في مجتمعنا القطيفي، الذي يتسم بتنوع الكفاءات والقدرات والطاقات الإبداعية والاهتمامات المتنوعة.

وشدّد على أنه لا يمكن لأيّ اهتمام من الاهتمامات بألوانه المتعددة أن يلغي سائر الاهتمامات الأخرى.

من جانب آخر تحدث مسؤول المتحف الحسيني التراثي بالقديح إبراهيم البناي لـ «جهينة الإخبارية» بأن زيارة سماحة الشيخ حسن الصفار تمثل دعماً معنويًّا نوعيًا لهم، عبر ما أبداه من كلمات تحمل في طياتها التشجيع والفخر والاعتزاز.

ووجه البناي إلى رجال الدين في القطيف رسالة قائلاً: «إن وقفتكم مع الأنشطة الشبابية المتنوعة الأفق في القطيف مطلب يساهم في تطوير الأنشطة، وإبرازها في صورة بهية المنظر والفاعلية».

يذكر أن المتحف الحسيني التراثي بالقطيف سيفتح أبوابه للزائرين بكلا الجنسين في محرم الحرام القادم، حيث يستمر طوال العام.



كتاب (الإمام الحسين منهج الإصلاح والتغيير) باللغة السواحلية*

عن مؤسسة العترة في دار السلام بتنزانيا صدرت ترجمة كتاب: «الإمام الحسين منهج الإصلاح والتغيير»، لسماحة الشيخ حسن موسى الصفار، إلى اللغة السواحلة بعنوان: (**Imam HUSAIN، MI MFUMO WA MAREKEBISHO NA MAGEUZI**) ويقع في «٥٦» صفحة من الحجم المتوسط.

يقول الشيخ الصفار في مقدمة الكتاب إن نهضة سيد الشهداء عليه السلام لم يزدها مرّ العصور إلّا توهجًا وإشراقًا.

وأشار إلى ما قاسته الأمة من ضيق بسياسات الظلم والاستبداد، ومعاناتها مع الفساد والتخلف. وأضاف: لقد أذهل الأمة الفارق الكبير بين حالها وحال الشعوب التي تنعم بالديمقراطية وتتمتع بحقوق المواطنة.

يذكر أن لسماحة الشيخ الصفار عدة إصدارات ترجمت للغة السواحلية، منها:

١. الإمام الحسن ونهج البناء الاجتماعي (**IMAM HASSAN NA MFUMO WA KUJENGA JAMII**)

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٨/ ١٠/ ٢٠١٤م.

٢. الإمام المهدي وبشائر الأمل (IMAM MAHDI NA MATARAJIO MEMA)

٣. الزواج.. أغراضه وأحكامه (NDOA Hukmu na Malengo Yake)

٤. ٤- السلفيون والشيعة .. نحو علاقة أفضل (UHUSIANO BORA KATI YA SALAFI NA SHIA)

٥. النادي الرياضي والمجتمع (KILABU YA MICHEZO NA JAMII)

٦. النفس منطقة الخطر (NAFSI MAHALI PA HATARI)

٧. المذهب والوطن (MADHEHEBU NANCHI)

٨. صلاة الجماعة.. بحث فقهي اجتماعي (VIBINGEE KADHAA KATIKA SWALA YA JAMAA NA MSIKITI)

٩. العمل والفاعلية طريق التقدم (kazi na Bidii ni Njia ya maendeleo)

١٠. الشباب وتطلعات المستقبل (VIJANA NA MATARAJIO YA BAADAYE)

١١. رؤية حول السجال المذهبي (Mtazamo Kuhusu Msuguano wa Kimadhehebu)

١٢. الوطن والمواطنة.. الحقوق والواجبات (NCHI NA URAIA.. HAKI NA WAJIBU KWA TAIFA)

١٣. كيف نقهر الخوف؟ دراسة إسلامية في سيكولوجية الرُّهاب (الفوبيا) (?VIPI TUTAISHINDA HOFU)

١٤. الامام علي وقضايا الأمة»، (Imam Ali NA MAMBO YA UMMA)

كما أن عددًا من مؤلفات سماحة الشيخ الصفار صدرت مترجمة بلغات أخرى، هي: الفارسية، والأرودو، والطاجيكية، والآذرية، والأندنوسية، والفرنسية، بمبادرات مشكورة من الجهات التي أصدرتها.



الشيخ الصفار: تفعيل الثقافة شرط لإنجاح الاستقرار الأسري*

قال سـماحة الشيخ حسـن الصفار إن الثقافة تحمي الأسرة من المشاكل، وتساعد على تجاوزها بنجاح.

وطالب سماحته بتفعيل الثقافة، وتحويل الأحكام الشرعية إلى قوانين ملزمة، من أجل استقرار الأسرة وحمايتها.

جـاء ذلك خلال ندوة بعنوان: الثقافة وأثرها في الاسـتقرار الأسـري، في مسـجد الصديقـة الزهـراء بصفوى الأحـد ٢٥/ ١٢/ ١٤٣٥هـ الموافـق ١٩/ ١٠/ ٢٠١٤م، بمناسبة ذكرى المباهلة بعد أن أمّ المصلين في صلاتي المغرب والعشاء.

وأوضح الشيخ الصفار أن الثقافة كالنور الذي يضيء الطريق، فينجي من المهالك، ويسترشد به للوصول للهدف بسلام.

وقال: كما يرى الإنسـان ببصره الأشـياء المادية فيقرر التعاطـي معها، كذلك يرى الأمور الاجتماعية بعقله، فيوازن بينها.

وتابع: كما أن النظر يحتاج لما يسـاعده لتحديد الرؤية، فبعض الأشـياء لا تستطيع رؤيتهـا لظـلام أو صغـر أو بعد، كذلـك العقل يحتـاج للمعرفة والثقافة ليـرى الأمور

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٤م.

بشكل سليم، ما يساعده لاتخاذ القرار المناسب، واتخاذ المواقف الصائبة.

وأبان سماحته أن العاقل المثقف يحمي نفسه وأسرته ومجتمعه، والمجتمع الذي يعرف أهمية المعرفة يحافظ على أمنه واستقراره.

وعرّف الشيخ الصفار الاستقرار الأسري بأنه: الرضا بالشراكة، وتحمل مسؤولياتها، واستيعاب المشاكل الطارئة. وأوضح أن الإنسان الذي يعيش في عائلة بدون رضا نفسي لا يستقر، مطالباً بتحمل المسؤولية، وعدم التقصير من كل الأطراف في العائلة.

ودعا إلى استيعاب المشاكل الطارئة، إذ لا يوجد حياة أسرية لا تتسرب لها بعض المشاكل والتحديات. وطالب سماحته بتفعيل الثقافة وذلك بمعرفة غايات البناء الأسري، وأهدافه، فالزواج لا يتلخص في إشباع الغريزة الجنسية.

وأضاف: إن معرفة الوظائف والمسؤوليات الأسرية، وما هي الواجبات والحقوق، تساعد على التعاطي السليم بين أفراد الأسرة. وعن دور القراءة في حياة الأسرة قال سماحته: البحث والقراءة في مسائل الأسرة، تعطي الفرصة لإدراك خلفيات العلاقات الأسرية، والتعامل مع تحدّياتها.

وتابع: إن فهم الآخر الأسري، وأنه ليس نسخة مشابهة، يحمي من توقع ذوبان الآخر، فلكل طرف شخصيته الخاصة، وتفهم ذلك يؤدي إلى نجاح العلاقة الأسرية.

وأوضح أن المشاكل متوقعة، فيجب الاستعداد لتفاديها. وأبان أن الثقافة والمعرفة لا تنتج بالضرورة ممارسة ناجحة، بلا إرادة وقرار بتفعيل هذه الثقافة.

وتحدث سماحته عن ملاحظة الجانب الروحي في الحياة الأسرية، ومراقبة الله في الأفعال والأقوال، وأن الإنسان محاسب على تقصيره وإساءته للآخرين، وخاصة للقريبين منه، حيث لا يُعفى عن التقصير تجاههم.

وطالب الشيخ الصفار تفعيل صفة «التواصي الاجتماعي»، بأن يتواصى الناس فيما بينهم، لتقوية الروابط الأسرية النفسية والسلوكية.

وقـال: إن جمـلًا مثل «زوجتك لها حـقّ عليك»، أو «لا تهمـل أهلك»، «يجب ألا يكـون عملك على حسـاب عائلتـك» هي هدايـا يقدمهـا الصديق لصديقه، وبالنسـبة للزوجة كذلك.

وفـي آخر فقـرة للندوة أجـاب الشـيخ الصفار على بعـض الأسـئلة والمداخلات مـن الحاضريـن، كما تضمـن برنامج النـدوة بعض الفقـرات الأدبية الولائية بمناسـبة «المباهلة».







لقاء سماحة الشيخ حسن الصفار بنادي إشراقة الغد*

زهراء بو حليقة

تحقيقاً لأهداف نادي إشراقة الغد بالدمام، وتنفيذاً لخطة برنامجه، زارت منسوبات النادي وعددهن ١٧ فتاة مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار، صباح يوم السبت الموافق ٢٤ / ١٢/ ١٤٣٥هـ.

وكانت برفقة فتيات النادي كل من الأستاذة/ زهراء بوحليقة، الدكتورة/ عدالة بوحليقة، الأستاذة / سلوى بوحليقة.

بدأت الأستاذة/ زهراء بوحليقة بالسلام والتحية مع الشكر الجزيل لسماحة الشيخ على استضافته للنادي بمكتبه، وأيضًا قدمت الشكر والامتنان لمديرة القسم النسائي في مكتبه الأستاذة مريم العيد، ثم قدمت تعريفاً بالنادي، وبنشاطه مع ذكر نبذة موجزة عمّا قدمه خلال هذا العام.

تفضل سماحته بالسلام والترحيب قائلاً: كم أنا سعيد بهذه الزيارة، واللقاء بمثل هذه المؤسسة التثقيفية، التي تملأ فراغاً في واقع المجتمع، ونشعر بالتفاؤل والسرور لوجود مؤسسات تربوية تختص باحتضان أبناء المجتمع، وخصوصاً الفتيات، لمواجهة تحدّيات الحياة، وبناء الشخصية الواعية، وأن العمل في مثل هذه المؤسسات من أفضل الأعمال.

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢١/ ١٠/ ٢٠١٤م.

وقد افتتح كلمته بتلاوة آيات كريمة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

وفي ضوء هذه الآيات أوضح سماحته معنى كلمة أفلح، التي تعني النجاح، وأن الإنسان الذي يفلح هو الذي يحقق غايته ومبتغاه، وفي الآية قد أفلح هي التأكيد على أن المؤمنين هم أهل النجاح، ولا يختص الفلاح في الدنيا أو في الآخرة فقط، إنما هو فلاح شامل مطلق في الدنيا والآخرة.

كما أكّد سماحته أنه يجب على المؤمن أن يكون متفوقاً ومتقدماً في حياته، وذلك لسببين: أن مناهج الدين تسبب له النجاح، ومن أجل أن يكون المؤمن قدوة للآخرين، وبيّن أن غير الناجحين في حياتهم ممن ينتسبون لمجتمع المؤمنين يعود إلى خلل في فهم الإيمان، أو خلل في تطبيقه.

ثم ذكر سماحة الشيخ صفات المؤمنين، ومنها:

- الذين هم في صلاتهم خاشعون، فالصلاة تعبير ورمز عن الارتباط والاتصال به سبحانه وتعالى.
- والذين هم عن اللغو معرضون، فاللغو يعني الشيء الذي لا قيمة له، والمؤمن الحقيقي هو الذي يتعامل مع حياته بجدية، والجد في الحياة صفة من صفات المؤمنين، خصوصاً في فترة الشباب، فعلى الإنسان أن يستثمرها أفضل استثمار، مع حاجة الإنسان إلى الترفيه في هذه الدنيا ولكن ضمن حدود.
- الذين هم للزكاة فاعلون، فالزكاة هي العطاء والنمو، فالإنسان المؤمن ليس أنانياً، فما يملكه من مال وصحة، وعلم وقدرات وطاقات وإمكانات ووقت، ليست كلها خاصة به، بل للأسرة والمجتمع والوطن، وذلك بالخروج من الأنا والذوبان في نحن، أي أن نسعى بأن نتشارك مع الآخرين بما نملك.

- الذيـن هـم لفروجهم حافظـون، أودع الله سبحانه وتعالى في الإنسـان غرائز ورغبـات، إذا لم يشـبعها تؤدي إلى سـلبيات، وهناك جهات تعمـل على إثارة العواطـف والغرائـز الشـهوانية، خاصـة بعد انتشـار وتوفـر وسـائل التواصل الاجتماعـي، فمـن شـروط النجـاح السـيطرة علـى الحالـة العاطفيـة، وتوفير الأجـواء الصالحة، وأخذ الحيطـة والحذر في التعامل مع مثل هذه الوسـائل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

خُتمت الجلسة بالتساؤلات مع سماحته حيث طرحت الدكتورة/ عدالة بو حليقة سؤالًا عن شرعية حضور المرأة لأداء الصلاة في المساجد.

فـي الأخيـر قدمت الأسـتاذة/ زهراء بـو حليقة الشـكر والتقدير لمكتب سـماحة الشـيخ حسن على استضافته للنادي، وعلى ما قدمه للفتيات من علم وتوجيه بأسلوب أبويّ هادف.

لقـد عبّـرت بعض الفتيات عن انطباعهـن حول هذه الزيارة قائلـة: «لا بدّ أن يكون الإنسان ناجحاً في حياته ليقدم الأفضل والأجمل».

كما قالت مريم الرشـيد: «اسـتمتعت عندما رأيـت كتباً بهذا الكـم والنوع، وأحلم بالمسـتقبل أن يكون لدي مكتبة مثل مكتبة سـماحة الشيخ حسن. والجميل أن الكتب التي قدمها لنا المكتب منوعة، وليست منحصرة على نوع محدود من الكتب».





مستقبلًا الدكتور المطرودي

الصفار: المفكر المخلص يدفع ثمن جهره بآرائه*

أشـاد سـماحة الشـيخ حسـن الصفار بالطروحات النقدية الرصينة التـي تتضمنها مقالات الدكتور إبراهيم بن سـليمان المطرودي. وأكد ضـرورة النقد الموضوعي في دراسة التراث الديني.

معلـلًا ذلك بأن فهم النص، أو قبول صحة الحديث، ناتج عن اجتهاد بشـري يتأثر ببيئتـه وعصره، وليـس ملزمًا لأجيال الأمة في العصور التاليـة، ولا مقيدًا لحركة العلم والفكر عند المجتهدين اللاحقين.

جاء ذلك في اسـتقبال سماحته للدكتور المطرودي، أستاذ اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سـعود بالرياض، الذي زار القطيف يوم الثلاثاء ٢٠/ ١٢/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٤/ ١٠/ ٢٠١٤م للمشاركة في منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف.

مـن جهته أعـرب الدكتـور إبراهيـم المطرودي عـن بالغ سـروره لزيارتـه الأولى لمحافظـة القطيـف، وفرصـة لقاء مثقفيهـا وعلمائهـا، وقد رافقـه الدكتور نـور الدين عوكش من الجزائر مقيم في الرياض.

وعمّا قد تثيره مقالاته النقدية التي ينشـرها فـي جريدة الرياض، قال إنه وجد قبولًا لبعـض مـا يطـرح، وأن هناك من يرفـض حتى فتح بـاب النقاش فيما يتعلـق بمرويات

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ٢٠١٤م.

التـراث الديني. وأضاف: البعض قد يستسـلم للتوجه العام، ولا يعلن أفكاره ممارسًـا للتقية، حتى لا يتعرض لشيءٍ من الإساءة والأذى.

وقد صحب الشيخ الصفار ضيفه الدكتور المطرودي في جولة على جوانب مكتبته العامة التي تحتوي على مصادر التفسـير والفقه والفكر لمختلف المذاهب الإسـلامية السنية والشيعية.

يشار إلى أن محاضرة الدكتور المطرودي في منتدى الثلاثاء الثقافي كانت بعنوان: «دور الحريـة في التقدم والاسـتقرار»، وقد حضرها حشـد من المثقفيـن في المنطقة، وأعقبهـا حوار مفتوح. وقد علق سـماحة الشـيخ حسـن الصفار على موضـوع الندوة بقولـه: هنـاك الكثيـر ممن يشـعر بالحاجـة للحرية، ولكن عـدم المطالبة بها لأسـباب تمنعهـم، وأن الفوضـى الفكرية هي مرحلة طبيعية في تحـول المجتمعات، وينبغي ألا ننزعج من تعارض بعض الآراء.

وتابـع: بعـض الفضائيـات الطائفيـة لا تمـارس طـرح آراء، بل تأتي ضمن سـياق التحريض على الكراهية والبغضاء، والاعتداء على حقوق الآخرين.



الشيخ الصفار: آل عصفور كان متواضعًا ويحترم اختيارات الآخرين*



قال الشـيخ حسن الصفار: «إن العلامة الشـيخ أحمد العصفور كان أنموذجاً لعالم الديـن المتواضع مع تقدم سـنّه وعلـوّ مكانته الدينية والرسـمية». وتابـع: «كان خطيباً شهيراً، وإمام جمعة، ورئيساً للمحكمة الجعفرية، وعضواً أساسياً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مملكة البحرين وعميداً لأسرة من أعرق الأسر العلمية النافذة».

جـاء ذلك خـلال المجلـس التأبيني الـذي أقامه الشـيخ الصفار للفقيـد العصفور فـي مجلسـه فـي القطيـف يـوم الجمعـة ليلـة السـبت ٢٣/ ١٢/ ١٤٣٥هـ الموافـق ١٧/ ١٠/ ٢٠١٤م.

وأشار إلى بعض ذكرياته مع فقيد البحرين والمنطقة الخليجية الذي توفي عن عمر ناهز التسـعين عاماً. وتحدث عـن صفة مهمة تمتع بها الشـيخ العصفور وهي احترامه لاختلاف اختيارات الناس الفكرية والسياسية.

وأبـان الصفـار أن الفقيد كان منفتحاً على الجهات الرسـمية ومقرباً منها، ومنفتحاً على مختلف المكونات الشـعبية في البحرين من سـنة وشـيعة، وإن خالفوه في بعض خياراته الفكرية والسياسية.

وتابع: إلا أنه لم يكن صدامياً ولا يفرض خياراته على الآخرين، ويحترم حقّهم في

* جريدة البلاد البحرينية الصادرة يوم الخميس ٢٣ أكتوبر ٢٠١٤م، العدد ٢٢٠٠.

اتخاذ ما يرونه من خيارات. وعن سبب اتصافه بهذه الصفة قال الشيخ الصفار: «ذلك نابع من طيب قلبه وسعة أفقه والتزامه خلق التسامح والتواضع».

كما تحدث في المجلس التأبيني الخطيب الحسيني الشيخ عبدالمحسن الجمري من البحرين، وأشاد بسيرة الفقيد الراحل العلامة العصفور. وأكّد أن توجيهات المرجعية الدينية تركّز على احترام العلماء المحليين في مختلف المناطق والرجوع إليهم في تشخيص الظروف وتقدير الأوضاع، واتخاذ المواقف الموضوعية التي تخدم مصالح مجتمعاتهم، وتأخذ واقع بيئاتهم المحلية بعين الاعتبار.

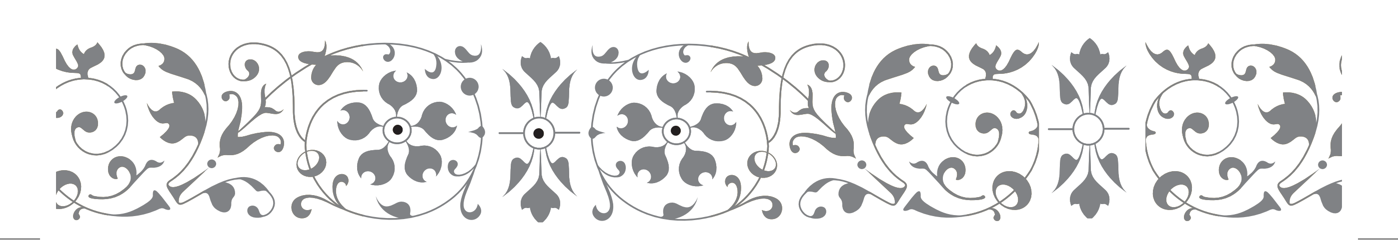
وألقى الخطيب الشيخ محمد علي الناصر من القديح قصيدة في تأبين الفقيد الراحل وتعداد بعض خصاله الفاضلة، ومعزياً أسرته الكريمة.

وحضر المجلس التأبيني عدد من شخصيات أسرة الفقيد الراحل من البحرين في طليعتهم أخوه العلامة الشيخ عبدالحسين العصفور، ونجله العلامة الشيخ ناصر الشيخ أحمد العصفور، وحشد من العلماء والشخصيات الاجتماعية من القطيف والدمام.





ندوات ومحاضرات



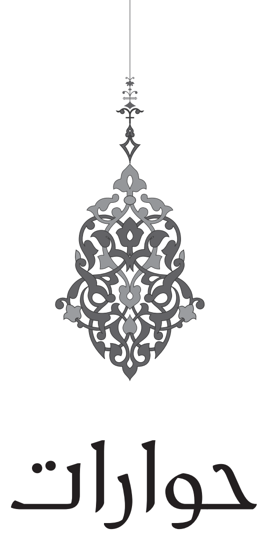


٧
ندوة في قم حول العلاقة مع السلفيين

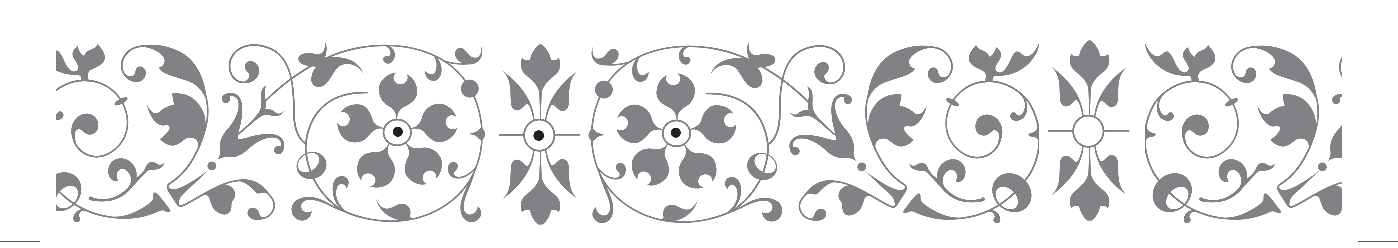
بدعوة من مدير مكتب مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي في قم المقدسة الدكتور الشيخ محمد تقي السبحاني أقيمت ندوة حول تجربة الحوار مع السلفيين بتاريخ ١٦ محرم ١٤٣٥هـ الموافق ١٩ نوفمبر ٢٠١٤م تحدث فيها سماحة الشيخ حسن الصفار بحضور نخبة من العلماء والأكاديميين والباحثين، وقد أدار الندوة الدكتور الشيخ نجف علي ميرزائي الذي افتتحها بالإشادة بتوجهات الاعتدال والانفتاح التي يتبنّاها الشيخ الصفار مبديًا إعجابه بمشاهد الحوار مع الرموز والشخصيات السلفية التي تضمنها كتاب (السلفيون والشيعة تجربة حوار) داعيًا فضلاء الحوزة العلمية إلى مواكبة تجارب العمل التي يقوم بها المصلحون في مختلف الأرجاء، لتقويم تلك التجارب وإثرائها ودعمها وترشيدها، لتحقيق التواصل بين الحوزة العلمية كساحة علم ومعرفة وبين التجارب العملية كميدان ممارسة وتطبيق.

وفي كلمته تحدث الشيخ الصفار عن المنطلقات التي حفّزته للاهتمام بالحوار مع الرموز والشخصيات السلفية في المملكة، وعن بعض مشاهد وتجارب تلك اللقاءات والحوارات، مشيرًا إلى تعدّد التوجهات السلفية، وأنّ في الوسط السلفي من يمكن التلاقي والحوار معه، مستعرضًا بعض العراقيل والعوائق، كعواصف الأحداث السياسية التي تأخذ صبغة طائفية، وارتفاع الأصوات المتطرفة من الجانبين، ووجود ضغوط داخلية على دعاة الانفتاح والحوار من الشيعة والسلفيين.

ثم بدأت المداخلات والنقاش من بعض الحاضرين الذين تفاعلوا مع الموضوع وأثروه بنقاشاتهم. جدير بالذكر أنّ عددًا من المراجع والفضلاء أبدوا اهتمامًا بكتاب (السلفيون والشيعة تجربة حوار) حيث أشاد آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني بما احتواه الكتاب من توثيق للقاءات وحوارات من النادر حصولها بهذا المستوى من الصراحة واللباقة، وكذلك أبدى آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي ارتياحه البالغ لما اطّلع عليه في الكتاب من لقاءات وحوارات.



حوارات





٧

حوار برنامج المنصة لسماحة الشيخ الصفار على قناة الكوت الفضائية[1]

مانشيتات الحلقة:

- هل تشهد مدينة القطيف حراكًا استثنائيًّا وجدلًا محتدمًا بين رؤيتين، الأولى تتبنى الانفتاح والتواصل مع جميع التيارات بما فيها المتشددة، والثانية ترفض مبدأ التواصل إلّا في إطار تحقيق مصالح الطائفة فقط؟
- ماذا عن أحداث القطيف؟ هل بالفعل قطعت جسور التواصل مع السلطة الحاكمة؟
- أين وصلت محاولات الغزل السلفي الشيعي في السعودية؟ وهل بات الحوار في المملكة بلا جدوى بسبب توجس الطرف الآخر من أصل المشروع القائم على أساس التقية كما يرى البعض؟
- هل هناك صراع على الزعامة الدينية داخل البيت الشيعي السعودي؟ وهل يسعى الشيعة للدخول إلى هيئة كبار العلماء وتأسيس مؤسسة مرجعية يستظلون بها؟

---

(١) بث اللقاء بقناة الكوت الفضائية في برنامج المنصة مساء الأحد ١ ديسمبر ٢٠١٣م الموافق ٢٨ محرم ١٤٣٥هـ، حاوره الإعلامي الأستاذ عمار تقي.

■ هل حقًّا باتت الأمة تعاني من وجود تيارين خطيرين على وحدتها، الأول تيار التكفير والإرهاب والثاني تيار البذاءة والإساءة؟ وما مدى صحة الحديث عن انبعاث تيار سلفي شيعي؟

أهلًا بكم مشاهدينا الكرام في حلقة جديدة من برنامج المنصة مع ضيفي لهذه الحلقة الشيخ حسن بن موسى الصفار.

□ **أهلًا بك سماحة الشيخ. أهلًا وسهلًا بكم وبجميع مشاهدينا الأعزاء. وسعداء أن نلتقي معك على المنصة.**

◄ وأنا أسعد باللقاء بكم.

□ **لدينا مجموعة من الملفات الساخنة تتناول في مجملها الوضع السعودي، وسوف أبدأ معك في البداية فيما يتعلق بالملف السعودي وتحديدًا كلام للكاتب السعودي ـ السيد نذير الماجد ـ ذكر «الإرادة السياسية هي وحدها القادرة على حدّ الحرب الطائفية البارزة والقطيعة شبه الكاملة بين المكونات الوطنية، ضرورة دخول السلطة كطرف في الحوار هو شرط ومن دونه لا يكون الحوار حوارًا ولا المشروع الوطني تغييرًا» هل بالفعل سماحة الشيخ هناك إرادة سياسية حقيقية في المملكة العربية السعودية من أجل عقد حوار وطني يضم كافة مكونات المجتمع؟**

◄ بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين. حينما أعلن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز ـ مشروعه للحوار الوطني، تفاءل الجميع؛ لأنّ الجميع يشعر بأهمية الحوار والتلاقي بين أبناء هذا الشعب الواحد، وتجاوز حالات القطيعة، والشكوك المتبادلة بين مختلف الأطراف، والتفاؤل كان كبيرًا؛ لأنّ أكبر رأس في قيادة البلد هو

الذي تبنّى الحوار، ودعا إلى الحوار، فكان التفاؤل كبيرًا، وفي الجولتين الأولى والثانية من الحوار بالفعل كان الحوار حوارًا جادًّا، وكان اهتمام السلطة واهتمام الحكومة بإنجاح الحوار ملحوظًا، ولكن لاحظنا جميعًا أنّ هذا الحوار فيما بعد أفرغ من مضمونه، واتجه نحو مناقشة قضايا وطنية عامة، كان يمكن أن تناقش في أيّ تجمع، أو في أيّ منتدى ثقافي وطني، كان الجميع يأمل في أن يكون الحوار الوطني ساحة وميدانًا لمعالجة الإشكاليات القائمة بين المكونات المختلفة، وأن يكون للدولة حضورها الأساس، من أجل أن ينتج الحوار حالة من التراضي والمساواة بين الناس أمام القانون.

□ **أين وصل هذا المشروع اليوم سماحة الشيخ؟**

◄ إلى الآن المشروع قائم ويعقد جلسات.

□ **ذكرت قبل قليل أن الحوار أفرغ من مضمونه؟**

◄ نعم، التوجه الحقيقي داخل الحوار الوطني لم يعد تجسير العلاقة بين المكونات الوطنية، وإنما أصبح مناقشة قضايا وهموم وطنية عامة، يناقشها أُناس من مختلف الشرائح والمناطق في المملكة، دون ملامسة قضايا العلاقات القائمة بين هذه الطوائف، وبين هذه المكونات.

□ **هل تريد القول بأن الدولة رفعت يدها عن مضمون والهدف الأساسي الذي من أجله تمت الدعوة للحوار بالتالي تركت الأمر إلى المتصدين لهذا الجانب فقط لبحث الجوانب الخلافية، هل الدولة رفعت يدها عن الحوار الآن؟**

◄ بدا لنا أن تلك الجدية التي كنا نأملها في موضوع الحوار الوطني بهذا الاتجاه لم يتحقق، لعلّ هناك عوامل دفعت بهذا الاتجاه.

□ **عوامل خارجية أم عوامل داخلية؟**

◀ يبدو أنها عوامل داخلية، ما كانت تأمله مختلف الأطراف من هذا الحوار لم يتحقق، والدليل على ذلك أن هناك مشاكل وإشكاليات حصلت خلال هذه الفترة، وكانت تستدعي أن يلتقي عقلاء الوطن من مختلف الطوائف، لمناقشة هذه الإشكاليات، وأن يكون للدولة حضور من أجل تنفيذ وتطبيق ما يتفق عليه هؤلاء العقلاء.

□ **لم يكن للدولة حضور؟**

◀ الدولة أعلنت منذ أول يوم أن توصيات الحوار، ليست ملزمة، وأنها مجرّد نقاش، ولكن التوصيات غير ملزمة.

□ **بماذا تفسّر هذا الموقف؟**

◀ أفسّره بأننا لا زلنا في طور تكون الإرادة الجدّية للحوار.

□ **من قبل السلطة؟**

◀ نعم، لم نصل بعد إلى مرحلة حوار جادّ يجسّر العلاقة بين مختلف الأطراف.

□ **ذكرت قبل قليل أن فكرة هذا المشروع وهو مشروع الحوار الوطني هي فكرة نابعة من العاهل السعودي جلالة الملك، قبل أسابيع كان هناك وفد شيعي كبير يضم مختلف التوجّهات الشيعية والتقى جلالة الملك السعودي، كنتَ أحد الحاضرين في تلك الزيارة، كلّمنا عن سبب هذه الدعوة وما ملخص ما جرى في هذه الدعوة؟**

◀ ما حدث هو أنه كانت هناك دعوة من الديوان الملكي، وجهت إلى مجموعة من الأعيان والشخصيات، من مختلف مناطق المملكة، بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني، ودعيت مجموعة من الأسماء من مناطق الشيعة كالإحساء والقطيف

والمدينة المنور والدمام، وكانت مجموعة كبيرة أكثر من ٤٠ إلى ٥٠ شخصية دعوا للحضور، فكان اللقاء لقاءً برتوكوليًّا.

□ **كان اللقاء بدعوة من الديوان الملكي وليس مبادرة من أحد؟**

◀ لم تكن هناك مبادرة من أحدٍ للقاء خادم الحرمين الشريفين، وإنما دعوة من الديوان الملكي، لأسماء محددة من الديوان الملكي مباشرة، أو بواسطة بعض الشخصيات التي تعامل معها الديوان الملكي، اللقاء لم يكن لبحث قضايا، أو بحث أمور، أو لاستعراض ملفات، ولذلك لم تتح فرصة للكلام مع خادم الحرمين الشريفين، لأحد من الوفود، أو المشاركين من مختلف المناطق، لا من الشيعة، ولا من غيرهم، لكن أتيحت الفرصة لبعض الحاضرين بأن يلتقوا بعض الأمراء، وبعض المسؤولين في الديوان الملكي، وأن يتحدثوا معهم حول بعض المسائل والمشاكل الموجودة، وسلّموا لهم بعض الكتابات والعرائض.

□ **هل كان هناك تفاعل إيجابي أم لم يكن هناك أيّ تفاعل؟**

◀ عادة يكون هناك تفاعل إيجابي، المسؤولون حينما ترفع لهم قضايا يبدون التفاعل، لكن إلى أيِّ حدٍّ تسلك هذه القضايا طريق المعالجة؟ هذا يبقى راجعًا إلى سياسة الدولة.

□ **حسب المراقبين للساحة في ذلك الوقت ممن راقبوا زيارة هذا الوفد الشيعي إلى العاهل السعودي لاحظوا حضور مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز آل شيخ، هل هذا كان له مدلول معيّن باعتقادك؟**

◀ مفتي المملكة وكبار العلماء عادة يحضرون في المناسبات العامة في الديوان الملكي، ولكن لأنه كان عنوان اللقاء الاحتفاء باليوم الوطني في المملكة، والكلمات والقصائد التي ألقيت كانت للاحتفاء باليوم الوطني، ونحن نعلم أنّ

هناك تحفّظًا في الأوساط الدينية السلفية تجاه موضوع اليوم الوطني، وأنه لا يكون مناسبة ليبتهج بها الناس، وأن مناسبة العيد في الدين هما عيد الفطر وعيد الأضحى فقط، ولذلك ليسوا مع الاحتفاء باليوم الوطني.

☐ **كمناسبة وطنية يعارضونها؟**

◀ نعم، فحضور المفتي وحضور بعض كبار العلماء في هذا اللقاء كان لافتًا للنظر بالفعل.

☐ **البعض يعتبر أن افتتاح مسجدين في مدينة الخبر السعودية بعد اللقاء بأيام أو بأسابيع معدودة جدًّا بمنزلة أول الغيث قطرة؟**

◀ لم يفتتح مسجد في الخبر، لا يزال الشيعة في غير منطقتي الإحساء والقطيف ـ ممنوعًا عليهم أن يبنوا مساجد، يسمح للمواطنين الشيعة ببناء المساجد فقط في مدينتي الإحساء والقطيف وكذلك نجران بالنسبة لأخوتنا الإسماعيليين، أما في بقية مناطق المملكة لا يوجد، في الخبر هناك مصلّيات، هناك بعض الأشخاص لهم ديوانية واسعة، أو مجلس واسع، يقيمون فيها الصلاة.

☐ **لكنها ليست مساجد مرخّصة؟**

◀ ليست مساجد مرخّصة، وهذه المصليات تعرضت في السنوات الماضية إلى الملاحقة حتى وهم يصلون جماعة في بيتهم، لا يعطون ترخيصًا لمسجد، فيجتمع أهل الحيّ لكي يصلوا في بيت أحدهم، مع ذلك كانوا يتعرضون للمنع، لكن عبر التواصل بين الساكنين في مدينة الخبر من الشيعة وسائر الشخصيات الشيعية، وبين المسؤولين، أخيرًا بدأ غض الطرف، والسماح لهم بأن يعودوا للصلاة في مصلياتهم.

□ **ألـم يطـرح هـذا الموضـوع في لقائكـم، ذكرت أنـه على هامـش اللقـاء بالعاهل السـعودي تم طرح بعض المطالبات الخاصة، ألم يطرح موضوع المسـاجد على بعض المسؤولين؟**

◀ لعلّه طرح من قبل بعض المشاركين، لكني لم أسمع؛ لأنّ المشاركين توزعوا، وكلّ مجموعة منهم التقت أحد المسؤولين، ولعلّه طرح مع أحدهم، ولكن كشيء جمعي لكلّ الموجودين لم أسمع أنه طرح.

□ **البعـض داخـل البيت الشـيعي إن صح مجـازًا أن نطلـق مصطلح البيت الشـيعي السـعودي يعتقـد بوجود تعدّد في الـرؤى وفي تعاطي هذا المكون مع السـلطة أو بشـكل آخر مع التيار السـلفي، الكاتب السـيد خالد محمد البـداوي، كتب مقالًا تحـدث فيه عن هذه الرؤى وذكر «المناخ الثقافي في مدينة القطيف يشـهد حراكًا اسـتثنائيًّا يطفو على السـاحة كتجاذب بين رؤيتين الأولى يمثلها حسـن الصفار ـ حيث يتبنى تحقيق مطالب الطائفة مع الانفتاح والتواصل مع جميع التيارات حتى من يعتبرونها متشددة، والثانية يمثلها منير الخباز ـ حيث يرفض مبدأ التواصل إلا في إطار تحقيق مصالح الطائفة فقط»، هل هناك بالفعل هناك انقسام داخل الشارع الشيعي السعودي وتحديدًا في منطقة القطيف في كيفية التعاطي مع السلطة؟**

◀ في التعاطي مع السلطة حسب معلوماتي ومعرفتي، أكثرية الناس في منطقة القطيف والإحساء، والشيعة في كل المملكة، ليسوا ضد التعاطي مع السلطة، بالعكس تاريخهم وواقعهم يشهد على اهتمامهم بالتعاطي مع السلطة، من أجل حل قضاياهم ومشاكلهم، ولأنهم جزء من الحالة الوطنية العامة، فلا بُدّ وأن يكونوا حاضرين في مختلف الساحات والمشاهد الوطنية، لكن هناك من الشيعة من رأى أن وعود السلطة الكثيرة لم تلبَّ في معالجة المشاكل، فما عاد يثق بجدوى هذا التعاطي، أو بفائدة هذا التعاطي، هناك ناس يحملون هذه النظرة،

لكني أعتقد أن المساحة الواسعة هي للنظرة الأولى.

□ **النظرة الواسعة التي تمثلها شيخنا، هناك قبول في الشارع الشيعي السعودي يتبنّى رؤيتك؟**

◀ لا أقول رؤيتي أنا الشخصية، وإنما أقول هناك من يفكر بهذا الاتجاه وبهذه الرؤية، أنا لا أزعم بأنّ هذه رؤيتي عمل بها الآخرون، الآخرون أيضًا من أبناء الطائفة من علماء ومن شخصيات ومن مثقفين هم أيضًا يحملون هذه الرؤية، ومن السابق حتى من قبل أن أبدأ عملي ونشاطي، كان هناك رجالات للشيعة يتعاطون مع الدولة، ويحملون إليها قضايا الناس، وهموم الناس، فهي مسيرة مستمرة، ولا أدّعي أن هذا مشروعي أنا، وأنّ الآخرين يقومون بهذا المشروع، وإنما أقول إنّ هذا المشروع يقوم به ويتبناه مساحة واسعة من أبناء المجتمع الشيعي السعودي.

□ **دعنا نتحدث عن علاقة المكون الشيعي بالمكون السلفي في المملكة العربية السعودية، إحدى الصحف الإلكترونية عنونت ذات مرة في تعليقها على هذا الموضوع، «غزل سني شيعي في السعودية»، هل هناك بالفعل غزل سني شيعي أو ما نسميه غزل سلفي شيعي في السعودية؟**

◀ قياسًا إلى حالة القطيعة التي كانت سائدة بين الشيعة والسنة في داخل المملكة، خاصة على مستوى النخبة الدينية، والنخبة المثقفة، ما شهدناه في السنوات الماضية في المملكة كان يلفت النظر كثيرًا، وحتى في خارج المملكة من تابعوا تلك اللقاءات، ومن تابعوا تلك الحوارات الأهلية، وليست ضمن مؤسسات الحوار الوطني الرسمية، وإنما زيارات متبادلة، كنا ندعوا بعض الشخصيات إلى منطقتنا، وكان بعضهم يدعونا إلى مناطقهم، وكان يدور فيها حوار شفاف وصريح، وقد جمعنا هذه اللقاءات التي حدثت عندنا في القطيف مع مجموعة

من الشخصيات السلفية، في كتاب جمعها أحد الأخوة تحت عنوان «السلفيون والشيعة تجربة حوار» كل من اطلع على هذه اللقاءات، وهذه الحوارات، أكّد انبهاره وارتياحه، أنه في داخل المملكة تحصل هذه اللقاءات، وتحصل مثل هذه الحوارات، ولذلك البعض عبر عنها بمثل هذا التعبير بأنه غزل، وكتب كاتب آخر في إحدى الجرائد المحلية يخاطب بعض الدعاة والسلفيين يقول إنكم تحجون إلى القطيف، وأنّ هناك موسم حج إلى القطيف، وهذا دلالة على زيادة الزيارات للقطيف، وأنا أعتقد أن هذا مكسب جيّد للوطن، وللوحدة الإسلامية، أن المواطنين في داخل المملكة استطاعوا أن يجسّدوا مثل هذا الحوار، وأن يقوموا بمثل هذه اللقاءات، وهذا أنموذج نقدمه إلى بقية المناطق وبقية المجتمعات.

☐ **اعتبرت شيخنا في سياق كلامك أنّ ما جرى يمثل حالة إيجابية بدليل ما كتبه البعض عن حج من قبل الطرف السلفي تحديدًا إلى مدينة القطيف، لكن في المقابل أيضًا هناك بعض الانتقادات التي وجهت في هذا الشأن، أحد الكتّاب في جريدة عكاظ السعودية، ذكر «المشروع الذي طرحه الشيخ الصفار كسر حاجزًا نفسيًّا كبيرًا إلّا أنه ظلّ يدور في ذات المساحة والدائرة التي اكتسبها ولم يتقدم خطوة واحدة جادة، والسبب الآخر الحقيقي أن المعني الحقيقي في مشروع التقارب لا يزال متردّدًا ومتشككًا في أصل المشروع راميًا إيّاه بمبدأ التقية» الطرف الآخر واضح من كلام الكاتب أنه متردّد ويشكك في أصل المشروع؟**

◄ صحيح، هذا شيء ملموس، ولكن أعتقد أنه بعد ذلك التاريخ الحافل بالهواجس والقلق، والإساءات والقطيعة، لا ينبغي أن نطمح بأننا نستطيع أن نتجاوزه بين عشية وضحاها، لا بُدّ وأن يأخذ له مساحة من الوقت، ويجب أن نكون مستمرين وجادين في الحوار، وفي التلاقي؛ لأنّ ديننا يأمرنا بأن نتلاقى، يأمرنا بأن نتواصل، وألّا نستعجل النتائج.

□ **ألا تعتبـر أنّ هنـاك تقصيرًا من قبل الجانب الآخر في تفاعله مع دعواتكم سـماحة الشيخ، صراحة؟**

◀ يوجد تقصير واضح.

□ **البعـض يعتبر المشـروع الذي يتبنّاه الشـيخ حسـن الصفار وقضيـة الانفتاح على الآخـر تحديدًا هذا المشـروع علـى أرض الواقـع أخفق، وهـذا كلام أيضًا لأحد الكتّاب، ذكر «الشـيخ حسـن الصفار ـ منذ أن عاد إلى أرض الوطن احتلّ الحوار مكانة مرموقة في مشروعه لكننا سنجد إخفاقًا، فلا هو تمكن من اختراق المذهب السلفي في بنيته الفكرية والخطابية ولا هو أحدث أيّ تحول في الخطاب والواقع السياسي» هو يقول إنّ هناك إخفاقًا في مشروعك، سماحة الشيخ؟**

◀ المسألة ليست مشروع فلان، ليس مشروعي، التقريب والتواصل بين أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها هذا مشروع المصلحين، منذ عقود من الزمن، قبل أكثر من نصف قرن تكونت دار للتقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وشارك فيها علماء كبار من الشيعة، وعلماء كبار من الأزهر الشريف، وفي الجمهورية الإسلامية في إيران أيضًا عندهم مجمع للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وصرفوا جهودًا كبيرة على هذا الصعيد، وفي لبنان كانت هناك محاولات لجماعة علماء المسلمين، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي هناك سعي ومحاولات من العلماء المخلصين من أجل تجاوز هذه الهوة، وعدم إتاحة الفرصة للفتن الطائفية، لكن الأمواج التي تحدث في العالم الإسلامي، والتي تدعو لإثارة الفتن، وإثارة الأحقاد، والأحداث السياسية التي تحدث، هي التي تعوق مثل هذه التوجّهات والمشاريع، ومع ذلك أنا لا أعتقد أن مشاريع التقريب على مستوى العالم الإسلامي قد أخفقت، وإنما هي قد تتعرض لنكسات، قد تتعرض لمشاكل لكنها لا تخفق.

بالتالي المشروع الذي يتبنّاه سماحة الشيخ حسن الصفار ـ لا يرى أنه أخفق؟

لا أبدًا، أنا أعتقد أن هذا المشروع ينبغي أن يتواصل، واستطعنا أن نكسر الحواجز، وأن نتعرف على بعضنا بعضًا، وأن نقترب من بعضنا بعضًا، أن نصل إلى درجة من الشفافية في طرح الأمور والملفات، كما نرى في بعض اللقاءات والحوارات، لكن تأتينا عواصف من الأحداث الإقليمية، هذه العواصف حينما تهبّ حتى في الجانب العمراني والمدني تعرقل وتسبب مشاكل.

□ **دعنا نتكلم بصراحة أكثر سماحة الشيخ ـ هناك هجمة أو ردة فعل البعض يعتبرها سلبية أو غاضبة أو ناقمة على هذا النشاط الذي يتبنّاه الشيخ حسن الصفار ـ بالانفتاح على الآخر ـ ودعني هنا أذكر على سبيل المثال اللقاء الشهير الذي جمع الشيخ حسن الصفار ـ مع الشيخ سعد البريك ـ في عام ٢٠١٠، كانت هذه بدعوة من الشيخ حسن الصفار ـ وهذه الدعوة أثارت لغطًا وجدلًا واسعًا في الوسط الشيعي، البعض رفضها بشكل صريح جدًّا، مجموعة من العلماء والناشطين ذكروا «نعلن رفضنا الشديد على دعوة أو تكريم كلّ من لا يحترم أصول الضيافة ممن يلوح أو يصرح بالطعن في إسلام المواطنين الشيعة ووطنيتهم أو يسيء إلى مشاعرهم بالقدح في مذهبهم أو مسلماته» هناك حالة من السخط على بعض ما يقوم به الشيخ حسن الصفار ـ بالانفتاح على الآخر، الآخر الذي يعتبره البعض أنه يمسّ ذاته إمّا بالتكفير أو الطعن في وطنيته، ما تعليقك؟**

◄ لم أسمع من أحد ممن زارنا في القطيف أنه أساء لأصول الضيافة وجرّح في إسلام الشيعة، بالعكس خطاباتهم التي ألقوها حينما دعوناهم، كانت خطابات إيجابية، وكان فيها الكثير من الاحترام واللباقة، وهي مسجلة ومكتوبة أيضًا، وليست شيئًا يدّعى، وإنما هو موثق.

□ **قد يكون ذلك في هذا اللقاء تحديدًا لكن قد يكون الكلام عن تاريخ بعض**

الشخصيات الذي يعتبره البعض تاريخًا جدليًّا بشكل أو بآخر؟

◄ هنا يوجد اختلاف، هناك من يرى أننا إذا أردنا أن ننفتح على الآخر، فينبغي أن ننفتح على العناصر المعتدلة، والعناصر الجيدة، أنا شخصيًّا أرى أنه لا داعي لمثل هذه القيود، وهذه الشروط، حتى العناصر التي سبق منها وأن قالت كلامًا سيئًا، أو اتخذت مواقف سيئة، علينا أن نشجّعها على تغيير لغتها.

□ **أليس من الممكن أن يكون هذا التشجيع على حساب الوسط الشيعي الذي يعيش فيه الشيخ حسن الصفار؟**

◄ يفترض ألا يكون كذلك.

□ **لكنه كان كذلك بدليل ردّة الفعل الغاضبة على هذه الخطوات؟**

◄ ليست ردة فعل عامة، وإنما مجموعة من الناس يتبنون وجهة نظر، عبّروا عن وجهة نظرهم، ولفترة وانتهى الموضوع، ولا يشكل موقفًا دائمًا، ولا حالة عامة، أنا أعتقد أنه ينبغي أن ننفتح على كلّ الآخرين، حتى من كان متشدّدًا، وحتى من أساء في الماضي، إذا وجدنا فرصة للانفتاح عليه، من أجل أن نوضح له الأمور، ومن أجل أن نساعده على تغيير لغته، وتعامله مع المكونات الوطنية المختلفة، فهذا أمر مطلوب، ويشكل مكسبًا للوطن بشكل عام، وللطائفة بشكل خاصّ.

□ **هذا صوت آخر من الأصوات التي لم تجد أيّ جدوى من هذه الزيارات والحوارات واللقاءات التي يتبناها سماحة الشيخ حسن الصفار ـ أحدهم كتب «الشيخ الصفار وحزبه يشحذون رضا الآخر والظهور أمامه بمظهر المحبّ حتى وإن كان المحبّ مصرًّا على تجاهله، هو الحلقة الأضعف، يحاول الظهور بمظهر البطل الشيعي الذي يصارع الأمواج للبقاء لكن الأمواج تقذفه في كل مرة على مساحة للتشكيك أو التقية حتى غدت تلك الحوارات مفلسة تستجدي التعايش والوحدة الوطنية،**

أيها الشيخ، إن حواراتكم لم أجد فيها ما يوطّد العلاقة بين أبناء الوطن الواحد، حريٌّ بك أيها القطيفي أن تلتفت إلى هموم طائفتك وتؤسّس لحوار للوصول إلى حلول جذرية للطائفية المقيتة التي يتعرض لها أبناؤك» تستجدون التقارب مع الآخر على حساب متطلبات المكون الشيعي، هل هذا الكلام صحيح؟

◀ بغض النظر عن الألفاظ التي تستخدم، أنا من رأيي أن إصرارنا على التقارب مع الآخر، هذه نقطة إيجابية، وليست نقطة سلبية، الله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين والمسلمين في علاقاتهم الداخلية، ألا يمارسوا العزّة على بعضهم بعضًا، يقول تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ليس عيبًا أن يكون الإنسان مصرًّا، وأن يكون ملحًّا في موضوع التقارب، وفي موضوع الوحدة الوطنية، وأعتقد أن هذا مبدأ ديني، حتى لو دفع الإنسان فيه ثمنًا من سمعته، حتى لو نالته الاتهامات، هذا مبدأ ديني، وأيضًا هو مصلحة وطنية، ومصلحة اجتماعية، أما إذا كلّ طرف أخذته العزة بالإثم، واستشهد الشيعي ببعض الإساءات من قبل المتشددين من السلفيين، واستشهد السلفيون ببعض الإساءات من المتشددين من الشيعة، فهذا يعني أننا لا نخطو باتجاه التقارب والتواصل، لذلك أنا أحترم أصحاب وجهات النظر الأخرى، ولكني أؤكّد أن هذا المسار مسار استراتيجي ومبدئي، لا يصحّ لمخلص لدينه ولمجتمعه أن يتراجع عنه تحت ضغط الاتهامات، أو تحت ضغط التشكيكات.

□ **الدكتور حسن الناصر ـ ذكر في مقال سابق أو تصريح سابق «الدعوات التي يطلقها بعض الشيعة السعوديين بشأن فصل المنطقة الشرقية عن المملكة يتعجب الإنسان من هذا السكوت المريب، والأعجب من ذلك هو صبر الليبراليين الذين طالما تغنوا بالوطنية والحرص على الوطن» دعني أطرح معك سؤال البعض بين الفترة والأخرى يطرحه، هل هناك بالفعل رغبة لدى المكون الشيعي في المملكة العربية السعودية بالانفصال وتكوين دولة أو حكم ذاتي يخصّ المنطقة الشرقية تحديدًا؟**

◂ تروّج بعض الدوائر الاستكبارية الأجنبية مقولات من أجل تشجيع حالات الانفصال، وتجزئة المجزأ، وتقسيم المقسّم، في هذه الأوطان الإسلامية، ويشيعون الفتن، ويصبون الزيت على نار الفتن، في كلّ الأوطان الإسلامية، من أجل خلق هذه الحالة من الفتنة، ومن التجزئة والتقسيم، لكن ما أعرفه من تاريخ الشيعة، ومن فكر علماء الشيعة، أنهم لم يكونوا في يوم من الأيام دعاة انفصال، لا على مستوى الأمة، ولا على مستوى أوطانهم، وأكبر دليل وشاهد، موقف مراجع الشيعة وعلماء الشيعة في العراق، أيام الدولة العثمانية، فمع كلّ الاضطهاد، ومع كلّ الضغط عليهم، لكنهم لم يقبلوا أن يعلنوا الانفصال عن الدولة العثمانية، التي كانت تسومهم الضّيم والقهر آنذاك، ودافعوا عن الدولة العثمانية، ووقفوا أمام الاستعمار البريطاني، وأمام هذه الدعوات، بينما استجاب غيرهم لمثل هذه الدعوات، وانفصلوا عن الدولة العثمانية بعنوان أو بآخر، ولذلك علماء الشيعة وفكر الشيعة ليس مع أيِّ توجه انفصالي.

□ **إذًا أنت تنفي تمامًا وجود أيّ رغبة لدى الشيعة في المنطقة الشرقية للانفصال؟**

◂ على المستوى العام وما أعرفه من المجتمع الشيعي الذي أعيش في وسطه، لا أجد أنّ هناك تفكيرًا في هذا الاتجاه، كلّ ما يفكر فيه الشيعة، ويتطلعون إليه، أن يعيشوا مع بقية المواطنين متساويين، تجسيدًا لمفهوم المواطنة، دون أيّ تمييز طائفي.

□ **ذكرت في سياق كلامك بعض دوائر الاستكبار، لا تعتقد أنه بالفعل هناك محاولات قد تكون غربية أو استخباراتية أيًّا كانت قد تستغل الورقة الشيعية في المملكة العربية السعودية للضغط على سياسة السعودية أو على السلطة في المملكة العربية السعودية بداعي اللعب على وتر المظلومية وانتقاص حقوق الشيعة في المملكة العربية السعودية، أليس من الممكن أن يتغلغلون من هذا**

الباب لتشكيل عامل ضغط على الحكومة السعودية؟

◄ هذه المحاولات من الممكن أن تكون موجودة، ويمكن لبعض الشيعة أن يحملوا مثل هذه الأفكار، ولذلك نحن يجب أن نسعى في اتجاهين، في اتجاه أن الحكومة لا تتيح الفرصة لمثل هذه الدعوات، عبر الاستجابة لتطلعات الناس، وتحقيق مفهوم المواطنة، وتجاوز سياسات التمييز الطائفي، ومن ناحية أخرى الواعون والمخلصون لوحدة الوطن يجب أن يبذلوا جهودًا كبيرة للوقوف أمام أيّ شيء من مثل هذه الطروحات.

□ **الشيخ عايد الشمري ـ وهو أحد مشايخ التيار السلفي في المملكة العربية السعودية ـ كتب مقالًا تحت عنوان «المخطط الصفوي بقيادة حسن الصفار» وذكر «الحركة الصفوية في بلاد الحرمين الشريفين، حسن الصفار ـ هو عرّاب هذه الخلطة السياسية الثورة المغلفة بتقية الوطنية» هل هناك بالفعل حركة صفوية تهدف إلى إحداث انقلاب أو ثورة في المملكة العربية السعودية؟**

◄ هذا نوع من التهويل والتحريض، وأنا أعتقد أن المتشددين يحاولون أن يضعوا علامات استفهام على مسيرة المعتدلين، والساعين للحوار والانفتاح، حتى يعرقلوا هذه المسيرة، يشككون في نيّاتهم، يشككون في توجّهاتهم، يضعون مثل هذه التهم العامة الفضفاضة التي لا دليل عليها، الجميع يعرف أن هناك سعيًا، وأننا نسعى من أجل تصليب الوحدة الوطنية، ومن أجل أن يكون هناك تلاقي وتقارب، ومثل هذه الأقوال تنتشر على مختلف الجهات.

□ **البعض يعتبر الشيخ حسن الصفار ـ أحد رموز مجازًا ما يُسمّى بتيّار الإصلاح الوطني، وذكر «يعتبر الشيخ حسن الصفار ـ من أبرز رموز هذا التيار ومن مؤسّسيه ويسمّى هذا التيار تارة بالتيار الشيرازي وأخرى بالتيار الصفاري نسبة إلى الشيخ حسن الصفار ـ خصوصًا بعد بروز عدة توجهات الصادقيون والمدرسيون**

والصفاريون من رحم التيار الشيرازي» هل هناك بالفعل تيار خاص بالشيخ حسن الصفار ـ اليوم؟

◀ أنا أتبنّى توجّهًا، لكني لا أرى نفسي وحيدًا في هذا التوجه، أعتقد أن معظم النخبة الشيعية في المملكة العربية السعودية هي مع هذا التوجه، توجه الانفتاح، توجه تعزيز الوحدة الوطنية، توجه المطالبة بتحقيق مفهوم المواطنة، وتجاوز التمييز الطائفي، هذا التيار لا أدّعي لنفسي أني أتزعمه، أو أني وحدي فيه، إنما أنا شخص من الأشخاص الذين بذلوا جهودًا على هذا الصعيد.

□ **لماذا لم يتبلور هذا التيار نحو تشكيل تيار فعليّ يضم لجانًا ويضم نشاطًا واضحًا تحت اسم معيّن، لماذا لم تتطور الفكرة بحيث تكون علاقتكم مع التيار السلفي أو علاقتكم مع السلطة تكون مؤطّرة بإطار واضح ومعلن للعيان؟**

◀ في المملكة لم يشرّع بعد لوجود منظمات مجتمع مدني حتى يتكون تجمع معلن، لكن هناك وثيقة وقعت من قبل كبار الشخصيات الشيعية تحت عنوان «شركاء في الوطن» ووقع على هذه الوثيقة حوالي ٤٥٠ شخصية من الشيعة، من مختلف مناطق المملكة، وكلهم يطرحون هذه الرؤية، رؤية التمسك بالوحدة الوطنية، ويدعون إلى تجاوز سياسات التمييز الطائفي، ويدعون إلى الانفتاح والتقارب بين كلّ الأطياف الوطنية، وقد نشرت هذه الرؤية، وقدمت لخادم الحرمين الشريفين، ولهذا فإني أعتبر أن هذا الاتجاه هو اتجاه معظم النخبة الشيعية، ومعظم الساحة الشيعية، وإذا كانت هناك آراء وأصوات أخرى، فهذا أمر طبيعي؛ لأنه في كلّ المجتمعات هناك تنوع في الآراء، وهناك تعدد في التوجّهات، وهذا أمر مقبول في أيّ مجتمع بشريّ.

□ **لكن لا يوجد هناك تيار بمعنى تيار معلن يمثله الشيخ حسن الصفار؟**

◀ كتنظيم لا، نحن عندما عدنا إلى البلد بعدما حدث التفاوض والتفاهم بيننا وبين الحكومة السعودية، وعدنا، تم حل التنظيم، نحن لا نعمل الآن كتنظيم، بل وجهة نظري أنا ليست مع توجه التنظيمات والأحزاب، أنا أرى أنّ العمل الاجتماعي العام والجماهيري العام على مستوى الأمة هو الأجدى لمجتمعاتنا، بالتالي ليست هناك حالة تنظيمية وإنما هناك تلاقي بين المؤمنين بهذا التوجه وهذا يحصل في مناسبات كثيرة ويتجلى في أوضاع كثيرة، عندما حدثت قضايا في البقيع قبل ثلاث أو أربع سنوات واجتمع وفد من علماء الشيعة وأكثر من مئة وعشرين شخصًا اجتمعنا مع بعض، ونسقنا رأينا ومواقفنا، وانطلقنا إلى لقاء الملك، وللقاء المسؤولين فهذه الحالة قائمة وموجودة في المجتمع.

☐ **بصراحة سماحة الشيخ، ألا يوجد هناك نوع من الصراع داخل البيت الشيعي على الزعامة السياسية سواء في التعاطي مع السلطة أو مع كل المكونات؟**

◀ هو تنافس، والتنافس بين بني البشر أمر طبيعي، لكن أعتقد أنه لم تنضج الأمور في ساحة المجتمع الشيعي في السعودية إلى مرحلة إفراز زعامات، أو إظهار زعامات، لا زال المجتمع في طور التشكل، لا زالت التوجهات في طور التشكل.

☐ **نحن الآن في نهاية ٢٠١٣ ولا زال المجتمع السعودي في طور التشكل؟**

◀ نعم، ليس هناك صراع على مسألة الزعامات، وإنما هناك آراء وتوجّهات، وكلّ واحد يعمل ضمن التوجه الذي يؤمن به ويراه.

☐ **بعض الآراء تقول إنّ الشيخ حسن الصفار ـ يمثل الآن داخل البيت الشيعي السعودي الخط مجازًا الذي يعبر عن آراء المرجع الكبير السيد علي السيستاني؟**

◀ أنا لا أدّعي أنني أعبر عن آراء المرجعية؛ لأنّ المرجع السيستاني أيضًا له وكلاء كثر في المنطقة، والسيد السيستاني حريص على ألّا يكون له توجّه سياسي

معيّن، في أيِّ بلدٍ من البلدان، وإنما التوجه العام للسيد السيستاني كما أفهمه من بياناته وخطاباته، الدعوة إلى الوحدة، الدعوة إلى التقارب، والسلم، وإلى حلّ المشاكل، وهي توجّهات عامة.

□ **إذًا لا تعتبر أن مسعى وتحرك الشيخ حسن الصفار ـ هو امتداد لما يسمى مجازًا التيار السيستاني في المنطقة الشرقية؟**

◄ أنا أعمل ضمن هذا التوجّه والتيار، لكني لا أدّعي أنني أمثّل هذا التيار، أو أعبّر عن رأي المرجع في مجال من المجالات، أنا واحد من الوكلاء المعتمدين عند المرجع السيستاني ومراجع آخرين، ولكني في حركتي السياسية، وفي نشاطي السياسي، أعبّر عن قناعاتي، وأعبّر عن أفكاري وآرائي.

□ **قد تكون أبرز الأحداث المرتبطة بالبيت الشيعي السعودي ما يعرف بـ «أحداث القطيف» البعض يقول إنّ هذه الأحداث ساهمت في قطع جسور التواصل بين المكون الشيعي وبين الأسرة الحاكمة، إلى أيّ مدى هذا الكلام دقيق؟**

◄ أنا أعتقد أن هذه الأحداث يجب أن تكون دافعًا لتواصل أكثر جدّية، بين السلطة وبين رجالات المجتمع الشيعي، في المملكة العربية السعودية؛ لأنّ هذه الأحداث أبانت للسلطة أنّ هناك مخزونًا من الغضب، ومخزونًا من السخط، عند جمع من هؤلاء الناس، وأنّ هناك تطلّعًا كبيرًا لمعالجة مشاكلهم وقضاياهم، وطال الأمد عليهم، وهم ينتظرون المعالجة والحلول، وجاءت أحداث الربيع العربي لكي توجد مناخًا دفع هؤلاء الشباب من أجل أن يقوموا بحراكهم وتحركهم، الحكومة ينبغي أن تكون في هذه المرحلة أكثر جدية في معالجة الأسباب والجذور، حتى لا تتكرر مثل هذه الحالات، وحتى لا تتكرر مثل هذه الأحداث. من ناحية أخرى أشعر أنّ في داخل المجتمع الشيعي هناك توجه أكثر لخيار التواصل مع الحكومة ومع السلطة؛ لأنه لا أحد يرضى بأن تحدث

مثل هذه المشاكل، ومثل هذه الخسائر، ويحدث إطلاق نار، ويقتل أناس، هذه المشاكل لا أحد يريد أن تحدث.

□ **كيف هو الوضع اليوم شيخنا؟ هل تجاوز المجتمع القطيفي أو المجتمع السعودي بشكل عام هذه المرحلة وتم قلب الصفحة أم أنه ينتظر مبادرة من قبل السلطة؟**

◄ يحتاج أن تكون هناك مبادرة أكثر جدية، تقلّص وانحسر الكثير من المظاهر التي كانت خلال الفترة الماضية، لكن لا تزال بعض المظاهر موجودة، لا تزال بعض التوجهات قائمة، وهذا يستدعي أن المخلصين الحريصين على استقرار الوطن وأمن الوطن، أن يتحركوا من أجل معالجة هذا الأمر، أن تكون هناك مبادرة والسلطة هي الطرف الأقوى، هي الحكومة، عليها أن تكون هناك مبادرة من قبلها، وأنا سبق وأن دعوت لمثل هذه المبادرة في خطبة جمعة، وإن كان البعض أساء فهم ما طرحته، وتحدثوا في بعض الصحف ضدّه، لكنني أعتقد جادًّا أنه لا بُدّ من مبادرة من أجل تعزيز الاستقرار والأمن في المنطقة، وعلى مستوى الوطن، لمعالجة هذه القضايا.

□ **لكن إلى الآن لا توجد هناك مبادرة؟**

◄ هناك محاولات، لكن وجود مبادرة متكاملة لمعالجة المشكلة القائمة في المنطقة ليس لديَّ علم بها، وليس لديَّ معرفة إذا كانت هناك مبادرة الآن.

□ **قضية الارتباط بالخارج وقضية الولاء إنْ صحّ التعبير وارتباط الشيعة في الخليج في القطيف أو في السعودية بشكل صريح بإيران، هذا الموضوع من المواضيع التي شكلت لبسًا وحالة من الجدل في المجتمع السعودي بشكل عام، ما تعليقك على مثل هذه الدعوات؟**

◄ أعتقد أن هذا يدخل ضمن التهريج والتحريض الطائفي، ما حدث في القطيف

حدث مثله في بلدان عربية وخليجية مختلفة، في سلطنة عمان شهدنا نوعًا من الحراك أيضًا، في الكويت كان هناك نوع من الحراك، في دول مختلفة هناك موجود، ما حدث هو حراك داخلي ذاتي، يمكن لجهات أخرى أن تستفيد منه، أو تسلط الأضواء عليه، لكني أعتقد أن الأصل هو نابع من الداخل، وجود مشكلة ينبغي أن تعالج، لكن أن نرمي بمشاكلنا على الخارج فهذا كلام سهل.

□ **أنت تعتبر هذا الكلام نوعًا من التحريض؟**

◄ نعم، نوع من التحريض والتعبئة الطائفية على الشيعة.

□ **أنتقل إلى الحديث معك عن العلاقة بين الشيعة والسنة وأنت سماحة الشيخ لك صولات وجولات في هذا الجانب، دعني في البداية أعود إلى إحدى خطبك كانت في مارس ٢٠١٢ ذكرت فيها «واقع الأمر لا السنة خطر على الشيعة ولا الشيعة خطر على السنة وإنما الاستبداد السياسي والهيمنة الأجنبية هما الخطر المشترك على الطرفين» البعض يقول إنّ آلاف القتلى والجرحى والعمليات الانتحارية والعمليات الإرهابية الموجودة الآن تشكل خطرًا حقيقيًّا، أنت هنا تحاول أن تبرئ جميع الأطراف في الشيعة والسنة وتلقي باللائمة على الأطراف الخارجية، هل هذا الكلام واقعيّ أم لا؟**

◄ أنا أعتقد أن مسألة القتل والإرهاب ليس موضوعًا طائفيًّا خالصًا، وإنما هو موضوع سياسي، تحركه العناصر السياسية، بدليل أنّ الإرهاب وعمليات التفجير التي تحدث لا تستهدف الشيعة فقط، نحن وجدنا في التسعينيات في الجزائر أعدادًا كبيرة من القتلى على يد الجماعات التي قيل أنها جماعات إسلامية في الجزائر، ونجد احترابًا في الصومال بين جماعات أيضًا إسلامية، ونجد أيضًا في أفغانستان عمليات تفجير كثيرة ومعظمها لا تستهدف الشيعة وإنما هي من وحي الخلاف الموجود بين طالبان والحكومة القائمة في أفغانستان، ونجد الآن

في سوريا وفي العراق، وحتى في العراق هناك استهداف لرجال الصحوات الإسلامية السنة، في هذه العمليات يستغلّ العنوان الطائفي في بعض المواقع والمواقف، لكن القضية أعمق، أعتقد أن هناك مشكلة كبرى تعيشها الأمة بوجود هذا التيار التكفيري، الذي يستخدم ويتوسل العنف لتحقيق استهدافات سياسية، وأطالب الأمة بأن تكون في حالة استنفار لمواجهة هذا التيار التكفيري.

□ **هل ترى الأمة في حالة استنفار أم لا؟**

◄ يجب أن تكون في حالة استنفار، الأمة مع الأسف الشديد لا تواجه هذا التيار التكفيري الإرهابي بما يلزم من المواجهة.

□ **خشية أم تعاطف؟ قد يكون هناك قبول لهذا التيار؟**

◄ في بعض الأحيان يكون هناك التباس وسوء فهم في الموضوع، هذا الالتباس وسوء الفهم في الموضوع، هو الذي يجعل بعض الجهات الدينية تغضّ الطرف عن هذه الممارسات الإرهابية، وفي بعض الأحيان الحكومات السياسية قد تتوسل ببعض المجموعات الإرهابية، في معالجة صراعاتها الإقليمية، مع هذا البلد أو ذلك البلد.

□ **حكومات سياسية تتوسل بجماعات تكفيرية إرهابية لتحقيق أهداف سياسية؟**

◄ طبعًا، وهذا أمر واضح.

□ **باختصار شديد هل ترى أن هناك حالة احتقان بين السنة والشيعة اليوم أم أنه نوع من التهويل والتضخيم؟**

◄ أنا أعتقد أن هناك احتقانًا سياسيًّا تعيشه الأمة، والطائفية مظهر من مظاهر هذا الاحتقان السياسي، الأمة يعيش معظم شعوبها حالة من الاستبداد، الآن في هذه

المرحلة هناك تطلع عند الشعوب حتى تتجاوز حالة الاستبداد، إلى أن تصل إلى مرحلة من التوافق الوطني تحدث مثل هذه الأمور، ما نراه في مصر مثلًا ليس صراعًا بين السنة والشيعة، ما نراه في تونس الآن ليس صراعًا بين الشيعة والسنة، وما نراه في ليبيا.

□ **لكن البعض يعتقد أن ما يحدث على سبيل المثال في سوريا هو يعتبره صراعًا بين الشيعة والسنة؟**

◄ في بعض المناطق التي يكون فيها تنوع مذهبي طائفي تستغل الطائفية فيه.

□ **تراه مجرد خلاف سياسي؟**

◄ صراع سياسي، وهناك احتقان سياسي، وإذا لم تتجاوز الأمة هذه المرحلة، وتصل الشعوب إلى مرحلة توافق وطني، لتسيير أمورها في كلّ وطن من أوطانها، سنبقى نعيش هذا الأمر.

□ **دعني أرجع بك إلى خطبة من خطب الجمعة كانت لك في أكتوبر الماضي، ذكرت فيها «الأمة تعاني من وجودة تيارين خطرين على وحدتها، تيار التكفير والإرهاب الذي نشأ وسط أهل السنة، وتيار البذاءة والإساءة إلى رموز أهل السنة الذي تشكل حديثًا وسط الشيعة وهو الوجه الآخر لخط التعصب السلفي» البعض يعتبر هذا النوع كلامًا مبالغًا فيه، الشيخ حسن الصفار يساوي القول بالفعل، هناك ممارسات البعض يعتبرها شاذة في الوسط الشيعي كما وصفتها أنت وأطلقت عليها تيار البذاءة والإساءة وعبرت عنه في ندوة سابقة بانبعاث تيار سلفي شيعي، في النهاية لا يعدو خارج إطار الكلام، في مقابل أنك ساويته بمن يقوم بممارسات تفجير وقتل ونحر، هل هناك إنصاف في المقارنة بين هذين الخطرين اللذين تعتبرهما خطرًا داهمًا على الأمة؟**

◀ أنا أعتقد أن تيار التكفير والتفجيرات وأعمال العنف هو أخطر تيار على الأمة، ولكني أرى أن تيار الإساءة والبذاءة يعطي تبريرًا لهذا التيار، كان يمكن أن تتوجّه كلّ الأمة، وكلّ علماء الأمة، وكلّ المخلصين في الأمة، لإدانة هذا التيار التكفيري الإرهابي العنفي، لكن تيار الإساءة والبذاءة بتعرضه لمقدسات الآخرين، وإساءته لرموز الآخرين، أصبح يشكّل نوعًا من التبرير لذلك التيار التكفيري التفجيري، ولذلك هؤلاء خطورتهم تأتي في هذا السياق، إضافة إلى أن تيار الإساءة والبذاءة نحن نعتقد بأنه يتنافى مع تعاليم أئمة أهل البيت، وهذا ليس كلامي، المرجع الأعلى للشيعة السيد السيستاني ـ أصدر بياناً حول ما قام به بعض أتباع هذا التيار في الأعظمية في بغداد، وقال في بيانه إن هذا مخالف لتعاليم أئمة أهل البيت، ولا يصح لنا أن نسكت عن ممارسات تخالف تعاليم أهل البيت وتخالف أوامر ومواقف المرجعية الشيعية، ثم تحسب على كل الشيعة، وتحسب على المذهب، وعلى الطائفة، آخرون ينتظرون مثل هذه المواقف والممارسات حتى يبرروا بها إرهابهم، وحتى يبرروا بها عنفهم، وما يقومون به.

☐ **البعض أيضًا يلقي باللائمة عليكم أنكم داخل المكون الشيعي شديدي العقاب عندما ينبري أحد بتطاول معيّن أو بإساءة معينة، لكن مع الآخر تتغاضون عن كثير من التكفير والخطابات التي يعتبرها البعض مسيئة للمكون الشيعي؟**

◀ من يقول هذا الكلام لا يتابع كلامنا وخطاباتنا أنا وأمثالي، أنا شخصيًّا عندي خطابات كثيرة ودائمة على هذا الصعيد، كتبت كتبًا، وألقيت محاضراتٍ، وتصدّيت لمواقف كثيرة، أيّ موقف تكون فيه إساءة خاصة المواقف البارزة ليس هناك سكوت، بالعكس كلام كثير، وكتابات عندنا على هذا الصعيد، ولكن يراد منا أن نسكت أيضًا على الإساءات التي تصدر من الداخل، ونحن نجد أن مسؤوليتنا الشرعية أن نتحدث، حتى نقول للرأي العام الإسلامي أن هذا التيار لا

يمثل المذهب ولا يمثل الطائفة.

☐ **هل هناك بالفعل تيار سلفي شيعي موجود الآن؟**

◀ التسمية من الممكن أن تكون محلّ نقاش، القصد من التسمية حالة التعصب والتشدد ورفض الآخر، انبعث عندنا نحن الشيعة أناس يتقمصون هذا الخطاب، خطاب تشدد، خطاب تعصبي ضد الآخر.

☐ **أليس من الممكن إيجاد مبرر له حسبما يدعي البعض لأنهم في النهاية أقلية وتعرضوا إلى ضغوط وملاحقات وانتقاص في حقوقهم، بالتالي كنتيجة طبيعية تولد هذا التيار كردة فعل على ما يمارس ضده، ألا تجد مبرّرًا لهذا التيار؟**

◀ لكنها ردة فعل خطأ، الإسلام لا يقبل منا أن تكون ردّات فعلنا على حساب مصلحة الدين، وعلى حساب مصلحة الأمة، الأئمة كانوا يربون شيعتهم على أدب القرآن ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ الأئمة لم يسمحوا لشيعتهم بأن يسفّوا إذا أسفّ الآخرون، إذا كان الآخر استعمل خطابًا تعبويًا سيئًا، فيه إساءة، فهذا لا يبرر لي أنا أن أستعمل نفس الخطاب، هذا لم يكن توجيه القرآن، ولم يكن توجيه الأئمة ، القرآن الكريم يقول: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وأئمة أهل البيت هكذا كانت سيرتهم، وهكذا كانوا يربون شيعتهم، وهذا أيضًا دأب علماء الشيعة، نحن لا نقبل بأن يكون هناك خطاب يشوه هذه الصورة الناصعة للمذهب، ولتاريخ أهل البيت .

☐ **في كتاب لك بعنوان «الانفتاح بين المصالح والهواجس» ذكرت في صفحة ٢٢ تحديدًا «هناك بعض الجوانب قد تكون من العقيدة ومن الشريعة ولكن هناك ظرفاً يقتضي تجاوز هذا الجانب أو التنازل عن ممارسته لأن هناك أولوية أهمّ، فمن يستطيع الجزم بجزم قاطع أنه لا يصح التنازل في أيٍّ من شؤون الدين، التنازلات**

تصح في بعض الأحيان بل هي مطلوبة في بعض الحالات» البعض يعتبر مثل هذا الكلام كلامًا خطيرًا، سـماحة الشيخ، وكأنه يوحي لمن يقرأ أو يستمع هذا الكلام بأن الشيخ حسن الصفار ـ قدّم تنازلات شرعية؟

◀ هذا الكلام جاء بعد نقطة سابقة لهذا الكلام، وهي التأكيد على أنه ليس صحيحًا أن يطلب من أحد أن يتنازل عن شيء من قناعاته، أو معتقداته، وأن قضايا العقيدة والقضايا الدينية قضايا منطقة محرمة، لا إكراه في الدين، ولا يصحّ لأحدٍ أن يطلب من أحد أن يفرض على أحد التنازل عن شيء من قناعاته، في أكثر حواراتي حول موضوع التقريب والتقارب المذهبي، أؤكّد هذه النقطة، أنه ليس من حقّ جهة أن تطلب من جهة أخرى أن تتنازل عن شيء من آرائها أو قناعاتها أو معتقداتها.

□ **بماذا تفسر كلامك إذًا في هذا الجانب؟**

◀ هذه نقطة أخرى جاءت، أنه حتى موضوع التنازل عن بعض الممارسات الخارجية، وليس عن القناعة والعقيدة، القيادة التي تقود المجتمع إذا وجدت أن هناك مصلحة بأن تتنازل عن بعض الممارسات والمظاهر، فمن حقها في موقعها القيادي أن تتخذ مثل هذا الإجراء، واستشهدت لذلك بما فعله رسول الله في صلح الحديبية، حينما أصرّ المشركون على أن يمحو بسم الله الرحمن الرحيم، وعارض بعض الصحابة ذلك، لكن النبي مسحها بكمّه وتنازل، هذا مظهر وشعار وعنوان ديني إسلامي الرسول تنازل عن كتابته، أيضًا ما اتفق عليه محمد رسول الله ، الكفار قالوا لو كنا نؤمن أنك رسول الله لما واجهناك، فرفض الصحابة أن يمحوا كلمة رسول الله لكن الرسول تنازل ومسحها.

□ **تدلـلّ أنـت علـى ذلك بأن قضية التنـازل إذا لم يكن في أصل مـن أصول الدين أو فروع الدين فلا ضير في ذلك؟**

◀ إذا كان التنازل من جهة قيادية، وليس أيّ شخص مخولًا أن يتنازل عن ممارسة أو مظهر، وإنما أن تكون هناك جهة معتمدة.

□ **هل قدّمتم تنازلات تحت هذا العنوان، سماحة الشيخ؟**

◀ لم نكن في مجال تقديم تنازلات لأحد، وإنما كفكرة وكرؤية، أقول إنّ القيادة المعتمدة في المجتمع الشيعي إذا وجدت أن هناك مصلحة في التنازل عن ممارسة من الممارسات فهذا أمر مشروع.

□ **سأرجع بك، سماحة الشيخ، إلى عام ٢٠٠٤ في ذلك الوقت كان هناك حديث عن انبعاث هلال شيعي في المنطقة وأنت كان لك تعليق على هذا الكلام ذكرت فيه «تهميش الشيعة لم يكن لصالح السنة وإنما هو لصالح سياسة الاستبداد التي تمارسها الحكومات، تتعالى أصوات بعض الحكام العرب محذّرين من اختلال التوازن الطائفي في المنطقة، إنها أصوات مشبوهة تريد تأجيج الفتنة الطائفية، الشيعة في منطقة الخليج كبقية إخوانهم المواطنين يتطلعون إلى الإصلاح السياسي وتوسيع المشاركة الشعبية وليست لهم أجندة خاصة» اتهامات موجودة للمكون الشيعي بشكل عام أن هناك أجندة خاصة لهذا المكون، هل بالفعل هناك أجندة خاصة؟**

◀ لا توجد أجندة خاصة للشيعة في منطقة الخليج، وإنما هم جزء من مجتمعاتهم ومن النسيج الوطني الاجتماعي، وقيادات الشيعة وعلماء الشيعة يؤكّدون للشيعة في كلّ مكان أن يندمجوا مع مجتمعاتهم، وأن يكونوا جزءًا من نسيجها الوطني، لكننا في الفترة الأخيرة أصبح من السهل علينا مواجهة مثل هذه الاتهامات؛ لأننا وجدنا حينما أصبح هناك حراك عند الأطراف الأخرى أيضًا هم اتّهموا.

□ **تقصد ثورات الربيع العربي؟**

◀ نعم، ثورات الربيع العربي والتفاعلات حتى في المنطقة الخليجية أيضًا وجهت لهم اتّهامات بأن لهم أجندة خاصة، وهذا يعني أنّ أيّ طرف يتحرك فمن الممكن أن يُشوّه موقفه، ويمكن أن توجه له هذه الاتهامات، من أجل فصله عن بقية الشعب، ومن أجل تشويه تحركه وحراكه.

□ **وهذه تكون خطوات مدروسة من قبل الحكومات أو جهات خارجية؟**

◀ في الصراعات السياسية عادة كما يقولون لا توزع الحلويات، في الصراعات السياسية كلّ طرف يستخدم أسلحته الإعلامية لتشويه الطرف الآخر، سواء كان من حكومات أو من أطراف متنافسة داخليًّا.

□ **بما أنك أشرت في سياق كلامك ثورات الربيع العربي وأنه كما هناك اتهامات للشيعة لتشويه حراكهم بشكل أو بآخر أيضًا العملية لم تقتصر فقط على الشيعة ولكن أيضًا شملت السنة، دعني هنا بالمناسبة أرجع بك إلى حوار أجرته معك مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر ـ في يوليو ٢٠١٢ ذكرت «استمرارًا لخطاب الإقصاء الطائفي في بعض أوساط المتطلعين للثورة والتغيير حيث يتحدثون عن الشيعة وسائر الأطراف الأخرى وكأنه موجود طفيلي أو غير مرغوب فيه» هذا الكلام واضح جدًّا أنك لا تدلل أو تلقي باللائمة على الحكومات أو على الجهات الخارجية ولكنك ترمي باللائمة على من تصدّى أو تبنّى أو تفاعل مع الحراك وثورات الربيع العربي وهم في النهاية الشارع والجمهور، هل حدثت هناك إقصاءات على أساس طائفي؟**

◀ النخبة في المجتمعات الإسلامية كما ظهر من خلال أحداث الربيع العربي تعاني من كثير من الخلل، ومن كثير من الثغرات والنواقص، ولذلك لم تستطع أن تنفتح على بعضها بعضًا، إمّا لأسباب اختلاف مذهبي، أو اختلاف سياسي، فكان كلّ طرف يحاول أن يُقصي الطرف الآخر، كلّ طرف يحاول أن يلغي

الطرف الآخر، وهذا هو من أسباب النكسات التي تعرض لها الربيع العربي، هذا خلل واضح جدًّا، كيف يمكن أن نقبل من جماعة يدعون إلى الحرية، ويدعون إلى العدالة، ويدعون إلى هذه العناوين العريضة، ثم يتجاهلون مكونات أخرى؛ لأنها تختلف معهم في الدين، أو تختلف معهم في المذهب، أو تختلف معهم في الاتجاه السياسي، هذا دليل على أن هذه الشعارات ليست عميقة داخل النفوس، وفي تشكيلة العقل القائم في هذه الحركات.

☐ **أنت تعتقد أن هذه الدعوات وهذه الممارسات انتكاسة أصابت الربيع العربي؟**

◀ نعم، الربيع العربي اليوم يتعرض لانتكاسة، ولكني لا أحمل النظرة المتشائمة التي يروج لها البعض، أنا أعتبر أن هذه الانتكاسات قد تكون طبيعية في سياق تطور هذه الشعوب، وفي مسيرتها نحو الوصول إلى أهدافها وتطلعاتها.

☐ **في خطبة لك كانت في أغسطس ٢٠١٣ ذكرت فيها «الأسوأ في حال الأمة أن يستعين بعضها على بعض بالعدو الأجنبي الطامع، ذلك يعني منتهى الانحطاط السياسي والتدهور الأخلاقي، بعض الإسلاميين الذين يتوسلون بالأمريكان للتدخل في سوريا وقبل ذلك في ليبيا» بعيدًا عن المشهد السوري أو الليبي أو المصري وبعيدًا عن الأمثلة، كأنك لا تعطي المبرر لبعض الأصوات التي خرجت بالاستعانة بالأمريكان سواء في سوريا أو في ليبيا في حين تغاضيت كما يدعي البعض عن استعانة المكون الشيعي بالأمريكان في العراق، لماذا حلال على الشيعة في العراق وحرام على السنة في سوريا أو ليبيا أو بقية الدول؟**

◀ هالني ما كنت أسمعه من بعض الشخصيات من العلماء والقيادات الإسلامية، من استغاثة واستنجاد بالأجانب للتدخل في شؤون البلاد الإسلامية، سواء في هذا أو ذاك البلد، هؤلاء الذين كانوا بالأمس يأخذون على الشيعة في العراق كيف أنهم قبلوا بالتدخل الأمريكي، وإذا بهم هم يستغيثون ويتوسلون للتدخل

الأجنبي في بلدان أخرى، أنا كنت أبدي أسفي لهذه المفارقة، أنا أعتقد أن الشيعة في العراق، خاصة في وسط العلماء والحركات الإسلامية في العراق، لم أسمع من أحدٍ منهم أنه كان يطلب، وكان يستنجد ويستغيث بالقوات الأمريكية للتدخل في العراق، هم تعاملوا مع التدخل الأمريكي في العراق كأمر واقع، ووجدوا أن هذا الخيار حسب رأيهم، خيار التعامل مع الأمر الواقع، هو الذي يقلل الخسائر، ويمكنهم من تقصير أمد الاحتلال الأجنبي، لكن لا توجد دعوات من علماء ومن قيادات كبيرة تطلب من الأمريكان أن يتدخلوا.

☐ **في الجانب الشيعي أنت تقول إنه لم يحدث وحدث ذلك فقط من السّاسة؟**

◄ سمعت بعض القيادات الشيعية مثل السيد نصر الله ـ أمين عام حزب الله في لبنان ـ سمعت منه في ذلك الوقت كان مخالفًا للتدخل الأمريكي في العراق، وكان يدعو الشيعة حتى للحوار مع صدام، ومع نظام صدام، حتى يفوتوا الفرصة على التدخل الأجنبي، وهذا شيء كان معلنًا في خطاباته وكلامه.

☐ **لكنك تستنكر الآن بعض الأصوات التي تصدر الآن من قبل بعض العلماء بدعوة الأمريكان للتدخل؟**

◄ أنا أعتقد أنّ أيّ تدخلٍ أجنبي في أيِّ بلد إسلامي لن يكون لمصلحة هذه البلدان وهذه الشعوب الإسلامية.

☐ **في تصريح لك ذكرت فيه «نحن الآن على أعتاب مرحلة جديدة ربما بدأ فيها أفول القوة الأمريكية التي تعاني الآن من ضعف قياسًا إلى قوتها السابقة، بالتالي فإن القوة الأمريكية ودورها مرشحة للمزيد من الانكفاء» هل بالفعل ترى أن القوة الأمريكية اليوم في المنطقة التي يعتبر أن الولايات المتحدة مهيمنة عليها بشكل أو بآخر نحو الانكفاء؟**

◄ هذا ما يلاحظه كلّ الخبراء والمتابعين، أن الأمريكان بعد تلك الهجمة التي كانت عندهم في عهد بوش، ـ باستخدام تدخلهم العسكري في أكثر من مكان، وفي أكثر من موقع، الآن هم لم تعد لديهم هذه الإرادة، لم يعد لديهم هذا التوجه، وهذا واضح من مواقف الإدارة الأمريكية أخيرًا، المشاكل الاقتصادية التي يعانون منها في أمريكا مشاكل واضحة، بالتالي هم الآن ينكفئون إلى داخلهم، وينكفئون إلى معالجة قضايا اقتصادهم، ولملمة جراحهم، مما أصابهم من حروب التدخلات السابقة، التقارير تتحدث عن جراحات كبيرة في المجتمع الأمريكي، من أعداد القتلى الذين قتلوا في العراق وفي أفغانستان، وأيضًا المعوقين والجرحى، والارتدادات النفسية، والحالات النفسية التي تحدث لكثيرين ممن شاركوا في هذه الحروب، لذلك هناك توجه أمريكي للانكفاء، وهذا يعني أن على دول المنطقة، وشعوب المنطقة، أن يهتموا بالعلاقات فيما بينهم، وأن يتحملوا هم مسؤولية أمنهم، وألّا يدعو الفرصة للآخرين أن يخوفوا بعضهم من بعض، وأن يرفعوا بعض الرايات لتخويف هذه الجهة من الجهة الأخرى، أهل المنطقة هم أولى بالتعاون من أجل حفظ أمن واستقرار هذه المنطقة.

□ **أريد أن أطرح معك سماحة الشيخ ـ قضية اجتماعية تتناولها بين الفينة والأخرى في بعض خطاباتك وهي قضية «البدون» ـ حيث اعتبرت هذه القضية وصمة عار، وذكرت «إن حرمان مئات الآلاف من البدون من حقّ الجنسية في السعودية وفي الكويت وفي الإمارات وغيرها، مطلوب الاحتذاء بالدول الغربية في هذا الشأن، التعاطي الراهن مع هذه الفئة يمثل انتهاكًا لحقوق الإنسان وتهديدًا للأمن الاجتماعي، لماذا هذه الروح العنصرية؟ قد تكون هناك بعض الجهات في مجتمعاتنا الخليجية هي التي تعارض تجنيس واستيعاب هؤلاء»، المتابع للشأن السياسي الكويتي قد يعتبر قضية البدون هي من القضايا الحاضرة على مدى ثلاثة عقود ٣٠ سنة ونحن نتحدث ولا زلنا نتحدث، والله العالم إلى متى، سنتحدث عن هذه الأزمة، هل هناك أيضًا أزمة مشابهة في السعودية اليوم؟**

◀ هذا ما تمّ الحديث عنه حتى عبر وسائل الإعلام، عندنا مجموعة كبيرة يقيمون في منطقة مكة وأصلهم من بورما ـ ونزحوا إلى المملكة، وعندنا أناس نزحوا من مناطق مختلفة، وأصبحوا يعيشون في داخل البلد منذ عقود من الزمن، وهذا ما كُتب عنه في الجرائد، أناس ولدوا ونشأوا وعاشوا داخل المملكة العربية السعودية، ولكنهم محرومون من حقّ الجنسية السعودية، وبالتالي محرومون من كثير من الخدمات، من التعليم وخاصة التعليم العالي، محرومون من العمل والوظائف، محرومون حتى من الزواج وحتى من الدفن، عندما يموت كيف يستخرج شهادة دفن وهو لا يمتلك هوية ولا يمتلك وثيقة، نجد بعض الناس من الكتاب في داخل المنطقة الخليجية سواء في السعودية أو في الكويت يتعاطون بعنصرية، بينما نجد قبل شهرين خبر ترحيل طالبين في المرحلة الثانوية من فرنسا، فخرج الطلاب والمدرسون في مظاهرة تضامنًا مع هذين الطالبين، لأنهما رحلا، ولا يمتلكان وثائق قانونية تمكنهما من الإقامة المشروعة في فرنسا، ذلك المجتمع الذي لا يحظى بتوجيهات الإسلام، ولا يتنعم بهدي الإسلام، الذي نتنعم به، كيف يكون أكثر إنسانية منّا في التعامل مع مثل هذه القضايا ونحن مسلمون؟

□ **إذًا أنت تلمس أن هناك نزعة عنصرية في ملف البدون؟**

◀ ألمس أن هناك من يشيع هذه النزعة، ولذلك أطالب العلماء والموجهين بأن ينمو الروح الإنسانية التي يريد الإسلام أن تكون حيّة في نفس الإنسان المسلم، يجب ألّا نقبل بمثل هذه الممارسات، هؤلاء بشر مثلنا، ويعيشون على أرض الله، ويأكلون من خيرات وضعها الله لجميع بني البشر.

□ **قبل نحو عام تحديدًا تناولت بعض وسائل التواصل الاجتماعي وبعض المواقع الإلكترونية خبر نقل عن أعضاء في تنظيم القاعدة عن وجود مخطط لاغتيال الشيخ حسن الصفار ـ بهدف زرع فتنة طائفية بين السنة والشيعة في المملكة، هل**

هذا الكلام دقيق؟

◀ نعم، الجهات الأمنية أخبروني أنهم اطّلعوا على بعض الاستعدادات لمثل هذا العمل، ولكن الجهات الأمنية أخبروني أنهم سيطروا على مثل هذا التوجه، وبالطبع الكلّ مستهدف.

□ **اليوم هل لا زال الشيخ حسن الصفار مستهدف؟**

◀ إن شاء الله نتمنى ألّا يكون أحد من أبناء الوطن مستهدفًا، نحن نأمل أن الإجراءات التي تمت في المملكة وضعت حدًّا لمثل هذه التوجهات الإرهابية على مستوى الوطن.

□ **في إحدى محاضراتك في الكويت تكلمت عن صناعة المحبة، هل لا زال بالإمكان صناعة المحبة؟**

◀ نحن في هذا الوقت أحوج ما نكون إلى صناعة المحبة، وإمكانيتها قائمة، ونفوس الناس هي على أصلها على فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأوجد الناس عليها، هذه فطرة إلهية، نفوس الناس تميل إلى المحبة، لكن هناك ضبابًا وتراكماتٍ، وهناك سوء فهم، فعلى الواعين أن يعيدوا الناس إلى هذه الفطرة السليمة.

□ **في ختام حلقتنا، نحن سعداء شيخنا، أنك لبيت دعوتنا وأتيت من المملكة العربية السعودية، كل الشكر لك ـ عالم الدين السعودي ـ الشيخ حسن الصفار ـ على حضورك إلى المنصة.**

◀ وأنا أشكرك وأشكر الأخوة والأخوات المشاهدين والمشاهدات وأرجو أن يغفر لي الجميع ما لم يعجبهم من كلامي وحديثي.

المحتويات